

مكتبة

Telegram Network

2019

# الكوميديا الإلهية

دانتي  
ألفييري

كاظم جهاد

مكتبة

## Telegram Network

«المكتبة النصية»

قام بتحويل كتاب:

(الكوميديا الإلهية)

ل- «دانتي أليغيري»

إلى صيغة نصية:

مجموعة من المتطوعين وهم:

من الكويت:

«منصور التميمي N»

من السعودية:

«خالد مريع»

«آلاء»

«صالح الضويحي»

«غدير الجهني»

«تميم التميمي»

من سوريا:

«محمد المقداد»

«محمد غزلان»

من مصر:

«تيسير عثمان»

«محمد ماهر»

«ماجده علي»

تصميم الغلاف / محمد المقداد

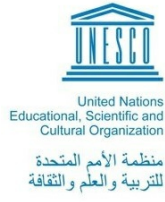




# دانتى أغيرى الكومى دى - الإلهىة

نقلها إلى العربية وقدمها وأعدّ حواشيها

كاظم جهاد



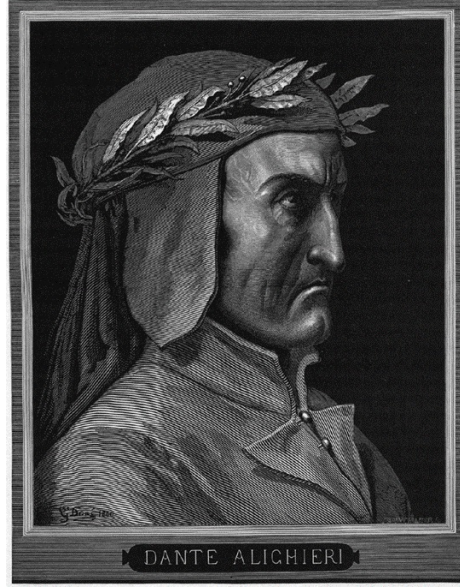
الكوميديا الإلهية / شعر مترجم  
دانتي ألغيري / مؤلف من إيطاليا  
كاظم جهاد/ مترجم من العراق يقيم في فرنسا

الطبعة الأولى، 2002

الترجمة الكاملة لكتاب

**DANTE ALIGHIERI**

**La Divina Commedia**



«دانتى اليغيري» (55-56 سنة)  
(فلورنسا 1 يونيو 1265 - رافينا 14 سبتمبر 1321)  
[/دانتى\\_أليغيري/wiki](https://ar.wikipedia.org/wiki/دانتى_أليغيري)



دانتى وبيترشي يتأملان وردة الطوباويين فى الامبريوم / سماء السماوات

## تصدير عام

لتسهيل قراءة هذا العمل لدانتي، فكّرتُ بأن أعمد إلى استراتيجية مزدوجة في تقديمه. فيجد القارئ في ما يلي تصديرًا عامًا وموجزًا يقف فيه فورًا على العناصر الأساسية التي ينبغي معرفتها عن العمل وصاحبه ومكانته في الخلق الشعريّ، مكانة لا تخفى على قارئ ولكن ينبغي أن نعرف فيم تكمن. بعد ذلك أقدم له مدخلًا نقديًا أو دراسيًا اعتمدت فيه على عدد من القراءات الكبرى الموضوعة في دانتي و«كوميديا الإلهية» (بورخيس، أنغاري، ريسيه، جيرار، جاكوتيه، إلخ.)، وأتوخى فيه قدرًا أكبر من التعمق والتفصيل. وللقارئ أن يقرأ هذا المدخل قبل قراءة ترجمة الأجزاء الثلاثة بأنشوداتها المائة، أو أن يعود إلى قراءته بعد غوصه في العالم الشعريّ لدانتي. أمّا مكانة الحواشي ودورها في «الاقتصاد» الشامل للترجمة، وترجمة دانتي عبر عمله هذا، فأتوقف عند هذا كله في نهاية المدخل.

ما برح عمل دانتي Dante الشعري الأساسي «الكوميديا الإلهية» La Divina Commedia يستنطق الحدائث الشعرية العالمية ويثير في مختلف اللغات الترجمة تلو الأخرى. كان الأديب المصريّ الراحل الدكتور حسن عثمان قد وضع قبل نصف قرنٍ لكلّ من جزأيه أو نشيديه الأولين «الجحيم» و «المظهر» ترجمة عربية مرموقة وجديرة بالإجلال (وسأعود إلى امتداحها في المدخل، علمًا بأن ورثته قد نشروا، كما أخبرني به بعض الأدباء، ترجمته لـ «الفردوس» قبل فترة، ولم يتسن لي الاطلاع عليها)، لكنّ ربّما اعتوّرت لغته كمترجم بعض العتق. وهي تمتاز خصوصًا بنثريتها، إذ جمع المترجم المقطعات أو «الستروفات» الثلاثية التي تتوالى في كلّ أنشودة، جمعها في سطر طويل وأحد محوّل أبيات دانتي المعروفة بتسارعها وتكافلها الفعّال والمتوتّر في آن معًا إلى ما يشبه متواليات سردية. في الترجمة التالية للعمل بأنشيدته الثلاثة، حاولتُ الإفادة من تطوّر الترجمة والقصيدة العربيّتين وتقريب الملحمة من إطارها الشعريّ الأصليّ. وقد استأنستُ بقرب الإيطالية من كلّ من الفرنسيّة والإسبانية اللتين اعتدتُ القراءة فيهما منذ سنوات عديدة. معروف أنّ الإيطالية لم تتغيّر كثيرًا منذ عهد دانتي الذي ساهم في «خلقها» بابتعاده عن اللاتينية لصالح «العامية» التي صارت بذلك «فصحى» بلاده، نوعًا ما كما فرض القرآن لهجة قريش على باقي اللهجات العربيّة. وإلى جانب النصّ الأصليّ الذي بقي يشكّل مرجعي الأساس من ناحية الإيقاع وملاذي الأخير أمام كلّ إشكال أو إبهام، قابلتُ بين ترجمات فرنسيّة عديدة في أولها الترجمة بدت التي وضعتها الشاعرة الفرنسيّة الطليعية والأستاذة في جامعة روما جاكلين ريسيه Jacqueline Risset. صدرت الترجمة في ثلاثة أجزاء في منشورات «فلاماريون» بباريس بين الأعوام 19 و1990، وأعربت فيها الشاعرة عن وفاء لنصّ دانتي في نظام كتابته الشعريّة وطبيعته التشكيلية والإيقاعية والدلالية دون أن تسقط في الترجمة الحرفية. وهناك ترجمات أخرى تتبع أساليب وطرائق متباينة، وهي متراوحة في الأهمية، وسأتي لذكرها لدى الكلام عن ترجمة دانتي في نهاية المدخل النقديّ لهذا الكتاب. كما لا ينبغي أن يفوتني التنويه من الآن بالعون الكبير الذي التمسّته من المقاربات النقدية الموضوعة في دانتي وعمله، وقد اخترتُ الأساسي والأعمق منها، وسأعرض لها طويلاً في المدخل المذكور.

لا يمكن بطبيعة الحال الإحاطة بالفعل الحقّ للكوميديا الإلهية، وخصوصًا «الجحيم»، من دون إحلالها في حياة مؤلّفها وفي سياق عصره. ولد دانتي أليغييري في فلورنسة في 1265 وتوفي في رافينا في 1300، فكان شاعرًا وسياسيًا مخضرمًا شهد أحداث النصف الثاني من القرن الثالث عشر والنصف الأوّل من القرن الرابع عشر، وعانى بنفسه من أعنف آخر قرون العصر الوسيط المضطرم ذاك والممهّد لعصر النهضة.

كتب دانتي في صباه وشبابه عددًا من القصائد الغنائيّة يتجلّى فيها أثر التروبادور البروفنساليين أفضلها منبثّ في كتابه النثريّ-الشعري «فيتا نووفا» أو «الحياة الجديدة»، الذي يعبر فيه عن أسفه لفقدان حبيبته بياتريشي (اسمها الحقيقيّ بيثي يورتيناري) التي فرقه عنها سوء تفاهم مبهم سنعود إليه في المدخل، ثمّ اختطفها منه موت مبكر. وبعد فترة من اللهو كان ولا شكّ يتوحّى منها النسيان، راح يرتاد بعض الحلقات العلميّة واللاهوتيّة كأن بعضها يتداول فكر توماس الإكوييني والبعض الآخر يتدارس الأثر الرشديّ (نسبة إلى الفيلسوف الأندلسيّ ابن رشد).

وإلى نصوصه الشعريّة الغنائيّة، وضع دانتي دراسات فلسفيّة وعلميّة ولاهوتيّة وأدبيّة من أهمّها كتبه «في الفصاحة العاميّة» و«في الملكيّة» و«المأدبة»، وقد بقيت جميعًا مبتورة لأنّه كان يتناهبه النضال السياسيّ من جهة و«نداء» عمله الأساسيّ الكوميديا الإلهيّة» من جهة ثانية.

على عمق إيمانه المسيحيّ، تفجّع دانتي للفساد المحيق بالكنيسة الرومانيّة واتّجار رجالها بالنّفوذ السياسيّ وصكوك الغفران ورفات القديسين وضلوعهم في مؤامرات مظلمة وعويصة. فأمن بضرورة فصل الكنيسة عن الدولة، وعلى هذا الأساس انخرط في حزب «الغَيْلف» الداعي إلى استقلال فلورنسة عن سلطة روما وإلى الحدّ من سلطة البابوات، وراح يجابه الحزب المناوئ المعروف بحزب «الغَيْلين». ولكنّ سرعان ما انقسم حزبه نفسه إلى حزينين دُعيّا بـ «الغَيْلف البيض» (وفيه بقيّ دانتي) و«الغَيْلف السّود» الذي صار أميل إلى البابا. وفي هذا المناخ من الصّراع الشّامل وقعت مجازر وحروب طاحنة وتحالفات مع «الغَيْلين» أعداء الأُمس. وتسنّم دانتي مسؤوليات سياسيّة وحكوميّة عالية، ولكنّه فشل في إحلال روح الوثام والعدل بين رفاقه، ثمّ تلقّى حكمًا غيابيًّا بالإعدام بعد انهزام حزبه، فاختر المنفى وراح حتّى وفاته يتنقّل بين مدن عديدة تقع خارج إقليمه الأصليّ وبعيدًا عن نفوذ أعدائه، تارةً في ظروف فقيرٍ مربعٍ وطورًا في ضيافة بعض الأمراء والمعجبين الموسرين. وفي سنوات النفي والتشريد تلك أكمل أناشيد عمله الكبير الثلاثة، ورفض القبول بالعفو المعروض عليه إذ كان مشروطًا بأنّ يتقدّم بالتماس للعفو أو طلب للمغفرة.

توفيّ دانتي عن ستّ وخمسين سنة، ضحيّة حمى أصابته من جرّاء عبوره مستنقعات موبوءة لدى عودته من البندقية التي كان قصدها في مهمّة للتفاوض أرسله فيها صديقه ومُضيفه نوفيلو دايولوتينا، وقد اضطرّ الشاعر لانتهاج طريق بريّة الأن خصومه السياسيّين رفضوا أن يركب معهم على متن سفينة العودة. وعليه، فحتّى رمقه الأخير دفع دانتي ثمن حلم بالعدالة لم يحتمله عصره (وأيّ عصرٍ يحتمله؟) ولم يتمكّن هو من تحقيقه.

كتب دانتي نفسه أنّ عمله قابل لقراءات متعدّدة، حرفيّة ورمزيّة، شعريّة ولاهوتيّة وأمثوليّة (أليغوريّة). والقراءة الشعريّة - الفلسفيّة هي السائدة اليوم طبعًا.

وكما كتب الشاعر الإيطاليّ المعروف أنغاريّتي في «دانتي العادل»، فهذا العمل هو تعبير شاعر عن

اعتقاده القويّ في أنّ عدالة معيّنة تظلّ تفرض نفسها، وأنّ تسامياً أو خلاصاً لا يبدو ممكناً من دون أن يتلقى كل امرئ جزاء فعله، ثواباً كان ذلك أم عقاباً. وعلى صعيد التأويل النفسيّ، فالعمل يصوّر مسيرة إنسان يعلم أنّه لن يدرك الخلاص ما لم يحقق هذا النزول إلى أسفل دركٍ في المعاناة الكليّة، في هاوية الذات والبشريّة التي يتصاعد منها أنين المعدّبين وصراخ الخاطئين. نزول يتصاعد منه بالتدرّج إلى رؤية المُطهر المسكون بمن هم في منزلة وسطى بين الخطيئة والبراءة، ثمّ إلى الفردوس حيث يقابل الأنبياء والملائكة والقديسين والطوباويين. وبين الأخيرين محبوبته بياتريشي التي توبّخه حتّى تبكيه على ضلاله الأول ثم تحلّ له ألغاز السماء وتكشف له، هي وسلف له يقابله هناك، عن مهمّته التي سيعود من أجلها إلى الأرض: مهمّة شعريّة يقول فيها كل ما عانى وما شاهد، مشكّلاً «حزباً بمفرد» و«تاركاً الآخرين يحكّون أنفسهم حيثما أصابهم الجرب»..

حاول بعض الشراح، من السائرين في النهج الكنسيّ بخاصّة، أن يحكموا ربط عمل دانتي بتصوّر مسيحيّ محض للعدالة والكون وللمرجعيّة الفكرية الداعمة للقصيدة. وكما سيلاحظ القارئ بنفسه، فلشدّ ما يخطئون. فعلام يدلّ اختيار دانتي فرجيليو مرشداً له في الرحلة عبر الجحيم والمُطهر إنّ لم يدلّ على اعتزازه بهذا الشاعر اللاتينيّ الذي توفيّ في الوثنية قبل أن تظهر رسالة المسيح إلى العالم؟ وهل بمقدور أحد أن يعي أمام تضافر الأفكار الأرسطيّة والإكويينية والرشدية في الأجزاء الثلاثة، وأمّام هذا التجاوز الدائم للاهوت نحو رؤية صوفية-شعريّة؟ ثمّ ألم يُحلّ دانتي في الجحيم عدداً من البابوات، وفي الفردوس بعض الوثنيين الصالحين، بل كذلك أحد شراح ابن رشد، سيجييري (المعروف لدى الفرنسيين باسم سيجيبه) الذي حوكم وأتهم بالهرطقة وكان بين مُعارضيه ومُخوئيه القديس توماس الإكويينيّ نفسه الذي يتبع دانتي تفكيره الاسكولائيّ في نواح عديدة؟ أولم يرفع أيضاً محبوبته بياتريشي في الفردوس إلى مقام يكاد يُضارع مقام مريم العذراء إنّ لم يتجاوزها؟ ولو كان جوهر الغناء الدانتيّ قائماً على المذهبيّة بدل أن يقوم على الانخفاف والجدل والإشراق والشطح، أفكان سيُلفت انتباه قراء القرون المتوالية وشعرائها بمثل هذا النفاذ الذي به ما برح ابن فلورنسة ذلك يسبقنا ويتقدّمنا؟

هذا عمل من شأنه في اعتقادنا أن ينعش التجارب الشعريّة العربيّة الجديدة، شريطة أن يفتن القارئ لتعدّدية عناصره وألا يثبّط من عزمه هذا التراوح الدائم المقيم في صلب طبيعته كعمل ملحميّ بين السرد البسيط والهدير الشعريّ والحوار المأساويّ والحجاج الفكريّ والاستنطاق الفلسفيّ والتناول التاريخيّ. وإنّي لأتمنى ألاّ ينصرف القارئ عن القراءة بمجرد أن تزجّه هذه الأنشودة أو تلك في تبخّرات لاهوتيّة أو استعدادات تاريخيّة ربّما كانت لا تعني سوى العارف بتاريخ إيطاليا السياسيّ والكنسيّ. ذلك أنّ دانتي سرعان ما يُعيد النّشيد إلى نبره العشقيّ أو الإشراقيّ أو الاستكشافيّ- الشعريّ في الأنشودة نفسها أو في تلك التي تليها. فلا يخسر القارئ فرصة هذا اللقاء الشعريّ بباعث من ملال مؤقت أو «انزعاج» جزئيّ. ثمّ إنّ الحواشي المقدّمة هنا تساعد في فهم جميع التفاصيل والدقائق التاريخيّة والأسطوريّة والفكرية، وكما سأوضّحه في المدخل، فإنّ إهمال هذه الحواشي لدى القراءة قد يجعل التلقّي الكامل لهذا الأثر الشعريّ متعذراً أو يكاد. وقد اعتمدتُ هنا حواشي ريسية التي تفيد فيها من ثمار أبحاث أجيال كاملة من المختصّين بالأثر الدانتيّ، مع إضافات أتية من حواشي ترجمات أخرى ومن تنقيباتي الشخصية في بطون المعاجم والموسوعات. وينبغي أن ألفت هنا نظر القارئ إلى ازدواج الكلام الدانتيّ ازدواجاً فعلاً ومؤثراً: فعلى إيمانه العميق



بالعدالة الإلهية، تراه لا يفتأ يتألم لما يشاهد في الجحيم من مناظر العذاب، ينفعل (بل يغمى عليه غير مرّة) لمراى الخطاة المنكّل بهم، ويبدو شُبه محتجّ على ما يلحق بهم من هوانٍ أليم. أمّا مشاهد السكينة المنتظرة والآملة في المُطهر ولحظات الغبطة الطوباوية في الفردوس فيعيشها في صميم جسده، وسيري القارئ كيف تدمغ بأثرها حواسّ المسافر السماويّ في الأوان ذاته الذي تحوّل به وعيه.

بتقسيمه نشيده الكبير إلى «جحيم» و«مطهر» و«فردوس» يمكن أن نرى فيها مراحل ثلاثاً ترمز للاختبار الإنسانيّ بعامّة، أي بإضافته «المطهر» (الذي لم تقرّ به الكنيسة إلّا مؤخّراً)، فإنّ دانتي قد وسّع حدود التجربة الإنسانية وفرض على الفكر و«المنطق» الشعريّ والفلسفيّ إيقاعاً ثلاثياً يتجاوز اختزاليّة المثنويّات وبساطتها القسريّة.

وإذا كان «الجحيم» Inferno يظلّ هو النشيد الأشهر والأكثر أثراً بين الأناشيد الثلاثة، فسيري القارئ لدى قراءة الترجمة الكاملة أنّ «المطهر» Purgatorio و«الفردوس» Paradiso يتمتع كلّ منهما بخصوصيّة لافتة وينطوي على عناصر ابتكاريّة وتجديديّة نافذة. ولعل مرد انفراد «الجحيم» بالتأثير الواسع الذي عرفه هذا الجزء آت من طبيعة حاجات قارئ القرون الأخيرة والاتّجاه المأساويّ الذي اتّجهته كتابة الأحداث وما قبل الحداثة. هكذا بقي تأثير «الجحيم» ملحوظاً على ولادة ما يُدعى بالرواية السوداء (روايات الرعب والروايات البوليسيّة)، وعلى موهبة لوتريامون ونرفال وكافكا وجويس وآخرين عديدين.

وكما فعل سلفي المرموق في ترجمة دانتي، الدكتور حسن عثمان، فقد حرصتُ على أن أكتب اسم صاحب «الإنياذة» الذي يختاره دانتي طيلة جزء «الجحيم» وحتى ما قبل نهاية «المطهر» هادياً وأباً روحياً، أقول أن أكتبه على هيئة «فرجيليو» بدل «فرجيل» المتأثّرة بالنطق الفرنسيّ. فإضافة إلى حقيقة أنّك لو سألت الطليان عن «فرجيل» لقالوا لك «من هو هذا؟»، فإنّ إيقاع المفردة «فرجيليو» بدالي أكثر ملاءمة للصياغة الشعريّة. ومع هذا فينبغي الإقرار بأننا لا نرى بين «فرجيل» و«فرجيليو» بوناً هو من الشساعة بحيث يجعل القارئ العربيّ يفكّر بأن المقصود شاعر آخر غير صاحب «الإنياذة». كما فضّلت دعوته في هذه الترجمة بـ «المرشد» بدل «الدليل»، نظراً لجسامته، جسامته يؤكّد عليها دانتي نفسه الذي يتعامل معه كأبٍ روحيّ ومصوّبٍ للهفوات ومنيرٍ للظلمات الفعلية والنفسية أكثر منه مجرد دليل في الدرب.

أمّا «الجحيم»، فتأتي في هذا الكتاب مؤنّثة دائماً، وإنّ ذكرها البعض اليوم فهذا خطأ شائع. تقرأ في القرآن: ﴿إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (سورة «التّازعات»)، وكذلك: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (سورة «التكوير»)، إلخ.

أشير، أخيراً، إلى أنّ ترجمتي للأنشودة الأولى من «الجحيم» سبق أن نُشرت في «نوافذ»، الملحق الأسبوعيّ الأدبيّ لصحيفة «المستقبل» ببيروت، في حزيران 2001، كما نُشرت ترجمتي للأنشودات الثمانية الأولى من «الجحيم» مصحوبةً بحواشيتها في مجلة «الكرمل» الصادرة في رام الله، في عددها المزدوج 70 / 71 شتاء- ربيع 2002.

المترجم باريس

آذار 2002



## مدخل الى عالم دانتي

### (...قراءة ريسيه، بورخيس، أنغاري، جيرار، جاكوتية)

تطمح القراءة الموسّعة التالية إلى تشكيل مدخل نقدي وتحليلي لعالم دانتي الإبداعي في «الكوميديا الإلهية». تبدأ بعرض الخطوط الأساسية لسيرته وتعزّف بأعماله الشعريّة والفكرية السابقة للعمل الكبير والتي تشكّل جميعاً تمهيداً له وما يشبه تمرينات «من أجله: إذ ندر أن ارتسم الوعد النهائي لمبدع على هذه الشاكلة منذ أولى صفحاته وفي ابتداء عمله. تليها تحليلات مفصلة لسباق الرحلة في الملكوتات الثلاث، الجحيم والمطهر والفردوس، وما يتخلّلها من تظاهرات وظهورات.

وستتضمن هذه التحليلات إضاءات متوالية للتلميحات التاريخية والمعرفية التي تدعم القصيدة وتهبها نسغها الحيويّ وأساس معمارها. طموح كهذا اقتضى منّا بطبيعة الحال أن نرجع إلى كتابات الأوروبيين من كبار الشعراء والنقاد والشراح المتخصّصين بدانتي والذين أنفقوا في ارتياده سنوات طويلة وراكموا في أبحاثهم ثمار جهود أجيال متعاقبة اشتغلت على أثره وأمّعت في تأمله واستنطاقه وتحليله. من هنا، ومع أنني طمحت إلى أن أسبغ على هذه الدراسة أسلوباً في العرض شخصياً وأن أتوخّى فيها كثافة معينة في الاقتباس والتلخيص، فهي ستكون من نمط الإعداد والتركيب أكثر منها تأليفاً محضاً. ولدواع تتعلق بالأمانة واحترام الذات واللغة والقارئ، والشاعر نفسه الحاضر بيننا من وراء سجوف غيبته أو غيبه، فأنا أنبه إلى هذا بادئ ذي بدء. ومن قرأ مقدّمتي المتواضعة أعلاه، أو تأمل الخاتمة التي أحاول أن أفهم فيها «درس دانتي» وأنشؤف السبيل الأمثل لترجمته، أدرك أنني كنت سأقدر أن أمهد لهذا العمل المترجم بقراءة متواضعة وشخصية أولاً بأول. بيد أنني أردت أن يتوفر القارئ العربيّ على أقصى ما يمكن أن يتيح مدخل نقديّ من مفاتيح لفهم هذا العمل العقد تعقيداً خصباً في ما وراء بساطته الظاهرية. عمل يكتفّ لحظة مفصلية من تاريخ إيطاليا والعالم، ومن صراع الكنيسة والدولة، والعقل والإيمان، والشرق والغرب، كما يبلور تجربة شخصية ندر أن عرفنا ما يضارعها في الشجاعة والعمق ومواصلة المغامرة الروحية والشعرية حتى أقصاها.

الكتابات عن دانتي في اللغات الأوربية كثيرة، ولا يلاقي المرء أمامها إلا عسر الاختيار. آثرت، من ناحيتي، الاكتفاء بمصادر معدودة وأساسية. إن صفحات قليلة لكاتب الأرجنتينيّ خورخي لويس بورخيس أو مفكّر كالفرنسيّ رنيه جيرار، أو شاعرين كمواطن دانتي جوسيه أنغاري والسويسريّ فيليي جاكوتيه بدت لي أكثر إغناء وإضاءة من مجلّدات فخمة من البحث الجامعيّ الباطل التبخر والكثير الإملال الموضوع في عمل دانتي. وإلى صفحات هؤلاء، أفدتُ خصوصاً من مقدّمات الشاعرة الفرنسية جاكلين ريسيه لترجمتها الصادرة في ثلاثة أجزاء الأناشيد «الكوميديا الإلهية» (خصوصاً مقدّماتها لترجمة «الجحيم»)، ومن كتابها القيم «دانتي كاتباً» الذي تقدّم فيه مرافقة دؤوباً لأناشيد دانتي هذه وتحلّلها وتردّها إلى خلفياتها اللاهوتية والتاريخية والفلسفية عنصرًا عنصرًا، مقتبسةً بدورها نتائج أبحاث الكثير من المختصّين بدانتي، من كتاب لغته بخاصة. يقع كتابها هذا في مائتين وستين صفحة كثفتها هنا في خمسين صفحة ونيّف، مضيئاً إيّاها بأفكار بورخيس وأنغاري وباقى من ذكرت في هذا الصدد. وقد دفعني إلى وضع هذا العرض المسهب

اعتقادي بأنّ هذه الدراسات الأساسيّة قد لا تُترجم إلى العربيّة أبدًا أو لن تُترجم إليها في عهد قريب. وأخيرًا، فالقارئ يجد العناوين الأصليّة لمصادر هذه الدّراسة ومواضع نشرها، في آخرها.

## (1)

### سيرة دانتي

المعطيات التالية عن سيرة دانتي مترجمة بتلخيص وتصرف من كتاب جاكين ريسيه السابق الذكر «دانتي كاتباً» (ص 209- ص 217). والحق فلا يُعرَف من حياة دانتي إلا القليل، خصوصاً في غياب الوثائق المباشرة المتعلقة بحالته المدنيّة لكنّ توافر عمله الشعريّ على الكثير من جوانب سيرته الذاتيّة، سواء أتلّق الأمر بحياته النّضاليّة أم العشقيّة أم الفكريّة، والأضواء التي سلّطها عليها ابنه وسواهما من ناشري عمله المتلاحقين في تعقيباتهم على تلميحاته إلى هذا الحادث أو ذاك من حياته، هذا كلّه وقرّ لنا مادّة غنية لمعرفة الرّجل الذي كانه هو.

الاسم العائليّ أو اسم الشهرة «أليغييري» Aliguieri أو «ألاغاري» Alagary من أصل لمبارديّ (لمبارديا هي إيطاليا القاريّة، تقع أسفل الألي)، ويدل على العقافة الصّغيرة التي يرميها القارب لدى وصوله إلى الشاطئ، فهي بمثابة مرسة، مثلما يدل على الملاح الذي يقوم بهذه المهمّة. كما يقبل الاسم التأويل باعتباره aligero، مفردة تعني «ذا الجناحين»، ملاكاً أو طائرًا، أي «صورة الوسيط التي طالما وجد دانتي نفسه فيها»، كما تعبّر ريسيه. أمّا الاسم الشخصي: Dante، فيعني «هذا الذي يُعطي»، أي «المعطي» أو «الواهب»، وكذلك تصغير Durante ويعني «المكابد» أو «الصّبور».

ولد دانتي في نهاية شهر نوّار/ أيار - مايو، في 1265. وتوفيت أمّه، بيلا («الجميلة») وهو في العاشرة، فعني أبوه بتربيته. ومع أنّ دانتي سيُرجع في «الفردوس» أصوله إلى مؤسسي مدينته الأسطوريّين، فقد كان أبوه من طبقة صغار النبلاء ويُرجح أنّه كان صيرفيّاً، بل حتى مسلماً للمال، مهنة لا بدّ أنّها كانت مصدر مهانات أكثر منها مصدر ربح في فلورنسة في بدايات نشأة الرأسماليّة تلك.

وسيتوفى الأب مبكراً هو الآخر، في 1281، تاركاً دانتي على رأس أسرة تضم خمسة إخوة وأخوات يصغرونه في العمر، يحتمل أنّ يكون أربعة منهم من زواج أبيه الثاني.

من طفولته وصباه لا نعرف شيئاً سوى ما رواه هو نفسه من ملاقاته وعشقه لبياتريشي (الثابت اليوم أنّ اسمها الحقيقيّ كان بيشي پورتيناري)، ابنة مصرفيّ فلورنسيّ ثري. وقد تزوّجت وهي على عتبة الشباب من المدعوّ سيموني دو باردي، وتوفيت عن ستّ وعشرين سنة. وتزوّج دانتي شاباً هو الآخر، من جيّمّا دوناتي التي كان أبوه خطبها له وهو في سنّ الثانية عشرة، وستهبه قبل سنوات المنفى ثلاثة أبناء، ابنين هما بييترو وجاكوبو، اللذان سيُعيان بنشر عمله بعد وفاته، وابنة اسمها أنطونيا، وستصبح راهبة وتحمل اسم... بياتريشي.

لا نعرف الكثير عن دراسة دانتي في فلورنسة، سوى أنّه واطب، بعد موت بياتريشي، على ارتياد الحلقات الدومينيكانية والفرانتشيسكانيّة. ومارس عليه صديقه الشاعر والفيلسوف الرشدي (نسبة إلى ابن رشد) غويدو كا فالكانتي تأثيراً عميقاً، وكذلك برونيتو لاتيني، الشاعر والناطق بلسان حزب «الغيف»، والذي كان مطلقاً على العلوم ويعرف اللغة العربيّة (كان يرتاد بلاط ألفونصور

العاشر في قرطبة).

وفي سنوات المنفى التي عرفها هو أيضًا، سيضع لاتيني بالفرنسيّة موسوعة سمّاها «الكنز» Le Tr كتب فيها: «جميع بقاع الأرض أوطان للمرء كما البحر موطن للأسماك»، كلمات سيأخذ بها دانتى لصالحه فيما بعد.

تطلّ حياة دانتى في الفترة اللاحقة لوفاة بياتريشي حافلة بالغموض، ويدعوها البعض «فترة اللهو» والبعض الآخر «فترة التخبّط الفكريّ» ونوثر نحن عليها تعبير التهمّس المعرفيّ. ومن المؤكّد اليوم أنه ارتاد في 1287، في مدينة بولونيا، حلقة المناطقة الدانمركيين، وكان عدد منهم رشديين، وبالاحتكاك بهم هيأ قواعد نظريته في اللغة. بعد ذلك بسنتين، سنراه مواطنًا فلورنسيًا يساهم في القتال دفاعًا عن المدينة، في معركة كامبالدينو ضدّ أهل أريتزو في حزيران 1289، وفي معركة كاميرونا ضدّ أهل بيزه في آب منه. ثمّ تزايد انخراط دانتى في النضال السياسيّ. من على بُعد أوّل الأمر، بباعث من إبعاد الحكومة الشّعبية طبقة النبلاء من الوظائف والأعباء العامّة، ثمّ صدر مرسوم 1295 الذي يرخّص لأفرادها ذلك شريطة الانتماء إلى سلّك مهنيّ. فانتسب دانتى إلى السلّك الأقرب إلى المثقفين، سلّك الأطباء والصيادلة. واعتبارًا من 1296 نجد له آثارًا في المناقشات السياسيّة، ونراه وهو يتخذ موقفًا صارمًا إلى جانب الجناح الأكثر ديموقراطيّة، معارضًا الجناح المناصر للبابا، ومعرّفًا بنفسه كعضو في حزب «الغيلف».

كان انقسام تقليديّ يدفع، منذ القرن الثالث عشر، «الغيلف» بمواجهة «الغيبليين». الآن، في الفترة التي دخل فيها دانتى المعترك السياسيّ، صار انقسام آخر يضع «الغيلف البيض» بمواجهة «الغيلف السّود» ويتمخّض عن ضراوة مماثلة. فما هي هذه الأحزاب وما منشؤها؟

كانت مفردتا «الغيلف» و«الغيبليين» تشيران إلى صراعات محلّية غامضة في دوافعها الأيديولوجيّة تزعمها حزبان حَمَلاهما اسمين لهما. كلتا المفردتين من أصل ألمانيّ. فالحزب الأوّل اسمه بالإيطاليّة: parte guelfa، وهو آت من اسم آل ويلفن Welfen، أسرة أمراء ألمان. والثاني اسمه: parte ghibell، باسم منطقة «الغيبليين» Waiblingen التي كان آل هوهنشتاوفن أسيادها. ثمّ تشخّصت الصراعات أكثر واكتست صبغة أكثر سياسية مع تفاقم النزاع بين الأباطوريّة (وكان الأباطور يومذاك ألمانيًا) والبابويّة. أصبح الصراع شرسًا وراح كلّ من الحزبين يبحث عن دعم خارجيّ. فصارت تسمية «الغيلف» تُطلق على ملتسمي دعم البابا، و«الغيبليين» على ناشدي مساندة الإمبراطور. وفي فلورنسة، كان الغيبليين يمثّلون ردّة فعل الإقطاع غير القابل بهزيمته، والغيلف أنصار حُكم الطبقات الاجتماعيّة الجديدة، ذات الموارد الماليّة والصناعيّة. كانت فلورنسة مدينة «غيلفيّة» أساسًا، ولم يسُد «الغيبليين» فيها إلّا لفترة قليلة. إلّا أنّ انتصار «الغيلف» لم يمهّد الصراعات، بل 18 لقد شهد دانتى، وهو في سنّ تتراوح بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة، مصالحة بالغة الاحتفاليّة بين الحزبين سرعان ما أثبتت بطلانها. وكانت تلك التّجربة واحدة من المصادر الأولى للقناعة (الطوباويّة) التي سترسّخ في ذهن دانتى فيما بعد بأنّ الشقاق سيظلّ عاملاً في صفوف البشر ما لم تفرض السّلام سلطة أقوى، سلطة إمبراطور كونيّ.

وبالرغم من الانتصار النهائيّ الذي حقّقه حزب «الغيلف» فسَينقسم هو أيضًا على نفسه. ف«الغيلف السّود»، الناطقون باسم الطبقات الميسورة، كانوا يحبّذون مطامح البابا بونيفاتشو



الثامن على توسكانيا (المنطقة العائدة إليها فلورنسة).

و«الغيلف البيض»، المتحدرون من أصحاب المهن الصغرى بل وحتى من المأجورين كانوا يبدون عداء قويًا للبابا ولأدنى مبادرة من شأنها أن تُضعف استقلال توسكانيا وفلورنسة.

في 1300، أرسلت حكومة «الغيلف البيض» دانتي إلى جيمينيانو لتهيئة اجتماع لجميع «غيلف» توسكانيا. وفي حزيران منه، صار واحدًا من حكام المدينة الستة لمدة ثلاثة أشهر. كان عليه أن يتخذ إجراءات بحق «الغيلف» السود والبيض الدائمي التنازع، وقد اضطرّ في أثناء ذلك إلى أن يوافق على إرسال صديقه الشاعر غويدو كالكانتي إلى المنفي تهدة للأجواء (منفي سيلحقه هو نفسه إليه بعد فترة). صار دانتي على رأس «الغيلف» المناوئين للبابا. ولكن الأخير استغل اجتياح شارل الثالبي لإيطاليا ليبرم اتفاقًا يهدد الحريات العامة لأهالي فلورنسة مباشرة.

أرسلت حكومة البيض وفدًا للبابا كان بين أعضائه دانتي. فاحتجزه بونيفاتشو الثامن في روما، في حين دخل شارل الثالبي فلورنسة وأعاد الحكم للسود. فبدأت محاكمات بحق البيض. لم يعد دانتي في روما. ولا أحد يعرف إن كان عاد إلى فلورنسة وغادرها بسرعة. المهم هو أن السود حكموا عليه في كانون الثاني 1302 غيابيًا بالنفي، ثم أصدروا، في آذار، حكمًا بالإعدام يشمل هو وأربعة عشر عضوًا آخر من حزب «الغيلف البيض».

بقي المحكوم عليهم البيض لفترة من الزمن يعيشون على تخوم توسكانيا، محاولين الاتحاد و«الغيلبين» المنفيين للعودة إلى فلورنسة بالقوة. لكن المحاولات باءت بالفشل. فاتجه دانتي إلى فيرونا، في ضيافة أميرها بارتلومو دلا سكالو. وشهد من هناك ثانية، في 1304، المحاولات الأخيرة لقوات «الغيلف البيض» المتحددين و«الغيلبين» ضد «السود». ثم انسحب من حلفائه وشكل «حزبًا بمفرده». وهي اللحظة التي بدأ فيها تجوابه الذي يستحضره في هذه السطور:

((بعدما طاب لمواطني بنت روما الجميلة والمشهورة هذه، فلورنسة، أن يرموا بي خارج حضنها الرفيق الذي ولدت فيه والذي أرغب من كل قلبي أن أعود إليه بمباركة منها، لأريح نفسي التعبي وأمضي ما بقي مقدّرًا لي من أعوام، رحّت أجوب أغلب المناطق الناطقة بهذا اللسان، غريبًا، شبه شحاذ، عارضًا خلافًا لإرادتي جرح الحظ الذي يُلقي في الغالب بمسؤوليته على عاتق من يحمله. كنت حقًا كمثل قارب بلا دفة، تدفني عبر مختلف الموانئ والأنهار والشيطان الريح الناشفة تعصف بالفقر الأليم)) («المأدبة»، 2، 3).

تكشف آثار عديدة عن تنقل دانتي بين تريفيسو وبادو والبندقية ومدن إيطالية أخرى تقع خارج نفوذ أعدائه. يتردد الباحثون في قبول فرضية ذهابه إلى باريس، التي كانت تشكل يومذاك موئل الدراسات التومانية (نسبة إلى القديس توماس الإكويني) والرشدية. وثمة من يقول إن دانتي كان فيها وغادرها في 1310، مع اتجاه هنري السابع، ملك اللوكسمبورغ، إلى إيطاليا ليتوج فيها إمبراطورًا. كان دانتي يعلق الأمل على هذا الملك في تحقيق حلمه الطوباوي إمبراطورية كونية سلمية ومستقلة عن البابوية وتشكل معادلها الزمني. ويرجح آخرون أن دانتي انطلق إلى ييزه التي كان الإمبراطور فيها عام 1312، أملًا أن يعرج الأخير على فلورنسة. إلا أن الإمبراطور اتجه إلى روما، وسيموت في 1313، من دون أن يحقق حلم الشاعر، الذي التجأ آنئذ إلى فيرونا ثانية، في ظل أميرها كان غرانده دلا سكالو، الشقيق الأصغر لبارتلومو المذكور أعلاه ووريثه.

كان دانتي قد كتب في سنوات منفاه التسع الأولى «الجحيم» وبدأ بكتابة «في الفصاحة العامية» (نحو 1303-1304) و«المأدبة» (نحو 1304). وفي فيرونا، سيني «المطهر» و«الفرديوس» الذي سيهديه لإنسان غرانده. وفي 1315، رفض العودة إلى فلورنسة، لأن العفو عنه كان مشروطاً بأن يجثو أمام حكامه على رؤوس الأَشهاد، وبهذا الصدد كتب لصديق له، راهب فلورنسي كان هو الوسيط:

«أهذا هو المرسوم الذي يدعون فيه إلى الوطن دانتي أليغييري، المُجبر على النفي منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا؟ أهذا ما عادت له به براءته المشهودة لدى الجميع وانكبابه المتواصل والعنيد على الدرس؟ كلاً، لا أبعد عن رجل عاش من الفلسفة من مثل هذه الوضاعة لنفس تذهب بها الوقاحة إلى حدّ القبول بالتسليم شَبه مغلولة وكمثل إنسان شائن. بعيداً عن يدعو إلى العدل ومن عانى من الجور أن يُسلم نفسه للمتسببين بالجور كما لو كانوا ممن أحسنوا إليه.

«كلاً، ليست هذه هي شاكلة عودتي إلى الوطن، يا أبتاه (...). فإذا كان عليّ أن أعود إلى فلورنسة بهذه الشاكلة، فلن أعود إليها أبداً. ثم ماذا؟ أفلن تتوقّر لعينيّ في كلّ مكان رؤية الشمس والتّجوم؟ أو لن أقدر أن أتأمل تحت سماء جميع البلدان أعذب الحقائق، حتى إذا لم أستسلم لشعب فلورنسة ومدينتها بصورة غير مجيدة، بل وشائنة؟ لا أحسب أنني سيعوزني الرّغيف» («الرسالة الثانية عشرة - إلى صديق فلورنسي»).

بعد هذا الرّفص، جدّد حكام فلورنسة الحكم بالإعدام على دانتي، وشملوا بالحكم ولديه الاثنين. ولأسباب غير معلومة، غادر دانتي فيرونا إلى رافينا، وهي مدينة هادئة ومحبة للعلم، أحسن أميرها غويدو نوفيلووضيافته فيها وكان يعدّ نفسه تلميذ دانتي. هناك أكمل دانتي كتابة «الفرديوس» وحرّر دراسة جغرافيّة في «مسألة الماء واليابسة». ونشأت من حول دانتي حلقة كان من أعضائها ابنه اللذان التحقا به. وراح نوفيلويعثه في مفاوضات كانت الأخيرة منها، تلك التي حملته إلى البندقية في تموز-آب 1321، مهلكة للشاعر. فيبدو أنّ دانتي أحسن فيها الدّفاع عن حقوق رافينا أمام مفاوضي البندقية. فخشي هؤلاء أنّ يؤثّر دانتي على الأميرال البندقية للسفينة التي كانت ستحمّله في رحلة الإياب إلى رافينا، فأجبروه على اتّباع طريق بريّة. فاخترق مستنقعات كوكاتشيو الموبوءة وأصيب بحمّى مات منها بعيد وصوله بقليل، في ليلة الثالث عشر على الرّابع عشر من أيلول 1321. ولكن ترخّلات دانتي لم تنته بموته. فهاهوذا بوكاشيو يروي (حقيقة أم خيال؟) أنّه عندما شرع ولدا الشاعر، فييترو وچاكويو، بنشر عمل والدهما لم يعثرا على الأنشودات الثلاث عشر الأخيرة وبقياً في حيرة من أمرهما. وإذا بجاكويو يرى أباه في ما يرى التّائم ويسأله: «أحيّ أنت يا أبتاه؟»؛ «- حياة حقيقيّة»؛ «- أأنهيت عملك؟»؛ «نعم»، ثمّ يأخذ الشاعر بيد ابنه ويدلّه على مكان في حجرته سابقاً ويختفي. في الصّباح، يعثر جاكويو بالفعل على الأنشودات المفقودة في المكان نفسه، مخبّأة في ركن صغير مغطّى بحصيرة.

ثم إنّ جثمان دانتي شهد هو الآخر غيبة عجيبة تلخّص ريسيه حكايتها عن كورادو ريتشي. كان قد دُفن في رافينا، في مصلى صغير مجاور لدير القديس فرانتشيسكو الذي مجدّ هو في «الفرديوس» اختياره ملازمة الفقر. فطالب به مواطنوه الفلورنسيون في القرن التّالي، بعدما تصالحوا وشاعرهم. كان مايكل- آنجلو مستعدّاً لتصميم الصّريح وبنائه. وليوني العاشر، البابا الفلورنسيّ الأصل، كان

يريد، بالمطالبة بجثمان الشّاعر الذي حاربه بابوات عصره، معاقبة راقينا المحجّمة عن تسديد الصّرائب له. فُتح القبر فوجد فارغًا إلّا من بضعة أعظم وأوراق غار.

في 1865، في أثناء التّهيؤ للاحتفال بالمتويّة السّادسة لميلاد دانتي الذي صار الشّاعر القوميّ لإيطاليا الموحّدة، اهتُديّ إلى حلّ اللغز. شرع العمّال بتوسيع المصلّي الذي ترقد فيه رفات الشّاعر، فعثروا على تابوت مكتوب عليه «عظام دانتي»، ووجدوا فيه أغلب الجثمان، لا ينقصه إلّا العظام الموجودة في القبر شبه الفارغ.

ووجدوا معه ورقة كتب عليها رهبان من بدايات القرن السّادس عشر أنّهم اختشوا أنّ تتعرّض رفات الشّاعر ضيف مدينتهم للنفي، فحفروا في الليل نفقًا صغيرًا يؤدّي من المصلّي إلى القبر واستلّوا عظام الشّاعر عظمًا عظمًا. فأعيد مجموع العظام إلى قبر الشّاعر في المصلّي الذي صبر إلى تجديد بنائه. ورضيت فلورنسة ببقائه هناك، ما دام لم يعد منفياً خارج أسوارها وقد تحقّقت الوحدة الإيطاليّة. ولقد أرسل أهالي فلورنسة. لإضاءة مصلّي راقينا الصّغير حيث ترقد رفات دانتي، قارورة من زيتهم المحليّ، هديّة راحت تتجدّد في كلّ عام.

(2)

## الأعمال الأولى

أ- «فيتا نووفا» أو «الحياة الجديدة» و«أشعار»:

سنة تأليف دانتي لهذا الكتاب غير معلومة بدقة، ولكن من المؤكد أنه كتبه في سني شبابه، في نهايات القرن الثالث عشر. وهو يضعه بادئ ذي بدء تحت علامة الذاكرة من جهة، والحياة الجديدة أو البدء الجديد من جهة أخرى: «في هذا الشطر من كتاب ذاكرتي الذي لا يوجد قبله الكثير مما يجدر قوله، أنكتب استهلال يقول:

«هنا تبدأ حياة جديدة»». وإذا كان تعبير «الحياة الجديدة» يدلّ في اللغة السائرة في عصر دانتي على «عهد الشباب»، فإنّ الشاعر ينعشه في اتجاه معنى آخر: حياة متجددة ومجددة بالعشق، امتثالاً، كما ترى ريسيه، للغة التروبادور ولمقولة هوغ دو سان- فيكتور: «حياة جديدة، غناء جديد» (ريسيه، ص 20).

يجمع الكتاب النثر إلى الشعر، بصورة تستبق في نظر ريسيه «فصل في الجحيم» لرامبو وتمهّد له. النثر هو في الغالب تعليق على المقطوعات الشعرية وسرد الرؤى وأحلام تسنح للشاعر. كلّها تدور حول عشقه لبياتريشي ومجافاتها إيّاه، أمّا الحدث المحوريّ المتمثّل في وفاتها فيتفاداه ويلقّه بالصمت بصورة دالّة.

يُمحور دانتي حكاية عشقه حول الرقم «تسعة». وإليه ينبغي أن نضيف الدلالة الخاصّة لاسم بياتريشي، فهي هذه التي «تطوّب» أو تهب الغبطة الطوباوية، وسنرى كيف يتأسس على هذه الدلالة كامل العمل، نشيد «الفردوس» بخاصّة. يُعلمنا دانتي أنّه أبصر الفتاة لأوّل مرّة عندما كانت في مقتبل سنتها التاسعة وهو في خاتمة تاسعة سنواته. ومنذ ذلك الحين أحسّ بهيمنة الحبّ عليه وبكونه يطبعه برهبة عجيبة. ثمّ تمرّ تسع سنوات، وإذا به يرى المرأة الشابة ترمقه في أحد الشوارع، صحبة اثنتين من رفيقاتها، بنظرة وجلة وتحية بإشارة وقور. كان ذلك في التاسعة صباحاً. يعود إلى غرفته وتأخذه سنة من النوم، فيرى في ما يرى النائم غيمة مشتعلة وفي داخلها سيّد ذو مرأى مهيب ورهيب (تشخيص أو تجسيد لإله الحبّ) يقول له: «إنني أهيمن على جميع الأشياء». إلى جانب الأخير فتاة تبدو ملتحفة برداء أرجواني.

السيّد يمسك بيده شيئاً ملتهباً ويقول لدانتي: «انظر قلبك»، ثمّ يوقظ الفتاة النائمة فتجهش بالبكاء ويختفيان معاً في اتجاه السّماء. عندما يفيق دانتي من حلمه ينتبه إلى أنّ الساعة كانت أولى ساعات الليل التسع.

الحال، إنّ الرقم «تسعة» nove يرتبط في اللاتينية واللغات المتحدّرة منها بالصفة nuovo (الجديد). وإلى ذلك، فهو يحيل بانقسامه إلى سرّ الثالوث والحلول. تلفت ريسيه انتباهنا إلى أساسيّة الرقم المذكور في بناء «الكوميديا الإلهية»: هو غائب عن «الجحيم» و«المطهر» حيث

الكمال غائب، ولكنّه يعاود الظهور في «الفردوس» حيث تقود بياتريشي دانتي عبرّ سموات الفردوس التسع. ينبغي كذلك أن ننتبه إلى حضور الرقم «ثلاثة» في توزيع «الكوميديا الإلهية» نفسها وانقسامها إلى ثلاثة أناشيد كبرى يضمّ كلّ منها ثلاثاً وثلاثين أنشودة، مع أنشودة تمهيدية في «الجحيم» (الأنشودة الأولى التي تصف الضياع في الغابة المظلمة وتعلن عن بداية السّفَر الكبير، بها يرتفع العدد إلى المئة وهو رقم كامل). وعليه، فكتاب «الحياة الجديدة» إن هو إلاّ تلمّس 23 أول لارتقاء سماويّ ستظلّ الشحنة الإيروسية أو الشهوية حاضرة فيه، مثلما هي حاضرة في هذا الحلم المصطبغ كلّ ما فيه، من رداء الفتاة إلى قلب الشاعر المنذور للالتهام، بحمرة الأرجوان.

يسارع الشاعر (وستكون هذه مبادرة متواترة في هذا الكتاب) إلى وصف حلمه في سونيتة تبدأ بقوله: «لكلّ روح هائمة ولكل قلب مرهف / قد يصل أمام ناظريهما هذا المكتوب / ليعبّرا لي عن رأيهما / أتمّى السّلام في شخص سيّدهما الذي هو العشق...». وبالفعل، تصله سونيتة - إجابة من صديقه «الأول» الشاعر غويدو كافالكانتي. يقول دانتي إنّ مراسله لم يهتد إلى تأويل الحلم، ولكنّ صداقتهم الحقّ ولدت من ذلك الجواب. وهنا يبدأ في الواقع طور هامّ من حياة دانتي ومسيرته الشعريّة. فمع غويدو وآخرين قلائل سيخوض دانتي (ويترعّم) مغامرة تيار شعريّ جديد سيحمل اسم «الأسلوب العذب الجديد» Dolce Stil Nuovo، الذي يتمثّل مفهومه الأساسيّ في «الإلهام المطلق» أو الكتابة تحت «إملاء العشق»: «يحلّل هؤلاء الشعراء ظاهرة العشق بإحالتها لا إلى فرد بذاته بل إلى أنموذج إنسان كونيّ؛ إلى فرد هو الآخر موضوعيّ ومطلق» (ريسيه، ص 29). وهذا كلّه يشير إلى اندفاع دانتي، في الأوان ذاته الذي يعيش فيه مغامرة العشق حتّى أقصاها، إلى تجربة «عمل موضوعيّ» أو جماعيّ، تجربة تجد قطبيها الأساسيين في الحب والصدقة الشعريّة. كتب جانفرانكو كونتيني عن ذلك الطّور من حياة دانتي: «لم تتأكّد شخصيّة مغنيّ التروبادور الجديد، بل أذابت نفسها في قلب الصّداقة» (تذكره ريسييه، ص 29).

تُعاش العلاقة العشقيّة لدى شعراء «الأسلوب العذب الجديد»، ولدي دانتي بخاصّة، كفاعليّة تفكيريّة أو تخمينيّة دائمة، نشاط داخليّ وانهماك نفسيّ يخوضه دانتي في أثر ابن سينا وابن رشد والقديسّ توماس الإكويني. (ريسيه، ص 30).

وبالفعل، فسنلاحظ في تواصل هذه العلاقة العشقيّة، عبر عدم تواصلها، صيرورة متدرّجة نحو معيش صوفيّ للعشق ستقرّبها ريسييه لاحقاً من صيرورة العشق لدى ابن عربيّ. يمكن أن نقرّبها أيضاً من صيرورة الحبّ العذريّ لدى الشعراء العرب، ولا بدّ أن يكون دانتي قارب أثرهم عبر شعر التروبادور القريب من شعرهم والذي كان هو، أي دانتي، متشبّعاً به. صيرورة تجعل من المعشوقة مناسبة لانثيال النشيد الشعريّ وانغماساً في «غيريّة مطلقة» ربّما لم يكن ليفصلها عن التصوّف إلاّ الاسم.

يهرب قيس وجميل وأمثالهما من المعشوقة في الأوان نفسه الذي يشعرون فيه بوقوعهم تحت هيمنتها الكليّة. هي تجربة هيام بالمعنى الفيزيائيّ للكلمة: شرود وارتحال، ما سيدعوه دانتي في «فيتا نووفا» بحالة الحجّ الدائم أو الترحّل (ويمكن من هذه الناحية أن نفهم رحلة «الكوميديا الإلهية» نفسها كترحّل وهيام خارج جميع الحدود).

بالنسبة إلى «معيش» العلاقة، يظلّ دانتي يلاحق بياتريشي بنظراته في الكنيسة. يعتقد الآخرون أن

هدف نظراته هو سيّدة جالسة إلى جانبها: ولادة المرأة - الستار، موضوع التمويه الضروري والمعروف في تجربة التروبادور والشعراء العرب (رئيسيه، ص 31). تكرّرت هذه الحيلة التي صار دانتى يلجأ إليها على سبيل التستر إلى حدّ أن يصاب بفرع شديد لدى مغادرة المرأة - الستار المدينة ويروح يبحث عن امرأة ستارٍ أخرى، «بنصيحة من إله الحب» الذي يزوره في أحلامه) فتسام منها بياتريشي وتشيح بوجهها عن عاشقها. هنا يكتمل الجدل العشقي الملازم للضرورة العذرية أو الصوفيّة: رغبة في رؤية المعشوقة وفرع لدى رؤيتها. وإذ تسأل النساء الأخريات عن مكن الغبطة في هذا الفرع كلّه، يجيب إنّها كامنة «في الكلمات التي بها أمتدح سيّدتي». وهنا يتحوّل المديح العشقي إلى فاعلية شبه مكتفية بذاتها. يفكر دانتى ب. «منهج» لمديح المعشوقة، ويجد الحلول أحياناً بفضل أحلامه ورؤاه. وهنا يرسم له انطلاق جديد: يقتر أن يمتدحها بالكلام عنها إلى «سيّدات طيبات»، متخذاً الآخر الجمعيّ شاهداً على هيامه ومتلقياً لكلامه: «أيتها السيّدات اللاتي يُدركن ما هو الحبّ / أريد أن أكمكنّ عن سيّدتي / لا لأنني أحسب أنني أستنفد هنا مديحي / بل لإعمال التفكير كي يهدأ قلبي». («فيتا نووفا»، القطعة التاسعة عشرة). يعقد، من الآن، العزم على إحالة الحبّ إلى ظاهرة كونية وعلى أن «يعدي» بمحبته الناس طرّاً: «يشعرنى الحبّ بحضوره بمثل هذه العذوبة / بحيث إن لم تُعورني الشجاعة / فسأجعل كافة الناس يهيمون عشقاً» (القطعة نفسها). والحب نفسه، يهبه دانتى طاقة تحويليّة: «تحمل سيّدتي في نظراتها الحبّ / الذي به يصبح طيباً كل ما تُلقى عليه نظراتها» (من القطعة الحادية والعشرين).

عند هذا الطّور، وكما تلفت رئيسيه انتباهنا إليه (ص 33)، يرتفع دانتى بالكتابة ب. «العامية» أو بالإيطالية السائرة إلى مصاف يصبح معه للشاعر «العامي» الحقّ، أسوة بالشعراء الكلاسيكيين، باستخدام الصّور والمجازات وبقية «الحيل» البلاغية.

وتلفت رئيسيه انتباهنا إلى معاينة أخرى أساسية: فبالحبّ يبدأ عمل دانتى الشعريّ وبه يكتمل. لكنّ تصوّره له لن يظّل نفسه. ففي «فيتا نووفا»، يعدّه «حادثاً» يطرأ على جوهر الكيان لا جوهرًا بذاته. يأتي العشق لينعش كلّ ما يحيط به، ولكنه لا يقوم بذاته بل بالارتباط مع من يشعر به أو يعيشه (ص 34). ولذا فعالبًا ما يصوّر لنا إله الحبّ الذي يقابله في أحلامه تارةً شبيهًا به وطورًا بياتريشي. في «الكوميديا الإلهية»، سنلاحظ كيف يصبح العشق محرّكًا للكون وبعثًا لا وجود بدونه للأشياء. لكن كتاب «الحياة الجديدة» يتضمّن أيضًا حكاية حلم تربط الحبّ بالعلاقة بالله أو تجعل منه مسيرة صوب الله. يقول إله الحبّ لدانتى: «أنا كمثّل مركز دائرة تتعد عنه جميع نقاط محيطها بالقدر ذاته، وأنت لست كذلك». وإذ يسأل الشابّ عن فحوى كلامه الغامض هذا، يجيبه: «لا تسلّ أكثر ممّا قد تجد فيه نفعك».

أمّا موت بياتريشي فلا كلام صريحًا عنه، بل هو معيش كحلم استباقي. وكارثة كونية (كسوف للشمس وبكاء الشمس والقمر وتساقط طيور في الهواء وزلزال يرب الأرض)، هذه الأشياء التي «يلمح فيها قارئ حقبته العلامات الممهّدة لموت المسيح:

وبذا تصبح المماهة بين بياتريشي والمسيح مقروءة بعدما كانت ضمنيّة» (رئيسية، ص 35) ولعلّ رؤية إله الحبّ الموصوفة أعلاه وكلامه الذي يعجز دانتى عن فهمه، والحكاية «المهلوسة» لموت الحبيبة، هما اللتان تمليان على دانتى حلمه الأخير الذي لا يصفه كما على عادته بل يقول إنّه رأى فيه أشياء جعلته يعقد العزم: «أمل أن أقول عنها ما لم يُقلّ عن امرأة أخرى قط». كما تدفعه إلى



قرار «عملي»: «إنني أدرس قدر ما أستطيع». هكذا يكون وُلد النابض الذي سيوصل إلى تصوّر «الكوميديا الإلهية»، سعيًا إلى ملاقة بياتريشي من جديد، وسبر غور كلمات الإله الزائر في الحلم، وإكمال سيرورة عذرية أو صوفية أو، ببساطة، مسيرة عشق مستبطن لن تكون السنوات القادمة سوى مرحلة من «الدرس» تمهد لها وتنتهي إليها. بيد أن بعض أبيات «فيتا نووفا» وجدت من قبل النبر الملائم إذا جاز القول، وإن كان ما يزال «يتلعثم» في بساطته البدئية. في آخر قطع الكتاب الشعرية كتب دانتى: «أبعد من المدار الذي يقوم بأكثر دورة / تذهب الحسرة المنبثقة من قلبي». لا تهم ببساطة الصورة هنا بقدر ما يهم المدى الذي تبلغه الرغبة. فكما كتبت ريسيه: «إنّ السونيتة التي تختتم هذا الكتاب تفتح من الآن على ما يقيم أبعد من سماء المحرّك الأول، أي 26 على «الأميريوس»، (السماء العاشرة المنعزلة، سماء النور الخالص. وفي الأخيرة تجد «الكوميديا الإلهية ختامها هي أيضًا» (ص 36).

أشرنا إلى التجريب الشعري. لقد ترك دانتى بالفعل جملة من السونيتات والقصائد القصيرة عائدة إلى تلك الفترة، جُمعت فيما بعد تحت عنوان «قواف» Riine (والكلمة تدلّ إجمالًا على «أشعار»). هذه القطع التي يبلغ عددها مائة وثمانية عشرة، والتي تُنشر معها عادةً قطع «فيتا نووفا» الشعرية، تنطوي على تجربات تذهب في اتجاهات مضمونية وشكلية عديدة. بعضها يبدو طافحًا بالألم إلى حدّ تمّي الموت أو التفكير به بصورة متسلّطة، بعيدًا عن كلّ عزاء وإلى حدّ تصبح معه صورة المحيّا الأثير الذي كان قربه يدفع إلى الاستهانة حتّى بالفردوس محض ذكرى:

وهكذا سأغدو ميتًا / وسيشرع الألم بالسّير / مع الرّوح التي تمضي بتعاسة / وتلتصق به دون انقطاع/وتتذكّر فرح الوجه العذب / الذي كانت الفردوس إلى جانبه عدّمًا» (ص 52).

أحيانًا، يبحث الشّاعر عن عزائه في مغامرة الشعر الجماعيّ وفي زمن الصداقة.

هكذا يكتب في مقطوعة يغيب عنها، بصورة تبعث على الاستغراب، كلّ تلميح إلى بياتريشي التي كان هو قد منحها، بصورة دالة وعلى سبيل التخفيّ على اسمها، رقم «تسعة» بين أجمل نساء المدينة في قائمة كان قد وضّعها مع أصدقائه: «أريد، يا غويدو، أن نكون أنا وأنت ولا يو/ مخطوفين كما لو بفعل سحرٍ / ومطروحين في قارب يتحدّى جميع الرياح / ويمخر عباب البحر بمحض إرادتنا / بحيث لا يقدر أن يعيقنا البتّة / لا العصف ولا الموسم الخبيث / بل نحيا في وفاق رفيع / وتتنامي فينا الرغبة في أن نبقي معًا / وأن يضع الساحر إلى جانبنا / السيدة فانا والسيدة لادجيا / وتلك التي ترتبها بين السيدات هو الثلاثون / وأن نتحاور هناك في الحبّ بلا انقطاع / وتكون كلّ منهنّ سعيدة / كما أحسب أننا سنكون ثلاثتنا».

يكتب دانتى في تلك الفترة «بالا دات» بارعة البناء، يحاكي التروبادور (خصوصًا الشاعر البرو فنسالي آرنو دانيال الذي سيرتب فيما بعد لقاءً معه في «المطهر»)، ويُشخصن الكأبة السوداوية بعدما شخّصن إله الحبّ. والشعر الماجن لا يغيب بدوره عن هذه المقطوعات. فإلى جانب حلقة شعرية بالغة «اخلاعية» منسوبة له وتحمل عنوان الزهرة «Fiore II»، نجد مقطوعات يهجو فيها أصدقاءه (هجاءً وديًا يتلقّى عليه منهم ردودًا تنطق بالنبر نفسه) حول موضوعات الجنس بخاصة. هوذا يتحدّث عن امرأة أحدهم ملتمحًا إلى برودة الرّوج: «من سمع سعال زوجة بيكشي / المسكينة المسماة فوريزه / حسبت أنّها قد أمضت الشتاء / في الجبل الذي يتكوّن فيه البلّور» (كان القدماء

يعتقدون أنّ البّور ينشأ من الجليد، ريسيه، ص 60، حاشية 2).

لكنّ مهما كان تنوّع التّجربيات الشعريّة وتلوّن النبر وتوزّع المعالجات بين الالتصاق بالطبيعة والانغماس في ألعاب الصداقة أو البحث اليأس عن ترويح وربّما عن نسيان نهائيّ، ففوقَ هذا كلّه كان يحوّم على الدوام وجه تلك التي سيقود خيالها الشاعر إلى ملاقات حاسمة ومباشرة ولا إبهام فيها مع الحبّ. الحبّ الذي نقرأ في البيت الأخير من «الكوميديا الإلهيّة» أنّه هو الذي يحرك الشمس وسائر النجوم».

## ب- الكتابات الفكرية:

وضع دانتي ثلاثة مؤلفات فلسفية وأسنية بقيت مبتورة جميعًا، لأن «الكوميديا الإلهية» كانت تجتذبه كل مرة. وعليه، وكما سنلاحظ، فهذا الانبتار لا يتم عن قطيعة بين النظري والشعري، بل يشكّل التنظير في كل مرة بابًا وحافرًا إلى القصيدة التي تتكفل، كل مرة أيضًا، بأن تعالج في داخلها ما وضع الشاعر عنه بلغته الفكرية صورة شبه مكتملة.

هذه الأعمال الفكرية (التي وضعها دانتي باللاتينية، إلا «المأدبة» فقد وضعه بالعامية، اللغة الإيطالية لاحقًا) تتمتع بأهمية بالغة وتُفرد لها صفحات في تواريخ الفلسفة الغربية (كما في كتابي إتيان غيلسون، «الفلسفة في العصر الوسيط» و«دانتي والفلسفة» اللذين ترجع ريسيه إليهما مرارًا). إلا أننا لن نقدّم عن كلّ منها سوى لمحة بسيطة، لأنّ ما يهمنّا هو علاقتها بعمل دانتي الشعري والشاكلة التي بها تمهد لهذا العمل وتغذّيه وتجد نفسها متجاوزة فيه ومن قبله. أشير أيضًا إلى أنّه ينبغي أن نضيف إلى هذه الأعمال «رسائل» دانتي التي تسلط أضواء معتبرة على حياته وتفكيره في هذا الطور أو ذاك من حياته، ولن يتسنى لنا الوقوف عندها هنا، لا سيّما وأنّ العروض النقدية التالية لعمل دانتي الإبداعي ستتكفل بتسليط الضوء الضروري على كلّ من العمل والسيرة. نضيف أيضًا دراسة ألقاها دانتي كمحاضرة في فيرونا في 20 كانون الثاني 1320، عنوانها «مسألة الماء واليابسة»، ينطلق فيها من نظرية أرسطية الأصل ترى أنّ العناصر مرتّبة في حلقات متمركزة، وأنّ الأرض، المموقعة في مركز الكون، تنبثق من الماء في نصف الكرة الجنوبيّ بباعث من تأثير النجوم. وسنلاحظ حضور هذا التصوّر (الذي تجاوزه بالطبع العلم الحديث) في بنية الكون كما تصفها «الكوميديا الإلهية»..

- «في الفصاحة العامية»: بدأ دانتي تحرير هذا الكتاب في 1304، وكان ينوي أن يجعله يتألف من أربعة أقسام ولكّنه توقّف عند الفصل الرابع عشر من القسم الثاني. ويُعتبر هذا النصّ بيان دانتي في مسألة اللغة وفي الدور الذي ينيطه بالشعر البلورة لغة إيطاليا المنتظرة، بيانًا تشكّل «الكوميديا الإلهية» التطبيق الحيّ له وتجاوزه في آن معًا.

ينبغي التصدّي بادئ ذي بدء لما تدعوه ريسيه بالأسطورة التي تقدّم دانتي مؤسسًا للغة الإيطالية. فهو لم يؤسسها بقرار مسبق، بل دفع إلى العمل، ولأوّل مرّة في عمل شعريّ جادّ وجسيم، لغة كانت تعمل في الواقع وتتهمس طريقها لا بالتضادّ الكامل مع اللاتينية بالضرورة، بل في جوارها وفي «مناطق» من الحياة لم تعد اللاتينية تتمتع فيها بكثير نجوع. وإذا كان دانتي سيجعل من عمله الشعريّ مختبر هذه اللغة أو ردهة ولادتها إذا جاز التعبير، فمن قبله كان في كتابه النظريّ هذا يمنح الشعر دور تحفيز هذه السيرورة الفعلية للإبطالية، وذلك بجمع شتاتها من ناحية وتنقيتها وتطويعها للتعبير الشعريّ من ناحية أخرى. وعلى هذا الأساس راح يتفحص إمكانات مختلف اللهجات الإيطالية ومفرداتها وطاقتها الأدائية وإمكان مواشجتها أو مواءمتها في التعبير الشعريّ.

ينطلق دانتي من أطروحات لغوية بالغة الحداثة وتعرب عن حدس لغويّ-تاريخي عميق. من أهمّها تباين اللغات واشتراكها جميعًا في الجدارة، وتحوّل اللغات و«فسادها» التاريخي الذي لا مندوحة منه. وهو يشير إلى نوع مما ندعوه في لغتنا العصرية بالتمركز القوميّ اللغويّ يجعل الكثير من الناس يعقدون الأولوية للسانهم ويتصوّرون له قدرات أو فضائل لا يتوافر عليها غيره: «يحسب

ابن آدم (...) أنّ موطن أمته هو المكان الأروع تحت الشّمس. وعلى الشاكلة نفسها يبدو له طبيعيًا أن يقدّم لسانه السائر، أي تعبيره الطبيعي، على الألسنة الأخرى، معتقدًا بالتالي أنّ هذا اللسان كان هو لسان آدم». يعتبر دانتي بعض اللغات الكبرى كاللاتينية واليونانية القديمة لغات «نبيلة» ولكنها تنطوي على شيء من الاضطراب.

أمّا اللغات الأخرى المرتبطة بحياة البشر وهواجسهم اليوميّة، فمنذورة للفساد ولكنها تظلّ أقرب إلى العاطفة وإلى النشأة («كان لساني السائر هذا هو لحمه الوصل بين أبويّ (...) فمن البديهيّ إدنّ أن يكون ساهم في خلقي وأنّه، بصورة من الصّور، باعث وجودي») ، وبالتالي فهذه اللغات «أقرب إلى الله». وعليه، فباختياره العاميّة يكون دانتي قد اختار جانب المجازفة وقبل بهذا «الفساد» أو «الانحلال» أو «التحوّل» الذي قرأ هو فيه ضرورة تاريخيّة. بيد أنّ مسألة «النبالة» هذه أو عدمها تظلّ في نظر ريسية قابلة للقراءة من زاوية أخرى: فاللاتينية نبيلة «بالفعل» أي بما أثبتته من جدارة واقتدار تعبيريّ، والإيطاليّة المنتظر تعميمها نبيلة «بالقوة» أي بما يكمن فيها من طاقات أدائيّة وخميرة إبداعية. وهذه في حقيقة الأمر سمة مشتركة في كتابات دانتي النظرية وطبيعة تفكيره، سنقابلها في كتابته التالين أيضًا، يعمل فيها على نفس المراتبيات السابقة ويحلّ محلّها تجاوزًا فعلاً وتنفّذًا خلّاقًا.

وضمن ولعه بالصّور الدالة التي يحملها أمثوليًا بدلالات أفكاره، شبّه دانتي الإيطاليّة المنتظرة أو العاميّة بفهدة عطرة، هذا الحيوان الأسطوريّ الذي يجتذب بالعطر المنبعث منه جميع الحيوانات الأخرى فتروح تتبعه وتقتفي أثره، إلّا التنين الذي يهرب من ملاقاته ويختبئ في مغارة. كانت هذه الصّورة تُمنح قديمًا للمسيح، وعلى هذا النحو يربط دانتي العاميّة بأفق تخليصيّ من جهة، ويهبها صورة حيويّة الحيوان متحفّز ووثاب ويصعب الإمساك به كجسد المسيح نفسه من جهة ثانية (ريسيه، ص 79). وينبغي التذكير هنا بأنّ هذه اللغة لن تعود عاميّة، بل ستكون بمثابة فصحيّ جديدة، ومن هنا فلا يمكن مقارنة وضعيّة الإيطاليّة وعلاقتها باللاتينية بعلاقة العاميّات العربيّة بالفصحيّ. فلا العربيّة الفصحيّ بجمود اللاتينيّة، ولا العاميّات العربيّة بمثل حيويّة الإيطاليّة على صعيد التّعبير التحليليّ والفلسفيّ والاستبطانيّ العميق، وإنّ توصل الكثير من الشعراء إلى الكتابة فيها بروعة.

وفي دفعه هذه اللغة إلى العمل داخل «الكوميديا الإلهيّة» نلمس نوعًا من اللصوق بالطبيعة الطفوليّة المتهمّسة للغة الإيطاليّة، لصوصق نتمّسه على صعيد الأصوات، حيثما نلمس على صعيد الصّور حضورًا للبصريّات والإلمحات الحيويّة الضاربة بسرعة. وهو لم يستبعد اللغات الأخرى من عمله، بل بقيت اليونانيّة حاضرة عبر أمثادها الأسطوريّ الفلسفيّ، واللاتينيّة يستخدمها في مواضع عديدة كلغة احتفاليّة وطقوسيّة. كما تلفت ريسيه الانتباه إلى وفرة الابتكارات اللفظيّة في هذا العمل، وإلى تلمّس دانتي أصوات لغات أخرى بعيدة عن القارئ «المتوسّط»، كالعربيّة والعربيّة، يصنع منها على سبيل المحاكاة رطانة غير مفهومة كلما أراد أن يدخل في الخطاب نوعًا من الغرابة أو يُشير في هذا السياق أو ذاك إلى نوع من انفصام التواصل اللغويّ وانفراط عقد العلامات. وبذا، وكما تذكّر به ريسيه أيضًا، كان دانتي وفياً لدرس أرسطو الذي يُبقي داخل الشعريّة مكانًا دائمًا للعنصر الأجنبيّ أو الغريب exenos.

- «المأدبة»: يتوقّف هذا الكتاب هو الآخر قبل اكتماله (في بداية الفصل الثّلاثين من قسمه الرّابع)،

لأنّ محبة الفلسفة ستجد هي الأخرى طريقها إلى الممارسة داخل العمل الكبير. مرّة أخرى، إذن، يستأنف الشاعر عمله الشعريّ حيثما يتوقّف صوت المفكر في داخله. وإذا كان عنوان هذا الكتاب يوحى باستعارة الاسم إحدى محاورات أفلاطون، فإنّ ريسيه تُعلمنا أنّ استلهام دانتي الحقيقيّ يذهب في اتجاه القديس يوحنا الذي يصوّر المعرفة كمثّل مآدبة ويسمّي الزاد الرّوحي والفكري «خبز الملائكة». في هذا الكتاب، يقول دانتي بتواضع إنّه جالس أسفل مائدة المعرفة «يلتقط كسرًا من خبز الملائكة». ولكنّه يحتفظ في «الفردوس» بصورة كسر خبز الملائكة أو فتاته الملتقطة هذه للقرّاء الكسالى الذين يتهيّبون من المغامرة فيبحثون عن معرفة مطمّنة، والذين ينصحهم هو بالرجوع إلى الشاطئ، فقد تتيهون إذ تفقدونني» (الأنشودة الثّانية).

يحمل هذا الكتاب آثار حدادٍ قويّة ويخرقه فقدان بياتريشي، كما يخترق عمله اللاحق كلّ. وتحوم عليه في نظر ريسيه آثار كتابين أساسيين في التراث اللاتيني:

كتاب «الصدّاقة» لشيرون، و«التعزّي بالفلسفة» لبويسوس. وكلا الكتّابين وُضعا في حالة حداد ولتجاوز أزمة. الأوّل كتبه شيرون (106 - 43 ق. م.)، كبير الخطباء اللاتين، على أثر رحيل صديقه القائد الروماني شيبوني، الذي كان جده وسمّيه شيبوني المعروف بالإفريقيّ قد دحر هُنبعل لصالح قيصر. والثّاني ألفه الفيلسوف بويسوس (980 - 525 م.) عندما أودعه الطاغية تيودوريك الكبير في السجن، ويصف فيه «الزيارات» التي تقوم له بها سيّدة مواسية هي الفلسفة.

مدفوعًا بولعه بتصوير الأفكار ومداهمة التجريد بالتّجسيد، يجعل دانتي في هذا المؤلّف من الفلسفة «سيّدة طيّبة» أو رؤومًا ويتكلّم عنها بتعابير الحبّ المشبوب كما لو كانت امرأة. يُبعد هذا عنه بطبيعة الحال، أمام نفسه وأمام المعشوقة المنغرس حضورها في داخله، تهمة الخيانة والجنوح إلى امرأة أخرى فعلية.

هذا الهيام بالفلسفة يندرج بالطبع في تراث. ولكنّ هنا أيضًا يقلب دانتي التراث من داخله ويحطّم مراتبيّاته أو أفضلّيّاته المتعارف عليها. هذا الارتباط بتراث مخصوص في العلاقة بالفلسفة من قبل دانتي جاء في لحظة مفصليّة من تاريخ التساؤل الفلسفيّ في الثّقافة اللاتينية، والإيطالية بخاصة. فالشّراح ومؤرّخو الفلسفة ما برحوا يتساءلون إنّ كان دانتي إكوينيًا (نسبة إلى القديس توماس الإكويينيّ) أم رشديًا (نسبة إلى ابن رشد). هو في الحقيقة هذا وذاك، فالعلاقة بالفلسفة، خصوصًا لدى دانتي، لا يمكن أن تكون واحدة أو خطيّة. كان توماس الإكويينيّ قد فرض نفسه معلّمًا لمسيحيّ حقّبه (ولدانتي نفسه) لأنّه استطاع ببراعة أن يقيم جسورًا بين الفلسفة اليونانية والتفكير المسيحيّ، نوعًا من «ترجمة» (بمعنى النقل وإعادة التّكييف لا بمعنى ترجمة النصوص)، نقول ترجمة مسيحيّة للمفاهيم الكبرى للميتافيزيقا. وكما حدث في الثّقافة الإسلاميّة، فلم يكن أمام هذا المفكر من مفرّ من أن يشدّ العقل إلى الإيمان ويطوّع البرهان للعرفان. وبالفعل فقد اعتبر الفلسفة خادمة للأهوت». خلافًا لذلك، قال ابن رشد بوجود اللاهوت (أو علوم الدين) والفلسفة جنبًا إلى جنب. ومعروف أنّ فكره وشروحه لأرسطو وصلت الغرب ضمن حمى البحث عن الآثار اليونانية عبر بعض الترجمات والشروح العربيّة، وصار له أتباع ومعارضون.

والأرجح أنّ هذه الاستقلاليّة أو هذه الكفاية المعطاة للفلسفة هي التي شدّت دانتي وعددًا من أصدقائه (الشاعر غويدو كالكانتي مثلًا) إلى ابن رشد، وإنّ كان الشّراح ومؤرّخو الأدب والفكر

يذكرون نفاظًا أخرى تفصيلية، منها موقف كلّ من الإكويني وابن رشد من الرّوح. كان القدّيس توماس يقول بامتلاك كلّ روح لعقل فاعل وبتمتّعها بالخلود. أمّا ابن رشد فكان يقول بوجود عقل كوني (يدعوه ب. «العقل المنفصل») يوجّه كلّ روح ويكون مُعازًا لها في أثناء وجودها وحده، وعندما يموت المرء فلا بقاء للرّوح. وهنا يطرح السؤال نفسه: فإذا كان دانتي يلتقي والرشدية من هذه الناحية، فهذا يعني أن لا نشور للروح وبالتالي فلا أساس للكوميديا الإلهية، إلا إذا كان حملّ النّشور على محمل المجاز أو قبل به كتجوز لا كبديهية. هذه في رأينا مسألة شكلية، خصوصًا إذا ما تجاوزنا السؤال الغيبيّ عن انبعاث الرّوح وقرأنا العمل أمثوليًا ورمزيًا وفلسفيًا. ومما يدعّم هذا أنّ دانتي، بالرّغم من وضعه على لسان بياتريشي في بداية «الفردوس»، وبلغة القدّيس توماس الفلسفية، تنفيذًا لفكرة «العقل المنفصل» الرشدية، بقي في «الكوميديا الإلهية» وفيًا للفيلسوف الأندلسي، ما دام يضع على لسان القدّيس توماس نفسه في وسط «الفردوس» مديحًا السيجيري، المفكر الرشدية الذي حوكم واتّهم بالهرطقة وكان القدّيس نفسه في سيرته الفعلية أحد متّهميه ومخوّنيه..

يجد تعلق دانتي بالفلسفة التعبير عنه في فقرات طويلة يمجد فيها أرسطو. يقول عنه إنّه هو من نفح فيه محبة الفلسفة. ويتكلّم عن أرسطو أيضًا بلغة مشبوبة: «وما هي إلا فترة وجيزة وإذا بي أحسّ برقته بهذه القوّة بحيث طردت محبتي له كلّ تفكير آخر ودمرته»: لغة قد لا تستوعبها حقبتنا ولكنها ليست بالساذجة ولا بالمجانية. ذلك أنّ مقارنته للفلسفة، هذه «السيدة الطيبة»، ترتبط لديه قبل أي شيء آخر، وبمعنى سنرى كم هو بالغ الحداثة، بمشاعر الحنو والنقاء والتمتع النبيلة، وكذلك، وهذا موضوع أساسي في «الكوميديا الإلهية»، بتجاوز الإنسان. وأرسطو هو «سيدّ العارفين» أو «سيدّ من يعلمون» لا لأنّه يُعلم أكثر، بل لأنه أحبّ المعرفة أكثر وأعمق من سواه (ريسيه، ص 92).

تنقسم الفلسفة لدي دانتي إلى ثلاثة ميادين أساسية: المعرفة (المعارف التي تنظر إلى السّماء والأرض) والحكمة (توراتية وقديمة) والفكر الممارس أرضيًا (في حدود وجود أرضي، إنساني لا إلهي؛ ريسيه، ص 95).

والفلسفة بما هي معرفة تتوزّع في «المأدبة» مراتبًا وبالارتباط بتراتب السّموات. ففي سماء القمر، أحلّ علوم النحو. وفي سماء عطارد، الجدل أو الديالكتيك. وفي سماء الزهرة، البلاغة والخطابة. وفي سماء الشمس، الحساب. وفي سماء المريخ، الموسيقى. وفي سماء المشتري، الهندسة. وفي سماء زحل، التنجيم. وفي السماء المكوّبة، الفيزياء والماورائيات أو الميتافيزيقا. وفي سماء البلور، فلسفة الأخلاق.

وبوضعه على هذا النحو الأخلاق في ذروة المعارف الفلسفية، فهو إنّما يبتعد عن الأفضلية التي عقدها للميتافيزيقا لا أرسطو وحده بل حتّى القدّيس توماس الإكويني شارحًا أرسطو. لقد اعتبر الإكويني الميتافيزيقا «ريّة العلوم» لا سيّما وأنها صارت لديه مرتبطة باللاهوت وخطاب الوحي (ريسيه على أثر غيلسون، ص 96). ومع أنّ تأمل الحقّ، الذي هو مهمّة الميتافيزيقا، يستدعي اعتبار الأخيرة متفوّقة في الجوهر، فإنّ الأخلاق تظّل لدي دانتي هي الأولى، لأنها «تشدّ جميع أفعال الإنسان إلى الفاعلية التأمليّة». وتذكّر ريسيّه بأنّ دانتي يستمد هذه الأولوية لا من شروح الإكويني



لأرسطو، بل من كتابات الفارابي وألبرت الكبير (ص 96).

أمّا الحكمة فتشددّ دانتى إلى فلسفة «الكتاب المقدّس» بخاصّة. وهو يعدّ الفلسفة «استثماراً عاشقاً للحكمة»، ويرى أنّ تحقيق كمال الإنسان لا يتمّ إلّا لدى «التحديق هنا على الأرض بعيني الحكمة وضحكها». يرى أيضاً أنّ تأمل الحقّ دون انقطاع يعود بمتعة هائلة قد لا تحتملها طاقة البشر، شأنه شأن الحكمة الكاملة التي لا يحوزها إلّا الله. يقود هذا إلى اعتبارين أساسيين: أولاً، أنّ في الإنسان جانباً إلهياً. وثانياً أنّ هذا الجانب متقطّع في الإنسان، لا يدوم له في جميع لحظاته. ولذا فعليه أن يقبل بتقطّعه، أي بنقصه، نقص تكوينيّ آتٍ من طبيعته بالذات. فإذا ما حاول ودمه بكافّة السبل اصطدم بالمستحيل وكان كمثل من يسير بخلاف طبيعته، فيُفاقم نقصه ويعيق اكتماله الذاتيّ وهو الذي جاء ليُعجّله. فهل يقول الفكر الفلسفيّ الحديث والتحليل النفسيّ شيئاً آخر؟

- «في الملكيّة»: تؤكّد ريسيه أنّ هذا الكتاب (الذي لم يكمله دانتى هو الآخر، بفعل حركة تتحقّق هنا للمرّة الثالثة وتدفعه إلى أن يُكمل ويُجذّر في العمل الشعريّ ما بدأه على صعيد التّنظير) إنّما يُنخطّ في استمراريّة الكتاب السابق، «المأدبة». فيتعلّق الأمر هنا بأنّ يقوم من تناولوا من «خبز الملائكة» (المعرفة) بإطعام الآخرين. وإذا كان العنوان يشير إلى الملكيّة وكفي، فدانتى إنّما يقصد الملك الامبراطور بما هو محقّق حلم طوباويّ بحكومة كونيّة تُقيم سلاماً كونياً؛ حلم كان هو يعتقد بإمكان أن ينهض به هنري السابع، ملك اللوكسمبورغ الذي تربّع على العرش الامبراطوريّ في 1308 وحاول عبثاً أن ينال مبايعة روما وتوفّي في 1313 في أثناء مغامرته الخاسرة في إيطاليا. وبدل أن يحبط هذا الفشل دانتى، أثار بالعكس حميّه للفكرة وبقي متشبّثاً بها، وسيعود إليها في «الكوميديا الإلهيّة» غير مرّة.

ينبغي التأكيد بادئ ذي بدء على وعي دانتى بجدّة مشروعه الفكريّ هذا، ما دام يكتب أنّه لا معنى لإعادة إثبات معادلات رياضيّة أثبتها أوقليديس، ولا إعادة تحديد السّعادة بعدما حدّدها أرسطو أفضل تحديد، أو المحاماة عن الشّيخوخة بعدما حامى عنها شيشرون خير محاماة. ينبغي في نظره بالعكس الإتيان بجديد، و«لما كانت معرفة الملكيّة، بين جميع الحقائق الأخرى المخفيّة والنافعة، شديدة الفائدة وبالغة الخفاء، فلم يحاول التعريف بها أحد من قبل (...). فقد انتويتُ أن أخرجها من غياهب الظلام إلى النور» («في الملكيّة»، 1، 1).

وبالفعل، تؤكّد ريسيه أنّ الكتابات الوحيدة التي يمكن أن نقرّب منها نص دانتى هذا هي كتاب «السياسة» لأرسطو ونصوص هنري السابع نفسه وبعض النصوص الموضوعية فيه في تلك اللحظة التي شهدت فيها إيطاليا لحظة طوباويّة كبرى لم تمنع، بل بالعكس حبّدت الاقتراب من المشروع السياسيّ المشخّص (ص 105). وكما كتبت روزا ميغليوريني- فيسي، فيبدو أنّ التفكير حول «سياسة» أرسطو وتفاقم التظلم من سياسة البابا بونيفاتشو الثامن المُفسدة والمرتشية قد «أنضجت وعياً جديداً بقيمة السلطة المدنيّة واستقلالها» (تذكرها ريسيه، ص 103).

ومن ناحية أخرى، فالكتاب ينخرط بصورة عميقة في معيش دانتى نفسه، الذي قرّبه كرهه لبونيفاتشو الثامن من «الغبليين» في سنوات المنفى. لكنّ حماسته للملكيّة المنفصلة عن الكنيسة لم يأخذها هو عن هؤلاء، ما دام يتجاوزهم إلى الحلم بسلام كوني، وما دام الفشل المتكرّر

لمحاولات التأليف بين قلوب المنفيين سيدفعه في خاتمة المطاف إلى تشكيل حزب بمفرده» (رئيسيه، ص 103).

تمثل الملكية بما هي حكومة للزمني في نظر دانتي ضرورة مطلقة، لأنّ الإنسانية لا يمكن أن تدرك غايتها المثلى المتمثلة في الهناء والانسجام إلّا إذا سادها سلام كوني؛ وهذا السلام لا يمكن أن تضمنه إلّا أمبراطورية كونية وحيدة لا تكون خاضعة السواها. وهنا أيضًا، تشير رئيسيه إلى ارتباطه بفكر ابن رشد، الذي كان يقول بأنّ الإمكانيات الكاملة للإنسانية لا يمكن أن تتحقّق إلّا على مستوى فوق-شخصي يتجاوز الأفراد إلى «العقل الممكن». سوى أنّ دانتي جعل الإنسانية نفسها قادرة على تحقيق هذا «العقل الممكن» الذي ترجمه هو على مستوى «الإنسانية جمعاء» (ص 105).

وانطلاقًا من هذا جعل دانتي للإنسانية غايتين كبيرتين هما حُكم ما لا يقبل الفساد، ووصولًا إلى متعة رؤية الله في السّماء، وحكم ما هو منذور بطبيعته للفساد، سعيًا إلى تحقيق السّعادة الأرضية؛ أيّ حُكم الرّوحانيّ من جهة والزمنيّ من جهة أخرى. الأوّل يتكفل به البابا والثاني يضطلع به الامبراطور. ويجد الأوّل سنده ومرجعه في اللاهوت، أمّا الثاني فيجدهما في الفلسفة. تنظر الامبراطورية والفلسفة إلى الأرض، ويتطلّع اللاهوت والكنيسة إلى السّماء. وفي ممارسته لصلاحيّاته، لا يعرف الأمبراطور سلطة أعلى منه، فهو يتحدّر من المنبع الكونيّ للسيادة مباشرة رئيسية، (ص 106).

نالت أطروحة دانتي الجريئة هذه (جريئة حتّى بالقياس إلى فكر معلّمه الإكوينيّ الذي كان يقول بتبعية السلطة الزمنية للروحانية) الإدانة الرسمية المتوقعة، وأحرقت الكنيسة كتابه هذا بعد قرن. وضمن ولعه بتلبيس الأفكار لبوس الصوّر، شبّه دانتي في هذا الكتاب البابا والأمبراطور بالشمس والقمر، لأنّ الأخيرين كانا كلاهما يُعدّان كوكبين، ثمّ إنّ قرب القمر من الأرض يمنح الأمبراطور الذي يرمز هو إليه دلالة دنيوية أو أرضية واضحة. على أنّه سيذهب في الأندلس السادسة عشرة من «المطهر» أبعد ويشبههما بشمسين اثنتين.

(3)

## «قراءة في» الكوميديا الإلهية

أ- وصف «جغرافية» العالم الآخر في «الكوميديا الإلهية»:

يوجّه «جغرافية» دانتي أو عالمه الدرامي- الشعريّ مزيجٌ من التفكير (حتّى لا نقول «العِلْم») الفلكي لبطليموس ومن التّصوّر المسيحيّ للكون، ببعديه الأرضي والأخرويّ. بطليموس هو الجغرافيّ وعالم الرياضيات اليونانيّ المعروف، عاش مخضرمًا بين القرنين الأوّل والثاني بعد الميلاد، ومارس العديد من أرساده انطلاقًا من الإسكندرية، وهيمنت معايناته وفرضياته التي هي مزيج من علم الفك و«علم» البروج (مع أنّه كان يفرّق بين الاثنين) على العصر الوسيط، أي حتّى نهايات القرن الرابع عشر، وعلى جانب من عصر النهضة، أي بدءًا من القرن الخامس عشر. على أساس هذا التّصوّر البطليموسيّ لنشأة الأرض والتّصوّر المسيحيّ للعالم الآخر ولضرورة الثواب والعقاب، رسم دانتي مسرحًا كاملًا ورّعه على الملكوتات الثلاثة: الجحيم والمطهر والفردوس.

يعيد خورخي لويس بورخيس رسم حدود هذا العالم في صفحتين من كتابه «تسع محاضرات في دانتي» ارتأيت أن أترجمهما هنا لوجازتهما ولما فيهما من تكثيف. وسأصحب الترجمة بتدخّلات أضعها بين معقوفتين كبيرتين كلّ مرّة، تساعدنا في استيضاح أبعاد هذا العالم الدانتيّ وشاكلة أنعقاده.

الأرض، كتب بورخيس، هي [في هذا التّصوّر البطليموسيّ-المسيحيّ الذي يتبعه دانتي] مدار ثابت. في الوسط من نصف الكرة الشماليّ (وهو الوحيد المرخّص للبشر بسكناه) يقبع جبل صهيون [في فلسطين]. وعلى بُعد تسعين درجة من هذا الجبل، إلى الشرق، يأتي ليموت [أي يشهد مجراه الأخير] نهر هو: الكنج. وإلى تسعين درجة من هذا الجبل، إلى الغرب، يولد نهر آخر هو: الإيبر. نصف الكرة الجنوبيّ مكوّن لا من اليابسة، بل من الماء، وهو محرّم على بني الإنسان. وفي الوسط منه جبل يقف في مقابلة تامّة مع جبل صهيون، ذلكم هو جبل المطهر. هذان النهران وهذان الجبلان المتساويا المسافة أحدهما عن الآخر يشكّون صليبيًا فوق المدار [الأرضي]. تحت جبل صهيون، وأوسع منه بكثير، ينفّث حتّى قلب الأرض مخروط مقلوب، هو الجحيم، منقسم إلى حلقات أو دوائر تزداد ضيقًا وتشكّل ما يشبه صفوف مُدرّج. هذه الحلقات عددها تسع، وما هي في طبيعتها المكانية أو طوبوغرافيتها إلّا خرائب بشعة. الخمس الأولى منها تشكّل الجحيم العليا، والأربع الأخرى الجحيم السفلى التي لها جوامعها الحمراء المحاطة بأسوار نارية. وفي الداخل مدافن وآبار ومهاوٍ ومستنقعات ورمال متحرّكة. وفي ذروة الخروط يقف لوسيفير [ملك بابل القديمة المعروف بخلاعه وبطشه، والذي جعل منه الغرب القروسطيّ تجسيدًا للشيطان، لوسيفير «الدودة القارضة التي تثقب الأرض» [كما كتب دانتي] وإنّ ثغرة ضيقة حفرتها في الأرض مياه «ليتي»، نهر النسيان في [الميثولوجيا اليونانية] تجعل قاع الجحيم [إذ هي مخروط مقلوب] تتّصل بأرضية المطهر. جبل المطهر هذا جزيرة. وله بوابة. وعلى سفحه تنتشر أفاريز تمثّل الخطايا الرئيسة [وعليها يتطهر في انتظار الانتقال إلى الفردوس مرتكبو هذه الخطايا ممن لم يُحكّم عليهم

بأن يقبعوا في الجحيم]. وعلى الذروة من هذا الجبل تزدهر جنة عدن أو الفردوس الأرضي [تمهيدًا للفردوس «الحقيقي» الكائن في السموات]. وتدور حول الأرض تسعة أفلاك متمركزة [الأول في قلب الثاني والثاني داخل الثالث، وهكذا دواليك]. السبعة الأولى منها هي السموات المكوكبة [سماء القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمرّيخ فالبرجيس أو المشتري فزحل]. الثامنة هي سماء الأنجم الثابتة. والتاسعة هي السماء البلورية اسماء بلا نجوم، ومن ذاتها تستضيء]، التي تدعى أيضًا بـ «المحرّك الأول» [إذ منها تستمدّ السموات والأجرام الأخرى حركتها]. والأخيرة محاطة بالأميريوس، أو سماء النور الخالص، وفيها تتفتّح، خارج جميع المقاييس، «وردة العادلين» [الزاقصة] من حول نقطة [مشعة] هي الله. وكما يمكن توقعه، فعدد حلقات الوردة هو تسع... كذلك هي الخطوط العامة لتشكيلة عالم دانتي، الذي يمتثل، كما لاحظ القارئ ولا بدّ، المزايا الرقمية واحد وثلاثة وللدائرة. كان الإله الفاطر في محاوره «التياموس» الأفلاطونية، التي يذكرها دانتي في كلّ من [كتابه النظري] «المأدبة» (الكتاب الثالث، الفقرة 5) و«الفردوس» (الأنشودة الرابعة، البيت 49)، قد اعتبر أن الحركة المثلى هي الرحوية وأنّ الشكل الأمثل هو الدائرة. هذا الاعتقاد، الذي كان أفلاطون في تصوّره للإله الفاطر يتقاسمه مع أكرينوفانيس وبارمينيدس، أملي جغرافية العوالم الثلاثة التي يجتازها دانتي» (مصدر مذكور، ص 10-12).

على هذه الجغرافية الكونية أو الكوسمولوجية، التي كان يعتقد بها العصر الوسيط، يبني دانتي عالمًا هو بالطبع شعري وخياليّ، وتخرقه استعادات لوقائع تاريخية وأنماط نفسية ومعينات فلسفية. ممّا يحيل عبثيًا، في نظر بورخيس وفي نظرنا كقراء، الاعتراض بأنّ العمل مبنيّ على جغرافية وهمية، هذه السموات التسع الدائرة رحويًا ونصف الكرة الشماليّ المؤلف من المياه والذي يتوسّطه جبل. يُعلمنا بورخس بأنّ البعض قد ذهبوا إلى حدّ القول إنّ بطلان تصوّر البطليموسيّ للكون يسري في هذه الحالة على المعمار فوق الطبيعيّ - للكوميديا الإلهية! فحلقات الجحيم التسع هي بدورها باطلة والمطهر هو في هذه الحالة بمثل عدم وجود الجبل الذي يُحلّه دانتي فيه. ويردّ بورخيس على هذا بالتذكير بحقائق عديدة. فأولاً، لم يكن هدف دانتي هو رسم صورة دقيقة أو صحيحة للعالم الآخر، بل هو نفسه يصرح، في رسالته الشهيرة إلى صديقه والمنعم عليه كأنّ غراند (المهدى إليه جزء «الفردوس») أنّ عمله يهدف «حرفيًا إلى وصف حالة الأرواح بعد الموت، وأليغوريًا [أي على سبيل الأمثلة] إلى [وصف حالة] الإنسان الذي يجلب لنفسه، بحسب استحقاقاته أو عدمها، عقابًا أو ثوابًا إلهيًا» (بورخيس، مرجع مذكور، ص 13). كما يذكّر بورخيس بأنّ ياكو يو دي دانتي، ابن الشاعر، تمي هو أيضًا مقصد أبيه الإبداعيّ في شرح رافق طبعته الشاملة للعمل التي قدّمها هو وشقيقه بييترو بعد رحيل والدهما.

لقد أوضح دانتي الابن أنّ «الكوميديا الإلهية» تسعى إلى الإبانة بصورة أليغورية عن الحالات الكينونية الثلاث للإنسانية. هكذا يعالج الشاعر في النشيد الأول الرذيلة ويدعوها بـ «الجحيم»، وفي النشيد الثاني الانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة، ويدعوها بـ «المطهر»، وفي الثالث شرط الذوات الكاملة ويسمّيه بـ «الفردوس». وهذا كلّ «ليرينا ارتقاء فضائلهم وسعادتهم، وكلا الأمرين ضروريّان للإنسان ليبلغ الخير الأسمى» (يلخصه بورخيس، ص 13).

## ب- قراءة «الجحيم»:

تذكر جاكين ريسيه في تقديم الجزء الأول من ترجمتها الفرنسية لـ «الكوميديا الإلهية» بأنه حتى لمن لا يعرفون من هذا العمل سوى الأسماء البسيطة للأعلام والمواضع، فهو يظلّ، وخصوصاً نشيده الأول «الجحيم»، يشكّل حدّاً، قطباً سالباً انطلافاً منه توجد الكتب الأخرى. تجربة حدودية أو قصوى لجميع أنماط الكتابة.

فكأنّ «الجحيم» لم تُكتب ككتاب بل زيرتُ كبلاد. ويروى أنّ الإيطاليّات المسنّات، عندما كنّ يرين الشاعر مازاً في الطرقات بعد صدور هذا النشيد وذيوعه، كنّ يفسرن دكنة ملامحه بما لحقه في الجحيم من لهب النيران. فـ «هو هذا الذي زار الجحيم».

لم نعد اليوم عند هذا المستوى من التخريف، إلاّ إنّ صورة العمل لا كنصّ مكتوب بل كأثر على رحلة استكشافية عظيمة بقيت تضفي في نظر ريسيه على دانتي نوعاً من المسافة القسرية والجدريّة، صورة شاعر عتيق ومغبرّ.

أكيد (وما برحتُ ألخص ريسيه) أنّ البعد النبويّ القروسطيّ وكامل تجربة دانتي الدينيّة يظللان غريبين علينا نحن المعاصرين. غربة تزيد من حدّتها دقّته الرهيبة في توظيف المعطيات المكانية والتاريخية، من الحرب بين «الغيلين» و«الغيف» إلى صراع الكنيسة والحكم الإمبراطوريّ الذي فاقمته وتضافت معه المؤامرات السياسيّة بين المقاطعات التوسكانيّة. ومع ذلك فإنّ نوعاً من الفتنة يظلّ يفعل فعله، حتى عبر المسافة، على قرّاء ينتمون إلى عوالم أخرى. لقد مارس عمل دانتي حضوره وأثره في الأدب الفرنسيّ في القرن التاسع عشر مثلاً، عبر الرواية السوداء (روايات الرعب في البداية، والروايات البوليسيّة الحافلة بالجرائم من بعد)، باعتباره شعراً للفضاظة ومستودعاً لمشاهد الرعب وبؤرة لاهبة لمختلف مظهرات الأذى أو الشر. وكثير من القرّاء تعاطفوا بل تماهوا مع شخصيات دانتيّة من أمثال فرانثيسكا دا ريميني، التي ساقها عشقها المحرّم إلى الجحيم، ومع لغز الكونت أوغولينو الذي اعتقله عدوّه رئيس الأساقفة رودجييري في حصن مظلم صحبة أطفاله، وبراءة مشهودة يدعّم دانتي الشكّ حوله: هل التهم أطفاله يباعث من الجوع حقاً؟

وتعلّمنا ريسيه بأنّ كتاباً فكّروا بعملهم كلّه (بلزك مثلاً) أو بشطر كبير منه (بودليرونرقال ولوتريامون) انطلافاً من هذا المحلّ الأساسيّ للتجربة الأدبية، كما فكّر آخرون (ستندال، ألكساندر دوماس) طويلاً بترجمته إلى لغتهم. والقرّاء المعاصرون، ممّن أدمنوا قراءة آرتو أو كافكا أو بازوليني أو جُنيه، أو من راقبوا ببساطة فجاج القرن العشرين وكوارثه التاريخيّة، يجدون بدورهم أنّ دانتي، بقوة أسلوبه ودقّته خصوصاً، قد سبق إلى وصف الرعب المعاصر المتعدّد على التخيل. إنّ هذه الجحيم الدانتيّة (وينبغي التذكير بأنّ الصفة «دانتي» dantesque دخلت جميع المعاجم الأوربيّة لنتع كلّ ما هو متطرف في إثارة الرعب)، هذه الجحيم التي تتغور حتى قلب الأرض في هيئة / مخروط مقلوب وشاسع، موصوفة باعتبارها خزّان أذى الكون كلّه، الصرّة التي تأتي لستقرّ فيها، وتمور، جميع بذور الشرّ أو ذرّاته المتناثرة في المعمورة.

- **عالم منتظم:** مثلما تذكّرنا به ريسيه في كتابها القيم «دانتي كاتباً»، الذي سأستعين به في هذا الوصف التحليليّ لعوالم «الكوميديا الإلهية» الثلاثة، مع إضافات من بورخيس وكتاب آخرين، يمثّل نشيد «الجحيم» سلسلة لوحات موجهة لمنع القاريء من نسيان «خطاظة» الخلاص أو

ترسيمته التي سنقابلها بوجه آخر في كلّ من «المطهر» و«الفردوس». كلّ عذاب يرتبط هنا بخرق معيّن للناموس، أي بجنحة أو خطيئة معيّنة، والقصيصة تهَيّ سلسلة من التدايعات والتكفلات الفضائيّة والبنويّة التي تساعد القارئ في إحلال هذه الخروقات بعضها بإزاء البعض. ولن نوّكد بما فيه الكفاية على ما لاحظته الجميع من هذه الناحية لدى دانتي من دقّة رهيبه، شُبه هندسيّة، أتاحت له أن يرسم حركيّة فضائيّة وزمنيّة للمجموع، زاجًا كلّ عنصر في علاقة فاعلة ومبرمة مع ماضيه ووضعه الراهن وشاكلة تلقّيه للعذاب من جهة، ومع ما يحيط به من جهة أخرى. هو، إذن، وهذا ما يمكن قوله عن الجزأين الآخرَين أيضًا، عالم منتظم، لا هلاميّ، مسرح متراتب ومتحكّم به وليس جملة إيماءات هائجة مائجة في بحر الأبدية أو التاريخ. ويتضمّن هذا المجموع أمثلة منمّطة، أي أنّ مثالًا أو اثنين يكفيان للدلالة على وضع شامل، وعلى مَشابه ونظائر وتعارضات وتلاقات. هذا كلّه يجعل من عمل دانتي، كما كتبت ريسيه، «التظاهرة الأهمّ للفنّ (الدينيّ) للذاكرة» (مرجع المذكور، ص 13). وهذه التّجربة التي تصدم وعي القارئ وتحوّله ينبغي على الأخير أن يجتازها بكاملها، إنّ هو أراد أن يُمسك بخطاطة الخلاص ويعيش مع الشاعر التحوّلات النّوعيّة لشعوره. وإلاّ فمن الأفضل، كما كتب دانتي نفسه في «الفردوس»، أن «يعود أدراجه إلى الشّاطي».

- **عمل الحلم:** «في منتصف طريق حياتنا»، هكذا تبدأ الأنشودة الأولى من النّشيد الأوّل، أي بداية العمل كلّه. في هذا المفتتح يقيم نصّ دانتي شبكة تواصلات أو عملاً للتناص. تسمّي ريسيه أهمّ عناصره ودلالاته. فإذا ما صدّقنا صاحب «المزامير»، فمنتصف العمر هو الخامسة والثلاثون، وهذا ما كان عليه عمر دانتي لدى الشروع بكتابة «الكوميديا الإلهيّة». وفي «سفر أشعيا»، يقول حزقيّا ملك يهودا: «في منتصف حياتي/ هوذا أذهب إلى بوّابة الجحيم». وعليه، فالبيت الأوّل من «الكوميديا» يقيم تواصلًا سرّيًا أو تناصًا خفيًا بين المسافر التوراتيّ والمسافر دانتي. بيد أنّ اختيار دانتي ضمير الجمع المتكلم («حياتنا») يمنح رحلة دانتي طبيعة أو طموحًا أكثر شمولًا، أي أنّ الرحلة تُخاض «باسم الإنسانيّة». واعتبارًا من البيت الثاني تعود «أنا» الشاعر- الرحّالة - المتكلم إلى الظهور: «ألفيتني في غابة مظلمة».

ذلك أنّ هذه الرحلة كلّها، وفي ما وراء أبعادها الوعظية والكويّة، تنخرط في «أنا» يقظة تارةً ومهوّمة طورًا، سعيدة أو مُعانيّة، انطلاقًا منها وبعينها نرى كلّ شيء.

لكنّ التماهي أو التناص مع المعني التوراتيّ يتراكم معه تناصّ والنصّ الأرسطيّ.

كان أرسطو يرى في «منتصف العمر» مجازًا عن النوم وصورة عن النضال بين حالتين للوعي. فكأنّ دانتي يقول: «في منتصف عمرنا نحن البشر، حصلت لي هذه الرؤيا أو حصل لي هذا الحلم». إنّ عمل الحلم أو «منطقه» هذا الأساسيّ في العمل (وسنعود إليه لاحقًا من زاوية أخرى مع بورخيس). فهو الذي يفسّر حضور المسافر أمام مختلف المواقف والحالات، أو حضورها جميعًا في مرآة وعيه، وموقف «المتفرّج» الذي يقفه من أغلبها، وسرعة انتقالاته بين المشاهد المتباينة. وبحركيّة هذا الحلم الفاعل يفلت دانتي، في نظر ريسيه، من فخ الوعظ والخطاب التربويّ الذي يترصد كلّ مشروع أخلاقيّ يصبو إلى تحويل البشريّة (ريسيه، ص 111-112).

- **حضور فرجيليو:** عالم دانتي متراكم ومعقد، يجمع الوثنيّة إلى المسيحيّة، والشرق إلى الغرب، ويُطعم الكاثوليكيّة بعناصر إشراقيّة وصوفيّة وسواها ممّا عدّ في زمنه هرطوقيًا وما يزال يُعدّ كذلك

لدى البعض. تجد لديه أو فيديوس وحزقيال، حزقيًا وأرسطو، لوكانوس والقديس توماس الإكويني، القديس أوغسطين وابن رشد، إلخ.

لكن إلى جانب بياتريشي، التي لن تبدأ بالظهور إلا في الفردوس الأرضي في «المطهر» (بعد ظهور خاطف في بداية «الجحيم» تلتبس فيه عون صاحب «الإنياذة» وهدايته لدانتي التائه في الغابة المظلمة، وهذا الظهور نفسه يأتينا مرويًا من قبل فرجيليو نفسه)، تظلّ الشخصية الأكثر حضورًا وجسامة متمثلة في فرجيليو. يزعم بعض الشراح أنّه كان في نيّة دانتي أول الأمر أن يُسلم دور الهادي والمرشد لأرسطو باعتباره صوت العقل. ولكنّه اختار فرجيليو، المعروف فعلاً بالشاعر الحكيم، لأنّه كان أطلق في إحدى قصائده المعروفة بـ «الريفيات» أو «الرعويات» نبوءة بظهور منقذ للأرض رأى فيه اللاحقون السيّد المسيح. وينبغي أن نضيف بالطبع كون فرجيليو غنيًا في «إنياذته» مجد اللاتين الأوائل، وبهذا المعنى فهو يشكّل لدانتي سلفًا ورائدًا في النشيد الشعريّ بعامة وفي الغناء للروح الرومانيّة بخاصّة (ومع هذا فسنعلم في نهايات هذا المدخل، انطلاقًا من قراءة لأنغاري، على إدخال عدد من الفوارق بين منحّي الشعريين وتصوّريهما للتاريخ ولفكرة الرومانيّة بالذات. فما نقوم به الآن صحبة ريسيه هو قراءة لسلوكهما المتبادل داخل العمل نفسه، أي كشخصيّتين محوريتين فيه).

تظلّ العلاقة بين دانتي وفرجيليو طوال «الجحيم» وأغلب «المطهر» (لن ينسحب فرجيليو إلا مع ظهور بياتريشي في «الفردوس الأرضي» في الأنشودات الأخيرة من «المطهر») متكافئة وحميميّة. يعتف صاحب «الإنياذة» دانتي بدمائة لغشامته أحيانًا، ويزيل من روعه ويشجّعه على المضىّ قدمًا كلما بان عليه ضرب من «الخور» أو الإحجام، ويكشف له عن أسرار العوالم التي يزورانها عتبه بعد أخرى، ويُفاوض من أجل عبوره كارون والشياطين، ويلتمس معونة الوحش جيروني لإخراجهما من الهاوية. والعاطفة التي يسبغها عليه هي عمومًا أبويّة، بل تنعتها ريسيه بـ «الأموميّة» لأنّها غالبًا ما تنصبّ على حماية دانتي من مخاطر العالم الخارجيّ ومن مخاوفه الداخليّة و«صبيانيّته». لكنّ الرحلة مع فرجيليو، كما تذكّر به ريسيه أيضًا، يظلّ يسيطر عليها طابع سوداويّ وفجائيّ متأثّ من الحد المفروض على صاحب «الإنياذة» لكونه مات في الوثنيّة (وإنّ كان تنبأ بظهور مخلص). فهو لا يمكنه ولوج العالم السّماويّ ولا رؤية الله. كان منسيًا في «اليمابيس»، و«تلميذه» هو من أخرجته من النسيان. كان تيه دانتي في «الغابة المظلمة» مناسبة ليعاود فرجيليو الخروج من دائرة اليمابيس الرتيبة والتي لا عذاب فيها ولا غبطة طوباويّة. وهذا كلّ ما يضيفي على علاقة المسافرين في العالم الآخر غلالًا من التضامن القويّ والمساويّة تضطلع بجانب من فرادة العمل وعمقه.

- **جسد دانتي:** منذ البيت الثامن والعشرين من الأنشودة الأولى من «الجحيم» يكتب دانتي: «وعندما أرحت قليلاً جسديّ المتعب...». وحتىّ نهاية العمل، عندما «تنتفي» الذاكرة في غبطة الرؤيا النهائيّة في «الفردوس»، يظلّ هذا الجسد حاضرًا وناطقًا بمختلف أحاسيسه وأحواله. هو الموشور الذي يعكس لنا كامل التجربة، ومن هنا تميّز عمل دانتي عن بقية الأعمال القروسطيّة السابقة له التي تصف السفر ومشاهده، كما تعبّر ريسيه، «خارج جسد المسافر». تُحصي ريسيه تواتر كلمة «جسد» في «الكوميديا الإلهيّة»، فإذا بها ترد 14 مرّة في «الجحيم» و16 مرّة في «المطهر» و14 مرّة في «الفردوس»، هذا دون أن نعدّ المرّات الغفيرة العدد التي ترد فيها أسماء أعضاء مختلفة من الجسد (عينا، بصري، يدي، ساقاي، إلخ.).

بهذا الجسد يمتاز دانتي عن بقية سگان العوالم التي يخترقها، إذ هي أرواح منزوعة من أجسادها، وستظل كذلك حتى يوم النشور. في الجحيم والمطهر، يشكل جسد دانتي مصدر مفاجأة وذعر: في الجحيم لأنه يثقل على الحجارة التي يطؤها، وفي المطهر لأنه يصد أشعة الشمس كما تفعل أجسام الأحياء في العادة. أما في الفردوس فما من مفاجأة، فطبيعة سگانه من ملائكة وأنبياء وقديسين وطوباويين أرفع من أن يخفى عليها شرط زائرها وطبيعته.

تذكرنا ريسيه بأن جسد دانتي يحمل إلى العالم الآخر مخاوفه الأرضية وهواجسه التاريخية، وبذا يمتاز العمل بصفة شامانية، تلقينية وتطهيرية. وبهذا «الطموح في زج العالم التاريخي والراهن إلى النظام المفترض به أنه يُسيّر هذا العالم، وداخل النسق المفترض به أنه هو الذي يُنقذه» (روبير كلاين، تذكره ريسيه)، لا يكون دانتي «سائحا» عبر هذه العوالم، ولا «ممثلاً رسمياً» لنظام عقوبة أو ثواب. بل هو مسافر يخوض مغامرته تحت التهديد الدائم للفشل، فشل معيش بأكثر ما يمكن من الجسدية أو الحسية (ص 116).

ثمة في هذا العمل ما تدعوه ريسيه بفينومولوجيا (ظاهراتية) متماسكة للمعانية والإدراك. وتفرض الناحية الجسدية عملها حتى عبر العناصر الخارجية ومن خلال مسرح المرثيات الواسع (الشمس، الغابة، الكثيب، البحر، الجبل، الخنادق، الجسور، إلخ). وحتى مجازات دانتي وتشبيهاته التي بها يعزّز تعبيره عن مشاعر الخوف أو الظفر تظل هي الأخرى حسية وجسدية، وبالخصوص بصرية. كما عندما يريد وصف الفزع الذي استبد به لدى نيهه في الغابة المظلمة، فيكتب:

«وكمثل من يخرج من البحر/ إلى الشاطئ مبهور الأنفاس / فليتفت ليعاين المياه الخطيرة، هكذا التفتت روجي الهاربة بعد لتنظر إلى ذلك الممرّ/ الذي لا يدع بين الأحياء أحداً» («الجحيم»، 1، 27-22).

وهنا تحدث في نظر ريسيه ظاهرة فريدة ومهيمنة على كامل «الكوميديا الإلهية». ظاهرة نرى فيها إلى لغة المجاز والتشبيه وهي تغزو لغة المعانية الفعلية أو لغة «الحقيقة» وتهدم عائق «أداة التشبيه» (الكاف، مثل، كما لو، كأن، إلخ)، لتشغل المستوى الأول. ويسود هذا في مختلف المواقف والتجارب. فإذا كان البحر بشكل الصورة المحورية لمجاز يصف الخوف في المثال السابق، فإن دانتي، ما إن يبلغ عالم المطهر المضيء ويرى أمامه بحرًا مطمئنًا وصافيًا، حتى يتكلم عن «سفينة فكري [التي] ترفع أشرعتها» وعن «رائق اللون من ياقوت الشرق» (الأنشودة الأولى). هكذا يشكل الانتقال الدائم بين شيفرة المجاز ولغة الجسد ميزة أساسية لهذه الكتابة. وكأن الأمر يتعلق، كما تكتب ريسيه، بـ «عبور هلاسي لتجربة الجسد يلتمس كافة نظم البلاغة وأنساق الثقافة والأدب، بحيث تكون اللغة نفسها هي ما يشع كياقوت أو سفير شرقي وقد أنعشها وطراها خارج تستمد منه شفافيتها، شفافية لا تمثل خصيصة الوسط محايد وقابل للاختراق بل هي نورانية صافية ووليدة» (ص 118).

- **نظام العقوبات:** ترى ريسيه في زيارة دانتي للجحيم وهو إنسان حي نوعًا من زيارة «سابقة للأوان» يشهد فيها نظامًا للحساب أو للعقاب والثواب سيخضع له هو أيضًا ذات يوم أسوة بسائر البشر الفانين. وهو يبتكر نظام العقوبات بصورة شبه كاملة، عاملاً بالتصنيف الفكري الأرسطي للخطايا، مستعيرًا بعض الصور الوثنية أو الكلاسيكية وبعض عناصر الموروث الإيقوني المسيحي



الشعبي. ويطعمها بإضافات تقول ريسيه إنها آتية على «الأرجح من التصور الأخير أو الأخرى الإسلامي» (ص 119).

مرة واحدة يبدي دانتي عنفه أمام ملعون كان يهّم بإغراق سفينة كارون التي كانت ثقله، أي دانتي، هو وفرجيليو. ومرة أخرى يحذّره معلّمه من الانقياد إلى «الرغبة المتدنية» المتمثلة في إطالة الاستماع إلى الشّتائم المتبادلة بين المعذّبين. عدا هاتين اللحظتين، يظلّ تعاطف دانتي والمعذّبين صريحًا ودائم العمل بالتّوازي مع رفضه الأخلاقي والفكري لخطاياهم. تعاطف يوقفنا على شعوره بغرابة الناموس المطبق عليهم أو بجسامة المآل الذي قادتهم إليه مآثمهم. سبق أن وصفنا طوبوغرافية الجحيم أو تشكّلها الفضائيّ انطلاقًا من بورخيس.

فيما يلي، سنحاول رسم ما تدعوه ريسيه بـ «نظام العقوبات» الممارسة فيها، مهتدين بإحالات هذه الكاتبة وتحليلها التي بها تكشف عن الخلفيات اللاهوتية والفلسفية والجمالية لعمل دانتي وشاكلته في إرساء دعائم هذا النظام. في الفقرات الأخرى، سأمارس الشيء نفسه للإبانة عن «نظام التطهّرات» في المطهر، «ونظام المتّع الطوباوية» في الفردوس. و«النظام» هنا يُفهم بمعنى نسق متماسك له أولياته الكبرى وأدواته الرئيسية وتكافلاته الفعّالة وتلاقياته وتفارقاته.

تلاحظ ريسيه تكافلاً بنيانياً بين بداية نشيد «الجحيم» ونهايته. ففي الختام، يستعير دانتي صورة لوسيفير، ملك بابل الأسطوري. الباطش والخليع (المعروف في «العهد القديم»، «سفر أشعيا»، بـ «نجمة الصباح»، ولكّني أخذتُ بتسميته اللاتينية الشائعة، وتعني «النور الحديدي»، متحاشياً في الألوان نفسه النطق الإيطاليّ:

«لوتشفيروس»، وكذلك فعلتُ مع الأسماء التي أصلها إنجليزيّ أو يونانيّ أو إسيانيّ أو فرنسيّ، رادًا، قدر المستطاع، كلّ اسمٍ إلى لغته الأصلية). كان أورييو القرون الوسطى قد جعلوا من لوسيفير هذا رمز الشيطان، الملاك العاصي. دانتي يجعل منه شخصيّة رئيسة في الجحيم، ما يشبه «ملكها» و«القيّم» عليها. وهو يُحلّه في أقصى قاع مخروط الجحيم المقلوب، غائصًا في الثلج وصانعًا من دموعه صقيع الجحيم كلّ (تفكّر ريسيه هنا باستعارة من مصدر إسلاميّ، وتذكّر بالفعل رياح جهنّم الباردة المدعّوة في القرآن بـ «الزمهير»). ويتلاءم هذا مع شرطه كرئيس للملائكة العاصين، وبالتالي فهو الملاك الساقط، بالمعنى الفيزيائيّ القويّ لكلمة «السقوط»: أسقطه الله من علياء السماء ببالح العنف، ومن هول سقطته هرب جانب من الأرض فزعًا. ثمّ، في الانخساف الحادث من سقوطه قام مخروط الجحيم هذا. للوسفير، لدي دانتي، ثلاثة رؤوس ترى فيها ريسيه محاكاة سلبية لأقانيم الثالوث المسيحي. وبأشداقه الثلاثة، يفترس لوسيفير أجساد المعذّبين بلا انتهاء. الحال، قبل زيارة دانتي للجحيم، وفيما هو تائه في «الغابة المظلمة» التي ترمز إلى الأخطاء والتخبّط الأخلاقيّ والفكريّ، كان قد اصطدم بالوحوش الثلاثة التي يُبعدها عنه فرجيليو:

الفهدة lonza والأسد leone والدّثبة lupa، التي تبدأ كما نرى جميعًا بالحرف نفسه الذي به يبدأ اسم لوسيفير Lucifer. ثمّ إنها تدلّ، على التواليّ، على الغلّمة الانقياد إلى الشهوة) والعُجب والجشع. هكذا تنبئ بداية هذا الجزء بنهايته وتشبي باديّ ذي بدء بنظامه وبخطاياها الكبرى التي يقول فرجيليو لدانتي إنّها «الحالات الثلاث الممقوتة في بلاط السماء»، والتي تشكّل نوعًا من ترجمة للتقسيم الأرسطيّ الثلاثي للخطايا الرئيسية الذي يبني دانتي على أساسه كامل الجحيم.

قسّم أرسطو خطايا بني الإنسان إلى النهم أو الانقياد إلى الشهوة في مختلف أشكالها، والبهيمية التي تجعل المرء منافياً لأعراف الطبيعة والكائن، والمكر الذي يشمل كافة صنوف المخاتلة والخداع والغش. وبمقتضى هذه الخطايا تنتظم العقوبات الممارسة في حلقات الجحيم المتمركزة التسع، التي تزداد ضيقاً ووعورة وشظفًا بقدر ما نمنع في النزول حتى قاع الجحيم، ضمن تراتبية عكسية تمضي هابطةً من الإثم الأهون إلى الأشد. ويشكّل النهم أو الانقياد للشهوة هنا أهون الشرور، لأنه يقوم على استخدام مفرط للملكات الطبيعية المعطاة للبشر أصلاً والتي لا تمثل بحدّ ذاتها شرًا.

في الحلقة الأولى، يقابل الزائران (دانتي ومرشده فرجيليو) الخرعين الذين كانوا في الحياة الدنيا خلّوا من المبادرة فلم يؤثروا فيها خيرًا ولا شرًا. وهم عرضة للسهو الذباب والهوامّ ويعيشون في غفلية تناسب وغياب المبادرة لديهم، فلا أسماء لهم تميزهم عن غيرهم من «سگان» الجحيم. بعدهم، يمر الزائران بـ «اليمابيس»، وفيها يمارس دانتي على الموروث المسيحيّ تجديدًا معتبرًا ويوسّع نطاقه. فإلى الأطفال الموتي من دون تعמיד، يضيف هو الفاضلين من وثنيين ومسلمين لم يموتوا على الإيمان المسيحيّ. يُنقذهم دانتي لأنهم اتّبَعوا فضائلهم الأخلاقية والفكرية، وعقابهم الوحيد هنا هو العيش من دون أمل برؤية الله ومعرفة غبطة سگان السماء ذات يوم. بين هؤلاء يقيم فرجيليو، إلى جانب أرسطو وأفلاطون ولوكانوس وأو فديوس ولاتينوس وابن رشد وابن سينا وصلاح الدين وآخرين، وإلى هناك يعود بعد انتهاء رحلته صحبةً دانتي في حلقات الجحيم وأغلب أفايز المطهر (وحدهما الفردوس الأرضي والسماوي لا يتمكّن هو من ولوجهما).

في الحلقتين الثانية والخامسة، في مواقع متعدّدة وضمن ابتكارات متنوّعة الألوان العذاب، يتلقّى عقابهم الجشعون بكافة أنماطهم: المنقادون لشهوة الجسد بلا اعتدال، والنهمون للطعام، والبخلاء أو المسرفون في الحفظ، والمثلافون أو المسرفون في التبذير، والمنقادون لغضبهم أو المسعورون، والكسالى أو المسرفون في الرخاوة والتبطل وعدم الاكتراث. وهؤلاء جميعًا يشكّلون الفئة الأولى من الملعونين أو سگان منطقة الجحيم العليا.

الفئة الثانية تضمّ الساقطين في ما يدعوهم أرسطو بـ «البهيمية» في كافة أصنافها: الهراطقة (إضافة من دانتي) وممارسي العنف، وهؤلاء بدورهم ينقسمون إلى فئات عديدة: فهناك ممارسو العنف على الغير، سواء على شخصه أو على خيالاته (الاغتياي والسرقة)، وممارسو العنف على الذات، شخصًا وخيرات أيضًا (الانتحار والتبذير المسرف)، وممارسو العنف على كلّ من الله والطبيعة (الانحراف الجنسي)، أو على كلّ من الله والطبيعة وأصول الفن (الربا).

الفئة الثالثة تضمّ أهل المكر والخديعة والغشّ والتدليس بكافة أنواعه. وهم يسكنون الخنادق المتعدّدة لمنطقة تتوزّع دوائر عديدة ابتكر دانتي لها اسم «ماليبولجي» نفّسها في موضعها، ويمكن ترجمة الاسم إجمالاً بـ «الدار السيئة» أو «منزل الأذى». هؤلاء المخادعون والماكرون والغشاشون هم: العاملون بالغواية أو بالزلفي، والسمعاتيون أو المتاجرون بالرموز الروحانية والمقدّسة، والعزّافون والمدلسون والمنافقون والسراق، وناصحو السوء أو الكذب ومثيرو الشقاق والفتن والمزيّفون. وفي أقصى قاع ماليبولجي يقيم مارسو الخداع الأكبر، خائنو من يضع فيهم ثقته وخائنو الأهل وخائنو المعتقد السياسيّ وخائنو الضيف والكنيسة والأمبراطورية.

هكذا يكون دانتي قد استخدم «خطاظة» أرسطو أو ترسيمته للآثام «بتحرّر كبير» كما تعبّر

رئيسيه، و«غمسها» في ابتكارات شعرية مفاجئة. وتظلّ القناعات الأرسطية لدى دانتي مرئية بقوة في تأكيده (وهذا ما يميزه عن الرحلات اللاهوتية الدوافع إلى العالم الآخر) على البُعدين الاجتماعي والسياسي للآثام في جميع المواقع أو في غالبها الأعم. الإنسان لديه، كما لدي أرسطو، «حيوان سياسي» أو كائن مخلوق للرفقة». ومن يدفعهم نهمهم وجشعهم المادي أو الوجودي وغريزة التدليس المتأصلة فيهم إلى خيانة الثقة الموضوعة فيهم أو إساءة النصيح أو تزييف العطاء فإنما يسيئون إلى كلّ هناة إنسانية، وينبغي في عرف دانتي أن تكون عقوبتهم هي الأشد. وهذا كلّ يدخل في ممارسة شاملة لـ «تزييف العلامات» سنعود إليها مع لوتمان ورئيسيه بأناة في إحدى الفقرات التالية.

أما عن امتثال دانتي للمعتقدات اللاهوتية لعصره، فتريناه رئيسيه في اشتغال العقوبات على الجانبين المعنوي (الحرمان من رؤية الله ومن السعادة الطوباوية) والحسي (العقوبات الجسمانية). والأخيرة منتقاة بالتناظر أو التعاكس مع الخطيئة المرتكبة: فمن انقادوا إلى شهوات الجسد تطوّح بهم رياح الجحيم وتذروهم كالأغصان؛ أما العرافون الذين كانوا «يزعمون الرؤية بعيدًا إلى الأمام» فمحكوم عليهم بالسير ورؤوسهم مُدارة إلى الوراء، إلخ. وتضيف رئيسيه أنّ الإنسان مصور هنا في مواجهة مصيره، في قلب «مُفرق فيثاغورس»: مخلوق للفضيلة ومتعرّض للشرور. وخطيئته إنّما تكمن في كونه لم يعرف أن يميز الحدّ الفاصل ولا أن يثمن مزايا «الاختيار الحرّ»، والأخير موضوع أساسي لدى دانتي.

وترى رئيسيه أنّ التجديد الجذري الذي يُحدثه دانتي ويمارسه على هذه العناصر أو «الموادّ» اللاهوتية والسياسية والخيالية إنّما يكمن في إسباغ صفة جسدية corporalisation على جميع المواقف والحالات. وذلك على نحو يدلّ، في آن معًا، على الحرّية الكاملة (تجريد المجاز من مجازيته) وعلى الغطس المستمرّ في تجربة ذات حساسة أو فاعل حساس يجتاز بنفسه جميع حلقات الجحيم ويتلقّى أثرها في حواسّه، متّجهاً دائماً إلى اليسار، الذي يرمز إلى الإعسار والشلل ومقاومة الاندفاعين الإلهي والإنساني، خلافاً لليمين الدالّ على اليسر واليمن.

- **لقاءات دالة:** يحقّق دانتي في هذا النشيد لقاءات مع عدد من «الشخصيات» الآتية من التاريخ الأسطوري أو الفعلي أثارت انتباه الشراح فراحوا يبحثون عن البواعث التي حدثت بدانتي إلى التركيز عليها، وعن الدلالة الممكنة استنباطها من شاكلته في التعامل وإياها:

- **سميراميس:** إنّ جميع الوجوه التي يستقيها دانتي من الميثولوجيا ومن التاريخ ويُخضعها إلى تحويلات وابتكارات جذرية تظلّ تتمتع لديه بدلالات حاسمة ينبغي تقديرها بدقة. هي قصيدة كبرى «محسوبة» بصرامة، وهذا ما لا يتعارض وعفويتها الجارفة، وإنّ أدنى عنصر فيها ليظلّ يتمتع بمكانته الجسيمة داخل «الاقتصاد الكلي» للمجموع. واختيار الأسماء نفسه ما هو لديه بالاعتباطي. فكما لدى أوفيدوس قبله، تتشكل أبيات كاملة، بل ثلاثيات كاملة لدى دانتي أحياناً من رصف أسماء أعلام تبدو محمّلة بمهمة تعزيمية أو شعارية، موجّهة لإشباع النصّ أو التحقيق حمولة كثافية. عبر هذا التشبيح يعكس الشاعر في نظر رئيسيه صدمة الواقع وأثر التجربة الحقّ. وغياب الأسماء يتمتع هو الآخر بدوره، سلبيّاً أو إيجابياً. هكذا تذكّرنا رئيسيه بأنّ الخرعين الذين نقابلهم في الحلقة الأولى، والممتازين بانعدام المبادرة في حياتهم وغياب الأثر، يتقدّمون لنا في

الغفلية، محرومين من «رعاية» الاسم أو حمايته. وفي منظور آخر، تحتجب أسماء بعض الأرواح الطوباوية في الفردوس، لأنها مكتنفة بنورها نفسه فما حاجتها للتسمية؟

من هنا يظلّ بعيد الدلالة أن يكون أول اسم علم لملعون حقيقيّ نقابله في الجحيم، بعد الخرعين الغفل وسكان اليمابيس من فلاسفة وشعراء ومحاررين، هو اسم ملكة بابل الفاجرة سميراميس. لقد استغرب بعض الشراح أن يحلّها دانتى في الحلقة الثانية، مع المنقادين إلى شهوتهم، وهي حلقة أخفّ عقابًا من سواها، مع أنّ سميراميس عُرفت بارتكاب إحدى الكبائر، ألا وهي سفاح المحارم الذي شرّعه هي قانونًا. تفكّر ريسيه بأنّ دانتى اعتبر على الأرجح أنّ الانقياد المفرط إلى الشهوة هو أساس خطيئتها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فلا بدّ أن يكون للنين الخاصّ لاسمها الشرقيّ الوثنيّ طرفًا في اختياره: به يقطع مع كتلة الكائنات الغفل التي هي بلا أسماء، ويبدأ التأسيس للائحة الرّجيمين الكبرى أو لشعب المعدّبين الهائل في ملكوت الجحيم.

وترجّح ريسيه أن يكون دانتى عرف باسم سميراميس وحكايتها من قراءة كتاب «التاريخ المضادّ للوثنية» الذي وضعه، في سبعة أجزاء، يولس أوريوسوس، المؤرّخ المسيحيّ المولود في 390، بطلب من القديس أوغسطين. كان أوريوسوس هذا يُلقّب بالفعل بـ «محمي القديس أوغسطين»، وكان يهّم القديس إثبات أنّ العهود التي سبقت مجيء السيّد المسيح كانت حافلة بالمآسي والشور. هذا مع ضرورة التأكيد على أنّ دانتى ما كان يشاطر القديس الاعتقاد بأنّ عهود الوثنية كانت رديئة بأسرها ولا في كائناتها كلّهم (يشهد على هذا إحلاله بعضهم في دائرة اليمابيس).

- **فرانتشيسكا دا ريميني وياولو أو الوفاق العشقيّ في قلب الجحيم:** بعد سميراميس، يقابل دانتى، بسرعة أو بتمهّل بحسب الحالة، وجوهًا عديدة من صرعى شهوتهم: ديدون وكليوباترة وهيلانة وأخيل وياريس وتريستان. إلّا أنّ اللقاء الذي يصيبه بالاضطراب ويبلبله أكثر من سواه هو هذا الذي يجمعه بالعاشقين فرانتشيسكا دا ريميني وياولو، وهي حالة شهيرة تعود إلى التاريخ الأقرب إلى دانتى.

وهي تكشف عن نابضين أساسيين في تجربة دانتى نفسه وعالمه العاطفيّ والعشقيّ، ومن هنا انفعاله البالغ إزاءها (حتى ليُغمي عليه في نهاية الحكاية) وتخصيصه الوصفها أنشودة كاملة أو أغلبها. هناك أولًا مسألة الحب المتبادل حتى في الجحيم، التي تثير غيرة دانتى وربّما «حسده» أيضًا. وسأتوقّف عند هذا الجانب مليًا انطلاقًا من محاضرة لبورخيس، وريسيه نفسها ترجع إلى بورخيس في هذا الشأن. المسألة الثانية هي قوة «عدوى» الأدب أو «العدوى الشعرية» كما تتجلى في هذه العلاقة الغرامية، وكما عاشها دانتى بنفسه، هو الذي كتب في إحدى غنائياته المبكرة: «سأتكلّم بحيث أجعل كافة الناس يهيمون عشقًا». ذلك أنّ فرانشيسكا تُسرّ لدانتى في دائرة اليمابيس).

أنّ العشق تلبّسهما، هي وحماتها ياولو، على غفلة منهما وفيما يقرآن معًا رواية غرامية. هذه المسألة الأساسية في «عدوى» الرغبة، عشقية كانت أم إبداعية، عالجه بتعمّق أكثر، انطلاقًا من أنشودة دانتى هذه، الفيلسوف الفرنسيّ رنيه جيرار René Girard في واحدة من مقالات مجموعته النّقدية «نقد في قبو»، وسأعالجها من هذه النّاحية انطلاقًا من قراءته أيضًا.

عشقت فرانتشيسكا دا ريميني حماتها (أخا زوجها) الذي تقبّع معه في الجحيم في وفاق عشقيّ نهائيّ

بالرغم مما يلحقهما من عذاب بسبب هذه العلاقة الآثمة.

تقدّم الشراح بفرضيات عديدة يوجزها بورخيس في محاضراته «الجلاد الرؤوف».

بعضها قال إنّ دانتى أراد أن يتفادى تحويل عمله إلى لائحة أو «كاتالوغ» من الأسماء (وبلا عدلٍ رأى لامارتين بالفعل في «الكوميديا الإلهية» نوعاً من «مجلة منوعات فلورنسية»!). ولتفادى دانتى ذلك، نثر في العمل عدداً من اعترافات وافدين جدد ومشاهير إلى «الجحيم». هكذا تحدّث بنيديتو كروتشه بهذا الصدد عن «مدار شعريّ مركّب على رواية لاهوتية» (يذكره بورخيس، ص 48). آخرون ذكروا منطق الحلم، وقالوا إنّ عمل دانتى بتصرّف بمقتضاه. منطق الحلم حاضر بالفعل كما أسلفنا في القول، ولكنّ تشابهه عمل الإبداع وعمل الأحلام يجب في نظر بورخيس ألاّ يخولنا أن نعذر في الكتب عدم تماسك الأحلام وفوضاها وعدم مسؤوليتها. آخرون لجؤوا إلى فرضية ثالثة بالتعويل على ما نلاحظه بالفعل من تزواج، وأحياناً من تعارض، بين الجانبين اللاهوتيّ والشعريّ في هذا العمل. عمل حاول فيه دانتى استكناه مقرّرات الحكم الإلهيّ فوضع في الجحيم بابواتٍ وأنقذ من النار بعضاً ممن كانوا معتبرين بين الهراطقة. ولتبرير هذا الإجراء عزا لله عدالة عليا توجه العمل («العدالة حرّكت خالقي الأعلى»، كما نقرأ على باب مدينة الجحيم) واستأثر لنفسه بالفهم والرأفة.

وبهذا الصدد كتب كروتشه أنّ «دانتى اللاهوتيّ والمؤمن والأخلاقيّ يدين الخطاة، ولكنّه، من الناحية العاطفية، لا يُدين ولا يعفو» (ذكره بورخيس، ص 50). لكنّ هناك فرضية رابعة يميل إليها بورخيس نفسه، ويمقتضاها يقرب عمل دانتى في كوميدياه من عمل ديستوفيسكي على شخصية راسكالينكوف في «الجريمة والعقاب». إنّ دانتى يسرد خطيئة فرانتشيسكا بهذا القدر من الرأفة المرهفة بحيث يجعلنا نحسّ أنّها، أي الخطيئة، كان لا مفرّ منها. «هذا ما لا بدّ أن يكون الشاعر دانتى أحسنّ به وإنّ كان اللاهوتيّ الذي فيه يؤكّد في الأنشودة السادسة عشرة من «المظهر» أنّ أفعالنا إذا كانت تتبع تأثير الكواكب فلن يعود من اختيار حرّ وسيكون من غير العادل إثابة الخير ومعاقة الشر» (بورخيس، ص 51). يعتقد كاتبنا الأرجنتينيّ أنّ دانتى حلّ هذه المفارقة العصبية بالذهاب إلى ما وراء المنطق. ولعلّه مال إلى «جبرية» مقنّعة قريبة من هذه التي نادى بها الرواقيون وسينوزا وكالفان والجبريون المسلمون الذين يقول بورخيس إنّهم عرف بوجودهم بعد قراءة تقديم سيل Sale الترجمة للقرآن (ص 52).

وينبغي التّويه هنا بأنّ بورخيس نفسه، في خاتمة محاضرة أخرى عن جوهر العلاقة ببياتريشي سأعود إليها لاحقاً، يلمّح إلى أنّ دانتى شعر ولا ريب بالغيرة أمام هذين العاشقين، فرانشيسكا ومحبوبها، لا فكاك لها منه ولا له منها حتّى في قلب الجحيم. إنّّه يرى منذهاً إلى نيلهما أحدهما من الآخر حتّى في عزّ الجحيم ما لم ينلّه هو من رباط مبرم مع بياتريشي في الحياة الدنيا في مقتبل صباه. فرضية جديرة بالاعتبار.

لكنّ هذا العشق المأساويّ يكتسب في نظرنا إضاءة مغايرة في مقاربة المفكّر الفرنسيّ زنيه جيرار Gir. قدّم هذا المفكّر في الستينات والسبعينات من القرن العشرين قراءات مجدّدة للتّصوص الأدبية الكبرى وللأناجيل، تجمع أدوات النقد الأدبيّ والفلسفة والتّحليل النفسيّ والإناسة (الأنثروبولوجيا)، وتتمحور حول موضوعات التضحية وكبش الفداء والمحاكاة غير الواعية، وخصوصاً حول ما يدعوه بمثلث الرغبة أو الرغبة المتوسّطة (بفتح السين المشدّدة): رغبة تلتحق بموضوعها من

خلال رغبة طرفٍ ثالث. هو أُنْعداء برغبة الآخر يمكن أن يقود إلى حالات من التحرر والخلق، أو بالعكس إلى حالات من الاستلاب (الأنسلا ب برغبة الآخر) والتكرار المضني، بل حتى الضياع والموت، إذا لم يوقفها ويحولها، بعد فترة من الزمن تطول أو تقصر، وعي باستلاب هذه الرغبة المتوسّطة أو المنعديّة. قد يبتسم بعض القراء من غير العارفين بمازق الحياة النفسية لمثل هذا الخذلان لرغبة تستمدّ نوابضها (التي ستقودها في الغالب إلى الفشل أو الأزمة) من رغبة كائن آخر. لكنّ جيرار يكشف لنا أنّ جوانب عديدة من حياتنا السياسيّة والدينيّة والأدبيّة تتحكّم بها أوليات الرغبة المثلثة أو المتوسّطة هذه. إنّ الكثير من الإعجاب ببعض القادة أو الزعماء الروحيين أو المتلاعبين بالنفوس أو المشاهير تملّيه رغبة كهذه. ولقد كشف جيرار عن عملها في العديد من الشّخصيات الروائيّة الكبرى، شخوص ثربانتييس ودستويفسكي وفلووير وستندال وبيروست وآخرين، واعتبر عبقرية هؤلاء الكتاب كامنة في كشفهم عن أوليات هذه الرغبة التي خضعوا لها هم أنفسهم في البدء بصورة أو بأخرى وخرجوا منها وعليها. لقد كشفوا عنها بعمق وثناء وتنوّع، فكما في الكثير من ظواهر الحياة النفسية، إذا كان «القانون» الأساس المتحكّم بهذا النمط من الرغبة واحداً، فإنّ كلّ شخص (فعليّ أو روائي) إنّما يعيشه أو يمثّل إليه بشاكلته الخاصّة وضمن إملاءات شرطه الموضوعي ولحظته التاريخيّة وخصوصيّة «المسرح» الذي يتأسّس من علاقته بالموضوع من جهة وبخطاب الأنموذج أو الغاوي أو الوسيط أو السمسار من ناحية أخرى.

يعتبر جيرار أنّ هؤلاء الكتاب ومَن عنيّ مثلهم بهذه الرغبة المتوسّطة أو المداورة إنّما حقّقوا ولادة الفنّ الروائيّ ووجّهوا محطّاته أو أطواره الكبرى بخروجهم من الرؤية الرومنطيقية التي تظلّ أسيرة الوهم والانسحار والانسلا ب، جاهلةً لنفسها ومعتقّلة في سوداويّتها، متلذّذة بها أحياناً. هكذا تحقّقت النقلة التاريخيّة التي لها قيمة تأسيسية من الزمن الرومنطيقيّ *romantique* إلى الزمن الروائيّ *romanesque* (هذا لا يعني أنّه ليس هناك روايات رومنطيقية، لكنّها لن تكون في هذه الحالة روايات بالمعنى الدقيق للمفردة، بل سرداً مطروحاً على عواهنه).

في كتابه «نقد في قبو» (ويلمح القارئ في العنوان الإشارة إلى كتاب دستويفسكي «مذكّرات من القبو»)، يجمع جيرار بضع مقالاتٍ له في دستويفسكي وكامو ودانتي وآخرين، تأتي لتعرّز أطروحته المملّخة أعلاه والتي عبّر عنها وأرسى قواعدها في كتابه الضخم «الكذبة الرومنطيقية والحقيقة الروائيّة» *la vérité et le mensonge romantique*. والحال، فالمقالة المخصّصة لدانتي هي قراءة للأنشودة المكرّسة لحالة عشق فرانشيسكا لحميها ياولو التي قادتهما إلى الجحيم، والتي ما فتئنا نحاول قراءتها. ويتصدّى جيرار فيها لجميع القراءات الرومنطيقية لهذه الأنشودة (قراءات لاحظ بورخيس هو أيضاً، كما رأينا، قصورها ولكنّه فهمّ مقارنة دانتي لهذه الحالة العشقيّة كذهاب إلى ما وراء المنطق، أمّا جيرار فإيرينا منطقاً متحكّماً بها بصرامه). في إعجاب الشّراح بإعجاب دانتي الذي يتوهّمونه محضاً أو خالصاً بحالة هذين العاشقين، يرى جيرار واحديّة وانبهاًراً مفرطين. فما لا يلتفت إليه هؤلاء هو جانب اللعنة أو التورّط المأساويّ في هذه العلاقة. صحيح أنّ العاشقين صاروا «لا فكك لأحدهما من الآخر»، وصحيح أنّهما تقبّلا هذه العلاقة العشقيّة حتى في قلب الجحيم. لكنّ العيش النفسيّ للعلاقة، كلّ علاقة، يقبل بالانطواء على «ثنية» أو «تعقيد» معيّن يترافق فيه الهيام بشعور بالانحدار في هاوية وبعض «أسف» على الوقوع فيها. فكأنّ فرانشيسكا تقول: «نعم، لا

فكك لأحدنا من الآخر، لكن ألم يقذننا هذا العشق إلى هاوية الجحيم؟». وهذا هو ما تقوله نصًا في البيت ما قبل الأخير من سردها لحكايتها، القائل: «ذلك الكتاب ومؤلفه كانا لنا بمثابة غالهو». بيت يتوقّف جيرار عنده طويلًا ويجد فيه شاهدًا بآثًا على هذا الشعور بلعنة وأنعاء بالآخر كان له قوّة قانون. لتذكّر بأنّ فرانتشيسكا ويولو أحسّ بالعشق يضطرم في داخلهما لدى قراءتهما معًا إحدى روايات «الطاولة المستديرة» الفرنسيّة، تسرد كيف أنّ غالهو، رئيس خدم غينييفر، زوجة الملك آرتور، قد أقنع الأخيرة بمحبّة لانسلولها وبعدالة الاستجابة لحبّه. كتب جيرار: «إنّ غالهو هو الفارس الماكر عدو الملك آرتور، الذي بذر في قلب لانسلو وغينييفر بذور العشق. وما تؤكّد عليه فرانتشيسكا هو أنّ تلك الرواية نفسها هي التي لعبت في حياتهما هي ويولو دور السمسار الشيطانيّ، دور الوسيط. هذه الفتاة تلعن الكتاب ومؤلفه. ولا يتعلّق الأمر بلفت انتباهنا إلى كاتب معيّن، فدانتى لا يمارس التاريخ الأدبيّ، بل يؤكّد على أنّ كلام أحد ما، مكتوبًا كان أم شفويًا، هو ما يوجي بالرغبة دومًا. وتحمل الرواية المذكورة في مصير فرانتشيسكا مكان الكلمة [الإلهيّة] في الإنجيل الرابع. يصبح كلام الإنسان كلمة شيطانٍ ما إنّ يغتصب في أرواحنا مكان الكلمة الإلهيّة» («نقد في قبو»، ص 179).

يؤكد جيرار أنّ الإيحاء أو الإملاء الشيطانيّ للرغبة يعمل على غفلة من ضحاياه أو بدون علمٍ منهم. سوى أنّ فرانتشيسكا التي تتكلم في القصيدة لم تعد مخدوعة، ولكنّ الموت هو الذي عاد لها بصفاء بصيرتها. أمّا في زمن الوهم وانحدار العلاقة في مجرى الأنعاء أو خضوعها لنفث الشيطان ذاك، فإنّ فرانتشيسكا ويولو «لا يحقّقان أبدًا، ولا حتّى على الصعيد الإنسانيّ، ضربًا من هذا الانطواء الثنائيّ [عزلة الاثنين الذي يشكّل خصيصة الهوى المطلق: فالآخر، أي الكتاب أو الأنموذج، إنّما هو حاضر منذ البداية: إنّهُ مقيم في أصل المشروع الانطويّ. وإنّ القارئ الرومنطقيّ أو هذا الذي يقيم قراءته على الفردانيّة لا يفطن إلى دور المحاكاة الكتبيّة، وذلك بالذات لأنّه هو الآخر يؤمن بالهوى المطلق. وإذا ما أنت لفتّ انتباهه إلى الكتاب الأجابك بأنّ هذا تفصيل لا أهميّة له. ففي اعتقاده لا تفعل القراءة سوى أنّ تكشف عن رغبة قائمة من قبل. إلّا أنّ دانتى يهب هذا «التفصيل» بروزًا يحيل صمت النقاد أو الشراح المعاصرين حوله أكثر إثارة. فجميع التأويلات التي تُهوّن من دور الكتاب [الوسيط] إنّما تكنسها كنسًا خاتمة فرانتشيسكا لحكايتها: "ذلك الكتاب ومؤلفه كانا لنا بمثابة غالهو"» (ص 178).

- **مغامرة عوليس المجهولة:** في شطر واسع من الأنشودة السادسة والعشرين من «الجحيم» يصف دانتى المغامرة النهائيّة لعوليس (أوديسيوس)، وفي الأنشودة السابعة والعشرين من الفردوس ينعتها ب. «المغامرة المجنونة». هي نهاية لعوليس بيتكرها دانتى ويفارق بها نهايته الظافرة المعروفة. ففي الملحمة الهوميروسيّة يقهر عوليس مع حفنة من رجاله جميع المصاعب والأهوال ويعود لينهي أيامه في وطنه الأصليّ، صحبة بنلوي الوفيّة وكلبه الوفيّ وابنه الذي صار في عداد الرجال. في أنشودة دانتى، نرى إليه وهو يعاوده من جديد «هوس» المغامرة ومحبّة الاكتشاف، فيعاود الإبحار مع القلّة الباقية من رجاله، وقد شاخوا جميعًا مثله. يلهبهم بخطابه ويدعوهم إلى اكتشاف العالم غير المسكون. فيمخرون عباب البحر من جديد بما بقي لهم من قوّة. وعند مضيق جبل طارق، يبصرون التخم الذي كان هرقل قد وضع فيه علامتين تدلّان على آخر نقطة يمكن أنّ يبلغها الإنسان ولا يجوز له الذهاب أبعد منها. وإذ يواصلون الإبحار تهبّ عاصفة

هوجاء وتبتلعهم في مركبهم. في محاضرته رحلة عوليس الأخيرة» (ضمن «تسع محاضرات في دانتي» يُعلمنا بورخيس أن باحثين عديدين حاولوا الإبانة عن الفارق بين مغامرة عوليس البحرية الجديدة التي «توجهها» الخسران ومغامرة دانتي الشعرية التي لا تقل عنها جرأة والتي كللها الظفر.

فها هو كارلو شتاينر يكتب: «ألم يفكر دانتي بنفسه إزاء عوليس ذلك الذي يغرق أمام الشاطئ المحرّم اجتيازه؟ بلى، طبعًا. سوى أنّ عوليس كان يريد بلوغه واثقًا بقوّته الشخصية ومتحدّيًا الحدود المفروضة على المشاريع البشرية. أما دانت، عوليس الجديد هذا، فسيطأ ذلك الشاطئ ظافرًا، وقد تحرّم بالتواضع، ولن تقوده خيلاؤه بل العقل المضاء بالإيمان» (يذكره بورخيس، ص 39). أوغست رويغ يكتب بدوره:

«يندفع عوليس مخاطرًا في مغامرات غير ذات يقين. أمّا دانتي فيجعل قوى عليا تهديه» (ص 40). هذه القوى تتمثل بالطبع في فرجيليو الذي يرمز عنده إلى الحكمة والعقل (وكان القدماء يدعون فرجيليو ب. «الحكيم»)، وبياتريشي التي ترمز إلى الإيمان أو اللاهوت والتي تهديه من أوّل العمل حتى آخره (هي من تبعث له بفرجيليو ليرافقه في «الجحيم» وأغلب «المطهر» ومن ستكون مرشدته في «الفردوس»). أضفّ جده الأعلى كاتشاغويدا الذي يقابل دانتي روحه في السماء والذي يُساعده في استجلاء رسالته الأرضية الشعرية ويقهر فيه مخاوفه وعزوفه عن الكلام.

هذه المقاربات تظلّ في نظر بورخيس غير كافية ولا مقنعة. فعوليس ما هو إلّا موضوع المغامرة التي يرونها سواه ولا يتمثل فعله المرويّ إلّا في السّفر. أمّا موضوع دانتي الحقيقيّ أو مشروعه الحقّ فلا يتمثل في الرّحلة بل في تأليف كتاب. وهنا تتجلّى لنا مخاطر عديدة وجسيمة. فكما يذكّرنا به بورخيس في محاضرته هذه، كان دانتي، في جانب أساسيّ من شخصيته، مندنيًا أو مؤمنًا. ولا بدّ أنّ طبيعة عمله الشعريّ هذا بدت له في لحظات عديدة محفوفة بالمخاطر وقائلة شأنها شأن رحلة عوليس الخيالية الأخيرة. لقد تجرّأ على تشخيص أسرار لا يكاد يراع «الروح القدس» أنّ يلمسها لمسًا. كما جرؤ على وضع محبوبته بياتريشي يورتيناري على قدم المساواة مع مريم ويسوع. وتجاسر على الاستباق إلى بنود الحكم الإلهيّ التي يجهلها حتى القديسون والطوباويّون. وحاكم وأدان بابوات كانوا يتاجرون برفات القديسين وأشياء العبادة وأنقذ من النّار سيجيري الرّشديّ الهوى (نسبة إلى ابن رشد) والذي قال بنظرية الزمن الحلقّيّ فحكم عليه معاصروه بالهرطقة. وهذا كلّ يطبع دانتي الشاعر بالتردد والرغبة في الارتداد على عقبيه. يلاحظ قارئ «الجحيم» المراتّ العديدة التي يتردد فيها دانتي المسافر في مواصلة التقدّم، بحجة خور قواه وهول ما يُشاهد. وكان فرجيليو هو من يبّد هذه المخاوف كلّ مرّة. وفي أحد الأبيات البالغة التأثير، يقول دانتي لفرجيليو: «إمتحن يا أستاذي قواي قبل أن تبعثني في هذا الشوط المرير». وقد كتب شتاينر أنّ «هذا الجدل مع فرجيليو لا بدّ أنّ يكون دانتي عاشه في ذهنه قبل أن يؤلّف قصيدته». وهو يستعيد هذا الجدل في الأنشودة السابعة عشرة من «الفردوس» مع سلفه كاتشاغويدا الذي يحثّه على الكلام فور عودته إلى الأرض، أي على «نشر قصيدته». فالسؤال، كما كتب كارلو شتاينر، كان يطرح نفسه: «هل سينشر دانتي عمله ما إن يكتمل، ويواجه غضب أعدائه؟ إنّ وعية بأهمية العمل وعلو المهمة التي رسمها لنفسه انتصرا في الحاليتين»، يقصد في حالتي التردد اللتين داهمتاه، مرّة في «الجحيم» وثانية في «الفردوس» (بذكره بورخيس، ص 42).

ملاحظة أخيرة: إنّ جانب الخرق المعرفيّ في مغامرة عوليس، الذي يجعل منها كناية عن الخرق



الممارس من قبل دانتي نفسه تجاه المعرفة الكاثوليكية، كامن أيضًا في ما يذكرنا به الكاتب الأرجنتيني هيكتور بيانتشوتي في مقالة له عن شغف بورخيس بدانتي: ففي العصر الوسيط كان البحر بشكل لدى قراء الأدب استعارة كافية للدلالة على الثقافة والمجهول والمعرفة المحرمة. ولنتذكر أننا عندما نريد في العربية الإشارة إلى توسع إنسان في العلم فنحن نتكلم عن «تبخره». وكما أثبتته دريدا في مواجهة كارهي المجازات في لغة الفكر، فلا تقوم اللغة بعامة على المعاني الحقيقية بقدر ما على المعاني المجازية. وغالبًا ما يكون المعنى الحقيقي نفسه مجازًا عن مجاز.

- **لغز الكونت أوغولينو:** بين أمثلة هذا التراوح الدانتي بين الإدانة والتعاطف أو الرأفة، تقف حالة أخرى شهيرة ولها أساس تاريخي، شأنها شأن حكاية العاشقين الأنفة الذكر. إنها حكاية الكونت (الكونده) أوغولينو اليبزي (نسبة إلى مدينة ييزه). حكاية يخصها دانتي بالأبيات الأخيرة من الأنشودة الثانية والثلاثين وبكامل الأنشودة الثالثة والثلاثين من «الجحيم». الكونت يعتقله أحد خصومه هو وأولاده الثلاثة في حصن ويسمّر عليهم بابه ويكفّ عن إطعامهم. يتضور الأبناء جوعًا، وعندما يرون إلى أبيهم وهو يلوي يده من الألم، يعرضون عليه أن يأكل من أجسادهم: «أنت أعطيتنا غطاء الجلد هذا، فلتنضبه الآن عنا». ثم يموت الأبناء واحدًا واحدًا من جرّاء الجوع. عند هذا الحدّ من الحكاية، تندّد عن الكونت هذه العبارة الغامضة: «ثم كان الجوع أقدر من الألم». تصريح أسال أنها را من الحبر. فتساءل بعض الشراح: أيعقل أن يكون التهمّ لحم أبنائه الميتين، أم تراه يقصد أن الجوع أضّر به أكثر ممّا فعل الألم؟ وأمام هذه السيول من التساؤلات والتخمينات التي لا طائل معها، تأتي وجهة نظر بورخيس في محاضرته «مشكلة أوغولينو الزائفة» ثاقبة وتمسّ في الصميم جوهر الكتابة الشعرية وكتابة دانتي نفسه. فلا يهتمّ في رأيه أن نعرف إذا كان أوغولينو دلاً جيرارديسكا قد التهم اللحم البشري، لحم أبنائه، في مطلع شباط 1289 ذاك أم لا، وعلى أية حال فهذه المشكلة التاريخية لا يمكن، لغياب الشهود، أن تجد جوابًا أو حلًا. خلّاقًا للمشكل الجمالي والأدبي. فما أرادته دانتي في نظر بورخيس هو لا أن نفكر بأن الكونت التهمّ لحم أبنائه، بل أن نظنّ بذلك محض ظنّ. ذلك أن «انعدام اليقين يشكّل جزءًا من تصميمه [الشعري]» (ص 32).

ويستعيد بورخيس مقولة روبرت لويس ستيفنسن في أنّ شخوص كلّ كتاب إنّما هي سلسلة من الكلمات. روبنسن كروسو ودون كيخوته، بل حتّى شخوص تاريخية كالكسندر الكبير، إنّ هم إلّا كلمات. ويمكن القول عن أوغولينو في نظره إنّه نسيج لفظي من ثلاثين ثلاثية («ستروفات» دانتي أو مقاطع أنشوداته الواقع كلّ منها في ثلاثة أبيات)؛ فهل نستنتج من هذا النسيج اللفظي مفهوم أكل لحم البشر؟ ينبغي بالعكس أن يخامرنا بإزائه ظنّ أو تخمين وجل وغير ذي يقين. ثم إنّ بورخيس يذكرنا بأنّ رفض مسخية أوغولينو هذه أو تأكيدها يظلّان من الناحية الشعرية أقل رهبة من مجرد الظنّ بها. وعلى هذه الشاكلة يختتم بورخيس: «نلاحظ في الزمن الفعليّ، التاريخي، أنّه كلّما اضطرّ أحد إلى الاختيار بين مخارج عديدة، فهو يختار أحدها ويُقصي البقية أو يخسرهما. لا يكون الأمر نفسه في الزمن الملبس أو الغامض للفنّ، الذي يظلّ شبيهًا بزمن الرجاء أو زمن النسيان. في مثل هذا الزمن كان هاملت صاحبًا ومجنونًا في آن معًا. وفي غياهب «برج الجوع» [الاسم الذي أطلق فيما بعد على الحصين الذي اعتقل فيه الكونت وأبناؤه]، يلتهم أوغولينو الأجداث العزيزة عليه ولا يلتهمها. وهذا الغياب المتأرجح للتشخيص، هذا الانعدام لليقين هو المادّة العجيبة المصنوعة منها شخصيته. هكذا حلّم به دانتي في احتضارين ممكنين، وهكذا

ستحلم به الأجيال القادمة» (ص 34).

- **فن المسوخ وبراعة التحولات:** ترينا ريسيه عملاً للتحويل مزدوجاً يمارسه دانتي على المسوخ أو الوحوش العاملة في «الجحيم» المستعار أغلبها من مصادر وثنية أو كلاسيكية ومسيحية. تحويل وإثراء نكون معه بعيدين جداً عن التصورات القروسطية للجحيم التي نرى فيها إلى شياطين سود الوجوه والأجسام ولهم أجنحة خفافيش وهم يمارسون تعذيب الخاطئين، هذه الصورة الصينية الأصل التي هيمنت على التصور المسيحي فيما بعد. نقابل لدى دانتي وجوهاً تعمل دائماً في فريق، وهي في الغالب من أصل وثني، نجدتها في صورها الأولى البسيطة لدى فرجيليو وأحياناً لدى أوفيدوس، وقد أعاد دانتي «عجنتها» وصياغتها. فكما فعل مع مينوس وپلوتون، فهو يعاملها جميعاً كمسوخ وليس كآلهة سفلية أو جحيمية. لا هذا فقط، بل في الوقت نفسه الذي جرّدها فيه من ألوهيتها، هوذا يجرّدها من استقلالها أيضاً.

فهي لم تعد تمثل قوى منفصلة وفالته من كل سيطرة كما في الأدب القديم، بل صارت تشكل مخلوقات مستخدمة، «جملة موظفين في عالم يمثّل غصباً عنه لنواميس إله كانوا هم قد تمرّدوا عليه عبثاً» (ريسية، ص 129).

هناك أولاً الوحوش الثلاثة التي نقابلها في بداية «الجحيم»، الفهدة والأسد والذئبة، وهي وحوش مرئية كأنما في الحلم. ومنذ البداية يقابلها أو يتعارض معها «السلوقي»، رمز المخلص المنتظر. في هذا الطباق أو هذه الموازنة الضدية، ترى ريسيه أوالية إبداعية هامة بفضلها يفلت دانتي من فخ زج الحيوانات في صورة أحادية وسلبية. وهذا التعقيد الضروري وهذا الإثراء بالسّمات والوظائف نجدهما أحياناً في معالجة دانتي لشخصية بذاتها. «مينوس» مثلاً الذي يمثّل في الأدب القديم قاضي الجحيم، والذي يضطلع لدى دانتي بالدور نفسه، ولكن بعدما صار مزدوجاً بذيل ضخم يلفّه بقدر عدد الحلقات التي يجب أن ينزل إليها المعاقب المحكوم عليه.

ينشأ رعب دانتي المتفرّج أو زائر الجحيم ورعبنا نحن القراء في نظر ريسيه من هذا «الترائب» للحيوانية المسعورة والجمود الصارم في وظيفة قاضي الجحيم. وهي تتحدّث هنا عن تخريب أو تشويش للعلامات معمم ويخترق كامل هذا النشيد. فلا شيء بقي منسجماً، وفداحة تيه الإنسان تعرب عنها رموز متناقضة عن قصد.

پلوتون، مثلاً، الذي هو في الأدب القديم ملك الجحيم وإله الثروة، مختزل هنا إلى حارس للحلقة الرابعة ويتكلم برطانة غير مفهومة («پاپي ساتان پاپي ساتان أليبي..»)، أي بالتالي بلغة مجافية للطبيعة ما دام جوهر اللغة الطبيعية قائماً على التواصل (ص 130). وهو الآخر مطبوع بصفة الحيوانية، إذ يدعو فرجيليو بـ«الذئب الرجيم». وعليه، فريسيه تجد في الامتساخ الحيواني والامتثال الوظيفي والعتامة (أو انعدام التواصل) السمات الكبرى الثلاث الجديدة لهذه الوجوه القديمة المحوّلة إلى مستخدمين «بسطاء» في نظام العدالة المعمول به في الجحيم. وعلى النحو ذاته، يُنعت العماليق أو مردة الميثولوجيا والعهد القديم بـ«دناصر الإنسانية» الذين تعبت الطبيعة لحسن الحظ من «إنتاج أمثالهم».

والوحوش أو المسوخ العاملة في مجموعات أو فرق، الجنّيات مثلاً أو القناطس جمع «قنطروس»، كائنات أسطورية بجسم حصان ورأس إنسان) تمتاز بدورها بحركية مسعورة ومفرطة وفي الألوان

ذاته غبية. إنَّ المعنى، حتّى هذا الذي كانت في الأزمنة القديمة تستمدّه من طبيعتها المزدوجة، يفلت من قبضتها دون انقطاع (ص 130).

وكذلك هو أمر الشياطين المشرفين على التعذيب في مستنقع القطران الحامي، والذين ينقل دانتي بعض كلماتهم النابية ويهبهم ألقابًا بشرية وحيوانية ساخرة، من «الأصهب» إلى «كبير النابين» فـ«العفريت» فسواها. وعليه، فإنّ مخيِّلة دانتي اللفظية أو اللسانية تأتي هنا لتسعف مخيِّلته التصويرية والفرنطاسية، وذلك بممارستها الابتكار على مستويي التجريب اللغوي وتوظيف «بذاءة» الخطاب (نفس الصفحة). توظيف يمارسه دانتي عندما يستلزم المقام ذلك، هو الذي يظلّ رفيع اللهجة في المقامات الأخرى، أي غالبًا.

ويتخذ هذا التسخير الذي تخضع له الوجوه العاملة أو «الخادمة» في الجحيم معناه الحزفيّ أحيانًا. فها هو العملاق الأسطوريّ أنتيوس والحصان الخرافيّ جيروني يشكّلان «واسطة نقل» لكلّ من دانتي وفرجيليو في أرجاء العالم السفليّ: أنتيوس يخرجهما على قبضته العملاقة من قلب الهاوية، وعلى ظهر جيروني يصلان إلى قاع الجحيم. كما تضطلع بعض هذه الوجوه بوظيفة أمثولية أو أليغورية (وجه أو سلوك يرمزان إلى حقيقة يمكن قراءتها عبرهما، كما في «أمثال» المسيح في «العهد الجديد»). المثالان البارزان على هذه الوظيفة الأمثولية - الشعرية هما «الشيخ الكريتي» وميدوزا. صورة الشيخ مستعارة من سفر دانيال في «العهد القديم» وتستعيد ما رآه في منامه نبوخذ نصر (كائن رأسه من الذهب وذراعه وصدرة من الفضة وجذعه من النحاس وساقاه من الحديد، إلّا قدمه اليمنى فمن خزف الفخار). وقد طوّر دانتي هذا الوجه، فجعل جميع أجزاء جسده (خلا الذهبيّ) مشققة بحيث تسيل منها دموع تشكّل باجتماعها أنهار الجحيم الثلاثة. ولقد رأى فيه الشراح، أوّلًا، وعبر ارتباطه بحلم نبوخذنصر، رمزًا للعجب أو الغطرسة كخطيئة كبرى وباعث لتدهور الإنسانية. وثانيًا، وبالارتباط بتفسير دانيال للحلم نفسه، إشارة من دانتي إلى التدهور المتدرّج للتاريخ البشريّ وتاريخ الكنيسة، عبر الترتيب التنازليّ للمعادن المذكورة من حيث قيمتها ونفاستها.

أمّا ميدوزا الأسطورية التي تحجّر كلّ من تصطدم نظرتة بنظرتها، فتدلّ على الشكّ المحجّر والشالّ للقدرات. ولذا فأنّت ترى إلى فرجيليو، هذا المعلم الصادق والعارف بمخاطر التجربة وأطوار نموّ الحسّاسية الشعرية والكيانية، وهو يخفي عينيّ دانتي بيديه حتّى لا تلاقي نظرات تلميذه نظرات ميدوزا. في «المطهر»، سنرى إليه وهو يسمح لدانتي برؤية ما هو أخطر وأفظع: إشارة منه إلى أنّ دانتي صار قادرًا على مواجهة ما تدعوه ريسه مستلهمة جاك لاكان بـ«الواقع الأخير» أو «أقصى الواقع» (وسنعود إلى هذا في حينه).

وكعلامة على تلاحم الرؤية الدانتية وتماسك الفلسفة الضمنية التي تُشرف على بناء «منظومة العقوبات» هذه، تذكّرنا ريسه (ص 131) بأنّ العجب والشكّ هما أيضًا مما يوقف لعب التواصل الحرّ ويجمّد العلامات. وعليه فلا مدهش في أنّ يكون الثلج، وليس النار، هو ما يشكّل الطبقة السفلى للجحيم. ثلج منشؤه الدموع المنهمرة من مآقي لوسيفير الستّ، والتي تأتي الريح المنبعثة من حركة أجنحته الستّة لتجمدها.

- رؤية دانتي للسّرقة بما هي تشويش للعلامات وإفساد للحياة: في دراسة مجدّدة لعالم

السيمبولوجيا الروسيّ يوري لوتمان Juri Lotman تقرأ أنّ دانتي، في توزيعه للخطاة على مختلف حلقات الجحيم وخنادقها، «يتحرّر من نواميس الكنيسة ومن الآراء السائدة في آنٍ معاً»، ومع ذلك فهو «يتبع منطقاً شديد الصرامة:

فالشيطان في نظره هو هذا الذي يتسبّب بانقطاع تعاقدات اللغة ووفقاتها» («النصّ والسياق»، تذكره ريسيه، ص 132). وتضيف ريسيه معقّبةً: «إنّ فصم الوشائج الأصيلة بين التعبير والمحتوى يظلّ أسوأ من القتل، لأنّه يغتال الحقيقة ولأنّه منبع الكذب في جوهره الجهّمي كلّه. ويعتبر دانتي الأفعال الجائرة أقلّ جسامة من الاستخدام الزائف للعلامات، لأنّ هذا الاستخدام الزائف يدمّر "أسس المجتمع البشريّ بالذات» (نفس الصّفحة).

تذكرنا ريسيه بأنّ العصر الوسيط كان يعتبر «الملك» غير قابل للانفصال عن «الكينونة». ومن هذا المنظار يرينا دانتي أنّ السارق، بجميع أنواع السرقة، إنّما هو متلاعب بالعلامات يفصل الكائن عن ملكه ويشوّهه ويُحيله متعدّداً على التعرّف.

ولذا عاقب دانتي السراق في الحلقة الثامنة بمسح شامل يحولهم فيه إلى أفاعٍ. وهو يعمل هنا بواحد من المبادئ الأساسيّة التي ترتكز عليها منظومته في العقاب، ذلكم هو مبدأ «القياس» أو «المناظرة»: فالعقاب يأتي شبيهاً بالفعل المرتكبة أو مُحيلًا إليها إحالة ماديّة أو رمزيّة، استعاريّة أو كنائيّة. إنّ السراق يفقدون هنا وجههم البشريّ ويصبحون شبيهين بالصّورة الأكثر غرابة وغربة عن صورة الإنسان: صورة الزواحف الخبيثة (ص 132). ومشهد الامتساخ نفسه يصفه دانتي بصورة بالغة التعقيد والثراء درامياً وسينمائياً («السّينما» هي بمعناها الاشتقائيّ كتابة الصورة المتحرّكة):

فالرجل المعاقب لا يتحوّل إلى أفعى، بل يتبادل هو والأفعى أعضاءهما وينشأ منهما كائن أو لا-كائن جديد مزدوج لا يشبه لا الأوّل ولا الثانية في خلقتهما أو جبلّتهما الأصليّة. وهنا نشهد لدى دانتي ولادة لحظة من التحميس الشعريّ-الذاتيّ بعيدة غاية البعد عن العُجب أو النرجسيّة البدائيّة والسطحيّة. لحظة تجعله يؤكّد مبدأ «المنافسة» الشعريّة الخلاقة ويتحدّى سلفيه لوكانوس، صاحب ملحمة «فرساليا»، وأوفيدوس، صاحب كتاب «التحوّلات»، أنّ يكونا فاقا صنيعه في فنّ المسح أو التحويل هذا. وبلغه نقديّة تعمل داخل القصيدة، يبين دانتي عن الفارق في معالجة الامتساخ لديه ولدى كلّ من سلفيه الكبيرين. لنقرأ أوّلاً أبيات التحميس الذاتيّ والخطاب النقديّ «الداخليّ» هذه:

«فليصمّ الآن لوكانوس إذ يتكلّم / عن المسكين سابيلّوس وعن ناسيديوس، / وليصغينّ إلى ما سينطلق من كنانتي أنا.

وليصمتنّ أوفيدوس إذ يستحضر أريتوزا وقدموس، / فلئن كان في شعره حوّل تلك إلى نبع، / وهذا إلى أفعى فأنّ لا أحسده؛ فهو لم يمسح قطّ طبيعتين متواجهتين / بحيث تقدر كلّ من الهياتين / أنّ تُبادل الأخرى مادّتها» («الجحيم»، الأنشودة الخامسة والعشرون).

إنّه يقول إنّ فنّه، بالمقارنة مع فنّ أوفيدوس بخاصّة، يظلّ أكثر تركيبية وأقلّ واحديّة. وإذ يأتي هذا الكلام في السياق الذي يأتي فيه (معاينة مرتكبي السرقة بجميع أنواعها مفهومه كتشويش لحركة الحياة بما هي سريان متواصل للعلامات ضمن احترام عائديّة كلّ شيء إلى كلّ واحد، وبدون الاعتداء «الملكيّة» التي تشكّل من بعض النواحي سمة «كينونيّة»)، فهو يظلّ بعيد الدلالة. بصنيعه

الشعري نفسه، يدلّ دانتى على مبدأ أساسي: لا يمكن أن نبزّصنيع الآخر إلا بصنيع ابتكاريّ آخر يقرّ به ويسمّيه وينزع إلى المضيّ أبعد.

هكذا يكون العقاب مارسَ على الخاطئ العمل نفسه المتضمّن في خطيئته، خطيئة تتمثّل في ما تدعوه ريسيه مستلهمةً لوتمان بـ«تشويش الصّور أو الأشكال وتشويه الكائن. إنّ أعداء العلامات قد مارس على أجساد الخطاة بمرأى من المتفرّج نفسه» (ص134). هذا المتفرّج هو أوّلًا دانتى عينه، الشاعر المسافر عبر الجحيم والذي لا يخفي استمتاعه بالمشهد (في الأنشودة الثلاثين، يحذّره فرجيليو من مغبّة الانسياق إلى «المتعة المتدنيّة» الناجمة عن إطالة الاستماع إلى الشتائم المتبادلة بين الخاطئين. ثمّة للكائن وجوه متدنيّة يليق بالشاعر أن يطبق أمامها عينيه ويصمّ أذنيه حتّى وهو يتوغّل في أغوار الجحيم). والمتفرّج هو أيضًا القارئ نفسه، أي كلّ واحد منّا، والذي يجد نفسه «وهو يجزّب على نفسه الأذى ذاته الذي يتفرّج هو عليه».

وعندما يتعلّق الأمر بقراءة «خالصة» ففي هذا علامة لا على نزعة سادية بل على رغبة في التطهّر والارتقاء تقيم في صلب العمل الدانتى وتشكّل أساسه: «شيئًا فشيئًا يصير القارئ عارفًا بأنّه ما من زائر بريء لهذه المناطق الشيطانية. فعبّر معرفة الأعداء بالأسفل، يتقدّم دانتى بالتدرّج. كان قد نزل درجةً درجةً، وهوذا يتقدّم ويرقى صوب المحور العموديّ الذي يخترق أفقه كلّ» (ريسيه، ص134).

- **النهاية الثلجية ونشاط لوسيفير العقيم:** سبق أن نوّهنا بالدلالة البعيدة للثلج الذي يكتنف قاع الجحيم، والمستعارة صورته، بإقرار ريسيه نفسها، من المخيال الإسلاميّ على الأرجح. ففي هذا الثلج طباق فريد، بالمعنى البلاغيّ للمفردة. فمن جهة، يشكّل نقيضًا لنيران المناطق الأخرى من الجحيم وقطرانها المغليّ (الذي يذكر هو أيضًا بما يُدعى في القرآن بـ«الحميم»)، بحيث يرسم صورة متفاقمة للرعب المسيطر على هذه المنطقة المخصّصة للخونة، وفي أولهم لوسيفير نفسه المقيم فيها والمنتج لثلجها بدموعه، هو الشيطان الذي تمرد على الربّ. ومن جهة ثانية، يشكّل هذا الثلج نقيضًا لحرارة الاقتراب من الله، حرارة إيجابية، نورانية وجذلية، سيبدأ المسافر بالإحساس بها إحساسًا متصاعدًا من خروجه من الجحيم متسلّقًا هو ومرشده شعر فخذى لوسيفير الهائلتين حتّى عبوره أفاريز المطهر وسموات الفردوس المتوالية.

لكنّ التجديد الدانتى بامتياز إنّما يتمثّل في العمل التشكيليّ الذي يمارسه الشاعر على لوسيفير، أي في بنائه الدراميّ والرمزيّ لهذه الشخصية. لوسيفير هو هنا نوع من ثلوث مضادّ (ص140): رؤوسه الثلاثة أحدها أحمر (يرمز للكراهية) والثاني أبيض مصفرّ (يرمز للعجز عن الخلق) والثالث أسود (يرمز للجهالة). وبهذه الرؤوس أو الوجوه الثلاثة يشكّل نقيضًا تامًا للفضائل الرئيسة الثلاث المنبثقة من الثلوث المسيحيّ أو المرتبطة به: الإيمان والمحبة والرجاء. والجانب المتجدّد الآخر يتمثّل في نشاط لوسيفير أو فاعليّته، التي تخصّها ريسيه بصفحة رائعة. فنشاط لوسيفير شبيه بـ«مصنع دائم العمل» (ما يذكرنا بتعبير الفيلسوف الراحل جيل دولوز Gilles Deleuze عن النفسية المعصوبة التي يدعو هو نشاطها بـ«المصنع الأليم»). لا تنفكّ مآقي لوسيفير الستّ تنتج دموعًا هائلة تأتي حركة أجنحته العملاقة الستة الشبيهة بأجنحة الخفافيش لتجمدها فتصنع منها طبقة الجليد الشاسعة التي «تنجد» كالسجاد أو البسط قاع الجحيم. وهذه الحركة غير المنقطعة

هي حركة تكرارية غير منتجة بالمعنى الحق للإنتاج كفاعلية إبداعية. دموع تنشأ من الجسم بصورة غير واعية ولا متحكّم بها بما يرسم البسيكولوجيا الخاصة للملاك الساقط الذي كانه هو (ص 1). هو تحديد للأذى أو الشّرْك «نشاط صناعي بمعنى تكراري ثابت وميت به يشكّل نقيضًا للنشاط الخلاق المرافق للفرح الوليد الذي يوجّه الحيوية الإلهية في الفردوس» (ص 142).

ولا تنتهي دلالات التشكيلة اللوسيفيرية عند هذا الحدّ. فهو يعلك بأشداقه الضخمة أجساد الخونة، وبينهم يهوذا خائن المسيح وكلاً من بروتوس وكاسيوس خائني قيصر. عبر هؤلاء الثلاثة يدين دانتي خيانة الروح الإنجيلية من قبل البابوات المعاصرين له وخيانة الامبراطورية الرومانية من قبل الملوك المتوالين. وهذان الجانبان ضرورة إحياء الكنيسة من جهة والحكم الأمبراطوري من جهة ثانية، بالفصل بين السلطتين الزمنية والروحانية) يندرجان بين النواصب الأساسية لعمله كلّ.

- **استحضار فلورنسة:** يبقى أن نؤكد على الحضور الدائم لمدينة فلورنسة في العمل وذلك إلى درجة تشكّل معها هاجسًا متسلطًا على دانتي. يستحضرها في جميع المراحل والعتبات، ولا ينفك يسأل عنها الخطاة أو يسألونه هم عنها.

وسيلاحظ القارئ كيف أنّ وجه فلورنسة وحضورها الأليم سيرافقه في «المطهر» وكذلك في «الفردوس» حيث سيكتسي الاستحضار وجوهًا أخرى: لن يعود يكتفي بعرض ألم المنفي وسخطه على «شور» المدينة وجحودها، بل سيضيف إليهما حنينًا إلى طفولته فيها ورغبةً في نيل التتويج الشعريّ في المكان نفسه الذي عمّد فيه، وأسفًا على ماضيها الزاهر (واسم فلورنسة نفسه يعني: «الزاهرة»).

وهنا ينبغي التأكيد مع ريسيه وجميع الشّراح على «سرّ» أساسي في كتابة «الكوميديا الإلهية». فقد بدأ دانتي تأليفها في 1304، أي بعد وقوع الأحداث والصراعات السياسية الأليمة التي تسببت بنفيه. ولكنّه يُحلّ زيارته للعالم الآخر في العام 1300، فيضع على لسان مُحاوريه في الجحيم والمطهر والفردوس نبوءات بهذه الأحداث، ما يمكن دعوته في عبارة مفارقة ب. «النبوءة الما بعدية»، أي اللاحقة للحدث نفسه. على هذا النحو، وكما كتبت ريسيه، «يقدر دانتي أن يسرد بصيغة المستقبل أحداثًا عاشها هو، وإنّ هذه الإضاءة النبوية لتُضفي عليها، أي على الأحداث، وهجًا احتفاليًا ومعنى شموليًا كان منظور المعيش الأوتو-بيوغرافي أو منظور السيرة الذاتية سيقلصانها بما لا مفرّ منه» (ص 139).

## ت- قراءة «المطهر»:

سبق أن قلنا إنه لا «المطهر» ولا «الفردوس» نالا التلقّي الجدير بهما بالقياس إلى الذبوع الهائل الذي حظي وما يزال يحظى به نشيد «الجحيم». وذكرنا لهذا أسبابًا. ما ينبغي أن يلاحظه القارئ الآن هو أنّ دانتي، لكتابة «المطهر»، كان عليه أن يؤسس كليًا أو يكاد. فلم يكن لديه من تراث لاهوتيّ ولا شعريّ يمكن استلهامه والتنويع عليه والتناسّ معه كما حصل في «الجحيم». والتأسيس نفسه سنلاحظه في «الفردوس». فقصص المعراج السابقة له، وخصوصًا «أنخطاف» القديس پولس إلى السماء الثالثة، لا تقدّم تفاصيل ذات بال. ولكي يؤسس عالم المطهر هذا ويُنعشه بحركات ودلالات وافية ومتجدّدة، لجأ دانتي إلى عناصر وأوليات ابتكاريّة عديدة أهمّها ما تدعوه ريسيه باستحداث الصور الرمزية أو الشعاريّة باللجوء إلى استخدام يمكن نعتة بالبالغ الحدّثة لعنصرَي الصوت والصورة، وباستخدام للموسيقى سيجد لاحقًا امتداده الباذخ في «الفردوس»، وبحوارات شعريّة ومعرفيّة واستخدام بارع للأحلام مفهومةً كوسيلة للمعرفة (أحلام-رؤى) ولنوع من التكرار الحيويّ والسعيد والتجاويزيّ به يضادّ التكرار العقيم السائد في الجحيم، وأخيرًا بتوظيف مسرحيّ المشاهد دالّة لدى دخوله الفردوس الأرضيّ وملاقة بياتريشي في الأنشودات الأخيرة من «المطهر».

- الشاطئ: يصل فرجيليو ودانتي إلى المظهر مع الفجر. وسرعان ما نحسّ معهما بنوع من الخلاص، صورة أولى عن الخلاص النهائيّ الذي سيناله دانتي لدى ارتياد الفردوس. تحرّر نالاه أخيرًا من عوالم الجحيم المظلمة وعموديتها الأليمة الماضية في جوف الأرض نزلًا. الآن، وفي انتظار عاموديّة أخرى شائقة ولذيذة، عموديّة الصعود المتدرّج في سموات الفردوس، هي ذي تنتشر أفقيّة سعيدة ومُبهِجة، أفقيّة الشاطئ الذي يصلان إليه، والذي يتضادّ، في نموذج آخر من الطبقات المعهودة لدى دانتي، نقول يتضادّ والشاطئ الأوّل الذي أدرك دانتي فيه الضياع في مطلع «الجحيم». وبحقّ تكتب ريسيه أنّ هذه «الأفقيّة الفجرية يُحسّ بها لدى القراءة جسديًا كوصول، وكصورة لكمال مرهف تمّ اللحاق به أخيرًا: فالنجوم وسماء الصباح و"السفير أو الياقوت الشرقي"، هذا كلّ يؤلّف مشهدًا غابت عنه أخيرًا الجاذبيّة [المُعيقَة] واستعيد فيه فرح الألوان بكامله» (ريسيه، ص 143). أمّا والحالة هذه، فلا عجب أن يتّجه تفكير دانتي أوّلًا إلى الشّرق، الحاضر عبر صورة «ياقوت الشرق»، التي ينبغي أن نقرأها هي أيضًا ضمن «انعكاسيّة» خطاب المجاز وخطاب الحقيقة التي عودنا عليها دانتي، والمشار إليها في قراءة «الجحيم». وإذا كان بورخيس يرى في «الشرق» موضع شروق الشّمس وفي الأوان ذاته بلاد الغرابيّة الذي تحنّ إليه النفس الشاعرة، فلنا أن نرى فيه أيضًا شرق القصيدة، لحظة انبلاج اللغة الشعريّة من مجاهل الارتباب والتخبّط والمجهوليّة والوجل والخوف. فهل من محض الصدفة أن يعاجل دانتي على الفور إلى التصريح بأنّ سفينة فكره «ترفع الآن أشرعتها»، تاركَةً وراءها «البحر العارم الهيجان»، ويستنجد برّيات الإلهام لإنهاض «الشعر المائت» من غفوته؟ هكذا يُعاش الوصول إلى شاطئ المطهر ضمن الإحساس بالفضاء المستعاد والمفاجأة برؤية الأفق وهو تسطع فيه الأنجم الأربع المباركة، نجوم القطب الجنوبيّ التي ترمز إلى الفضائل الأربع في تحديد الفلاسفة، والتي هي الحذر والعدل وقوّة النفس والاعتدال (ريسيه، ص 144).

- **سلسلة آباء أو شُفَعاء:** المطهر هو تحديداً الموضوع الوسيط، هذا الذي ينقل الشاعر المسافر من ظلمات الجحيم إلى أنوار الفردوس. أفقه أفق انتظار: فيه يتطهر مَنْ هم في منزلة وسط بين البراءة والإثم، ريثما يلتحقوا بالملأ الأعلى. هو كذلك كناية عن التهمس الخلاق والوساطة الشعرية. ولذا فليس من قبيل الصدفة أن يكون زاخراً باللقاءات مع وجوه تدعوهم ريسيه بالآباء. هناك، أولاً، كاتون، الشيخ الذي انتحر فور سقوط الجمهورية الرومانية على يد قيصر، والذي كان ينبغي أن يذهب من جرّاء انتحاره إلى الجحيم، ولكنّ دانتى يُحلّه في المطهر لأنّ انتحاره جاء رفضاً للعبودية السياسية، ففهمه الشاعر على أنه فعل تحرّريّ. وهو يكتب بالفعل، متذكّراً مقابلته شبحه في «المطهر»، أنه جدير «بالتوقير الذي لا يمحص ابن أباه أكثر منه» (الأنشودة الأولى). وهناك أيضاً، إلى جانب فرجيليو الحاضر عبر أغلب مراحل السير في المطهر، برونيّتو لاتيني، الذي كان دانتى يُعدّه معلّمه الشعريّ في فلورنسة.

وهناك الكلاسيكي ستاسيوس، والمغنيّ كازيلّا، إلخ. لكنّ ينبغي الانتباه إلى إشارة ريسيه الذكيّة: أن دانتى بتعديده وجوه الآباء وصورهم، يُبطل سطوة الأبوة الواحدة ويمنح العلاقة حريّة إضافية. وقد أذهب أبعد وأدعو إلى أن نرى في هؤلاء جميعاً شُفَعاء أكثر منهم آباء. شُفَعاء، أي صور رفاقية متقدّمة في التجربة يلتمس منها دانتى إضاءات تساعده في الاقتراب من مركز بحثه الذي ما برح يفلت من يديه.

- **نظام التطهّرات:** الخطايا مصنّفة هنا بحيث تتناقض في العُظم أو في الجسامة بقدر ما نرقى على جبل المطهر. وكما نبه إليه الشرح، فإذا كان دانتى قد اتّبع في «الجحيم» التقسيم الأرسطيّ للخطايا في ثلاث فئات كبرى تتضمّن تفرّعات وتلاوين، فهو يتبع هنا فكر القديس توماس الأكوينيّ ويعمل بالتقسيم المسيحيّ للخطايا الرئيسة أو الكبائر السبع. ولهذه «النقطة» باعث أساسيّ سنسمّيه بعد وهلة.

ومرّة أخرى نلاحظ مع ريسيه (ص 145) عمل دانتى بالتوازيات والتعارضات (الطباقات) الصارمة والدالّة. يبدأ هذا ببنية المكان. فالمطهر جبل، حيثما تشكّل الجحيم مغارة جوفية. وكما سبق أن رأينا في وصف جغرافية «الكوميديا الإلهية» انطلاقاً من بورخيس، فهو يقع في النصف الآخر من الكرة، في جزيرة كبيرة لها شكل مخروط ناقص، في وسط المحيط الذي يغطّي في التصوّر القديم كامل النصف الجنوبيّ من الأرض. وتصل الأرواح إلى المطهر عند مصبّ النهر، التهر الدالّ على الخلاص، حيثما تصل الأرواح إلى الجحيم عند شاطئ «أكيرون» («أكيرون» بالإيطالية، والكلمة آتية من الميثولوجيا اليونانية)، الدالّ من ناحيته على اللعنة.

وكما احتوت الجحيم دائرة لليمابيس حيث تقبع في انتظار لا عذاب فيه ولا رجاء في رؤية الله أرواح الوثنيين الصالحين وسواهم ممن ماتوا من دون معرفة الإيمان المسيحيّ، فالمطهر يتضمّن مدخلاً (حزفياً: ما قبل- مطهر) يضمّ أربع فئات من «المهملين» أو «المتوانين» ينتظرون التطهّر في أربعة مشارف متدرّجة: أرواح من ماتوا خارج الإيمان وتابوا في اللحظة الأخيرة من حياتهم، فأرواح الكسالى الذين تأخّروا في التوبة هم أيضاً، فأرواح الخاطئين الذين ماتوا ميتة حمراء (ضحية عنف) خفّفت عنهم جرائم آثامهم، وأخيراً الملوك والأمراء الذين كانوا مهمّلين لمهامهم السياسية التي يُعدّها دانتى تكليفاً من الله.



ثم يأتي مدخل المطهر «الفعلي» الذي يحرس بابه ملاك حامل للمفتاحين الموروثين عن القديس بطرس، الذي ورثهما بدوره عن المسيح. يطبع الملاك على جبين دانتي سبع علامات تدلّ على الخطايا السبع تمّحي واحدة واحدة بعد اجتياز كلّ من الأفريز السبعة التي يتورّع عليها الخطاة بحسب خطاياهم. هذه الخطايا مقسّمة انطلاقاً من القاعدة كما يأتي: الغطرسة، فالحسد، فالانقياد للغضب، فالكسل الحزين، فالْبخل، فالنهم فالفجور أو الانقياد لشهوة الجسد. وإذا توجّب وصف نمط كلّ عذاب بعارة واحدة من أجل عدم إفساد متعة قراءة العمل نفسه، فالمتغطرسون يسرون بطيئاً محمّلين بأحجار ثقيلة. والحساد يرتدون ثياباً ثقيلة مبطّنة بالرصاص وقد خطيت أجفانهم بأسلاك فولاذية. والمسعودون أو المنقادون للغضب غاطسون في دخان كثيف. والكسالى الحزاني يركضون بلا توقّف. والبخل وأشباههم المضادّون لهم، أي المثلافون ملتصقون بالتربة موثوق الأيدي والأقدام. والنهمون ضامرون ينهش أحشاءهم جوع وظماً لا يرتويان. والمنقادون لشهوة الجسد مكتنفون بموجات من اللهب ومنقسمون إلى فريقين يسيران في اتجاهين متعاكسين، بحسب انقيادهم إلى شهوة طبيعية أو مجافية للطبيعة. وكما تلفت ريسيه انتباهنا إليه (ص146)، فهذا التوازي البنيويّ شبه الكامل في توزيع الخطايا في كلّ من الجحيم والمطهر (وبلاحظ القارئ في المطهر غياب بعض الخطايا)، إذ هي غير قابلة للاغتفار ولا يمكن التّطهر، منها فيذهب مرتكبوها إلى الجحيم رأساً)، يقابله توازٍ في بعض الشعائر والإجراءات. فكما توقّف فرجيليو في وسط الجحيم ليشرح لتلميذه ترتيب «مدينة العذاب» فهو يتوقّف أيضاً في المطهر مع حلول المساء (عملاً بالقانون الذي يقضي بعدم إمكان السير في المطهر ليلاً) ليشرح له المبادئ التي يقوم عليها بناء المطهر. وهو يفسر له كيف أنّ المحبة (قوة الانجذاب إلى كائن أو شيء أو خصلة معيّنة) هي المنبع المشترك لجميع الفضائل ولجميع الخطايا. والمحبة محبّتان: غريزية واختيارية. الأولى معصومة عن الخطأ، والثانية يمكن أن تخطئ: إمّا بفعل رداءة الموضوع المختار للمحبة أو بإسراف الحميّة الموضوعه فيها، إسرافاً يمكن أن يتّجه نحو الزيادة أو القلّة. في حالة الزيادة، يحبّ المرء الغطرسة أو الحسد أو الانقياد للغضب. وفي حالة النقصان، يمكن أن يحبّ التواني (حالة الكسل المحزون أو المرير *accidia*) أو أن تتشبّث النّفس بممتلكاتها أكثر من اللزوم، فينشأ البخل أو النهم أو الفجور.

- **الصّور والأصوات:** خلافاً لما في الجحيم، يتمتّع العقاب في المطهر بملح مزدوج: لا يتكبّده الخاطئ كعقوبة فحسب، بل ليتطهّر من الإثم ويتهيأ للغبطة الطوباوية التي تنتظره في السماء بعد مدّة التّطهّر التي تطول أو تقصر بحسب فداحة الإثم. للعقوبة إذن دلالة معنوية وهي تضطلع بدور أمثولة أخلاقية (ريسيه، ص 147). ولمزيد من النّجوع المعنويّ والتأسيس الدراميّ والشعريّ يجعل دانتي المتطهّرين يتلقّون عدداً من الأمثولات المتناسبة وطبيعة آثامهم الماضية معروضة عليهم بوسائل وإجراءات فنيّة. فالمتغطرسون مثلاً يرون على الأرض محفورات يصف دانتي طويلاً جمالها وعدم إمكان التمييز بينها وبين مَشاهد حيّة، وعليها صوّر لمواقف رامزة إلى التواضع مستمدّة من التاريخ الدينيّ أو السياسيّ. والحساد يسمعون عبارات تتردّد في الأجواء وتجسّد بدورها أمثلة على المحبة والرأفة والعفو، وهكذا دواليك. وما يميّز هذه الصّور المرئية أو المسموعة هو سرعة ظهورها وإحاحها ومطالبتها بالاستقراء السريع: «بسرعة، بسرعة، قبل أن يفوت الوقت» كما يقول أحد المتطهّرين. وإلى ارتباط السرعة بالحبّ من جهة، وبرغبة الصعود وتجاوز هذا العالم الوسيط

والما-بيني من جهة أخرى، فهو يجد، في نظر ريسيه، تفسيره في «هذه الحمى التي تدفع دانتي وتعرب عن حدة هذه الرؤية التي يسعى إليها» (ص 147).

- **الموسيقى:** على أن الفن الذي يحقق ظهوره لأول مرة في «المطهر»، مُحدثًا القطع اللازم مع جهامة فضاء الجحيم الذي لم يكن المسافرين ليسمعا فيه سوى نواح المعذبين وصراخ الشياطين-الجلادين وحراس مدينة العذاب، هو الموسيقى. تحقق الموسيقى دخولها منذ الأنشودة الثانية. يرى المسافرين نورًا أبيض فارهاً يتقدم في الأفق البحري ويفهمان من بعد أنه بياض جناحي الملاك-النوتي الذي ينقل الأرواح الوافدة إلى جبل المطهر بقاربه السريع. وإذا بالمتطهرين يُنشدون، مملحين إلى مفاهم المؤقت: «عندما خرج شعب إسرائيل من مصر» (من «العهد القديم»). لكن الملاك-النوتي أو الطائر الإلهي سرعان ما يحملهم في قاربه ويتعد الغناء. في الأنشودة نفسها يلتقي المسافرين شبح كازيلا، مغنٍ كان معروفًا في زمن دانتي.

يسأله دانتي أن يسري عن تعبته، كما كان يفعل في حياته، بأن يغني له بصوته الساحر. فيغني كازيلا واحدة من المقطوعات التي كان دانتي كتبها في عهد شبابه:

«يا حبًا في صميم ذاتي يتفكر...» (انظر في عرضنا لـ«الحياة الجديدة» أعلاه توضيح ارتباط الحب بالفاعلية التفكيرية). وما هي إلا هنيهات حتى يأتي الشيخ النبيل كاتون، القيم على مشارف المدخل، ويوبخ الأرواح على كسلها ويطالبها باستعادة نشاطها. هكذا تكون الموسيقى حقت مرتين، وفي لحظتين متقاربتين، ظهورًا مؤقتًا، لا بلا سبب. فالموسيقى، كما كتبت ريسيه، هي كمثل استعجال أو تمهيد للفرح الفردوسي، الذي لم يحن أوانه بعد. كان هذا التمهيد ضروريًا، وسنرى في «الفردوس» كيف تشكل الموسيقى، هي والتشكلات النورانية، أو احتفالات النور والصوت، عنصرًا ملازمًا لتأمل الله. هناك، لن يكون من ملاك-نوتي يستعجل الأرواح بالعبور ولا من كاتون يعنفها على تراخيها وتباطؤها. تنطبع الموسيقى في الروح برقة أثرية وتمارس، شأنها شأن التأمل الروحاني، أثرًا منعشًا على الذاكرة:

«يتمارس كل من الموسيقى والتأمل الصوفي فعلهما على الذاكرة بقوة لا تُضاهي لأنهما يشكّلان، بالذات، نسيانًا. هو نسيان جذري لكل ما هو هموم وحبكة متلاحمة ونسيج للفكر: في هذا النسيج يُحدثان، أي الموسيقى والتأمل، ثغرة إعجازية، مُنعشة ولها طاقة تجديدية لا تدانيها طاقة أخرى» (ريسيه، ص 149-150).

- **الأحلام:** سبق أن قلنا إن الأحلام عنصر أساسي من عناصر الرؤية أو الشعرية الدانتية. إنها تمدّ بوسيلة للمعرفة القادمة وتسلط ضوءًا على الماضي، واهبة الشاعر «مقياسًا» لأطوار تقدمه الروحي والكشفي. ويحقق دانتي على امتداد ارتقائه المطهر ثلاثة أحلام بعيدة الدلالة. والأحلام الثلاثة يحققها دانتي في الفجر، «اللحظة التي تكون فيها الأحلام على أصدق ما يكون» في عرف أهل العصر الوسيط كما تذكّرنا به ريسيه. دعونا نسرّد الأحلام الثلاثة بوجازة، ونعرض التفسيرات المطروحة عنها بالتلاؤم مع تصوّرات دانتي والطور الذي نحن بإزائه من تطور عمله.

الحلم الأول (الأنشودة التاسعة)، يراه دانتي قبيل دخوله إلى المطهر الفعلي عبر الباب المحروس من قبل الملاك، وكانت قد أخذته غفوة قصيرة. يري دانتي نسرًا ذهبي الرياش يختطفه ثم يحترق الاثنان وسط شعل متأججة. رؤية تمهد لاختراق جدار النار الذي يفصل بينه وبين بياتريشي في

نهاية المطهر، ولطيرانه في الفردوس من سماء إلى أخرى محاطًا بأرواح الطوباويين المرتسمة كلٍ منها في شعلة. ولما كانت زيارة العالم الآخر كله هذه تحدث في أيام قليلة، فإن ريسيه ترى في الأحلام المتواصلة وسيلة لـ «تمطيط» الحكاية وفرض زمن آخر متباطئ ومنفصل هو زمن الحواسّ والعالم الحميم. وذلك بالإضافة إلى ما في هذا التّرصيع لنهاية الرحلة في بدايتها أو وسطها، ولو تلميحًا و«على الطائر»، من مزايا تشويقية وتحميسية (ريسيه، ص 152).

الحلم الثاني (الأنشودة التاسعة عشرة) يظلّ أكثر رهبةً وكشفًا. فيه تتراءى لدانتي امرأة قبيحة تزداد جمالًا بقدر ما ينظر إليها الحالم وبفعل نظرتة بالذات.

تشرع المرأة بغوايته كما تفعل النداهات أو حوريات البحر أمام عوليس وملاحيه، لا سيّما وأنّها تغني مثلهنّ. ولكنّ سيّدة غير مشخصة تبدو عليها ملامح القداسة تقترب وتنادي فرجيليو الذي يسارع إلى إنقاذ تلميذه، فيرفع المرأة الغاوية ويشقّ النّقب عنها ويُري دانتي بطنها الحافل بالعفونة.

الحلم الثالث (الأنشودة السابعة والعشرين)، يمتاز بعذوبة وصفاء أكبر. فيه يرى دانتي فتاتين، واحدة تقطف الأزهار وتشكّل منها باقة، والثانية ثابتة أمام مرآتها تتأمّل صورتها. الأولى اسمها ليئة والثانية راحيل (باسم امرأتَي يعقوب النبي).

أولاهما ترمز لاهوتيًا للحياة الفاعلة أو النشيطة (ليئة) والثانية للحياة الخاملة أو التأملية (راحيل). وبدل أن يؤكّد دانتي على تضادّهما، تراه يشدّد على تشابههما وتكاملهما، فكأنّهما تمثّلان المبدئين المتعاضدين للحياة الشعريّة أو الحياة بعامة كما يفهمها هو.

تلاحظ ريسيه تضمّن الأحلام الثلاثة على شحنة جنسية عالية، لاهية تارةً (معانقة النسر، لا سيّما وأنه مؤنث في الإيطالية aguglia)، وصافية ومطبوعة بالجنائية تارةً أخرى (الفتاة قاطفة الزهر وأختها التي تتأمّل صورتها في المرأة)، ومتجاذبة بين افتتان ونفور في الحلم الأخير (حلم النداهة). هذا الحلم الثاني يستدعي في عنفه وقفة إضافية إذ يظلّ حافلًا أكثر من سابقه بدلالات عميقة ومتعارضة. لقد وضعت فيه ريسيه صفحة بارعة من النقد التحليلي-النفسي، بالرجوع إلى دراسة لجاك لاكان Jacques Lacan عن حلم فرويد المعروف بـ «حلم حقنة إيرما» وعن تفسير فرويد لحلمه نفسه. إنّ عنف هذه الرؤية للداخل الأنثوي وما تتسبّب به من نفور يوقظ النائم يحيلان في نظر ريسيه إلى ما يدعوه لاكان بالواقع الأخير أو أقصى الواقع Le dernier réel. في ليلة 23 على 24 تمّوز 1895 يرى فرويد في ما يرى النائم جوف حلق إيرما (فتاة كانت تتطبّب عنده)، فيفزع منه. وسيكتب لزميله المحلّل النفسي فليسي Fliess بعد أيام أنّه بفضل هذا الحلم توصل إلى استكناه المنطق أو «النحو» النفسي للأحلام. فزع كان له، إذن، قيمة كشف. وتجد ضمن ما كتب لاكان بهذا الصدد هذه السطور التي يمكن تطبيقها بحذافيرها على حالة حلم دانتي بالنداهة: «إنّ هنا لاكتشافًا مربعًا، اكتشاف اللحم الذي لا نراه أبدًا، غور الأشياء، مقلوب الوجه... اللحم الذي يصدر عنه كلّ شيء، في أعماق السرّ، اللحم بما هو عرضة للمعانة، وبما هو هلامي (بلا شكل)، ومن حيث يمثّل شكله نفسه شيئًا باعًا على القلق، الكشف الأقصى لـ «هذا هو أنت» - أنت هذا الذي يقبع في أقصى ما فيك، والذي هو بلا شكل» (تذكره ريسيه، ص 154).

إنّ لاكان ليفجّر قراءة هذا الحلم حقًا ويفتح هاوية الجنس على كلّ ما تنطوي عليه من أبعاد باطنية

وميتافيزيقية. وفي حالة دانتي نفسه، وانطلاقاً من هذا الكشف الذي يميّط اللثام لا عن هاوية الجنس وحده بل عن عتامة الكائن نفسها وظلام غور الأشياء، يمكن القول إنّ جنس المرأة إنّما يشكّل هنا كناية عن محور التجربة بعامة. محور بدأ دانتي يتلمّسه ببصيرة أنفذ ووعي أشدّ، الآن حيث جاوز منتصف تجربته بقليل (نحن في الأنشودة التاسعة عشرة من «المطهر»، أي في الأنشودة الثالثة والخمسين من العمل الكليّ الذي يضمّ مائة أنشودة). وعليه، فيظلّ عميق الدلالة ما تدكرنا به ريسيه من سلوك فرجيليو في حلم دانتي هذا. نتدكر أنّه أطبق في «الجحيم» بيديه على عينيّ دانتي حتّى لا يعاين ميدوزا وجهًا لوجه فيتحدّر. الآن يكشف له بنفسه عن العفونة ويدعوه إلى تأملها. فكأنّه يقول لتلميذه إنّه، في هذا الطّور من تجربته أو عبوره، صار في مقدوره أن يحدّق مواجهةً بما يدعوه لكان بأقصى الواقع أو الواقع الأخير، أو ما يدعوه جورج باتاي Georges Bataille بـ «المحرّم المشؤوم». وكما كتبت ريسيه، ف«في هذه النقطة المحورية من «الكوميديا» لمسّ مركز التجربة المتعدّر على التسمية، والرجل الذي لمسّه سيجهد من الآن فصاعدًا في بلوغ القطب الآخر، قطب الرؤية الجدلية، ذلك القطب الذي سيكتسب فيه ما لا يُسمّى معنى آخر» (ص 155).

- **تكرار تطهيريّ وإشفائيّ:** خلافاً لما نشاهد في الجحيم من تكرار عقيم لا إبداع فيه ولا إنتاج بالمعنى الحقيقيّ للكلمة (دموع لوسيفير وحركات الجنّيات والقناتس المسعورة وعديمة المعنى)، يمثّل المطهر مسرحًا للتكرار الفعّال والتحويليّ.

وهنا تضع ريسيه إصبعها على ما قد يشكّل سرّ لجوء دانتي إلى تقسيم جديد للخطايا. كان في «الجحيم» قد اتّبع تقسيمًا للخطايا أرسطيًا، ثابتًا ولا يقبل الزحزحة. في «المطهر» يتبع تقسيمًا للخطايا يربطها على الفور بالأفق المسيحيّ للافتداء والاعتذار، أي لإمكان تجاوزها (ص 156). وإذا كان التكرار في الجحيم يتّصف كما ذكرنا بالعقم والاستعادة غير المتناهية، فهو يتّخذ في المطهر ملمح «تمثّل (بالمعنى المسرحيّ للكلمة) تلقينيّ وتعزيميّ» (نفس الصفحة).

هذا التكرار يجد مثاله الرئيس في ظهور الأفعى، الأفعى القديمة رمز الغواية، كلّ مساء، وملاحقتها من قبل ملاكين يُبعدانها. ملاكان أخضران، على حين تدكرنا ريسيه بغياب اللون الأخضر في الجحيم، لأنّ الرجاء غائب عنها. كما يمكن أن نفهم نشاط المتطهّرين أو أداءهم للعقوبات نفسه كتكرار محكوم عليه لا بانعدام النهاية كما في الجحيم، بل هو محصور بأمد تنفتح لهم بعده أبواب السماء. وهذا هو ما يفسّر السكينة التي تطبعهم جميعًا، واستعجالهم الواضح للاضطلاع بعقوباتهم أو أعبائهم التطهّرية («بسرعة، بسرعة، قبل أن يفوت الوقت»). هي، إجمالاً، السكينة التي تميّز كلّ عالم وسيط وكلّ تجربة ما-بينية.

- **الشعر، الحبّ، تخلّق الكائنات:** لما كان المطهر هو هذا الموضع الوسيط الذي يحقّق فيه ظهورهم كلّ من الموسيقى والحلم الفاعل والإيقاع والشعائر ومختلف أنماط التمثّل التلقينيّ والتطهيريّ، فمن الطبيعيّ أن يكون أيضًا الموضع الذي تنعقد فيه محاورات حول الشعر. وفي المطهر يحقّق دانتي بالفعل أكبر قدر من اللقاءات مع شعراء العصرين الكلاسيكيّ والوسيط (بمن فيهم معاصروه ورؤّاده). يلتقي تباغًا المغنيّ كازيلا وشاعر التروبادور سورديلو والكلاسيكيّ ستاسيوس. وفي الأنشودة الحادية والعشرين يعترف ستاسيوس لفرجيليو بأنّ نبوءة الأخير بظهور

مخلص للأرض هي التي دفعته إلى اعتناق المسيحية (ولو سرًا في البداية). وفي بداية اللقاء، يجعل دانتي شبح الشاعر ستاسيوس يهّم، وقد عرف فرجيليو، بتقبيله قبل أن يتذكّر شرطيهما كشبحين. والمهمّ هنا هو أنّ ستاسيوس ينعث سلفه الكبير فرجيليو بأنّه كان كمثّل الحامل على ظهره مشعلًا يُنير للسائرين بعده في حين يسير هو في الظلمات. وقد اعتُبر هذا أفضل تعريف لعظمة فرجيليو ومأساته في آنٍ معًا.

وسيطّل ستاسيوس حاضرًا حتّى نهاية المطهر لأنّه أنهى تطهّره وتهيّأ للصعود إلى السماء. بعد ذلك يلتقيان بوناجونتو اللوكي، وهو مقلدّ للتروبادور يستنطق دانتي عن «سرّ» طريقة «الأسلوب العذب الجديد» الذي تزعمه دانتي وصديقه كالفالكانتي وآخرون. فيجيبه دانتي بأنّه يكتب «بإملاء من الحبّ»، أيّ تاركًا لمشاعره كامل المبادرة في توجيه القصيدة. ثمّ يلتقيان الشاعر غوينيتزيلي الذي يتراجع تواضعًا أمام الشّاعر البروفنساليّ آرنو، الذي لاحظنا لدى قراءة أعمال دانتي الأولى كم كان الأخير معجبًا به في شبابه، والذي يجعله دانتي في المطهر يردّ على تحيته بأبيات بالبروفنسالية. هكذا يتبنيّ دانتي في شعيرة الترحاب هذه لا أسلوب آرنو الشعريّ وحده، بل كذلك لغته: ذروة الاحتفاء.

ولا يتجاذب دانتي أذبال النقاش مع هؤلاء حول الشعر وموضوعه الأساس المتمثّل في الحبّ وحدهما، مع تركيز على «الشعر الجديد»، بل يتلقّى من فرجيليو عرضًا فلسفيًا عن «الاختيار الحرّ»، ومن ستاسيوس عرضًا «علميًا» (ضمن معتقدات الحقبة) حول نشأة الجنين وولادته، ومعارضة لتفكير ابن رشد في «العقل الفاعل».

وهذا كلّه مناسبة ترينا استعادة دانتي لمشاغله الشعريّة والفلسفيّة التي لم تفارقه قطّ.

وكما كتبت ريسيه، ف«لا نلاحظ في «المطهر» انفصالًا عن المشغلة الشعريّة ولا ابتعادًا عن الأرضيّ الذي يجد التعبير عنه في هذه المشغلة. ولا يمكن أن يكون الأمر كذلك ما دام الموضوع الوسيط، الذي يشكّل تعريفًا للشعر، سيكون ثانيّة المحلّ الذي يعود إليه الرجل الذي سيأتي من رحلته الرائعة ب«الكوميديا». إنّ المسافر ليتغيّر في مجرى رحلته. وما لا يتغيّر فيه البتّة، وما يبقى راسخًا عبر جميع المراحل، هو الشّعر، ما دامت الرحلة لن تتمتع لولاه لا بمعنى ولا بغاية ولا بأثر» (ص 162).

- **من جدار النار حتّى رؤية العربة:** ما إنّ يكتمل اختراق إفريزات المطهر السبعة وامحاء العلامات (البئات) السبع الدّالة على الخطايا السبع، والتي كانّ خطّها الملاك على جبين دانتي وزوالها واحدةً بعد الأخرى، حتّى صار ينبغي أن يفترق الشاعران. فيتبع دانتي طريقه إلى السموات مرورًا بالفردوس الأرضيّ الكائن في فسحة معزولة وظليلة من المطهر، ويعود الشيخ فرجيليو أدراجه إلى اليمابيس.

لكنّ قبل ذلك كانّ ينبغي اختراق جدار من النار يتوسّطه ممرّضيق اجتازه فرجيليو وستاسيوس، وبقي دانتي متردّدًا ومُحجمًا أمامه. فلم يجد فرجيليو من وسيلة لتحفيزه على اختراقه سوى أن يناديه قائلاً له إنّ بياتريشي تنتظره في الطرف الآخر من الجدار، وإنّه لم يعد ليفصل بينهما شيء آخر. فعبره دانتي. وفي ضرب من طقوس التوديع يقول له صاحب «الإنياذة» إنّه، أيّ دانتي، رأى «النازين الزمنية والأبدية» ووصل إلى هذا الموضوع الذي لا يستطيع له هو فيه نفعًا (أدرك الحدود

المرسومة لمساره كوثني). صار على المسافر أن يتخذ من الآن فصاعدًا «متعته دليلًا»، متعة مرتبطة بالحق وباحثة عن الحق. وهو لا يغادره قبل أن يطرح على رأسه الإكليل والتاج، كناية عن الإقرار بجدارته الشعرية.

وإذا كان موضوع الحياة الجديدة أو هاجسها الذي يوجّه كتاب دانتي النثري- الشعري الأول ينتشر، كما تذكّر به ريسيه، في كامل «الكوميديا الإلهية» أيضًا، بخفاء تارةً وجهاً طورًا، فسيلاحظ القارئ أنّ هذا الموضوع يبدو أكثر إلحاحًا في «المطهر»، وبالذات في الأنشودات الأخيرة منه التي يتوغّل فيها دانتي عبر الفردوس الأرضي. هوذا دانتي وقد نال مباركة فرجيليو. ومع أنّ الشاعر الآخر ستاسيوس سيرافقه شوطًا آخر عبر الفردوس الأرضي ما دام هو الآخر يتهيأ للصعود إلى الفردوس، فلن تكون له تدخلات ذات بالٍ في ما بقي من هذه الرحلة - النشيد.

ومن الآن فصاعدًا سيتخلّى دانتي عن ضمير «نحن» الذي كان يشمل هو ومرشده، ليضطلع بضمير «أنا»: تطوّر أساسي. بعد هذا يلج دانتي في مجال ترى فيه ريسيه أنموذجًا لـ «المكان المثالي» كما كان سائدًا في أدب العصر الوسيط: «نسيم لا يتغيّر، أشجار وظلال ومياه وأريج أزهار وشدو أطيار، وهذا كله محمول إلى كمال أنموذج مطلق (...) وإنّه ليهب فكرة عن وحدة هي تعددية منظمة وتنوّع متناغم» (ص 166).

بعد هذا يلح دانتي على الضفة الأخرى للنهر الذي صار هو بإزائه فتاة، بل «حورية» تقطف الأزهار وتقول له بعد حوار معه إنّ اسمها هو ماتيلدا. وهي تذكّر بليئة التي سبق أن رأيناها تقطف الأزهار هي أيضًا والتي ترمز إلى الحياة الفاعلة، أمّا هذه التي تشغل المكان المضمّر العائد إلى راحيل، رمز الحياة التأملية، فهي بالطبع بياتريشي المنهمكة في تأمل الله والتي ستتجلّى في المشهد عمّا قريب. وماتيلدا هي التي تشرف على شعيرة العبور الأساسية في هذا المشهد، إذ تُغطس رأس دانتي في مياه ليتي الذي يدلّ في الميثولوجيا اليونانية على نسيان المرء ذكرى خطاياها. وفيما بعد، وبطلب من بياتريشي، ستغطسه في مياه إيئوي، وهو نهر من ابتكار دانتي يستعيد المرء فيه ذكرى أفعاله الحسنة. هنا تحقّق بياتريشي ظهورها وسط موكب تتقدّمه عربة ظافرة ترمز إلى الكنيسة، يجرّها «الغريفون» أو الحيوان المزدوج الذي يرمز إلى المسيح في طبيعته المزدوجة (الإلهية والإنسانية). يحفّ بالعربة الملائكة مغنّين مرّتين ترافقهم موسيقى الأجواء (تمهيد لما سيشكل المسرح الدائم للفردوس)، ويتبعها أربعة وعشرون شيخًا (يرمزون لأسفار «العهد القديم») وأربعة حيوانات (ترمز لأصحاب الأناجيل الأربعة)، وثلاث نساء يرقصن عن يمين العربة (الفضائل الدينية الثلاث: الإيمان والرجاء والمحبة) وثلاث عن يسارها (الفضائل الفكرية الأربع: الحكمة وقوة النفس والاعتدال وروح العدل)، وشيخان يمثّلان جزئي «أعمال الرسل»، ثمّ شيخ يتبعهم كلسائر في نومه يرمز إلى القديس يوحنا متلقياً رؤياه (وسنعود لاحقًا للتساؤل مع بورخيس إذا كانت هذه الترميزات الأليغورية كافية لقراءة المشهد، حتّى إذا كانت ريسيه تؤكّد، ص 168، على أنّها تستجيب إلى إحدى شيفرات الحقة وأنّ قارئ العصر الوسيط كان يدرّكها بلا عناء).

يرى دانتي بياتريشي ويعرفها ببصيرة القلب حتّى قبل أن يبصرها. وهي توبّخه فورًا على ضلاله السابق حتّى تُبكيه. وإذ يستعطفها الملائكة من أجله، تردّ عليهم بأنّها عجزت عن مخاطبته حتّى في الأحلام، وأنّها كان عليها أن تنزل به إلى أسفل الجحيم ليستردّ رشده. بعد هذا الحوار العاصف، ينقلب المشهد، إذ ينزل نسر (رمز للامبراطور المُفسد) وينقضّ على العربة الظافرة نهشًا ويخلف

عليها ركام ريشه. ثم يظهر تنين (رمز للشيطان) ويتربع على العربة التي تبتعد، وعليها إلى جانبه مومس ومارد يقبلها ببداءة ويجلدها بالسوط غيراً عندما تنظر إلى دانتي. هذه النهاية هي ولا شك استعادة مسرحية بهدف إرشادي لانحلال كل من الكنيسة والامبراطورية الرومانية أو الإنسانية جمعاء. والمهم، و«المطهر» يدرك الآن نهايته ودانتي يتهيأ لارتقاء سموات «الفردوس» واحدة بعد الأخرى واجداً في بياتريشي مرشده الجديد، هو أن نمسك بثلاثة عناصر أو أربعة تشكل لحظات هامة في هذا اللقاء المستعاد وبياتريشي.

- هناك أولاً العودة الكاسحة للطفولة في سلوك دانتي. فهو عندما افتقد فرجيليو، التفت يبحث عنه «كما يلتفت صغيراً إلى أمه»: كان فرجيليو، بعد تتويجه دانتي، قد انسحب خلسةً كما يليق بكل عظيم أنهى مهمته. وأمام توبيخ بياتريشي، يجهش دانتي بالبكاء أيضاً كأنه استعاد تعارفهما الأول عندما كان كل منهما في سن التاسعة. ومهم ما تشير إليه ريسيه من أن هذه الاستعادة للطفولة تتناقض والصورة المشاعة عن دانتي ككائن جهم وشديد القساوة. وإلى هذا، ففي «المطهر»، «تظل نوعية النظرة، نظرة منغمسة في الهواء المنعش للغابة الإلهية، هي ما يذكر بنظرة الطفل. وهذا الانسحار الطفلي هو ما يفعم المشاهد الأليغورية المتوالية في جنة عدن أو الفردوس الأرضي ويوصلها إلينا من دون أي ثقل كتبي» (ص167).

- وهناك ثانياً مسألة التسمية. فالمرّة الوحيدة التي نسمع فيها باسم دانتي في كامل «الكوميديا الإلهية» إنما تنطق فيها بالاسم بياتريشي نفسها مخاطبةً دانتي في أول اللقاء (والشاعر نفسه يقول، عن تواضع، إنه إنما يدون الاسم «بفعل الضرورة»). وكما كتبت ريسيه (ص169)، فالاسم المنبثق هنا من فم الحبيبة يعود إلى صاحبه ويجترح له مكاناً في الـ «أنت» (أي يصوغه ككائن آخر ويرقي به إلى «الآخرة»)، مكاناً لم يكن الشاعر مؤهلاً له من قبل وهو يمنحه الآن هويةً ويذلل بتوقيع ناجز أعماله السابقة واللاحقة. هذا في حين تواصل بياتريشي الكلام بضمير «نحن» (لامتراجها ولا شك بالموقع الذي تتكلم منه، والذي هو محل القداسة الروحانية الملتحمة بالله نهائياً): «ألا أنعم النظر! نحن حقاً، نحن حقاً بياتريشي!». وفي مواصلة لمعجم الطفولة المستعادة نفسه، يقول دانتي إنها بدت له كما تبدو أم لابنها قاسيةً...».

- وهناك ثالثاً، مسألة التقاط دانتي بالشعور والحدس حقيقةً بياتريشي الكلية بالنسبة إليه في لحظة خاطفة عرفها فيها لدى اقترابها على عربة النصر حتى قبل أن يتبين ملامحها. وإذ يصور بياتريشي وهي توبخه على ابتعاده عنها، وعلى شغفه بالأخريات اللائي شغلن عنها على الأرض، فهو يعود بالعلاقة عشر سنين إلى الوراء، أي إلى بورتها الأولى، وإلى تلك اللحظة البدئية التي اكتسبت فيها بياتريشي أو بيثي پورتيناري في نظره ما تدعوه ريسيه بـ «حقيقة الصورة» أو «حقيقة الرمز».

ترى ريسيه مشابه ونظائر لهذا التصور أو هذا الارتباط في كل من التراث التلمودي والتراث الصوفي الإسلامي (والعلاقة تذكّر بالفعل بمستوى الصورة الرامزة أو الكلية التي رفع إليها ابن عربي وجه محبوبته التي سماها «النظام» في ديوانه «ترجمان الأشواق»). وكما كتبت ريسيه، «ففي نظرة واحدة وإمساكة واحدة تم النظر إليها [أي بياتريشي] كمخلوق أرضي رائع وكحقيقة مما وراء الأرض، كشف ذي خصوصية موحى به إلى فاعل ذي امتياز باعتباره ملاكه الشخصي» (ص170). وتضيف ريسيه أن طموح دانتي غير المتناهي وجانبه غير الأرتذوكسي أو غير المتطابق والحرفية المذهبية (ثمة نوع من المروق في هذا التعلق بكائن أرضي وإحلاله في مقام سماوي ومدّه بهالة شبه

نبويّة)، «إنّما يأتيانه من تلك الإشراقّة المحوريّة، من ذلك الارتباط الفوريّ وغير القابل للدحض بين «أنت» و«أنا» ذوّي سيادة. إنّ حدث استثنائيّ يجعل من دانتي في الأوان نفسه حامل رسالة أو صاحب مهمّة» (نفس الصّفحة، وسنعود في خاتمة هذا المدخل إلى إعادة استكناه جوهر العلاقة ببياتريشي عبر قراءة مقارنة لأطروحات كلّ من بورخيس وريسيه).

- وهناك أخيراً مسألة المسرح الأمثوليّ والدرس المنطوي عليه كلام بياتريشي.

لاحظنا ما ينطوي عليه مشهد وصول عربية نصر الكنيسة وانهارها اللاحق تحت ضربات النسر والتنين من مسرحيّة موجهة بغايات إرشاديّة وتصويريّة. أهمّ منها يظلّ كلام بياتريشي لدانتي على أثر ذلك المشهد. فهي تقول له بلغة الأحاجي إنّ منقداً سيأتي ويخلصّ العربية من مغتصبيها (كلام رأى فيه الشراح تنبؤاً بظهور هنري السابع، الذي كان دانتي يعقد عليه الأمل في إنقاذ الامبراطوريّة الرومانيّة وإعادة الكنيسة إلى مكانها الحقّ وإحلال السلام الكونيّ). وعندما يسألها دانتي عن بواعث هذا الغموض، تقول له إنّ عليه أن يعرف حقيقة «المدرسة» التي اتّبعها، أي المسافة الفاصلة بين الكلام الإلهيّ والفلسفيّ. وهذا ما نجده أيضًا في أغلب قصص المعراج الروحانيّ لابن عربيّ، «كيمياء السعادة» مثلاً، التي تنتهي بالكشف عن قصور خطاب العلم أو المعرفة العقلانيّة عندما لا يصاحبه إيمان عميق. تذكّر ريسيّه بأنّ دانتي كان في «الجحيم» قد دعى القارئ إلى أن يبحث عن الحقيقة «تحت حجاب أبيات غريبة». وهذا مبدأ يسري على عمله كلّ، وعلى كلّ عمل كبير نتقدّم فيه كما في غابة، وتضيء عناصره بعضها البعض، جاعلة من القراءة فعل مساهمة فعّالة في مشروع استنباطٍ وتذوّقٍ كبير.



## ث- قراءة «الفردوس»

مثلما فعلَ في «المطهر»، بل أكثر ممَّا فعله فيه بكثير، يؤسّس دانتي في «الفردوس» كأنما من الصفر، أو بلا سابقة، منطلقًا من بضعة أسطر عن معراج القديس پولس إلى السماء الثالثة كما يرويها «العهد الجديد» ومن بعض الحكايات الشفوية التي يتعدّر علينا اليوم تقدير محتواها ومداها. يخرج دانتي هنا من «الفردوس الأرضي» الذي شكّل ارتياده ذروة الرحلة عبر المطهر، ويجد نفسه منقذًا في السموات التسع التي يرى في تاسعتها نقطة مشعة تشير إلى الله، ثم في السماء العاشرة التي هي سماء ثابتة ومن نور خالص. وهو يبتكر هنا احتفالات وتشكيلات ضوئية وصوتية ومشاهد رقص ملائكي وطوباوي وحوارات مع القديسين والعادلين تذهب من الفلسفة الأسكولائية إلى العرفان المسيحي، ومن فلسفة الوجد العاشق إلى هموم المناضل المؤرّق بتجربته التاريخية الأرضية، أرض يزجها بهمومها كلّها في أعالي السموات. هذا كلّ الذي يشكّل إنسانية متجاوزة، توّاق إلى اختراق شرطها الضيق ومستعدة لأن تدفع من أجله الثمن المطلوب. تجربة يجترح من أجلها فعلًا يظلّ عصيًا على الترجمة بكلمة واحدة: transumanar (تجاوز الإنساني أو اختراقه).

- **استدعاء أبولون:** لم تدع عذابات الجحيم لدانتي لا الوقت ولا الهدأة الكافية ليفكر بالشعر لدى اختراقه إيّاها. كان يفكر شعراً، من دون أن يفكر بالشعر إذا جاز القول. لكن لاحظنا كيف يستعيد في المطهر التفكير بالشعر والتحاور عن الشعر. الآن، منذ الأبيات الأولى من الأنشودة الأولى من «الفردوس» يتّجه تفكيره إلى الإلهام الشعري وعلاقة العبارة بما لا يُنقل (والذي يتعين مع ذلك أن يجترح له قولاً)، والدور المنتظر من القارئ أن يضطلع به في العملية الشعرية. بادئ ذي بدء يصرح دانتي بأنّه، إذا كان استدعى معونة ربّات الإلهام في بداية «المطهر»، فهو بحاجة الآن إلى معونة أبولون أيضًا، أي إلى ذرونيّ البرناسوس، جبل الإلهام الشعري، ككتيها. ولا تشكّل العلاقة بالإلهام (وما هذه إلا كلمة لتسمية الانتظار الفعال أو العامل لانبثاق القصيدة) علاقة سلبية ولا تبعية نافلة، بل هي استدعاء واستفزاز يبلغ درجة من العنف مهولة. يطلب دانتي إلى أبولون، الإله النافخ في الناي، أن ينفخ في صدره، كما فعل من قبل، بحسب الأسطورة، بمارسياس الذي تحدّاه في الموسيقى، فأخرجه الإله «من غمّد أعضائه». سوى أنّ هذا العنف، وكما تذكّر به ريسيه، ص (174)، بدل أن يكون موجّهًا للانتقام كما في حالة مارسيا، يعمل هنا على جسد دانتي وينفخ فيه أو يتكلم من داخله («فلتنفخ إلى صدري ولتنفخ في...») من أجل بلورة الكلام الشعري. هكذا يترآب الإلهام الكلاسيكيّ أو الميثولوجيّ القديم والإلهام المسيحيّ أو التوحيديّ، إذ الكلمة نفحة من الله، ويلتقي النسقان المرجعيان ليشكلا «مادة قابلة للاستخدام من لدن الشاعر من أجل بلوغ هدفه» (ريسيه، ص174).

هنا تبدأ إذن تجربة ما لا يُنقل التي تستجيب بادئ ذي بدء إلى عدم تساوق بين الرغبة والذاكرة. فدانتي يقول إنّه رأى أشياء لا يقدر على قولها من ينزل من هناك، لأنّ فكرنا «بقدر ما يقترب من رغبتنا، تعجز الذاكرة عن أن تتبعه» (الأنشودة الأولى). وعليه، فإنّ «مقاربة الرغبة وفقدان الذاكرة عمليّتان متزامنتان» ريسيه (ص 174). وما سيصفه دانتي لن يكون الملكوت نفسه الذي زاره «بل ظلّ ذلك الملكوت». والافتقار على الكتابة أو القول الشعريّ هو هنا من الندرة بحيث ينبغي أن

يجلب تحقّقصّه «مسرة عارمة» لآلهة ديلفي، حارساً الإلهام الشعريّ. وحتىّ «يطوّع» دانتي وزن ما لا يُنقال فهو يلجأ من جديد إلى «أسلحته» الأثيرة والفعّالة: المجاز والمحاكاة الخلافة والتكلم كأنما في حلم. يودّ لو صار مثل غلوكوس الذي تقول الأسطورة اليونانية إنّه أكل عشباً بحرياً ذا قدرات تحويليّة فصار شبيهاً بآلهة البحارة.

وهكذا، فعلى امتداد تلك الرحلة الخياليّة، وطوال استعادتها في القصيدة، سيتشبه دانتي بأخلاق أهل السماء ويتطبّع بطبائعهم.

تلقت ريسيه انتباهنا إلى أنّ التغيّر الذي يطراً على المسافر في الفردوس السماويّ يمسّ أوّل ما يمسّ قدراته الجسديّة وعمل حواسّه. فها هما دانتي وبياتريشي يحدّقان بالشمس مواجهة، ولا ينتقلان من سماء إلى أخرى كالطيور بل ينقذان من واحدة إلى أخرى «مثل السهام». هذا الاختراق للجاذبيّة وسائر القوانين الطبيعيّة والماديّة هو علامة على ما يدعوه دانتي بـ«تجاوز الإنسانيّ». وهذا التجاوز، وهذه السرعة وهذه المجابهة لما لا يُنقال، وخوض صراع الرغبة-الذاكرة بلا نكوص، هذا كلّه يطبع دانتي الشاعر بشيء من الاعتزاز بالذات. وكما تذكّر به ريسيه (ص 175)، فهو لن يتفاخر هنا بتذكّر أوفيدوس ولوكانوس وتحديهما عبر أنموذج التحويل الشعريّ والمسوخ كما فعل في «الجحيم»، بل سيكون خطابه كناية عن يقين مطلق نحوزه من أجل الشعر ضدّ لا-أحد: «المياه التي أشقّ ما شقّها أحدٌ قبلي / ميترفاً تبعث أنفاسها وأبولون يهديني / وريّات الإلهام التسع يُريني الدتين الأكبر والأدنى» (الأنشودة الثّانية).

وهذا لا يمرّ أخيراً من دون تذكّر القارئ وتحديد دوره في هذا العبور الخطير. فهو أيضاً ينبغي أن يكون حاضرًا ومشحود الحواسّ، أسوةً بالشاعر-المسافر نفسه. فمَن جاؤوا في قارب صغير، راغبين في اتّباع الشاعر، مدعوّون إلى العودة إلى شواطئهم بسرعة، «فقد تتيهون إذ تفقدونني» (الأنشودة الثّانية). أما مَن يمكثون ويواصلون المغامرة فموعودون بنيل «خبز الملائكة» الذي هو مجاز عن المعرفة (الشعريّة).

وهذه الخطورة حاضرة أصلاً في استعادة مجاز البحر، الذي يدلّ عادةً على «الخطر واللانهاية» (ريسيه، ص 176). وسيظلّ هذا الإحساس بالخطر والخوض في اللانهاية المُحدقة حاضرًا على الدوام، مغيّراً معناه في كلّ طور، وصولاً إلى النقطة اللامتناهية التي هي الله. سوى أنّ «الإحساس بالخطر لم يعد سلبيّاً، ولم يعد يشكّل علامة على الاستسلام المُدعن لثقل الخطيئة، بل هو مجازفة فعّالة واستكشاف شجاع» (نفس الصّفحة).

- **نظام المتع الطوباويّة:** مثلما تضمّنت الجحيم منطقتين (دوائر العذاب واليمابيس) والمطهر نطاقين (أفاريذ المطهر والفردوس الأرضي)، يتألّف الفردوس من السموات التسع تليها السماء العاشرة، سماء النور الخالص، المستقلّة عن السموات الأخرى والثّابتة وغير الماديّة. وتذكّر ريسيه بأنّ دانتي، إذا كان ابتكر فضاء كلّ من «الجحيم» و«المطهر» مستعيّناً ببعض العناصر الأسطوريّة والشعبيّة وقد أعاد معالجتها وتحويلها وتنميتها، فهو يفيد في «الفردوس» من «المعارف» الفلكيّة والبروجيّة السائدة في عصره ليبتر نظاماً للمتّع الطوباويّة ويؤسّس مسرحاً سماويّاً مكتملاً يستضيف فيه أنبياء وقديسين وعادلين وعظماء آخرين معروفين.

يأخذ دانتي بترتيب السموات كما وصفه علماء الفلك في عصره. وهو يرى محرّكات هذه السموات

أو عقولها المحرّكة متمثّلة في الملائكة. وعلى امتداد الأنشودات الثلاث والثلاثين التي يتألّف منها هذا النشيد الثالث والأخير، ينتقل المسافر الفضائيّ من السماء الصغرى والأبطأ حركةً والتي هي أقرب إلى الأرض، إلى السماء الكبرى والتي هي أسرع وأبعد. أي من سماء القمر (الذي كان يُعدّ كوكبًا، شأنه شأن الشمس)، إلى سماء عطارد فسماء الزهرة فسماء الشمس فسماء المريخ فسماء المُشترى أو البرجيس فسماء زحل، وهذه هي السّموات المكوّبة السبع، فسماء الأنجم الثابتة، فسماء البُلور أو المحرّك الأوّل الذي يحركّ السموات السابقة جميعًا. تلي هذا كلّه السماء العاشرة، سماء النور الخالص (الأميريوس).

يصعد دانتي وبياتريشي باستقامة من سماء إلى أخرى. فما إنَّ يبلغا سماء حتّى يدورا معها وفيها، ويحقّق دانتي لقاءات وحوارات مع بعض الأرواح التي نزلت لاستقباله، ثمَّ يرتقيان «كسّهمين» إلى السماء التي هي أعلى منها. ما من أثر خارجيّ يدلّ دانتي على هذا الصعود بل هو (وهنا سلسلة ابتكارات دانتيّة) يفتن إلى ارتقائه بفضل علامات أساسيّة ثلاث: ازدياد جمال بياتريشي بقدر ما يتقدّمان في رحلتها الفضائيّة؛ وتعاضم حدّة النور حوله؛ وازدياد طاقته البصريّة على تحمّل جمال بياتريشي وضحكها المتعاضمين من جهة وعلى مواجهة شلالات النور الغامر حوله من جهة ثانية.

لفت جميع الشراخ الانتباه وسينتبه القارئ بنفسه إلى حيلة فنيّة بارعة توّسلها دانتي للكشف عن طبيعة الفردوس ومختلف مراتب سكّانه. إنّ جميع الطوباويّين مقيمون عادةً في السماء العاشرة، سماء النور الخالص، مستغرقين في تأمل الله ومعرفته. ولكن حتّى يرتاد دانتي كلّ سماء صحبة عدد من هؤلاء الطوباويّين من أنبياء وقديسين وعادلين، ولتقدّم فيها على هدي من إرشاداتهم وكشوفهم، ولكي لا يصف لنا السموات التسع المتعاقبة كمسارح فارغة إلّا من التظاهرات النورانيّة، جعل عددًا وافراً منهم ينزلون من السماء العاشرة ويتوزعون على السموات التسع. هناك يعملون، لا على استقباله ندًا لهم وهو الإنسان الحيّ المستجدّ في الطريق الروحانيّة (هناك سيكتشف رسالته)، بل ليلقّونه ويزيلوا عن بصيرته بعض غشاوة ما تزال تكتنفها. هكذا يهيّؤونه لمعرفة نفسه، ولمعرفة التاريخ السياسيّ والدينيّ بما فيه من نقاط التماح وظلام، وخصوصًا لرؤية «النقطة» المشعّة التي تشير إلى الله ولمعاينة مركزها اللاهب.

في كلّ سماء، يقابل دانتي استعدادًا خاصًا لخير معيّن أو حالة طوباويّة مرتبطة بفضيلة معيّنة. وهذه ترسيمة أو خطاطة نقابلها في أغلب الرحلات الرّؤياويّة والأسفار الروحانيّة، بما فيها بل خصوصًا أسفار ابن عربيّ. في السموات الثلاث الأولى (سماء القمر وعطارد والزهرة) يقابل أرواحًا عرفت ترويض الشهوات الحسيّة المرتبطة بهذه الكواكب وجابقتها بإحدى الفضائل الفكرية الأساسيّة (الاعتدال).

وفي الثلاث التالية (الشمس والمريخ والمُشترى) يقابل أرواحًا تميّزت بوحدة من الفضائل الأخرى المطبوعة هي عليها (الحذر أو قوّة النفس أو روح العدل). وفي السماء السابعة يقابل أرواح التأمليّين، ويجعل من التأمل (حين يكون مقرونًا بالفعل) سمة أساسيّة ويشدّبه من كلّ ما كان يرتبط به من خمول وسلبية، سائرًا بذلك في أثر أرسطو والقديس الإكويينيّ. وفي السماء الثامنة، التي يديرها الملائكة الكروبيّون (المتميّزون بالعبادة والصلاة المتواصلة)، يرى المسيح في ظفره (أي في كامل بهاء جسده النورانيّ أو هالة نوره) صحبة أمّه العذراء. وهنا يختبره ثلاثة قديسين في الإيمان والرجاء والمحبة (الفضائل الدينيّة الأساسيّة). أما السماء التاسعة، فيديرها السرفيون (الملائكة

المعروفون باحتراقهم بالوجد الإلهي)، وهنا يتلقّى دانتي شروحًا عن طبيعة الملائكة وخلّقهم ومراتبهم، ويعرف علاقة السموات الأخرى بهذه السماء التاسعة التي تحرّكها جميعًا، إذ هي سماء المحرّك الأوّل.

ثمّ يجد دانتي نفسه في السماء العاشرة، وهي مقام الطوباويين، وتبدو في البداية لدانتي نهرًا من النور يتحوّل، عندما يتعوّده نظره، إلى مدرّج تشكّل مقاعده وصفوفه التي يشغلها العادلون الوردية الأزليّة أو «وردة العادلين». وفي الختام، وبمساعدة القديس برنار المفوّض من قبل بياتريشي بإرشاده، يتمكّن دانتي من التّحديق بـ «النقطة» المشعّة التي ترمز إلى الله ومن تحقيق الرؤية الثالوثيّة (الواحد في الثلاثة وكلّ من الثلاثة في الآخرين والثلاثة في الواحد).

هذا «المسرح» السماويّ أو هذا العبور الأخاذ تتضافر في رسمه ومدّه بنسقٍ متنوعٍ من الإيماءات والتظاهرات أواليّاتٍ إبداعيّةٍ عديدةٍ هنا عرض لأهمّها.

- **النور والموسيقى والغناء:** يرتكب بعض معاصرينا في نظر ريسيه خطأ الابتعاد عن «فردوس» دانتي قبل قراءته، لأنّهم يتوقّعون أن يجدوا فيه شيئًا شبيهاً بالأجواء السائدة في الفنّ الدينيّ الكنسيّ من رقّة مفرطة العذوبة ورتابة غبطويّة مبرمجة. «الفردوس» هو في الحقيقة أقرب الأناشيد الثلاثة إلى حساسيّة القارئ الحديث. فالحكاية الفلكيّة التي ترتسم عبر هذا النشيد تُحدث نوعًا من «ريح تجتاز جميع المدارات». فنرى إلى القوّة الإيروسيّة للمسافرين الفضائيين، دانتي وبياتريشي، وهي تتنوّع في كلّ لحظة من حيث درجة الحنان وجدّة التشكيلات أو اللوحات، فتعيق كلّ إمكانيّة لـ «تخثر» الحكاية أو جمودها في سردٍ وعظيٍّ أو إرشاديٍّ (ص 179).

إنّ أيّ قارئ قادر على القبض على ديناميّة العمل الشعريّ في تنامياته المتصاعدة وتطوّره الداخليّ سيؤخّذ بالتشكيلات شبه غير المتناهية التي اجترحها دانتي باللعب على عناصر معدودة (النور والأصوات بخاصّة، أو مهرجانات اللون والنغم)، معرفيًا عن قدرة على الابتكار والتخييل بالغة الإدهاش. هي كتابة في حركة تدوّن جميع الإيحاءات وأدنى الإيماءات، ضمن هذه الانقلابيّة التي أشارت إليها ريسية من قبل بين خطاب المجاز وخطاب الحقيقة، مع هذا الحرص الذي أشار إليه رومانو غوارديني في «الإبقاء على نقطة الانطلاق حسّية دائمًا»، حيثما يشير الشاعر الروسيّ أوسيب ماندلشتام على أنّ «دانتي لا ينسى أصل الأشياء أبدًا» (تذكرهما ريسيه، ص 179).

ترجع ريسيه ظاهراتيّة النور التي يرسمها دانتي في هذا الجزء من عمله إلى خلفياتها الفكرية والميتافيزيقية التي تساعدنا في تلمّس تأسيسه الفنيّ المتمثّل في اجتراف فضاء حيويّ وأواليّات مبتكرة تتيح تحقّق هذه الظاهراتيّة وتناميها. ينطلق دانتي من ميتافيزيقا أفلاطونيّة محدثة وأوغسطينيّة يرمز فيها النور إلى الخير. وهذا ممّا يجعلنا نرتدّ إلى «الجحيم» و«المطهر» فنقرؤهما على ضوء «الفردوس» وعمل النور فيه.

فغياب النور في الجحيم يعكس حضورًا طاغيًا للشرّ؛ وتأرجح النور أو تدرّجه في المطهر هو كناية عن الصيرورة والارتقاء الإنسانيّين المميّزين للمتطهّرين في سعيهم إلى الخير. أمّا ثبات النور وانتشاره السعيد في الفردوس فعلامه على الاقتراب من الحضرة الإلهيّة التي هي الخير الأسمى أو مطلق الخير. وإلى هذا التدرّج الديناميّ للنور ودلالاته الروحيّة، يضيف دانتي تجديدًا روحيًا وشعريًا أساسيًا: يحوّل المفهوم الميتافيزيقيّ للنور إلى ظاهرة بصريّة. فإذا كانت العين قادرة على احتمال درجات أو

كميات معيّنة من النور، فهذا يعني أنّ عبور الفردوس يترافق بالضرورة بتحوّل للقدرات النفسية والذهنية (رئيسيه، ص 180). كان عبور «الجحيم» و«المطهر» شاهدًا على تطوّر داخليّ لدانتي يقبض فيه على عمق الظواهر في كامل لذاذاته شيئًا فشيئًا. لكنّ منذ ارتياد الفردوس الأرضيّ في «المطهر» وعلى امتداد نشيد «الفردوس» نلمس نوعًا من «إعادة لتربية الحواس» تعكس في العمق وفي أطوار متوالية تحوّل مشاعر دانتي ووعيه. إعادة تربية أو ولادة جديدة يساعده في إتمامها كلّ من بياتريشي والطوباويين حتّى يتمكن دانتي في الطور الأخير من تحقيق الرؤية الختامية التي هي الرؤية المطلقة. وكما تذكّر به رئيسيه، فهذه النورانية أو غيابها ينعكسان حتّى على شاكلة «ظهور» سكّان الملكوتات الثلاثة لعيبي المسافر. ففي الجحيم والمطهر تراهم يخاطبون دانتي عبر أشباحهم التي هي رسوم لأجسادهم القديمة مرّسمة في الهواء. أمّا في الفردوس فتتجلّى له أرواح الطوباويين في هيئة إضمّامات وشعل ملتبهة من المحبّة.

وعلى هذا الأساس، وكما ذكر غواردينيّ، فلا نجد في «الكوميديا الإلهية» تجربة دينية بالمعنى التقليديّ للكلمة. فكلّ شيء فيها حدث، قرار، فعل، وبذخ ديونيسيّ-أبولونيّ (تذكره رئيسيه، ص 181).

وإذا كان الإله ديونيسيوس يرتبط بالوثبة النشوانية والرقص، فإنّ أيلولون، إله النظام والهندسة هو، خصوصًا عند أتباع فيثاغورس، رمز النور الشمسيّ وروح الموسيقى الذي يدفع الكون إلى الحركة بأنغام قيثارته. وهنا تلفت رئيسيه انتباهنا إلى أنّ الموسيقى، في تكافلها مع النور، أبعد ما تكون عن الأغاني «الليتورجية» أو الشعائرية في كنائس اليوم. بل، وكما كتب أولوجي، فـ«إنّما تأتي اندفاعة مختلف دوائر السماء لتَهزّ الهواء الوسيط بدرجات متباينة، فتُحدث الموسيقى الكونية أو موسيقى المدارات... وإذا بدائرة البروج تطلق نغمًا خفيًا، على حين ترفع دائرة القمر عقيرتها بجهير الأنغام» (تذكره رئيسيه، ص 181).

النور والموسيقى، إذن، وكذلك الغناء. فأرواح الطوباويين تغنيّ، تُنشد وترتل هي الأخرى. وهنا أيضًا تكون إعادة تربية للحواسّ ضرورية. فعندما يبلغ دانتي سماء زحل، تكون نوعية الترانيم المسموعة فيها بحيث تلزم جميع الأرواح السكوت. وإذ يسأل دانتي عن سبب انقطاع «سمفونية السماء العذبة»، تجيب أرواح الطوباويين بأنّها سكنت حتّى لا تجرحه، فما زال لديه سمع وبصر إنسانيّان. لكنّ عندما يبلغ سماء الأنجم الثابتة، حيث يرى المسيح في هالته، تتسع قدراته ويقوى على سماع الموسيقى، موسيقى بالغة الرقة تغنيّ مريم «ياقوتة السماء». أمّا نهاية الرحلة «فتدور في ما يشبه الصمت المطلق، إذ تصبح موسيقى كلمات النصّ هي الموسيقى الوحيدة فيه» (رئيسيه، ص 182).

- **رقص الحكماء:** أمام هذه التظاهرات الغبطوية أو الطوباوية ومسرحها السماويّ والإلهيّ، يتقدّم دانتي في حركة للكتابة صارت من الأنضغاط والاكتناز بالمفاجآت بحيث يرتسم ما تدعوه رئيسيه بنوع من المسافة بين الباتّ والمتلقّي. لم يعد لدى دانتي الوقت ليفكّر بقارئه، المنذور لتلقّي آثار من «ظلال الملكوت» و«كسر من خبز الملائكة». ولا يدعو دانتي هنا نفسه سوى «مدوّن» المادّة الغامضة التي يتلقّاها هو. وبتماهيه مع النبيّ ناتان الذي يعني اسمه «هذا الذي أعطى» أو «هذا الذي وهب» (في حين يعني اسم دانتي «هذا الذي يهب» أو «الواهب»)، فإذا لم يكن يشير إلى طبيعة نبويّة لعمله، فهو يعد على الأقلّ بـ«قوت رائع، وعد يستبق في ذاته خاتمة الطوباوية»

(رئيسيه، ص 183).

عندما يبلغ دانتي وبياتريشي سماء الشمس، التي هي موئل الحكماء، تقترب منهم أنوار عديدة وتدور حولهما ثلاثاً فيما تغني. يميّز دانتي في مطلعها القديس توماس الإكوييني، المتأثر هو بفكره اللاهوتي والفلسفي. يقدّم له القديس أحد عشر حكيمًا يصنعون من حوله تاجًا. وتتكلّم روح القديس أو هالته بخطابه الفكري وبمقتضى منطقة الصارم. وبحسب الإجراء التمثيلي أو التصويري الدانتي المعهود، فإنّ «دقّة الاستنتاجات تجد على الفور تمثّلها في رشاقة الرقص» (رئيسيه، ص 183).

كتب نيته: «لن أوّمن إلّا باله راقص»، لكنّ رئيسيه تذكّرنا بأنّ الإيقونات اليونانية والقروسطية حافلة بصور القديسين الراقصين، بما ينزع عن اللاهوت قشرته التجريدية المحض قبل مؤلّف «هكذا تكلم زرادشت» بكثير.

وتتجلّى شجاعاً دانتي التي يرى فيها البعض مروفاً أو هرطقة في جعله نور القديس توماس الراقص ينطق أمامه بمدح شخصياتٍ بينها سيجيري (سيجيه)، المفكر الرشديّ والأرسطيّ المتمرّد الذي اتهم بالهرطقة وأدانه في حياته القديس توماس نفسه. يمكن التفكير بتلاقات أو تأثيرات متبادلة بين القديس والمفكر الملاحق. إلّا أنّ رئيسيه ترجّح إلى ذلك، كدافع لهذا المدح الذي يضعه دانتي على لسان القديس توماس لمفكر أدانه الأخير وحاربه، هو ما كتبه سيجيري في كتابه الأخير والذي بقي مبتوراً بفعل تعرّضه للاغتيال، كتاب «الروح المفكرة»: «إنّ العيش بلا معرفة إنّ هوّ إلا موت ومدفن رذيل للإنسان». فهي، إذنّ، ومن جديد، مغامرة المعرفة الطامحة، وجه آخر إيجابي لعوليس المغامر يجد دانتي فيه نفسه أو يلقي فيه قريباً له (رئيسيه، ص 185).

في أثناء ارتياد سماء الشمس نفسها، يخصّص دانتي أنشودتين كاملتين لمديح القديسين فرانتشيسكو (فرانسوا) ودمنغو (دومينيك)، وقد أسّس كلّ منهما ملّة أو جمعية تقشفية تحمل اسمه (الفرانتشيسكية والدومينيكانية). مديح القديس فرانتشيسكو ينطق به القديس توماس نفسه، أمّا مديح القديس دومنغو فينطق به القديس بونافينتوره. هو ضرب من «الديموقراطية» الروحانية أو الشعرية: فتوماس يمتدح فرانتشيسكو مع أنّه هو نفسه دومنيكانيّ الهوى، وبونافينتوره يُطري على دومنغو، مع أنّه فرانتشيسكانيّ الاختيار. وترى بين الأنشودتين تساوقاً كاملاً: عدد من الأبيات متساو لمديح كلّ منهما، وتذكير مماثل بنشأة كلّ منهما ونضاله والمآل الذي آلت إليه ملّته أو جمعيته. ومع ذلك، فإنّ كفة الميزان تزّجح بعض الرجحان في اتجاه القديس فرانتشيسكو. وذلك باعث من اختيار هذا القديس الفقير، ما يدعوه دانتي بتزوّجه من «السيدة الفقير». هذا الاختيار هو الذي جعل القديس بونافينتوره يرى فيه «مسيحاً جديداً». وهو يتّخذ دلّته الكاملة على ضوء نظام القيم الذي يؤسّس عليه دانتي كامل كوميدياه. اختيار للفقير يقف بالتضادّ مع «الدّبة»، رمز البخل، التي تهاجم دانتي في بداية «الجحيم»، وبالتضادّ مع النهم بكلّ أنواعه الذي تذكّر رئيسيه بأنّه لم يكن يشكّل لدانتي خطيئة فردية فحسب، بل كذلك مرض البرجوازية الصاعدة التي يدينها هو في الأنشودة السادسة عشرة من «الجحيم»، مشيراً بمفردات شعرية إلى الأرباح المفاجئة التي تولّد الإسراف والغطرسة. وعليه، فإنّ اختيار القديس فرانتشيسكو للفقير إنّما هو «فعل في اتجاه الحقيقة، ومن هنا ينبع الإعجاب المفرط والذي يخلّ بالتساوق [بين المديحين] الذي يبين عنه النصّ كأنّما رغماً عنه» (رئيسيه، ص 187).

- **دانتي يلاقي أحد أسلافه:** رأينا كيف شكّل استحضر فلورنسة في الألم والغضب موضوعًا أو «ثيمة» مُعاودة في «الكوميديا الإلهية». وسيشكّل استحضرها، وتشخيص مهمّة دانتي على الأرض كمهمّة شعريّة، المادّة الأساسيّة لحوار دانتي مع جدّه الأعلى كاتشاغويدا، الذي يلتقيه دانتي في سماء المريخ. كان غضب دانتي في المناسبات السابقة ينصبّ على حاضر فلورنسة المتداعي، أمّا السلف فإنّ بُعد حضوره في الزمان يتيح له أن يعقد المقارنة بين الوجه القديم لفلورنسة ووجه راهنها الكالج، وأنّ يؤشّر بكامل السيادة على انزلاقها من عافيتها النباتيّة (يعني اسمها «الزاهرة») إلى أنانيّتها الجماعيّة وانحلالها في الجشع الماديّ. جشع يجد تجسيده وعلامته في «الفلورين»، عملة فلورنسة المشتقّ اسمها، يا للسخرية، من اسم المدينة، والتي أدخلت الأخيرة في مجال المضاربات الأوروبيّة والصفقات المعقودة على حساب العدالة، وعلى حساب حياة سابقة كانت تمرع فيها بالأمن وراء أسوارها الحامية.

يومذاك، يقول له جدّه، لم يكنّ ظهر بعدُ أشباه سارناداپال، الملك الآشوريّ المتهتّك، ليعرضوا على الملاء ما يدور في حجرة العرس وفي المجاهل الرائعة للتواصل الحميم بين رجل وامرأته.

لكنّ الشطر الأهمّ من الحوار ينصبّ على مستقبل دانتي. وهنا يتنبأ له جدّه بمنفاه القادم، ويدعوّه، كما فعلتْ بياتريشي من قبل، إلى الاضطلاع بالكلام الشعريّ، وقول كلّ ما رأى مهما كانت التّائج التي سيُسفر عنها فعل القول. يؤيّد الجدّ في سعيه إلى أن «يشكّل حزبًا بمفرده»، وينصحه بالكلام «تاركا الآخرين يحكّون أنفسهم حيثما أصابهم الجرب». فكما في سيرة كلّ نبيّ أو ناثر، تتضمّن مغامرة القول الشعريّ، خصوصًا عندما يكون منصبًا على خطاب العدالة كما في حالة دانتي، جانبًا ما صادمًا، فاضحًا ومزعجًا. هكذا تتعدّد المستويات في هذه الحكاية الشعريّة، «ويشهد القارئ في أوّل بذاته رحلة ومشروع كتابة والأحداث المعاصرة لتلك الكتابة وآثار النصّ المكتوب على قرّائه الأوائل وقراءته هو نفسه» (رئيسيه، ص 190).

- **النسر:** تُلفت الفقرة السابقة انتباهنا إلى احتراز دانتي الدائم من الجور الذي سيلاقيه بباعث من كتابته. وبياتريشي تعزّيه وترية العدالة السماويّة التي تشكّل سماء البرجيس (المُشتري) موئلها. يرى أرواحًا نورانيّة وهي تغّي وترسم باجتماعها حروف العبارة الأولى من «سفر الحكمة»: «أحبّوا العدل يا مَنْ تحكمون الأرض». ثمّ تتركز جميع الأرواح-الأنوار في حرف واحد من العبارة هو حرف M ثمّ تتحوّل إلى زنبقة ثمّ إلى نسر. هذا النسر يرمز إلى الأداة المكلفة من لدن الله بتحقيق العدالة على الأرض، كما يرمز تاريخيًا إلى الأمبراطوريّة الرومانيّة. ولذا فمن الطبيعيّ أن ينطق النسر بتقريع طويل لرجال الكنيسة المُفسدين والملوك الجائرين المتعاقبين. وهو يفعل ذلك بلغة الإدانة الصريحة أحيانًا، ولا يفعل أحيانًا سوى أن يلمّح تلميحًا إلى ملوك لا ندرك ما يعيبه عليهم ما لم نرجع إلى الحواشي المُرافقة للمتن الشعريّ.

تتكوّن أعضاء النسر من العديد من الأنبياء والعادلين يستقرون فيه ويشكّلون هيأته. كما يجتمع العادلون في مشهد آخر ليشكّلوا أغصان الوردة الأزليّة وأوراقها.

ومع ذلك فالنسر يتكلم بضمير «أنا» دلالة على أنّ «العدالة واحدة لا تتجزأ» (رئيسيه، ص 190). وبكلامه هذا يستفزّ هاجس العدالة لدى دانتي نفسه، فيسأله الأخير بأيّ حقّ يُدان أناس عاشوا أتقياء، في مجال الهند مثلًا، دون أن يعرفوا رسالة المسيح. فيجيبه النسر بعد أن يفاجأ بجرأة

السؤال بأن الله مهّد للكثيرين سبل معرفة الإيمان قبل المسيح وبعده، ودون معرفته بالضرورة، ثم يتقدّم بهذه الإضافة الهامة: «كثيرون ممّن يلهجون بذكر يسوع/سيكونون في يوم الحساب أبعد عنه/من بعض من ليس يعرفونه» (الأنشودة التاسعة عشرة). والمهمّ هو أنّ كلام النسر كان يأتي كالموسيقى، وكما يتهدى النغم من ثقب ناي: هكذا تغمر الموسيقى في الفردوس كلّ شيء.

- **الامتحان:** يفيد دانتى من ثقافته الاسكولائية ليدخل في عمله عنصرًا محفّرًا يساعده، من ناحية، في إدخال بعد روحانيّ وجدليّ على معانيته للظهورات النورانية والتشكيلات الراقصة والتسلسلات النغميّة في الفردوس، ومن ناحية أخرى في تحقيق تطوّر الروحانيّ نفسه وما يتبع ذلك من آثار على نظامه الإدراكيّ كلّها، ما دعونه بالضرورة «إعادة تربية الحواسّ» التي يجد نفسه مسوقًا إليها. ففي سماء زحل، هي ذي بياتريشي تكفّ عن الضحك (ضحك ترى ريسيه أنّه ينتمي إلى الابتسام الساطع أكثر ممّا إلى الارتجاجات الضحكّيّة: «ضحك هو ضرب من التعبير عن الفرح بما هو تأكيد خالص»، ص 192). ذلك أنّ ضحكها قد بلغ في تلك السماء، هو وألقى محياها، قوّة لم يعد في مقدور دانتى أن يحتملها. على دانتى، إذن، أن يقوى أكثر، ولذا فهي ترتقي به في سلّم يعقوب الذي يرتقي منه راجفًا إلى السماء الثامنة، سماء الأنجم الثابتة، وهناك، وبعد أن يشهد موكب المسيح في ظفره (الجوهر النورانيّ لجسد المسيح)، يصبح قادرًا على تلقّي ضحك بياتريشي في كامل بهائه.

لكنّ ما يبدو له مرئيًا في الأوان ذاته، وهنا علامة على تلاحم رؤية دانتى من جهة وعلى قوّة هواجسه الأرضيّة من جهة ثانية، هو كوكب الأرض نفسه، يلمحه انطلاقًا من برج الجوزاء (الذي وُلد هو نفسه فيه): «ذلك المدى الضيق الذي يحيلنا شرسين جدًّا» (الأنشودة الثانية والعشرون). وهنا، وبعدما يكون تحقّق من المسافة المتخذة من الأرض، يصبح تلقينه ممكنًا. تلقين يكتسي هيئة امتحان فكريّ يُخضعه له الأحبار الأوائل الثلاثة، القديسون بطرس ويعقوب ويوحنا. يتكلّم دانتى أمام القديس بطرس عن الإيمان، وأمام القديس يعقوب عن الرجاء، وأمام القديس يوحنا عن المحبّة. وكما يرى القارئ، فالموضوعات الثلاثة هي الفضائل المسيحيّة الثلاث.

وفي المرّات الثلاث يدور الامتحان بحسب القواعد الاسكولائيّة الصارمة، وفي المرّات الثلاث يرى «الممتحنون» إجابات دانتى على الموضوعات الثلاثة المتداولة شافية وبالتالي فهو لديه كامل الحقّ في أن يرتقي السموات بصفته إنسانًا ما برح حيًّا.

ولكنّه يجرؤ على التوجّه للقديس يوحنا، الممتحن الثالث، بالسؤال عمّا إذا كان القديس صعد إلى السماء بروحه أم بروحه وجسده معًا. وإذا به، أي دانتى، يفقد بصره. يردّ عليه القديس بأنّ جسده على الأرض وأنّه «سيظلّ هناك أسوءً بسواه» حتّى يوم النشور. ويطمّنه بأنّ بياتريشي ستعرف كيف تشفيه. كتبت ريسية: «هكذا يمرّ التلقين بالاختبار المُفزع الذي بدونه لن يكون تلقينًا حقًّا. وفي الأوان ذاته، فالعمى [المؤقت] يدلّ على أن طورًا آخر ينبغي اجتيازه: ففي لحظة الامتحان، لم يكن دانتى مؤهلاً لمواجهة مسالك الصوفيّة وعليه أن يمرّ بمسالك اللاهوت والخطاب اللاهوتيّ قبل أن يبلغ الرؤية المقيمة في ما وراء الخطاب» (ص 194).

وهنا أيضًا تبرز إحدى اللحظات التي يبرز فيها تلاحم فكر دانتى وهاجس الأرض عنده ومهمّته الشعريّة. فعندما يلاحظ في الأنشودة الخامسة والعشرين علائم الرضى عن إجاباته هوذا يفكر من جديدٍ بمستقبله في فلورنسة بعد العودة إلى الأرض ويأمل أن ينال تتويجه كشاعر في مسقط رأسه



ومحلّ تعميده بالذات:

«إذا حدث وانتصرت القصيدة المقدّسة / التي تعاونت الأرض في إتمامها والسماء، / والتي أنحلت الجسم مئتي سنين عديدة، على الفضاظة التي تُبقيني / خارج الحُضن الجميل الذي نمّت فيه حملاً، / معادياً الذئاب الشائنة عليه حرباً؛ فَبِصوتٍ آخرٍ وصوفٍ آخرٍ، / سأعود شاعرًا وعلى الأحواض / التي عُمّدت فيها سأنال الإكليل».

«الحضن»، «الحمل»، «الصوف»، مفردات تعرب جميعًا عن رغبة في العودة (عودة ظافرة) إلى «الحظيرة». والمفردة الأخيرة تذكّر، كما كتبتُ ريسيه، بالألفة والدفء الحيواني الذي يشكّله له الوطن (ص194). وترينا ريسيه في واحدة من «الرعوّيات» التي كتبها دانتي على شاكلة فرجيليو، في 1، أي بعد إتمامه «الجحيم»، حضورًا طاغيًا لمجازات الحظيرة واللبن والتكليل أو التتويج الشعري، متضافرة كما في أنشودة «الفردوس» المذكورة أعلاه. كتب دانتي في رعوّيته هذه:

«لديّ نعجة عزيزة عليّ تعرفها أنت،

لا تكاد تقدر على حمل ضروعها لفرط ما هي باللبن ملأى؛

تجتّر ما التهمته من حشائش تحت صخرة عالية،

لا تختلط بقطيع، ولا تألف أية حظيرة،

تأتي من تلقاء نفسها، ولا لأحدٍ أن يحلبها بالقسر، وإني لمُنْتَظرها،

يادي لحلبها متأهبتان؛ سأملاً منها عشرَ قصبعات.»

ترى ريسيه في النعجة مجازًا عن «الكوميديا الإلهية» وفي القصبعات أو الجفّنات العشر الملأى باللبن نبوءة بالأنشودات المائة التي تؤلّفها. لكنّ المهمّ هو أنّ دانتي يكتب في أبيات أخرى من «الرعوّية» المذكورة:

«عندما ستكون الأجرام الدائرة في الكون وسكان الكواكب مجلّوين بنشيدي كما فعلتُ بملكوت الجحيم، فإنّني سيحلّو لي أن أتوجّ رأسي باللبلاب والغار.»

هكذا تكشف استعارتا الإكليل واللبن في نظر ريسيه عن ازدواج هدف الرحلة في وعي دانتي أو دُخيلاه الشعريّة: تحقيق الرؤية المطلقة وفي الأوان ذاته العودة إلى نقطة الأصل، إلى «الحظيرة»، ضمن حلم بتتويج شعريّ يتمّ في موضع الإقصاء والطرْد والطفولة نفسها التي تكون استعيدت على هذا النحو استعادة جذريّة.

و«بفعل شجاعة ربّما لم تحدث في تاريخ الأدب إلاّ مرّة واحدة، نرى إلى المستويين الإلهي والإنسانيّ وهما يتبادلان، للحظة، وبفضل الأدب، مكانيهما ودوريهما وهدفيهما» (ص196).

- **الملائكة والعلاقة العشقيّة:** إذا كان الفردوس يشكّل مدار الحبّ الإلهيّ أو موثله، فهو مسكون كذلك ومجتاز بمحافل غفيرة من الملائكة. وترسم ريسيه خلفيات انتشار هذا العالم الملائكيّ وطبيعة انخراط بياتريشي فيه كما يتصوّره دانتي. الملاك كائن وسيط يلغي من أجل الإنسان المسافة بين السموات والأرض. هو رسول من السماء، ويشكّل في كيانه نفسه مضمون الرسالة. طائر سماويّ طالما قبض فيه الأحياء على صورة من الإلهيّ المتناهي. وفي التعامل معه يعمد دانتي

هنا أيضًا، وربما أكثر وأقوى ممّا فعل في أيّ موضع آخر، على إسباغ طبيعة ذاتية على عناصر المعتقد الديني، وعلى إعطاء سيرته الذاتية صفة موضوعية (ريسيه، ص196).

ولد دانتي في برج الجوزاء في نهاية نوّار/ أيار - مايو 1265. وعلى هذا النحو كان يُعدّ نفسه «كائنًا رُحليًا»، أي كائنًا للوساطة والما بينية. هذا يرشّحه لأن يدرك جيّدًا ظهور الملاك بما هو تمظهر للإلهي. وعلى ما تذهب إليه ريسيه، فمن هذا المنفذ أدرك أيضًا كيانية بياتريشي، فتصوّرها وصوّرها لا كامرأة تحوّلت إلى ملاك، مع ما يفترضه ذلك من زوال لأنوثتها أو لهويتها الجنسية ومن أمثلة (إحالة إلى مثال) محض، بل باعتبارها «ملاكة الشخصي»: هي في الأوان ذاته امرأة وملاك (ص197). وترجع ريسيه لإثبات ذلك إلى التصوّف الإسلامي (الذي تدعوه في مواضع عديدة من كتابها ب. «التصوّف العربي»!)، وبالذات إلى العمل الشعري والتحويلي الذي مارسه ابن عربي على محبوبته التي دعاها ب. «النظام» بعدما لمحها في مكة وعرف فيها هو الآخر ملاكة الشخصي ومناسبة تمظهر أو تجلّ إلهي theophanie. قلنا إنّ من غير المحتمل أن يكون دانتي توفّر على ترجمة لابن عربي الذي سبقه إلى العالم الآخر بثمانين عامًا فحسب، ولذا فالكلام عنه يأتي هنا على سبيل المقارنة والتقريب بين حدسين صوفيّين. فمن المعروف أنّ الحدوس الصوفيّة والشعرية الكبرى تتقاطع وتتلاق. تعود ريسيه إلى كتاب المستشرق الفرنسي هنري كوربان Henri Corbin: «الخيال الخلاق عند ابن عربي L'Imagination créatrice chez Ibn Arabi»، الذي يقرب بالأصل حالتي دانتي وابن عربي إحداهما من الأخرى، لتقول ببطلان السؤال: «هل وُجدت بياتريشي حقًا؟». كتب كوربان: «إنّ التجلي الإلهي لا يعرف المعاضلة (إنسان أم ملاك؟، موجود أم غير موجود؟، إلخ.)، لأنّه بعيد بالقدر ذاته عن الأمثلة أو الأليغوريا وعن الحزفية»، وكذلك «لأنّ هذه التي كانت لابن عربي ما كانته بياتريشي لدانتي، كانت ولا شك فتاة حقيقية وفي الأوان ذاته، وفي «شخصها» نفسه، صورة تجلّ إلهي، صورة للحكمة - صوفيا - الأبدية» (تذكره ريسيه، ص197).

يستعيد دانتي في «الفردوس» نغمة امتداح بياتريشي أو لهجته، المنتشرة من قبل في «فيتا نووفا» أو «الحياة الجديدة»، ذلك الكتاب النثري-الشعري الأول الذي كان دانتي قد عقد فيه العزم على أن يقول عن بياتريشي «ما لم يقله أحد عن امرأة».

عزم اندفع من أجل تحقيقه، بعد فترة من اللّهُو، إلى الدرس الفلسفي واللاهوتي والتجريب الشعري الذي لم يخفّف نضاله السياسي من حدّته وانتهى به إلى كتابة «الكوميديا الإلهية»، هذا العمل الموجّه من أوله إلى آخره بأمنية الوفاء لنذره الأول ذاك. سوى أنّ دانتي يفتن إلى أنّ بياتريشي قد انتقلت إلى «مقام» أو «مستوى» آخر، وصارت تفوق المقياس الإنساني. ممّا يدفع الشاعر إلى الاعتراف لا بهزيمته بل بكون موضوعه يتجاوزه في نقطة معينة يندحر فيها أمامه «أكثر ممّا اندحر مؤلّف ملهاة أو مأساة / أمام نقطة من موضوعه يومًا» («الفردوس»، الأنشودة الثلاثون). في هذا التصريح نرى بداية نهاية العمل التي سندركها تمامًا بعد ثلاث أنشودات. وعليه، فلم تعد هذه رحلة يلتحق فيها دانتي ببياتريشي، بل رحلة مزدوجة خاضها كلّ منهما نحو صيرورته الخاصّة، وصار محتمًا الآن أن يتبعها: دانتي صوب صيرورته الشعريّة والأرضيّة وبياتريشي صوب صيرورتها ملاكًا. وهذا السّفَر المزدوج إنّما يكشف في تواصلية طرفيه رغم الانقطاع عن تواصل الحبين الإلهي والإنساني.

والأمر يتعلّق أخيرًا بذلك الحبّ «الذي يحرك الشمس وسائر النجوم» وقد صار مرئيًا أخيرًا

(رئيسيه، ص 198).

أمّا الملائكة أنفسهم، فلا يقابلهم دانتي كثيرًا في «الجحيم» والمطهر». في «الجحيم»، هناك الملاك «المترع بالازدراء» الذي يأتي ليعتف الشياطين الذين منعوا دانتي وفرجيليو من دخول مدينة العذاب. وفي «المطهر»، هناك الملاك الذي يتقدم في البدء ككتلة بالغة السرعة من النور، والذي ينقل أرواح الواصلين الجدد إلى مصبّ التبير صوب جبل المطهر. وهناك أخيرًا الملاك الأضران اللذان يُبعدان الحيّة، رمز الغواية، التي تحاول الاقتراب من المتطهرين كلّ مساء. وكما كتبت رئيسيه، فالملائكة يتميّزون هنا بسرعتهم الخاطفة وحركيتهم الدائمة. أمّا في «الفردوس»، فلا يقابل دانتي ملائكة وحيدين أبدًا. بل هم دائمًا في محافل ومن صنوف متباينة. فمنهم الكروبيون، أصحاب العبادة الدائمة، ومنهم السروفيون الدائموا الاشتعال بالمحبّة الإلهيّة، والملائكة-الفضائل والملائكة-القدرات والملائكة اللاعبون، إلخ. وكما يرى رومانو غوارديني، فالتسمية الأخيرة يمكن أن تنطبق على كافّة الملائكة، لفرط ما يظلّ نشاطهم أو صيغة تمظهرهم في الفردوس «نصبًا ونفسًا يتحققان لعبًا أو عبر اللعب» (تذكره رئيسيه، ص 199).

لا يقابل دانتي ملائكة في السموات السبع الأولى، بل يبدأ بملاقاتهم في السماء الثامنة؛ وبالتطلع إلى عيني بياتريشي يُبصر في السماء التاسعة حلقات الملائكة المتمركزة وهي تدور حول نقطة بالغة الإشعاع هي الله. هؤلاء الملائكة هم «عقول» وصوّر سلفيّة للوجود، ولهم علاقة بسياق الخلق كلّه. وتشرح بياتريشي لدانتي أنّ الملائكة ليسوا بحاجة إلى الذاكرة لأنّ أعينهم مصوّبة إلى الله أبدًا، لا يشيخون عنه بنظراتهم، فلا يشغلهم موضوع جديد ولا هم بحاجة إلى التذكّر ولا إلى المرور بالمفهوم المتميّز بالانقسام (رئيسيه، ص 199).

بيد أنّ هذا المسعى (ولا تشير رئيسيه إلى ذلك إلاّ تلميحًا) يُلزم بحث دانتي نفسه. فما الذي جاء ليبحث عنه يا ترى إن لم يكن استعادة براءة جديدة بالغاء الذاكرة وتجاوز المفهوم المنقسم على نفسه نحو الصور الحيّة التي تصحّح المفهوم فيما تعبر عنه، والخروج من زمن الانقطاعات واللبس والوعي الشقيّ صوب غبطة الكائن التي تتأّتى له من إدراك شرطه وصياغته في قصيدة؟ كتبت رئيسيه أنّ الشعر كان في تراث العصر الوسيط مرتبًا بالملاك مباشرة. وهي تستشهد بما كتبه بيتر لامبورن ويلسون من أنّ «الشاعر هو كمثل جانوس [ذي الجبهتين]، شقّ من وجهه متّجه إلى الأرض وشقّ آخر مصّوب إلى مدارات السماء»، وتضيف له أنّ «الشعر هو لغة العالم الوسيط أو المابين، والشاعر هو بالضرورة كائن زُحلي وبالضرورة كائن ملائكيّ» (ص 199).

- **الوردة السماويّة والدائرة:** تذكر رئيسيه بالأصل الاشتقاق للمفردة «فردوس»، التي تعني «جنّة» أو «جنينة». إنّها آتية من اليونانية «پاراديسوس» الآتية بدورها من الفارسيّة «پارا-ديزا» التي تدلّ على «مجال دائريّ»، وإذا توخينا الدقّة فعلى «تحويلة دائريّة». تعمل الفردوس لدى دانتي كوردة شاسعة يتغمّدها البصر بكاملها بفعل قوّة الرؤية التي تمدّ بها السموات المسافر بالتدريج. وإذا ما أردنا الكلام بلغة بورخيس، فالوردة، هذه الصورة الدائريّة، تعمل هنا كمجاز مزدوج أو مضاعف:

فالفردوس نفسه وردة، وفي داخل مسرح هذه الوردة يجعل دانتي الطوباويين والعاقلين ينتظمون في السماء العاشرة على هيئة وردة كبيرة (مدرّج في شكل وردة) هي «وردة العادلين» أو «الوردة الأزليّة».

تذكر ريسيه بأن الأزهار، وخصوصًا الورد، تشكّل موضوعًا متواترًا لدى دانتي، وذلك عبر الحضور الدائم لديه لمدينة فلورنسة (التي قلنا إنّ اسمها يعني «الزهرة»)، والمرجع القروسيّ الدائم المتمثّل في «رواية الورد». وإذا صحّ أنّ دانتي هو مؤلّف العمل المنسوب إليه والمدعوّ بـ «الزهرة» Il Fiore، الحافل بإيروسية مباشرة وعارمة (وفي هذه الحالة يكون كتّبه في فترة لهوه وتروّحه وعبثه)، فإنّ خطأً متّصلًا يرتسم على هذه الشاكلة بين حُميا الشباب والحدّة الإيروسية التي تخترق «الفردوس» عبر عمق النظرات المتبادلة بينه وبين بياتريشي دون انقطاع (ص 200). ولترسيخ صورة الورد وأساسية التشكّل الدائريّ، يجعل دانتي نهر النور الغامر في السماء الثامنة يتحوّل إلى بحيرة («صار دائريًا وكان من قبل طوليًا»، الأنشودة الثلاثون). وإلى حاسة البصر المنهمكة باقتطاف التشكّلات النورانية، وحاسة السمع المركّزة على التقاط غناء الملائكة والأفلاك، يوظّف دانتي حاسة الشمّ، إذ يصوّر شرارات النور أو بوارقه وهي تنهمر مفعماً بالأريج. وهذا كلّه، وكما تذكر به ريسيه، من دون الانفصال عن الرؤية القيامية والتاريخية التي توجّه المجموع، إذ تُلفت بياتريشي نظر دانتي إلى أنّ المقاعد الشاغرة في المدرج-الورد ما عادت كثيرة، إشارة منها إلى قرب نهاية التاريخ (ص 202).

وهي لحظة مؤاتية ليستعيد دانتي همّيه الأرضيين اللذين لم يبرحاه قطّ: إمكان قيام الامبراطورية الكونية ضامنة السلام الكونيّ، ومهمّته كـ «مدوّن» لذلك النور الفكريّ الذي «ملؤه المحبّة؛ / محبّة للخير الحقّ ملؤها الغبطة؛ / غبطة تتخطّى أكبر عدوّه» (الأنشودة الثلاثون). هي اللذاذة أو المتعة الفردوسية المصوّرة كدوران دائم أو حركة رحوية بلا انقطاع. وتحيل ريسيه هذا التعلّق بالدائرة إلى تراث كامل كان يرى في الله، كما عبّر فنسان دو بوفيه في تعريفه المُفارق الشهير: «دائرة ينتشر مركزها في كلّ مكان ولا يقيم محيطها في أيّ مكان» (تذكره ريسيه، ص 203). وهذا كلّه يجعل من كامل عمل دانتي في نظر ريسيه «نزوعًا إلى الدائرة»، اعتبارًا من الرؤية الموصوفة في «فيتا نووفا» أو «الحياة الجديدة»، والتي يقول له فيها إلى الحبّ: «أنا مثلُ مركز دائرة تبتعد عنه جميع نقاط محيطها بالقدر ذاته، وأنت لست كذلك». يكتفي العاشق الفتى يومذاك بأن يسأله «ولكنّ لم تتكلم بمثل هذا الغموض؟»، تاركًا النظرة مطروحة هكذا على عتبة البحث. الآن، إذ صار الشاعر يدور مع الحبّ الذي يحرك الشمس وسائر النجوم»، فهو قد أصبح قادرًا على مواجهة إله الحبّ وعلى أن يقول له: «إنّني كذلك أنا أيضًا». ذلك أنّه قهر أخيرًا النقص الذي كان بالأمس يدفعه إلى البكاء (ريسيه، ص 203).

وعند مستوى آخر للقراءة، ترجع ريسيه بهذا الانهماج بالدائرة إلى ما سبق أن كتبه دانتي في «المأدبة» من أنّ «الهندسة إنّما تتحرّك بين النقطة والدائرة، مثلما بين بدايتها وغايتها. والنقطة والدائرة هما أيضًا في نضال دائم ضدّ يقينها [أي الهندسة]، لأنّ النقطة تفلت، بفعل تعذّرها على الانقسام، من كلّ قياس، ولأنّ الدائرة، بفعل تقوّسها نفسها، تمتنع على التطويق أو التربيع الكامل، فلا يمكن بالتالي قياسها قياسًا صحيحًا». وهذا ما يعود إليه دانتي في الأنشودة الأخيرة من «الفردوس» عندما يُشفق على جهد «المسّاح المنهمك بكامل كيانه / في قياس الدائرة، والذي لا يقدر / أن يجد بالتفكير المبدأ الذي ينقص». هي مفارقة تلفّ الأميبيوس أو السماء العاشرة، سماء النور الخالص، التي ينتهي ببلوغها البحث والرحلة. إنّ جرم الكون بأسره محتوى في روح الكون هذه التي تظلّ من ناحيتها ثابتة ومنيرة. روح تظلّ خارج «الأين» أو «متعدّرة على التّأين». دانتي نفسه

يكتب في أنشودته الأخيرة أنّ مفرداتٍ من قبيل «القرب» و«البعد» لا تعني في هذا المقام شيئاً. وتقزبه ريسيه هنا من كلام ابن عربيّ في نصوص عديدة عن النقطة التي لا يعود عندها «لا فصل ولا وصل». هي شعريّة للدائريّة المفارقة تقترب مرّة أخرى من الخلق الصوفيّ كما لخصه سامي علي، المحلل النفسيّ المصريّ ومترجم أشعار الحلاج وابن عربيّ إلى الفرنسيّة، باعتباره «خلق لغة تعبّر عن المستحيل» (تذكره ريسيه، ص 204). أنّذ نفهم الحركة الباذخة التي يقارب بها دانتي المستحيل بلغة الحلم والتي بها ابتكر، نقطةً نقطةً، هذا العمل الوضّاء والغامض في أنّ معاً، العمل المحوريّ الذي يحمل عنوان «الكوميديا الإلهيّة» والذي يدعوه صاحبه ب. «القصيدة المقدسة» (ص 205).

- **جوهر العلاقة ببياتريشي ومنطق الحلم من وجهة نظر بورخيس:** لاحظنا في ما تقدّم أنّ دانتي يرصد في نظر ريسيه نوعاً من الصيرورة الملائكيّة لبياتريشي، وأنّ نهاية العمل تفضي إلى فراق متقبّل مبعثه لا كون بياتريشي من سكّان السماء في حين ينتمي دانتي بعدُ إلى مواطني الأرض، بل اكتشاف الشاعر، بقوة الأشياء، ألاّ مفزّ من أنّ يدعها تتبع صيرورتها تلك ويتبع هو صيرورته الشعريّة.

في اثنتين من المحاضرات التسع في دانتي، يعالج بورخيس هذا «الفراق» ومجمل العلاقة ببياتريشي من وجهة نظر إنسانيّة محض وينظر إلى دانتي العاشق بعيداً عن كلّ ظلال صوفيّة لمسعاه أو تجربته. ومع أنّنا نعتقد أنّ قراءة ريسيه تتمتع بتماسكها القويّ وتنسجم مع لغة دانتي نفسه في عمله والأفق الروحانيّ الذي خطّ فيه تجربته، فقد رأينا أنّ نعرض رؤية بورخيس هذه مزيداً للفائدة.

يذهب بورخيس في هذه القراءة بالتضادّ مع الكثير من الشّراح الذين لا يُقاربون المشاهد والصور الفرديّة أو الجماعيّة التي يرسمها دانتي على امتداد عمله إلّا من خلال محمولتها الأمثوليّة (الأليغوريّة) التي غالباً ما تكون رامزة للتاريخ الرومانيّ أو لتاريخ الكنيسة. وعلى أحقيّة هذه القراءة (ذكرنا أنّ دانتي نفسه أكّد على البعد الأمثوليّ لعمله)، فإنّ من يكتفون بها (وليست قراءة ريسيه من هذا النمط) ينسون ارتباط هذه العناصر أو الرموز بذاتيّة الشاعر نفسه أو بدانتي بما هو ذات فاعلة، وأكثر من هذا فاعلة في... نشيد. نشيد، مع كلّ ما تستتبعه المفردة من عمل للرجاء والأسف والحنين والتشوّف والذكرى، وخصوصاً للحلم. بورخيس يردّنا بقوة إلى عمل «منطق» الحلم هذا في كتابة دانتي وارتباط الأخيرة بالواقع الحميم لصاحبها.

الحلم، مع ما يرسمه من جسور، وكذلك، لا ننسيّن هذا، مع ما يصطدم به من عوائق. في محاضراته «اللقاء الذي يتمّ في الحلم»، يقرأ بورخيس لقاء دانتي وبياتريشي في «الفردوس الأرضيّ» الذي تصفه الأنشودة الثلاثون من «المطهر».

ويتناول في محاضرة أخرى («الابتسامة الأخيرة لبياتريشي») ابتعاد بياتريشي عن دانتي في الأنشودة الحادية والثلاثين من «الفردوس»، بعدما أكملت مهمّتها وأرثته السموات المتعاقبة (تماماً كما ابتعد فرجيليو لدى الدنو من «الفردوس الأرضيّ»)، وحيرة دانتي أمام ابتعادها هذا في اللحظة التي كان يتهيّأ فيها للعودة والالتحام بشرطه الأرضيّ.

نتذكّر كيف تخفّ بياتريشي في نهاية «المطهر» إلى الفردوس الأرضي لاستقبال دانتي بعدما غادره فرجيليو، وتشرف على تطهيره في نهريّ ليتي وإينوي على يدي ماتيلدا، ومن هناك تصطحبه إلى

السموات المتدرّجة. لكنّ قبل الصعود، تتقدّم له أمام الملائكة بملامة يمكن نعتها بـ«المُوجعة». تسأله فيها كيف تجرّ على وطء أرض لا يرتادها إلا السعداء، وتقول للملائكة إنّه سقط في الغفلة إلى هذا الحدّ بحيث عجزت عن أن تتّصل به حتّى في أحلامه، ولم يعد أمامها لإنقاذه سوى أن تربيه مصير البائسين في الجحيم، حيث سيرتقي من الدرك الأسفل رويدًا رويدًا. وتذكّر كيف تسبق وصول بياتريشي وترافقه عناصر ومشاهد تمثيلية فُرئت جميعًا أليغورياً، أي قراءة رامزة، ولعلّها كانت، في أحد المستويات، تعمل على هذه الشاكلة في ذهن دانتي. أكثر من هذا، تؤكّد جاكين ريسيه في «دانتي كاتبًا» أنّ دلالة هذه الأمثولات كانت تلتصع على الفور في ذهن معاصريه. لكنّ سنرى مع بورخيس أنّه لا يمكن الاكتفاء بهذا المستوى من التأويل وحده.

لقد أوّل الشّراح عناصر المشهد واحدًا بعد الآخر وأرجعوه إلى دلالته الأولى أو «الظاهرة» في ذهن متلقّي العصر الوسيط. فالشيوخ الأربعة والعشرون الذين يرافقون العربة الاحتفالية الظافرة التي تدخل المشهد لدى وصول بياتريشي يرمزون إلى أسفار «العهد القديم» الأربعة والعشرين. والحيوانات الأربعة ذوات الأجنحة الستّة ترمز إلى أصحاب الأناجيل الأربعة. والأجنحة الستّة نفسها هي الشرائع الستّ أو انتشار الإيمان في جهات الفضاء الستّ. والعربة هي الكنيسة الكونية. وعجلتاها هما العهدان القديم والجديد، أو الحياة التأمليّة (الخاملة) والحياة النشيطة (الفاعلة)، أو القدّيسان فرانتشيسكو (فرانسوا) ودومنغو (دومينيك)، أو العدالة والتقوى.

و«الغريفون» أو الأسد-النسر هو المسيح في طبيعته الإلهية والإنسانية. والنساء الأربع الراقصات إلى اليمين هنّ الفضائل الفكرية الأربع والثلاث الراقصات إلى اليسار هنّ الفضائل الدينية الثلاث. والمرأة ذات الأعين الثلاث هي الحذر أو الحيطة، تبصر الماضي والحاضر والمستقبل. والشيخ الذي يتبع العربة كالسائر في نومه يرمز إلى يوحنا وهو يتلقّى رؤياه. وقيل إنّ بياتريشي تظهر مع اختفاء فرجيليو لا فحسب لأنّ الأخير لا يمكنه الذهاب أبعد، بسبب موته وثنيًا، بل لأنّه يرمز إلى العقل أو الحكمة العقلانية، في حين ترمز بياتريشي إلى الإيمان، فتكون الثقافة الكلاسيكية الممثلة بصاحب «الإنياذة» قد أخلت المجال للثقافة المسيحية ممثلةً ببياتريشي.

وعلى حدّ ما يُعلمنا به بورخيس في محاضراته «اللقاء الذي يتمّ في الحلم»، فقد انتقد بعض الشّراح، كارلو شتاينر مثلاً، «فُبح» بعض هذه الصّور أو التشكيلات، وعزا هذا إلى كون «محبّة الخير» تغلّبت في هذه المقاطع لدى دانتي على «شروط الفنّ» أو الصنعة (يذكره بورخيس، ص 87). بل ذهب فيتالي أبعد ليؤكّد أنّ «الرغبة اللاهبة في خلق أليغوريات حملت دانتي على تقديم ابتكارات مشكوك في جملتها» (يذكره بورخيس، نفس الصفحة). وبورخيس نفسه يشاطر للوهلة الأولى هذا الرأي. فالغريفون أو الأسد-النسر الرّاكب على عربة، والحيوانات الزاخرة الأجنحة بأعين مفتوحة، والمرأة الخضراء المحيّا والأخرى القرمزية الوجه، والثالثة ذات الأعين الثلاث، والرجل السائر في نومه، هذا كلّه «يبدو آتياً لا من السماء بل من إحدى حلقات الجحيم» (ص 87). ولا يخفّف من هذا الحكم في نظر بورخيس أنّ دانتي يكتب في الأنشودة التاسعة والعشرين التي تصف وصول الموكب والعربة أنّ روما «لم تُسعدْ / بعربة كهذه أغسطس ولا [شيبوني] الإفريقي»، ولا كون بعض العناصر آتية من الأسفار: «إقرأ حزقيال الذي يرسمها» (الأنشودة نفسها). زد على ذلك أنّ جميع الشّراح أكدوا على قسوة بياتريشي البالغة لدى أول استقبالها دانتي..

هذا كلّه يرى بورخيس تفسيره في وضعيّة العاشق، وفي وضعيّة دانتي عاشقًا بخاصّة. كتب

بورخيس: «أُنْ نَحَبْ، هو أنْ نَصنع لأنفسنا إلهاً غير معصوم من الأخطاء». كان دانتي يحض بياتريشي ولا ريبَ حبًّا-عبادة. وهو نفسه يروي لنا في الـ«فيتا نووفا» أو «الحياة الجديدة» كيف سخرتْ منه مرّةً وصرفته مرّةً أخرى. بيد أنّها بقيت تشكّل له أنموذج الجمال ومثله الأعلى الممنوع عليه. وعليه، فالأمر يتعلّق بحبّ شقيّ ومهووس. ولما توفّيت بياتريشي وخسرها دانتي إلى الأبد، أراد الأخير أن يتصوّر ملاقاتها ليخفّف من كآبته. ويبدو بورخيس على قناعة بأنّ دانتي لم يبن هذا المعمار الثلاثي كلّه، المتمثّل في «الكوميديا الإلهية» بأناشيدها الضخمة الثلاثة، إلّا ليدسّ فيها هذا اللقاء مع بياتريشي. فحصل له ما يحصل في الأحلام، إذ يصطدم اللقاء بعوائق تطبعه بعتمة كثيفة. لقد بقي دانتي يحلم ببياتريشي، ولكنّه يحلم بها قاسيةً وعصيةً على النوال، وها هي تأتيه في هذه المقاطع-الحلم على عربة يجرّها أسد يبدو تارةً أسدًا وطورًا طائرًا بحسب الانعكاس الذي تقدّمه عنها عينا بياتريشي.

هذه كلّها في نظر بورخيس ممهّدت لكابوس، وهو ما يحصل بالفعل: إذ تختفي بياتريشي (وسيلتقيها لاحقًا في السماء) ويهاجم العربة نسر وتّين وثلعب. وإذا بعملاق وداعرة يغتصبان مكان بياتريشي. هنا أيضًا وجد الشّراح «أليغوريات» عبرها أرادت بياتريشي أن تعرض له تاريخ الإيمان المسيحيّ، ولقد لاحظنا كيف يستمدّ المطهر خصوصيته من وفرة المشاهد التمثيلية الرامزة. فعدوان النسر يمثّل الملاحظات الأولى التي تعرّضت لها المسيحية، والثلعب يرمز إلى الهرطقة، والتّين إلى الشيطان أو إلى المسيح الدجال (عدو المسيح)، إلخ. ومع ذلك، فهذه العناصر، في ما وراء دلالتها الأليغورية (الأمثولية) والموضوعية، تظلّ في نظر بورخيس (ولا شكّ أنّ قراءة تحليلية-نفسية ستوافقها الرأي) دالةً خصوصًا على طبيعة معايشة دانتي للعلاقة بمحبوبته. محبوبة كانت تعني له شيئًا كثيرًا، ولم يعن لها هو شيئًا أو يكاد، وهذا ما ننسأه أو تُنسيناه الطبيعة الباذخة والملوّنة لعمله. وثانيةً يفكّر بورخيس على سبيل المقارنة بعشيقتي الأنشودة الخامسة من «الجحيم»، المتّحدين فيها إلى الأبد، فرانتشيسكا دا ريمينى ومحبوبها پاولو، وبالرأفة (أم الغيرة؟) التي دفعت دانتي إلى استنطاقهما بمثل هذه اللفظة عن أصل محبّتهما. «هذا الذي لا فكاك لي منه»:

هكذا تدعو فرانتشيسكا عشيقها فيما تتحدّث عنه إلى دانتي. ويعقّب بورخيس:

«لا بدّ أن يكون دانتي كتب هذا البيت مع شعور بالحبّ رهيب، مع حصارٍ وقلقٍ، مع إعجاب، وكذلك مع حسد» (ص 89). وكان بورخيس قد أمعن في التأكيد على هذا المعنى في محاضرة أخرى عن دانتي لم تُنشر مع المحاضرات التسع، بل هي منشورة ضمن كتاب آخر يحمل عنوان «سبع ليالٍ» (ومنشأ العنوان هذا كونه يتضمّن محاضرات في «ألف ليلة وليلة» وأعمال أخرى ترقى في نظر بورخيس إلى مصافها وتتمتّع بمثل أهميتها، ومنها عمل دانتي). عنوان هذه المحاضرة هو ببساطة:

«الكوميديا الإلهية». كتب بورخيس في هذه المحاضرة: «ثمّة شيء لا يقوله دانتي ولكنّه يحسّ به على امتداد هذا المقطع. فبرأفة لا حدود لها، يصف لنا دانتي مصير هذين العاشقين، ولكننا نحسّ أنّه يحسدهما على مصيرهما. إنّ پاولو وفرانتشيسكا قابعان في الجحيم، في حين يعرف هو أنّه سينجو، ولكنهما أحبّ أحدهما الآخر على حين لم يحظّ هو بحبّ بياتريشي. (...) هذان المعدبان يقفان معًا، لا يقدر أحدهما أن يكلم الآخر، وهما يدوران في دوامة الجحيم المظلمة من دون أيّ

رجاء، ولا حتى الأمل برؤية عذابهما وهو يكفّ يومًا، ومع ذلك فهما هنا معًا. (...) هما هنا معًا إلى الأبد، يتقاسمان الجحيم، وهذا ما قد يكون بدا لدانتي وهو يشكّل ضربًا من الفردوس» («سبع ليالٍ»، تذكره ريسيه، ص 137).

نعود الآن إلى محاضرات بورخيس التسع، وبالذات إلى المحاضرة الأخيرة ذات العنوان الدالّ: «ابتسامة بياتريشي، الأخيرة». فيها يجعل بورخيس هذا الإحساس بفجعية الحبّ غير المتبادل يتجلّى حتى في قلب المشهد الفردوسي الأكثر احتفالية وفي ما وراء سطوعه الظاهريّ. هذا المشهد موصوف في الأنشودة الحادية والثلاثين من «الفردوس» ويدور في السماء الأخيرة، سماء «الأمپيريوس» التي هي من نور خالص، والتي ارتقت به بياتريشي إليها بعدما أرثه السموات التسع المتمركزة، والمحتواة جميعًا في هذه السماء. هناك يرى دانتي نهر النور الشاسع والوردة السماوية التي تتشكّل من أرواح العادلين وقد اصطقّوا في مدارج وشكلوا أغصان الوردة وأوراقها. الوردة بالغة البعد عنه، ولكنّه يراها بكامل تفاصيلها، كما لو كانت أمامه، بفعل قدرة بصريّة فائقة تمدّه بها تلك السماء. فجأة، يلتفت دانتي ولا يرى بياتريشي. يرى بدلًا عنها شيئًا (هو القديس الفرنسيّ برنار) كلفته هي بهديته في نهاية الرحلة قبل أن يعود إلى الأرض «مسلحًا» بمهمته الشعريّة التي كشفت له عنها هي وسلّفه كاتشاغويدا الذي قابل هو روحه هناك. ثمّ يلمح دانتي بياتريشي في وردة العادلين وهي تبسم له من على بُعد متناهٍ ويشكرها على رافتها ويوصيها خيرًا بروحه: «هكذا تضرعتُ إليها، وعلى ما كانت تبدو عليه من البعد ابتسمت لي ونظرتُ إليّ من جديد ومن بعد ذلك التفتتُ إلى النبع الأبديّ».

لاحظ العديد من الشراح في هذه الابتسامة علامة قبول. يذكر بورخيس عددًا منهم. فرانتشيسكو تورزاكا: «نظرة أخيرة، وابتسامة أخيرة، ولكن وعد مؤكّد».

لويجي بييتروبونو: «إنّها تبسم لتقول لدانتي إنّ ابتهاله لقي استجابته؛ وهي تنظر إليه لتُبرهن له مرّة أخرى على الحبّ الذي تمحّضه إيّاه». لا شك أنّ المشهد محوريّ في كامل عمل دانتي. في 1895، كتب أوزانام أنّ هذا اللقاء مع بياتريشي هو الموضوع البدئيّ للكوميديا الإلهية. ويتساءل غويدو فيتالي إنّ لم يكن دانتي كتب عمله كلّ مدفوعًا بالرغبة بإنشاء ملكوت لسيدته. ولنتذكّر السطر الشهير من «الحياة الجديدة» حيث كتب دانتي: «أمل أنّ أقول عنها ما لم يقله أحد عن أيّة امرأة سواها». بورخيس يذهب أبعد. فهو يعتقد أنّ دانتي وضع أجمل مؤلّف أدبيّ ليدسّ فيه بضعة لقاءات مع بياتريشي المنيع على القبض. وما حلقات الجحيم التسع وأفاريز جبل المطهر السبعة وسموات الفردوس المتمركزة التسع وما يلتقيه دانتي في الملكوتات الثلاثة من وجوه غريبة ومشاهد عجيبة إلاّ ضروب من الفواصل أو «الحشو» الإبداعيّ تتيح له أن «يدسّ» هذه اللقاءات ببياتريشي. ويذكر بورخيس بذلك المقطع في بداية «الحياة الجديدة» الذي يعدّد فيه دانتي أسماء ستين من حسناوات فلورنسة ليمرّ بينها، كأنما في السرّ، وعند الرّم تسعة، اسم بياتريشي محبوبته. فلم لا يكون لجأ في «الكوميديا الإلهية» إلى هذه اللعبة السوداوية مرّة أخرى؟

يذكرنا بورخيس بما نمارسه جميعًا، وكلّ يوم، عندما نكون أشقياء، من تصوّر استيهاميّ للسعادة لا يُخفي مع ذلك إحساسنا بالهوان، بل غالبًا ما يكون ملتأًا بطعم الكوابيس. وهذا ما يبدو له جليًا في المشهد المعنيّ. فبياتريشي بالغة البعد عن دانتي، ولكنّه يراها ببالغ الوضوح، بفعل الخصيصة البصريّة السماوية المشار إليها.



تناقض يشكّل «إشارة أولى إلى شفاق صميمي». يبتهل إليها دانتي «كمن يبتهل إلى الله، وكذلك كمن يبتهل إلى امرأة مرغوب فيها»: «أيتها السيدة التي يحيا فيها رجائي / ويا مَنْ قبلت من أجل خلاصي / بترك أثر قدميك على أرض الجحيم» («الفردوس»، الأنشودة الحادية والثلاثون). وهي اللحظة التي تنظر فيها إليه بياتريشي، كما أسلفنا في القول، للمرة الأخيرة وتبتسم وتلتفت نهائياً إلى «النبع الأبدي». أفكان فرانتشيسكو دي سانكتيس على صواب عندما كتب أنه «عندما تبتعد بياتريشي، لا تصدر عن دانتي أية شكوى أو حسرة، لأنّ كلّ بقايا أرضية كانت قد احترقت فيه وتحطمت»؟ (يذكره بورخيس، ص 97). هذا صحيح، يقول بورخيس، إذا ما نحن نظرنا إلى خطاب الشاعر، ولكنّه بجانب للصواب إنّ نحن أخذنا بنظر الاعتبار مشاعره. لنا نحن يبدو المشهد حقيقياً أو واقعياً، لكنّ لا لدانتي الذي تتمثل حقيقته الواقعية في أنّ الحياة ومن بعدها الموت جرّاه من بياتريشي.

فَتخيّل ملاقاتها، و«لسوء حظّه وحسن حظّ من سيقروون قصيدته طيلة قرون، فإنّ وعيه بخياليّة اللقاء شوّه نوعاً ما رؤيته. ومن هنا الظروف الفاجعة التي يزيد من جحيميّتها كونها تدور في الأمپيروس أو سماء النور الخالص: اختفاء بياتريشي، والشيخ الذي يحلّ محلّها، وارتقاؤها المفاجئ إلى وردة العادلين [البعيدة] ونظرتها وابتسامتها الخاطفتان، ومحيّاها الذي تشيح به عنه إلى الأبد» (ص 98).

وأخيراً، وفي التفاتة لغويّة بارعة، يرى بورخيس رعب هذا كلّ وهو يشفّ عنه تعبير «كما تبدو» اللاصق بصفة «البعيدة»، والذي ينسحب في رأيه على فعل «الابتسام» و«يغديه». وهذا ممّا مكّن لونغفيلو من أن يترجم إلى الإنجليزيّة البيتين القائلين:  
«هكذا تضرّعتُ إليها، وعلى ما كانت تبدو عليه / من البُعد ابتسمتُ لي ونظرتُ إليّ من جديد...»،  
يترجمهما إلى:

Thus I implored; and she, so far away

...Smiled as it seemed, and looked once more at me

(«هكذا تضرّعتُ إليها، وهي البعيدة / ابتسمتُ كما يبدو ونظرتُ إليّ من جديد...») هكذا يشدّد المترجم الإنجليزي على المسافة غير المتناهية بين العاشقين، وبالصاقه تعبير «يبدو» لا ببعُد بياتريشي عن دانتي بل بكونها تبتسم له، يطبع الابتسامة بالاحتمالية، كما لو كان دانتي قد كتب: «وبدا أنّها ابتسمت». أمّا صفة الأبدية في البيت الثالث («ومن بعد ذلك التفتتُ إلى النبع الأبدي»)، فيرى بورخيس أنّها تغدي بدورها فعل «الالتفات»، كما لو كان قصد الشاعر العميق هو:

«ثمّ التفتتُ إلى ذلك النبع أبدياً»؛ (ص 98). إذا كنتُ أطلتُ الوقوف عند محاضرتي بورخيس هاتين في جوهر العلاقة ببياتريشي، فلأنّ القارئ الأنموذجي والملهم الذي كانه بورخيس يصحّح، كما في أغلب قراءاته، نظرتنا للنصوص ويُنعش أكثر من جميع النقاد المحترفين معايشتنا لفعل القراءة. وبكلامه هذا عن أسف دانتي العاشق، أو عن شرط الشاعر العاشق المحبّط الذي كانه ابن فلورنسة، فهو إنّما يحيله لنا أكثر إنسانية، أو إنسانياً وكفى، منقداً إياه من سحائب التفاسير اللاهوتية والتاريخية التي بقيت تلقه حتى عهد قريب. تفاسير ضرورية، لأنّ دانتي يعمل بالفعل

بهذه الجوانب اللاهوتية والفكرية ويندرج في أفق ديني وتاريخي تتكفل الحواشي بإيضاحه في أهم تفاصيله. على أن هذا كله لا يكفي من دون أن نردّه إلى بؤرة الشعور الصممي والإحساس الشعري اللذين تصدر عنهما هذه القصيدة الكبرى، وإلا ففيم تكون يا ترى قصيدة؟ في المحاضرة المنشورة في «سبع ليالٍ» والمُشار إليها أعلاه، يذكر بورخيس بأنه قرأ دانتى في طبعاتٍ متعدّدة ويضيف: «لقد شعرتُ بالمتعة لقراءة شروحا (...). ولاحظتُ أنّ الطبعات القديمة يهيمن عليها التفسير اللاهوتي، وطبعات القرن التاسع عشر يغلب فيها التفسير التاريخي، والآن يسود التفسير الجمالي الذي يرينا نبر كل بيت، هذا الشيء الذي يشكّل أحد أكبر مصادر براعة دانتى». في ترجمتنا هذه، وبالتعويل على حواشي جاكين ريسيه التي تظّل أكثر شمولاً من سابقاتها، جعلنا أنماط التفسير الثلاثة هذه تتجاوز، زيادةً في فائدة القارئ وطموحاً إلى قراءة كلية.

كما حاولنا جعل فقرات هذا المدخل النقدي تتكفل بتعزيز التفسير الجمالي والفلسفي لتردم كل ما قد يكون اعتور الحواشي من نقص من هذه الناحية.

(4)

## امتدادات

اقترحنا في ما تقدّم من صفحات قراءة مُحايثة أو داخلية «للكوميديا الإلهية»، متدرّجين في فهمها أو مقاربتها طورًا طورًا، وعنصرًا أساسيًا بعد عنصر أساسي. ولقد استعنا في ذلك بكتابات جاكولين ريسيه وشراح عديدين تذكرهم هي، وبجملة محاضرات لبورخيس وقراءة لرنيه جيرار. يبقى أن نتوقّف عند نقاط بدت لنا أساسية هي الأخرى، وما كان يمكن تناولها في القراءة المتدرّجة للعمل، لأنها تخصّ موقف دانتي نفسه (موقف موضوع في عمل) من مسائل محورية كالعدالة وجوهر العلاقة بفرجيليو، ومسألة مصادر دانتي وتأثيراته الممكنة، وكيفية عمله على المجاز، إلخ. هذه العناصر التي تخترق العمل كلّه وليس هذا أو ذاك من أطواره فحسب سنتناولها في هذه الفقرات الختامية انطلاقًا من قراءة أنغاريتي وبورخيس وجاكوتيه.

- «دانتي العادل»: تحت هذا العنوان كتب الشاعر الإيطالي الشهير جوسيه أنغاريتي Giuseppe Ungaretti دراسة متضمنة في كتابه النقدي «البراءة والذاكرة» (ترجمة إلى الفرنسية الشاعر والمترجم السويسري الكبير فيليب جاكوتيه). بادئ ذي بدء، يصرّح أنغاريتي باعتقاده بأننا قد لا نجد، بعدَ محاوره «الغورجياس» لأفلاطون، تمثلاً للعدالة هو ثمرة معرفة أكثر تشخيصًا وامتدادًا ويحرّكها إيمان أكثر شعريّةً وشجاعةً بل وحتى «تعصّبًا» للعدالة ممّا لدى دانتي (ص 25). يبقى أن نشخص مستويات عمل هذه العلاقة، وهل يمكن القول حقًا بأنّ مراجعها الدينية تستنفدها أو تختزلها إلى منطلقاتها وحدها.

يفترض المنظور الأخرويّ أو الأخيريّ الذي يضع فيه دانتي عمله (موت الفرد وتسديده ثمن إساءاته أو تلقّيه جزاء حسناته)، يفترض اكتمال حياة الفرد، ومن بعد، في المنظور القياميّ أو النشوريّ، اكتمال التاريخ الإنسانيّ. لكنّ هذا كلّه ربّما لم يكن سوى مجاز ساعد دانتي في إرساء مسرح شامل فصلّ فيه رؤيته للأفعال البشرية ومردوداتها على مصير الفرد والمجموع وعلاقتها بالحرية والتحقّق والاعتناق.

مجاز أو مسرح افتراضيّ نقدر أن نرتفع إليه في فعل القراءة لنذكر جوهر العدالة كما يتجلّى لدى دانتي. وهذا المستوى المجازيّ أو الأمثوليّ (الأليغوريّ) هو ما يضعنا أنغاريتي أمامه دفعةً واحدةً عندما يكتب: «إنّ عدالتنا، العدالة التي ندفعها إلى العمل في الزمن والفضاء، ستكون أقلّ عدلاً إذا لم نعرف ونرغب أو نحاول انتشار أفعالنا من الاضطراب والعذاب والمأساة، أي من «الغابة المظلمة» لحياتنا الشهوية ووجودنا التاريخي، بغية إحالتها إلى المطلق، محاولين على هذا النحو أن نراها [أي الأفعال] كما ستبدو عاريةً تمامًا وقد ثمنها وصنّفها حكم لا يخطئ، عندما ستكون الأزمنة قد اكتملت وتكون حياة كلّ فرد وتاريخنا نفسه قد أدركا تمامهما» (ص 26).

هذه العدالة في المطلق ستكون في نظر أنغاريتي «محض هذيان» لو لم يكن الشعراء أو الفلاسفة رجعوا إليها ليحيلوا محسوسًا للفكر والمخيّلة باعث وجود الإنسان وغايته المتمثلين في حرّيته المحض وهناءته، وإذا لم يكن الرّجاء أصبح بذلك غير قابل للانفصال عن النشاط الأخلاقيّ

والمعنويّ للكائن الإنسانيّ (نفس الصفحة).

والشعر يقيم في عُرفه في أصل هذه المعرفة، بما هو لغة فطريّة (فطرية الاندفاع، فهذا لا يعني أنّها لا تكون «مشتغلة» بالثقافة) تتيح للإنسان معرفة كلّ ما هو خالد فيه ومنيع على الموت. ومثلما شكّل الشعر للإنسان نقطة انطلاق، فهو يشكّل له عالمًا أسمى عندما يكون الفرد تماهى والشعر واستحال، بفضل القوّة المعنويّة أو الأخلاقيّة المحوزة على هذا النحو، إنسانًا حرًّا. «كان كلام الإنسان في الأصل شعرًا؛ وعندما يكون الإنسان تكبّد العذاب كلّه وأدائه وميّزه وقهره، واستعاد نقاءه الولاديّ والموسيقيّ، فإنّ الكلام سيكون لديه إلى الأبد نورًا وشعرًا» (ص 28).

هذه اليقظة من أجل الكلام، هذه الالتفاتة صوب الكلام الشعريّ باعتباره إطارًا أو شرطًا لتمظهر العدالة، يواجهنا بها دانتي منذ أولى أنشودات عمله. يتيه في الغابة المظلمة وتطلع وحوش ثلاثة يدفعه أحدها (الذئبة) إلى «الموضع الذي تصمت فيه الشمس». «أو تصمت الشمس؟، يتساءل أنغاريّتي. المؤكّد هو أنّ الشمس تتكلم، وهذه مناسبة جيّدة لتأكيد الأهميّة التي يحضها دانتي لفعل الكلام» (ص 29).

الذي حدث هو أنّه وجد نفسه أمام حركة أولى للعتامات والظلال، لا شيء يبين فيها أو يكاد، ونحن نعرف فحسب أنّنا نلتقى كلام رجل كان نائمًا وهوذا يستيقظ؛ إنسان قهر العاصفة وابتعد عن «الشاطئ الخطير»، ابتعادًا نلمح في خلفيّة أثرًا أو ذكرى لإنياس، بطل فرجيليو الذي عاد هو الآخر من عالم الظلمات وراح، في مسار بالغ الاختلاف سنعود إليه في ما يأتي، يتحسّس ذاكرته. كلّ ما سيتلو في هذه الرحلة هو سعي إلى النور، وإلى تحديد ساطع للعدالة. لكنّ ما ينبغي أن نلاحظه مع أنغاريّتي هو أنّنا نكون دفعةً واحدةً، ومنذ البداية، بإزاء كلام «يظّل»، مهما كان من نبره الحكيم أو المتعقل، يشغل صدارة المشهد ويروح يلتهم كلّ شيء ويلغى كلّ ما لا يكون كاشفًا عن ذاته في أثناء تدخّله» (ص 31). هكذا يكون الزمن باعتباره كاشفًا عن موقوتيّته، والتاريخ باعتباره مسكونًا بكآبته الخاصّة أو سوداويّته، منذورين في الكلام الدانتيّ: «لتجسيد جوانب من النشاط الإنسانيّ مشخّصة مرّة وإلى الأبد» (نفس الصفحة) ينشد الشاعر المستيقظ أو المدفوع من جديد إلى الحركة اللحظيّة التي «تتكلم» فيها الشمس أو تبارح صمتها ذاك. وما يأمله منها ليس نورها العاديّ الذي يترقّبه هو كأيّ كائن سواه، بل هو كذلك نور آخر ينعقد كامل مصيره الإنسانيّ والشعريّ في نشدانه. نور يدلّه على أنّ في مقدوره أن يدحر الهاوية وينبثق منها ليقوم حوله «نظام أسمى». انطلاقًا من هذا المعطى البسيط والحافل بالدلالات الذي تبادهنا به الأنشودة الأولى من العمل كلّه، ترتسم خاتمة العمل وأواسطه في بدايته: «هكذا تبدو نهاية الإنسان [بمعنى إدراكه غايته] مرتسمة في خطّ عموديّ لا انتهاء له، خطّ يجمع غور الهاوية بالسماء العليا، سماء النور الخالص أو الأميريوس؛ وإنّ انهماج الإنسان بالتناغم وجمال الكون، عبر تعاقب الظلام والنور، إنّما يتكشّف منذ أول حركة إنسانيّة: إنّ «الأمل بالارتقاء» أو «رجاء الأعلالي». وبفعل أحد الخوارق التي يظّل الشعر قادرًا عليها، وشعر دانتي أكثر من سواه، نكتشف أنّنا مشهّدًا موصوفًا في أطواره المتعاقبة، من الرقاد غير الواعي إلى التهويم المبهم فشعشعة الفجر، وهذا كلّه مجموع ومكثّف ومحوّل فجأةً داخل هذا الفرد المشربّ حاملًا أمله بالارتقاء؛ هذا الفرد الذي يتكشّف أنّنا كما هو، ويكشف لنا عن أنّ الكون حولنا إنّ هو إلّا تلميح بالغ التنوع إلى الإنسان، ولا يمكنه أن يعلمنا إلّا شيئًا واحدًا: إعادة إرساء الأصرة بين الموقوت والأبدي» (ص 32).

هنا يخوض الكائن تجربة الفضاء، وبفضل حركة الشعر الأصلية يتعلّم أنّ فيه شطرًا إنسانيًا ينبغي إعادة استملاكه، وشطرًا بهيميًا (مع خداعاته ونهمه وعدوانيته وخيلائه وبخله) ينبغي أن يكبح من جماحه. هذا العمل يصفه أنغاريقي بالهرقليّ، لفرط ما هو فادح وعسير. وربما كان في حالة دانتي أكثر عسرًا، بباعث من شرطه التاريخي، شرط عصره الذي يختتم القرون الوسطى ويفضي إلى عصر النهضة، والذي خرج فيه الإنسان من تناغمه الطبيعيّ النسبيّ وخاض تجربة «الحسيّة» إلى أقصاها، مع كلّ ما تستتبعه من فساد ومعاناة، وبدأ يشهد الابتعاد عن الإلهيّ (أو «ابتعاد الإلهي») إذا أردنا استخدام صبغة لنتيشه). هنا تتأسّس لدى الشاعر، بالرجوع إلى حركة الشعر الأصلية، عدالة قائمة على الطيبة (المسيح فاتحًا ذراعيه ليهودا، كما في إحدى المنحوتات التي استوقفت أنغاريقي والتي لا بدّ أن يكون دانتي رأى منها الكثير). لكنّ عندما تحين ساعة العدالة المطلقة، فإنّ العدالة المقامة على مثل هذه الطيبة، «ستكون ولا أكثر قسوة مع كلّ من لا يعبأ، بباعث من غبائه أو عصيانه، بالمساهمة في المحبّة التي توجّه هذه الطيبة وتُنظّمها» (ص 34).

تستوقفنا هنا حالتان أو لحظتان أساسيتان يقيم عليهما أنغاريقي قراءته. فاللقاء بشبح فرجيليو عند الغابة المظلمة (فرجيليو الذي يقول دانتي إنّه بدا له «وكأنّه أبخه صمت طويل») ليس، من منظور هذا التاريخ، وتاريخ الشعر بالذات، بالهين الدلالة إطلاقًا. إنّ أكثر من ألف عام تفصل بين صاحب «الإنياذة» ودانتي. وما ينشده الأخير، «إنّياس» الجديد هذا كما يدعوه أنغاريقي، هو أيضًا الوصول إلى المرفأ وارتياح عتبة النور والنهل من بحيرته الوضاء. منذ تلك اللحظة، أي منذ ظهور هذا «الآخر» الاستثنائيّ، و«في هذه الوثبة الجديدة للنور خارج الظلام، في هذا الزحف الجديد للفجر، أقصبيّ التردّد بين النور والعتمة أكثر من ذي قبل بكثير. وهذه المرّة تنفتح أمام الشاعر «صحراء شاسعة» تمتدّ على أكثر من ألف عام (...). وبالصعود من أكثر من ألف عام، قد تظهر أخيرًا تجربة عظيمة: أي يظهر، داخل الشعر، المقياس الكبير للتاريخ الذي بدا "وقد أبخه صمتٌ طويل" (ص 35).

الحالة الثانية، تتمثّل في مواجهة الوحوش الثلاثة، الأسد والفهدة والذئبة، في الأنشودة الأولى أيضًا، ومضادتها بالسلوقيّ كرمز لمخلّص قادم. وتستجيب هذه الاستعانة بوجوه حيوانية في كلتا الحالتين (التهديد والنجاة)، في نظر أنغاريقي، إلى قصد مبرم من قبل دانتي. فالسلوقيّ يمثّل في شعريّة دانتي ضربيًا من طاقة زمنيّة تجد مهمتها، ضمن نسيج ذلك التّاريخ نفسه، في التصدي لضروب أو صور شرّانية لهذه الطاقة الزمنيّة. صور تمثّل الإرادات التي انغمست في المصالح الماديّة والإثرة، وبذا فالسلوقيّ إنّما يرمز إلى إرادة قوّة، على أنّها إيجابية أو مُحسنة. يدلّ وجود هذا الحيوان على أنّ القوى أو الطاقات الزمنيّة المسيئة لا يمكن أن تتصدّى لها إلاّ طاقات زمنيّة مضادّة. ويساعد هذا خصوصًا في إحداث تمييز قاطع بين الزمنيّ (أو التاريخيّ) والأبديّ. «وعليه، فالسلوقيّ قوّة زمنيّة، ولكنّ صاعثها ووجهتها، في تلك المطاردة الصّارمة [التي ستخوضها ضدّ الوحوش الثلاثة]، مطامح التاريخ والإنسانية المناضلة لفرض فكرة عن الإنسان أبدية؛ إنّ قوّة سياسيّة موجهة للاستجابة "بتواضع" لغايات "الحكمة والفضيلة والحب" التي تنوّه بها الأنشودة المذكورة (ص 38).

من بين سمات العدل عند دانتي أنّه يذكر في الموضع نفسه الأبطال اللّاتين الذين ماتوا من أجل طروادة وأعداءهم جنبًا إلى جنب. يريد، ولا شكّ، التذكير بأنّ قضية عادلة تنتصر بفضل أنصارها وكذلك بفضل خصومها. فالخصوم هم، كما يذكّر به أنغاريقي، من يحمّسوننا ويدفعوننا إلى زيادة

إيضاح بنود القضية العادلة، أيًا كانت. وعلى هذا النحو كان دانتي، «متعصب العدالة» هذا، يتهياً منذ أبيات عمله الأولى إلى الشفاء من تعصبه الشخصي» (ص 40).

- «دانتي وفرجيليو»: تحت هذا العنوان وضع أنغاريتي دراسة أخرى في صاحب «الكوميديا الإلهية»، سبق بها الدراسة التي عرضناها أعلاه، يحدّد فيها معنى العدالة لدى كلّ من الشاعرين، ويوضّح فوارق أساسية بينهما من حيث فهم التاريخ والعلاقة بالزمن وتصوّر الحياة الدنيا والعالم الآخر. يذكّرنا أنغاريتي أولاً بأنّ دانتي نفسه يدعو في عمله فرجيليو، بصورة بالغة الاحتفالية، مرشده وأستاذه، وبالتالي فهو نفسه يدعوننا إلى إقامة العلاقة بينهما أو تناولهما في علاقة، أحدهما بالآخر. ثمّ يُسارع إلى التنبيه إلى أنّنا أمام «شاعرين بالغيّ التمايز، وعالمين مختلفين تمامًا، وإنّ لمن فادح الخطأ الكلام عن تأثير لفرجيليو على دانتي، وأفدح منه سيكون الزعم بأنّ دانتي قد قلّد فرجيليو» (ص 7).

يذكّر أنغاريتي بأنّ فرجيليو كتب «الإنياذة» لتمجيد سلالة إمبراطورية (سلالة مُعاصره أغسطس)، وليرينا تواصلها عبر الأجيال، ووحدتها عبر ذلك التواصل. أمّا دانتي (الذي نُذكّر بأنّ مجد الإمبراطورية لم يكن يشكّل إلّا جانبًا من همومه، وأنّ اهتمامه لم يكن محصورًا بسلالة بذاتها، ولا حتّى بالملوك الطليان وحدهم، ثمّ إنّ الإمبراطورية نفسها كانت منخرطة لديه في مشروع شامل للسلام الكوني)، فقد كتب «الكوميديا الإلهية» ليعلّمنا أنّ الإنسان يجد غايته في العدل، وأنّ العدالة هي ما ينزع إليه الإنسان، فردًا كان أو جماعةً، بل النوع البشريّ كلّ (ص 8).

تندرج عدالة دانتي، عند مستواها الحرّفيّ الذي ينبغي دائمًا موازنته بالقراءة الأمثولية والفكرية، في أفق قياسي. يدرك الفرد نهايته (المؤقتة) لدى موته، والتاريخ خاتمته عند نهاية العالم. وفي لحظة الحساب الأخير تستعيد المادّة المنحلة خلودها، والروح جسدها، أي اكتمالها. وعليه، وخلافًا لفرجيليو كما سنلاحظ، لم يكن دانتي يتصوّر الروح أو النفس مفصولة عن الجسد نهائيًا. من هنا فحُكم العدالة إنّما يُمارس لديه على مستوى أبديّ. في الحياة الفانية، يظلّ الفرد حرًا في ممارسة الخير أو الشرّ. وفي لحظة الحساب يذهب بنفسه إلى الحساب الذي يعرف هو أنّه مستحقّه، عقابًا كان ذلك أم ثوابًا. في هذا كلّه يكون الإنسان لدى دانتي شاهدًا للعدالة أبدئيًا (ص 9).

هذا الفارق النوعيّ في التصوّر الفلسفيّ للاختيار الحرّ وأمثال البشر جميعًا لشرط العدالة، يترتّب عليه في نظر أنغاريتي الفارق البنائيّ الواضح بين دانتي وفرجيليو من حيث تصوّر العالم الآخر أو «مسرحته» داخل العمل الشعريّ. إنّ دانتي يغتّى العدالة على امتداد عمله كلّ، ويرتاد من أجلها بل يتفحّص بأنّاءة كلًّا من ملكوتات العالم الآخر الثلاثة. أمّا فرجيليو فـ «يبعث» بأنّياس إلى العالم السفليّ في الفصل الزّابع من «الإنياذة» (فصل يقيم، كما يؤكّد عليه أنغاريتي، ضمن عوامل تقدير دانتي لفرجيليو) لا لشيء إلّا ليتفقد أرواح صرعى طروادة وسواهم ممّن ماتوا من أجل مجد الرومان. وعليه، فهذه الزيارة مملّية بفلسفة فرجيليو التي تشكّل في لغتنا المعاصرة معادلًا للحماسة القومية أو التمركز القوميّ والسلاليّ (مجد يتجسّد في عائلة يتجسد فيها مجد أمة). فلسفة تؤمن بتواصل عبقرية المجموعة أو العائلة عبر فروعها المتوالية. وبهذه الرحلة إلى عالم الأموات إنّما يكشف أنّياس عن «أنّ المستقبل مرتسم في الماضي من قبل، وبوصله أحدهما بالآخر على هذه الشاكلة يكشف أيضًا عن أنّ وحدة روما وعظمتها نابعتان من التجديد المتواصل، أبًا عن جد وابنًا عن أب،

للفضائل المميّزة للسلافة المتجسّدة هي فيها» (ص 9).

لهذا الباعث يظلّ الجسد في نظر فرجيليو زمنيًا، أي مؤقتًا، أبدًا، لا تستعيده الروح بأيّ شاكلة من الأشكال. فهو لا يعقد الأهميّة «إلاّ للجسد الحيّ، أي للزمن، الممكن تصوّره من جهة أخرى باعتباره أبدئيًا في وحدته، غير متناهٍ في استمراريّته.

أي بالتالي لا يعقد أهميّة إلاّ للأرواح التي تجسّد لا أرواحًا شخصيّة وإنّما روحًا تضمن خلودها على الأرض بفضل الاستمراريّة والوحدة والتجديد غير المنقطع للفضائل المميّزة لسلافة معيّنة» (نفس الصفحة). على هذا النحو نكون قسنا مع أنغاريّي البون الشاسع الفاصل بين الشاعرين، أوّلًا من حيث علاقة الجسد بالروح، وثانيًا من حيث انهماك دانتي بتصوّر شامل للعدالة، على حين لا يُعنى فرجيليو إلاّ بتقديم صورة عن تواصل المجد الرومانيّ في عائلة بذاتها (ومن هنا الطابع الملحميّ لعمله، على حين يظلّ عمل دانتي تراجيديًا أو مأسويًا وإنّ دعاه هو «كوميديا» لانتهائه «نهاية سعيدة»).

هذا كلّه يلقي بطبيعة الحال بفوارق أساسيّة بين الشاعرين على صعيد الفنّ الشعريّ أو الصنعة، يكشف عنها أنغاريّي تبعًا. يصف فرجيليو ملحميًا أماكن يعرفها جيّدًا ويضفي على الطبيعة نبالة وبذخًا ويوصل التعبير الكلاسيكيّ إلى ذروة سامقة. أمّا دانتي فلديه أفكار يريد إيصالها، ولأنّه يأبى أن يتصرف كأبّي شاعر ذي رسالة أو محتوى يريد تبليغه بصورة تجرّيدية أو شعاريّة، فهو يجترح من أجلها مسرّحًا خياليًا كاملًا يتّسم بالتشخيص والحسيّة ودقة الوصف. خلافًا لممارسي الشعر الفكريّ، المتخلّل أو المشوب بالضرورة بقدر كبير من اللاشعر، تدرك عبقرية دانتي أن التناول البصريّ وتلمّس باقي الحواسّ هو وحده ما يكفل لأفكاره مضاءها المطلوب وما يرجوه لها من جدّة. ومن هنا ولعه باللوحات الناطقة والتفاصيل المرثية والمسموعة الدقيقة ورصد أدنى المشاعر الخفية والإيماءات الدالّة ورسم المشاهد العاملة على كلا المستويين الحزفيّ والأمثوليّ (ص 10). وكما يذكّر به أنغاريّي أيضًا، فإنّ دانتي رسم لنفسه ولشعراء عصره والعصور التالية مهمّة تتمثّل في إجبار مجموع المعارف المتكوّنة للإنسان على التكتّف في صوّر قادرة على اجتذاب الحواسّ والمخيّلة كمثّل كشف أو وحي جديد هو أكثر كمالًا من كلّ ما سبقه. «يقوم فنّ دانتي على تحويل نسق فكريّ إلى جملة صوّر معجونة بواقعية هي من القوّة بحيث تؤبّد الهواجس المتسلّطة أو تقبض عليها مرّة وإلى الأبد. يقوم فنّه على إعطاء صيغة ماديّة للأفكار، ومدّها بلحمٍ ودمٍ وأهواءٍ ورقّة، و«تعنيفها» بمثل هذه المواظبة بحيث تنتهي إلى التعبير ببالغ الدقّة عن روحها، أي عن الفكرة التي تنحصر مهمّتها في تمثيلها. وهذا هو ما يجب أن نفهمه من الأمثلة أو الأليغوريا» (ص 11). وكما كتب أنغاريّي في المقالة المعروضة سابقًا («دانتي العادل»)، فإذا كان دانتي يذكّر في «الجحيم» «أريكتو القاسية / التي تهوى تذكير الأشباح بأجسادها»، فهو نفسه يمارس شعريًا دور أريكتو، رادًا إلى الأرواح شرطها الجسديّ كي تتمكن من مواجهة مصيرها بكلّ حسم.

يطرح أنغاريّي ثلاثة أمثلة أساسيّة على هذه الفوارق في الصنعة التي تقيم وراءها الفوارق الفلسفيّة المذكورة أعلاه. وهنا ينبغي أن نسمح لأنفسنا بنوع من التكرار يعمد إليه أنغاريّي لإرساء الحالات في أطرها المشخّصة عبر أمثلة عيانيّة يعيد تأملها في كلّ دائرة جديدة من بحثه.

في المثل الأوّل يقارن بين حالة الموتى المحرومين من الأضرحة لدى فرجيليو وأشباح الملعونين

الغفل الملقى بهم في أولى دوائر الجحيم لدى دانتي. يشهد نزول إنياس إلى العالم السفلي على عدوبة الذكرى وقداسة الذاكرة وتواصل السلالة بين الأموات والأحياء. من هنا أسفه لأرواح مَنْ ماتوا ولم يُدْفَنُوا، هذه الأرواح التي تظلّ، لافتقادها لضريح، ترفرف طيلة مائة عام (قد نقول إنّ ما ينقصها هو بالذات الأخطاط في سجلّ عائليّ للموتى والتمتّع بشاهدة تدلّ على أصحابها بين موتى السلالة). الحياة هنا أبدية عبر موقوتيتها (موقوتية حياة الفرد وأبدية حياة الجماعة بفضل تعاقب الأفراد أنفسهم). لدي دانتي، يشكّل الزمن تعاقب سلسلة خطايا وأمراض وانحلالات للجسد والمادّة، ولا ينال الفرد والتاريخ كمالهما إلّا يوم الحساب الأخير، عندما يكون سياق قد اكتمل وغاية قد أدركتْ، فتبدأ العدالة تعمل عملها.

ولمّا كان العالم الآخر هو مجال انعقاد هذه العدالة، فمن الطبيعيّ أنّ يكون أول من يقابلهم دانتي في الجحيم هم الأناس الغفل الذين لم يؤتوا في حياتهم الدنيا لا خيرا ولا شرا، أي الذين تتمثّل خطيئتهم في افتقارهم إلى الخطيئة، فلا تقدر العدالة أنّ تُمسك بهم (هم بمعنى من المعاني درجة صفر العدالة). ولذا تراهم بلا أسماء تدلّ عليهم، ولا هويّة واضحة للعالم، لا يعادل تفاهة شرطهم في الجحيم إلّا تفاهة مرورهم في الحياة. فكأنّ لسان حالهم يقول ما قاله الجواهريّ الشابّ في إحدى قصائده التي ينعي فيه مصيره ومصير الشبيبة العراقية التي تمنعها قوّة الانتداب ومُجمل شرطها التاريخيّ من كلّ مبادرة حيويّة وإنّ كانت «سلبية»:

«ويؤلمني فرطُ افتكاري بأنّي سأذهبُ لا نفعًا جلبتُ ولا ضرا».

المثال الثّاني هو موقف كارون، معبر سفينة الموتى، من كلّ من إنياس ودانتي.

يرفض كارون أنّ يحمل إنياس في سفينته لأنّه يخشى أنّ ينتهك الأخير حرمة الموتى، ثمّ يقبل بحمله عندما يريه إنياس الغصن الذهبيّ، دالّا بذلك على أنّه من محدّد نبيل، وأنّه يحمل في ذاته نور الموتى الذين يريد هو تكريمهم في السلف والخلف (ص 18). أمّا دانتي المسافر، فلا يريد كارون في البدء حمله لأنّه ما يزال حيّا، وبالتالي فما تزال لديه فرصة لتخليص نفسه أو الإمعان في الإثم. أمّا هناك، أي في الجحيم، فهو في مسرح العدالة الثابتة التي لم تعد لتقبل تعديلاً، والتي يكون الأوان فيها فاتّ دوماً (ص 18-19).

المثال الثالث يتمثّل في مشهد الوصول. يصل إنياس إلى مرفأ «كومي» بعد مغامرات ومحن عديدة يصفها فرجيليو، أمّا دانتي فكلّ ما يُعلمنا به هو أنّه وجد نفسه في منتصف العمر تائهاً في غابة مظلمة. إنياس في حداد لفقدانه رفيقه يالينور Palinure الذي كان يمسك إلى جانبه بالدقّة. ومن الطبيعيّ أنّ يكون هذا الرفيق هو أول من تُستحضر ذكراه في فصل مكرّس لتمجيد جميع التضحيات الماضية والآتية الهادفة إلى ضمان تواصل السلالة ووحدها. لا مجاز هنا، ولا من معنى مزدوج، بل كل شيء يحدث كما يمكن أن يحدث في الواقع (ص 21). أمّا دانتي، فيستعين بصورة الشاطئ الخطير الذي يبتعد عنه الناجي، والغابة المظلمة التي يتوغّل فيها، لكنّ المعنى الحقّ لهذا كلّ إنّما يقيم في مستوى آخر، أمثوليّ (نفس الصّفحة).

والشيء نفسه في تعامل دانتي مع الظلام والنور. فعندما يتكلّم دانتي عن ظلام الغابة، فليقول لنا إنّنا غصنا في هاوية. أمّا مشهد شروق الشمس (ولا أحد يصف الشمس في عرف أنغاريّتي أفضل من دانتي)، فهو هنا «لا ليرسم لنا الانتقال من الليل البهيم إلى الصبح المتمادي، بل ليكشف لنا عن



بضعة أفكار للشاعر حول التاريخ والإنسان» (ص 22). الخلاصة، إن مسعى دانتي يتمثل في أن يوصل إلينا عذابات الأرض إذ تنتقل من نعاسها أو سباتها إلى النور، والترقب الشائق الذي كان يعتمل في نفس المسافر بقدر ما يتسع النور ويحقق انتشاره. وما كان هذا بالممكن من دون أن يعمل على إحالة حقيقة أفكاره مرئية للحواس، ومدّها بجسد يلائمها تمامًا ويستقطب الخبرة المشتركة لحواس الإنسان. الاتجاه من الصور الحسية إلى الأفكار وإلى عالم المعقول والمعرفة الخلاصة، كذلك هو في نظر أنغاريبي الطموح الفني لدانتي (ص 22). وفي هذا درس لجميع كتّاب الشعر وقراءه في عصرنا المزدحم أكثر فأكثر بالأفكار والمثقل على المرء بمشاعر هائلة التناقض وأفكار مفزعة في وفرتها.

**- المصادر والتأثيرات:** تطرح نفسها مسألة التأثيرات الممكنة أو المصادر المحتملة لعمل دانتي. ولعلّها، خلافًا للمتوقع، من البساطة بحيث يمكن البتّ فيها ببضعة سطور. يطرح نفسه أولاً الفصل الرابع القصير من «الإنياذة»، الذي يصف فيه فرجيليو نزول إنياس إلى العالم السفلي. لكننا لاحظنا مع أنغاريبي أنّه لا يصف عقوبات ولا ثوابات، بل لا يفعل فيه إنياس سوى أن يتفقد موتي طروادة، مؤكّدًا بذلك تواصل السلالة من الموتى إلى الأحياء، ومن السلف إلى الخلف. ويُعَلِّمنا بورخيس في محاضرتة «دانتي والرؤياويون الأنغلو- سكسون» (ضمن المحاضرات التسع) أن بعض الشراح القدامى ذكروا عمل بيدا، الذي ربّما كان هو بيدا المعروف بالمبجلّ، رجل الدين الإنجليزي الذي وضع باللاتينية «التاريخ الكنسي لأهل إنجلترا»، وذلك في القرن الثامن، أي قبل دانتي بخمسة قرون ونيّف. يتضمّن العمل صفحتين لا أكثر يصف فيهما بيدا معراجًا «حصل» لفورسي، ناسك إيرلنديّ، أثناء مرضه، يرى فيه ويصف طوال تينك الصفحتين كلًّا من الجحيم والمطهر والفردوس. أكان دانتي عارفًا بهاتين الصفحتين؟ كيف يمكن معرفة ذلك؟ كما يمكن أن نتذكّر ما أشار إليه البعض من مصادر إلهام عربيّة - إسلاميّة ممكنة «للكوميديا الإلهيّة»، وفي أولها معراج نبيّ الإسلام وإسراؤه الذي كانت رواية لاتينيّة له متداولة في أوروبا عبر إسبانيا. لكنّ يولس الرسول وقبله يسوع نفسه كان لهما صعود إلى السماء. أم «رسالة الغفران» للمعريّ؟ إنّها تستنطق الشعراء في العالم الآخر في مسائل شعريّة ولغويّة ولا تصف ثوابًا ولا عقابًا. أم إسرءات ابن عربيّ الروحيّة؟ لقد توفيّ متصوّفنا المرسيّ قبل وفاة دانتي بثمانين سنة لا غير، وما من دليل على أنّ أعماله عرفت طريقها إلى اللاتينيّة في ذلك القدر الوجيز من العقود. لاحظنا في ما تقدّم أنّ التأثير الإسلاميّ الأعمق على دانتي أتّ بالأحرى من ناحية الفلاسفة، ولم يتخفّف الشاعر على هذا التأثير ولا ندري ما الذي كان سيدعوه ليفعل ذلك. وفي حقيقة الأمر، فانطلاقًا من إسرء يولس الرسول الموصوف في الأناجيل ومعراج نبيّ الإسلام المذكور في القرآن وُضِعَ في أوروبا والعالم الإسلاميّ ما لا يُحصى من النصوص الموجزة، بل يمكن نعت العديد منها بالضمامرة، يتخيّل كتّابها أنفسهم في العالم الآخر ويصفونه.

من النصوص العربيّة في هذا المضمار «كتاب التوهّم» للمتصوّف المحاسبيّ (الحارث بن أسد، ولد في البصرة وتوفيّ ببغداد في 243 هـ / 857 م، وكان من مُريديه الجُنيد)، الذي حقّقه المستعرب الفرنسيّ أندريه رومون Andre Roman وقدّم له نشرة مصحوبة بترجمة فرنسيّة من وضعه (منشورات Klincksieck، باريس، 1978). لا يتجاوز «كتاب التوهّم» ثلاثين صفحة، وفيه يتصوّر الكاتب، بمعجمٍ وإطارٍ إسلاميٍّ محض، رحلة إلى العالم الآخر: «فتوهّم نفسك وقد صُرِعَت للموت

صرعاً لا تقوم منها إلا إلى الحشر... فتوهّم نفسك بعريك ومذلتك وانفردك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق عراة حفاة... فبيننا ملائكة السماء الدنيا على حاقّتها إذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب وانحدروا من حاقّتها بعظم أجسامهم وأخطارهم وعلو أصواتهم بتقدّيس الملك الأعلى الذي أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلّ والمسكنة... فتوهّم نفسك لكربك وقد علاك العرق وأطبق عليك الغمّ وضاقّت نفسك في صدرك من شدّة العرق والفرع والرعب والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشفاء... فبينما أنت مع الخلائق في ظلم القيامة وشدّة كربها... إذ سطع نور العرش وأشرق الأرض بنور ربّها... فلمّا عاينتك الملائكة الموكّلون بأخذك قد حلّ بك الاضطراب... فتوهّم نفسك في أيديهم كذلك حتّى انتهت بك إلى عرش الرحمن فخذفوا بك من أيديهم وناداك الله عزّ وجلّ بعظيم كلامه: أدنّ منّي يا ابن آدم فغيبك في نوره فوقفت بين يدي ربّ عظيم جليل كبير كريم بقلب خافق محزون وجل مرعوب، إلخ.» ينسى الشّراح بهذا الصّد مسألتيّ هماً في اعتقادنا أساسيّتان. أولاًهما تخصّ آلاف التفاصيل التي يبتكرها داني أو يمارس عليها تحويلاً معتبراً بعد استقائه إيّاها من التاريخ تارةً ومن الميثولوجيا طوّراً، وهذا المعمار الكامل المعقّد العناصر والمتراخي الأطراف الذي يرسمه لكلّ من ملكوتات العالم الآخر الثلاثة. وهو لا يكتفي بهذا الابتسار أو التعميم في وصف الأماكن المتوهّمة والوقائع المتخيّلة والمشاعر المرصودة والكلام المتبادل (كما نلاحظ في المقتطف من نصّ المحاسبي)، بل يزيح هذا كلّ في بسيكولوجيا عميقة يشفعها بمعالجة فلسفيّة ورؤية تاريخيّة ومسرح مأساويّ ومتواليات شعريّة مديدة. أمّا المسألة الثانية فيذكرنا بها بورخيس: مسألة الموروث الشفويّ الذي لا بدّ أن يكون أثرى رؤيا داني كما وجّه ولا ريب خيالّ الراهب الإنجليزي بيدا قبله.

وكما يشير إليه بورخيس في محاضرتة هذه عن «داني والرؤياويين الأنغلو-سكسون»، فقد كان أناس العصر الوسيط كثيري التعويل على المتناقل من الكلام. وما كان ضروريّاً أن يكون داني قرأ هوميروس الذي ما كان ليعرف ملاحمه إلا عدد من المختصّين باليونانيّة القديمة ليعرف مكانته ويجعله يتقدّم في اليمابيس كلّاً من أوفيدديوس ولوكانوس وهوراسيو وينعته ب. «الشاعر المعقودة له السيادة». وهنا يكتسب حكم بورخيس في اعتقادنا كامل أهمّيته: «إنّ كتاباً عظيماً كالكوميديا الإلهيّة ليس نزوة معزولة ومُصادفة لفرد، بل هو المجهود المتضافر لعدد غفير من الأفراد والأجيال»، وذلك بما يجعل من البحث عن سابقه أو رواده «استغواراً لحركات الفكر البشريّ وتهمّساته ومغامراته وحدوسه وتخميناته» أكثر منه شيئاً آخر (ص 63).

- **في المجاز وانعكاساته غير المتناهية:** عمل الاستعارات عند داني شديد الأهميّة. وقد حرصت في كلّ مرّة على أن أحتفظ لها بكامل مداها. فعندما يتحدّث داني في بداية «المطهر» عن الشيخ كاتون الذي رأياه هو وفرجيليو وهو يقترب ويكلّمهما «هازاً ريشه الوقور»، فواضح أنّه يشبّه شعره الشائب بريش الطير.

ومعروف في البلاغة أنّ الاستعارة تقوم على حذف كلّ من أداة التشبيه («مثل»، أو كاف التشبيه، أو «كأنه»، إلخ.) والمشبّه (هنا: الشّعري). وعليه، فالاعتراض بالقول إنّ شيخاً لا يمكن أن يكون له «رياش» إذ ما هو بطائر لا ينمّ إلا عن نسيان لقانون الاستعارة. يقول الشاعر هنا إنّ الشيخ كان له شعر شائب وشبيه بالريش، ثمّ يكتفّ القول بالمجاز فيقول إنّ كان يتكلّم «هازاً ريشه الوقور».

وهكذا ترجمتُ، ولم أحوّل الصورة إلى «وهو يحرك لحيتة الوقورة» كما فعل سلفي المرموق الدكتور حسن عثمان في ترجمته لدانتي. وأنا لا أقول هذا انتقاصاً من قدره، بل للإبانة، بتواضع، عن بعض فارق في نظرتينا إلى عمل اللغة الشعرية: لغة يظلّ المجاز مئماً فيها، وينبغي إنقاذه مهما كان من جراته ونأيه عن المعقول. كذلك فعلت، وما هذا إلا مثال آخر بين أمثلة أخرى عديدة، مع بيت دانتي: «ثم أعادني إلى الموضع الذي تصمت فيه الشمس»، ولم أترجم، كما كانت ستقتضيه أيديولوجية «الوضوح» أو «سلامة اللغة» التي ما تزال سائدة لدى بعض المترجمين، إلى: «ثم أعادني إلى الموضع الذي تحتجب فيه الشمس». وسرّني أيما سرور أن أجد في إحدى محاضرات بورخيس التسع المذكورة أعلاه في دانتي تأكيداً لهذا «القانون» الذي كنتُ حفظته من قبل عن سواه. وهنا، لا يؤكّد بورخيس على أهمية الاستعارة فحسب، وعلى ضرورة إنقاذها في الترجمة كما في القراءة (التي تشكّل على شاكلتها الخاصة ترجمة أيضاً)، بل كذلك على نوع من المجازات المضاعفة لدى دانتي، مجازات تقود إلى لعب مرايا وانعكاسات غير متناهية. كما لاحظنا كيف اجتذبت أنغاريتي استعارة «الشمس الصامتة» فاعتبرها شاهداً على نشدان دانتي اللحظة التي تشرع فيها الشمس بالكلام ثانيةً وتعيد وضع العالم أو الإنسان في حركة.

يبدأ بورخيس محاضرتَه هذه (وعنوانها هو: «البيت الثالث عشر من الأنشودة الأولى من "المطهر"، وهو البيت الذي يرد فيه الكلام عن «الياقوت الشرقي») بالتذكير بأن مفردة «استعارة» في اللغات اليونانية-اللاتينية الانحدار تشكّل هي نفسها استعارة. ذلك أنّ اليونانية «ميتافورا» (استعارة) إنّما تدلّ على الانتقال والنقل (وما برحت تُسمّى بها وسائط النقل في اليونان)، تماماً كما تدلّ المفردة العربية «مجاز» على الانتقال و«تجاوز» الموضع أو «جوزه» إلى سواه. تتضمن الاستعارة طرفين يصبح أحدهما الآخر مؤقتاً. ويسوق بورخيس مثال الساكسون الذين يدعون البحر بـ «طريق الدلافين» أو «طريق البجع». في الحالة الأولى، يقول بورخيس، تتناسب ضخامة الدلفين وسعة البحر، وفي الثانية يرتسم طباق أو انسجام ضديّ بين ضخامة البحر وصغر البجع. بعد هذا، يبدي بورخيس إعجابه ببيت دانتي الأنف الذكّر والمتضمّن استعارة «الموضع الذي تصمت فيه الشمس» ويعقب: «فعل سماعيّ يعبر عن صورة مرئية!» (ص 67). ولتعميق عمل الاستعارة هذا، يسوق بورخيس ثلاثة أمثلة أخرى لدانتي وشعراء آخرين. ففي البيت الأوّل من الأنشودة الثالثة عشرة من «المطهر»، ذكر دانتي ذلك «اللون الرائق للياقوت الشرقي». وهو يجد في قاموس بوتّي Buti أنّ «الياقوت أو السفير (المفردة التي استخدمها دانتي) هو حجر كريم يتراوح بين الزرقة الناصعة والزرقة الفاتحة المدعوة بالسماوية، جدّ مريح للعين، وياقوت الشرق صنف منه موجود في ميديا (بلاد فارس)». وعليه، وكما يُدگر به بورخيس، فإنّ دانتي يستحضر لون الشرق بذكر حجر كريم يتضمّن الشرق في اسمه نفسه. «هكذا يُقيم لعباً متبادلاً يمكن أن يستمرّ إلى ما لا نهاية له» (ص 68). (في المحاضرة الأخرى المنشورة في كتابه «سبع ليالٍ» والمشار إليها أعلاه، يصرّح بورخيس بأنّ بيت دانتي هذا عن «ياقوت الشرق» يمثل أجمل بيت سمعه في حياته).

هذا العمل «التضعيفي» للاستعارة يذكّر بورخيس ببيت لبايرون نورده للفائدة:

"She walks in beauty, like the Night"

(«تسير في جمالها كأنّها الليل»).

«فليتخيّل القارئ، كتب بورخيس، امرأة سامقة القوام، سمراء تتقدّم كأنّها الليلة التي هي بدورها امرأة سامقة سمراء، وهكذا إلى ما لا نهاية له» (ص 69). ثمّ يورد بورخيس بيت روبرت براوننغ:

"O lyric Love, half angel and half bird ..."

الذي ينعت فيه الشاعر حبيبته المتوفّاة أليزابيث باريت بأنّها «نصف ملاك ونصف طائر». «ولكنّ الملاك هو من قبلُ نصف طائر، وعلى هذا النحو يدشّن انقسامًا يمكن أن يكون بلا انتهاء» (نفس الصّفحة).

- **معالجة التفاصيل عند دانتي:** جانب آخر من «بلاغة» دانتي أو «شعريّته» يتمثّل في كيفية تعامله والتفاصيل، وقد توقّف بورخيس عنده في مقدّمته لكتاب محاضراته التسع هذا. يعلن بورخيس عن تعاطفه وإعجاب شراح دانتي ومحلّي عمله الإنجليز بابتكاراته الدائمة والموقّعة للتفاصيل الدقيقة. فكما نلاحظ في «الجحيم» (الأنشودة الخامسة والعشرون)، لا يكفي دانتي أن يقول عن رجل وأفعى يتبادلان طبيعتهما إنّهما يتحوّلان ويمسّخ أحدهما إلى الآخر، بل سرعان ما يشبّه هذا الامتساخ المتبادل بورقة تفرسها نار وتعاجل إلى الظهور فيها حاشية متأجّجة يموت فيها البياض ولّما يظهر السواد. ولا يكفيه في الأنشودة الخامسة عشرة من «الجحيم» أن يقول إنّ المعذبين في الدائرة السابعة يغمضون أعينهم إلى النصف لينظروا إليه وإلى فرجيليو، بل يشبّههم على الفور برجال يعاينون قمرًا غير تامّ الوضوح أو بشيخ يجهد في تمرير الخيط في سمّ الخياط. وبنوّه بورخيس بكون الناقد الإنجليزي المعروف رسكن Ruskin قد أدان ضبابيّة ميلتون لصالح دقّة وصف الأماكن لدي دانتي.

وبصدد قرب الوصف من موضوعه وإصابته الدائمة، كتب بورخيس مذكّرًا بقدامى النقاد العرب: «الكلّ يعرف أنّ الشعراء كثيرًا ما يلجؤون إلى الأوصاف المبالغة: ففي نظر [اللاتينيّ] يترارك أو [الإسبانيّ] غونغورا، كلّ شعرة لامرأة هي من العسجد، وكلّ ماء هو من البلور. هذه الأبجديّة الرمزيّة، الآليّة والخرقاء، تُضعف دقّة الكلمات وتبدو نابغة من عدم الاكتراث الذي يلزم كلّ معاينة ناقصة. دانتي يحرم على نفسه مثل هذه الهفوة: ليس في قصيدته كلمة واحدة لا تلقى تبريرها» (ص 9).

ينبّه بورخيس أخيرًا إلى أنّ هذا كلّّه لا يشكّل حيلة بلاغيّة، بل هو دليل على نزاهة الشاعر وعلى الامتلاء الذي به تصوّر كلًّا من عناصر قصيدته. ويرى أنّ في مقدورنا أن نقول الشيء نفسه عن التفاصيل البسيكولوجيّة أو النفسيّة، التي تتّصف بالروعة والبساطة في آنٍ معًا. يذكر بورخيس بعض هذه التفاصيل الملأى بها القصيدة: فالأرواح المسوقة إلى الجحيم تولول وتجذّف، ولكنّ ما إنّ توضع في قارب كارون، معبّر الأرواح إلى الجحيم، حتّى ينتابها قلق عارم وغامض. ويسمع دانتي من فرجيليو أنّ الأخير لن يدخل الفردوس أبدًا، فيسارع إلى دعوته: «أستاذي، معلّمي، سيّدي»، وذلك إمّا ليثبت له أنّ هذا البوح لن يقلل من قيمته في نظره، أو لأنّ معرفته بكونه من المحكوم عليهم بسكني اليمابيس أبدًا تدفعه إلى أن يحبّه أكثر.

وفي الأنشودة الثالثة من «المطهر»، يهاجم فرجيليو المتغطرسين الذين أرادوا سبر غور الألوهة غير المتناهية بمعيار العقل وحده، وإذا به يطأطى الرأس، لتذكّره أنّه كان من هؤلاء. هذا وسواه من الأمثلة الوفيرة الكثرة (ص 9-10).

- **انتفاء وتجاوز:** تطرح نفسها أيضًا مسألة الانتماء الشعريّ لدانتي والمكانة التي كان حلمه الإبداعيّ الفعّال يحدثه بأنه سيتبوّؤها. لاحظ القراء كيف يدفع دانتي في الأنشودة الخامسة والعشرين من «الجحيم» واحدًا من الخطاة المعدّبين وأفعوانًا إلى الأمتساخ المتبادل، ثم يرفع الشاعر عقيرته بنوع من التحميس الذاتيّ يتحدّى فيه سلفيه البعيدين لوكانوس، صاحب ملحمة «فارساليا»، وأوفيدوس (أوفيد) صاحب «فنّ الهوى» و«التحوّلات» أن يكونا فاقاه في فنّ التحويل والمسح. على أنّ حلم الانخراط العالي هذا والانهمام بشجرة الأنساب الرمزيّة يجدان لهما متنفسًا واضحًا وأكيدًا في «الأنشودة الرابعة» من «الجحيم». أنشودة «متقشّفة»، لا تنطب في الوصف الشائق ولا في الحوار المأساويّ أو الفلسفيّ ولا تعدو أن تكون مجرد «لائحة» بالمواضع وأسماء الأعلام. ومع ذلك فقد خصّصها بورخيس بوحدة من أجمل محاضراته التسع («قصر الأنشودة الرابعة النبيل») يكشف فيها من وراء هذا «التقشّف» أو «النشاف» شبه المقصود عن دلالات عميقة تحفّزنا على تلخيص المحاضرة في أهمّ عناصرها وافترضااتها.

في هذه الأنشودة تشهد رحلة دانتي وفرجيليو في العالم السفليّ بدايتها الحقّ.

كانت الأنشودة الأولى قد صوّرت دانتي تائهاً في «الغابة المظلمة» تتهدّده الوحوش الثلاثة، وكيف يأتي فرجيليو لإنقاذه وهدايته. في الأنشودة الثانية يكشف فرجيليو عن حقيقة مسعاه وعن أنّ بياتريشي جاءت من السماء لتوصيه بهداية دانتي. وفي الأنشودة الثالثة، يجتاز الشاعران مياه «الأكيرون» في سفينة كارون ويسجّلان صورة أولى لقلق الأرواح الملعونة الموجهة إلى الجحيم. الآن يبدآن إذن رحلتها الشائقة، وإذا بمراى فرجيليو يتبدّل، فيحسب دانتي أنّ ذلك من الخوف. فيؤكّد له معلمه بأنّ ذلك متأتّ بالأحرى من الشفقة على هذه الأرواح المتألّمة ويضيف: «وأنا واحد من هؤلاء». ذلك أنّهما بلغا «اليمابيس»، الموضع المخصّص لأرواح الفاضلين ممّن ماتوا في الوثنيّة أو في جهل المسيحيّة. سكّانه لا يتلقّون العذاب، بل عذابهم الوحيد هو العيش في الرغبة من دون أمل برؤية الله والصعود إلى الفردوس. ويستحضر دانتي بصدد هذا المكان «تنهّدت تُرجف ذلك الهواء الأبديّ». وإذا بهما يقابلان أربعة عظماء يحيونهما ويقبلونهما بينهم: إنهم هوميروس وهوراسيو وأوفيدوس ولوكانوس، كبار شعراء العراقة اليونانيّة واللاتينيّة. يعدّون دانتي سادسهم (بإضافة فرجيليو إليهم من قبل) ويقودونه إلى قصرهم المحاط بسبعة أسوار ربّما كانت ترمز إلى المعارف السبع أو إلى الفضائل الفكرية الأربع والفضائل الدينيّة الثلاث، والذي يزرّه خندق مملوء ماءً (لعلّه يرمز إلى الخيرات الأرضيّة أو إلى الفصاحة وعلوّ البيان)، يجتازونه كما تُجتاز اليابسة. لا يتحدّث هؤلاء «الحكماء العظام» إلّا لمامًا وصوتهم واهٍ وضعيف. في حوش القصر ينبسط حشيش أخضر يوحى بالغموض. في مكانٍ أبعد، يري دانتي آخرين، بينهم ابن رشد «واضع الشرح الكبير» وصلاح الدين في عزلته التي تزيد من أبهته، و«قيصر بأسلحته وعينيه النسرّيتين». تليه قائمة من الأسماء تكرر حتى نهاية الأنشودة وتبدو الغاية منها «الإعلام أكثر منها شحذ المخيلة» (ص 22).

يذكرنا بورخيس بأنّ فكرة يمايس للآباء (أي الأنبياء الميّتين قبل ميلاد المسيح)، قبعوا فيها في انتظار أن يرفعهم المسيح إلى السماء بعد موته، قائمة من قبل في التقليد اللاهوتيّ (يُسمّيها إنجيل لوقا «حضر إبراهيم»، 16/22). وكذلك يمايس الأطفال الذين يموتون بلا تعميد. لكنّ، وكما أكّد عليه فرانتشيسكو تورّاكو، تظلّ فكرة يمايس مخصّصة لأرواح الفاضلين بين الوثنيّين وغير

المسيحيين من ابتكار دانتي. وعلى أثر غويدو فيتالي، يرى بورخيس في هذا حيلة بارعة. فما كان من شأن إلحاف دانتي في التأكيد على عظمة العالم الكلاسيكي (السابق للمسيحية) إلا أن يثير غضب معاصريه لتنافيه ومعتقده الديني. ولما لم يكن له أن ينقذ هؤلاء العظماء بالتعارض مع الإيمان، فهو تصوّر لهم هذه «الجحيم المضادة» التي لا يجمعها في الواقع بالجحيم أي شيء سوى عدم التمكّن من رؤية الله. وبعد ذلك بسنوات، عندما سيكتب «الفردوس»، سيستعيد في سماء المُشتري النقاش عن مصير مَنْ عرفوا حياة فضلة من دون معرفة المسيح.

تستعيد أغلب طبعات عمل دانتي وشروحه تأكيد بوكاشيو على فترة زمنية لا بأس بها قد تكون فصلت بين تأليف دانتي للأنشودتين السابعة والثامنة «الجحيم»، وذلك بباعث من أعباء منفي الشاعر. ويدلّل على هذا بكون الأنشودة الثامنة تبدأ بالفعل بالعبارة: «أستأنف القول...». لكنّ بورخيس يلاحظ فارقاً أكبر في طبيعة الكتابة بين الأنشودة الرابعة المشار إليها آنفاً (حيث يلمح قصر العظماء في اليمابيس) وبين الأنشودات التالية لها، بدءاً بالأنشودة الخامسة التي خلد فيها مأساة فرانتشيسكا دا ريميبي وعاشقها ياولو. ويتساءل بورخيس: لو كان دانتي فكّر لدى كتابة الأنشودة الرابعة بالإجراء الفني نفسه المُتبع في الأنشودة الخامسة وتالياتها، فأَيّ حواراتٍ رائعة كان سيضعها على لسان هوميروس وأرسطو وهيراقليطس وأورفيوس وسواهم ممّن يسرد أسماءهم في لائحته الطويلة؟ كان كروتشه قد لاحظ بالفعل أنه «في هذا القصر النبيل، بين العظماء والحكماء، تغتصب المعلومات الناشفة محلّ الشعر الذي جاء مكظومًا. فالإعجاب والتوقير والكأبة، هذه كلّها مشاعر مُشار إليها لا متمثلة تمثلاً» («شعر دانتي»، 1920، يذكره بورخيس، ص 24).

ماريو روسي (يذكره بورخيس، ص 24) يتوقّف بدوره عند هذا الصراع (الخفي) بين الإيمان والشعر، ويعزو له جملة تناقضات منها كلام دانتي في أحد المواضع من الأنشودة عن «التنهّدات التي تُرجف الهواء الأبدية»، وقوله في موضع آخر منها إنّ الوجوه ما كان يبين عليها «لا كآبة ولا بشر». أفلم يكن الشاعر بلغ بعدُ كمالَ فنّه؟

لهذه الغشامة النسبية ندين، في نظر بورخيس، بالرعب الفريد الذي يجلّل هذا القصر وسكّانه أو... سجناءه. فهذا المحلّ الكئيب بالغ الشبه في نظره بمتحف لتمائيل الشمع حزين. فها هو ذا قيصر جالس إلى الأبد متمنطقاً بأسلحته (فيمّ تنفعه في هذا المكان؟)، وها هي ذي لافينيا جالسة أبديةً إلى جوار أبيها، وإنّا «ليتملّكنا اليقين بأنّ غدًا سيكون شبيهاً باليوم الذي كان شبيهاً بالأمس الذي كان بدوره شبيهاً بسائر الأيام» (ص 25). وكما سيصوّر دانتي الشعراء في «المطهر»، فإنّ سكّان هذا القصر، إذ لم يعد بوسعهم الكتابة، لا يفعلون هنا سوى أن يزوجوا وقتهم (بتعبير بورخيس: «أبديتهم»)، في الجدل في أمور أدبية (نفس الصفحة).

هكذا نكون لاحظنا بالتدرّج، وبفضل بورخيس، أنّ رعب هذا المكان وتقسّفه المستحوذ ربّما كانا من ضمن مقاصد دانتي وليسا نتيجة غشامة مَنْ لم يزل في مفتتح قصيدته الكبرى. تقسّف لعله يتلاءم وأبيات دانتي عن بطلان البحث عن الشهرة وذيوع الصيت: «وما الشهرة في العالم إلا نفثة / للرياح تهبّ تارةً هنا وطورًا هناك، وتغيّر اسمها فيما تغيّر وجهتها.» («المطهر، الأنشودة الحادية عشرة»).

والباعث العميق لصمت هؤلاء العظماء هو في نظر بورخيس كونهم إسقاطات أو صورًا لدانتي

نفسه الذي كان يعرف أنه لم يكن، بالفعل أو بالقوة، أدنى منهم منزلة. كانوا أمثلة لما كان دانتي يمثل في نظر نفسه ولما سيكونه في نظر الآخرين، أي شاعرًا كبيرًا. ف «هذه الأرواح العظيمة الموقرة، التي تستقبل دانتي في محفلها («ولقد أدخلوني في صحبتهم / فصرتُ أنا السادس بين أولئك الحكماء») هي بالنسبة إلى دانتي صوّر من حلمه الوليد، لا تكاد تكون مفصولة عن خيال الحالم الذي كأنه هو. إنها تتحدّث عن الأدب بلا انتهاء (وما يمكنها أن تفعل سوى هذا؟). لقد قرأت «الإلياذة» و«فارساليا» أو هي بصدد كتابة «الكوميديا الإلهية».

هي بارعة في ممارسة فنّها، ومع ذلك فهي في الجحيم لأنّها منسيّة من لدن بياتريشي (ص 26) - «نسر» دانتي و«سيمرغ» فريد الدين العطار: ضمن القراءة التفصيليّة لأهمّ عناصر كتابة «الفردوس» عرضنا لابتكار دانتي في سماء البرجيس نسرًا مكوّنًا من اجتماع مئات العادلين وينطق بصوتٍ واحد متناغم يرمز إلى سيادته ووحدته، قائلاً «أنا» بدل «نحن». ينخرط هذا النسر في سلسلة من الابتكارات أعرب فيها دانتي، على امتداد الأناشيد الثلاثة، عن براعة فائقة في مسخ الكائنات وتحويلها، وابتكار كائنات جميلة ومركبة تركيبًا ذا دلالة. الآن، يجدر بنا الوقوف عند قراءة مقارنة خصه بها بورخيس في إحدى محاضراته التسع (عنوانها «السيمرغ والنسر») لا أودّ أن أتجاوزها في هذا العرض.

محقّ ولا شكّ بورخيس عندما يقول إنّ هذا النسر، إذا كان لا يبدو شديد الإثارة في عصرنا عصر الإعلانات التجاريّة الضاربة في التنويع والابتكار، فلم يكن الأمر كذلك في عصر دانتي. الحال، يذكّرنا بورخيس بأنّ متصوّفًا فارسياً سبق دانتي بقرن من الزمن في ابتكار كائن مركب كهذا. يتعلّق الأمر بحكاية السيمرغ كما ابتكرها فريد الدين العطار، صاحب «منطق الطير» الشهير. الحكاية معروفة، وسنلخصها ببضعة أسطر لنتمكّن من إيجاز المقارنة البورخسية بين ابتكاري دانتي والعطار. السيمرغ هو ملك الطيور (ومعنى اسمه «الطيور الثلاثون»). يُسقط ذات يوم واحدة من ريشه الجميلة في وسط الصين، فتقرّر الطيور الخروج من شتاتها الفوضويّ وتسافر للبحث عنه في قصره الكائن في جبل قاف، الجبل الأسطوريّ المحيط بالأرض. تسافر بالآلاف ويسقط الآلاف منها صرعى التعب والنهك والأنواء الجويّة، ولا يصل منها إلّا ثلاثون طائرًا. تحطّ الطيور على الجبل، وقد طهرتها مَحَن الرحلة، فتدرك أنّها هي السيمرغ وأنّ السيمرغ كلّ واحدٍ منها. هي في السيمرغ والسيمرغ في الطيور الثلاثين. وهذا ما يذكّر بورخيس بقول إفلوطين، في «التاسوع الخامس»، إنّ «كلّ شيء في سماء العقل هو في كلّ شيء. أدنى شيء هو جميع الأشياء. الشمس في النجوم، وكلّ نجم هو النجوم كلها، وكلّ نجمة هي جميع النجوم والشمس» (يذكره بورخيس، ص 78).

على تشابه النسر الإمبراطوريّ الدانتيّ وسيمرغ العطار، وعلى طابعهما الخياليّ، تظلّ الفوارق الأساسيّة بيّنة لبورخيس: فالأفراد الذين يتألّف منهم النسر لا يذوبون فيه (داود يضطلع بدور بؤبؤ العين، وترايانوس وحزقيّا وقسطنطين هم رموشه، إلخ.)، على حين تظلّ الطيور التي تعانين السيمرغ هي السيمرغ نفسه. والنسر تركيبية أو تشكيلة مؤقتة، كحروف عبارة: «أحبوا العدل يا من تحكمون الأرض» (العبارة الأولى من «سفر الحكمة» التي يصوّرها دانتي وهي ترتسم في السماء من أرواح العادلين، ولا شيء يمنع من يشكّلونها من أن يعودوا إلى أنفسهم. أمّا السيمرغ، فبفضل طبيعته التجريديّة يشكّل وحدة لا انفصام لُغراها. ووراء النسر يُقيم الإله المتعالى وشبه المُشخصن لإسرائيل وروما، أمّا السيمرغ فتقيم وراءه الحلوليّة الصوفيّة ووحدة الوجود (ص 78).

إلى هذا، تتجلى قوة السيمرغ الابتكارية في نظر بورخيس في غياب التفخيم أو التهويل، وفي تقشّفه التركيبي الذي لا يقلل من وزنه واحتماله بل بالعكس.

فالطيور، ولتسمّها المسافرين أو الحجّاج، تجوب الأفق بحثًا عن هدف غير معلوم.

وهذا الهدف المجهول ينبغي في النهاية أن يُدهشنا ويبرّر انتظارنا، فلا يبدو نافلاً أو مقحماً أو مفتعلاً. وبالفعل، فالعطار يتخلّص من المأزق ببراعة كلاسيكية:

«الباحثون هم أنفسهم ما يبحثون عنه» (ص 79).

- **درس دانتي:** بعد وضع جميع مصادر البراعة التقنية والتجديد الشعريّ جانبًا (براعة وتجديد ما برح شعراء الحداثة وما بعدها يتعلّمون منها الكثير، بشهادتهم هم أنفسهم)، قد يتمثّل أحد عناصر ما ندعوه بـ «درس دانتي» في تمكيننا من تفادي خطرين كبيرين ما انفكّا يهدّدان مقاربات بعض الشعراء. الخطر الأوّل يدفعهم إلى إقامة لغة مديح معتمّ وواحدٍ للعالم، وإشاعة تفاعلية سهلة قد يجنّدون لها مصادر بيانية وبلاغية عالية. مصادر تبدو مع ذلك بالغة القصور أمام أبيات قليلة يعبر فيها شاعر وفيّ لتجربته الإنسانية والفنية في جميع تعقيداتها التي اخترقها هو في مسار محفوف بالمخاطر، أقول يعبر فيها عن الهشاشة أو المحدودية الإنسانية ويردّدها بإرادة في السموّ تمنح لوجوه التجربة السوداء رديفها الموضوعيّ وجرعتها المضادّة من المستقبل. ثمّة في بعض شعريّات الامتداح المُطنب للعالم مسيرة اجتياحية تدفع إلى السأم كلّ قارئ مرهف، و«ماكنة تدور في الفراغ» فلا تحصد إلاّ الفراغ، مهما برع أصحابها في التمويه عليه أو تزيينه. بل هي نفسها، وكما كتب الشاعر فيلي جاكوتيه عن بعض ممثلي الشعر الفرنسيّ المعاصر في مجموعته النقدية «محاورة ربّات الإلهام» (ص 33-37 بخاصّة)، موجّهة لردم فراغ الكينونة والسأم الذي لم تشأ التحديق فيه بما فيه الكفاية لينقلب على نفسه، فجعلت تُوهمنّا بأنّها خرجتّ منه بأيسر التكاليف (ولا أيسر من ابتكار الصوّر الباهرة وحركات الاجتياح والغزو). يصطنع أمثال هؤلاء الشعراء «جمالاً هو من الإفراط بحيث لا نقدر أن نعدّه حقيقيّاً». هل كلّ سحر أصيل؟، يتساءل جاكوتيه. تُعرب هذه الشعريّة العاملة بالسحر البلاغيّ عن نزوع «مهلّوس» إلى تحويل التجربة الإنسانية إلى مهرجان دائم يرينا كل شيء حولنا استحالة قيامه. هو رفض للنظر إلى «المتقطّع» الذي يحكم التاريخ المعاصر وتجربتنا الحديثة، والذي يرتي جاكوتيه (في نصّ آخر سأعود إليه) القبول بإزائه بأنّ نقبض على النور في تلك اللحظات المعدودة التي يأتي هو ليحدث فيها شرحًا في جدار الواقع والعالم. أمّا البيانات الوصفية والتهليل شبه الدينيّ للعالم في جميع تجلّياته ولوائح الأعاجيب والمسيرات الغازية أو الفاتحة فما هي في نظر جاكوتيه إلاّ وسائل أو حيل يُلتَمس منها ردم فراغ لم يعرف الشاعر أن يكسبه لصالحه. وهنا يلتقي نقد جاكوتيه في الواقع مع درس دانتي الذي قبضنا عليه (أو قبض هو علينا) في «المأدبة»: إنّ من يرفضون رؤية النقص في الذات أو الواقع إنّما يُفاقمونّه، فيكونون كمن يزيد نقصه الذاتيّ حيثما خرج ينشد كماله.

وبالمقابل، فالقائلون بسواد العالم لا يفعلون سوى أن يقعوا في فخّ معاكس، فلا يقدمون عن العالم سوى رؤيا سلبية، مجانية في سلبيّتها ومفتقرة إلى أدنى روح نقدية وإلى أدنى دعاية أو سخرية. ولا شكّ أنّ دانتي قد قام عبر الشعر بمهمّة تحريرية للإنسانية عندما خرج لا فحسب من التصوّر الأحاديّ (الذي يكون العالم فيه إمّا أسود فحسب على شاكلة هجائيّ الأمم والشعوب ومغنيّ نهايات



الكائن، أو أبيض فحسب بل ونيّراً على شاكلة شعراء الاحتفاء البيانيّ بمظاهر العالم)، وقوّض - أيّ دانتى - لا فحسب الرؤية الثنائيّة أو المانويّة (العالم أسود وأبيض)، بل فرض بقوة التشكيل والرؤية هذا التدرّج العميق وهذه التعدديّة الباهرة التي تجد بياناً أول عنها في هذا التقسيم الثلاثيّ إلى جحيم للخطاة وفردوس للعادلين، يتوسّطهما مطهر لمن هم بين بين. ومعروف أنّ الكنيسة لم تُعنّ بمسألة المطهر إلّا من عهد قريب، بالرغم من ورود إشارة إليه في «الكتاب المقدّس». أمّا شعريّاً وفلسفيّاً، فلا شكّ أنّ دانتى لا سابق له في هذا الشأن.

إنّ كثيرين ينسون مسألة البرهان الشعريّ الذي ينبغي أن ينبثق من داخل القصيدة. فلا يكفي أن تمدح العالم أو الإنسان، بل ينبغي أن ترينا، بتعايير وجوديّة-شعريّة، فيمّ هما عظيمان؟ ولا يكفي أن تنتطح لإثبات ظلام أمة معيّنة وانحيازها للقتل في تاريخها كلّ لتريح هذا الرهان «الدائم». لأنّك إن فعلت هذا أنشأت، أوّلاً، شعريّة وثائقيّة تتوخى الإدانة المجانيّة ولا تتخطى في الأهميّة بياناً منفعلاً لا يجدي نفعاً لا في معرفة الشعر ولا في معرفة التاريخ، ولا يتبعه إلّا هوة الحقد المعتم والمجانّي. وثانيّاً، فإنّك تسدّ المغالق على التجربة الإنسانيّة. ينبغي بالعكس أن ينطلق الشاعر من اختراق كليّ يسخر للتعبير عنه لغة هي الأخرى كليّة، تتضمّن درجات متباينة من الغضب والحنان، التقريع والمباركة، الفصل والوصل، الغنائيّة والتفكّر، ضمن محاولة دائمة لتجاوز الظلام شطر النور ولتحرير الكائن داخليّاً إن عزّ تحريره فعليّاً. هذا ما فعله دانتى في هذا العمل، وهو ما فعله رامبو في «فصل في الجحيم» بخاصّة، هذا العمل الدانتىّ بامتياز، إذ يخترق فيه «الجحيم» ويفكّك عوالم قرينه الجهتميّ أو وجهه الآخر المستكين، ثم يرتقي إلى رؤية البرق (عنوان إحدى قطع العمل المذكور الأخيرة)، فيودّع مدناً محترقة أو هالكة ويعد نفسه بمدن جديدة.

يلزم هذا ولا شكّ باختراق كامل للتجربة الذاتيّة، تجربة لأنّها معيشة حتّى أقصاها، ولأنّها تدور في العالم وليس في كوكب بلا سكان، فهي لا بدّ أن تكون في الأوان ذاته تجربة موضوعيّة. وهذا هو درس رامبو. كما يلزم باختراق للتجربة التاريخيّة وإدراك المكان المنوط فيها للشاعر بما هو ذات فاعلة، والمكان الذي يريد هو نفسه أن يشغله فيها من دون تدليس ولا اعتباط. وهذا هو درس دانتى. وكما سيلاحظ قارئ العمل، فإذا كانت شعريّة ابن شارلثيل قد دفعته إلى ممارسة تكثيف أقصى لتجربة كانت هي نفسها خاطفة وكثيفة بصورة مرعبة، فإنّ ابن فلورنسة يعمد إلى قراءة مجهرية لأدنى تفاصيل تجربته في أبعادها الذاتيّة والتاريخيّة، الواقعيّة والخياليّة. من هنا قيل عن عمله إنه أكبر تظاهرة فنيّة للذاكرة. تُقبل المعطيات إليه وتسعفها على الفور بنيات لغة ناشئة أضاف لها هو الكثير فيما يكتب، مثلما قيل إنّ قوافي اللغة الإيطاليّة كانت تأتي إليه راكضة وتروح تتوالد تحت بنانه. تنضيد باهر (وسريع الأثر) لطبقات المعرفة وحقب التاريخ توقّف الشاعر الروسيّ ماندلشتام عنده في «محاورة حول دانتى»، ونعتّه بأنّه «مدرسة لأسرع التداعيات»، «تمسك فيه «على الطائر» بجميع التلميحات وتكون حساساً بها جميعاً» (تذكره ريسيه، ص 14).

ليس صحيحاً أنّ النور غائب في زمننا، زمن المجازر والإرهاب المعتم واتساع رقعة المنافي من كلّ نوع. بل زمن المنافي هذا نفسه يلزم برؤية ناصعة تبتعد في أوانٍ بذاته وبالقدر نفسه عن المديح المجانيّ للعالم أو الذات وعن الجدل المجانيّ للذات أو العالم.

النور ممكن، شريطة أن ندرك أنّه محكوم، شأنه شأن شرطنا كلّ، بالتقطّع وأنّ علينا أن نقبض عليه في تقطّعه هذا. هذا الدرس الأساسيّ هو الذي ينبثق، بخصوص قراءة دانتى نفسه، من هذه

السطور من دفاتر يوميات فيليبي جاكوتيه الحاملة عنوان «الانتثار» La Semaison (منشورات غاليمار، 1984)، والتي يطيب لي أن أختتم بها هذه القراءة قبل أن أتوقف عند ترجمة دانتي ووظيفة حواشي عمله. كتب جاكوتيه: «لا شك أنه لم يعد في مقدورنا [نحن المعاصرين] أن نأمل رؤية النور نفسه الذي يجهد دانتي في مجابهته بالنظر بقدر ما يرتقي صوب نهاية عمله؛ ومع ذلك، فبلى.

حدث لنا أن رأينا نوراً ربّما لم يكن متدنياً بالقياس إليه، نوراً نراه فجأةً في فضائنا وزمننا، بمثل صفاء النور لدى دانتي وبمثل قدرته على تمزيقنا، سوى أنه لم يعد قابلاً للانضواء في نظامٍ مكتمل السيادة قادر على احتواء الكون كلّه. فكأنّه شارد بين الأطلال، مجنون كما نقول عن العشب المهمل أو الضارّ إنّه مجنون» (ص 215).

- **ترجمة دانتي:** كتب دانتي كامل «الكوميديا الإلهية» متّبعا نمطاً بديعاً من ابتكاره، تتوالى فيها الأنشودات في مقاطع أو «ستروفات» ثلاثية. تحيل قافية البيت الأول من كلّ «ستروفة» إلى قافية بيتها الثالث، أما قافية البيت الثاني فتحيل إلى قافية البيت الأول من «الستروفة» التالية، وهكذا دواليك. هكذا يتخلّل الترتيب الثلاثي ترتيباً ثنائيّاً وتقاطعياً ترتبط فيه كلّ قافية بقافية ما بعد البيت الذي يليها، وهذا ممّا يدفع إلى انبثاق تيّار يخترق كلّ أنشودة عمودياً ويمنح قراءتها، كما كتبت ريسيه، «حركة مُسرعة وتجددًا متواصلًا يدعمه الإيقاع الخاصّ بهذه القصيدة الكبرى» («دانتي كاتبًا»، ص 235).

هذا المزيج من الصرامة والسيولة، جعل المترجمين الأوروبيين يتبارون لنقل دانتي إلى لغاتهم وفقاً لاستراتيجيات متعدّدة أثبت بعضها بطلانه بسرعة. بعضهم خلط بين الوزن والإيقاع، ناسياً أن لكلّ شاعر إيقاعه، داخل العروض وخارجها (الكامل أو الطويل لدى المتنبيّ ليسا نفسهما لدى عنتره أو أبي نواس، وإذا كان الرّجز مستهجنًا لدى الكثير من الشعراء فقد جعل منه السيّاب في «أنشودة المطر» أداة طيّعة للتعامل الموسيقيّ البارع مع اللغة). وعلى أساس هذا الخلط راحوا يضعون ترجماتٍ موزونة ومقفّاة. خسارة مزدوجة تُضاعف الخسارة التي تتضمنها الترجمة، كلّ ترجمة، أصلاً. ينطلق الشّاعر (عندما يكون كبيراً ومقتدرًا بحق) إلى الوزن والقافية، أو ينطلقان إليه، في حركة عفوية، في حين «يعدّ المترجم المسكين على أصابعه» عدد التّفاعيل (ريسيه، ص 237). ولما كان من البديهيّ ألاّ يظهر البيت في اللغة الناقلة بعدد الكلمات نفسه الذي ظهر به في اللغة الأصليّة بالضرورة، فإنّ المترجم «الوزان» يطيل البيت أو يقصره ليحشر معنى قائماً من قبل في عدد ثابت من الوحدات الوزنيّة. هكذا نجدنا أمام «بنية مولودة ميتة، انطلاقاً من «اعتباطٍ» غير ذي خلق» (ص 237).

إلى هذا الاختيار الخاطيّ ينضاف اختيار آخر معاكس لا يقلّ عنه خطأً ويتمثّل في ترجمة الأنشودات بخلط مصاريع أبياتها فتتحوّل الملحمة الشعريّة إلى رواية...

ملحميّة. تقدّم ترجمة لامنيه Lammenais مثلاً على هذا الاختيار في الفرنسيّة. هو تسطيح للعمل، لأنّ العمل الملحميّ وكذلك المأساويّ (ولا يمكن في الواقع اعتبار عمل دانتي ملحمة محضاً كعمليّ هوميروس و«إنياذة فرجيليو»، فهو يظلّ أقرب إلى تراجيديا أو مأساة شعريّة)، ليس يكمن سرّه في سرده. فالأخير ما هو إلاّ واحد من أواليّاته الخلاقة. في ترجمات كهذه، يختفي عنصر

المفاجأة وذلك العنصر الوحيد الذي يساعد المترجم في عكس حيوية العمل بعد اختفاء الوزن والقافية، ألا وهو إيقاع الشاعر الذي يتحوّل هنا إلى إيقاع نثريّ أو يكتسب متانة سردية.

خطأ آخر يتمثل في ما تدعوه ريسيه بـ «تعتيق» اللغة واختيار مفردات قديمة وبنيات متناصحة وصيغ مفرطة البلاغية، وذلك بحجّة السعي إلى إعطاء العمل شيئاً من أجواء أواخر العصر الوسيط، وكأنّ المناخ الشعريّ مسألة مفردات لا مسألة حساسية كاملة ونسيج كليّ. ينسون، أوّلاً، قرب الإيطالية المعاصرة من إيطالية دانتي، وثانياً أنّ لغة دانتي لم تكن عتيقة أبداً، بل كانت بالعكس بصدد الولادة، «متّجهة إلى المستقبل لا صوب الماضي، ولا يعنيه البتّة أن تعرض على الزائر حليّ أسلافها» (ريسيه، ص 238). وعليه، فلا تفعل الترجمات التعتيقية والمتفاصحة سوى أن تعيد دانتي إلى إطار تعاقديّ ومؤسّساتيّ غادره هو منذ أن بدأ (ريسيه، نفس الصفحة). وقد لا نبالغ إذا قلنا إنّ الفصاحة الحقيقية في نقل دانتي إنّما تتمثل في إحداث توازن مرهف بين الفصاحة وغيابها، وفي إلغاء التفاصيل وكبح البلاغة حتّى لا تفرض على النشيد «مهابة» زائفة ربّما كان مسعاه الأوّل يتمثل في الخروج منها. هذا لا يمنع بالطبع من البحث عن متانة مأمولة وضرورية.

بساطة اللغة وتسارع الإيقاع هما السمتان الأساسيتان لشعر دانتي. والبساطة، كما تشير إليه ريسيه في التفاتة بارعة، ناتجة عن السرعة: فبالرغم من كلّ ثقل الخطاب، يظلّ كلّ بيت محمولاً بالبيت الذي يليه، وحاملاً لسابقه. هذه الخاصية كانت موجودة في شعر دانتي السابق للكوميديا الإلهية، ولكنّ الأخيرة ترفعه إلى درجة قصوى: «شعر يبدو وكأنّه يُبتكر على مرأى من القارئ. إنّ حمى معينة تقيم هنا في أساس العمل، لأنّ ما ينبغي بلوغه قائم في ما وراء العبارة الراهنة، ممّا يمنح مسيرة القصيدة نوعاً من الإهمال المقتدر: فينبثق جمال البيت الشعريّ صاعقاً ومنسياً في لحظة ظهوره...» (ريسيه، ص 238). ينسى القارئ البيت الذي هو بصدد قراءته ليتلقف البيت الذي يليه، ولكنّه لا ينساه في حقيقة الأمر، كما لا تنسى صورة في فيلم أنت بصدد مشاهدته لمجرد أنّك تتخطّاه صوب الصور التالية، فإنّ ترسّباً مبدعاً يظلّ ينحفر في الذهن. وهذا ما لا توقّره جميع القصائد، ولا يهبه جميع الشعراء، لافتقار الكثيرين منهم بالذات إلى هذه السرعة وإلى مثل هذا اللهب أو هذه الحمى. ومرة أخرى، فهذا التسارع-الترسّب هو ما تلغيه الترجمات الموزونة والمقفاة وكذلك الترجمات السردية: الأولى لما فيها من قسريّة واصطناع، والثانية لتراخيها وتباطؤها أو ثقلها.

في الفرنسية ما يزيد على عشرين ترجمة لدانتي تتراوح في الدقّة أو القرب من الأصل والاستبطان العميق لأوالياته التعبيرية من جهة ومحمولاته الدلالية من جهة أخرى. وقد نظرتُ بإمعان إلى ترجمة كريستيان بيك ضمن أعمال دانتي الكاملة الصادرة في منشورات «المكتبة العامة الفرنسية»، وترجمة هنري لونيون الحائزة على جائزة الأكاديمية الفرنسية والصادرة في منشورات «غارنييه»، وخصوصاً إلى ترجمة جاكين ريسيه (منشورات «فلاماريون»)، علماً بأنّ النصّ الأصليّ كان مرجعي الأساس للإيقاع ولتبيد كلّ سوء تفاهم حول المفردات ينجم أحياناً من تضارب المترجمين. وقد شجّعني على الرجوع إلى النصّ الأصليّ ما قرأته لدى بورخيس من كلام عن قراءته لدانتي: لقد أفاد من قرب الإسبانية والفرنسية (وكان يجيدهما لكونه كاتباً بالإسبانية وكونه درس في سويسرا منذ نعومة أظفاره، كما كان تعلّم الإنجليزية على جدّته وهي من أصل إنجليزيّ) فقرأ العمل قراءة أولى بالأصل مع ترجمة إسبانية، ثم تخلص من الترجمة واكتفى بالأصل وحده. ولما كنتُ، مع الاحتفاظ بالفوارق، أداول الفرنسية والإسبانية منذ أعوام عديدة، فقد وجدت بالفعل قرابة كبيرة تجمعهما

بلغه دانتي التي سبق أن أشرتُ إلى عدم ابتعاد الإيطالية المعاصرة عنها. هذه مسألة يمكن أن يتحقق منها كلٌّ من عرف لغتين من الجذع اللاتيني المشترك، فسيدرك ثلاثة بلا شك، وإن عسر عليه النطق بها إلا تلغثًا. وفي الطور الذي أنا فيه كإنسان يغادر الترجمة بعدما وهبها عشرين عامًا من حياته، لا مجال لديّ بأية حالٍ لا للتنتطح ولا لزعم ما ليس لديّ إليه من سبيل.

تفيد ريسيه من تقارب الفرنسية والإيطالية هذا، ومن علاقتها التوأمية، لتحياكي إيقاع الأصل وتعيد ابتكاره خارج العروض والقافية. إلا أنّ انتماء العربية إلى عائلة لغوية أخرى يمنعنا من الطموح إلى ذلك طموحًا كليًا، ومع ذلك فقد حاولت الوفاء بقدر الإمكان لديناميات جملة دانتي ومُعَايرة التجريد والتجسيد عنده، وإعطاء المجاز حقه أمام خطاب الحقيقة، والاحتفاظ للغموض المقصود والذي يتكشف تدريجيًا بكامل وزنه. ومن أجل الوفاء لمعجمه ودرجة فصاحته لم ألجأ إلى التهويل ولا إلى الفخامة الزائدة، بل حاولت العلوّ حيثما اختار هو العلوّ والتبسط حيثما تبسط، عاكسًا السرد بلغة السرد والحوار بمفردات الحوار والصور بلغة التصوير والفكر بالعدّة المفهومية المناسبة، هذا كله الذي صهره دانتي في بوتقة أسلوبه الواسعة.

- **تقريب الدكتور حسن عثمان:** التفاصح حيثما لزمَت البساطة، والسردية حيثما وجب اجترار إيقاع شعريّ يلائم إيقاع الأصل، والإظهار بدل الإضمار، هذه هي في رأيي «العيوب» الثلاثة التي تميّز الصنيع الرائع في جوانب أخرى عديدة، الذي تركه لنا الفقيه الدكتور حسن عثمان، والمتمثّل في ترجمته لكلّ من «الجحيم» و«المطهر» إلى العربية. تُعلّمنا مقدّماتها العملين أنّه بدأ بترجمة «الجحيم» في 1951 وصدرت طبعته الأولى في 1959، وصدرت الطبعة الأولى لترجمة «المطهر» في 1964. وعلى الأرجح أنّ العملين صدرتا في طبعتهما الأولى عن «دار المعارف» في القاهرة، فهي مُصدرة الطبعات التالية لكلا المجلدين. على أنّه يُعلّمنا أيضًا أنّ علاقته بعمل دانتي تعود إلى العام 1934، يوم بدأ يدرس الأدب والتاريخ والفنّ والسياسة في إيطاليا، وأنّه بدأ ينشر في مصر منذ 1948 مقالاتٍ عن دانتي وصفحاتٍ من «الجحيم» وتعريفًا ببعض شخصياتها.

رغم هذه «العيوب» التي ينبغي ألاّ نعدّها عيوبًا بقدر ما هي اختيارات مرتبطة ولا شك، في جانب كبير منها، بطبيعة مقارنة الثقافة العربية لترجمة الشعر (باستثناء ترجمات مجلة «شعر» التي عاصرها الفقيه)، تظل هذه الترجمة قوية الأثر وداعية للاحترام ضمن اختياراتها والحدود التي رسمها واضعها لنفسه. «عيوب» كهذه لا تنبع من «غشامة» المترجم ولا من قلة دربته الأدبية، بل من التقنية التي اختارها والأدائية التي توخّاها. تقنية وأدائية فرضتا عليه قصورًا بنيانيًا لأنهما، كما لاحظنا في حالة من اختارهما من الأوروبيين، تحملان في ذاتهما بذور تقصير أساسي. لقد وهب المترجم عمل دانتي لغة مشبعة بالألفاظ والبنى الكلاسيكية، وهنا أيضًا ينبغي الاعتقاد بتلاؤم هذه اللغة إلى حد بعيد والحساسية اللغوية السائدة في عربية الخمسينات، حيث كان الشعر القديم و«النيوكلاسيكي» ما يزالان يلقيان بأثرهما على حداثة شعرية ناشئة، لا بل وليدة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد خلط الشاعر مصاريع أبيات كلّ «ستروفة» ثلاثية، وهذا في الواقع حلّ وسط بين الترجمة في أبيات غير عروضية (ويظنّ هذا في رأينا هو الأنسب)، وبين الترجمة السردية التي تحيل العمل إلى متواليات أو كتل نثرية طويلة متلاحقة. لكنّ النتيجة تبقى في حالته سردية محضًا، لأنّه سواء أطالت الفقرة أم قصرت فإنّ طبيعتها النثرية تظلّ آتية من التموّج الداخلي لبنائها ولا دخل هنا لطول الفقرة أو قصرها.

والدليل على ذلك أننا لو عملنا على تجزئة هذه الفقرات التي تدمج كلّ منها ثلاثة أبيات في كتلة واحدة، وقطعناها إلى ثلاث عبارات نتوخى أن ننال منها ثلاثة أبيات، لبقيت النتيجة نثرية أيضاً. زدّ على ذلك الشغل الشاغل الذي سيتحتّم على القارئ القيام به آنئذٍ: فأين يقيم القطع وأين يُنهي بيتاً ليبدأ بيتاً آخر؟ كيف توقف مدّ عبارة صاغها المترجم طويلة ومتواصلة، وعلى أيّ معيار تقيم تقطيعك الذي سيعيد لك استقلال الأبيات الثلاثة الذي ألغاه المترجم بأن دمج كلّ واحدٍ منها بالبيتين الآخرين بما لا فكاك منه؟

ينبغي أن نتذكّر هنا أنّ الإيقاع حركة ديناميّة تعمل داخل البيت وأبعد منه، فهي «أصغر» من البيت و«أكبر» منه في آنٍ معاً. هو تيار داخلي أو عاصفة جوائية تعصف بالكلمات في علاقتها بعضها مع البعض داخل البيت، وبالعلاقة الأبيات بعضها ببعض داخل «الستروفة» الثلاثية، ثمّ بعلاقة كلّ ثلاثيّة بالأخرى داخل الأنشودة. ولن يكون من مبالغة في أن نفكر بالعلاقة البنائية والمعنويّة لكلّ أنشودة بالأخرى، ولكلّ من أجزاء العمل الثلاثة بالآخرين. فكما أكدّ عليه جميع النقاد والشارح، ندرّ أن عرف الأدب عملاً يمثل هذه الضخامة، وفي الأوان نفسه بمثل هذا التكافل يحيل فيه كلّ جزء إلى توأميه ويحفر لهما في عمقه بنية انتظار ويُلقي عليهما بآثار استباقية أو ارتجاعية بقدر ما يتلقّى منهما آثاراً مماثلة.

وإذا ما نحن وضعنا جانباً هذه «العيوب»، وجدنا أنفسنا أمام عمل مشرق يتمتّع بتماسكه الداخليّ ومتانته. وإنّه لمؤسف إلى أقصى حدّ أن يكون الدكتور حسن عثمان قد غادر عالمنا قبل أن يتسنى له إصدار ترجمته للنشيد الثالث («الفردوس») التي يعلن هو عن قرب صدورها في تقديمه للطبعة الثانية من ترجمة «المطهر» الصادرة في 1969 (وقد أخبرنا بعض الأصدقاء أنّ هذه الترجمة صدرت مؤخراً بمصر، ولم نتمكن للأسف من الاطلاع عليها). وفي كلمه ذيل بها هذه الطبعة يتكلم بصورة مؤثرة ودالة عما لقي من مصاعب وعوائق في ترجمة دانتي. مصاعب كان بعضها ناجماً من سعة طموحه نفسه، ما أدعوه بمأساته العالية وجُرحه النبيل. فهو يُعلمنا أنّه، في هذه المعاشرة الطويلة لدانتي والسعي إلى ترجمته، قام برحلات كثيرة ومُجهدة لبلدان عديدة ليُتمّ معرفته لشاعره. لقد اجتهد في أن يطلع على كلّ ما تحويه عنه المكتبات وخزائن الكتب، وفي أن يرى كلّ ما تنطوي عليه المتاحف من لوحات ورسوم وتماثيل مستوحاة من عمله، وفي أن يسمع كلّ ما يتسنى له سماعه من قطع موسيقية وأوبرالية مقامة انطلاقاً من شعره. يا له من طموح! قد يتساءل قارئ غير منصف أو غشيم إن كان سماع أسطوانة تُغنى فيها هذه الأنشودة أو تلك أو مشاهدة عمل تشكيليّ يستوحى هذا النشيد أو ذاك من «الكوميديا الإلهية» فعليّن لا غنى عنهما لفهم دانتي وتذوّقه وترجمته. لكنّه لو عرف بعض الجوانب الظاهرية والنفسية للترجمة وما تقود إليه في بعض الحالات من هوس فعّال وتلاحم صميميّ، لما أطلق العنان لتساؤله هذا. فلقد تجاوز الدكتور حسن عثمان هنا في نظرنا حدود الترجمة بمعناها المتداول (من لسان إلى لسان) وارتقى إلى معناها الأشمل (الترجمة من جنس أدبيّ إلى جنس أدبيّ أو فنيّ آخر، من الأدب إلى السينما مثلاً، أو من الأدب إلى النحت، ما يدعوه رومان ياكوبسون بـ «الترجمة بين الأجناس» تفريقاً لها عن «الترجمة بين الألسن»). لم يعد يكفيه أن يعرف ما فكر به هذا الشارح أو المحقق أو ذاك عن هذه الإلماحة الشعرية أو تلك (وكثرة حواشيه، التي صار بعضها متجاوزاً في مجرّة الأبحاث الدانتية، تُعرب عن انهماك فائق من هذه الناحية)، بل أراد أن يستوعب كيف تمثّل هذا الفنّان أو ذاك قطعة

أو أكثر لدانتي وكيف «ترجمها» في فنّه. هذا الارتقاء بالترجمة إلى ما يعلو ممارستها المعهودة ربّما كان أحد أسباب بطء تحقّق مشروعه الكبير، ولكنّه يقف في الأوان ذاته شاهداً على شغفه غير المتناهي وصّبره الرهيب.

- **عن الحواشي:** مثلما في كلّ عمل عظيم تفصلنا عنه مسافة زمنيّة أو ثقافيّة أو كلتاها معاً (عمل هوميروس مثلاً أو المعلّقات العشر أو المتنبيّ أو رامبو)، تشكل الحواشي عوناً أساسياً لفهم المتن الشعريّ. يتساءل البعض بسداجة عن قيمة ترجمة لا تكون واضحة بذاتها ومغتنية عن حواشيتها. يجهلون أمراً جليلاً: أنّ الترجمة ينبغي بالفعل أن تكون واضحة من حيث دلالتها الشعريّة وطبيعة الانفعال والأداء الفنيّ (وهذا ما نزعمه بكامل التواضع لترجمتنا هذه)، لكن ما لا يتضح، حتّى لقراء العمل في لغته الأصليّة إذا لم يكونوا من معاصريه، هو تلميحاته التي يمكن أن تكون، كما في حالة دانتي، من طبيعة متعدّدة، تاريخيّة ولاهوتيّة وفلسفيّة ولغويّة.

وكذلك أنّ محدوديّة الفهم هذه من دون الحواشي تجابههم لدى قراءة مبدعي لسانهم نفسه (ومن هنا ذكرت مثاليّ المعلّقات والمتنبيّ). هبّ أنّك تقرّأ بيتاً فيه كلام عن «أمّ قشعم»، وكنت لا تعرف أنّ هذه من كنيات الموت أو المنية لدى قدامى العرب ولا تسمّي سيّدة فعليّة، فما سبيلك يا صاح إلى فهم البيت المعنيّ؟

في حالة دانتي، تتعقّد المسألة وتزداد غني وخصوبة. فلئن كان أغلب هذه العناصر اللاهوتيّة والإشارات التاريخيّة لم يعد يهّم القارئ المعاصر، إلّا إنّ إهمالها قد يُحيل فعل القراءة متعذّراً. وذلك لأنّ هذه العناصر لا تأتي معزولة بل ممتزجة بما لا فكاك منه بالأساس الشعريّ والمأساويّ والإشراقيّ الذي يقوم عليه كامل العمل.

فمن هذه المعطيات التاريخيّة والدينيّة (دينيّة شائقة تجتذب معها عناصر مسيحيّة ووثنيّة، غربيّة وشرقيّة، عقلانية وصوفيّة) يستمدّ دانتي مادّة معاناته في البدء وجذله فيما بعد. فما هذه بالتطريزات النافلة التي يمكن الاستغناء عنها للقبض على «لباب» للقصيدة يتوهّم القارئ استقلاله عن هذه «القشور». هنا يمكن القول إنّ فهم التلميحات التاريخيّة الهائلة الوفرة التي يتقدّم بها دانتي في عرض قصيدته (والتي تقدّم الحواشي معرفة وافية وحاسمة لها بفضل تراكم تاريخيّ فريد للتفسير والشروح) إنّما يمدّ القارئ بمعرفة موسوعيّة، نفسيّة وتاريخيّة وفكريّة وشعريّة لا نبالغ القول إنّ عدم الأخذ بها في الحساب قد يُفقر القراءة أيّما إفقار.

يبقى بالطّبع مقترحّ القراءات المتعدّدة الذي يمكن أن يسعف الجميع. فللقارئ أن يقرأ الأبيات وحواشيتها، ملماً دفعةً واحدة بحركة القصيدة ومسار تأويلها. وله أن يقرأ القصيدة فيتذوّقها تذوّقاً أولياً ثمّ يعود إلى قراءة الحواشي فينجلي له ما غمض من مرجعيّاتها العديدة. وله أخيراً أن يستغني عن الحواشي، تاركاً في العتمة «مناطق» من المعنى عديدة. بيد أنّي أشكّ شخصياً في إمكان انتظار متعة كاملة ومعرفة وافية من قراءة يتحكّم بها الكسل البطر الذي يميّز شاكلة القراءة الأخيرة.

- **دانتي والتاريخ:** يبقى أنّ نشير في الختام إلى ضرورة التعامل مع العناصر التاريخيّة في عمل دانتي تعاملًا نقدياً وإنشاء قراءة تتوجّه إلى ما يختفي وراءه أو في ثناياه من «أعراض» دالة بدل أن تتمسك بنصّه الحرفيّ وتُسقط عليه هواجس فترتنا الحاليّة. فلا إحلال دانتي بعض الوجوه الإسلاميّة في اليمابيس وبعضها الآخر في الجحيم، ولا تمجيده لبعض أبطال الحملات الصليبيّة (ومنهم جدّه

الأعلى كاتشاغويدا) ينبغي أن يثيرا حفيظتنا في هذا الصدد. كان دانتي مقيماً في «إبستمة» حقبته أو منظومتها المعرفية في نواحٍ ومتمرداً عليها في نواحٍ أخرى. وإذا كان المسيحيّ المؤمن فيه يُجوزُ لنفسه مثل هذا التمسك بحزفية المعتقد والرجوع إلى التقطّب المذهبيّ القائم يومذاك، فترجو أن يكون قارئ هذا المدخل قد لاحظ كيف يعمد دانتي في مواضع عديدة إلى تجاوز المعتقدات السائدة في أوروبا القروسطيّة فيطالب بمكان في السّماء لوثنيّين وغير مسيحيّين آخرين عرفوا الإيمان دون أن يعرفوا السيّد المسيح، ويستلهم في فكره الفلسفة الرشدية وعناصر غير مسيحية أخرى.

وفي جميع الأحوال فنحن نعتقد بأنّ ارتسام العدالة كمثال أعلى في مسار دانتي الحياتيّ والشعريّ يظلّ أوضح من أن يحتاج إلى توكيد. وإنّ قراءة شعريّة وفلسفيّة منفتحة غير احترازية ولا منحازة هي التي تفرض نفسها في اعتقادنا بإزاء عمل كهذا.

المترجم

باريس، آذار 2002

## مصادر الدراسة:

Jacqueline Risset, Prefaces a sa traduction française de la Divine Comédie, L'Enfer, Le Purgatoire, Le Paradis, ed. Flammarion, Paris, respectivement en 1985, 1988 et 1990. Edition revue de l'ensemble en 1992

Jacqueline Risset, Dante écrivain, essai, ed. du Seuil, col. Fiction & Cie, - Paris, 1982

Jorge Luis Borges, Nueve ensayos dantescos, ed. Alianza Editorial, Madrid, .1999

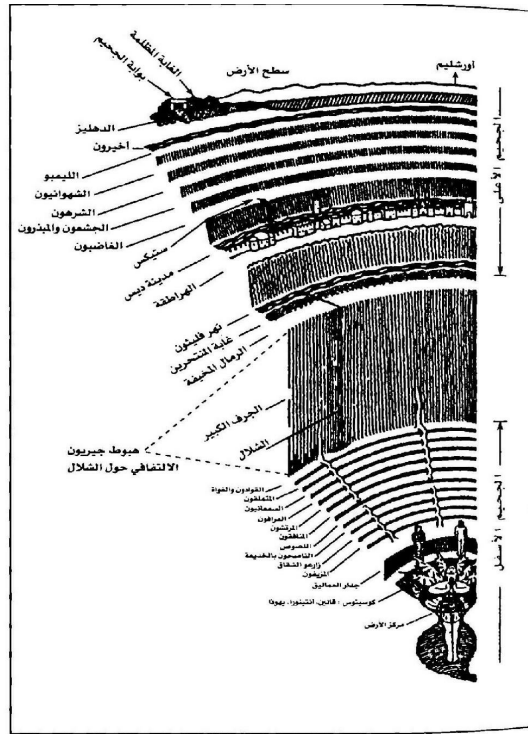
René Girard, «De "La Divine Comédie a la sociologie du roman», in Critique dans un souterrain, ed. Grasset, Paris, 1976

Giuseppe Ungaretti, Dante et Virgile», Dante le juste», in Innocence et Memoire, traduit de l'italien par Philippe Jaccottet, ed. Gallimard, Paris, 1969

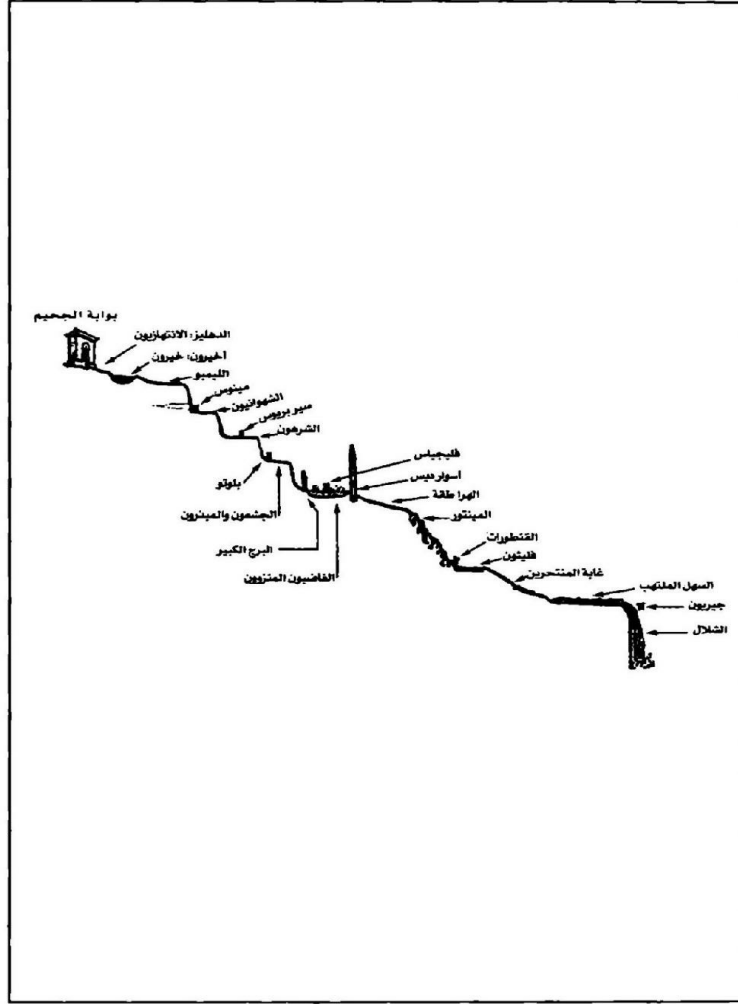
Philippe Jaccottet, L'entretien des Muses, essai, ed. Gallimard, Paris, 1986 -

Philippe Jaccottet, La Semaïson, carnets 1954-1979; ad. Gallimard, Paris, .1984





مقطع الجحيم



الجحيم الأعلى

## النشيد الأول

الجحيم

Inferno

## الأنشودة الأولى

(الغابة المظلمة. الكتيب المُشمس. ظهور الوحوش الثلاثة: دانتي يعود أدراجه إلى الغابة. ظهور فرجيليو. التنبؤ بظهور السلوقي المخلص. في الطريق إلى العالم الآخر.)

1 في منتصف طريق حياتنا

2 ألفتني في غابة مظلمة

لأنّ جادة الصواب كانت مفقودة.

يصعب أن أقول ما كانته

تلك الغابة القاسية، الحريّف، القويّة

التي تبعثُ الخوفَ في الفكر!

مريرةٌ هي، لا يكاد يضارعها في مرارتها الموت؛

ولكنّ كي أتكلّمَ عمّا لقيتُ فيها من خيرٍ

فأنا أقدرُ أن أذكرَ أشياءَ أخرى رأيْتُها هناك.

لن أعرفَ أن أقولَ كيفَ تسوّى لي أن أدخلها

لفرط ما كان النعاس يكتنفي في ذلك الموضع

الذي تنكبّت فيه الطريقَ الحقّ.

ولكنّ عندما بلغتُ أسفلَ كَثيبٍ

ينتهي عنده ذلك الوادي

الذي غمرَ بالخوفِ قلبي،

نظرتُ إلى الأعلى ورأيتُ كلا كشحيه

3 مكسّوين من قبلُ بشعاع الكوكب

الذي يقود كلّ واحدٍ باستقامةٍ في جميع الدروب.

آنئذٍ هدأتُ شيئاً ما سورة الخوفِ

الذي كان قد عرّشَ في بحيرة فؤادي

ليلةً كاملةً أمضيتها في الأحزان.

وكمثّل مَنْ يخرج من البحر

إلى الشاطيء مبهوّر الأنفاس

فيلتفت لِيُحَدِّقَ بالمياه الخطيرة،  
فهكذا التفتتُ رُوحِي الهاربةُ بَعْدُ  
لتنظر إلى ذلك الممرِّ  
الذي لا يدع بين الأحياء أحدًا.  
وبعدَما أرحتُ قليلاً جسدي المتعب  
إِسْتَأْنَفْتُ مسيري على الشاطئِ القفرِّ،  
والقدم الثَّابِتةُ<sup>4</sup> ما تزال أدنى من القدم الأخرى.  
وإذا بي أُلْمَحُ في بداءةِ صعودي،  
فهُدَّةٌ<sup>5</sup> رشيقةٌ واثبةٌ  
كان يكسوها جلدٌ أرقط؛  
ما كانتُ لتريدَ أنْ تخطوَ من أمامي،  
بل كانت تعيق تقدّمي حتّى أُنِّي  
إرتددتُ على عقبيّ مرارًا لأبتعد.

كان ذلك حينما يبدأ الصُّباحُ<sup>6</sup> وتسمُقُ الشَّمْسُ صحبةَ كَافَّةِ النُّجوم التي كانت في رفقتها عندما  
بعثَ الحبَّ الإلهيَّ في تلك الأشياء الجميلة الحركةَ لأوّل مرّة؛ هكذا بحيث كان يمنحني أملًا بالغلبة  
على ذلك الوحشِ ذي الوبرِ الضّاحك، ساعةَ النهارِ والفصلِ الطيّبِ!

لكنْ لا إلى حدِّ أنْ لم أشعرُ بالخوف عندما برزَ في المكان أسدٌ<sup>7</sup> وبدا لي متقدّمًا في اتّجاهي شامخَ  
الرأسِ يغمره جوعٌ مسعور؛ فكأنّك تُبصرُ الهواءَ يرتجفُ حوله؛ ثمّ تلتهُ ذئبةٌ<sup>8</sup> كانت تبدو في ضمورها  
محمّلةً بجميع الشّهواتِ جاعلةً الكثيرينَ يغطّونَ في البؤسِ.

ولقد أشعرْتُني بذلك الدّعْر من العنف الماطر من نظرتها، بحيث فقدتُ في الارتقاء كلَّ أمل. وكمثُل  
مَنْ يهوى المغنم وتحين اللحظة التي يتحتّم عليه فيها أن يخسر، فيروح يبكي ويراوده الأسف في كلِّ  
فكرة، فهكذا كان ذلك الوحش الذي ليس يعرف السّلم أبدًا، والذي باقترابه المتزايد مَيّ راح يدفعني  
إلى الموضوع الذي تصمت فيه الشَّمْس.

ثمّ عندما بلغتُ أسفلَ دركٍ تجلّى لنظري وجهٌ كان الصّمت الطويل<sup>9</sup> قد أبخَّ صوته قليلاً.  
عندما أبصرته في الصّحراء المترامية، صحتُ به:  
- «رُحماك!، أيّا كنت، شبّحًا أو إنسانًا حقيقيًا!».

فأجاب: - «لم أعد إنسانًا، بل كنتُ كذلك. كان أبواي من لمبارديا ومانتوا هي موطنهما كليهما.  
ولدتُ في عهد يوليوس قيصر، متأخرًا، وعشتُ في روما في عهد أغسطس الجبّار، في حقبة الآلهة

المزيفين الكذابين. شاعرًا كنتُ، أغتني مجدَ الملك العادل<sup>10</sup> ابن أنكيسيس، الطروادي الانحدار، عندما التهمتُ إيليوّم المتكبرةً ألسنة النيران. لكن أنت، ما الذي يُعيدك إلى هذه المسالك الضيقة؟ ولم لا تيمّم وجهك شطرَ الجبل الطيب الذي هو بادئة كلِّ فرح والباعث له؟ فأجبتُه والعارُ يكسو جبيني:

- «وعليه، فأنت فرجيليو<sup>11</sup>، النبع النّاشر نهر اللسان هذا كله؟»  
إيه يا نورَ جميع الشعراء ويا فخرهم كلهم ألا فليعتي الحبّ العارم والدّرس الطويل اللذان دفعاني للبحث في أثرك.

إنك لأستاذي ومرجعي؛ منك وحدك أقتبسُ الأسلوب الرفيع الذي زادني مجدًا. ألا انظر الوحش الذي بسببه أرجع القهقري وأعتني عليه يا حكيمًا موفور السمعة، إنّه ليرجف شراييني ودمي. فأجاب وقد رأني مجهشًا بالبكاء: - «ينبغي أن تسلك طريقًا أخرى إن كنت تريد أن تفلت من هذا المكان الوحشي؛ فهذا الحيوان الذي يجعلك تطلق الصراخ لا يسمح بالمرور في طريقه لأحد بل إنّه ليداهمه ثم يدك عنقه؛ سيّ هوَ وفساد الطّباع الا تهدأ له شهوةٌ أبدًا وكلّما شبّع ازداد جوعًا.

كثيرةٌ هي الوحوش التي يُجامعها، وستظلّ تكثر حتى اليوم الذي يأتي فيه ذلك السلوقي<sup>12</sup> الذي سيُرديه قتيلاً في أوجاعه. ذلك الذي لا يُغذّيه لا المعدن<sup>13</sup> ولا الأرض بل الحكمة والفضيلة والمحبة،

والذي ربّما كان منزله بين ليدٍ وآخر<sup>14</sup> فيه سيكون خلاص إيطاليا البائسة هذه التي من أجلها ماتت العذراء كاميليا كما مات، صرعى جراحهم، أويريالوس وتورنوس ونيزوس<sup>15</sup> لسوف يطارده في جميع المدائن، ليُعيده إلى قلب الجحيم التي أخرجه منها الجشع في البدء.

ولذا، فلسلامتك أقرّح أن تتبعني، وسأكون أنا دليلك، وسأقتادك من هنا إلى محلّ أزيّ، تسمع فيها صراخ صرعى اليأس؛ وترى إلى الأرواح المتألّمة القديمة وهي تطالب جميعًا بموتها الثاني؛ وسترى كم هي مسرورة بالنّار، إذ تأمل أن تلحق بالطوباويين<sup>16</sup> ذات يوم.

وإذا ما أردت أن ترقى إليها فيما بعد، فإنّ روحًا<sup>17</sup> أجدر منّي ستكون هناك: وإليها سأكلُّ بك عندما أغادر؛ فالامبراطور الذي يحكمك ثمّ في العلى، لأنني كنتُ خارجًا على ناموسه ليس ليُريد أن يبلغ مدينته بهدي منّي إنسان<sup>18</sup>. في كلّ مكانٍ يحكم، وهناك يسود؛ هناك تقوم مدينته وعرشه العالي. طوبى لمن يختاره هو هناك!».

فأجبتُه: - «أيّها الشاعرُ إنّي أستحلفك بذلك الإله الذي لم تعرفه أن تأخذني إلى الموضع الذي عنه تتكلّم، لأهرب من هذا الشرّ المحيق وممّا هو أشدّ منه بطشًا، فأبصر الطريق المُفضية إلى باب

19  
القديس بطرس وأولئك الذين تصف مغمورين بالحزن. «  
فشرع بالسّير ومشيتُ أنا وراءه.

## الأنشودة الثانية

(دانتي يشعر بالخوف. فرجيليو يهْدِيء من روعه. نزول بياتريشي إلى اليمابيس. دانتي يستعيد رباطة جأشه.)

كان التَّهَار يُنصِرم والأفق المظلم  
يُريح الحيوانات السَّاعية على الأرض  
من عنائها؛ وأنا وحدي  
كنتُ أتأهَّب لمواجهة رعبٍ  
ذلك الشَّوْط الطَّويل وتلك المشاهد المُحزنة  
التي ستسردها الذَّاكرة بلا نقصان.

يا ربَّات الإلهام، يا روحًا عظيمًا <sup>20</sup>، أعينيني الآن،  
ويا ذاكرةً دَوْنَتْ ما رأيتُ،  
هوذا الموضع الذي يتجلَّى فيه نُبلُك.  
فبدأتُ بالكلام: - «أيُّها الشَّاعر، يا مُرشدِي  
أنظرْ إنْ كانت قوَّتِي كافية،  
قبلَ أن تبعثني في هذا الشَّوْط المرير.

قلتُ إنَّ أبا سيلفيوس <sup>21</sup> عندما كان ما يزال في هيكله الفاني  
ولجَّ العالم السَّرمدِيَّ جسدِيًّا.  
لكنْ إنْ كان عدُوُّ جميع الشُّرور

قد احتفى به، مفكِّرًا بالأثر الأتي <sup>22</sup>  
عبره، هو العظيم المزايا،  
فما في هذا من مدهشٍ لأصحاب الفكر.  
فهو قد اختير في أعلى سماءٍ  
أبًا لروما المقدَّسة وملكوتهَا،  
وهذان اصْطُفيا ليكونا  
ذلك الموضعَ المبارك  
الذي فيه يتربَّع على عرشه بطرس العظيم.  
وبذلك السَّفر الذي وهبته أنت مجده

أدرك أشياء كثيرة كانت سببًا  
في انتصاره وتبيله المعطف البابوي.

وسيزهد هناك «الإناء المختار» هو أيضًا<sup>23</sup>

ليدعم الإيمان الذي هو

الخطوة الأولى في جادة الخلاص.

أما أنا، فلم أنا آتٍ ومن ذا الذي يُجيز ذلك؟

لست إنياس ولا أنا يولس؛

لا أحسبني، ولا أحد ليحسبني جديرًا بهذا.

ولذا فأنا أخشى إن أنا عقدت العزم

على المجيء أن يكون ذلك جنونًا محضًا.

إنك أنت الحكيم، وستفهم بأفضل مما أقدر أن أقول».

وكمثل من لا يعود راغبًا في ما كان راغبًا فيه، فيبدل أفكاره بسوانح أخرى متخلّيًا عمّا بدأ به قبل ذلك، فهكذا صرتُ في ذلك المنحدر المظلم، وبتفكيري أتلفتُ مسعائي كلّه الذي كان في بدئه شديد الصّعوبة.

فأجاب شبّح الرّجل الماجد:

- «إن كنتُ أحطتُ بمرعى كلامك، فإنّ روحك رازحةٌ تحتَ الخوف الذي يكبّل المرء في أحيانٍ كثيرة ويخرفه عن مسعى رائع كالرؤية الكاذبة تعرّض للحيوان فيلوذ بالظلّ.

سأقول لك، لأبعد عنك هذه المخافة، لم أتيتُ وما الذي سمعتُ في اللحظة التي تألمتُ فيها من أجلك.

كنتُ بين المُعلّقة أحوالهم<sup>24</sup> عندما لاحتُ لى سيّدة فاتنة وسعيدة<sup>25</sup> فرجوتُها أن تُدلي بأوامرها.

كانت عيناها أسطع من النّجم، فكلمتني بهدوء ورقة، بصوت ملاكٍ ولسانه:

- «أيّها الرّجل المهذب الآتي من مانتوا، يا من لا يزال مجده في العالم حيًّا وسيدوم ما دام العالم،

إنّ صديقي الحقّ، لا صديق الثروة<sup>26</sup>، محاصرٌ هناك، في الشّاطيء القفر، الخوف يجعله يرتدّ على

عقبه مرارًا عديدة، وأنا أخشى أن يكون تائهاً وأنني لم أفقُ لإسعافه إلا بعد فوات الأوان لفرط ما

تناهى إليّ في السّموات من شكواه. فلتمضِ ولتعبه بكلامك البالغ الفصاحة وبما يمكن أن يخدم في

إنقاذ، فيتعزّى قلبي. أنا بياتريشي، أبتهل إليك أن تهبّ؛ أنا آتية من الموضع الذي أرغب في العودة

إليه. إله الحبّ يبعثني ويهيني أن أتكلّم. فإذا ما رجعتُ قرب مولاي فسأطنب في امتداحك أمامه.»

ثمّ لزمّت السّكوت فبدأتُ:

- «أيّتها السيّدة، يا ربّة الفضائل التي وحدها تتيح للبشر النّفاذ إلى كلّ ما هو كائن تحت تلك السّماء



27 الصَّغِيرَةَ الدَّوَّائِرَ ، إِنَّ أَمْرَكَ لِيُسْرِنِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ بَحَيْثُ أَرَانِي مُتَأَخَّرًا فِي الطَّاعَةِ مَهْمَا بَكَرْتُ؛ لَا دَاعِي لِأَنْ تُشْرِحِي لِي رَغْبَتَكَ. لَكِنْ أَخْبِرِينِي: مَا الَّذِي يُذْهِبُ يَا تَرَى عِنْدَكَ الْخَوْفَ مِنْ أَنْ تَنْزِلِي إِلَى هَذَا الْمَرْكَزِ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّاسِعِ الَّذِي تَرغِبِينَ فِي الْعُودَةِ إِلَيْهِ؟»

فَأَجَابَتْ: «مَا دَمْتَ تَرُومُ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا السَّرَّ، فَسَأَقُولُ لَكَ بِإِجَازٍ لَمْ لَمْ أَخْشَ مِنْ النَّزُولِ إِلَى هُنَا. يَنْبَغِي أَلَّا نَخَافُ إِلَّا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَلْحَقَ بِالْآخِرِينَ ضَرَرًا؛ لَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الْآخَرَى، فَمَا هِيَ بِالْمُخِيفَةِ. إِنِّي صَوَّرَنِي اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الشَّكْلَةِ بَحَيْثُ لَيْسَ يَقْدِرُ بِؤُسْكُمْ [أَنْتُمْ سَكَّانَ الْجَحِيمِ] أَنْ يَمْسَنِي بِسُوءٍ أَبَدًا، وَبَحَيْثُ لَا تَقْدِرُ أَلْسِنَةُ النَّيْرَانِ هَذِهِ أَنْ تَبْلُغَنِي. فِي السَّمَاءِ سَيِّدَةٌ نَبِيلَةٌ مَلُؤَهَا شَفَقَةٌ عَلَى الْمَسْلُوكِ الْوَعْرِ الَّذِي أُرْسَلُ فِيهِ، وَبِهَذِهِ الشَّفَقَةِ تُحْرَقُ النَّامُوسَ الصَّارِمَ الَّذِي يَحْكُمُ الْأَعَالِي. وَالْحَالُ، هَذِهِ السَّيِّدَةُ نَادَتْ لَوْتَشِيَا وَقَالَتْ لَهَا: «إِنَّ صَدِيقَكَ الْوَفِيَّ هُوَ الْآنَ بِحَاجَةٍ إِلَيْكَ. بِهِ أَوْصِيكَ.»

28 فشرعتُ لوتشيا ، هذه المناوئة لكلِّ قسوة، بالسَّيرِ وجاءت إلى حيثُ كنتُ جالسةً إلى جانب راحيل 29 العتيقة، وقالت: - «يا بياتريشي، يا مَنْ أَنْتِ الْمَجْدُ الْحَقُّ لِلَّهِ، لَمْ لَا تُنْجِدِينَ مِنْ أَحَبِّكَ كَثِيرًا حَتَّى لَقَدْ هَجَرَ مِنْ أَجْلِكَ الْحَشُودَ الْمَبْتَدَلَةَ؟ أَوْ لَا تَسْمَعِينَهُ يَبْكِي بِلُوعَةٍ؟ أَوْ مَا تَرِينَ إِلَى الْمَوْتِ يَتَهَدَّدُهُ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْفَخْمِ الَّذِي لَا يَضَارِعُهُ الْبَحْرُ؟ «لَا أَحَدًا كَانَ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ وَتَجَنَّبِ الْأَذَى أَسْرَعَ مِمَّا كُنْتُ مَا إِنْ سَمِعْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَأَتَيْتُ إِلَى هُنَا مِنْ مَقَامِي السَّعِيدِ، وَاضْعَةً ثِقَتِي فِي كَلَامِكَ النَّزِيهِ الَّذِي يُشْرِفُكَ وَيُشْرِفُ كُلَّ مَنْ يَسْمَعُونَهُ.»

وبعدما تكلمتُ هكذا، صوّبتُ إلى باكيةٍ عينيها البارقتين، فجعلتني أسرع في المجيء أكثر. وأتيتُ كما أرادتُ هي وأخذتُكَ مِنْ أَمَامِ ذَلِكَ الْوَحْشِ الَّذِي كَانَ قَدْ حَرَمَكَ مِنْ انْتِهَاجِ أَقْصَرِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَبَلِ السَّاحِرِ. تعال: ما بك؟ ولماذا تُبْطِئُ؟ وما لكِ نُذَعْنُ لِحُورِ قَلْبِكَ؟ لَمْ تَتَجَرَّدْ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَمِنْ الْعِزْمِ،

ما دامت السيِّدات المباركات الثلاث مهموماتٍ بكِ في ساحة السَّماءِ، وما دامتُ كلماتي تعِدُكَ بالخيرِ كلِّه؟

«وكمثلما تضيء الشمس زهرةً منكسةً أطبق أوراقها الثلج المسائي، فتشرب حول غضنها متفتحة، فهكذا انبثقتُ من خور قواي، وسرتُ في شجاعةٍ عظيمة، فجعلتُ أتكلّم كإنسانٍ متحرّر: - «إيه أيتها الرّحيمة التي أنجدتني! وأنت أيتها النبيل الذي سارع إلى الطّاعة لما فاهت به لك من كلمات! إنك بخطابك هيأت قلبي للرغبة في الانطلاق بهذه القوّة حتى لقد عدتُ واعتنقتُ مسعاي الأول. فهيا إلى السَّير؛ ستكون لنا مشيئة واحدة وستكون أنت مُرشدتي وأستاذي وسيدي.»

هكذا خاطبته، وما إن شرع هو بالسَّير حتى انتهجتُ أنا الطَّرِيقَ القاسيةَ الوعرة.

## الأنشودة الثالثة

(دهاليز الجحيم. بؤابة مدينة العذاب. الحشد الأوّل من المعدّيين: أرواح محايدة وخرعة تطاردها الحشرات. نهر «الأكيرون» ومُعبره كارون. زلزال في الوادي: دانتي يُغمى عليه.)

- «عبري يذهب السّائرون إلى مدينة العذاب

عبري يذهبون إلى الألم الأبديّ

عبري يذهبون بين القوم الهالكين.

العدالة حرّكت صانعي الأسمى،

القدرة الإلهية خلقتني

والحكمة العليا والحبّ الأوّل.

قبلي لم يُخلَق أيّ شيء

إلا وكان أبدياً<sup>30</sup>. وأنا أبدية أدم.

أيها الدّاخلون اطرحوا عنكم كلّ أمل.»

هذه الكلمات الدّكّاء

رأيتها مكتوبة في أعلى باب؛

فقلت: - «يا أستاذي، إنّ معناها لباهضٌ على.»

فقال لي، وقد قرأ سوانح أفكاره:

- ينبغي أن تتخلى هنا عن كل ريبة؛

وينبغي أن يموت هنا كلّ خور.

هوذا الموضوع الذي كَلّمْتُك عنه،

حيثُ سنُبصّر القوم المعدّيين

الذين أضاعوا خيراتِ العقل.»

وبعدما وضع يده بيدي،

وبوجهٍ بشوشٍ أنعشني،

راح يكشف لي عن أشياء خبيثة.

تنهّد وبكاءٍ ونواحٍ عالٍ

راح يتصادى هناك في جوّ بلا نجوم،

فأسأل في البدء دموعي.

لغاتٌ غريبةٌ وطراناتٌ فظيعة،  
وصيحات ألمٍ وصرخاتٌ غضب،  
وأصواتٌ قويّةٌ وبخاءٌ يرافقها لطمٌ للأيدي.  
والكلّ يدوّمٌ صاخبًا بلا انتهاء،  
في ذلك الأفق المظلم أبدًا،  
كحلبةٍ رمالٍ تعصف بها زوبعة.  
فقلتُ، ورأسي مُكتنّفٌ بالظلام:

- «أستاذي، ما هذا الذي أسمع؟ ومن هم هؤلاء القوم الذين يغلبهم العذاب؟»  
فقال لي: - «هذا الشرط البائس هو شرط الأرواح الخبيثة لَمَنْ عاشوا بلا عارٍ وبلا مجد.  
هم مختلطون بالمحفل السيء محفل الملائكة الذين لم يتمردوا على الله ولا كانوا أوفياء له، بل عاشوا  
لأنفسهم <sup>31</sup> السماء تطردهم كي لا تنقص بهم جمالًا، وأغوارُ الجحيم تلفظهم حتّى لا يتفاخر عليهم  
الآثمون». فقلتُ: - «يا أستاذي أيّ ألمٍ يحملهم يا ترى على هذا النوح المتعالي؟»  
فأجاب: - «سأقول لك بإيجاز: هؤلاء لا يحدوهم الأمل بالموت، وحياتهم الكفيفة هي من التدنّي بحيث  
يغبطون كلّ مصيرٍ آخر. لا يدع لهم العالم من صيتٍ والرّحمة والعدالة تزدريانهم: لا نتكلمنّ عنهم،  
بل فلنتنظرٌ ولنتمرّ». ثمّ حدّقتُ ورأيتُ علمًا يعدو ويدور بمثل هذه السرعة بحيث بدا لي بالراحة غير  
جدير؛ ووراءه قومٌ هم من الكثرة بحيث لم أحسب أنّ الموت أهلك بهذا القدر بشرًا.

<sup>32</sup> وبعدما عرفتُ بعضًا منهم رأيتُ وتبيّنتُ شبح ذلك الذي ارتكب عن خور الرّفص الأكبر .  
ففهمتُ على الفور وتيقّنتُ من أنّ ذاك كان محفل السيئين الذين يمقتهم الله وكذلك أعداؤه.  
هؤلاء التّعساء الذين ما كانوا أحياء قطّ، كانوا عراةً تلسعهم أبدأ أسرابُ الرّنابير وهوامّ الدّواب:  
إنّها تلتطّخ بالدم أو جهّهم فيختلط بالدمع ليساقط عند قدّمي الواحد منهم حيثُ تتلقّفه ديدان كريهة.  
ثمّ إذ نظرتُ أبعده، رأيتُ قومًا على ضفة نهرٍ شاسع؛ فقلتُ: - «يا أستاذي، هبني الآن أن أعرف من  
هم هؤلاء، وأيّ قانون يجعلهم متلهّفين هكذا للعبور كما يلوح لي في خافت النور هذا».  
فأجاب: - «ستتضح لك هذه الأشياء عندما سنتوقّف عند ضفة أكيرون الحزينة». فخفضتُ طرفي،  
ومختشيًا أن أثقل عليه بكلامي، لزمّتُ السكوت حتّى دنونا من النهر.

<sup>33</sup> وهوذا شيخٌ أبيضٌ عتيقُ الشّعْر يتقدّم إلينا في قارب، صارخًا: - «الويل لكما يا نفسين خبيثتين، لا  
تأملًا في رؤية السماء يومًا، أنا أت لأقودكما إلى الضفة الأخرى في الظلمات الأبدية، في الصيّهود  
والبرد.

وأنت يا مَنْ تقف هنا، يا إنسانًا حيًّا، فلتنأ عن هؤلاء؛ إنهم جميعًا موتي». ثمّ إذ رأى أنّني ما كنتُ  
لأتحرك محض خطوة صاح بي: «عبر مسالك أخرى، وموانئ أخرى <sup>34</sup>، لا من هنا، تبلغ

الشاطيء من أجل العبور؛ ينبغي أن يحملك زورقٌ خفيف». فقال له مُرشدي: «يا كارون، لا تغضبَن:

نريدُ ما نريد هكذا وبقدرا نستطيع، فلا تطلبنْ أكثر». فرأيتُ الخدينَّ المجلَّين بالشعر لملّاحٍ مستنقع الجحيم ينبسطان وحول عينيه دوائر من اللهب.

لكنّ تلك الأشباح المتعبة والعريانة إكتست ألوّناً أخرى وجعلتْ تصطكُ أسنانها ما إن سمعتِ الكلماتِ القاسيةَ هذه.

وظفقتُ تجدّف بالله، بذويها، بالنّوع البشريّ، بمحلّ ولادتها، وبنطفها وسلالتها.

ثمّ تحشّدت في كتلة واحدة باكيةً على الشاطيء الرّجيم الذي ينتظر كلّ من ليس يخاف الله.

كارون، الشيطان الذي عيناه من الجمر، يستقبلهم جميعاً ويوجّههم، ضارباً بمجدافه كلّ من يتأخّر.

وكما تساقط في الخريف الأوراق واحدةً واحدةً حتّى يكون الغصن ألقى على الأرض بأحماله كلّها،

فهكذا كانت الأنفس الخبيثة من نسل آدم ترتمي على الشاطيء<sup>35</sup> واحدةً تلوّ الأخرى، كالأطيّار، مستجيبةً لنداء كارون، قابعةً رهنَ إشارته.

كذلك تمضي الأرواح فوق الموج الداكن، وقبل أن تحطّ على الشاطيء الآخر، يحتشد عند هذا الشاطيء سربٌ جديد.

فقال لي أستاذي الكيس: - «أيّ بُنيّ إنّ من ماتوا في غضب الله يَفدونَ إلى هنا من سائر الجهات؛ متحقّرين لعبور النّهر، لأنّ العدالة الإلهية تدفعهم، فينقلب خوفهم إلى رغبة. لا تمرُّ هنا نفسٌ طيبة أبداً، ولنّ اشتكى منك كارون، فالآن صرتَ تدرك مغزى خطابه». وما إن فرغ من كلامه حتّى اهتزّ الرّيف الأسود بهذه القوّة بحيث ما برحتُ ذكرى تلك اللحظة تغمر بالعرق بدني.

ثمّ أطلقت الأرض الباكية عواصف إنبثق منها نورٌ قرمزيّ غلبَ لديّ سائرَ أفكارِي.

36

فخررتُ على الأرض كمن يسقط في النّوم .

## الأنشودة الرَّابِعة

(الحلقة الأولى: اليمابيس: أرواح فاضلة لم تُعمَّد، لا تتعرَّض لعذاب آخر سوى الرّغبة غير المرضية في رؤية الله.)

دانتي يفيق من غيبوبته. اليمابيس. نزول المسيح إلى الجحيم. الشعراء القدامى. قصر الشّجعان والحكماء.)

النّوم العميق بدّده من رأسي

دويّ رعدٍ، فاستنقتُ فزَعًا

كمنلّ رجلٍ يوقظونه عنوة؛

أجلتُ حولي عينيّ المرتاحتين،

بعدما استويتُ واقفًا، ثمّ نظرتُ بإمعان

لأعرف المكان الذي نُقلتُ إليه.

كنتُ في الحقيقة على شفير

وادي هاوية العذاب

الذي يستقبل جلبة نواح غير متناهية.

كان أسودّ، عميقًا ومجللًا بالضباب؛ ومع أنّني أمعنتُ النّظر إلى الغور فما كان في مقدوري أن أميّز هناك شيئًا.

وبدأ الشاعر بوجهٍ يعروه الشحوب - «فلننزل الآن في الكون الأعمى، سأكون أنا الأوّل، وستتبعني». فأجبتُ، وقد لاحظتُ شحوبَ محيّا:

- «أنّي لي أن آتي إذا كنتَ تخشى، أنت الذي اعتدتَ أن تُزيلَ كلّ ريبية؟» فقال: - «إنّ عذاب هذه الأشباح ليُطبع على محيّاي هذه الرّأفة التي تخالها أنتَ خوفًا.

هيّا، إنّ الطريق الطّويلة ألدعونا». هكذا دخلَ ومكّنتني من أن أدخل الحلقة الأولى التي تزترّ الهاوية. وبحسب ما تناهى إلى سمعي فلم يكن ثمّ من بكاء بل تنهّد يُرجف ذلك الهواء الأزليّ؛ كان ذلك أتيا من ألم بلا تعذيبٍ تتلقّاه أفواجٌ متعاضمة من صغارٍ ونساءٍ ورجال.

فقال أستاذي: - «أو لا تسألني من هي هذه الأرواح التي تراها؟

قبل أن نوغل في السّير، ينبغي أن تعرف أنّها لم تخطيء؛ ولئن كان لها من فضائل فليس بالقدر الكافي، إذ لم يلمسها ماء العمادة الذي هو باب الإيمان الذي تحمله أنت؛ ولئن عاشت قبل أن يظهر المسيح، فهي لم تعبد الله كما يجبُ:

وأنا نفسي واحدٌ من هؤلاء. لهذه الشائبة لا لخطايا أخرى، صرنا بين الهالكين، عذابنا الوحيد هو العيش في الرّغبة من دون أمل». فاعتراني وأنا أسمع كلماته أسي بالغ إذ عرفتُ أنّ عظماء كانوا

معلّقي النفوس في هذا اليمبوس.

فسألت حتى أزداد علمًا بذلك الإيمان الذي يغسل جميع الخطايا:

- «يا أستاذي، ويا سيدي، ألا أخبرني أو لم يخرج من هنا أحدٌ بجدارته، أو بفضل غيره، ليلحق بالسعداء؟» فأدرك مرماي وأجاب:

- كنتُ على هذه الحال جديدًا عندما رأيتُ كأننا قويًا<sup>37</sup> يأتي إلى هنا مكللاً بعلامة الظافرين، ويجتذب شبح أبيه الأول وشبح ابنه قابيل وشبح نوح، فشبح موسى المشرع المطيع، وإبراهيم الخليل والملك

داود، فأشباح إسرائيل ووالده وأولاده، وراحيل التي فعلَ من أجلها الكثير<sup>38</sup>؛ وكثيرين سواهم، ثم طارَ بهم إلى السماء وأريد أن تعرف أنه قبل هؤلاء لم تلقَ أرواحَ بشريّة الخلاص قطّ». كنا نغذّ في السير فيما يتكلّم، مواصلين اختراق الغابة، أقصد الغابة المزدهمة بالأرواح.

كنا قطعنا شوطًا يسيرًا منذ نوّمتي تلك عندما لمحتُ نارًا تضيء مدارًا من الظلام.

كنا ما نزال بعيدين عنها، لكن لا بحيثُ أعجز عن أن أميّز أن أشراقًا كانوا يسكنون ذلك المكان.

فقلتُ: - «إيه يا من تُمجّد العلم والفنّ، من هم هؤلاء المحظيون هنا بهذا المجد الذي يميّزهم عن غيرهم؟» فأجاب: - «إنّ سمّعتهم التي ما فتنّت تتردّد في عالمك هناك، تُكسبهم في السماء فضلًا به يُفردون».

وسمعتُ في تلك الأثناء صوتًا:

- «لئتمجّدوا الشاعِر العالِي مقامه؛ هوذا شبّحه عائذٌ بعدَ رحيل». ثم بعدَما سكتَ الصوتُ رأيتُ أشباحَ عظامٍ أربعة تتقدّم إلينا.

ما كان على وجوههم كآبةٌ ولا بشر.

فقال لي أستاذي الطيب: - «ألا انظرُ ذلك الذي يخطو ويبيده سيفٌ والذي يتقدّم الآخرين مثل ملك:

إنّه هوميروس، الشاعِر المعقودة له السيادة؛ يليه هوراتيوس الساخر؛ الثالث هو أوفيدوس، والرابع

<sup>39</sup>

لوكانوس .

وما دام كلّ واحدٍ يشاركني هذا اللقب الذي نطق به صوت واحدٍ منهم، فإنهم يُكرّمونني وحسنٌ ما يفعلون». هكذا رأيتُ المدرسة الرّائعة مجتمعة مدرسة السيّد الباذخ الغناء المحلق أعلى من الآخرين كالنّسر.

وبعدَما تحادّثوا قليلًا، إنفتوا إلى مُحيين، وابتسم أستاذي لذلك التّرحيب.

لكنّهم لم يزيدوا عليه شيئًا بل لقد أدخلوني في صحبتهم فصرّتُ أنا السّادس<sup>40</sup> بين أولئك الحكماء.

هكذا مضينا حتى المنطقة المنيرة نتكلّم عن أشياء يحسن السّكوت عنها كما حسن الكلام عنها ساعتئذ.

ثم وصلنا أسفل قلعةٍ نبيلة<sup>41</sup> تحيطها سبعة أسوار سامقات ويحميها، من حولها، جدولٌ جميل عبرناه كما تُعبّر اليابسة؛ وعبرَ سبعة أبوابٍ ولجثُ صحبةٌ أولئك الحكماء حتى وصلنا مرعى خضرته

نُضرة.

كان هناك أناسٌ بعيونٍ وقورٍ متمهّلةٍ وعليهم أماراتُ سلطانٍ مديد:

نادرو الكلام هم وأصواتهم رقيقة. فمكثنا هناك في إحدى الجهات، في مكانٍ مفتوحٍ، مُضاءٍ وسامقٍ،  
نقدر منه أن نراهم جميعًا. وهناك، في المواجهة، على زهو الحقل الأخضر، تجلّت لنا النفوس  
الشريفة التي كانت رؤيتها وحدها تحمّسني في صميم ذاتي.

رأيتُ أليكترا<sup>42</sup> ورفاقها الكثر، الذين عرفتُ بينهم هكتور وإنياس، وقيصرَ المسلّح بعينٍ عنقاء  
مُغرب؛ ورأيتُ كاميلًا وينتسيليا<sup>43</sup> وأبعدَ منهما لاتينوس الملك<sup>44</sup> جالسًا صحبةً ابنته لافينيا<sup>45</sup>.

رأيتُ يروتوس<sup>46</sup>، ذلك الذي كانَ قد طرد تاركوينوس، ورأيتُ لوكريتزيا وجوليا ومارتزيا  
وكورنيليا<sup>47</sup>، وعلى مبعدهٍ منهم أبصرتُ صلاح الدين<sup>48</sup> وحده.

ثمّ إذ رفعتُ عينيّ قليلاً رأيتُ أستاذَ مَنْ يعلمون<sup>49</sup> جالسًا بينَ أسرةِ فلاسفة، والكلّ ينظر إليه ويُحييه:

رأيتُ أولًا سقراط وأفلاطون<sup>50</sup> يتقدّمان الآخرين قربَه، وديموقريطس الذي أخضع العالمَ للصدفة،  
وديوجينس وأناغزاغوراس وطاليس، ورأيتُ أيمييدوقليس وهيراقليطس وزينون؛ وجامعَ خصائص  
النباتات، عنيثُ ديوسكوريديس؛ ثمّ رأيتُ أورفيوس، وتوليوس ولينوس وسينيكا الأخلاقيّ؛ وإقليدس  
العالم بالهندسة وبطليموس وهيبوقراطيس وابن سينا وجالينوس، وابن رشد صاحبَ الشرح الكبير.  
لكّني لا أقدر أن أسمّيهم بكفايةٍ كلّهم، لأنّ قصيدتي الطويلة تهمزني حتّى ليَقصر كلامي عن الوقائع.  
ثمّ، بعدما كُنّا ستّةً، هوذا نحن اثنان:

مُرشدي الحكيم يقودني عبرَ طريقٍ أخرى بعيدًا عن السكون، صوبَ ذلك الهواء الرّاجف.

فبلغتُ مكانًا ليس فيه بصيصٌ من النور.

## الأنشودة الخامسة

(الحلقة الثانية: الفاسقون يجرفهم إعصار الجحيم. مينوس. فرجيليو يُري دانتى بعض المشاهير: سميراميس وديدون وترستان. ملاقاته فرانتشيسكا دا ريمينى. دانتى يُغمى عليه.)

هكذا نزلتُ من الحلقة الأولى  
إلى الثانية المحيطة بفضاءٍ أصغر،  
والزّخرة بصراخٍ أكثرٍ وعذابٍ أقوى.  
هناك يجلس مينوس <sup>51</sup> رهيبًا مزمرًا:  
يَزُنُ عندَ المدخلِ المأتمِّ،  
ويَقْضِي ويُدِين بعدد لَقَات ذَنْبِهِ.

<sup>52</sup> أعني أنّه عندما تَفْدُ الروح السيّئة الولادة  
أمامه فهي تعترف بكلّ شيء:  
فيرى ذلك العارف بالآثام

أيّ محلّ من الجحيم يناسبها ويلفّ ذنبه بعدد الحلقات التي يقرّر أن تنزلها تلك الرّوح. تتدافع الأرواح  
أمامه حشدًا حشدًا وتنال حكمه الواحدة تلو الأخرى:

تتكلم وتسمع ثم تنقذف إلى أسفل. عندما أبصرني مينوس قال لي، ناسيًا أن ينصرف إلى عمله:  
- «أيّها الآتي إلى دار الآلام، أنظر كيف تلجّ وإلى من تُسلم قيادَ نفسك؛ ولا يخدعك اتساع  
المدخل!».

فقال له مرشدي: - «ما لك تصرخ به؟ لا تُعقّ سفره المحتوم يا هذا: نريد ما نريد هكذا وبقدر ما  
نستطيع، فلا تطلبين أكثر». الآن تبدأ الأهات الأليمة بالتعالى. الآن وصلتُ حيثُ يلفحني بكاء القوم.  
بلغتُ مكانًا ارتدّ عنه كلّ ضياء، مزمرًا كبحرٍ عاصف تلفحه رياحٌ متعاكسة.

دوّامة الجحيم التي ما لها من انقطاع، تقناد بسُعارها أشباح المعدّبين؛ تُرهقها وتدور بها وتلاحقها.

وعندما تصل أمام الأنقاض <sup>53</sup> يتعالى صراخها وعويلها ونواحها؛ وتجديفها بقُدرة الله.

ففهمتُ أنّ ذلك العذاب كان عقوبة حُطاة أجسادهم، الذين أخضعوا العقل للشهوات.

وكما تحمل الطيّر أجنحتها، في خضمّ الهواء البارد في أسرابٍ غفيرة، فهذه العاصفة كانت تذرو هنا  
وهناك، ومن علٍ إلى سُفلٍ، الأرواح الرديئة؛ لا أمل يريحها أبدًا من عناءٍ ولا من بعض عذاب.

وكما تُنشد الكراكي شكواها صانعةً في الهواء رفوفًا طويلة، فهكذا رأيتُ الأشباح تحملها تلك الرّيح  
العظيمة وهي تأتي مطلقّة صراخًا؛ فقلتُ: «يا أستاذي، مَنْ هم هؤلاء الذين يعاقبهم هذا الطقس  
الكالح؟» فقال لي: - «الأولى بين هؤلاء الذين تستقصي أخبارهم، كانت امبراطورة لغاتٍ عديدة؛



والى هذا الحد انغمست في الشهوات بحيث شرعتها في دستورها، التمحوا ما لحقها من عار.

هي سميراميس<sup>54</sup> التي تقرأ في بطون الكتب أنها كانت زوجة نينو، منه ورثت الحكم:

فسادت على الأرض التي كان يحكمها سلطان<sup>55</sup>.

الأخرى هي هذه التي انتحرت عشقاً<sup>56</sup> حائثة بيمينها لرفات سيكيو؛ تليها الفاجرة كليوباترة<sup>57</sup>.

وترى بينهن هيلانة<sup>58</sup> التي على يدها وقع رزء عظيم؛ كما ترى أخيل الفخم<sup>59</sup> الذي بارز في خاتمة

المطاف إله العشق، وانظر ياريس<sup>60</sup>، وتريستان<sup>61</sup>، «، وهكذا أراني وأشار بإصبعه على أكثر من ألف ممن انتزعهم من حياتنا العشق جميعاً.

وبعدما سمعت هكذا أستاذي الذي راح يُسمي لي السيدات القديمات وفرسان الأمس، غمرتني الشفقة وصرت كمثّل المغشي عليه.

فبدأت: - «أيها الشاعر، كم أود أن أتحدث إلى ذينك السائرين سويةً واللذين يبدوان بمثّل هذه الخفة وسط الرّيح»<sup>62</sup>.

فأجابني: - «ستراهما عندما يدنوان منّا أكثر؛ آنذ نادهما واستحلفهما بالحبّ الذي يحدوهما وسيأتين». ثم ما إن مالت الرّيح بهما نحونا حتى هتفت بهما: - «يا نفسين معدّبتين، تعالاً لتكلمانا، إن لم يمنعكما من ذلك أحد». وكما تشقّ حمامتان، يحدوهما الهيام، الهواء بأجنحة مستقيمة وراسخة، فهكذا ابتعد هذان، يحملهما الشّوق، عن رفقة ديون<sup>63</sup> واتّجها إلينا وسط ذلك الهواء الخبيث، مستجيبين لندائي الجياش عطفاً.

- «أيهذا المخلوق الرّقيق، يا نبيل النوايا الآتي لزيارتنا في هذا الجوّ الكامد نحن اللذين خضّبنا بدمنا الأرض، لو كان ملك الكون لنا صديقاً لابتهلنا له أن يُسعدك، ما دمت على خطئنا المُفسد قد أشفقت. سنقول كلّ ما يسرك أن تسمع ونسمع كلّ ما يطيب لك أن تقول ما بقيت الرّيح، مثلما هي الآن، عذبة.

يقوم مسقط رأسي على حوافّ الشّاطيء الذي إليه ينحدر اليو ليكون في وئام وروافده.

الحبّ، الذي سرعان ما يأخذ بجماع القلب الطيّب، تيمّ هذا الفنى بالجسد السّاحر الذي انتزع منّي بشاكلة ما فتئت تؤلمني.

والحبّ، الذي يحمل كلّ محبوب على الإجابة حُبّاً تيمني به بمثّل هذه اللّذادة، بحيث ما عاد، كما ترى، ليُفارقني.

الحبّ قادنا إلى ميتة واحدة؛ ودائرة قابيل<sup>64</sup> تنتظر من اغتالنا معاً». هذه هي الكلمات التي أزجياها إلينا.

از عندما سمعت حديث هاتين النّفسين الجريحتين، حنيت رأسي وأطرقتُ طويلاً حتّى هتفت بي

الشاعر: - «فيم تفكر؟» فبدأتُ بإجابته:

- «وا أسفاه، أيّة أفكارٍ عذبةٍ وأيّة رغبةٍ قادت هذين إلى موتهما الأليم!»

ثمّ التفّتُ إليهما وتكلّمتُ وبدأتُ:

- «يا فرانتشيسكا، إنّ عذابك ليُحزنني وبالرّأفة يغمرنني إلى حدّ البكاء.

لكنّ أخبريني: في عهد التنهّات العذبة كيف وبأيّة علامةٍ أتاح لكما الحبّ أن تعرفا رغباتكم التي ربّما كان يخالطها الشكّ؟» فأجابت: - «إنّه لا ألم أشدّ من تذكّر عهود الهناءة في أيّام البؤس؛ أستاذك يعرف هذا.

لكنّ إنّ كانتُ تحدوك كلّ هذه الرّغبة في معرفة أصل محبّتنا، فسأفعل كمن يبكي ويتكلّم في الأوان ذاته.

كنا على سبيل التّروّح نقرأ ذات يوم عن لانسلو<sup>65</sup> ، وكيف تلبّسه العشق:

كنا وحيدين لا تخامرنا ريبة.

مرارًا جعلتِ القراءة أعيننا تتلاقى، ومرارًا أشحبتُ لونَ وجهينا؛ لكنّ ما غلبنا هو أمرٌ واحد. فعندما قرأنا عن الابتسامة المتشّهة وهي يُقبّلها مثلُ ذلك العشيق، قام هذا الذي لم يعدّ لي منه فكاك، وقبّلني على الفم مرتجفًا بكيانه كلّهُ.

ذلك الكتاب ومؤلفه كانا لنا بمثابةٍ غالهِو<sup>66</sup> ؛ وفي ذلك اليوم لم نمض في القراءة أبعد. وبينا كانت إحدى الرّوحين تُكلّمنا هكذا طفقت الأخرى تبكي بمرارةٍ بحيثُ غُشي عليّ من الشّقة كأنني أموت، وخررتُ كما يخزّ جسمٌ ميت.

## الأنشودة السادسة

(الحلقة الثالثة: الشّرهون ممدّون في الوحل، تحت مطر ثلجيّ أسود. سربروس يتشاكو. التكهّن باندلاع الفتن في فلورنسة. نشور المعذبين.)  
عندما استعدتّ الوعي الذي أذهبه عني

67 إشفافي على ذينك الصنوين ،

وما غمرني به من كآبة،

صرتُ أرى حولي، أني التفتُ

وأني اتّجهتُ وأني نظرتُ،

عذابًا جديدًا ومعذبين جُدًّا.

أنا الآن في الحلقة الثالثة،

حلقة المطر الأبديّ، اللعين، الثّقل، البارد:

التي لا يتغيّر ناموسها ولا طبيعتها.

بردٌ عظيمٌ ومياةٌ سوداءٌ وتلوج تنهمر هناك في الجوّ المظلم؛ وتستقبلها الأرض باعثةً كريةً روائحها.

68 سربروس، الوحش العجيب الكاسح يعوي بأشداقه الثلاثة كمثّل كلب على رؤوس الموتى المنطمرين هناك.

عيناه حمراوان ولحيته سوداء كثّة، بطنه كبير، ويده بالمخالب عامرتان؛ ينهش الأرواح ويسلخها ويمزّقها، فيجعلها المطر ترافق في عوائها الكلاب؛ وتتمترس بطنًا عن بطن؛ وما أكثر ما يتقلّب أولئك الآثمون التّعساء!

عندما رأنا سربروس، الدودة الهائلة، فغرّ أشداقه الثلاثة وكشّر عن أنيابه، مرتجعًا بسائر جنّته الضخمة.

فمدّ مرشدي راحتيه وحثا من التراب ملء قبضته ورماه على تلك الخُلق الجشعة.

وكمثّل كلبٍ ينبح فيما يتشهي ولا يهدأ إذا لم تكن له مضغته تحت الأنياب، لأنّه لا يقاتل ويسعى إلّا ليزدرد، فهكذا كانت الأوجه الثلاثة البشعة، أوجه سربروس المارد الذي يرعد فوق الأرواح عاليًا حتّى ألتمنى لو أصابها الصّم.

هناك مشينا بين أشباح جنّدها المطر الثّقل، وخطونا على عبثٍ شاسعٍ يبدو أجسادًا استلقت جميعها على الأرض، إلّا واحدًا منها سارع إلى النهوض ليجلس 69 ما إن أبصرنا مارينَ قربه.

قال لي: - «أنت يا من تُقاد عبر هذه الجحيم تذكر من أنا إن استطعت؛ فلقد خلقت قبل أن أموت». فأجبتُه: - «ربّما كان العذاب الذي تلقى محوك من ذاكرتي حتّى لا يبدو لي أنني رأيتك قطّ.

ولكن أخبرني من أنت، يا من ألقى بك في هذا الموضع الكئيب تُسام عذاباً إن وُجدَ عذابٌ يعلوه فلن يبرّه في تنفيره».

فأجاب: - «إنّ مدينتك<sup>70</sup> التي هي بالحسد ملأى حتّى لقد طفح منه الكيل، أمسكت بي طيلة الحياة الصّاحية هناك.

كنتم، يا مواطني، تدعونني تشاكو:

وبفعلٍ خطيئة الفم المُفسدة ها أنذا أزداد، كما ترى، هزلاً تحت المطر.

لكني لستُ النفس الأثمة الوحيدة، فهذه الأرواح كلها تتجرّع العذاب ذاته بباعثٍ من الجُرم نفسه». ثمّ صمت.

فأجبت: «يا تشاكو، إنّ يأسك ليثقل عليّ حتّى ليُكييني؛ لكن أخبرني، إنّ كنت تعلم، إلى أين يسير سگان مدينتنا المنقسمة؛ أبيتهم يا ترى إنسانٌ عادل؟، وما الذي يجعلها نهبةً للخلاف دومًا؟» فقال لي:

- «بعدَ طويلٍ صراعٍ ستُسفكُ الدماء، وسيطرّدُ حزبُ الرّيف<sup>71</sup> مناوئهُ<sup>72</sup> بقسوةٍ مرعبة.

ولا بدّ أن يسقط من بعدُ هذا بدوره قبل ثلاث دوراتٍ للشمس<sup>73</sup> ويفوز الأول بقوةٍ من يُداورُ في هذه اللّحظة.

طويلاً سيظلّ شامخ الجبين ممسكاً بالآخر تحت نيره، لا يعبأ ببكائه ولا بشعوره بالخزي.

في المدينة عادلان اثنان<sup>74</sup> لا أحدٍ إليهما ليصغي:

فالغطرسة والحسد والجشع هي الجذوات الثّلاث التي أشعلتُ هناك القلوب».

هكذا أنهى خطابه الأليم.

فقلتُ له: - «أريد أن تعلمني أكثر، وأن تتفضّل عليّ بمزيدٍ من الكلام. فاريناتا وتيغايو<sup>75</sup>، وكانا

فاضلين جدّاً، وجاكوبو روستيكوتشي وأريغو وموسكا<sup>76</sup>، والآخرين الذين اجتهدوا في فعل الخير، أخبرني أين هم الآن، هبني أن أبصرهم، ذلك أنّ رغبتني شديدةً في أن أعرف إن كانوا يُذاقون العسل في السّماء أم السّم في الجحيم».

فأجاب: - «إنهم ألبين أشدّ النفوس ظلّمة؛ ماتم كثيرة تُبقي عليهم في قاع الجحيم:

وإذا ما أوغلت في النّزول فستبصرهم. لكنّ عندما تعود إلى الأرض الطيّبة فأنا أرجوك أن تبعث اسمي في ذاكرة الأحياء: لن أقول لك أكثر لا ولن أطيل في الإجابة».

وإذا بنظره المستقيم يزورّ فحدجني بنظرةٍ ثمّ خفض رأسه:

وسقط بين العميان ثانيةً.

فقال لي مرشدي: - «لن يستيقظ قبل أن يُنفخ في صُور الملائكة، عندما ستجيء القوة المناوئة<sup>77</sup>:

آنئذٍ يعودُ كلُّ إلى قبره الكئيب ويستعيد صورته وجسده، ويسمع الدويّ الأبديّ». هكذا، عبّر ذلك

الخليط المُقرف من المطر والأشباح، رحنا نسير بتودة، وتحدّث قليلاً عمّا بعد النشور؛ قلتُ له: -  
«يا أستاذي، كلّ هذه العذابات أتراها ستتعاظم بعدَ الحُكم الأخير أم تنقص، أم تظلّ على قسوتها  
هذه؟» فقال لي: - «ينبغي أن ترجع إلى عِلْمك<sup>78</sup> الذي يُريك أنه كلّما ازداد الكائن كمّالاً زاد إحساسه  
بالألم وباللذة.

ومع أن هؤلاء الموتى الملعونين لا يبلغون الكمالَ الحقَّ أبداً، فما ينتظرهم منه أكثر وليس أقلّ». ثمّ  
دُرنا حولَ تلك الطّريق ونحن نتكلّم بأكثرَ ما أقدر أن أعيد قوله؛ ثمّ بلّغنا موضع النّزول:

هناك وجدنا يلوتون<sup>79</sup> ، العدوّ الكبير.

## الأنشودة السابعة

(الحلقة الرابعة: البخلاء والمبدّرون يتدحرجون من صخرة إلى أخرى وهم يشتم بعضهم البعض.  
الحلقة الخامسة: سريعو الغضب غاطسون في مياه مستنقع ستيكس الموحلة. المارد يלותون. نظرية  
في الحظ.)

80

– «ياي ساتان، يايي ساتان أليبي!»

هكذا بدأ يלותون بصوته الأجنس؛

فأدرك الحكيم الطيب مرمى كلامه

وقال لي ليهديء من روعي:

- «لا يُزعزِعُكَ خَوْفُكَ فَكَلِّ ما لديه من بأس لن يمنعنا من هبوط هذه الصخرة».

ثم التفت إلى ذلك الوجه المتورم، وقال له: - «صه، أيهذا الذئب الرجيم! والتهم نفسك بسُعارك. لا بلا سبب جننا إلى هذه الظلمات: هكذا أريد في العلي حيث انتقم ميكائيل من تلك الزمرة المتغترسة». وكما تسقط الأشرعة المنفوخة بالريح متشابكةً عندما تنكسر الصارية، فهكذا هوى على الأرض ذلك الوحش الفراس.

وهبطنا نحن إلى الهوة الرابعة متقدمين على ذلك الشاطيء الأليم الذي يتعمد جميع آثام بني الدنيا.

يا عدالة الله! من ذا الذي يُحشد كل ما رأيت من عذابٍ وألمٍ جديدين؟

ولم تُهلكنا خطايانا؟

81

وكما تتكسر عندَ خاربيديس الأمواج بملاقاتها الأمواج الأخرى، فهكذا ينبغي أن يرقص الأموات هنا رقصة «التقابل».

رأيتُ هنا بشرًا أكثر ممّا في أيّ مكانٍ آخر يجأرون من جانبٍ وأخرَ ويعالجون أثقالاً رازحةً على الصدور.

يرتطم الواحد بسواه ومرارًا يستدير ويرجع القهقري صائحًا: «لم تبخل؟» و«لم تبذر؟» هكذا يدورون في الدائرة المشؤومة من كلّ جانبٍ إلى الوجهة المقابلة، صارخين دومًا بكلامهم الشائن.

ثم يستدير كلُّ ما إن يبلغ في نصف دائرته نقطة التلاقي.

فقلتُ شبه منكسر القلب:

- «أرني يا أستاذي أيّ قوم هم هؤلاء!

وحليقو الرؤوس إلى يسارنا هل كانوا يا ترى جميعًا قساوسة؟» فأجاب: - «بل كانوا جميعًا مكفوفي البصيرة طيلة حياتهم الأولى فما عرفوا في إنفاقهم اعتدالًا.

بهذا تنبأ أصواتهم بوضوح عندما يبلغون في الدائرة نقطتين حيث تفرّقهم آثام متعارضة.

وأولئك الذين ليسَ على رؤسهم غطاءً من الشعر، كانوا قساوسةً وبابواتٍ وكرادلة، تجلّى فيهم البُخل حتى أقصاه <sup>82</sup> .»

فقلت له: - «يا أستاذي، بينَ هؤلاء لابدّ أنّي أعرف بعضًا ممّن تلوّثوا بهذين الشرّيين». فأجاب: - «إنّ أفكارك ليلا معنى: ذلك أنّ الحياة الجاهلة لهؤلاء الأندياء تحرم الآنَ واحدَهم من أن يُعرَف. أبدًا سيَسعون إلى نقطتي التلاقي هاتين:

هؤلاء من قبورهم يُنشرون مغلقي القبضات، وأولاء مخلوقِي شعر الرّأس <sup>83</sup> .  
حرمتمهم إساءة الحفظ وإساءة العطاء من المقام الجميل وألقتهم في هذه المُناوشة التي لا أصورها بمُنمق الكلام.

تقدر الآن يا بُنيّ أن ترى قِصرَ الوهم في الخير الذي يُعزى إلى الحظّ والذي يتقاتل من أجله بنو الإنسان.

فكلّ ما تحتَ القمر من ذهبٍ، وكلّ ما كان قائمًا من قبلُ هيهات يُريح واحدةً من هذه النفوس التّعبى». فقلت له: - «يا أستاذي، خبّرني أيضًا: ما هو هذا الحظّ <sup>84</sup> الذي تسمّيه، والذي يجمع بين أصابعه كلّ خيرات الأرض؟»

فأجاب: - «يا لمخلوقاتٍ حمقاوات ويا للجهل الذي يُلحق بكِ أضرارًا كبيرة! الآنَ أريد أن تستوعب حُكمي عليه..

إنّ مَنْ يسمو بحكمته على كلّ شيء قد صوّر السّموات وهيأ لها ما يهديها <sup>85</sup> بحيث يسطع كلّ جزءٍ على الأجزاء الأخرى، ناشرًا التور عليها كلّها بالتساوي.  
كذلك فعلَ بمباهج الحياة الدّنيا فوضع لها دليلًا عقلاً يتدبّرُها ويحوّل في أوانها الثّروة الباطلة من قومٍ إلى آخر، وم سلالَةٍ إلى أخرى، مهما كان من تعارض إرادات البّشر.  
هكذا يسيطر شعبٌ ويخمل شعبٌ آخر، بمقتضى ما يراه ذلك العقل اللّابدُّ كما تلبّد الأفعى في العشب.  
ما لعلمكم من طاقة لتناهُضوه:

إنّه يهب ويقضي راعيًا ملكه كما يرعى ملكهم سائر الأرباب <sup>86</sup> :  
ما لتقلباته من هدنة:

الضرّورة تمدّه بالسّرعة؛ ولذا فما أكثرَ ما تتبدّل بكم الأحوال!  
هو مَنْ يُصَلب مرارًا على أيدي مَنْ كان عليهم أن يمتدحوه، والذين يعزّون له عن خطأ سمعة سيّئة؛ لكنّه بينَ أهل النّعيم وليس يسمع شيئًا:

مبتهجًا بين المخلوقات الأولى، يُدير فلّكه ويستمرّيء في الحبور ذاته.

والآنَ فلننزل صوبَ أسى أشدّ؛ فهي ذي تحزّ الأنجم التي كانت طالعةً <sup>87</sup> عندما انطلقت؛ وليس

مُبَاحًا الْمَكْتُ أَطْوَلُ».

فاجتزنا الحلقة إلى الشَّاطِيءِ الآخرِ فوقَ نبعٍ<sup>88</sup> يغلي وينسكب في جرفٍ متفرِّعٍ منه هو.

كانت المياه سوداء أكثر منها حمراء<sup>89</sup> ، فتبعنا الأمواج العكرة ودفنا أسفلَ عبرِ مسلكٍ عجيب.

كان ذلك الجدول المكفهرّ يذهب إلى مستنقع يُدعى ستيكس<sup>90</sup> ، بعدمَا يهبط أسفلَ الشاطئين الأغبيرين الملعونين.

وقفتُ أنا لأنظر بإمعانٍ، فرأيت في ذلك المستنقع قومًا مغمورين بالطَّينِ، جميعهم عراةٌ ولهم مرأى متألم.

يتضارب هؤلاء لا بالأيدي وحدها بل بالرَّأس كذلك وبالصدر والقدمين، ويمزقون بالأسنان أنفسهم. قال لي أستاذي الطَّيب: - «هوذا تُبصر نفوسَ مَنْ غلبهم الغضب؛ وأريد أيضًا أن تعرف بكامل التَّقة أن تحتَ المياه قومًا يتنهدون ويملؤونها بالفقايع حتَّى السطح، كما تُنبؤك عيناك أني حدقت». غائصين في الوحل كانوا يرددون: - «كنَّا نُعساء في الجوّ الرائق الذي تُسعدُه الشَّمس، ودخان الكأبة كان يجول فينا:

والآن أولاء نحنُ نحزنُ في هذا الوحل الأسود». كان هذا النشيد في حناجرهم يتحشرج، إذ لا يستطيعون قوله في ألفاظٍ مكتملة.

هكذا قطعنا حولَ تلك البرك الطينية قوسًا كبيرةً بين اليابسة والماء، بعيونٍ مصوِّبةٍ إلى مَنْ يبتلعون الوحل ابتلاعًا.

ثم وصلنا أخيرًا أسفلَ بُرج.



## الأنشودة الثامنة

(الحلقة الخامسة: سريعو الغضب. البرج العالي والإشارة. ظهور فليغياس. عبور ستيكس. فيليبو أرجنتي. وادي ديس. مجابهة الشياطين.)

أستأنف القول<sup>91</sup> إنه قبل أن نصل

إلى أسفل البرج العالي بمسافة طويلة،

إتجهت أعيننا إلى ذروته،

ذلك أنا أبصرنا فوقه شعلتين صغيرتين،

وثالثة تردّ عليهما من بعيد، لا تكاد العين أن تلمحها.

فالتفتُ إلى بحر كلِّ علمٍ وسألتهُ:

- «ما تقول هذه النار، وبمّ يا ترى تُجيب تلك النار الأخرى؟ ومن الذين يوقدون هذه النيران؟»

فأجابني: - «هناك فوق الأمواج المغمّسة بالطين، تقدر أن تبصر من ينتظرنا، إن لم يُخفه ضباب المستنقع.»

لا قوسٍ أطلقتُ سهمًا عبرَ الأجواء بأسرع من القارب الصّغير الذي رأيتُه قادمًا يشقّ الماء نحونا في تلك اللحظة يُمسك بدفته ملاح وحيد هاتفاً: - «الآن أقبلت يا نفساً رجيمة!» فأجاب أستاذي: - «يا

فليغياس، يا فليغياس<sup>92</sup>، عبثاً تصرخ!

فلن تنالنا هذه المرّة إلا لعبور هذه البركة الموحلة.»

وكمّن يتبيّن أنّ فخاً كان منصوباً له فيكتمد منه، كذلك صار فليغياس في غيظه الكظيم.

نزل مرشدي في القارب وجعلني أنزل فيه بعده؛ آنذاك فحسبُ بدا لي أنّه أفرط في تحميله<sup>93</sup>.

ثمّ ما إن صرنا أنا وأستاذي في داخله حتّى تقدّم القارب العريق وهو يشقّ الأمواج، بأعمق ممّا يفعل عندما يحمل آخرين غيري.

وبينا تمخر السفينة ذلك الماء الميت، إشرأب أمامي هالكٌ يغمره الوحل<sup>94</sup> وقال لي: - «من أنت أيّها الآتي إلى هنا قبل الأوان؟»

فأجبته: - «إن كنت أتيتُ فلا لأبقى؛ لكن من أنت يا من فُبحت على هذه الشاكلة؟»

فأجاب: - «كما ترى: كائنٌ بيكي.»

فقلتُ له: - «فلتبقِ إذن في البكاء والجداد، يا ذا الرّوح الرّجيم؛ إنني أعرفك، وإن يكن لطحك الوحل كلك.» فمدّ يده صوب القارب؛ فأبعده أستاذي اليقظ قائلاً له:

- «إمض من هنا صحبة سائر الكلاب!» ثمّ أحاط عنقي بذراعيه

وقبَل محيَايَ وَقَالَ لي: - «يا نفسًا أبيّة، بوركَ البطن الذي حملك!  
كان هذا الرّجل في الدّنيا متغطرسًا؛ لم تزيّن ذكراه فعلةً طيّبة:  
ولذا كانَ شبحه هنا دائمَ الغضب.

كم من أناسٍ يحسبون أنفسهم هناك ملوكًا جبارين، ويكونون هنا كالخنازير في الرّبل، جالبين لأنفسهم  
أشنعَ الازدراء!»  
فقلتُ: - «يا أستاذي، كم أنا راغب في أن أراه وهو يغوص في هذه الرّغوة، قبل أن يغادر هذا  
المستنقع.»

فأجاب: - «ستكون رغبتك مرّضية قبل أن تبلغ الشّاطيء الآخر:  
ينبغي أن تستمريء هذه الرّغبة». وما هي إلا برهة حتّى رأيتُ سگان الوحل يُذيقون ذلك الرّجل من  
العذاب ما جعلني أحمد الله.  
كانوا جيمعًا يهتفون: - «إلى فيليبو أرجنتي!»، وكان شبح ذلك الفلورنسيّ الغضوب يرتدّ على نفسه  
بالأسنان نهشًا.  
على هذه الحال تركناه؛ لن أقول عنه المزيد؛ بيدَ أن عويلاً طرقَ سمعي، فأمعنتُ في النّظر إلى  
الأمام.

قال لي أستاذي الطيّب: - «الآن يا بُنيّ تقترب المدينة التي اسمها ديس<sup>95</sup>، بسگانها الحزاني  
وحشدها العرم». فبدأتُ: - «يا أستاذي أبصرُ من الآن مساجدها<sup>96</sup> ترتسم في الوادي بنصاعة،  
قرمزيةً فكأثها خارجة من النّار». فأجاب: - «إنّها النار الأبدية تستعر في الدّاخل فتجعلها تبدو  
حمراء كما ترى في الجحيم السّفلى هذه». ثم بلغنا الخنادق العميقة التي تحيط بتلك المدينة المقفرة:  
وتهيأ لي أن أسوارها من حديد.

دُرنا في البدء دورةً كبيرةً ووصلنا مكانًا صرخ بنا فيه النوتيّ - «أخرّجا، هوذا المدخل».  
فرايتُ على الأبواب أكثرَ من ألفِ شيطان كانوا قد انهمروا من السماء<sup>97</sup> صارخين غضبًا:  
- «مَنْ هو هذا السائر في مملكة الأموات، من قبل أن ينال موته؟»؛ فأشار إليهم أستاذي الحكيم بأنّه  
يريد محادثتهم سرًا، فكظموا غيظهم بعض الشيء وأجابوه:  
- «تعال وحدك وليذهبن هذا الذي جرؤ على ولوج هذا الملكوت.  
فليرجعن في مسالك الجنون وحده:

ليحاول إن استطاع، لأنك هنا ستبقى أنت يا مَنْ صَحبتَه خللَ هذه المناطق المظلمة».  
فلتصوّر يا قارئٍ كم أحرزني أن أسمع هذه الكلمات الملعونة؛ فلقد خلتُ أنني لن أعود من هناك أبدًا.  
فبدأتُ: - «مرشدي العزيز، أنت يا مَنْ رددت لي أكثرَ من سبع مرّات الأمان ويا من نجوتني من  
مخاطر رهيبية اعترضتني، لا تدعني مغلوبًا على هذا الوجه، وإذا كان يتعدّر الذهاب أبعد،  
فلنرتدّ على أعقابنا سويّةً بخطى حثيثة». فقال لي هذا السيّد الذي جاء بي إلى هنا:

- «لا تخشين شيئاً! فلا لأحدٍ أن يمنعنا من المرور: إنَّ من أراد أن نمرَّ لأعظم.  
لكن انتظرني هنا مُسرِّياً عن وهنِ نفسك ولتغذِّها بطيب الأمل، فأنا لن أتركك في العالم السفلي أبداً». هكذا ابتعدَ وحلاني ذلك الأب الحنون، فلبثتُ في انتظار، يتصارع في رأسي القبول والرِّفض. ما استطعتُ أن أسمع ما قاله لهم؛ لكنّه لم يُطلِ البقاء في صحبتهم، إذ سرعانَ ما تراجعوا متبارين في العجلة.

أوصدَ أعداؤنا أولاء الأبواب في وجه مولاي، فبقي في الخارج ثم عاد إليّ بخطى وثيدة. ومطرقاً إلى الأرض عينيهِ، عاري الجبين من كلّ ثقة، طفقَ يهمس فيما يتنهَّد:

- «مَن ذا الذي يمنعني من ولوج منازل العذاب؟» واتَّجه إليّ وقال لي: - «لا تقلقن من حنقي هذا، فسأجتاز الاختبار بنجاح، مهما فعلوا في الداخل دفاعاً عن أنفسهم».

هذه الغطرسة ما هي منهم بالجديدة؛ سبقَ أن أبدوها أمام بابٍ أقلَّ خفاءً وما برحَ إلى الآن بلا رتاج <sup>98</sup>.

هو ذلك الذي رأيتُ أعلاه حروف الموت؛ ومن الآن ينزل منه ويعبر الهاوية مجتازاً الحلقات بلا حرّاس، من سئفَّح على يده أبواب المدينة <sup>99</sup>.

## الأنشودة التاسعة

(أسوار ديس. خوف دانتي. ظهور جنّيات الجحيم الثلاث. قبور الهراطقة)

اللّون الذي رسمه الخور على وجهي  
عندما رأيت مُرشدي وهو يرتدّ على عقبه  
جعله يطوّع بسرعةٍ شحوبه.

وقف في انتباهٍ كمثّل رجلٍ يصغي،  
وقد عجزَ عن تصويب ناظره أبعد،  
خللَ الجوّ المظلم والضباب السّميك.

وبدا: - «ينبغي رغم كلّ شيءٍ أن نكسب هذه المعركة وإلا... فالسيّدة التي أعانثنا!... آه كم يحلو لي أن يصل أحدٌ إلى هنا!» لاحظتُ جيّدًا كيف أنّه غطّى مطلعَ مقاله بخاتمته، إذ كان يفوه بكلماتٍ مختلفة عن سابقتها؛ ولكنّ كلامه أحدث فيّ هلعًا، لأنّني كنتُ أهب كلامه المتقطّع ذاك معني ربّما كان أسوأ ممّا يقصد.

- «ألم ينزل أحدهم يومًا من الحلقة الأولى إلى غور هذه الهوة المُفزعة وعقابه الوحيد هو الأمل المفقود؟» هكذا سألتُه فأجاب:  
- «إنّه لنادرٌ أن يقطع أحدُ الطريق التي أذهبُ الآنَ فيها.

الحقّ، سبق أن نزلتُ هنا ذات مرّة بطلبٍ من إيريك<sup>100</sup> القاسية تلك التي أعادتُ إلى أجسادها أشباح الأموات.

الا كنتُ جرّدت من جسدي منذ قليل عندما أدخلتني إلى تلك الأسوار لأُخرج من حلقة يهودا إحدى الأرواح. إنّه الموضع الأسفل والأشدّ عتمة، والأكثر بعدًا عن السّماء المُخدّقة بكلّ شيء:  
إنّني أعرفُ الطريق جيّدًا؛ فلتطمئنّ.

وهذا المستنقع الذي يبعث روائحه المُنتنة يُسوّر مدينة العذاب بكاملها حيث لن نقدر على التّفاد دونّ عنف.» وقال أشياء أخرى نسيّتها؛ ذلك أنّ عينيّ اجتذبتاني بكاملي إلى الدّروة المتأجّجة للبرج، التي انتصبت في مكان منها فجأة ثلاثُ جنّيات للجحيم<sup>101</sup> مخضّبات الوجوه بالدم؛ كان لهنّ

أشكال النّساء وإيماءاتهنّ، كنّ اعتمرن على الرّؤوس هيدرات<sup>102</sup> فاقعات الاخضرار ومكان الشّعور كان لهنّ أفاعٍ صغارٌ وثعابينٌ قزناء، تحيط بجباههنّ الشّرسة.

فقال لي هذا الذي كان عرف حقاّ وصائف مليكة البكاء الأبديّ<sup>103</sup> :

- «أنظر الجنّيات المفترسات. الأولى، عن اليسار هي ميغيرا؛ والباكية إلى اليمين هي إليكتو؛ وفي الوسط تيزيفونى؛ ثمّ سكت.

كلّ واحدة مزّقت صدرها بأظافرها ولطمنّ بعضهنّ البعض بالأيدي وزعقنّ فالتصقت عن فزع  
بمرشدي.

كنّ ينظرنّ إلى أسفل هاتفات:

- «تعالِي يا ميدوزا <sup>104</sup>: إنّنا سنحوّله حجراً، نحنُ لم نُحسن الثأر من تزيوس <sup>105</sup> على هجومه.»  
«إستدّر إلى الوراء وأطبق عينيكَ؛ فلئن ظهرت غورغون ورأته عيناك، فلن يكون من عود إلى أعلى  
أبداً.» هكذا تكلم أستاذاي وأدارني بنفسه إلى الوراء ولم يثق بيديّ وحدهما بل بيديه أطبق على  
عينيّ.

وأنتم يا ذوي الأفهام السليمة ألا انظروا المذهب الذي يتخفى وراء أبيات شعرٍ غريبة <sup>106</sup>.  
ثمّ تردّد فوق الأمواج المتلاطمة صخبُ أصواتٍ ملأى بالرعب، كان يجعل الشاطئين يرتجفان، بالغ  
الشبه هو باصطخاب ريح عاتية ولدت من حرارتين متعاكستين، تلفح الغابة لا يوقفها من عائق؛  
تنزع العصون، تُهشمها وتذروها، وتروح غرباء تياهة، دافعةً إلى الهرب الوحوش كافةً والرعيان.  
ثمّ أطلق عينيّ وقال لي: - «الآن صوّب عصب عينيكَ إلى ذلك الزبد الأزليّ حيثما الدخنة أشدّ ما  
تكون عتمة.» وكما تهرب الضفادع من الماء أمام الثعبان عدوها وتلوذ باليابسة، فهكذا أبصرت أكثر  
من ألف روحٍ متداعية وهي تهرب أمام كائنٍ كان يعبر ستيكس سائراً على قدمين لا تبتلان.  
كان يُزيح عن وجهه ذلك الهواء المُشبع بالزيت محرّكاً أغلب الأحيين يُسراه:  
في هذا الجهد وحده كان يبدو واجداً ما يُنكده.

فتبيّنت أنّه كان مبعوثاً من السماء <sup>107</sup>، فالتفتُ إلى مرشدي فأشار إليّ أن أحتفظ بهدوئي وأنحي  
أمامه.

آه كم بدا لي مترعاً بالازدراء!

إنّجه إلى الباب وبضريّة من صولجانه فتحه من دون أن يلقي ما يعترضه..

وبداً عند ذلك المدخل المنقّر:

- «أيّها المطرودون من السماء، يا زمرةً فاسدة من أين جاء ما يسكنكم من غطرسة؟  
ولمّ تعترضون يا ترى هذه المشيئة التي لا يمكن أن تخطيء غايته والتي طالما أذاقنكم سوء  
العقاب؟

فيمّ ينفع أن تخبطوا في وجه القدر؟ إنّ شيطانكم سربروس، لو أمكنكم أن تتذكروا، ما يزال منتوف  
الحلق والدّقن <sup>108</sup> «ثمّ عاد في الطريق الموحلة من دون أن يقول لنا شيئاً، بل كان عليه مرأى من  
يخزه همّ آخر سوى أمرٍ من يلتقيهم في دربه؛ ثمّ حثّنا خطانا صوب المدينة، ملؤنا الثقة بعد هذا  
الخطاب المبارك.

وولجناها من دون عراك؛ وأنا كنتُ كلّي رغبة في رؤية حال من تطويهم تلك القلعة، فرحتُ أتملّي  
منذ دخولي سائر الأرجاء ورأيتُ على مدى النّظر ريفاً يمتدّ زاخراً بالحداد وأفطع العذاب.

وكما تجعل القبور الأرض عديمة الاستواء في آزل<sup>109</sup> حيث تتمهل مياه الرّون، أو في بولا<sup>110</sup> قرب خليج كارنيرو الذي يُغلق إيطاليا ويغسل بالماء أطرافها، فهكذا كانت الأرض هنا من سائر الجهات، سوى أنّ المشهد كان أكثر مرارة؛ كانت السنّة من اللهب تسعى بين القبور التي تشتعل بها بهذه القوّة بحيث لا صنعة تتطلّب حديدًا أشدّ اضطرًا.

كلّ أغطية القبور كانت منزوعة؛ ومنها يتعالى نواح كان من العنف بحيث يبدو جليًا أنّه كان يصدر عن معدّين بؤساء.

قلت: «يا أستاذي، من هم هؤلاء القوم المُوازون تراب هذه القبور، والذين نسمعهم من حسراتهم الأليمة؟» فأجابني: - «إنهم الهراطقة وأتباعهم من كلّ ملّة، والقبور أكثر امتلاءً بهم ممّا تحسب. هنا يرقد القرين وقرينه، وسعير القبور في الدّاخل يتراوح في شدّته.» ثمّ بعدما استدار إلى اليمين<sup>111</sup>، مرّنا بين مواطن العذاب والأسوار المرتفعة.

## الأنشودة العاشرة

(الحلقة السادسة: الهراطقة مستلقون في القبور اللهابة. قبور الرواقيين. فاريناتا. كافالكانته كافالكانتي. المعدّبون يتكهنون بالمستقبل. حزن فرجيليو).

هوذا أستاذي ينتهج طريقًا خفيّة

بين أسوار المدينة ومواطن العذاب

وأنا أسير إثره:

بدأتُ: - «أيّها الفضل الأسمي، يا مَنْ تدور بي كما تشاء

خللَ حلقات الجحود هذه، حبّذا لو واصلتَ الكلامَ وأشبعْتَ رغباتي.

فهؤلاء القوم المضطجعون في القبور

أيمكن رؤيتهم الآنَ وقد نُزِعَت الأغطية

عن المدافن وما عليها من حرّاس.

فأجابني: «إنّها ستُغلق جميعًا ما إنَّ يعودوا من وادي يوسافاط <sup>112</sup> بأجسادهم التي تركوها على الأرض.

لأبيقور <sup>113</sup> وجميع مُريديه مقبرتهم في هذه النَّاحية، هُمْ مَنْ كانوا يقولون بموت النَّفس مع الجسد.

لكنّ سؤالك هذا سيلقى إجابته هنا عمّا قريب، وكذلك الرّغبة التي تخفيها عني <sup>114</sup>.

فقلتُ له: «مرشدي الطيّب، لستُ لأخفي عليك قلبي إلّا تقصّدًا في الكلام، هذا ما أوصيتني به منذ زمن.» - «أيّها التوسكانيّ السائر في مدينة النيران حيًّا، ويا مَنْ يتكلّم بمثل هذه التّزاهة، لو أرحتَ عناءك في هذا المكان!

من خطابك يبدو لي بجلاء أنّك ولدت في ذلك الموطن النّبيل الذي ربّما كنتُ قسوتُ عليه جدًّا.» صدرَ هذا الصّوت فجأة عن أحد القبور؛ فازددتُ اقترابًا من مرشدي وأنا تتولّاني الخشية.

قال لي: - «استدرّ!

ماذا تفعل؟

هوذا فاريناتا <sup>115</sup> يقف بانتصاب:

ستراه كلّ من وسطه حتّى أعلاه.» كنتُ أصوّب نظري إلى عينيه؛ ووقفَ هو شامخَ الجبين منتصبَ الصّدر كما لو كان يحض الجحيمَ بالغ الأزدراء.

ودفعتني إليه بين القبور يدا أستاذي الشّجاعتان المتحفّزتان وهو يقول لي: «فليكنْ كلامك موزونًا.» ثم ما إنَّ شارفتُ قبره حتّى حدّق بي في ما يشبه الهزء، وسألني: - «مَنْ كان أسلافك؟» كان

لي في إطاعته رغبةً شديدةً فما أخفيتُ ذلك وكشفتُ له عن كلِّ شيءٍ؛ فرفعَ حاجبيه قليلاً، وقال لي: - «كانوا خصوصاً ألداء لي ولأهلي وحزبي حتى لقد بددتُ جمعهم مرّتين.» فأجبتُه: - «لئن كانوا طردوا فلقد عادوا من سائر البلاد في المرّتين، أمّا ذووك فما حذقوا هذا الفنَّ يوماً.»

فأريتُ إلى جانبه شبهاً<sup>116</sup> يبرز مكشوقاً إلى الدّقن، أعتقدُ أنّه كان يقف على ركبتيه. تطلّع حولي كما لو ليرى إن كان يرافقني غيري؛ ثمّ بعد ما زاوَله كلَّ شكّ، قال لي باكياً: - «إن كان علوّ عبقريتك يُتيح لك أن تمرّ بمحبسنا الأعمى هذا، فأين هو ابني؟ ولم يا ترى لا يرافقك؟»

فأجبتُه: - «أنا لم آت بمبادرتي: فمَنْ ينتظر هناك يقودني هنا؛ وربّما كان ابنك غويدو يزدريه<sup>117</sup>.» كلماته وشاكلة عذابه أعلمتني من قبلُ باسمه، ولذا جاءتْ إجابتي كافية. فانصبّ فجأةً صائحاً: - «كيف تقول؟ «كان»؟، أمّا عاد حياً؟ أو ما عاد النّور الرّفيق يمسح عينيه؟» ولما لاحظتُ أنّي كنتُ أبطيء في الردّ عليه<sup>118</sup> عادَ واستلقي في قبره ولم يعاود الظهور. لكنّ الشّبح الآخر العظيم الذي كنتُ وقفْتُ تلبيةً لندائه لم يغيّر في مرآه شيئاً، ولم يحرك عنقه لا ولم يحن صدره؛ بل استأنفَ سابقَ حديثه وهو يقول: - «إن كان قومي لم يحذقوا هذا الفنّ فإنّ ذلكَ ليؤرّقني أكثر من فراشي [الملتهب] هذا.

لكنّ قبلَ أن يُضيء خمسين مرّة وجهُ السيّدة التي تحكم هذه الأماكن<sup>119</sup>، ستُدرك أنت كم هو باهضُ هذا الفنّ.

آه، عسى أن ترجع إلى العالم الحبيب؛ لكنّ أخبزي: لم هذا الشّعب<sup>120</sup> بالغ القسوة على قومي في كلّ ما يسرّ من قوانين؟» فأجبتُه:

- «إنّ سفك الدّماء والتّدمير اللّذين صبغا مياة أزييا<sup>121</sup> بِحُمْرة الأرجوان، يجعلاننا نُطلق في معبدنا مثل هذه الصّلوات.»

فهزّ رأسه متنهداً وقال لي:

- «ما كنتُ في ذلكَ وحيداً، ولا كنتُ بلا سببٍ سأحارب في صحبة الآخرين.

لكنني عندما صوّت الجميع على محق فلورنسة عن بكرة أبيها، كنتُ أنا الوحيد الذي حامي عنها بلا قناع.» رمان فرجوتُه: - «ألا لتنعّم بالأمن سلالتمكم يوماً، لكنّ حلّ لي أرجوك هذه العقدة التي تُبلبلُ ههنا خاطري.

فإذا كنتُ أحسنُ الفهم فيبدو أنّكم ترون مقدّمًا ما يأتي به الزّمان، لكنّ لكم في [معالجة] الحاضر طرائق أُخرى.

فأجاب: - «إننا نرى الأشياء البعيدة عنّا كما يرى من ليس بصرهم سليماً، بقدر ما يهبنا الهادي



العليّ من أنواره.

ولكنّ فكرنا غير مُجد لكلّ ما كان قريبًا منّا أو حاضرًا؛ وإذا لم يأتِ أحدٌ ليُخبرنا فنحن نجهل عن أحوالكم أنتم الأحياء كلّ شيء.

هكذا تقدر أن تحكّم بأنّ معرفتنا ستنهار بدءًا باللحظة التي توصّد فيها أبواب المستقبل. « فقلتُ نادماً على تلك الهفوة:

- «فلتقلّ للشّبح الذي عاودَ الهبوط أن ابنه ما يزال في عداد الأحياء؛ وإذا كنتُ لم أُجبّ على سؤاله قبلَ وهلة، فلائيّ كنتُ ما أزال حبيسَ الخطأ الذي بدّدته لي أنت الآن.» ثمّ ناداني أستاذي فرجوتُ ذلك الشّبح أن يُخبرني لتوّه بأسماء من كانوا بجواره.

فقال لي: - «إيّ أرقد هنا مع أكثر من ألف:

ففي الدّاخل فريديريك الثاني<sup>122</sup> والكردينال<sup>123</sup>، أمّا عن الآخرين فلا أقول شيئاً.» وأنثذ اختفي، فتوجّهتُ إلى الشّاعر العريق وأنا أفكّر بذلك الكلام الذي كان يبدو مُعاديًا.

فاستأنفَ السّير وفيما يمشي سألني: - «لم أنت مُببّلٌ هكذا؟» فأعلمته وأرضيتُ طلبه.

فأوصاني ذلك الحكيم: - «ينبغي أن تحفّظ في ذاكرتك ما سمعتَ للتوّ وهو يُقال ضدّ شخصك.

وانتبه الآن جيّدًا»، ثمّ رفع إصبعه وأضاف:

- عندما ستمثّل أمام النظرات العذبة لهذه التي ترى عيناها السّاحرتان<sup>124</sup> كلّ شيء فستعرف منها كاملَ رحلة حياتك.» ثمّ اتّجه في خطوه إلى اليسار فتركنا السّورَ وعدنا أدراجنا إلى الوَسَط عبر ممرّ يُنغمر هناك في وادٍ كان يبعث روائحه الكريهة إلى أعلى.

## الأنشودة الحادية عشرة

(الحلقة السادسة: الهراطقة. عفونة الجحيم السفلي. في ظلّ ضريح البابا أناستاسيوس الثاني. فرجيليو يشرح لدانتي ترتيب الجحيم بالاستناد إلى أرسطو.)

على شفا شاطيءٍ مرتفع  
كوّنته صخور عظيمةٍ محطّمة في شكلٍ دائريّ  
أشرفنا على زمرةٍ أخرى أكثر عذابًا.  
وهنا، تفاديًا لما كانت تطلقه تلك الهاوية  
من روائح طاغية ونفاذة  
إحتمينا وراء غطاءٍ قبر  
بإذخٍ رأيت عليه عبارةً تقول:

- أنا أحفظ البابا أناستاسيوس <sup>125</sup> الذي أخرجّه عن سواء السبيل فوطينوس.  
- «ينبغي أن نرجيء هنا نزولنا ريثما تعتاد حواسنا هذه الانبعاثات المنتنة، ثم لا نعود بها لنعبا»،  
هكذا تكلم أستاذه، فقلتُ له: - «فلتجد لنا شاغلًا ما حتى لا يضيع وقتنا هنا هباءً». فقال: - «أما  
تراني بهذا أفكر؟» ثم بدأ: - «أي بُنيّ، وسط هذه الصّخور ثلاث حلقاتٍ صغيرةٍ متمركزة <sup>126</sup> تزداد  
صغرًا، كتلك التي غادرناها.  
كلّها ملأى بأرواحٍ ملعونة.

ولكي تكفيك رؤيتها فيما بعد، أعلم كيف ولم هي محتشدة.  
إنّ جميع الشرور الممقوتة في السّماء تجد في الضّرر غايتها؛ وكلّ غايةٍ كهذه إنّما تُحزن الآخرين،  
بالخداع أو العنف. ولأنّ الخداع سمة الإنسان، فهو يُنكّد الله أكثر، ولذا كان الخداعون يستقرّون  
أسفلَ ويلفحهم أقوى عذاب. خلقة الأولى تنطوي على مرتكبي العنف؛ ولأنّ العنف يُمارس بإزاء  
ثلاثة، فهذه الحلقة مبنية ومقسّمة في ثلاث دوائر.  
يُرتكب العنف بحقّ الله أو الدّات أو الأقربين، أقصد بحقّ ذواتهم أو بحقّ ما ملكت أيديهم، كما  
سترى بتفكيرٍ مُبين. بالعنف والجراح الأليمة يتسبّب الإنسان بموت جاره ويلحق بأملاكه الخراب أو  
الثيران الحارقة أو التّهب، ولذا فالقتلة والمجرمون المخاتلون والنّهابون وقاطعو الطرُق يُذاقون  
العذاب في الدّائرة الأولى في جماعاتٍ معزولة.

ويمكن أن يسيء المرء إلى ذاته وإلى أملاكه؛ ولذا ففي الثانية الدوائر ينبغي أن يندم ويتوب عبثًا كلّ  
مَن حرموا أنفسهم من دنياكم ومَن يبذرون خيراتهم وبها يقامرون ثمّ يكون حينما كان عليهم أن  
يبتهجوا.

ويمكن الإساءة إلى الربّ بالتّجديف به أو إنكاره وبإزراء الطّبيعة وطبيعتها؛ ولذا تدمغ صغرى الدّوائر

بميسمها سدوم وكاهور <sup>127</sup> ، وكلّ مَنْ تكلم عن الله مزدريًا إيّاه في صميم قلبه.

والغدر، هذا الذي يُعذب الضمير، يمكن أن يُرتكب ضدّ مَنْ يهبُ ثقته أو يمنعها.

هذه الشاكلة الأخيرة يبدو أنّها لا تفصم إلّا عرى المحبّة التي تنشؤها الطبيعة؛ ولذا يجد في الدائرة الثانية مقامه كلُّ من المنافقين والسّخرة والمتزلفين والمزيّفين والسراق والمرتشين والقوادين والمختلسين وكلّ عفنٍ مشابه.

وبالشاكلة الأخرى تُنسى المحبّة الصّادرة عن الطبيعة والمحبّة التي إليها تُضاف والتي بها تنشأ الثقة الحقّ؛ ولذا ففي أصغر الحلقات التي هي مركز الكون المُشرف عليه ديس <sup>128</sup> ، يُعاود مرتكبُ الخيانة الموتَ أبدئيًّا.»

قلتُ: «يا أستاذي، إنّ تفكيرك ليتنامي ببالغ الوضوح، وبروعةٍ يُحدّد لي هذه الهاوية والقوم المحبوسين فيها.

ولكنّ أخبرني: سَكَن مستنقع الوحل هذا الذين تذرّوهم الرّياح ويصفعهم المطر صفعًا والذين يتجابهون بالألسنة الدّرية، لمْ يا ترى لا يُعاقبون في المدينة الحمراء، ما دام الله يمقتهم؟

وإذا لم يكن ليمقتهم، فلمْ يُعذبون؟» فقال لي: - «ما لعقلك ينأى ويشطّ عن مسالكه المألوفة؟

أم هل اتّبع تفكيرك وجهةً أخرى؟

أو ما تتذكّر تلك الفقرة من «كتاب الأخلاق» <sup>129</sup> التي تحدّث عن الحالات الثلاث الممقوتة في السّماء:

الجشع والمكر والبهيميّة المجنونة؟

وكيف أنّ الجشع يُحزن الله بقدرٍ أقلّ فينال بالتالي لومًا أصغر؟

فإذا ما أعملت تفكيرك في هذا الحُكم، وتذكّرت مَنْ يقاسون خارج هذه المدينة مرائر النّدامة، لأدركت لماذا عُرلوا عن هؤلاء الأدياء ولماذا يلفحهم الإنّقام الإلهيّ بغضبٍ أدني. «فقلتُ له: - «يا شمسًا تُسعف كلّ نظرٍ زائع، كم تُرضيني إذُ تبدّد كافّة شكوكي، حتّى ليُكون الشكّ عندي بمثلِ حلاوة المعرفة!

لكنّ لتعدّ أدراجك قليلًا حيثُ قلتُ لي إنّ الرّبا يُسيء إلى طيبة الله واحللّ لي هذه العقدة.» فقال لي: - «تُعلم الفلسفة في غير رسالة، مَنْ يفقهها، كيف أنّ الطبيعة إنّما تصدر عن العقل الإلهيّ وعن

فنه؛ وإذا ما قرأت بانتباهٍ «كتاب الطبيعة» <sup>130</sup> ، فسترى في أولى صفحاته أنّ الفنّ الانسانيّ يتبع ما استطاع الطبيعة، كما يتبع طالبُ العِلْم أستاذَه، فالفنّ هو لله كمثّلٍ حفيد.

لكن اتبعني الآن: إنّهُ ليروق لي أن نواصل الرّحلة، هوذا برج الحوت <sup>131</sup> ينزلق في الأفق، والدبّ

الأكبر يستلقي بكامله فوق ريح كاروس <sup>132</sup> .

والهبوط على الشّاطيء يكون أبعد قليلًا.



## الأنشودة الثانية عشرة

(الحلقة السابعة: الدائرة الأولى: مرتكبو جريمة العنف بحق الآخرين مغموسون في نهر تغلي فيه الدماء. المينوطوروس. أصل الأنقاض المتدحرجة في الجحيم. نهر فليغيتون والقناطس. مُلاقة كيرون.)

لهبوط الجرف الصخري،  
بَلغنا مكانًا بالغ الانجراف،  
يهيمن عليه وحشٌ يرتدّ عن هياثه كلّ نظر.  
وكحطام الصخر ذاك

الذي ارتطم بجوانب «الأديج»<sup>133</sup>  
أسفلَ ترينتو بباعثٍ من زلزال  
أو لأنخسافٍ في الأرض،

هكذا بحيث حفرت الصّخور في انحدارها من الدّروة التي سقطت هي منها حتّى السّهل، جادّةً  
يمكن أن ينزل منها مَنْ كانوا في الأعالي، فهكذا كان انحدار ذلك الوادي؛ وعلى حواف الصّخر  
المحطّم كان خزي «كريت»<sup>134</sup> مستلقياً هو الذي حبلت به بقرة زائفة<sup>135</sup>؛ وما إن رأنا حتّى عضّ  
نفسه، كمثّل مَنْ يأكله سعاره في داخله.

فصاح به حكيمى: - «ربّما كنتَ تحسب أن أمامك دوق أثينا<sup>136</sup> الذي أذاقك في الدّنيا كأس  
الجِمام؟

إمض، أيها الوحش، فهذا الرّجل لم يأتِ بنصيحةٍ من شقيقتك<sup>137</sup>، بل هو ذاهبٌ ليشهد  
عقوباتكم.» وكمثّل الثور الذي يُحلّ وثاقه في اللّحظة التي يتلقّى فيها الطعنة القاضية، ثمّ لا يقوى  
على السّير فيثب هنا وهناك،

فهكذا رأيتُ المينوطوروس يفعل؛ فصاح بي مُرشديّ الفِطِن: - «إلى المعبر اركض؛ فإنه ليحسن  
الهبوط طالما كان في سورة الغضب.» هكذا نزلنا عبرَ ذلك الحطام الصّخريّ، الذي ما أكثر ما  
تحركت تحت قدميّ بباعثٍ من حمله الجديد هذا.

تقدّمتُ ساهمًا، فقال: - «لا شكّ أنّك تفكّر في ذلك الحطام المحروس بغضب الوحش الذي  
كبحتُ أنا من جِماحه.

فلتعلّم أنّه في المرّة السّابقة التي نزلتُ فيها إلى الجحيم السّفلى، لم تكن هذه الصّخرة قد سقطت  
بعد، وإذا أحسنتُ التذكّر فقبيل أن يأتي ذلك الذي انتزع من ديس<sup>138</sup> الفرائس الكبرى لأعلى  
الحلقات، إهترّ الوادي المنقر العميق من كافّة أرجائه<sup>139</sup> قويا حتّى بدا لي أنّ الكون أحسنّ أننذ

بالحبّ الذي يحسب البعض أنّه باعثٍ منه

عاود السَّقوط مرارًا في فوضاه <sup>140</sup> ، وهي اللَّحظة التي انهارت فيها هذه الصَّخور العتيقة على هذه الشَّكلة هنا وفي أماكن أخرى أبعد.

لكنْ أمعنِ النَّظرَ إلى الوادي فهوذا يقتربُ نهر الدِّماء <sup>141</sup> الذي يُغلي فيه جميع مَنْ أضرّوا بالعنف سواهم.» يا للجشعِ الأعمى ويا له من غضبٍ مجنون يهمزنا في حياتنا الوجيزة لِيُغَطِّسَنَا في العيش الأبدِيّ على هذا النَّحو الرَّذيل!

رأيتُ حفرةً واسعةً محنّيةً على هيئة قوس، كتلك التي تكتنف السَّهل كلّه، كما أوضح لي مَنْ كان يرافقني ويحميني؛ وبينها وبين ذلك الجُزف الصخريّ كان القناطس <sup>142</sup> يركضون في صفٍّ، مسلّحين بالسَّهام، كما كانوا يخرجون للظُّراد على الأرض.

عندما أبصرونا آتئين توقّفوا، وانفصل عن الفريق ثلاثة منهم مع أقواسهم وسهامٍ اختاروها من قبل؛ هتفَ واحدٌ من على بُعدٍ: - «صوبَ أيّ عذاب تسعيان يا مَنْ تنزلان الشَّاطيء؟»

أجيبا من حيثُ أنتما وإلا لأطلقتُ سهمي.» فقال له أستاذي: - «سنُقَدِّم إجابتنا الكيرون <sup>143</sup> ، عندما نكون قريبه؛ ألا ما أكثر ما أساءتُ لك رغائبك العجلى أبدًا!» ثم ربتَ عليّ وقال لي: - «هذا نيسوس الذي ماتَ من أجل ديانيرا الجميلة، والذي ثارَ لموته بنفسه <sup>144</sup> .

وذلك الذي في الوسط يتطلّع إلى صدره، هو كيرون الكبير الذي أطعمَ بيديه أخيل، والثالث هو فولوس <sup>145</sup> ، الذي كان مفعمًا بالغضب.

حول تلك الحفرة يمضون ألوفاً ألوفاً، بالسَّهام يرشقون كلّ نفسٍ تبرز من نهر الدماء فوق ما تسمح به خطيئتها.» اقتربنا من هذه الوحوش المتحفزة فتناول كيرون سهمًا وبطرفٍ منه نحيّ لحيته وراء فكّيه.

وبعدما كشفَ عن فمه الشَّاسع، قال لرفاقه: - «أما لاحظتُم أنّ هذا الذي في الورا يُحرِّك كلّ ما يلمس على غير ما تفعل أقدام الموتى؟» فقال له مرشدي الطيب الذي صارَ قريبًا من صدره، هناك حيث تلتقي طبيعته:

- «إنّه حقًا حيٌّ ووحيد، وينبغي أن أريه الوادي المظلم؛ فالضرورة تأتي به إليه لا نشدان المتعة.

ولكي تعهدَ إليّ بهذه المهمة انقطعت إحداهنّ عن نشيدها في العلي:

وهو ما كان لصًا، ولا أنا نفسًا سراقًا.

باسم ذلك الفضل الذي يدفع قدميّ خللَ هذه الطريق الوحشية، فلنُعطِنَا واحدًا من أتباعك ما داموا قريبين منّا، ليرينا من أين يمكن العبور، ولكي يحملَ هذا على ظهره: فهو ليس روحًا تمضي شاقّة الهواء.» فالتفتَ كيرون إلى يمينه، وقال لنيسوس:

- «امض وكنْ لهما دليلًا، وإذا ما اعترضتكم زمرة أخرى فلنُبعدها.» فانطلقنا تحت خفارةٍ واثقة، على شاطئ الغليان الدامي، حيث كان المغليون يطلقون صراخًا قويًا. رأيت قومًا غاطسين حتّى

رموش أعينهم، فقال كبير القناطس:

- «أولاء هم الطّغاة الذي انتهكوا دم الغير وأملاكه. هنا يبكون جرائمهم المقترفة بدون رحمة؛ هنا الإسكندر <sup>146</sup> وهناك ديونيسيوس الوحشي <sup>147</sup> الذي جرّع صقلية عذابًا طويلًا. وذلك الجبين ذو الشّعر الفاحم السّواد هو أتزولينو <sup>148</sup>؛ والآخر الذي هو أشقر تمامًا هو أوبيتزو الإيستي <sup>149</sup>، الذي كان في الحقيقة قد اغتاله على الأرض ابنٌ لزوجته.»

فالتفتُ إلى الشّاعر فقال لي:

- «ليُكنْ هذا دليلك الأوّل وأنا الثاني.» بعدَ هنيهةٍ توقّف القنطروس أمام جماعةٍ كانت تبدو خارجةً من ذلك الحميم حتّى أعناقها، وأرانا شبّحًا منعزلًا في زاوية <sup>150</sup> وقال لنا:

- «في جِبر الله طعنَ هذا قلبًا ما برحَ يَظفر على التّايمز.» ثمّ رأيتَ قومًا كانوا يتلعون. خارجَ النّهر برأسهم وبالصدر كلّه، ولقد عرفتُ من بينهم كثيرين.

هكذا راح ذلك الدّم يزداد انخفاصًا حتّى لم يعد ليشويَ إلّا الأقدام، وهناك عبّزنا تلك البركة.

قال القنطروس: - «كما تشاهد من هذا الجانب الحميم الدّامي وهو ينخفض رويدًا رويدًا، فينبغي كذلك أنْ تعلمَ أنّه من الجانب الآخر تتغوّر قاعه أكثر فأكثر حتّى تبلغَ الموضعَ الذي ينبغي أنْ يجهشَ فيه الطّغاة بالبكاء.

هنا تُسلطُ عدالة الله عقوبتها على آتيلًا <sup>151</sup> الذي عاثَ في الأرض فسادًا، وعلى ييرّوس <sup>152</sup>

وسكستوس <sup>153</sup>؛ وإلى الأبد تستدرّ الدّمع الذي تُسيله شدّة الغليان من مآقي رينير دا كورنيتو ورينير

ياتزو <sup>154</sup>، اللذين أشعلا في مجاهل الطّرق حروبًا كثيرة.» ثمّ استدارَ إلى الوراء واجتازَ المستنقع.

## الأنشودة الثالثة عشرة

(الحلقة السابعة، الدائرة الثانية: مرتكبو جريمة العنف بحق أنفسهم. المنتحرون ممسوخون إلى أشجار تتكلم وتنوح. المبدّرون تمزّقهم أناث الكلاب. غابة المنتحرين. بيرو دلا فينيا. مصير المنتحرين بعد الموت وبعد الحساب الأخير. ظهور المبدّرين. مصير فلورنسة.)

لم يكن نيسّوس على الشّاطيء الآخر،

عندما دلفنا إلى غابة ما

كان ليدلّ عليها أيّ سبيل.

لم تكن أوراقها خضراء، بل داكنًا لونها؛

ولا أغصانها مستقيمة، بل ملتوية وعقداء؛

ولم يكن فيها من فاكهة، بل أشواك تزخر بالسّموم.

والوحوش التي تهرب من الأماكن المزروعة بين تشيتشينا وكورنيتو<sup>155</sup>، ما كان لها يومًا أدغالٌ حريّفٌ وكثيفٌ كهذه.

هنا تعشّش الهريوسات<sup>156</sup> القبيحات اللّائيّ طردنّ من استروفاديس أهل طروادة، إذ تكهّنّ بمحنتهم الآتية.

لهنّ أجنحة مديدة، ومن الإنسان لدهنّ الوجه والعنق، لأقدامهنّ مخالب، ولهنّ بطون مكسوّة زغبًا؛ وتراهنّ نائحاتٍ على أغصان الأشجار الغريبة.

قال أستاذاي الطيّب:

- «قبل أن تتوغّل في المكان أبعد، إعلّم أنّك في ثمانية الدوائر، وستظلّ هنا حتى اللّحظة التي تبلغ فيها الرّمالَ الفظيعة.

ولتُنعم النّظر، فسندّشاهد أشياء يمكن أن تززع ثقتك بكلامي.» سمعتُ من كلّ جانبٍ نواحا ما كنتُ لأرى من يُطلقه؛ فتوقّفتُ عن السير مضطربًا بشدّة.

إخالُ أنّه خالٍ أنّي خلّتُ<sup>157</sup> أنّ كلّ تلك الأصوات كانت تنبثق بين الأغصان من أناسٍ يتخفون عنّا. ولذا قال لي أستاذاي:

- «لو أنّك كسرت من إحدى هذه الأشجار أدني غصن، فإنّ جميع أفكارك ستنبتر.» فمددتُ يدي أمامي بعض الشّيء وقطفتُ من نبتة كبيرة غصبيًا؛ وإذا بجذعها يصبح:

- «لماذا تقطعني؟» ثمّ عندما اسودّ بالدمّ إستأنفت الصّراخ:

- «مالك تمزّقني؟ أو ما لديك أدني رافة؟ كنا بشرًا وأولاء نحن نباتات: ينبغي أن تكون يدك أرخم معنا، وإنّ كنا نفوسًا ثعابين.» وكمثّل غصنٍ أخضرٍ مشتعلٍ من أحد جانبيه ومن الجانب الآخر



ينتحبُ صَارًا بقوة الهواء المنبعث منه، فهكذا كان ينبجس من الغصن المقطوع الكلام والدم معًا؛ فألقيتُ الغصن وبقيتُ هناك كمثلي مَنْ يسكنه الخوف.

فأجابه حكيمي: - «أيتها النفس المهیضة، لو كان من قبلُ صدق ما أبصره الآنَ عندما قرأ شعري

وحده <sup>158</sup> ، لما رفعَ عليك يده قطُّ؛ لكنَّ ما لم يصدِّقْهُ حدَا بي إلى دَفِعه إلى هذا الفعل الذي يُثقل عليَّ أنا نفسي. لكنَّ خبْزُهُ مَنْ أنتِ، وليكفّر عن فعله سيُخِي هو ذكراك على الأرض، حيث له الحقُّ في أن يرجع.» فأجابَ الجذع:

- «إنَّكَ لتغويني بخطابك العذب هذا حتّى لا أقدر على الصّمت، فلا تنزعجنَّ إذا ما أسهبتُ في حديثي قليلاً».

أنا مَنْ <sup>159</sup> كان بكفّيه يُمسك بمفتاحي قلب فريديريك ويديرهما، شادًا فمُرخيًا، وبمثل هذه اللبونة بحيثُ أبعدتُ عن سرّه الناس طرًّا؛ ومن الوفاء كنتُ لذلك المنصب المجيد، بحيث فقدتُ فيه الوسنَ ونبضَ قلبي.

لكنّ العاهرة <sup>160</sup> التي ما كانت لتضرفَ عينها الفاجرتين عن منزل قيصر <sup>161</sup> ذاك، والتي هي موتٌ للجميع وفسادٌ لكلِّ بلاط، ألهمتُ عليَّ جميع الأنفس، فألهبَ الملتهبون عليَّ أغسطس إلى حدِّ أن انقلبتُ أمجادِي الهائنة مآتم حزينة.

وإذا بنفسي المزدراة والتي حسبتُ أنّها ستُفلتُ من الزّراية بالموت، تُصيرني، أنا العادل، غيرَ عادلٍ ونفسي.

بالجذور العجيبة <sup>162</sup> لهذه الشجرة أقسم أنّي ما نكثتُ بعهد سيدي قطّ، هو الذي كان بكلِّ شرفٍ جديرًا.

فإذا ما رجع أحدكما إلى الأرض، فليُغنَ بذكراي التي ما برحتُ ترزح تحت الضربة التي سدّدها إليها الحسد وحده.

فتمهّلَ الشّاعر ثمّ قال: - «ما دام قد صمتَ فينبغي ألاّ تضيّع الوقتَ هدرًا بل تكلمْ وسله المزيّد إن كان لك في ذلك رغبة.» فقلتُ له: - «بل زُده أنت سؤالًا عمّا تظنّ أنّه سيُرضيني فأنا لا أقدر لفرط ما تضنيني الشّفقة.» فاستأنفَ الشّاعر: - «ليحقّق لك هذا عن طيبة خاطرٍ ما طلبتَ يا ذا الرّوح المعتقلة، وعسى أن يروق لك أن تقول لنا كيف تتحدّ الرّوح بهذه الجذوع العُقداء؛ وقلْ لنا إن اقتدرتَ، إن كانت رُوْح تحرّرتُ من هذه الأعضاء يومًا.» فزفرَ الجذع زفرةً قويّةً وتحولت الرّفرة إلى هذا الصوّت:

- «سأجيبكما باختصار.

فعندما تُبارح الرّوح القاسية الجسد الذي انتزعتْ هي نفسها منه، فإنّ مينوس <sup>163</sup> يرسلها إلى الهوة السابعة. فتسقط في الغابة وهي لمكانها غير مختارة، بل حيثما ألقى بها الحظّ، وهناك تنبت مثل حبة قمح. وتصير ساقًا ونبته بريّة؛ وعندما ترتعي الهريوسات من أوراقها فإنهنّ يؤلمنها وللألم منفذًا يصرن. وكالأرواح الأخرى سنسعى نحنُ إلى أجسادنا ولكن لا واحدة ستتردي جسدها حقًا فليس

عدلاً أن يستردّ أحدٌ ما بنفسه ألقاه.

سُنْجِرْجِرْهَا إِلَى هُنَا وَسْتُعَلِّقُ أَجْسَادَنَا فِي الْغَابِ الْكَثِيبِ، كَلًّا إِلَى الشَّجَرَةِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي صَارَهَا شَبْحُهُ الْقَاسِي. « كَتْنَا مَا نَزَالَ نَنْصَبُ لَذَلِكَ الْجَذْعَ وَنَحْنُ نَنْظُرُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَنَا شَيْئًا آخَرَ، وَإِذَا بَصَخِ هَائِلٍ يَفَاجِئُنَا، كَمَثَلِ مَنْ يَسْمَعُ اقْتِرَابَ الْخَنْزِيرِ الْبَرِيِّ وَمَعَهُ مَوْكَبُ الصَّيْدِ ذَلِكَ أَنَّهُ يَسْمَعُ الْوَحُوشَ وَأَنْقِصَافَ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ.

وَمِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ إِذَا بَرَجَلَيْنِ عَارِيَيْنِ وَمَمْرَقَيْنِ، يَسْفَانُ هَرَبًا حَتَّى لَيْكَسِرَا فِي الْغَابَةِ جَمِيعَ الْأَغْصَانِ. كَانِ الْمَتَقَدِّمُ يَصِيحُ:

- «عَجِّلْ! أَلَا عَجِّلْ أَيُّهَا الْمَوْتُ!» وَالْآخَرُ، الَّذِي كَانَ يُرَى بِالْعِ التَّأخَّرَ عَنْهُ، صَرَخَ بِهِ:

- «لَمْ يَكُنْ لِسَاقِيكَ يَا لَانُو <sup>164</sup> فِي مَسَابِقَاتِ تَوِيُوٍ مِثْلِ هَذِهِ الرَّشَاقَةِ!» وَرَبِّمَا لِأَنَّهُ كَانَ يَخْذِلُهُ نَفْسُهُ، صَنَعَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ أَحَدِ الْأَدْغَالِ عَقْدَةً وَاحِدَةً.

وَوَرَاءَهُمَا كَانَتِ الْغَابَةُ مَكْتَبَّةً بِأَنَاثِ كَلَابٍ تَعْدُو سُودَاءَ جَوْعِي، كَكَلَابٍ سَلُوقِيَّةٍ أَفْلَتَتْ مِنْ سَلَسَلِهَا. غَرَزَتْ أَنْيَابَهَا فِي جَسَدِ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ أَقْعَى وَمَرْقَتُهُ إِرْبًا إِرْبًا؛ ثُمَّ ذَهَبَتْ بِالْأَشْلَاءِ الْمَتَأَلِّمَةِ.

أَنْتَذِ أَخْذَنِي مَرَشْدِي مِنْ يَدِي وَقَادِنِي إِلَى الدَّغْلِ الَّذِي كَانَ يَبْكِي خَلَلَ جِرَاحِهِ الدَّامِيَةِ تَلَكَّ عِبْنًا. كَانَ

الدَّغْلُ <sup>165</sup> يَقُولُ: - «أَنْتَ يَا جَاكُومُو دَا سَانَتِ- أَنْدَرِيَا، فَيَمَّ أَفَادَكَ أَنْ تَحْتَمِي بِي؟ وَمَا ذَنْبِي إِنْ كَانَتِ حَيَاتُكَ مَلَأَى بِالْآثَامِ؟» ثُمَّ إِذْ تَوَقَّفَ أَسْتَازِي أَمَامَهُ وَالْآخَرُ الَّذِي يَصْرُخُ بِهِ هُنَا هُوَ جَاكُومُو دَا سَانَتِ - أَنْدَرِيَا: مِنْ أَهْلِ يَادُو، قُتِلَ فِي 1239 بِأَمْرٍ مِنْ إِتْزِيلِينُو الرَّابِعِ. كَانَ مَشْهُورًا بِإِسْرَافِهِ الشَّدِيدِ وَإِلَى حَدِّ الْحَمَقِ. فَيُحْكِي أَنَّهُ أَشْعَلَ ذَاتَ يَوْمِ النَّارِ فِي مَنْزِلِهِ احْتِفَاءً بِضِيُوفِهِ.

قَالَ لَهُ: - «مَنْ ذَا كَنْتَ يَا مَنْ عَبَرَ كُلَّ هَذِهِ الْجُرُوحِ تَنْفِخَ الدَّمِ وَخَطَابِكَ الْحَزِينِ هَذَا؟» فَأَجَابَنَا:

- «أَيُّهَا النَّفْسَانِ الْآتِيَتَانِ لِتَشْهَدَا الْعَذَابَ الْمَخْزِي الَّذِي عَرَّانِي هَكَذَا مِنْ أَوْرَاقِي، حَبِذَا لَوْ تَجْمَعَانِيهَا

أَسْفَلَ هَذَا الدَّغْلِ الْكَثِيبِ. أَنَا مِنْ تَلَكَّ الْمَدِينَةِ <sup>166</sup> الَّتِي أَحَلَّتِ الْمَعْمَدَانِ مَحَلَّ رَاعِيهَا الْأَوَّلِ الَّذِي سَيُبْقِيهَا بِفَنِّهِ شَقِيَّةً أَبَدَ الدَّهْرِ؛ وَلَوْلَا أَنَّ بَعْضَ آثَارِ مِنْهُ مَا تَزَالَ بَاقِيَةً عَلَى جِسْرِ الْأَرْنُو لَكَانَ الْمَوَاطِنُونَ الَّذِينَ أَعَادُوا فِيهَا بَعْدُ بِنَاءَهَا عَلَى الْأَرْمَدَةِ الَّتِي خَلَقَهَا أَتِيلَا، جَنَّدُوا كُلَّ هَذِهِ الْجُهُودِ عِبْنًا. أَنَا مِنْ بَيْتِي صَنَعْتُ لِي مِشْنَقَةً.

## الأنشودة الرابعة عشرة

(الحلقة السابعة، الدائرة الثالثة: مقترفو خطيئة العنف بحق الله مستلقون على الرّمل يتلقّون مطر النّار. الصّحراء الرملية تتلقّى شواظّ اللّهب السّاقطة من السّماء. كايانيوس. نهر الدّم. أصل أنهار الجحيم. شيخ كريت.)

هاجني حبّ البلاد - الأمّ،  
فجمعتُ الأوراق المتناثرة  
وأعدتُها لمن صار من قبلُ منعدّم الصّوت.  
ثمّ بلغنا الحدّ الذي تنفصل عنده  
الدائرة الثانية عن الثالثة، حيث ترى  
للعدالة صنعةً مُرعبة.  
لأحسنَ عرض هذا الشّيء العجيب،  
أقول إنّنا بلغنا أرضًا  
تلفظُ من تُربتها كلّ نبات.  
غابة العذاب تصنع من حولها إكليلاً  
مثلما يطوّقها هي نفسها الخندق الكئيب  
هناك، في الهدب، أوقفنا خطانا.

167  
المجال كان من رملٍ كثيفٍ قاحل، بالغ الشبه بذلك الذي وطئته بالأمس قدما كاتون .  
أيها الانتقام الإلهي، كم من الحشية ينبغي أن تُلهم جميع من يقرأون ما بدا لعيني في تلك اللحظة!  
رأيت قطعاناً كثيرة من أرواح عارية تبكي في بؤس شديد وتبدو خاضعة لنواميس شتى.  
بعضها استلقي على الأرض، وبعضها جلس ثمّ متكوّماً، وجمعُ ثالثٌ كان يمشي دون انتهاء.  
من كانوا دائرين كانوا هم الأكثر عدداً، وأقلّ كان من استلقوا وسط العذاب، لكنّ لسانهم كان في الشكوى ذرباً أكثر.

على الرّمل كلّ، في سقوطٍ متباطيء، راحت النّار تمطر ندفاً كبيرة، كما يسقط الثلج على «الألي» في نهارٍ بلا رياح.

وكما رأي الإسكندر في المناطق الدافئة من الهند السنة اللّهب وهي تنهمر على جيشه وتظلّ ملتهبة حتى تبلغ الأرض، فارتأى أن تدوس فيالقه التراب حتى ينطفيء ذلك البخار بأسرع ما يمكن وقد صار معزولاً<sup>168</sup>؛ فهكذا كان ذلك اللهب الأبديّ يهمني، وكما يفعل الحجر تحت الرّناد كان يُشعل الرّمل ليتضاعف الألم.

وبلا انقطاع كانت الأيدي المسكينة ترقص في موضعٍ وآخَر، لتُبعدَ عن نفسها الحريقَ المتجدد. فبدأتُ: - «أستاذي، أنتَ يا مَنْ يقهرُ كافةَ العوائقِ إلا الشياطينَ الخبيثاءَ الذين اعترضونا عندَ مدخلِ

ذلك الباب، مَنْ هو هذا العملاقُ <sup>169</sup> الذي يبدو أنه لا يعبأ بالحريق، والمستلقي بكاملِ الازدراء فكأنَّ مطرَ النَّارِ لا يُنضجُ شَيْه؟» وإذا بالعملاقِ نفسه وقد أدركَ أنني كنتُ أسألُ مُرشدِي عنه، يهتفُ بي: - «هكذا كنتُ في حياتي وهكذا ميتًا أكون.

ولو ان جوييتر أتعبَ حدَّاه الذي أعارَه في غضبه الصاعقة المُميتة التي لفحَّني في يومِي الأخير، ولو أنه أتعبَ الآخرين فردًا فردًا في المصهر الأسود في «جبل النَّار» <sup>170</sup>، مناديًا: - «النجدة! النجدة!،

يا فولكانو <sup>171</sup> الطيب!»، مثلما فعلَ في موقعة فليغرا <sup>172</sup> عندما أمطرني بكاملِ قوَّته بالسَّهام، فلنُ يذوق حلاوة الانتقام أبدًا. «فتكلَّم مرشدي ببالحِ العنْف كما لم أسمعُه من قبل قط:

- يا كايانيوس، لأنَّ خيلاءك ما فتئتُ تضطرم فإنَّ عقابك ليشتدُّ؛ ولا عذابَ إنَّ لم يكن غضبك نفسه يمكن أن يساوي حنقك.» ثم استدارَ إلىَّ بأكثرِ عدوِّة وقال لي: - «كان هذا أحدَ الملوك السبعة الذين حاصروا طيبة؛ وكان ويبدو أنه ما يزال يزدري الله ولا يعبأ به، لكنَّ صلفه، كما قلتُ له منذ وهلة، هو زينةٌ ثلاثم والحقُّ يُقال صدره.

والآنَ تعالَ ورائي وحذارِ حذارٍ من أن تدوسَ بقدمك الرَّمْلَ اللاهب؛ بل على الدوامِ خلِّ خطاك ملتصقةً بالغابة.» صامتينِ بلغنا مكانًا ينبجس فيه من الغابة جدولٌ صغير <sup>173</sup> ما يزال لونه القاني يُرجفني.

وكمثل ذلك الجدول الذي يخرج من بوليكامي <sup>174</sup> وتتقاسمه الخاطئات من بعد، فهكذا هبط هذا المجرى وسط الرمال.

كان قاعه وكلا جُرفيه وحاشيتاه، هذا كله كان قد صارَ حجرًا؛ ففهمتُ أن ذلك كان مكان العبور. - «بين جميع الأشياء التي أريتك إيَّها، منذ أن اجتزنا ذلك الباب الذي لا يمتنع دخوله على أحد، لم ترَ عيناك قطُّ ما يلفت النَّظر بقدرِ هذا الجدول الذي تخمد عليه جميع النَّيران <sup>175</sup>» هكذا تكلم مرشدي، فرجوتُه أن يزيدني من هذا الغذاء الذي شحَّد هو رغبتِي فيه.

فقال: - «في وسط البحر بلادٌ خربة يسمونها كريت، كان العالمُ في ظلِّ ملكها تامَّ البراءة. وهناك جبلٌ اسمه إيدا، كان بالأمس عيدًا من النَّبات والماء، وهو اليومَ مقفَّر، أثرٌ من الأعصر الغابرة.

كانتُ ريا <sup>176</sup> تخذُّته مهديًا أمينًا لابنها، ولكي تُحسن إخفاءه كانتُ تُطلق صراخها القوي ما إن يبكي.

وواقفًا يظلُّ في الجبل شيخٌ عظيم <sup>177</sup>، وهو يدير كتفيه لدمياط <sup>178</sup> وإلى روما يتطع كما إلى مرآته.

رأسه صبيغ من أنقى ذهب <sup>179</sup> ، وصدرة وذراعه من فضة خالصة، وإلى ركبته هو من النحاس؛ ومن هناك إلى أسفل هو من فولاذٍ صلدٍ إلا قدمه اليمنى فمن الفخار؛ عليها يتكى <sup>180</sup> أكثر ممّا على القدم الأخرى.

كلّ أجزاءه، خلا الذهبى، يجتاها شقُّ تنهمر منه دموع <sup>181</sup> ، تثقب باجتماعها هذه المغارة. ينحدر مجراها في هذا الوادي خلل الصخر؛ ومنها يتكوّن أكرون وستيكس وفليغيتون؛ ثمّ تهبط في قناة صغيرة، إلى حيث لا يمكن الهبوط أكثر، وهناك تصنع كوتشيتوس <sup>182</sup> ؛ أيّ مستنقعٍ هو هذا؟ سترى ذلك، فلا نتحدّث الآن عنه.» فقلت له:

- «إذا كان هذا الجدول ينبع هكذا من دُنيانا فلم لا نراه إلا من هذا الجانب؟» فقال لي:  
- «تعلم أنّ هذا المكان مستدير ومع أنّك قطعْتَ شوطاً طويلاً متجهاً إلى اليسار دوماً، صوب القاع، فإنّك لم تجتزِ الدائرة بكاملها؛ ولذا فإذا ما رأينا شيئاً جديداً فينبغي ألاّ يملأ بأمارات العجب وجهك.»

فقلت له: - «يا أستاذي، وأين يقوم فليغيتون وليتي <sup>183</sup> ، فإنّك عن الأوّل لا تقول شيئاً والثاني تقول إنّ من هذا المطر مصنوع.» فأجاب: - «لاشكّ أنّك في جميع أسئلتك تسرّني، لكنّ غليان الماء الأحمر كان ينبغي أن يردّ على واحدٍ منها. أمّا ليتي فسَتراه خارجَ هذه الهاوية، هناك حيثُ تذهب النفوس للاغتسال، عندما تمّحي بالتوبة خطاياها.»

ثم قال: - «أزف موعِد الرّحيل عن هذه الغابة؛ فتعال ورائي فالضقتان اللتان لا تشتعلان توقران لنا طريقاً، وعليهما يخمد كلّ لهب.»

## الأنشودة الخامسة عشرة

(الحلقة السابعة، الدائرة الثالثة: مقترفو خطيئة العنف بحق الطبيعة، أهل سدوم، يركضون تحت مطر من شواطئ النَّار. الزمرة الأولى من أهل سدوم. مُلاقة برونيتو لاتيني. فلورنسة ومصير دانتي. بعض مشاهير الأدباء.)

الآن تحملنا إحدى الضقتين الراسختين  
وكان يغطيها الجدول بضبابه،  
لوقاية الماء والشاطئين من النَّار.  
وكما يفعل الفلامانديون بين «فيسانت» و«بروج»،  
عندما يُخيفهم الفيضان المتدافع في أوجههم،  
فيُقيمون ليُبعدوا مياه البحر سدّاً،  
وكما يفعل أهل پادو على امتداد نهر برينتا  
ليُحاموا عن قلاعهم ومدنهم،  
قبل أن يشيع الدفء في كيارنتانا،  
فعلى هذه الصورة بُلّطت تانك الضقتان  
سوى أن معماريّهما، أيّاً كان <sup>184</sup>،  
لم ينشؤهما سامقتين لا ولا كبيرتين.

كنا قد ابتعدنا عن الغابة حتى ما عدتُ لأرى بالالتفات إلى الوراء أين كنتُ، حينما قابلنا زمرة أشباح  
كانت تدنو من الشاطئ وكلّ واحد يتطلع إلينا كما اعتاد أن يفعل أوان المساء من يتقابلون لدى  
طلوع القمر الجديد؛ كانت الأشباح تركز أبصارها نحونا كما يفعل الخياط الشيخ أمام سم الإبرة.  
وفيما تحدّق بي تلك الأسرة، عرفني أحد الأشباح فأمسك بي من أذبال ردائي هاتفاً:  
- «يا للعجبية!».

وعندما مدّ ذراعه إليّ، تفرّستُ في وجهه الذي طبخته النَّار، ولكنّ مرآه المحترق ذاك لم يمنع فكري  
من أن يتذكّره؛ وبينا أمدّ يدي إلى وجهه،

قلتُ له: - «أأنت هنا أيّها السيّد برونيتو؟» <sup>185</sup> فأجاب: - «أيُّ بُنيّ، حبّذا ألاّ يسوءك أن يرجع  
برونيتو لاتيني معك أدراجه بعض الشيء تاركاً الحشد يسير.» فقلتُ له: - «أرجو ذلك من كلّ قلبي  
وإن أردتُ أن أبقى معك فسأفعل إذا ما راق ذلك لمن يصحّبني.» فقال لي: - «يا بنيّ، إنّ من توقّف  
من هذا الحشد لحظةً استلقى بعد ذلك مائة عام، عاجزاً على الاحتماء عندما تجرحه النَّار.

فلتواصل السير وأسيرُ أنا في أذبالك، وبعد ذلك سألحق برفاقي السائرين باكين عذابهم الأبديّ.» لم

أجرؤ على الزول من ذلك الشاطئ للسير إلى جانبه، بل تقدّمتُ حانياً رأسي كمثل من يسير في منتهى الخشوع.

فبدأ: - «أيّ حظّ، بل أيّ قدر يأتي بك إلى هنا قبلَ يومك الأخير؟ ومن ذا الذي يدلك في هذه الطريق؟» فأجبتُه:

- «هناك، في الحياة الوادعة في الأعلى، ضللتُ في أحد الوديان طريقي قبلَ أن تكتمل ستي. أمس فحسب أوليته ظهري؛ وفيما أتراجع فيه ظهر لي هذا، وهوذا يُعيدني عبر هذه الطرق إلى حيثُ أقيم.» فقال لي: - «إن صدق ما تنبأتُ به في الحياة العذبة، فإنك إذا ما اتبعت نجمك، فلن يصعب عليك أن تبلغ الميناء المجد:

ولولا أيّ متُّ قبل أواني، ورأيتُ السماء وهي تحذب هكذا عليك، لكنتُ مددتك بالعون في عملك.

ولكنّ هذا الشعب الخبيث الجاحد الذي انحدر من فيزولي قديماً<sup>186</sup>، وما يزال له شيم الجبل والصخر، سيناصبك العدا في كل أفعالك الطيبة؛ لا بلا سبب: فبين حامض الغبيراء ليس يقدر أن يثمر التين الحلو.

شهرتهم القديمة في العالم تُسميهم العمي:

هم بخلاء حساد متغطرسون، فحذار من أن تعديك طبائعهم.

يدخر لك حظك من الرفعة ما سيجي لك كلا الحزين<sup>187</sup> لكن ما أبعد العشب عن فم العنز<sup>188</sup>.

فليمرق وحوش فيزولي بعضهم البعض ولكنهم لن يمسوا بأذاهم الثبات - إن كان ما يزال ينمو في ظلّ نثانتهم بعض منه - الذي ما تزال تحيا فيه البذرة المباركة لأولئك الزومان الذين مكثوا عندما أقيم وكر ذلك الخبث كله.» فأجبتُه: - «لو كان رجائي قد استجيب له حقاً لما نُفيت عن حياتنا البشرية بعد؛ فما برحت منقوشة في ذاكرتي، والآن تُعدّبي، صورتك الأبوية العزيزة الطيبة عندما كنت تعلمني على الأرض، من ساعة إلى أخرى، كيف يُخلد المرء نفسه؛ ما حيثُ سأنطق لك بالعرفان وينبغي أن يحسن بهذا عبر لساني.

وما تقوله عن حظي إنّما أكتبه وأحفظه، هو وسواه، لتفسره لي سيّدة<sup>189</sup> ستعرفه إذا ما وصلت إليها.

أريد حقاً أن يكون هذا جلياً عندك، وحتى لا يؤرّقني ضميري، فأنا للقاء الحظ متأهبٌ مثلما يريد. هذه النبوءة ما هي عليّ بالشيء الجديد؛ فليدر الحظّ دولابه كما يشاء وليعمل السّيء

مجرفته.»<sup>190</sup> فاستدار أستاذي إلى الورا ناحية اليمين ونظر إليّ، وقال لي: - «من أحسن الإنصات أحسن الفهم.»

بيد أنّي واصلتُ السير صحبة السيّد برونيّتو متحدثاً معه وسائلاً إياه عن أعظم رفاقه وأشهرهم. فأجابني: - «يحسن أن تعرف بعضاً منهم؛ وعن الآخرين يحسن الصمت: فسيقصر الوقت عن ذكر كل هذه الأسماء.



واعلم بكلمة أنهم كانوا جميعاً قساوسة وأدباء عظاماً ومشاهير، وصمّتهم على الأرض خطيئةً واحدة.

191 يسير مع هذا الحشد البائس، ومعه فرانتشيسكو داغورسو<sup>192</sup>، ولك أن تبصر، إن كنت راغباً في رؤية قرع كهذا، ذلك الذي نقله خادم الخدام<sup>193</sup> من الأرنو إلى نهر باغليوني حيث ترك أعصابه الفائرة<sup>194</sup>.

كم أودّ زيادة الكلام، لكنني لا أقدر أن أطيل الحديث والسير، فها أنا أرى دخنةً جديدةً تنبعث هناك من الرمال. أقبل قومٌ ينبغي ألا أصحابهم. أوصيك بكتابي "الكنز"؛ ما برحت فيه أحياناً. لن أسألك المزيد.» ثم رجّع أدرجه وبدأ كواحدٍ ممّن يتسابقون على العلم الأخضر في فيرونا<sup>195</sup> عبر الرّيف؛ ويبتهم بدأ أنه هذا الذي يغلب، لا ذلك الذي يخسر.



## الأنشودة السادسة عشرة

(الحلقة السابعة، الدائرة الثالثة: مقترفو خطيئة العنف بحق الطبيعة، أهل سدوم - تتمّة. محادثة مع ثلاثة مواطنين من فلورنسة. انحطاط المدينة. حبل دانتي ووصول جيروني.)

كنتُ في المكان الذي يُسمَع فيه  
هدير المياه الساقطة في الدائرة الأخرى،  
كالطنين الهائل الذي يُحدثه النحل،  
وإذا بثلاثة أشباحٍ تفلت سويّة  
راكضةً، من جماعةٍ كانت تمشي  
تحت وابلٍ من عذابٍ أليم.  
اتّجهوا إلينا وصرخ بنا كلُّ منهم:

- «انتظر، أنت يا من يبدو من ملبسك أنك آتٍ من أرضنا الفاسدة.» كم من الندوب قديمة  
وجديدة أبصرتُ وأسفاه على أجسادهم، أحدثتها شواظ النيران وما برحتُ ذكراها تؤلمني! سمع  
أستاذي صياحهم فتوقّف؛ والتفت إليّ وقال لي: - «ألا تمهّل! ينبغي أن ترفق بهؤلاء. ولولا النار التي  
تقذفها طبيعة هذا المكان، لقلتُ لك إنّ الإسراع خليقٌ بك أكثر ممّا بهم.» وما إن أوقفنا خطانا حتى  
استعادوا عويلهم؛ فإذا اقتربوا منّا صنعوا من أنفسهم حلقةً واحدة، كما يفعل المصارعان العاريان  
والمدهونان بالزيت، يتحَيّن الواحد منهما المسكة والفرصة، قبل أن يشتبكا ويتضاربا؛ وفي دورانهم  
ذاك كان كلّ واحد يلتفت إليّ بوجهه فيقوم عنقه دون انقطاع بدورةٍ معاكسةٍ لدورةٍ قدميه.

ثمّ بدأ أحدهم: - «إنّ كان بؤسُ هذا المكان الرّجراج وأوجهنا الشّوهاء المسوّدة تجلب الزّرية  
لصلواتنا ولنا، فليحمل صبيّتنا روحك على أن تخبرنا من أنت، يا من بكامل الثقة تطأ بقدميك  
الحيتّين أرض الجحيم هذه.

فهذا الذي تراني ماشياً إثره، وإن سارَ عارياً ومسلوحَ الجلد، كان يشغل مقاماً أرفع ممّا يمكن أن  
تتصوّر:

كان حفيد غوالدرادا الطيّبة<sup>196</sup>، وكان اسمه هو غويدو غويرا<sup>197</sup>؛ كانت حياته ملأى بمآثر السّيف  
والعقل.

والآخر، الذي يهرس الرّمل بخطاه خلفي هو تيغايو ألدوبراندي<sup>198</sup> الذي كان صوته حريّاً بأنّ  
يُسمَع هناك على الأرض.

وأنا، الملقى بي معهما في هذا العذاب، كنتُ جاكوبو روستيكوتشي<sup>199</sup>، ولا ريب أنّ امرأتَي الوحشيّة  
تسبّبت أكثر من سواها بهلاكي. «لو كنت في مأمن من تلك النار، لألقيتُ بنفسي إلى أسفل معهم،  
ولعلّ أستاذي كان سيأذن لي بذلك؛ لكنّ لما كنتُ سأحترق وأشوى فإنّ الخوف غلب الإرادة الطيّبة

التي كانت تحدو بي لأعانقهم.

فبدأت: - «لا الزّراية بل الألم هو ما ألقته حالتكم فيّ، ومن المضاء هو بحيث لن يتلاشى عمّا قريب، وذلك منذ أن قال لي سيدي هذا كلمات جعلتني أفكر بأنّ أناساً في مثل حالكم سيأتون إلى هذا الموضوع. أنا من مدينتكم، ولطالما ردّدتُ وسمعتُ بمودّة أعمالكم وأسماءكم الفدّة.

هاربٌ أنا من العلقم أنشد الفاكهة الحلوة التي وعدني بها مرشدي الصّديق؛ ولكنّ ينبغي أولاً أن أنزل حتى قاع الجحيم.»

فأجاب المعدّب: - «عسى أن تقود روحك أعضاءك طويلاً، وعسى أن يلتصع اسمك بعدك، لكنّ أخبزنا أما برحت الشّجاعة والتّأديب عميّمين في مدينتنا كما بالأمس، أم هل اختفيا منها إلى الأبد؛

ذلك أنّ غوليلمو بورسييري<sup>200</sup>، الذي يتعدّب معنا منذ عهدٍ قريبٍ ويسير هناك في محفلنا يؤرّقنا بكلامه كثيراً.»

- «من حديثي النّعمة والربّح المفاجئ ولدَ فيك الإسراف والعُجب، يا فلورنسة وهي ذي أنتِ من ذلك تبكين!».

هكذا صرختُ رافعاً جبيني، والثلاثة الذين أدركوا أنّ ذلك كان جواباً نظروا إلى بعضهم البعض كما نفعل في مواجهة الحقيقة.

وأجابوا جميعاً: - «إنّ كان إرضاء لهفة الآخرين كلّفك كلّ مرّة هذا القدر الضّئيل، فسعيد أنتِ إذ تتكلم كما يروق لك! لكنّ إنّ أنتِ بارحت هذه الأماكن المظلمة وعدتِ إلى رؤية النّجوم الجميلة، فعندما يحلو لك أن تقول: "كنتُ هناك"، فلنّشعُ ذكرنا بين الأحياء.» ثمّ كسروا الحلقة وفي هروبهم بدتْ سيقانهم المتحفّزة كأنّها أجنحة.

وفي السّرعة التي بها تلاشوا لم يكن الوقت كافياً لقول «آمين»؛ فراق لأستاذي آنئذٍ أن نرحل.

وتبعته، وما خطونا إلا قليلاً حتى تناهى إلينا خريز مياه لا يكاد الواحد أن يسمع وسطه كلام رفيقه.

وكمثل ذلك النّهر الذي يتبع مجراه الأوّل من جبل فيزو إلى الشّرق، على الجانب الأيسر من الأبنين،

والذي يُدعى في الأعلى نهر أكواكويتا<sup>201</sup> قبل أن ينهمر في مجراه الأدنى، ثمّ يتجرّد عند فورلي من هذا الاسم، ويهدر هناك فوق سان-بنيديتو، ثمّ يسقط من الألب في وادٍ يمكن أن يتّسع لإيواء ألف شخص، فهكذا، في أسفل شاطئ جارف الانحدار وجدنا تلك المياه المظلمة الهدّارة التي يمكن أن تصمّ الأذان في برهةٍ خاطفة.

كان لديّ حول الحزام حبلٌ<sup>202</sup>، كنتُ ذاتَ هنيهةٍ قد فكّرتُ بأن أطوّق به الفهدة الرّقطاء الجلد.

وبعدما حللته بأكمله كما أمرني به مرشدي، قدّمته له ملفوفاً ومطويّاً.

فاستدار إلى الجهة اليمنى، وعلى بعض مسافةٍ من الحافّة، رماه في قاع الهاوية السّحيقة.

وقلتُ في نفسي: - «لا بدّ أن يستجيب شيءٌ عجيب لهذه الإشارة الجديدة التي يُبعتها أستاذي هكذا بنظراته.» آه، كم ينبغي أن يلتزم الإنسان الحذرَ قربَ من لا يرون الفعل وحده بل ينفذ ذكؤهم حتى إلى الأفكار!

قال لي: - «سيصعد إلى الأعلى تَوّاً ما أنا أرتقبُ وما يحلم به فكرك؛ ينبغي أن يمثّل لناظريك عمّا قريب.» أمّا الحقيقيّ الذي يبدو كمثّل أكذوبة ينبغي أن يُطبق المرء شفّتيه ما استطاع ذلك، وإلّا لعادَ لنفسه بالخزي ولمّا يخطئ؛ بيدَ أنّي لا أستطيع هنا صمتاً؛ وبأبياتِ هذه الكوميديا أقسم لك أيّها القارئ - وعساها تنال طويلاً حظوة - أنّي رأيتُ في ذلك الهواءِ الثّقل المظلم كأنّما يرقى سابقاً نحوّنا يُرعب مرآه حتّى القلب الثّابت؛ كان كمنّ يعاود الصّعود بعدَ غوصه لتحرير مرساةٍ عالقةٍ بصخرةٍ أو بسواها ممّا هو خبيءٌ في قاع البحر، وإلى أعلى يشهق جامعاً قدّميه.

## الأنشودة السابعة عشرة

(الحلقة السابعة، الدائرة الثالثة: مرتكبو العنف بحق الفنّ - المرابون - جالسون تحت مطر النيران مع يافطاتهم معلقة إلى الأعناق. الوحش جيروني. دانتي يذهب وحيداً لرؤية المرابين. هبوط الهاوية على ظهر جيروني.)

- «أنظر الوحش <sup>203</sup> ذا الذنب المدبّب يُقبل

مجتازاً الجبال ومحظماً الأسلحة والأسوار <sup>204</sup> ،

إنّه من يلوّث الدنيا بأسرها!»

هكذا بدأ مرشدي يحدثني؛ ثمّ أشار إليه بأن يأتي إلى الشاطئ قرب حافة الصخر حيث كنّا نمشي.

فأقبلت صورة الخيانة الكريهة تلك تالعةً برأسها وبصدرها، دون أن تجرر ذنبها على الشاطئ.

كان وجهه وجه رجلٍ عدلٍ، مظهره من خارجٍ كثير الوداعة، ومن الأفعى كان سائر الجسم؛ طرفاه يكسوهما الشّعْر إلى الإبطين؛ وظهره وصدره وكلا الكشحين هذا كلّه كانت تزينه حلقاتٌ وعقد.

ما صنع التّرك والتّتر <sup>205</sup> ثياباً كهذه ولا طرزوها بألوانٍ أزهى ولا أراكنا <sup>206</sup> نسجت مثل هذا النسيج.

وكما توثق السفن أحياناً ففي الماء جزء منها وعلى اليابسة جزء آخر، وكما عند الألمان التّهمين يتأهب السّمور للقتال، فهكذا وقف الوحش الكريه على حافة الصخر التي تطوّق الرّمال.

كان ذنبه كلّه يتلوّى في الهواء، رافعاً إلى أعلى حُمته السامة التي تسلّح طرفه كزنابي العقرب.

قال مرشدي:

- «الآن ينبغي أن تنحرف طريقنا قليلاً حتّى نبلغ ذلك الوحش الخبيث الجاثم هناك.» فنزلنا ناحية اليمين وخطّونا عشر خطواتٍ على الحافة لنتفادي الرّمال وألسنة التّيران.

وعندما وصلنا قربه رأيتُ على الرّمال قوماً <sup>207</sup> جالسين غير بعيدٍ عن الهاوية.

وهنا قال لي أستاذي: - «حتّى تُحيط بهذه الدائرة علماً فلتذهب هناك ولتنظر إلى عذابهم.

وليكن حديثك معهم وجيزاً؛ وفي انتظار أن تعود سأكلّم أنا هذا الوحش، ليعيرنا كتفيه القويتين.» وهكذا ذهبْتُ وحدي بعيداً على شفا تلك الحلقة السابعة حيث كان يجلس أولئك المعدّبون.

من عيونهم يندلق العذاب؛ وهنا وهناك بأيديهم يُبعدون تارةً ألسنة اللهب وطوراً حارق التراب:

لا تفعل الكلاب غير هذا في الصّيف بالأنوف أو الأطراف إذ تلسعها البراغيث أو التّعرات أو الدّباب.

عندما تملّيتُ أوجه من كانت تنهمر عليهم تلك النّار الأليمة، لم أعرف منهم أحداً ولكّني أبصرت في عنق كلّ واحدٍ كيساً يتدلّى ذا لونٍ مخصوصٍ وشعارٍ معيّن، وبدتُ أعينهم بالنظر إليه نهمّة.

ويينا أمرّ بينهم وأجيل بصري، رأيتُ على كيسٍ أصفر علامةً زرقاء <sup>208</sup> كان لها هيئة الأسد وملامح

وجهه.

209

ثم وأنا أتابع مجرى نظري رأيت علامةً أخرى حمراء كالدّم

210

تكشف عن إوزةٍ أنصع في بياضها من الزّبد .

211

قال لي أحدهم وكان يحمل كيساً أبيض عليه شعار خنزيرةٍ زرقاء سمينة:

- «ما الذي جئت تفعل في هذه الهاوية؟

أذهب الآن، وما دمت ما تزال حيّاً فلتعلّم أنّ جاري فيتاليانو سيأتي ليجلس هنا إلى يساري.

أنا بين هؤلاء الفلورنسيين پاڊوي:

وهم كثيراً ما يصمّون أذنيّ بصياحهم: - «فليأت ملك الفرسان!

212

الذي سيحمل الكيس ذا العنزات الثلاث!» ، وهنا لوى فاه مادّاً لسانه كما يفعل الثور إذ يلحس خطّمه.

وأنا الذي كنت أخشى أن أغيظ بإطالة البقاء من أوصاني بالمكث قليلاً، رجعت مبتعداً عن تلك النفوس التّعبى.

فوجدتُ مرشدي وقد اعتلى ردفَ ذلك الوحش المخيف؛ قال لي: - «لتكن الآن قوياً وشجاعاً.

سنهبط الآن بمثل هذا السّلم؛ فلتصعدُ إلى الأمام، وسأجلس أنا في الوسط مخافةً أن يجرحك ذنبه.» وكمثل من يشعر بأولى رجفات حمى الرّبع وتكون أظفاره قد ابيضّت فيروح يرتعش لمجرد رؤية الظلّ، فهكذا صرتُ أنا أمام هذه الكلمات؛ لكنّ الخزي تهّدني وهو الذي يُعيد للتّابع شجاعته أمام سيّده الطّيب.

فتربّعتُ على ذلك الفقار الموحش، وأردتُ أن أقول: - «ضمّني يا أستاذي بين ذراعيك»، بيد أنّ الصّوت لم يأت كما كنتُ أحسب.

لكنّه، وقد نجّاني من قبل من مخاطر كثيرة، ما إن صعدتُ، حتّى أسندني وأحاطني بذراعيه.

وقال له: - «انطلق الآن يا جيروني؛ ولتكن دوراتك واسعةً ونزولك بطيئاً، ولتفكّر في حملك الجديد هذا.» وكما تخرج من الشّاطئ سفينة راجعةً القهقري، فهكذا ابتعد الوحش، ولما أحسّ بأنّه صار طليقاً تماماً أدار ذنبه حيث كان صدره، ثمّ مدّه وحرّكه كالحنقليس، وبأطرافه اجتذب الهواء نحوه.

213

لا أحسب أنّه عندما تخلى فيتوني عن أعنة الجياد فاشتعلت الأجواء كما لا نزال إلى الآن

214

نصرها، أو عندما أحسّ إيكاروس البائس بجناحيه يفقدان ريشهما من حرارة الشّمع، فيما أبوه يصرخ به: - «إنّك يا بُنيّ لذهابٌ إلى التّهلكة!»، ساد خوفٌ أشدّ من خوفي عندما رأيت إلى الهواء وهو يحيط بي من كلّ جانب، وتمتنع عليّ كلّ رؤيةٍ سوى رؤية ذلك الوحش.

كان يمضي سابحاً بتؤدة يدور ويهبط وأنا لا أشعر بذلك إلّا من الرّيح تلفحني في الوجه ومن أسفل.

ثمّ سمعتُ عن يميني شلالاً يُحدث تحتنا ضوضاء رهيبية، فخفضتُ إلى القاع بصري.

فتعاضم خوفي من التّزول لأنيّ أبصرتُ نيراناً وسمعتُ نواحاً؛ فضممتُ ساقِيّ في ارتجاف.  
ثمّ رأيتُ ما لم أره من قبل:

الهبوط والدّوران في فادح العذاب المتدانية ألوانه من كلّ جانب.

وكالبازيِّ الذي حوّم باستواءٍ طويلاً ثمّ دونَ أن يرى طيراً أو مغوّاةً<sup>215</sup> ، يجعل البيزارَ يقول: - «وا  
أسفاه إنك الآن تهوي!»، ويعود متعباً لينطلق بكامل النّشاط في مائة دورةٍ ويحطّ بمنأى عن سيّده،  
ملؤه الكآبة والغيض، فهكذا أوصلنا جيروني إلى القاع، أسفلَ ذلك الشّاطئ الجارف الانحدار، ثمّ ما  
إن تخفّف من جسمينا، حتّى انطلقَ كما ينطلق من الوتر سهمٌ.

## الأنشودة الثامنة عشرة

(الحلقة الثامنة، الدائرة الأولى: الغواة والسّماسة: فصيلان يركضان في اتجاهين متعاكسين، فيما يجلدهم الشّياطين. الدّائرة الثانية: أصحاب الزّلفى غاطسون في نهر القدّر. مالبولوجي. القوادون والغواة. جاسون. تاييس.)

في الجحيم مكانُ اسمه مالبولوجي <sup>216</sup> ،

كلّه مبنيّ من الصّخر، وله لون الحديد،  
كالحلقة المحيطة به.

وفي الوسط من هذا الميدان الرّجيم تقوم بئر  
سحيقة العمق كبيرة الاتّساع،  
سأقول ترتيبها في موضعها.  
وعليه، فالحافة الباقية تستدير  
بين البئر والشّاطئ الصّخريّ الجارف الانحدار،  
وتنقسم قاعها إلى أوديةٍ عشرة.

وكالصّورة التي يبدو عليها موقعُ حُفرتٍ فيه حولَ القلاع خنادق عديدة لحماية أسوارها؛ فعلى هذه الصّورة كانت تبدو تلك الأودية وكما ترى في تلك القلاع جسوراً صغيرة ممتدّة من أعتابها إلى الحافة الخارجيّة، فهكذا تصدر عن أسفل الجرف صخور تقطع الخنادق والشّطان، حتّى البئر التي تصدّها وتلقّاها.

في ذلك المكان ألفينا نفسينا بعدما نزلنا من على ظهر جيروني؛ وانعطف الشّاعر إلى اليسار فمشيتُ أنا وراءه.

من جهة اليمين أبصرتُ بؤساً لم أره من قبل وألوانَ عذابٍ جديدةً ومعذبين جدداً، كان الخندق الأوّل زاخراً بهم.

في القاع كان الخطاه جميعاً عرايا؛ يأتون إلينا من الوسط مواجهةً؛ ويسرون معنا في الجانب الآخر بخطى أسرع، كما فعل أهل روما في عام «اليوبيل» إذ وجدوا أمام الجماهير المزدحمة، هذه

الوسيلة ليعبر النّاس الجسر <sup>217</sup> ، فمن جهةٍ يتطلّع الجميع إلى القلعة ليذهبوا إلى القديس بطرس،

ومن الجهة الثانية ييمّمون وجههم شطرَ الجبل <sup>218</sup> .

وهنا وهناك فوق الصّخر الأسود رأيتُ شياطينَ ذوي قرونٍ حاملين سياطاً كبيرة يجلدونهم بها من الخلف بفضاظة.

أواه كيف كانوا يجعلونهم يرفعون سيقانهم منذ أولى الصّريات!

لا واحدَ كان ينتظر الضربة الثانية ولا الثالثة؛ وبينما أسيّر التقت عيناى بواحدٍ منهم فقلتُ في نفسي على الفور:

«لا أرى هذا الوجه للمرة الأولى»، فتوقفتُ لأستبينَ وجهه:

فوقفتُ معي مرشدي الطيب، وأذن لي بالرجوع أدراجي قليلاً:

حسبَ ذلك المسوط أنه يخفي نفسه <sup>219</sup> بخفضه وجهه، ولكن بلا كثير جدوى إذ قلتُ له: - «أنت يا مَنْ تُلقي بصرك إلى الأرض إن لم تكن زيفتَ مرآك، فإنك فينيديكو كاتشانيميكو <sup>220</sup> :

لكن مَنْ جاء بك إلى هذه المزقة اللاذعة <sup>221</sup>؟» فأجابني: - «على مضضٍ سأقول، لأنَّ وضوح خطابك يُجبرني، إذ يذكّرني بالعالم القديم.

أنا مَنْ حمل غيزولابيلاً <sup>222</sup> على إرضاء رغبة المركز، مهما يكن من حكاية هذه الفعلة المخزية. لستُ هنا النَّائح الوحيد بلهجة بولونيا فهذا المكان زاخرٌ بنا فلا تلقى بين رينو وسافينا السنة أكثر تقول «نعم» بلكنتنا نحن <sup>223</sup>؛ فلئن أردتَ شهادةً على ذلك أو برهاناً، فلتتذكر كم هي جشعة قلوبنا».

وبينا يتكلم هكذا لسعه شيطان بالسوط وقال له: - «امضِ أيها القواد، فما هنا من نساءٍ ليُبغَن.» رجعتُ إلى مَنْ كان يرافقي ويرشدي؛ وبخطواتٍ قليلةٍ وصلنا إلى حيث يصدر عن الشاطئ جسرٌ صخري، ببالغ الرشاقة صعداً فوقه؛ وبتجاهنا إلى اليمين على الدروة منه <sup>224</sup>، خرجنا من تلك الحلقات الأبدية.

ولدى بلوغنا الموضع الذي يتقوس فيه الجسر من أسفل ليمرّ المجلودون، قال لي مرشدي: - «قفّ واخلّ نظرك يُقابل نظراتِ سيّئى الولادة هؤلاء الذين لم تبصر أوجههم من قبل، لأنهم ساروا معنا في الاتجاه نفسه».

ومن أعلى ذلك الجسر القديم نظرنا إلى الطابور الآتي إلينا من الجهة الأخرى، والذي كانت السيات تلاحقه أيضاً.

فقال لي أستاذي الطيب ولما أسأل:

- «أنظرُ هذا العظيم الآتي إلينا والذي من شدة الألم لا يبدو أنه يذرف الدمع؛ يا للمرأى الملكي الذي ما برح يحتفظ به!

إنه جاسون <sup>225</sup> الذي، بالعقل والقلب، حرم الكولكيين من الجرّة الذهبية.

لقد مرّ بجزيرة ليمنوس، بعدما أبادت النساء القاسيات الجريئات، فحولهنّ عن آخرهم، وهناك بالحيلة ومنمق الكلام خدع هيبسپيل <sup>226</sup> الشابة التي خدعت من قبل جميع النسوة الأخريات.

ثم خلاها هناك حبلى ووحيدة؛ وهذه الخطيئة تقضي عليه بأفطع العذاب؛ وبذلك نالت ميديا



الانتقام هي الأخرى.

ومعه يسير من ارتكبوا الغدر مثله؛ فلتكفِكَ معرفة هذا عن الوادي الأول، وعمّن يتمزقون في أرجائه. « ثم وصلنا حيث يلتقي النهج الضيق بالشاطئ الثاني <sup>227</sup> ويجعل منه مستنداً لجسرٍ آخر. فسَمعنا أناساً ينوحون في الخندق الثاني ومن أنوفهم ينشجون ضارين بالأكف أنفسهم. كانت الجوانب بالعقن مغطاة، لأنّ البخار المتصاعد من أسفل كان عليها يتجمد جارحاً معاً الأعين والشّم.

القاع من الظلمة بحيث لا تبصر فيه من دون اعتلاء ذروة الجسر حيث يُشرف الصخر على المكان. فصعدنا هناك، ورأينا في قاع الخندق أناساً غاطين في فضلات تبدو آتية من بيوت راحة البشر. وإذ كنت أفحص القاع بعيني رأيت واحداً مثقل الرأس بالقدر حتى لم أدر أعلماي هو أم راهب. صرّخ بي: - «لَمْ أنتَ نهمٌ بالنظر إليّ أكثر ممّا إلى جميع هؤلاء البشعين؟» فأجبت: - «لأنني، إن أسعفتني ذاكرتي، سبق أن رأيتك بشعرك الناشف:

أنت أليسيو إنترمينلي <sup>228</sup> من أهل لوگا؛ ولذا أتملأك بنظري أكثر من غيرك.» فقال لي وهو يضرب رأسه بيديه:

- «في هذا القاع أغرقني كلام الزلّفي الذي لم يكن لساني ليشبع منه.» ثم قال لي مرشدي: - «فلتحاول أن تمدّ وجهك إلى الأمام قليلاً حتى تبلغ عينك وجه تلك المرأة الشعثاء الملوثة التي تنهش جلدها بأظافرها العفنة، وتجلس القرفصاء تارةً وتارةً تقوم.

إنّها تاييس <sup>229</sup> الداعرة التي عندما سألتها عاشقها: - «أترين لي محاسن؟» أجبت: - «نعم، كثيرةً ورائعة!»، ولتقنع نظراتنا بما رأث هنا.»

## الأنشودة التاسعة عشرة

(الحلقة الثامنة. الدائرة الثالثة: أهل السمعانية غاطسون في حفر دائرية، رأسهم إلى الأسفل وباطن أقدامهم تحرقه النيران. ملاقة البابا نيقولا الثالث. هجاء البابوات الجشعين. فرجيليو يعيد دانتي إلى الجسر.)

يا لسمعان السّاحر <sup>230</sup> ، يا لأتباعه البؤساء،

أيها الجشعون، يا مَنْ تُعْهَرُونَ،

ابتغاءَ الذهب والفضّة، نِعَمَ الله

التي ينبغي أَنْ تَقْتَرْنَ بها الفضيلة،

الآنَ ينبغي أَنْ يُنْفَخَ في البوق من أجلكم،

ما دمتم صرتم في الثّالث من الخنادق.

كنا وصلنا إلى القبر <sup>231</sup> التالي،

وصعدنا إلى ذروة الجسر الصخريّ

الذي يُشرف على وَسَطِ الخندق.

أيتها الحكمة العليّة كم من الفنّ تُبدين في السّماء وعلى الأرض، وفي العالم الشرير هذا!

وبأيّ عدالةٍ تقسّم فضيلتك جميع الأشياء!

على الجوانب وفي القاع أبصرتُ الصخرة القائمة منخولةً بالفجوات متساوية الاتّساع، مستديرة كلّها.

لم تبدلي أصغر ولا أكبر من الفجوات التي في سان جوفاني <sup>232</sup> ، معمداني الجميل المبني لاستقبال مَنْ يُعمّدون، والتي حطّمتُ إحداها قبل سنين لانتشال طفلٍ كان يغرق فيها؛ فليكن هذا شاهداً يزيل شكوك كلّ واحد.

من فوهة كلّ منها كان يبرز قدماً خاطئٍ وساقاه حتّى الكعبين وسائر جسمه كان بقيّ في الدّاخل. كان باطن قدمي كلّ واحدٍ يلتهب والمفاصل تهترّ بشديد العنف حتّى لتمرّق حبال الخيزران أو اللّبلاب.

وكما تتحرّك النّار على ما دُهِنَ بالزّيّت، صاعدةً على امتداد سطحه وحده، فهكذا كانت النّار تسري من أعقابهم إلى الأطراف.

قلتُ: - «مَنْ هو يا أستاذي هذا الرّجل البادي غضبه والذي يتلوّى أكثر من أقرانه وترشفه نار أشدّ حُمْرة؟» فقال لي: - «إنّ أردتَ فسأحملك إلى الأسفل عبر هذا المنحدر الهين الانجراف، وستعرف اسمه وخطاياها.» فأجبتُ: - «كلّ ما يرضيك هو مدعاةٌ لسروري فأنت سيدي وتعرف أنّي عن

ناموسك هيهاتَ أحيْدُ، وإنَّكَ لتَعلَم ما أسكُتَ عنه.» فأَتيْنا إلى الجرفِ الرَّابِعِ ونزلنا من هُناكَ إلى اليسارِ أسفل، في القاعِ الضيقِ الذي تنخله الفجوات.

لكنَّ أستاذي الطيبَ لم يُنزلني عن جنبه حتَّى بلغنا الفجوة التي يشغلها ذلك الرَّجل الذي كان وافراً بالبكاءِ بساقِيه <sup>233</sup>.

فبدأتُ: - «أَيَّ كُنتَ، يا مَنْ جُعِلَ أسفلَكَ عاليك يا روحاً تتعدَّب مغروسةً كالخازوق، ألا كَلَمَني إن استطعت.» كُنتُ هُناكَ كمثُلِ راهبٍ يتلقَّى اعترافاتٍ <sup>234</sup> مجرِّمٍ غادرٍ مزروعٍ في حفرة، يناديه ليؤخَّر موته.

صاحَ بي: - «أهو أنتَ الواقف هُناكَ؟ أهو أنتَ الواقف هُناكَ يا بونيفاتشو؟ لقد كذَّبَ عليَّ الكتاب منذ سنين» <sup>235</sup>.

أشْبعتَ هكذا سريعاً من الذهب الذي لم تخشَ من أجله من أن تُغرَّرَ بالسيدة الجميلة <sup>236</sup>، لثُسيء إليها بعد ذلك؟» فغدوتُ شبيهاً بمن يعجزون عن فهم ما قيل لهم فيقفون مشدوهين لا يحيرون جواباً.

فقال لي فرجيليو: - «قلْ له بسرعة: "لستُ مَنْ تحسب أنني أكون"»؛ فأجبتُ كما أشارَ عليَّ به. آنئذٍ هزَّ ذلك الشبح بعنفٍ قدَميه، ثم قال لي متنهِّداً وبصوتٍ باكٍ: - «وعليه، فما تسألني؟ إن كان يهَمُّكَ أن تعرف مَنْ أكون حتَّى لقد جئتَ إلى هذه الضفَّة، فلتعلِّمَ أنني ارتديتُ ذاتَ يومِ الثوبَ العظيم <sup>237</sup>، وأنني كُنتُ ابن الدبَّة <sup>238</sup> حقاً؛ ولقد كُنتُ حريصاً على صعود أبنائي الدببة حتَّى أودعتُ في كيسِ التبرِّ هُناكَ وهُنا نفسي.

تحت رأسي يرقد جميع مَنْ سبقوني في التعاطي بالسَّمعانيَّة <sup>239</sup>، قابعينَ في فجوات الصخر. وأنا نفسي سرعان ما سَاهوي أسفل ما إن يجيء ذلك الذي حسبتُ أنك هوعندما ألقىتُ عليك سؤالي فجأة.

لكنَّ قدَميَّ ظلَّتا تُحرقان وأنا وُضعتُ هنا مقلوباً زمناً أطولَ ممَّا سيظلُّ هو هنا مغروساً مضطرباً القدمين:

فبعده سيأتي من الغرب <sup>240</sup> راعٍ لا ناموسَ عنده حاملاً وزرَّ أفعالٍ أشنعَ بكثير، حتَّى ليُغطيَ عليه وعليَّ.

سيكون جاسون الجديد كما عند المكابيين <sup>241</sup>، وكما كان ملك جاسون الأول خائراً أمامه، فكذلك سيكون مَنْ يحكم الآن فرنسا.» لا أعلم إن كُنتُ أكثرَ تهوراً ممَّا يلزم عندما سألتُه بهذه النبئة:

- «ألا خبَّرني كم من الكنوز طلبَ السيد الإله من القديس بطرس قبل أن يعهد إليه بالمفتاحين؟ أكيدٌ أنه لم يسأله شيئاً سوى «اتبعني».

ولا بطرس ولا الآخرون انتزعوا من مئتي <sup>242</sup> ذهباً ولا فضةً عندما اختارته الأقدار لذلك المقام الذي أضاعته النفس المثقلة بالخطايا.

فابق هنا لأنك تلقى عقابك المستحق، واحتفظ بالمال الباقي الذي سلبته سلباً، فجعلك تجرؤ على الملك شارل <sup>243</sup>.

ولولا أنه ما فتئ يمنعني توقيير المفتاحين المقدسين اللذين أمسكت بهما هناك في الحياة السعيدة، لاستخدمت كلمات أعنف، ذلك أن جشعك يزيد العالم حزناً على حزن، بقمعك الطيبين وإعلائك من شأن الأشرار.

برعاةٍ مثلك كان يفكر يوحنا الإنجيلي <sup>244</sup> عندما رأى تلك الجالسة على عرش المياه وهي تقترف الفحشاء مع الملوك:

هذه التي ولدت برؤوس سبعة واستمدت قوتها من قرونها العشرة، فيما كان بعلمها مرتاحاً إلى الفضيلة.

من الذهب والفضة صنعتم إلهاً فقيم تختلفون عن الوثني سوى أنه يعبد إلهاً واحداً وأنتم مئة!

هيا قسطنطين <sup>245</sup>، كم من الشرور تمخض عنها لا اهتداؤك إلى الإيمان بل ذلك العربون الذي أعطيته أول المثريين من البابوات؟ « وفيما كنت أنشد أمامه هذه الألحان، راح يخبط بقدميه ببالغ القوة لا أدري هل عن غضب أم عن وخز ضمير.

أعتقد أن هذا كله أرضى أستاذي لأنه كان يصغي بمحيا مسرور إلى وقع كلمات الحق التي كنت أقول.

ولذا ضمني بين ذراعيه، وبعدما حملني على صدره، عاد يرتقي الطريق التي كان نزل منها؛ ومن دون أن يتعبه احتضانه إياي حملني حتى أعلى الجسر الذي يصل الشاطئ الرابع بالخامس.

هناك طرح برفق جملته وبرفق وضعه على الصخر المنجرف الوعر، والذي كان عبوره سيشق حتى على المغز.

وهناك انكشف لي خندق جديد.

## الأنشودة العشرون

(الحلقة الثامنة، الدائرة الرابعة: السّحرة والعزّافون والمنجّمون يسرون راجعين القهقري، منكسي الرؤوس. العزّافون وقارئو الحظّ. بعض قدامى العزّافين: تيريسياس وسواه. أصل مانتوا.)

ينبغي أن أصفَ في شعري عذاباً جديداً  
وأن أوفّر مادّةً لهذه الأنشودة العشرين

من نشيدي الأوّل <sup>246</sup> المكرّس للغرّيقين.

كنتُ أعاينُ بمنتهى الانتباه

القاعَ الذي تكشّف لي

والذي كانت تسقيه دموعُ مذروفة وسط الضّيق:

ورأيتُ ملءَ الوادي المستدير

قوماً يَبكون صامتينَ ويسرون

كما نسير في الدّنيا على إيقاع التّسابيح.

وعندما خفضتُ في اتّجاههم بصري، بدا لي كلّ واحدٍ ملوياً بغرابة بين ذقنه وأعلى صدره:

وجههم استدارَ إلى الكليّتين، وعليهم السّير راجعين القهقري ما داموا عاجزين عن النّظر إلى الأمام.

ربّما يُدار بعضُ على هذه الشاكلة بباعثٍ من الشّلل؛ لكنني ما رأيتُ ذلك ولا أحسبه موجوداً.

فليجعلك الله، أيّها القارئ، تستمرّ ثمار قراءتك هذه، وبنفسك فلتحكّم كيف كان لي أن أحتفظ بعينيّ ناشفتين، عندما رأيتُ عن كثبٍ صورتنا نحنُ بني الإنسان منقلبة هكذا حتّى كان دمع العينين يُبلل من هؤلاء ملتقى الرّدفين.

أجلّ، بكيّ، مستنداً إلى صخرة من ذلك الجسر الوعر حتّى صاح بي مرشدي:

- «أأنت كالأخرين من مسلوب العقل؟» الشّفقة تكون هنا حيّة بقدر ما تكون ميتة؛ وهل أكثر إثماً ممّن يأسى حيثما مارسَ الله حكمه؟ ارفع الرأس، ارفعه وانظر من انفتحت له الأرض في مرأى من أهل طيبة:

الكلّ كانوا يهتفون له: - «إلى أين تهوي يا أمفياروس؟ <sup>247</sup> ولمّ يا ترى تترك الحرب؟» لكنّه ما فتئ يتدحرج في الهاوية صوب مينوس الذي لا يُفلت أحدٌ من قبضته أنظر كيف جعل من كتفيه صدره، ولأنّه أراد أن يرى بعيداً أمامه، فهوذا ينظر إلى الخلف ويسير إلى الوراء.

أنظر تيريسياس <sup>248</sup> كيف بدّل مرآه إذ كان ذكراً وصار أنثى، محوّلاً أعضائه واحداً تلو الواحد؛ ثمّ كان عليه أن يضرب ثانياً بعصاه الأفعيين المتشابكتين، ليستعيد ريشَ الفحولة.

يتبعه أرنوس <sup>249</sup> سانداً ظهره إلى بطن تيريسياس،

هو الذي كان له، في جبال لوني <sup>250</sup> ، حيث يذهب لتنقية الأرض أهل كازارا المقيمون تحت، مغارة لسكانه بين أحجار المرمر البيض كان منها يقدر أن يرى البحر والنجوم بكل يسر.

وتلك <sup>251</sup> التي تغطي ثدييها اللذين لا تراهما أنت، بجداولها المحلولة والتي تريك من الجهة الأخرى جلدًا أشعر، هي مانتو التي تشردت عبر الأرض، ثم استقرت في الموضع الذي كان مسقط رأسي؛ ولذا فأنا أريد أن تصغي إليّ حيناً.

فبعدما فارق الحياة أبوها، وسقطت مدينة باخوس في أحضان الرق، هامت هي في العالم طويلاً. في أعالي إيطاليا الجميلة تستلقي بحيرة أسفل جبال الألب التي تزخر ألمانيا عند ارتفاع التيرول، اسمها بيناكوس <sup>252</sup> .

أعتقد أن ألف جدول وأكثر تسقي جبال الألبين، من غاردا حتى وادي كامونيك، بالماء الجاري في تلك البحيرة.

وفي الوسط محل يقدر راعي ترنتو وراعي بريشا والفيروني أن يمنحوا بركاتهم فيه لو مرّوا بالمكان. بسكيرا هناك تسمق سداً جميلاً ومنيعاً في مواجهة أهل بريشا وبرغامو، حيثما الشاطئ أكثر هبوطاً.

وهناك لا بد أن تفيض جميع المياه التي لا تقدر على المكث في بيناكوس، وتتبع مجراها خلل مروج خضراء.

وما إن تشرع هذه المياه بالجريان، فهي لا تعود تُسمى بيناكوس بل مينتشو، حتى مدينة غوثرنو حيث يتلقاها نهر البو.

ولا تجري كثيراً حتى تجد هناك سهلاً تنتشر فيه وتصنع مستنقعا يصبح في الصيف أسناً أحياناً. وأذمرت العذراء الوحشية بالمكان وجدت وسط المستنقع ذاك أرضاً غير ذات زرع وما عليها من سگان.

فاستقرت هناك بعيداً عن تعاملات بني الإنسان، ممارسةً وأتباعها فنّها، وهناك عاشت وخلّفت رفات جسدها.

فيما بعد، جاء من كانوا في الجوار مشتتين ليجتمعوا في ذلك المكان المحمي بالمستنقع المحيط به من كل الأنحاء، وعلى عظامها التّخرات شادوا المدينة، وعلى اسمها، هي التي اختارتها الأولى، سمّوها مانتوا من دون استخارة الحظوظ.

<sup>253</sup>

ثم صار سكانها أوفر عدداً قبل أن يقع جنون كازالودي في براثن غدر بينامونتي . ولذا أوصيك إذا ما تناهى إلى سمعك أن مدينتي ولدت من أصل آخر، ألا تسمح بأن تطمس الحقيقة أيتها كذبة. « فقلت: - «إن تفكيرك يا أستاذي لأكيد عندي وإنه ليستحوذ على إيماني حتى ليبدو لي كل ما عداه كمثّل فحم لا جذوة فيه.

ولكن قل لي إن كنت ترى بين هؤلاء المتقدمين من هو بالذکر جدير، فإلى هذا وحده ما فتى يعود فكري.» فقال: - «ذلك الذي تنهمر لحيته من خده حتى كتفيه الداكنتين كان، عندما فرغت من ذكورها أرض الإغريق حتى لم يبق في المهد أحد، عرافاً؛ هو وكالكاس من أعطيا الإشارة في أوليس بقطع أول الجبال.

كان اسمه أوريبيلوس<sup>254</sup>؛ هكذا تتغى به في محل ما مأساتي الرقيقة<sup>255</sup>، هذا ما تعرفه جيداً، ما دمت تعرفها بكاملها.

وذلك الذي يبدو هزيل الجنين هو ميكيل سكوت<sup>256</sup> الذي كان حقاً حاذقاً بجميع حيل السحرة. وانظر غويدو بوناوتي، وكذلك أسدينتي<sup>257</sup> الذي يتمي الآن لا ريب لو كان التزم إلى الأبد الخيط والجلد، ولكته نادماً حيث لا ندم ينفع. وانظر نكدات الحظ هؤلاء اللائي تركزن مغزلهن والإبرة والمنسج ليصرن عرافات؛ يرمين بأذى من السحر بالرّسوم والعشب.

لكن تعال الآن، فهوذا قابيل يقف محملاً بأشواكه<sup>258</sup> على هذب نصفي الكرة لامساً البحر عند إشبيلية<sup>259</sup>.

مساء البارحة أصبح القمر بدرًا:

ينبغي أن تحفظ هذا في ذاكرتك، لأنه طالما أعانك في الغابة المظلمة.» هكذا كان يكلمني، فيما نسير.

## الأنشودة الحادية والعشرون

(الحلقة الثامنة، الدائرة الخامسة: المهريون والمرثون مغمسون في القطران الحارق ويطاردهم الشياطين بالخطايف. خاطئ من لوكا. فرجيليو يفاوض الشياطين. دانتي يشعر بالخوف. أكاذيب «الدنّب المؤذي»). دانتي وفرجيليو يصاحبهما الشياطين.)

هكذا، من جسرٍ إلى سواه، متحدثين عن أشياء أخرى

لا تعنى بأن تتغنى بها ملهاتي هذه،

كنا سائرين، وعندما بلغنا الدروة

توقّفنا لرؤية الهوة التالية لماليبولجي،

بمناحاتها الباطلة الجديدة،

ولقد ألفتها عجيبة الظلام.

وكما في مصنع السفن في البندقية،

حيث يغلي في الشتاء القطران الكثيف

لطلاء القوارب النخرة،

التي ما عادت قادرة على الملاحه،

وفي تلك الأثناء ينصرف هذا لترميم قاربه وذاك ليسدّ شقوق المراكب التي مخرت العباب طويلاً؛ هذا يُسمّر القيدومَ ويطرق المؤخّرَ واحدٌ سواه؛ ويصنع آخرون مجاديف ويضفر غيرهم حبلاً؛ واحدٌ يرتق الشراع الأوسط وآخر يرفو أكبر الأشرعة:

فهكذا، لا بفعل نارٍ بل بفنٍّ إلهيٍّ كان يغلي في الأسفل قطران سميك تتدبّق به الشيطان من كلّ جانب.

كنت أراه ولا أبصر فيه سوى الفقاعات المتصاعدة من الغليان؛ تنتفخ ثم تعاود السقوط منكمشة.

رُحْتُ أنعم النظر إلى أسفل فصاح بي مرشدي: - «حذار، حذار!» واجتذبتني إليه من حيث كنتُ.

فالتفتُ كالرجل الملهوف لرؤية الخطر الذي ينبغي أن يهرب منه والذي يُربكه خوفٌ مفاجئ، بيدَ أنه لا يؤخّر رحيله من أجل الرؤية؛ ورأيت وراءنا شيطاناً لونه أسود جاءنا راكضاً فوق الصخر.

آه كم كان مرآه رهيباً!

وكم بدا لي في حركاته شديد الوحشية، خفيفاً على قدميه فاردأ جناحيه!

كان يحمل على كتفيه الشامختين الناتنتين آثماً كان يثني رذقيه، وأمسك هو به من عصب القدمين.

صاح من فوق جسرنّا:

- «أيّها «المخلب الشرير»<sup>260</sup>، هوذا واحد من شيوخ القديسة زيتا<sup>261</sup>!



ألقه في القاع كي أمضي للبحث عن آخرين في هذه المدينة التي ملأها بأمثاله:

الكَلِّ فيها مرتشون، إلا بونتورو<sup>262</sup>؛ لاؤهم من أجل المال سرعان ما تنقلب إلى نَعَم. « وألقاه هناك أسفل، ثم استدار عبر ذلك الصخر الوعر؛ لم يُطلق يوماً كلبٌ أسرع منه في تعقبه لَصاً. فغطسَ هذا، ثم عاد إلى السطح مملوءاً قَدراً لكن الشياطين المحتممين بالجسر هتفوا:

- «الوجه المقدس ما له هنا من مكان!<sup>263</sup> ولا يُسبح هنا كما في نهر سيركيو<sup>264</sup>، فإذا كنت لا تريد أن تختبر حُطافاتنا، فلا تظهرنَّ على سطح القطران.» ثم همزوه بأكثر من مئة حُطاف وقالوا له: - «ينبغي أن ترقص هنا مغطى وإذا ما اقتدرت على الغش فلتفعل ذلك خفية.» لا يتصرف الطبّاخون بخلاف هذا إذ يأمرّون مُساعديهم بتغميس اللحم بالعُقافات وسط القدور كي لا يطفو.

قال أستاذي الطيب: - «حتى لا يتبين لأحد أنك هنا، فلتمض ولتجلس القُرُفصاء وراء صخرة تخفيك عنهم؛ ومهما كان الأذى الذي يمكن أن يلحق بي، فلا تخف؛ فأنا أعرف كيف تسير الأشياء، وسبق أن خضت مثل هذه المشادة.» ثم سار وتجاوز طرف الجسر، وعندما بلغ الشاطئ السادس، كان عليه أن يعرض جبهةً واثقة.

وبذلك الغضب والمرأى العاصف اللذين بهما تلاحق الكلاب مسكيناً توقّف ليسأل السبيل فجأة، أنبرى له أولئك الشياطين من تحت الجسر وصوبوا له خطاطيفهم كلّها.

ولكنه صاح بهم: - «ألا لا يك أحدكم غداراً! فقبل أن تخترقني خطافاتكم، ليتقدّم واحد منكم وليسمعني، واحكموا بعد ذلك إن كان ينبغي أن أظعن.» فصرخوا جميعاً: - «فليذهبنَّ إليه "الدّب

المؤذي"!»<sup>265</sup> فتحرك هذا ولزم رفاهه أماكنهم فجاء إليه هذا مردداً: - «أو يجديه ذلك نفعاً؟» فقال له أستاذي: - «أو تحسب أيها "الدّب المؤذي" أنني كنت سآتي إلى هنا آمناً هكذا من هجماتكم، من دون مشيئة إلهية ولا قدر مؤاتٍ؟ دعونا نمضي، فلقد فُضي من السماء أن أري أحداً هذا الدرب المرعب.» فانهار آنثذ صلف الشيطان هذا حتى سقط حُطافه عند قدميه وقال للآخرين: - «لا يلمسه أحد.» فقال لي مرشدي: - «يا من تجلس مقرفصاً وراء صخور الجسر تعال إليّ بهدوء الواثق.» فنهضت وذهبت إليه سريعاً؛ فتقدّم جميع الشياطين مني خطوة، فخشيت أن

ينقضوا عهدهم؛ هكذا رأيت بالأمس المشاة خائفين وقد أخلوا كاپرونا<sup>266</sup> بعهدٍ مقطوع، ورأوا أنفسهم محاطين بأعداء غفيرين.

ألصقتُ بمرشدي جسми كله وأنا لا أحيّد بنظري عن مرآهم الذي ما كان ليُبشّر بالخير. فخفضوا حُطافاتهم وقال كلٌّ لرفيقه:

- «أتريد أن أمسه على عجزه؟» وأجابوا: - «أجل، ينبغي أن يُعقّف من هذا الموضع.» بيد أن ذلك الشيطان الذي كان ما برج يتحدث إلى مرشدي سرعان ما استدار وقال: - «مهلاً، ألا مهلاً أيها

"الأشعث"!»<sup>267</sup> ثم قال لنا:

- «ليس يمكن التقدّم فوق هذا الصخر لأنّ الجسر السادس يستلقي في القاع محطّماً بكامله. ولكن

إن كنتما تريدان السير مع ذلك، فاذهباً محاذيين هذه الصخرة: جسر آخر، ليس بالبعيد، سيتيح لكما أن تمرّا. أمس، بعد ساعتنا هذه بخمس ساعات اكتمل ألف ومائتان وستة وستون عاماً<sup>268</sup> منذ أن تحطمت هذه الطريق.

سأرسل من هذه الناحية بعض رجالي لأرى إن كان هناك من يتنفس (فوق القطران)؛ اذهبوا معهم؛ لن يمسوكما بسوء أبداً.»

ثم بدأ: - «إلى الأمام أيها "الجناح الخفيض"<sup>269</sup> وأنت أيها "الملاح الأهوج"، وكذلك أنت أيها "الكلب الشرس"، وسيقود "ذو اللحية الشائكة" فصيلة العشرة.

وليذهب «الليباوي» أيضاً و«التنين الخبيث» و«برثن الكلب» و«الخنزير الكبير الثاين» و«القطرب» و«الأصهب» المجنون هذا.

فتشوا دائرين حول القطران المغلي كله، وليمض هذان -سالمين حتى الصخرة الأخرى المشرفة بلا ثلم على كافة الخنادق.»

فقلت أنا: - «وا أستاذاه، ما هذا الذي أرى؟ ألا فلنمض وحيدين من دون خفير؛ إن كنت تعرف الدرب، فأنا لا أرغب فيه. فلو كنت الآن منتبهاً كما على عادتك، أفلا تبصرهم يصرفون بالأسنان، وحواجبهم بالتهديد ملأى؟»

فقال لي: - «لا أريدك أن تفزع؛ دعهم يصرفون بأسنانهم ما شاؤوا، هم يفعلون ذلك بحق المغليين المساكين.» ثم اتجهوا للسير ناحية اليسار لكن كل واحدٍ أخرج أولاً لسانه عاصباً إياه في إشارة لقائدهم، في حين جعل هو من مؤخرته بوقاً.

## الأنشودة الثانية والعشرون

(الحلقة الثامنة، الدائرة الخامسة: المرتشون في القطران المغلي. فصيل الشياطين. جامبولو وآخرون. الاستخفاف بالشياطين.)

سبق أن رأيتُ الفرسان يطوون خيمهم،  
ويشنون غاراتٍ أو يستعرضون قواتهم،  
هاربين طمعاً بالنجاة أحياناً؛

270

سبق أن رأيتُ في أنحائك يا أهل أريترو  
طلائع العدائين ومهرجانات الفروسية،  
مبارزات الرجال أو عدوهم في الطرق،  
بالأبواق تارةً وبالأجراس طوراً،  
وبالطبول ونيران القلاع،  
بحسب طبائنا أو بأعراف الغير؛

لكن لم أر قط فرساناً ولا مشاةً يسيرون بنداى من هذا البوق العجيب، ولا سفينةً تُبحر بإشاراتٍ  
برية أو فلكية.  
ذهبنا صحبة الشياطين العشرة.

271

ويا لها رفقةً رهيبه! ولكن هو في الكنيسة يصحب المرء القديسين وفي الحانة أصحاب النهم .  
كنتُ منتبهاً إلى القطران وحده لأرى كل ما يحويه ذلك الخندق، ومن كانوا يحترقون وسطه.  
وكما تُطلق الدلافين إشارات للملاحين، بتقويسها ظهورها، ليحاولوا إنقاذ سفينتهم، فهكذا كان آثمٌ  
يكشف أحياناً عن ظهره ليخفف من ألمه، ثم يختفي في أقل من ومضة برق.  
وكما ترى على حواف بزكة إلى الضفادع رافعةً خطمها في الفضاء ومخفيةً قوائمها وسائر الجسم،  
فهكذا وقف الآثمون في كل جانب؛ لكن ما إن يقترب «ذو اللحية الشائكة» حتى يعاودوا الغطس  
تحت الغليان.

ورأيتُ - وما برح فؤادي من ذلك مرتجفاً - واحداً ينتظر، كما يحدث أن يمكث ضفدع ويغوص  
آخر، وإذا بـ«برثن الكلب»، وكان الأقرب إليه، يشبك خطافه في شعره اللزج ويجرّه إلى أعلى:  
فحسبتُ أنني أرى كليب ماء.

كنتُ أعرف أسماء جميع أولئك الشياطين:

فلقد حفظتها عندما اختيروا وأصغيتُ إليهم فيما يتحدثون:

- «يا أصهب، اعمل على أن تعقف خطافاتك في لحمه ولتسلخن جلدته!»، هكذا كان يصرخ بصوتٍ

واحدٍ أولئك الملاعين.

فقلتُ: - «فلتُحاولُ يا أستاذي أن تعرف، إن استطعت، من هو هذا البائس الذي سقط هكذا في قبضة أعدائه.» فدنا مرشدي منه، وسأله عن أصله، فأجاب:

272

- «إبني ولدتُ في مملكة نافارا .

جعلتني أمي خادماً لأحد الأسياد

وكانتُ ولدتني من فاسق مُتلفٍ لنفسه ولأمواله.

ثم صرتُ من خاصّة الملك الطيّب تيبالدو؛ وهناك بدأتُ بالارتشاء الذي أدفع الآن ثمنه في هذا الأتون.» فأتاهُ «الخنزير»، الذي خرجَ من كلا جانبيّ فيه نابا خنزيرٍ حقيقيّ، وأشعره كيف يقدر على تمزيقه نابٌ واحد.

الفأر أحاطتُ به قططٌ شريرة؛ ولكنّ «ذا اللحية الشائكة» طوّقه بذراعيه وقال: - «ابقوا حيثما أنتم بينما أعصره»، ثم التفتَ إلى أستاذي وقال له:

- «سله عن أشياء أخرى إذا كنتَ ترغب في معرفتها قبلَ أن يمزّقه الآخرون إرباً.» فقال له مرشدي:  
- «بين أولئك الأثمين أتعرف أحد اللاتين قابعاً تحت القطران؟

فأجاب ذاك: - «منذ قليلٍ فارقتُ واحداً كان لهم جاراً، ويا ليتني بقيتُ مطموراً قربَه فلن أخشى مخالِبَ ولا حُطافات.» فقال الليباويّ: - «ألا ما أكثر ما احتملنا!» وتلقّف ذراعَ الشّبح بكُلابه، حتّى مزّقه واقتطعَ منه مِرْقَة، ثم همّ «التنين الخبيث» بأن يعقف ساقيه، من ريلتيهما، لكنّ قائد العشرة أطلقَ من حوله نظراتٍ يملؤها التهديد.

وعندما هدأوا قليلاً، توجّه مرشدي من دون انتظار بالسؤال للرجل الذي كان ما يزال يتملّى جرحه.  
- «مَن هو هذا الذي تقول إنّك أخطأت بالرحيل عنه آتياً إلى هذا الشاطئ؟» فأجاب: - «إنّه

273

الزّاهب غوميتا ، من غالورا، مغلّ الارتشاء؛ كان أعداء سيّده صاروا في قبضته، فعاملهم بما جعل الكلبَ يمتدحونه.

أخذ منهم المال وأبقى عليهم أحراراً، كما يقول؛ وفي باقي أعبائه كان مرتشياً، لا صغيراً بل بين الكبار.

274

كان يتحدّث إليه السيّد ميكيل زانكي من لوغودورو، ومن الكلام عن سردينيا لا يكلّ لهما لسان.  
وا أسفاه، انظر ذلك الآخر الذي يصرّف بأسنانه؛ كنتُ سأطيل الكلام لولا أنّي أخشى من أن يهّم بانتزاع فروة رأسي.» وهتفَ قائدهم ب. «القطرب» الذي كان يدير عينيه ويتأهّب للطعن:

- «امضي من هنا أيّها الزّرزور الخبيث!» واستأنف المعذّب المملوء بعدُ فرعاً:

- «إن أردتما أن تريا أو تسمعا توسكانيين أو لومبارديين فسأتيكما بهم، لكنّ لتبتعدِ «المخالِب الشريّة» عني قليلاً، حتّى لا يخاف أصحابي من نعمتهم؛ وفيما أنا جالسٌ في مكاني هذا، سأستقدم، أنا الواحد، منهم سبعة بمجرد الصّفير، كما نفعَل في العادة، عندما يطلع خارج القطران واحدٌ منّا.» عندَ هذا الكلام رفع «الكلب الشرس» خطمه وهو يهزّ رأسه ويقول: - «فلتسمعوا المكر الذي فكّر فيه ليغطس إلى أسفل!» لكنّ الآخر الذي كان لا يعوزه الدّهاء:

أجاب: - «إنني بالفعل لشديد المكر إذ أجلب على رفاقي مزيداً من العذاب.» فلم يتمالك «الجنح الخفيض» نفسه وقال له معارضاً رفاقه:

- «إن أنت غطست فلن ألحق بك عدواً، بل بخفقة جناح واحدة سأكون فوق القطران. فلنترك المكان، وليكن الشاطئ ملاذك، فنرى إن كنت ستغلبنا وحدك.» أيها القارئ ستسمع هنا عن سباق لم تعرفه قبلاً:  
فقد التفت كلٌ بعينه إلى الجهة الأخرى وكان أولهم من يتهيب أكثر.  
فأحسن النافري انتهاز اللحظة:

وتشبث بالأرض بقوة ثم على حين غرة قفز وتحرر من خطتهم.  
فاكتأب العشرة من زلتهم، وخصوصاً ذلك الذي تسبب بالهفوة، فاندفع وهو يصرخ: - «إني للاحق بك!» لكن عبثاً: فالأجنحة هيهات أن تسبق الخوف: فغاص ذلك إلى الأسفل، ورفع هذا صدره في طيرانه:

ولا يتصرف البط البري بخلاف ذلك إذ يغوص للتو ما إن يقترب البازي فيعود الأخير للصعود حانقاً مهزوماً.

فلحقهما «الملاح الأهوج» بخفقة جناح، وقد أغاضه ذلك الفصل المؤلم، آملاً أن يفلت الآثم، ليُعارك رفيقه؛ وما إن اختفى المرتشي حتى وجّه «الملاح الأهوج» إلى رفيقه مخالبه، واشتبك الشيطانان فوق الخندق.

لكن الآخر كان باشقاً حاد العينين؛ يحذق الطعن بالمخلب، فتهاوى الاثنان سوياً في ذلك المستنقع الذي يفور.

وسرعان ما فصلت الحرارة بينهما؛ لكن عبثاً كانا يصطرعان من أجل النهوض لفرط ما كانت الأجنحة لزجة.

كان «ذو اللحية الشائكة» ورفاقه مكتئبين، فأرسل أربعة منهم إلى الشاطئ الآخر مع خطافاتهم كلها، وبفائق السرعة هبطوا على المكان من هنا ومن هناك، ومدوا خطاطيفهم للغرقين الاثنين في ذلك اللزج، اللذين كانا قد أنشويا تحت الجلد.

فتركناهم ملتبكين هكذا كلهم.

## الأنشودة الثالثة والعشرون

(الحلقة الثامنة، الدائرة السادسة: المنافقون يرتدون غفارات مذهبة ومبطنة بالزصاص. الشاعران يهربان إلى الخندق السادس. موكب المنافقين. الزاهبان السعيدان. عقوبة قيافا.)

وحيدين، صامتين، دون رفيق،  
مضينا سائرين، أحدنا إلى الأمام والثاني خلفه  
كما يسير الزهبان الفرانتشيسكان في الدروب.  
وأعادَ شجار الشياطين ذاك،

275 إلى خاطري حكاية إيزوب

التي تتكلم عن الضفدع والفأر؛

276 فكما لا تتشابه «بلى» و «نعم»

فهكذا لا تتشابه الحكایتان إذا ما نحن قارئاً

بفكرٍ نابه البدء منهنما والنهائية.

وكما تنبثق فكرة من أخرى،

فهكذا ولد من تفكيرٍ الأول تفكيرٍ سواه،

فضاعف ما كنتُ أشعر به من الخوف.

فجعلتُ أفكر: - «إن أولئك الشياطين قد خدعوا بسببٍ منا وأهينوا ولا أشك أنهم الآن منزعجون.

فإذا ما انضاف الغضب إلى سوء طويتهم، فسيلحقوننا بأكثر وحشية مما يفعل الكلب بالأرنب الذي هو قابضٌ عليه.» كنتُ أحسّ بجماع شعري واجفاً من الرعب، فتلبثتُ في الخلف منتبهاً:

وقلتُ: - «يا أستاذي، إن لم تفلح في إخفائنا أنا وأنتِ فإني لخائفٌ من الشياطين. إنهم يتعقبوننا؛

وأنا أسمعهم لفرط ما أتخيلهم فقال: - «لو كنتُ من الجام المطلي بالقصدير لما عكستُ صورتك

البرزانية بأسرع مما أستقبل الآن صورة روحك. ذلك أن سوانح أفكارك أتحدث بسوانح أفكارٍ وشابهتها حركةً ووجهاً، حتى لقد صنعتُ من هذه وتلك رسماً أوحد.

فإذا كان الشاطئ الأيمن يسيراً على النزول، بحيث نعب منه إلى الخندق الآخر، تفادينا المطاردة

المتخيلة.» لم يكن انتهى من عرض مشروعه هذا عندما رأيتهم مقبلين إلينا بأجنحة مفرودة، غير بعيدين عنّا، ليقبضوا علينا.

أخذني مرشدي بين ذراعيه فجأة، كما تفعل الأم عندما توظفها الضوضاء، وترى قربها السنة

النيران، فتنشل ابنها لتهرب من دون توقّف، مهمومةً به أكثر مما بنفسها هي، ولا يغطيها غير

قميص واحد؛ ثم من أعلى الشاطئ المنجرف انزلق على ظهره فوق تلك الصخور المنحدرة التي

تسد جانباً من الخندق التالي.

قَطُّ لم تَجْرِ مِياهُ عَبرَ قِناةٍ لَتُدِيرَ عَلى الأَرْضِ دِوالِيبَ طاحونَةَ، متعَجِّلَةً بِقَدْرِ اقْتِرابِها من أَضراسِها، بأَسْرَعٍ مِمَّا فَعَلَ أَسْتاذِي عَلى ذَلكِ الشَّاطِئِ حامِلاً إِيَّاي عَلى صَدْرِهِ، كما لو كُنْتُ ابْنَهُ لا رَفيقَهُ.  
وما إنْ لَامَسْتُ قَدَمَها أرضَ ذَلكِ المَنخَفَضِ حَتَّى صاروا يَعتَلونَ الدَّرِوةَ فِوقَنا؛ لَكنَّهُ ما عاد لِيخشى مَكرِوها؛ ذَلكَ أَنَّ عِنايةَ اللهِ الِتي وُضِعَتْهُم رِقباءَ عَلى الخَنَدِ الخامِسِ، حَرَمَتْهُم من القَدْرِ عَلى مُبارَحتِهِ.

هناك التقينا قوماً يعلوهم الظلاء يدورون حول المكان بخطى وثيدة، باكين، وعلى مرآهم الوهن والتعب.

كانوا يرتدون بُرداً ذات قلانس تنزلُ على العينين، مفصَّلةً على طرازِ ما يرتديه الرهبان في دير كلوني <sup>277</sup>.

من الخارج، هي مذهبة حتى لتبهز البصر ومن الداخل بُطنتُ برصاصٍ بالغ الثقل حتى لتبدو بُردُ فريديرك <sup>278</sup> إلى جانبها من القش.

يا له معطفاً ساحقاً إلى أبد الدهر!

ثم استدرنا معهم شمالاً، ملؤنا انتباه لمناحاتهم المملأى شجناً؛ ولكن أولئك البشر الرّازحين تحت الأثقال كانوا في السّير بطاءً حتى كُنّا نلتقي كلّمّا حَطونا خطوةً فصيلاً آخر.

فقلتُ لمرشدي: - «حبّذا لو عثرت على واحدٍ اسمه أو فعّاله معروفة، وأجلت فيما تسير بصرك حولك.» وإذا بأحدهم وقد سمعنا نتكلم بالتوسكانيّة يهتف من ورائنا: - «ألا مهلاً، يا مَنْ تعدوان هكذا في الجوّ المظلم!

ربّما وجدت يا صاحٍ ضالّتك عندي.» فالتفت مرشدي إليّ وخاطبني:

- «انتظره، ثمّ سرّ على إيقاع خطوه.»

فوقفتُ ورأيتُ اثنين كانا يبدوان مفعّمين بالرّغبة في مصاحبتي، ولكنّ يعوقهما الحِمل ووعورة الطّريق.

عندما وصلا راحا ينظران إليّ طويلاً، من طرف العين ومن دون أن ينبسا ببنت شفة، ثمّ التفت أحدهما للآخر وقالا فيما بينهما:

- «يبدو من حركة حنجرة هذا أنّه حيّ. وإذا كانا ميّتين فبأيّ امتيازٍ يسيران هكذا من دون أن يرتديا الثوبَ الثقيل؟» ثمّ قال:

- «أيّها التوسكانيّ الآتي إلى محفلِ المنافقين البائسين هذا، لا يُخجلُك أن تقول لنا مَنْ أنت.» فأجبتهما:

- «إنّني ولدتُ وترعرعت على ضفة الأرنو الجميل في تلك المدينة العظيمة، وأنا هنا بجسدي الذي كان لي دائماً.

ولكنّ مَنْ أنتما يا مَنْ يَظنّ على وجنتيكما هذا الألم كلّهُ؟

وأيّ عذابٍ يُحدث عليكما هذا الشّرر؟» فأجابني أحدهما:



- «هذه الأردية المذهّبة مصنوعة من الرصاص، وإنّها لمن الثقل بحيث تُحدث مفاصلها هذا الصّيرير.

كنا من "الزّهبان السّعداء" <sup>279</sup> في بولونيا؛ أنا أدعى كاتالانو وهذا اسمه لوديرينغو <sup>280</sup> ولقد اختارتنا مدينتك نحن الاثنين.

مع أنّ العُرف كان يقضي باختيار واحد ليحفظ السّلام فيها؛ ولقد أحسنّا التّدبير بحيث ما يزال أثر ذلك ملحوظاً حول غاردينيو. «فبدأتُ:

- «أيّها الرّاهبان، إنّ شروركما...» ولم أضف حرفاً لأنّ عينيّ اكتشفتنا معذباً صلباً على الأرض بثلاثة أوتاد.

رأني فتلوّى بجميع أعضاء جسمه، مُطلقاً في لحيته زفيراً ومنتهداً بقوة.

فانتبه الرّاهب كاتالانو إلى ذلك وقال لي:

- «هذا الرّجل المُسمّر <sup>281</sup> الذي تحدّق به هو من نصّح الفريسيّين بإرسال رجل واحدٍ إلى العذاب عن الشّعب كلّه. هو مطروحٌ كما ترى عارياً على قارعة الدّرب وعليه أنّ يُحسّ كلّما مرّ عابراً كم يزنُ فوقه. يتلقّى صهره <sup>282</sup> العذاب ذاته في هذا الخندق صحبةً باقي أعضاء المجمع الذي كان لليهود

بذرة الشّقاء.» فرأيتُ فرجيليو دهشاً <sup>283</sup> أمام ذلك الرّجل المصلوب بمثل هذه الزّراية في منفاه الأبديّ.

ثمّ خاطب الرّاهب وقال له:

- «ألا يسوؤك وهل مباحٌ لك أن تخبرنا إنّ كان عن يميننا من ثغرة نقدر أن نبرح كلينا منها هذا

المكان، من دون أن نضطرّ الملائكة السّود <sup>284</sup> إلى انتشالنا من هذه الهاوية؟» فأجاب ذلك: - «بأقرب ممّا تتصوّر تطلع من الدّائرة الكبرى صخرة تمتدّ فوق جميع أودية العذاب.

سوى أنّها مهدومة في هذا الخندق ولا تغطّيه.

يمكن أن ترتقيا فوق الحطام الذي يعلو من القاع منحدر الجانِب.

فبقيّ مرشدي مطأطئاً رأسه للحظة، ثمّ قال:

- «لم يرو علينا إلّا زيفاً ذلك الذي يعقف الأثمين في الجانِب الآخر.»

فقال الرّاهب: - «كنتُ سمعتُ في بولونيا أنّ للشّيطان رذائل جمّة منها أنّه كاذبٌ، بل هو أبو الأكاذيب طرّاً.» على هذا الكلام سار مرشدي بخطى جبّارة، وقد عكّر الغضب بعض الشّيء محيّا، وغادرتُ أنا أولئك الرّازحين تحت الأثقال، مقتفياً أثر قدميه الغاليتين.



## الأنشودة الرابعة والعشرون

(الحلقة الثامنة، الخندق السابع: اللصوص. سارقو الروحانيات تلدغهم الأفاعي فيسقطون رماداً ثم يستعيدون هياتهم البشرية. اضطراب دانتي. المرقى الصعب. خندق السراق. قاني فوتشي.)

في هذه الفترة من مطلع السنة،

عندما تغمس الشمس شعرها في برج الدلو،

ويلتهم الليل نصف النهار،

وعندما يرسم الصقيع على الأرض،

285

صورة شقيقه البالغ البياض

سوى أن آثار ريشته لا تبقى طويلاً،

ينهض الفلاح الذي أعوزَه كلاً القطعان،

وينظر فيرى الرّيف كلّهُ متّشحاً بالبياض،

فيضرب فخذه، ويعود إلى بيته ليندب في الأركان حظّه، كمثّل بائسٍ ما عاد ليديري ما يفعل؛ ثمّ يعاود الخروج ويسترجع أمله، فيري إلى العالم وقد تغيّر مرآه في بضع ساعاتٍ، فيمسك بعصاه ويخرج إلى المرعى بنعاجه؛ فهكذا ملأني أستاذي بالخشية عندما رأيتُ جبينه مضطرباً، لكنه سرعان ما وضع بلسمه على الجرح:

فعندما بلغنا الجسر المتهدّم، التفت إليّ بذلك الملمح الرقيق الذي رأيتُه عليه من قبل في أسفل الجبل.

وفتح ذراعيه وكان قبل ذلك قد شاور نفسه وتفحص الحطام ملياً، وأمسك بي.

وكمثّل من يعمل ويفكر، ويبدو على الدوام متدّبراً الأمر سلفاً، وبيننا يحملني إلى أعلى صخرة كبيرة نظرتُ إلى صخرة أخرى وقال لي:

- «تمسك جيداً بتلك، لكن جرب أولاً إن كانت تحتملك.» ما كانت تلك طريقاً للاسي البُرْد، فبالغ الصعوبة استطعنا، هو الخفيف وأنا المدفوع إلى أعلى دفعا، أن نصعد من نتوء صخريّ إلى آخر. ولو لم يكن المرتقى من هذه الناحية أقصر منه في الناحية الأخرى، فلا أدري ما كان سيحدث له، أمّا أنا فلكننتُ هلكتُ.

لكن لأنّ ماليبولجي تميل بكاملها صوب فوهة البئر السفلى تلك، بحيث يكون من تركيب كلّ وادٍ أن يسمّق أحد جانبيه فيما ينخفض الآخر، فإننا بلغنا أخيراً الدروة التي تبرز عندها آخر صخرة.

عندما صرّ في الأعلى كان نفسي في الرئتين مجهداً حتّى لم أستطع الذهاب أبعد، فجلستُ عند أول وصولي.

فقال لي أستاذي: - «ينبغي من الآن أن تطرد عنك الكسل فما بالجلوس على الرياش ولا تحت

الأغطية، تُدرك المجد يوماً. ومَنْ أنفق حياته بدون مجدٍ خَلْفَ على الأرض أثراً كأثر الدخان في الهواء أو الزَّبْدَ على الماء. فلتُفِقْ ولتقهزْ وساوسك بالفكر الذي يُغْنم في جميع المعارك، ما لم تزعزعه وطأة جسده. ينبغي أن نسلك الآن مَرْقِ أطول <sup>286</sup>؛ فلا يكفي أننا رحلنا عن الشياطين.

وإذا كنت تسمعي، فليكن ذلك لك درساً.»

فنهضتُ وأبنتُ عن نفسي أقوى مما كنتُ أشعر به:

وقلتُ له: - «هيا، إنني لشجاعٌ وقوي.» وسلكننا على ذلك الجسر الدرب الذي كان ضيقاً ووعراً وعسيراً وأكثر انحداراً من الدرب السابق.

كنتُ أمشي متكلماً كي لا أبدو وهناً؛ وإذا بصوت يتعالى من الخندق الآخر دون أن يفلح في تكوين كلمات؛ لا أدري ما كان يقول مع أنني كنتُ أعطي ذروة الجسر الذي يجتاز الهوة؛ لكن المتكلم بدأ كمن يغدو.

فانحنيتُ، لكن عيني إنسانٍ حي لا تريان في القاع خللَ الظلمة؛ فقلتُ:

- «يا أستاذي حبذا لو ذهبت إلى السور الصخري الآخر ولنهبط عن هذا الجدار؛ فكما أسمع هنا ولا أفهم، فإنني أرى في الأسفل ولا أتبين أي شيء.» فأجاب:

- «لن آتيك على هذا بجواب غير الفعل؛ لأن سؤالاً عدلاً ينبغي أن يردّ عليه عملٌ من دون خطاب.» فزلنا ذلك الجسر من أقصاه، حيثما يلتحم بالشاطئ الثامن، فانكشفت لي الخندق بأكمله: رأيتُ فيه أكداساً مخيفة من أفاعٍ في أصنافٍ هي من الغرابة بحيث ما تزال ذكرها تثلج دماي.

ألا لا تفخرن ليبياً برمالها؛ فلئن كان يولد فيها ثعابين مدخنةً وأخرى قفازة <sup>287</sup> أو حقارة أو رقطاء وكذلك أفاعين، فهي ما تمخضت قط عن مثل هذه الأفاعي ذات حُبث الطاعون، لا هي ولا أثيوبيا لا ولا الصحراء المجاورة للبحر الأحمر.

وبين ذلك العجيج المشؤوم القاسي كان يركض قومٌ عراةً فزعون،

لا أمل لديهم بملجأٍ ولا بعباد شمس <sup>288</sup>:

أوثقتُ أفاعٍ إلى الورا أيديهم، وأنشبتُ في أعجازهم رؤوسها وأذناها وتجمعتُ في الأمام في عُقدٍ كثيرة.

وعلى حين غرة انقضت أفعى على معدبٍ قريبٍ منّا واخترقته في الموضع الذي يلتحم فيه العنق بالكتفين.

وبأقلّ مما يلزم من الوقت لكتابة «واو» أو «ياء» التهب واحترق، ثم خرّ بكامله رماداً؛ وبعد تداعيه هكذا على الأرض، تجمّع من تلقاء نفسه الرماد، واستعاد للتوّ شكله الذي كان له من قبل.

هكذا يقول كبار الحكماء إنّ العنقاء تموت ثم تنبعث، عندما تقرب من الخمسمائة سنة؛ لا تأكل في حياتها قمحاً ولا عشباً، بل تغتذي من دموع البان والهال، ومن المرّ والتاردين قماطها الأخير.

وكمثل من يسقط لا يدري كيف، بقوّة شيطانٍ يجذبه إلى الأرض، أو بفعلٍ داءٍ يشلّ الإنسان،

وعندما ينهض يتطلّع حوله، زائغ البصر من القلق الأعظم الذي عانى منه، ويتنهد فيما ينظر، هكذا كان الآثم إذ عاود النهوض.

ألا ما أفساك أيتها القوّة الإلهيّة عندما توجّهين انتقامك في ضربات كهذه! سأله مرشدي مَنْ كَانَ فَأجاب:

- «منذ عهدٍ غير بعيدٍ سقطتُ من توسكانياً في حلق الوادي الرّهب هذا. لمّا كنتُ بغلاً فأنا أحببتُ حياة البهائم لا حياة بني الإنسان. إيّ المتوحّش فاني فوتشي<sup>289</sup>؛ كانت پستويا حجريّ الذي يليق.» فقلتُ لمرشدي:

- «قلْ له ألاّ ينصرف، وسلّه أيّ خطيئة ألقث به في هذا المكان، فلقد أبصرته بالأمس رجلَ عنفٍ ودماء.»

فلم يتظاهر الآثم الذي سمعني بعدم الفهم، بل اشرابّ نحوي بروحه ومحياّه الذي ارتسم عليه شعورٌ بالخزي أليم؛ وقال لي: - «إني لأتعدّب من مفاجأتك إياي في هذا البؤس، أكثر ممّا عندما سلّبتُ الحياة الأخرى. لا أقدر أن أرفض ما تسألني:

وُضعتُ هنا في الأسفل لأنني نهبْتُ ما حوتّه الكنيسة من تحفٍ جميلة، وأتّهمّ سواي باطلاً بالسرقّة فيما بعد.

ولكنّ حتّى لا تتمتّع بمراي هذا، إذا ما حدثت وخرجت من هذه الأماكن المظلمة، فلتفتخ أذنيك لما به أنبوؤك ولتسمعي:

ستخلو پستويا من السّود بدءاً<sup>290</sup>، ثمّ تجدد فلورنسة قوانينها وشعبها، ومن وادي ماغرا سيجتذب مارس صاعقةً مطويّةً في سحائبٍ معتكرة؛ وفي مجرى عاصفةٍ هوجاءٍ شديدة، ستقوم معركةٌ على أرض پيتشينو؛ فتمزّق الصّاعقة الغمام على حين غرّة، بحيث ينال الجمام البيض عن آخرهم. قلتُ لك هذا ليشتدّ عاصفاً بك الألم!».

## الأنشودة الخامسة والعشرون

(الحلقة الثامنة، الخندق السّابع: اللّصوص ممسوخون إلى أفاع. تجديف فاني فوتشي وعقابه. تقريع بشتويا. القنطروس كاكوس. لصوص فلورنسة وأنمساخهم.)  
عندما فرغ اللصّ من الكلام،

رفع يديه على هيئة ورقة تين <sup>291</sup>،

وهتف: - «خذهِ يا ربّ، لكّ هذا!»

منذ ذلك الحين صرّت أمحض الأفاعي صداقتي

لأنّ إحداها التقت حول عنقه وكأنّ لسان حالها يقول:

- «لا أريد أن تتكلم المزيد!»؛ وأحاطتْ أخرى بذراعيه وأنعدت حول نفسها من الأمام بقوة حتى ما عادَ يَسْتَطيعُ حراكاً.

ألا تَبّاً لك يا بشتويا، يا بشتويا، لم يا ترى لا تقرّرين أن تسقطي رماداً ولم لا تختفين، ما دمتِ فقت في الشرّ جميع أسلافك؟

في كلّ الحلقات المظلمة للجحيم، لم أر روحاً متعاليةً هكذا على الله، ولا حتى ذلك الذي هوى من أسوار طيبة <sup>292</sup>.

ثمّ لاذ بأذيال الفرار من دون أن ينبس ببنت شفة؛ فرأيت قنطروساً يمطر هناك غضباً يجيء هاتفاً:

- «أين هو؟ أين ذلك الوقح؟ لا أحسب أن ماريمّا <sup>293</sup> عرفتْ ثعابين بقدر هذه التي كان يحملها على ظهره، إلى حيث يبدأ محيّا الانسان. وعلى امتداد كتفيه وعلبائه، كان يحمل تئيباً فاردأً جناحيه، يلفح بالنار كلّ من يلاقه.»

قال أستاذي: - «هوذا كاكوس <sup>294</sup>، الذي طالما أجرى تحت صخرة من أفنتينو، ذلك الجبل العتيق، بحيراتٍ من الدم.

لا يسير مع رفاقه في نهج واحد لسرقية قام بها ببالغ المكر من قطع كبير كان منه قريباً؛ فكفّ عن فعالة الشائنة في تلك اللحظة تحت هراوة هرقل الذي ربّما سدّد له مائة ضربة لم يحسّ هو إلّا

بعشرٍ منها <sup>295</sup>. «وبينا يتكلم هكذا اختفى القنطروس، وطلعت من تحتنا ثلاثة أشباح <sup>296</sup> لم نكن لا أنا ولا أستاذي أبصرناها من قبل، حتى صاحت بنا:

- «من أنتما؟» فتوقّفنا بذلك عن الحديث، ولم يعد انتباهنا محصوراً إلّا بها.

ما كنت لأعرف أحداً منها، ولكن حدث كما يحدث بالصدفة بعض الأحيان، أن نطق أحدها باسم

آخر قائلاً: - «أين بقي تشانفا؟» <sup>297</sup> آنئذٍ، حتى يصغي إليه أستاذي، رفعتُ إصبعي بين الذّقن

والأنف.

فلئن أبطأت يا قارئ في تصديق ما سأقول، فما في هذا من مدهش، لأنني، أنا نفسي الذي رأيته، لا أكاد أصدق ذلك.

فبيننا أمعن النظر إلى الأرواح الثلاث، هي ذي أفعى بست أقدام، تثب وتلتحم بكامل جسمها بالروح الأولى.

بقدميها الوسطيين أمسكت بطنه وبالأماميتين أحاطت ذراعيه، ثم غرست أنيابها في خديه. ثم أطبقت على فخذه قدميها الخلفيتين، ومررت ذنبها بين الاثنتين، ونشبت من الخلف في الكليتين.

لم يعانق لبلاب شجرةً بمثل هذا القرب كما لف ذلك الوحش المُفزع أعضاءه حول أعضاء الكائن الآخر؛ ثم تلاصقا كما لو كانا من شمعٍ ساخنٍ وامتزجت ألوانهما؛ فلا الواحد ولا الآخر باتا يبدوان كما كانا قبلاً:

مثلما يتقدم مدفوعاً بالحرارة على شفا الورقة لونها داكن، لم يكن صار بعد أسود، في حين يكون اختفى كلّ بياض.

فنظر إليه الآخران وصرخا:

- «أواه يا أنيلو، كيف تتغير <sup>298</sup> ! إنك لم تعد واحداً ولا اثنين!»

لم يعد الرأسان ليشكلا إلا رأساً وإذا بوجهين مختلطين يظهران في وجه واحدٍ تشوش فيه كلا الوجهين.

ومن الأطراف الأربعة تكوّن ذراعان، وانقلب الفخذان والساقان والبطن والصدر إلى أعضاء لم تُر من قبل قط.

كلّ هيئة سابقةٍ تلاشت وبدت الصورة المسيح اثنتين وعدمًا، وعلى هذه الشاكلة ابتعدت بخطوٍ مُبطئ.

وكما تبدو العظاية التي يجلدتها القيظ في أيام الصهد والتي تنتقل من سياج عوسج إلى سواه، شبيهةً بوميض البرق عندما تعبر الطريق، فهكذا بدت أفعى صغيرةً غاضبةً وهي تزحف إلى بطني

الآخرين <sup>299</sup> ، سوداء وكابية اللون كحبة فلفل.

وفي ذلك الموضع من الجسم الذي نتلقى منه الغذاء لأول مرة <sup>300</sup> ، لدعت واحداً منهما ثم خرت أمامه إلى أسفل.

نظر إليها الملدوغ ولم ينبس ببنت شفة بل بدأ يتثاءب راسخ القدمين على الأرض، كمثّل من يُداهمه التّعاس أو الحمى.

نظر إلى الوحش ونظر هذا إليه؛ ثم أخرج الواحد من فيه والثاني من جرحه دخاناً كثيفاً فامتزج دخانٌ بدخان.

فليصمت الآن لوكانوس<sup>301</sup> إذ يتكلم عن المسكين سابيلوس وعن ناسيديوس، وليصغين إلى ما سينطلق من كنانتي أنا.

وليصمتن أوفيديوس إذ يستحضر أريتوزا وقدموس<sup>302</sup>، فلئن كان في شعره حوّل تلك إلى نبع، وهذا إلى أفعى فأنا لا أحسده؛ فهو لم يمسح قط طبيعتين متواجهتين بحيث تقدر كل من الهياتين أن تُبادل الأخرى مادتها.

تواصل الاثنان بمقتضى ترتيب جعل الأفعى تشطر ذنبها إلى شوكتين والجريخ يضمّ كلا قدميه. والتحم الساقان والفخذان عضواً بسواه هكذا بحيث في بضع هنيهات لم يعد الالتحام بادياً عبر أية علامة.

والذنب المشقوق راح هنا يتخذ الصورة التي صارت مفقودة هناك؛ وعلى حين لأن جلده، كان جلد رديفه ذاك يتصلب.

ورأيت الذراعين تدخلان في الإبطين، وقدمي الوحش، وكانتا قصيرتين، تستطيلان بقدر ما تتقلص ذراعه.

ثم اندمجت القدمان الخلفيتان وصارتا ذلك العضو الذي يخفيه الرجال؛ ثم من عضو الآخر البائس طلعت قدمان.

وفيما كان الدخان يلون الاثنتين بمسحة جديدة، جاعلاً الشعر ينمو على جلد الواحد، ناتفاً إياه من جلد الآخر، نهض واحد وسقط الثاني على الأرض، من دون أن يحرفا نظراتهما الملعونة التي كان خطم كل منهما يتبدل بمراى منها.

واجتذب من كان قائماً خطمه إلى صدغيه ومن المادة المتجمعة هناك طلعت له أذنان من خديه المنفرشين، والفائض الذي لم يذهب إلى الخلف، صنع للوجه أنفاً وانتفخت الشفتان بالحجم المطلوب.

ومن بقي مستلقياً دفع بخطمه إلى الأمام وسحب إلى رأسه أذنيه، كما يفعل القوقع بالقرنين؛ واللسان الذي كان من قبل واحداً ومقتدراً على الكلام انشطر اثنتين ولدى الآخر إلتام ذلك اللسان المنفلق، وتوقف الدخان.

وإذا بالروح التي مسخت وحشاً تهرب وهي تصفر عبر الوادي، والآخر يبصق من ورائه فيما يتكلم. ثم أدار له ظهره الجديد وقال لرفيقه:

- «أريد أن يركض بووزو على أربعة أطراف كما فعلت أنا في هذه الطريق.»

هكذا رأيت حمل الخندق السابع ذاك وهو يتبدل ويمسح؛ ولتكن غرابه ما شاهدت عذري إذا ما شط بيدي اليراع قليلاً.

لكن مهما كان من اضطراب عيني ومهما يكن ما أصابني من قنوط، فهما لم يقدرا على الهرب

مموهين بحيث لا أتبين يوتشو تشانكاتو<sup>303</sup>:

بين الرفاق الثلاثة الذين جاؤوا مجتمعين، كان هو الوحيد الذي لم يمسح. والآخر هو من تبكيته يا



## الأنشودة السادسة والعشرون

(الحلقة الثامنة، الخندق الثامن: ناصحو الكذب ملفوفون بالنيران. تقريع فلورنسة. المعذبون تكسوهم النار. ملاقاتة عوليس. عوليس يسرد حكاية رحلته الأخيرة وموته.)

أنعمي يا فلورنسة، ما دمت مشهودة العظمة  
حتى ليخفق جناحاك على اليابسة والبحر،  
وما دام اسمك منتشرًا عبر الجحيم!  
رأيتُ بين اللصوص خمسةً من أعيانك،  
وهذا ما يُشعرنِي بالخزي  
وما لن تجني منه أنتِ شرفًا كبيرًا.  
لكن إن كان الحلم ينطق عند الصّباح بالصدق،  
فستعرفين عمّا قريب

305  
ما ترجوه لك يراتو وآخرون لا أذكرهم.  
وإذا كان هذا الأذى وقع من قبلُ فلقد أذف موعده،  
فليقعنّ ما دام وقوعه محتومًا،  
فبقدر ما أشيخ يزداد منه ألمي.

إنطلقنا، وعلى تلك الدّرجات التي هيأها لنا الصّخر عندما نزلنا، جرّني أستاذي إليه وجعلني أرقى.  
وبينا نسير في تلك الطّريق المنعزلة بين ناتيء الحجارة وصخور الجسر لم تكن القدم لتخطو لولا  
معونة اليدين.

فتألّمتُ وإلى الآن ما برحتُ أتألّم إذ يعود بي خاطري إلى ما أبصرتُ، فأكبج جماح فكري أكثر ممّا  
اعتدتُ أن أفعل، حتى لا يواصل العدو من دون حماية الفضيلة، ولكي لا أكره نفسي إذا ما سنحت  
لي من أحد الكواكب أو من عناية الله هبةً ما.

وكما يستريح على الرّابية الفلّاح، في الوقت الذي يعرض فيه علينا مشعلُ الكون وجهه ولا يخفيه  
زمنًا أطول، فيرى، في السّاعة التي تُخلي فيها الذّبابه مكانها للبعوض، يراعاتِ حقولٍ في عرض  
الوادي حيثُ يحرث النهار كلّه ويقطف الكروم<sup>306</sup>؛ فهكذا كان ذلك الخندق الثامن مضاءً بكلّ هذه  
الشّعل التي أبصرتها ما إن وصلتُ حيثما يتبيّن القاع.

307  
وكما رأى ذلك الذي انتقمّت له الدّببة<sup>307</sup> عربةً إيليا في انطلاقها والجياذ وهي ترقى باستقامة في  
السّماء، حتى لم يقدر، إذ تبعها بعينيه، أن يبصر سوى الشّعلة وهي تعلو كسحابةٍ صغيرة:  
فهكذا كانت تلك النيران تسعى في جوفِ الهاوية، لا واحدةً لتكشف عمّا غنّمت، وفي جوف كلّ



واحدةٍ منها كان آثم.

كنتُ، كي أحسن التَّنَظْرَ، اعتليتُ الدَّرْوَةَ، ولو آتِي لم أتشبَّثْ بالصَّخْرَةِ بقوَّةٍ لكنْتُ هويْتُ ولَمَّا أدْفَعْ.  
ولمَّا رأني مرشدي متطلِّعًا بانتباه قال لي:

- «إنَّ الأرواحَ قابعة في هذه النَّيرانِ، فهي تتدبَّر بما يُحرقها.» فأجبتُه:

- «أستاذي، عندما أسمعكَ قائلاً ما تقول فأنا أزداد يقينًا؛ بيدَ آتني سبقَ أنْ لاحظتُ ذلك وكان في نيتي أن أسألك:

ما هي هذه النَّارِ المفلوقة في أعلاها فكأنَّها طالعة من المحرقة التي وُضع فيها إثيوكلِيس وشقيقه؟»<sup>308</sup> فأجابني:

- «فيها يُعدَّب عوليس وديوميد<sup>309</sup>؛ وهكذا معًا يذهبان إلى العقاب كما كانا يسيران معًا إلى

الغضب<sup>310</sup>؛ داخلَ الشَّعلة تراهما يبكيان لحيلةِ الحصان الذي صنعَ الثَّغرة التي منها خرجتْ بذرة الرُّومان النبيلة.

يبكيان للحيلة التي جعلتْ أن ديداميا ما تزال تراثي أخيل وهي ميتة، وكانت أمه ثيتيس قد أخفَّته في البدء لدى ملك سيروس، فعشقتَه ابنة الأخير، ديداميا، وتزوَّجا.

وستموت ديداميا كمداً بعد مصرع أخيل في طروادة.

ويكفِّران عن سرقة يالاديوم.» فقلتُ له:

- «إنَّ كانا يقدران على الكلام وسط النَّيرانِ يا أستاذي فأنا أرجوك وأعيد الرِّجاء - رجاءً يعادل ألفًا - ألا تمنعني من أن أنتظر هنا أن تقترب منَّا الشَّعلة المنفلقة؛ أفما ترى كم تدفعني إليها الرِّغبة.» فأجابني:

- «إنَّ رجاءك لَجدير بوافر الثَّناء، وآيُّ لأقبله؛ ولكنْ حذار من أن يغلبكَ لسانك. دعني أتكلِّم، فلقد أدركتُ ما تريد؛ ولأنَّهما كانا يونانيَّين فهما قد يزدريان كلماتك<sup>311</sup>.»

ثمَّ عندما وصلتِ الشَّعلة إلى حيثُ بدأ الوقت والمكان لمُرشدي مؤاتين، سمعته يتكلَّم كما يأتي:

- «أيُّها الإثنان في بطن شعلهٍ واحدة، إنَّ كنتُ نلتُ في حياتي استحقاءً عندكما، أو كان لي فضلٌ يقلُّ أو يزيد، عندما كتبتُ في الدُّنيا أبياتي الرِّفيعه، فلا تتحرَّكا، وليقلُّ لي واحد منكما أين ذهبَ ليموت بعدما خسَرَ نفسه.» فجعلَ الفرع الأعلى من تلك الشَّعلة العريقة يرتجف وهو يهمس، كما يفعل مشعل تُوْرِّقه الريح.

وبينا يُحرِّك ذروته من جهة إلى أخرى، كمثُل لسان يتحدث، أطلقَ صوتًا وأنشأ يقول:

- «عندما رحلتُ عن سيرسي<sup>312</sup> التي احتجزتني أكثر من سنةٍ هناك قربَ غاييتا<sup>313</sup>، قبل أن يهبها إنياس هذا الاسم، فلا رقةً ابني ولا الرِّافة تُجاه أبي الشَّيخ، ولا الحبِّ الواجب، الذي كان ينبغي أن يهب ينلوب السَّعادة، قدروا أن يغلبوا فيَّ حماستي لأنَّ أصيرَ خيرًا بالدُّنيا ومساوىء البشر وفضائلهم؛ فركبتُ البحرَ العميق المفتوح، وحيدًا إلا من سفينةٍ ومن الرِّمَّة النَّادرة التي لم تهجرني

أبدًا.

فرأيتُ الشاطئين حتى إسبانيا، والمغرب وجزيرة سردينيا، والجزر الأخرى التي يغسل ما يحيطها البحر.

كنا أنا ورفاقي أصبحنا بطاءً وشائخين عندما بلغنا ذلك الممرّ الضيق الذي ترك هرقل<sup>314</sup> عنده علامته، حتى لا يذهب الإنسان أبعد:

وتركتُ عن يميني إشبيلية، وعن الشمال كنتُ تجاوزتُ سبتة.

قلتُ لهم: - «إخوتي يا مَنْ بلغتمُ الغربَ باجتياز آلاف المخاطر، ألا لا تحرموا هذه البُقيا من اليقظة الباقية لحواسنا من اختبار ذلك العالم غير المسكون والذي تدركونه باتباعكم الشمس. تأملوا ما كانه بذاركم الأول:

إنكم ما خُلقتُم للعيش مثل البهائم بل لابتغاء الفضيلة والمعرفة.» بهذا الخطاب الموجز حمستُ رفاقي لمواصلة الإبحار حتى لم أعد بعد قادرًا على أن أكبحهم؛ وأدزنا جوؤ سفينتنا ناحية الشرق، وجعلنا من مجاذيفنا أجنحة لذلك الطيران المجنون، ماخرين إلى اليسار دومًا.

كان الليل يتأمل جميع نجوم القطب الآخر، وكان قطبنا من الهبوط بحيث ما كان ليفارق صفحة الماء.

خمس مَرّاتٍ أضاء النور وبقدرها أظلم منذ أن كنا في رحلتنا الرهيبة تلك.

عندما لاح لنا على البعد جبلٌ داكن<sup>315</sup> بدا لي شاهقَ العلو حتى لم أر له من قبلٍ مثيلًا.

فَعَشَانَا فرحٌ سرعان ما انقلب نواحا فَمِن الأرض أقبلت عاصفة وصريرت مُقدّم سفينتنا، جعلتها تدور والمياه ثلاث مَرّاتٍ؛ وفي الرابعة رفعت الجوّجُو عاليًا في الهواء، وأغرقت المُقدّم كما شاءه

الآخر<sup>316</sup> ، هكذا حتى انطبق علينا البحر.»

## الأنشودة السابعة والعشرون

(الحلقة الثامنة، الدائرة الثامنة: ناصحو الكذب. غويدو دا مونفلترو. دولة روما. إهداء غويدو دا ونفلترو. دور بونيفاتشو الثامن. الشيطان المنطقي.)

بإذنٍ من الشاعر الحبيب،  
راحت الشعلة تبتعد عنّا  
مستقيمةً وهادئةً وبلا مزيدٍ من الكلام،  
وإذا بشعلة ثانية تأتي وراءها،  
وتجتذب نظرنا إلى ذروتها  
بالصوت المشوّش الصادر عنها.

وكمثل ذلك الثور الصَّقْلِيّ<sup>317</sup> الذي خارَ في البدء،  
وكان ذلك من العدل، بنواحٍ  
مَنْ سَوَاهِ بِمُبرِّده هو نفسه،  
ثمّ راح ينوح بصوت المعذّبين حتّى ليبدو،  
على كونه مصنوعًا من النحاس،  
مطعونًا بالألم كلّهُ؛

فهكذا، إذ لم تجدِ الكلمات الحزينة في البدء مُنفذًا لها عبرَ النيران، ولا مخرجًا، انقلبت هسيسَ نار؛  
ثمّ ما إن وجدتُ لها مُسرّيًا في طرف الشعلة وأحدثتُ فيها تلك الهزّات التي أحدثتها فيها لدى  
مرورها اللسان، حتّى سمعناها تقول:

- «أنت يا مَنْ يتوجّه إليه صوتي، ويا مَنْ تكلمت باللمبارديّة منذ قليل، قائلاً: - «امض، لا أسألك  
المزيد»، مع أنّي ربّما جنّ متأخّرًا، فلترضَ بالبقاء لتكلمني: أفما تراني أقبل بذلك، أنا الذي يحترق!  
فإذا كنت هبطت الآن في العالم الأعمى هذا، آتيا من الأرض اللاتينية الحبيبة، التي أتيتُ منها بكاملِ

خطيئتي، فقلْ لي أرومانيا<sup>318</sup> في حربٍ أم في سلام، فأنا منحدرٌ من تلك الجبال الواقعة بين أوريينو  
والقمة التي ينحدر منها التبير.» كنتُ أصغي إليه منحنيًا وإلى الأسفل منتبهًا وإذا بمرشدي يلمس  
ذراعي ويقول لي: - «لتكلمه، إنّه لاتيني»<sup>319</sup>.

فتكلمتُ بلا إبطاء أنا الذي كانت الإجابة متأهبةً عندي:

- «يا روحًا أخفيتُ هناك، لم يكن بلدك رومانيا ولن يكون أبدًا بلا حربٍ تتسعر في أفئدة طغاته؛  
ولكن لم أتركه في قتالٍ مُعلن؛ رافنا هي كما كانت عليه منذ سنواتٍ كثار:

يُطبق عليها نَسْر يولنتا <sup>320</sup> حتى لِيغْطِي تشيرفيا بجناحيه.

والأرض <sup>321</sup> التي عرفتْ بالأمس محنة طويلة ومن الفرنسيّ صنعتْ مضغَةً دامية ما تزال تترزح تحت البرائن الخُضر.

والدّرواس العجوز في فيرّوكو <sup>322</sup> والدّرواس الجديد <sup>323</sup> اللذان أذاقا مونتانيا <sup>324</sup> سوّم العذاب، يمزّقان فريستهما <sup>325</sup> كما اعتادا أن يفعلا.

ومدينتا لاموني وسانتيرنو يحكمهما الشّبل الأبيضُ العرين <sup>326</sup> ، والذي يغيّر حزبه بين الشّتاء والصّيف.

والأرض التي يغسل السافيو جنباتها <sup>327</sup> ، مثلما هي واقعة بين الجبل والسّهل، ما برحت تعيش بين الطغيان والحرية.

والآن أرجوك أن تقول لي من أنت:

ولا تكن أقسى علينا من الآخرين، وليدم اسمك على الأرض طويلاً. «وبعدما زمجرت الشّعلة قليلاً كما تفعل، محرّكةً عُرفها ذات اليمين وذات الشّمال، أطلقتْ نحونا هذه الأنفاس:

- «لو كنتُ أعتقد أنّ إجابتي تتوجه إلى شخصٍ سيعود إلى الأرض، لتوقّفتْ هذه الشّعلة عن الحراك توّاً؛ لكنّ لأنّ أحداً، إنّ كان يصدّق ما يُقال، لم يرجع من هذا القاع حيّاً يُرزق، فسأجيبك بلا خشية من سوء السّمة.

كنت من سادة الحرب ثم صرتُ راهباً كرديلياً <sup>328</sup> ، إذ حسبتُ أنّي أكفر عن خطاياي بارتداء هذا الملبس؛ ولا شكّ أنّ اعتقادي كان سيكشف عن صحّته لولا أنّ القسّيس الأعظم، عليه اللعنة، أعادني إلى خطاياي الأولى؛ وسأقول لك كيف ولماذا.

طالما كنت على صورة اللحم والعظم التي منحّنتها أمي، فإنّ أفعالي ما كانت أفعال أسدٍ بل ثعلب. عرفتُ جميع الحيل والطّرق الخفية ولقد عالجتُ فنونها كلّها حتى ذاع خبرها في سائر الأرض. وعندما بلغتُ من عمري تلك الفترة التي ينبغي فيها على كلّ إنسان أن يطوي قلوبه ويجمع حباله، وعندما صار يُثقل عليّ ما كان حتى ذلك الحين يُبهجني، تبتُّ واعترفتُ وتحوّلتُ إلى راهب؛ وأسفاه، كان ينبغي أن يجد ذاك جدواه عندي!

كان أمير الفريسيّين الجدد هذا <sup>329</sup> ، قد أعلن الحرب قرب لاتيرانو <sup>330</sup> ، لا على المسلمين ولا على اليهود، بل كان جميع أعدائه مسيحيّين، ولم يكنْ ذهب لفتح عكا أحدٌ منهم، لا ولا اتّجر في بلاد السّلطان:

إنّه لم يُراعِ لا منصبه الرّفيع، ولا الأوامر المقدّسة ولا حبلي ذاك الذي كان يُحيل جسم كلّ من حملوه أنحف <sup>331</sup> .

وكما استقدم قسطنطين سلفسترو<sup>332</sup> من أعالي سيراتي ليشفي برصه، فكذلك دعاني هو طبيباً، لأشفيه من غلواء عُجبه؛ سألني الرأي، فلزمت الصمت لأن كلامه بدا لي آتياً من رجلٍ سكران. فأعاد القول:

- «لا يرتابن قلبك: فأنا أمنحك من الآن الغفران، ولتُعلمني كيف أطرح يالسترينا أرضاً<sup>333</sup>. أقدر أن أفتح السماء وأغلقها فكما تعرف هما اثنان المفتاحان اللذان لم يجرؤ سابقني على الاحتفاظ بهما.» فدفعني هذه الحجج الخطيرة إلى الاعتقاد بأن الأسوأ كان هو أن ألزم الصمت، فقلت:

- «أبتاه، ما دمت تطهرني من هذه الخطيئة التي ينبغي أن أقع الآن فيها، فالوعد بالكثير مع الوفاء بقليلٍ منه سيأتيك فوق الكرسي الرفيع بالظفر كله»<sup>334</sup>.

فأتاني عند موتي القديس فرانتشيسكو<sup>335</sup>، ولكن أحد الملائكة السود قال له:

- «لا تأخذه، وبحقي لا تخطيء، فهو ينبغي أن يهبط إلى الأسفل بين عبيدي ما دام تقدّم بنصح خادع، ومنذ ذلك الحين وأنا أمسك به من ناصيته؛ فليس ينال عفواً من لم يندم، والتوبة وإرادة الشر لا يجتمعان، بباعثٍ من التناقض الذي لا يتيح ذلك.» يا لبؤسي كيف استيقظت عندما أمسك بي وهو يقول:

- «لعلك ما فكرت أنني من أهل المنطق!» وحملني إلى مينوس فلوى هذا ذنبه ثماني مرّاتٍ حول فقاره، ثم، بعدما عضه في سورة الغضب، قال - «هذا ممن ينبغي أن يُلقوا بالنيران»؛ هكذا ألقى عقابي حيث تراني، كارهاً هذا الرداء الذي فيه أمشي.» وبعدهما أنهت الشعلة كلامها، إبتعدت وهي تتألم لاوية عرقها الدرب هازة إياه.

فمضينا أنا ومرشدي إلى الأمام وعبرنا الصخرة حتى ذروة الجسر الآخر المشرف على الخندق الذي يسدّ فيه دينهم من يُثقلون وزر أرواحهم بإثارة الفتن.

## الأنشودة الثامنة والعشرون

(الحلقة الثامنة، الخندق التاسع: باذرو الفتن ومثيرو الشقاق يخترقهم سيف الشيطان. مشاهدة الخندق التاسع. يبير دلاً مديتشنا. برتران دي بورن.)

336  
مَنْ ذا الذي يقدر، حتّى بلا تقفية ،  
وبمكرور الكلام، أن يقول ما كانته  
الدماء والجراح التي رأيتُ؟  
إنّ كلّ لسانٍ في ذلك سيُخفق،  
لأنّ كلامنا وفكرنا لا يمتلكان القدرة  
على استيعاب هذا كلّه.  
فلئن اجتمعت تلك الحشود  
التي راحت بالأمس تبكي دمها المهراق  
في بلد أيوليا <sup>337</sup> الزّاهر بالأخطار،

338  
بسبب الطرواديين والحرب الطويلة  
التي جمعت من الخواتم أسلاباً كثيرة (كما كتب ليفيوس الذي هيهات يخطيء)، وجميع مَنْ قاسوا  
آلام الجراح فيما يقاومون روير غيسكار <sup>339</sup>؛ وأولئك الذين ما زالت عظامهم تتكدّس في  
تشييرانو <sup>340</sup> حيث كشف كلّ أيولي عن خائني فيه، وهناك في تالياكوتزو <sup>341</sup>، حيث بلا سلاح  
انتصر الشّيخ ألودو <sup>342</sup>؛ وإذا ما أراك هذا عضوه المطعون، وذاك جسمه المجدوع، فلن يكون هذا  
بذي بال أمام رعب الخندق التاسع ذاك.  
لا برميل مكسور الغطاء أو الأضلاع كان فاغراً كالكائن الذي رأيتُ مبقوراً من عنقه حتّى عجزه.  
أحشاؤه تتدلّى بين ساقيه، وإنّك ل ترى رثتيه والكيس الكريه الذي يصير فيه فضلات ما يبتلعه  
الإنسان.

وفيما أحّدق به مليّاً فتح صدره بيديه وقال لي:

- «أنا (...)، أنظر كيف أتلف! أنظر كيف بترت أعضائي! وابن عمّي يمضي باكياً أمامي، مفلوع الرّأس  
من هامته حتّى ذقنه. وجميع مَنْ ترى هنا بأمّ عينيك كانوا قد عاشوا باذرين الفضائح والأحزاب:  
ولذا تراهم مشقوقي الأجسام على هذا النّحو. ووراءنا شيطانٌ يُهنّدُنا بهذه الفظاظة ويمرّر على حدّ  
سيفه جميع معدّي هذا الطّابور، ما إن نكون أكملنا دورتنا الكئيبة:

ذلك أنّ جراحنا تندمل قبل أن نمّر ثانيةً أمامه. لكنّ من أنت يا مَنْ تقف على هذا الجسر، ربّما

لإرجاء العذاب المقرّر بحقّك بعدَ اعترافك؟»

فبدأ أستاذي: - «ما برح الموت لم يمسك به، ولا إثم يأتي به لرؤية العذاب، لكن حتى أمده بخبرة وافية، ينبغي أن أصحابه، أنا الميت، إلى الجحيم السفلى من حلقة إلى أخرى: هذا صحيح كما كان صحيحًا أنني الآن أكلّمك.» كانوا أكثر من مئة أولئك الذين توقّفوا في الهوة ليروني بعدما سمعوا هذه الكلمات، مصعوقين حتى ما عادوا ليذكروا عذابهم.

- «أنت يا من قد ترى الشمس ثانيةً عمّا قريب، فلتقل للراهب دولتشيно <sup>343</sup> أن يتمّون، إذا كان لا يريد أن يتبعني إلى هنا بسرعة، بما يكفي من الطعام حتى لا يوقر الثلج للنافاريين نصرًا سيكون من دون ذلك عسيرًا مناله!» وجه لي المعذب هذه الكلمات وهو يرفع قدمه للانصراف، ثم ما إن وضعها على الأرض حتى ابتعد.

آخر، وقد كان مثقوب الحلق، ومجدوع الأنف حتى أسفل الحاجبين، وما له غير أذن واحدة، تسمّر صحبة الآخرين فاغر الفم ناظرًا إليّ، ثم فتح قبل الآخرين حلقومه الذي كان من الخارج بالغ الحمرة، وقال لي:

- «أنت يا من لا تُدينه آية خطيئة ويا من رأيتُه من قبل على أرض اللاتين، إن لم يخدعني شبهة بسواك مفرط، ألا تذكّر بيير دا مديتشيना <sup>344</sup> ، إذا ما رأيت ثانيةً السهل الجميل <sup>345</sup> الذي ينحدر من فيرتشيلي إلى ماركابو.

ولتعلّم أفضل من في مدينة فانو، السيدين غويدو وأنجوليلو <sup>346</sup> ، أنهما، إذا لم يكن حدسنا هنا باطلاً، سيرميان خارج سفينتهما ويغرّقان في كيسٍ بالقرب من كاتوليكَا <sup>347</sup> ، بخيانةٍ طاغيةٍ متوحّش. من جزيرة مايوركا حتى قبرص، الا من القراصنة ولا على أيدي أهل أرغوس <sup>348</sup> ، شهد نيون جريمة نكراء كهذه.

إنّ ذلك الخائن ذا العين الوحيدة، والذي يحكم المدينة التي يودّ واحدٌ هنا بقربي لو لم يكن رآها يومًا، سيستدعيهما من أجل التفاوض، ثم يتصرّف بحيث لا النّذور ولا الصّلوات ستُجديهما نفعًا أمام ريح فوكارا.» فقلتُ له:

- «إن كنت تريد أن أحمل أنباءك إلى أعلى فأرني وأخبرني من هو صاحب هذه النظرة المريرة.» فوضع يده على فكّ واحدٍ من رفاقه وفتح فاه صارخًا:

- «هوذا <sup>349</sup> ، بيد أنه لا يتكلم. كان بين المبعدين، فبدد شكوك قيصر عندما قال له إنّ لمن الخسران أن يرجىء الفعل من كان تأهب.» أوّاه! كم بدا لي مرتعبًا بلسانه المقطوع في جوف حلقة، كوريون، الذي كان في كلامه مشهود الجراءة!

وآخر مقطوع اليدين كان يرفع جُدعتيه في ذلك الهواء المظلم حتى لقد لوث الدّم وجهه، صاح بي: - «فلتذكّر كذلك موسكا <sup>350</sup> ، الذي قال وا أسفاه: - «ما وقع قد وقع»، هذه الكلمات التي كانت



بذرة الشقاء لأهل توسكانيا!« فأضفتُ:

- «وكذلك بذرة الموت لسلاطتك!» فابتعدتُ عنّا جامعاً ألمًا إلى ألمٍ، كرجلٍ هو في الأوان ذاته مجنونٌ وحزين. وظللتُ أتطلعُ إلى الحشد ورأيتُ شيئًا ما كنتُ سأجرؤُ على سرده بلا برهان، لو لم أكنُ محمياً بضميري:

هذا الرفيق الطيب الذي يجعل المرء حراً تحت درعٍ من إحساسه بظهره.

الحق رأيتُ، وأحسب أنني ما زلتُ أرى، رجلاً يسير من دون رأس، كما كان الآخرون يسرون في ذلك القطيع البائس.

كان يمشي ممسكاً بالرأس المقطوع من خصلات شعره، معلقاً إلى يده كمثمل مصباح، وينظر إلينا ويقول: - «يا لعذابي!» من نفسه صنع لنفسه فانوساً، وكانا اثنين في واحدٍ وواحدًا في اثنين: كيف يمكن ذلك؟ وحده يعلم من حكم به.

وعندما صارَ في أدنى الجسر، رفع عاليًا ذراعه وعليها رأسه، ليقرّب منّا كلماته، التي كانت:

- «فلتُنظر العذاب الذي ليس يُحتمل، يا مَنْ جئتُ لرؤية الموتى وأنتَ ما برحتَ تتنقّس، أنظر إن كان هناك عذابٌ أشدّ!؛ ولكي تحمل للبشر أنبائي إعلّم أنني كنتُ برتران دي بورن <sup>351</sup>، الذي أغدق على الملك الشابّ نصائح السوء.

بين الأب والابن أشعلتُ البغضاء؛ أكثر من هذا لم يفعل أخيتوفيل بأبشالوم وداود بتحريضه الخبيث <sup>352</sup>.

وما دمتُ فرقتُ بين شخصين كانا بلا فكاكٍ متّحدين، فأنا أحمل وا أسفاه دماغي مفصّلاً عن أصله المُقيم في هذا الجدع؛ هكذا يلاحظ القصاص مُطبّقاً عليّ.»



## الأنشودة التاسعة والعشرون

(الحلقة الثامنة، الخندق العاشر: المزيّفون. مزيّفو المعادن أو الخيميائيّون يغطّيهم الجرب والبرص. ملامة فرجيليو. مشاهدة الخندق العاشر. عذاب الخيميائيّين. غريفولينو دارينزو. ألبرتو دا سيينا.)

من ذلك الحشد وجراحة العجيبة  
ثملت عيناى إلى هذا الحدّ  
بحيث صارتا تهفوان إلى البكاء.  
لكنّ فرجيليو قال لي: - «إلى مَ تنظر؟  
ولم بقيّ بصرك مشدوداً  
إلى الأشباح البائسة المجدوعة هناك؟  
أنت لم تفعلْ هذا في الخنادق الأخرى؛  
ولتقلّ لنفسك إنك إن أردت أن تحسب هذه الأرواح  
فالوادي محيطه اثنان وعشرون ميلاً.

353

هوذا القمر صارَ تحت قدمينا  
ومن الوقت المُعطى لنا لم يبقَ إلّا القليل،  
وينبغي أن ترى أشياء لم ترها.»  
فأجبته على الفور: - «لو أنّك أدركتَ لمَ رحّتْ أنعم النّظر هكذا لسمحت لي بالترئّث.» وبينا يسير  
وأنا في إثره، رحّتْ أمده بالإجابة وأضيف:  
- «ذلك أنّه في تلك الهوّة التي كنتُ أنعم النّظر إليها أعتقد أنّ روحَ أحدِ أبناء جلدتي كانت تبكي  
الخطأ الذي يُكلّف غالباً في هذا القاع.» فقال لي أستاذي:  
- «لا يأتِ فكركَ لينكسرَ بعد الآنَ بإزاء تلك الرّوح إنشغلَ بشيءٍ آخرَ سواها، واتركها هناك؛ فلقد  
رأيتها أسفلَ ذلكَ الجسر الصّغير تشير إليك بأصابع متوعّدة، وسمعتُ من يسمّيها: جيري دل

354

بلو .

355

كنتُ آنئذٍ منشغلاً بأمر من حكم بالأمس القلعة العالية ، فلم ترها وغادرتْ هي.»  
فقلت له: - «مرشدي، إنّ موته الأحمر الذي لم يجدْ بعدُ من يثار له بين من يشاطرونه العار  
نفسه، طبعه بالازدراء: وأحسب أنّه لهذا ذهبَ من دون أن يكلمني؛ وهذا ممّا زاد من إشفائي عليه.»  
هكذا كُنّا نتكلّم حتى بلغنا من الصّخرة الموضع الأول الذي يمكن أن تُبصر منه، إنّ كان النور كافياً،  
الوادي الآخر.

وعندما أشرفنا على الدّير الأخير من مالبولوجي، بحيث يمكن أن يظهر لأنظارنا سدنته، إذا بصرخاتٍ عجيبة ترشقني بسهامٍ قدّ فولاذها من الأسي، فصممتُ بالكفّين أدنّي.

الألم الذي سيُرى لو جمعتُ مستشفيات وادي كيانا وماريما وسردينيا <sup>356</sup>، أمراضها بين شهري تموز وأيلول، كلّها في حفرة واحدة، كان يُرى هنا وتنبعث منه ريحٌ شبيهةٌ بتلك التي تنبعث من أعضاء عفنة.

ثمّ نزلنا الشاطئء الأخير من الجسر الصخريّ، شمالاً أيضاً، وإذا بنظري يصير أقوى فينفذ إلى القاع حيث كانت سادنة الله، عدالته التي لا تخطيء، تعاقب المزيّفين الممسكة هي بحسابهم.

لا أحسب أن منظر الشعب وهو يسقط في إيجينا <sup>357</sup> ضحية المرض، كلّه، عندما امتلأ الجوّ بالعفونة، ونفقت الحيوانات، حتّى أدنى دودة، ليُبعث الأقدمون فيما بعد، كما يؤكّد عليه الشعراء، من نسل النّمال، لا أحسب أنّه كان أكثر إفزاعاً من رؤية الأرواح في هذا الوادي المظلم خاملةً في أكوامٍ عديدة.

فهذا مستلقٍ على بطنه وذاك مستندٌ إلى ذراعي سواه، وآخرون زحفوا على أربعةٍ في ذلك التّهج المُقرّف.

خطوةً خطوةً كئنا نمشي من دون أن ننسب ببنت شفة، نتملّى ونسمع جميع أولئك المرضى الذين باتوا عاجزين عن رفع أجسامهم.

أبصرتُ اثنين يسند أحدهما الآخر، جالسَيْن كما يُسند إناءٌ إلى آخر لتسخينهما، وتغطّيهما التقشّرات من أعلى رأسهما حتّى أخمص القدم لم أر قطّ ركباً يحمله خادمٌ يستحثّه سيّده، أو مَنْ لا يحبّ أن يُطيل سهره، كما انهال هذان بأظافرهما على جسميهما، مسعورين تسوطهما حكة ما لها من شفاء.

كانا ينزعان جربهما بالأظلاف كما تكشط السكّين زعانف السّلبة أو أسماكٍ أخرى زعانفها أكبر. فسألَ مرشدي أحدهما:

- «أنت يا مَنْ تنزع القشور بأصابعك، صانعاً منها كلاباتٍ أحياناً، قلّ لنا إن كان بين مَنْ يجاورونك هنا بعض اللاتين، ولتكفّيتك أظافرك لهذه المشغلة إلى أبد الدهر!» فقال لنا الآخر باكياً: - «إننا لاتينيّان يا مَنْ ترانا مشوّهين هكذا، ولكنّ مَنْ أنت أيّ هذا السائل عنّا؟» فأجاب مرشدي: - «أنا واحدٌ ينبغي أن ينزل مع هذا الإنسان الحيّ، من صخرة إلى أخرى، فأنا مكلف بأن أريه الجحيم...» فانفصم سندهما المشترك واستدارا نحوي مرتجفين ومعهما آخرون التقطوا رجوع الكلمات.

فدنا مّي أستاذي الطيّب وقال لي:

- «كلمهما بما شئت»؛ فبدأت بالكلام كما رغبت هو فيه:

- «عسى ألا تغيب ذكراكما من ذاكرة البشر في العالم الأول، وأن تدوم فيها تحت شمسٍ عديدة؛ خبّراني مَنْ أنتما ومن أيّ مدينة؛ ولا يمنعكما عذابكما المرعب والمقيت من أن تفصحا لي عن سرّكما.» فأجاب أحدهما:

- «أنا من أريتزو <sup>358</sup>؛ ألقاني ألبرتو دا سيينيا في النار، ولكنّ لم يأت بي إلى هنا ما من أجله متّ.

كنتُ قلتُ له مازحًا ذات يوم:

- «أقدر أن أطير في الهواء!» فجعله فضوله وحُمقه يسألني تعليمه هذا الفن؛ ولأني لم أصنع منه ديدالوس آخر جعلَ مَنْ كان يُحبّه كما لو كان ابنه يُحرقني.

لكنّ مينوس، الذي لا يخطيء أبدًا، ألقى بي في العاشر من الخنادق بسبب الخيمياء التي تعاطيتُ بها في الدنيا. «فقلتُ للشاعر: - «أكان هناك يومًا شعبٌ يبزّ في الرّهو أهلَ سينا، الحقّ، حتّى الفرنسيّون لا يُدانونهم في ذلك!» فأجابني الأبرص الآخر وقد سمعني:

- «ينبغي أن تستثني استريكا<sup>359</sup> الذي عرف دومًا الاعتدال في إنفاقه، ونيقولا الذي سبق إلى اكتشاف الاستخدامِ الباذخ للقرنفل في الحديقة التي ينمو فيها مثلُ هذا البذار؛ والرّمرة التي من أجلها بدّر كاتشا دا شانو<sup>360</sup> كزّمه وغابته الكبيرة، والتي أعرب فيها المبهور<sup>361</sup> عن حذقه كلّه. ولكنّ إن كنتَ تريد أن تعرف مَنْ يساندك هكذا ضدّ أهل سينا فلتنعم النّظر إليّ ليأتيك وجهي بالإجابة الشّافية:

وسترى أنّي شبّح كايوكيو<sup>362</sup> الذي زيّف المعادن بالخيمياء؛ لا بدّ أنّك تتذكّر، إذا لم أخطيء معرفتك، كيف كان لي طبيعة القرد حقًّا!»

## الأنشودة الثلاثون

(الحلقة الثامنة، الخندق العاشر: مزيفو نفوس الآخريين ينتابهم الجنون والسّعار ويعضّون رفاقهم في العذاب ويمزّقونهم. مزيفو النّقود مصابون بالاستسقاء، ينهشهم ظمأً دائم. مزيفو الكلام تلتهمهم حمى لاهبة.)

مشاهدة مزيفي النّفوس: جائي اسكيكي مزيف الوصيّة، وميرًا مرتكبة سفاح المحارم. مشاهدة مزيفي النقود: المعلم أدامو دا بريشا. مشاهدة مزيفي الكلام: زوجة بوطيفار. شجار بين المعاقبين. فضول دانتي. ملامة فرجيليو.)

لا يومَ كان كانت يونون <sup>363</sup> في غاية الحنق  
على أهل طيبة بسببٍ من سيميلي  
مثلما أبانتُ هي عنه غيرَ مرّة،  
حيثُ أضرمتِ السّعار في قلب أتاماس  
الذي ما إن رأى زوجته وصغيريه  
تحملهما المرأة على ذراعيها،

حتّى هتف: - «فلننشُر شباكنا لأقبضَ في الطّريق على اللبوءة وشبليها»، ثمّ مدّ مخلبه الشّديد القسوة، وأمسك بأولهما، واسمه ليروكوس، وأداره حوله وحطّمه على صخرة، فأغرقت المرأة نفسها بحملها الثاني؛ ولا عندما خفض الحظّ من كبرياء الطرواديين الذين اجترأوا على كلّ شيء، فهلك الملك ومعه مملكته؛ لا ولا عندما رأت هيكوبا <sup>364</sup> المسبّية المفجوعة البائسة، إنبتها يوليكسين مقتولةً واكتشفت جثمان ابنها يليدوروس، على شاطئ البحر، فأخذت المسكينة في جنونها ذاك بالتّباح مثلَ كلبة، لفرط ما أطار صوابها الألم؛ كلاً، لا في أرض طيبة ولا في طروادة، شوهدت لربّات الانتقام مثلُ هذه الصّراوة في تعذيب البهائم والأجساد البشريّة، كما رأيتُ من هذين الشّبحين العاريين والشاحبِ لونهما وهما يركضان ويعضّان كما يفعل الخنزير عندما يُطلق من حظيرته.

أقبل أحدهما إلى كايوتشيو <sup>365</sup> وغرس أنيابه في عقدة عنقه بقوة حتّى جعله يحكّ ببطنه الأرض حكاً.

فقال لي هذا الأريترّي مرتجعاً:

- «المسعود الذي ترى هو جائي اسكيكي <sup>366</sup>، هكذا يمضي ناهشاً النّاس في سورة غضبه.» فقلتُ له: - «لعلّ الشّيطان الآخر لا ينشب فيك أنيابه، وعسى أنّ تقول لنا من هو قبل أن يبتعد عنّا.»

فأجاب: - «تلك هي الرّوح القديمة لميرًا <sup>367</sup> الفاجرة التي كانت قد أصبحت، بخلاف الهوى الحقّ،

خليلة والديها. فلكي تأثم وإياه جاءت متنكرةً في إهاب امرأة أخرى كما فعل ذلك الذي يجري هناك، فلكي يظفر بملكة القطيع، تجزأ على التنكر في صورة بوزو دوناتي وأملى وصية وأضفى عليها صفة الشرعية.»<sup>368</sup> وبعدها ابتعد المسعوران اللذان كنت أنعمت فيهما النظر، إلتفت لأرى سيي الولادة الآخرين، فرأيتُ واحدًا كان سيبدو في هيئة آلة عود، لو كان قطع عند فخذه حيثما يتفرع الجسد فرعين.

الاستسقاء<sup>369</sup> الفادح الذي يُزيل بالسائل المعتكر عن الأعضاء تناغمها فلا يعود الوجه يتناسب والبطن، جعله يفرغ هكذا عن شفثيه، كما يفعل المحموم الذي يقبل بباعثٍ من العطش إحدى شفثيه صوب الذقن والأخرى إلى الأنف.

قال لنا: - «أنتما يا من تمكثان بلا عقوبةٍ في عالم العذاب هذا، لا أدري لم، ألا انظرا وتأملا شقاء المعلم أدامو»<sup>370</sup>.

ملكْتُ في الحياة بوفرةٍ كلِّ ما كنتُ أريد وهنا أشتي وأسفاه قطرة ماء.

والجداول التي تهبط إلى الأرنو من تلال كازسنتينو<sup>371</sup> الخضراء، جاعلةً مسالكها نديّةً وباردة، أبدًا ترتسم أمامي، لا بغير علة، ذلك أنّ صورتها تُشعرنني بالجفاف بأقوى ممّا يفعل السقام الذي يجرد من اللحم وجهي.

والعدالة الصارمة التي تتعقبني، تستهدف الموضع الذي خطتُ منه، لتنتزع مني مزيدًا من الزفرات في كلِّ مرّة.

هناك تقبع رومينا<sup>372</sup> حيث زيّفت ذات يومٍ سبيكة مختومةً عليها صورة المعدادان<sup>373</sup>؛ ومن أجلها تركتُ جسدي يحرق على الأرض.

ولكنني لو رأيتُ هنا الزوح الخبيثة روح غويدو أو إسكندر أو شقيقهما، لما وجّهت نظري إلى نبع براندا بعد<sup>374</sup>.

إحداها هنا في الدّاخل، إنّ صدقتُ الأشباح الغاضبة التي حولنا تدور، لكن ما الفائدة إذا كنتُ مقيدةً أعضائي؟

لو كان ما يزال لي خفتي نفسها، بحيث أتقدم كلِّ مائة عامٍ بوصةٍ واحدة، لكنتُ شرعتُ بالسّير لأبحث عنها بين هؤلاء القوم الكالحين، وإن يكن الخندق يدور أحد عشر ميلًا، وله من العرض ما لا يقلّ عن نصف ميل.

بسببهم صرتُ في مثل هذه الأسرة البائسة:

إذ دفعوني لأن أضرب الفلورينات التي كان فيها من الخبث ثلاثة قراريط.»

فسألتُه: - «ومن هما هذان التعيسان اللذان يدخن جسمهما كمثل يدٍ مبتلةٍ في الشتاء، وقد اضطجعا عن يمينك متلاصقين؟»

فأجابني: - «كانا هنا عندما سقطتُ في خرده الصخر هذه ولم يُبديا بعد حركة.

ولا أحسب أنّهما سيتحرّكانِ إلى أبد الدهر.

واحدة هي الماكرة التي اتّهمت يوسف <sup>375</sup> ، والآخر هو سينون الكذاب <sup>376</sup> ، إغريقيّ طروادة: الحمى اللاذعة تجعلهما يُطلقان هذا الدخان كله. « وإذا بواحدٍ من ذينك المعدّيين، والذي ربّما أغاضه أن يوصف على هذا النحو المحزن، يضرب بقبضة اليد بطنه المتيبس. فصدّر عنه ما يشبه دويّ الطبل؛ فعاجله المعلّم أدامو بضربةٍ على وجهه، بذراعه التي لم تبدُ أقلّ صلابة، وهو يقول له:

- «إن تكن إعضائيّ المثقلة تمنعني من الحراك، فما برح لديّ لمثل هذه المشغلة ذراع خفيفة.» فأجابه الآخر: - «عندما إلى المحرقة سرت لم يكن لذراعك مثل هذه الحيويّة لكنّها كانت كذلك، بل وأكثر، عندما كنت تزيّف النّقد.» فأجاب المستسقي:

- «إنّك لتتصدق هنا القول لكّنك لم تكن شاهداً أميناً عندما سألوك في طروادة أن تفوه بالحقّ.» فقال سينون:

- «إن كنت نطقتُ زيفاً فأنت زيفت النّقود، وأنا هنا بفعل خطيئةٍ واحدة، أمّا أنت فلأكثر ممّا فعل أيّ شيطانٍ آخر!» فأجاب منفوخ البطن:

- «فلتتذكّر أيّها الحانث اليمين ذلك الجواد، ولتلق عقابك في أنّ الجميع يعلمونه.» فقال الإغريقيّ: - «ولیکن عذابك أنت في ظمأ يشقق لسانك وماءٍ عطنٍ يجعل من بطنك حيال عينيك سوراً.»

فأجاب مزيف النّقود: - «كما في العادة، ينكأ المرض منك الفمّ، ولئن كنت ظامئاً وممتلئاً بسوائلٍ مقيئة، فأنت لك الحمى وأوجاع رأسك، ولكي تلعق امرأة نرجس <sup>377</sup> فلا حاجة لأن يُحجف المرء في دعوتك.» كنت أستمع إليهما بانتباه، وإذا بأستادي يصيح بي:

- «حذارٍ حذارٍ! فلم يبق إلا قليل وأغضب منك!»

وما إن سمعته يتكلّم هكذا باستياء، حتّى إلتفتُ إليه وأنا يعروني من الخزي ما لا يزال يعتمل في ذاكرتي.

وكمثل من يرى فيما يرى النائم أخطاراً، ويأمل في الحلم أن يكون بصدد الحلم، ويرغب فيما يكون كأنه غير كائن؛ فهكذا ألفتني عاجراً عن الكلام، راغباً بالاعتذار، وبالفعل اعتذرت، معتقداً مع ذلك أنني لم أفعل.

فقال لي أستاذي:

- «إن أسفاً أقلّ لي محو خطأً أشدّ وقعاً ممّا فعلت، فلتخفّفن من أساك هذا، وتذكّر أنّي سأكون إلى جانبك دوماً، إذا ما حدثت وألقي بك الحظّ مرّة أخرى أمام قومٍ مشتبكين في عراقك كهذا، ذلك أنّ الرّغبة في الاستماع إليهم رغبةٌ وضيعة.»

## الأنشودة الحادية والثلاثون

(آبار العماليق. نمرود. إفيالتس. برياروس. أنتيوس يطرح فرجيليو ودانتي في قاع البئر.)

اللّسان نفسه جرّحني باديء ذي بدء،  
ملوّنًا بحُمْرة الخجل خديّ،  
ثمّ مدّني بالدّواء،

378

هكذا يُقال إنّ رمح أخيل  
وأبيه كان في البدء سببًا  
للّحوس ثمّ من بعدُ للسُّعود.  
أدزنا ظهرينا للوادي البائس،  
حيال الشّاطيء الذي يدور حوله،  
وعبرناه من دون أن ننبس ببنتِ شفة.  
لم يكنِ الوقتُ نهارًا ولا ليلاً  
فما كان بوسعي الرّؤية إلى بعيد؛

379

بيدَ أنّي سمعتُ بوقًا يُدوي  
حتّى ليغطي على هزيم الرّعد؛  
فاتّجهتُ عيناَي إلى نقطة واحدة،  
عائدًا صعّدًا في مرعى الصّوت.

إنّ رولان لم ينفخُ في صوره بأكثر رعبًا في أعقاب تلك الهزيمة المنكرة عندما خسر شارلمان جيشه

380

المبارك .  
وما إنّ التفثُ صوبَ تلك الوجهة، حتّى حسبتُ أنّي أرى أبراجًا سامقةً كثيرة، فقلت: - «أستاذي،  
خبّرني أيّة مدينة هي هذه؟» فأجابني:

- «لما كنتَ تريد أن تخترقَ ببصرِكَ الظّلماتِ من هذا البُعد، فيحدث أن تخطيء فيما تتصوّره.  
فإذا ما وصلتَ هناك رأيتَ بجلاء كيف تخدع المسافةُ الحواسّ؛ فاعملْ على أن تُسرّع خطوكَ  
قليلاً» ثمّ أمسك بيدي ببالغ الحنان، وقال لي:

- «قبل أن نقرب منها وحتّى لا يفاجأك مرآها بشدّة، أعلم أنّ تلك ليست أبراجًا بل هي عماليق،  
وأنتهم عند الشّاطيء في البئر جميعًا، منغرسون من السّرة حتّى أخمص القدمين.» وكما يحدث  
عندما يتبدّد الضباب تاركًا للبصر أن يتبين شيئًا فشيئًا ما يخفيه متراكم البخار في الجوّ، فهكذا كان  
الخطأ يزليلني ويزداد خوفي بقدر ما كنتُ أقرب من الجرف مخترقًا بعيني كثافة الظلام.



فكما نرى مونتيريجيوني <sup>381</sup> متوجّهة فوق حلقتها الدائرية بالأبراج، فهكذا على الشاطئ المحيط بالبرّ كالأبراج كان يشمخ بنصف أجسامهم العماليق <sup>382</sup> المرعبون الذين ما برح جويتر يهدّدهم من عالية السماء كلّما أطلق رعدّه.

كنتُ أبصرتُ وجه أحدهم، وكتفيه والصّدر وجزءًا من بطنه، وذراعيه على جانبيه يتدليّان. الحقّ لقد أحسنت الطبيعة صنعًا إذ كفت عن اختراع مثل هذه الوحوش، فحرمت مارس من مقاتلين متحفّزين كهؤلاء.

ولئن لم تكن على خلق الفيلة والحيتان نادمّة، فإنّ من أنعم النظر إليها رآها أعدل وأحدق: فحيثما اجتمعت أدوات الفكر بالإرادة السيئة وبالقوّة، عزّ أن يجد الانسان منها ملادًا.

بدأ لي وجه العملاق طويلًا وضخمًا <sup>383</sup> كصنوبر القدّيس بطرس في روما، وسائر عظامه متناسبة ووجهه؛ حتّى أنّ الشاطئ الذي كان يشكّل له إزارًا من فخذيه حتّى أسفله كان يكشف من أعلاه جزءًا يكفي

لإبطال ادّعاء ثلاثة فريزيين <sup>384</sup> بإمكان أن يصلوا إلى شعره:

فلقد رأيتُ منه ثلاثين شبرًا كبيرًا <sup>385</sup> من مثابة البرّ حتّى الموضع الذي يُربط عنده الثوب.

- «رافيل ماي آميخ زابي ألمي» <sup>386</sup> ، بهذا كان ذلك الفم المرعب يزعق، فما كان ليناسبه مزموّر أرقّ. فقال له مرشدي:

- «يا روحًا حمقى، إكتفي بالبوق لتروّحي به عن نفسك عندما يستبدّ بك الغضب أو أيّ انفعالٍ آخر! إبحثي في عنقك تجدي السيّر الذي يوثقك يا نفسًا مضطربة وانظري إليه يطوّق صدرك الضّخم.» ثمّ قال لي: - «يُدين نفسه بنفسه، كذلك هو نمرود الذي حرّم مسعاه الخبيث البشر من النطق بلسانٍ واحد.

فلنترّكه هنا، لا نُطلّ الكلام عبثًا، فكلّ لسانٍ هو لديه كلسانه في أسمع الآخرين، لا أحد ليفهمه.» فاستأنفنا السيّر ملتفتين ناحية اليسار، وعلى مرعى قوسٍ بدا لنا العملاق الآخر، وكان أشدّ وحشيّةً وأضخم.

أيّ معلّمٍ أو ثقّه؟ لستُ لأعلم بيد أنّ يُسرى ذراعيه كانت مقيّدة إلى الأمام والأخرى إلى الخلف، بسلسلةٍ صدّته من عنقه إلى قدميه، دائرةً خمس مرّات حول الجزء المرئيّ من جسده.

قال لي مرشدي:

- «شاء هذا المتكبّر أن يمتحن بأسه ضدّ جويتر سيّد الجميع، فنال جزاءه الذي ترى.

إسمه إفيالتس <sup>387</sup> ؛ ولقد أثبت قدراته عندما أخاف العماليق الأرباب؛ فحرّك ذراعين ما عاد يحركهما بعد.» فقلت له:



- «إن كان متاحًا، فأنا أريد أن تقدّر عيناى عن خبرة، ضخامة برباريوس الهائل <sup>388</sup>».

فأجابني: - «سترى في موضع قريب أنتيوس يتكلم طليقًا؛ وهو سيقودنا إلى قاع جميع الخطايا. وإنّ من تريد رؤيته لبعيدٌ جدًّا، وهو مقيدٌ بكامله مثلَ هذا، سوى أنّ وجهه أكثر شراسة.» لم يهزّ زلزالٌ قطّ برجًا بمثل هذه القوّة التي بها شرع إفيالتس يهزّ نفسه؛ فعرفتُ الخوف كما لم أعرفه من قبلُ يومًا.

كان ذلك الخوف كافيًا لأموت لو لم أر دوراتٍ سلسلته حوله.

فواصلنا آنئذٍ سيرنا وبلغنا أنتيوس <sup>389</sup> الذي ظهرَ خارجَ البئر بقدر خمس أذرع من دون أن نعدّ رأسه.

- «أنت يا من كانت غنيمتك ألف أسدٍ قديمًا في الوادي السّعيد، حيثُ ورث شيبوني مجدك، عندما لاذ بأذيال الفرار هتبعل ورفاقه، أنت يا من ما برحتِ النَّاس تحسب أنّك لو كنت شاركت في حرب إخوتك الكبرى لكان أبناء الأرض ظفروا:

ألا أطرخنا أسفل، ولتفعلنّ هذا دون ازدراء، هناك حيث يكتنف الثلج كوتشيتوس <sup>390</sup>. لا تبعثنا إلى

تيتوس ولا إلى تيفون <sup>391</sup>: يقدر هذا الرّجل أن يهب ما يُرغب فيه هنا بشدّة؛ فلتحن قامتك ولا تلوين خطمك. ما يزال في مقدوره أن يهبك على الأرض المجدد، ذلك أنّه حيٌّ، وفي انتظاره حياة مديدة، إذا لم تستوفه عناية الله قبل الأوان.»

هكذا تكلم الأستاذ فمدّ هذا، ليحملَ مرشدي، يديه اللّتين كان هرقل أحسّ بمسكتهما القويّة. وعندما أحسّ فرجيليو بنفسه محمولًا قال لي: «فلتدن، لأحملك وإيّاي»؛ ثمّ صنع من نفسه وميّ حزمةً واحدة.

وكما يبدو برج غاريزيندا <sup>392</sup> منحنياً في الاتجاه المقابل إذا ما نحن نظرنّا من أسفل لدى مرور الغمام، صوب جانبه المائل، فهكذا بدا لي أنتيوس، عندما كنت أرتقبُ الفرصة لأراه منحنياً، وفي تلك اللحظة وددتُ بالفعل لو انتهجتُ طريقًا أخرى.

ولكنّه طرحنّا برقةً في الهاوية التي تلتهم لوسيفير ويهوذا؛ ولم يبقَ منحنياً طويلاً، بل سرعانَ ما انتصبَ كسارية مركّب.

## الأنشودة الثانية والثلاثون

الحلقة التاسعة: الخونة وقد أسرهم الجليد.

- النطاق الأول: «قايينا» أو دائرة قابيل حيث يُعذَّب خائنو ذويهم.

- النطاق الثاني: «الأنتينورا» حيث يُعذَّب خائنو وطنهم ومبادئهم السياسيّة.

(دائرة قابيل: إينا دي مانونينا وخونة آخرون. الأنتينورا: بوگا دلي أبّاتي، غانيلون.)

لو كان لديّ قوافٍ كافيةٍ اللدع خشنة

لتليق بهذه الهوة الكالحة،

التي تستند إليها سائر الصّخور،

لعبّرتُ بها عن عصارة أفكارِي

بأكثر امتلاءً. لكنّ لأني لا أملكها

فأنا لا أتأهّب للكلام بدون كبيرٍ دُعر:

فأنّ تصفّ مركز الكون كلّهُ

ما هو بالأمر الممكن تداوله بخفّة

ولا هو مشغلةٌ مَنْ يقول «بابا ماما» <sup>393</sup>.

فلتأتِ أولاء السيّدات <sup>394</sup> لينجدن شعري

كما ساعدن أمفيون في تسوير طيبة

فلا يبتعد عن الواقعة الحقّ قولي.

يا زمراً أسوأ وولادةً من كلّ ما خلق الله، قاطنةً في هذا المكان البالغ العسر وصفه، كان أجدى لكِ لو

خُلقتِ معاراً أو نَعجاً!

عندما نزلنا في البئر المحفوفة بالظلام وغدونا أسفل من قديمي العملاق بكثير، وأنا ما أزال أعين

الجرف الصخريّ، صاح بي صوتٌ: - «انظر كيف تسير، وحذارٍ من أن تطأً بقدميك رؤوس إخوتك

في الانسانيّة، المعدّين».

فالتفتُ ورأيتُ أمامي وتحت قديمي بحيرةً كان للجليد فيها ملمح الزّجاج لا الماء.

قطّ لم يصنع الدّانوب في التّمسّ ولا الدّون في الشّتاء تحت سماءٍ مجلّدة لمجراهما غطاءً بمثل هذه

السّماكة

كما هنا. ولو أنّ التمبرنك <sup>395</sup> أو البيترايانا <sup>396</sup> هويّا على هذه البحيرة لا أحدثا، حتّى على الحوافّ،

بعض صرير.

وكما تتلع الصَّفدعة من أجل النَّقيق بخيشومها خارج الماء، في حين ترى الفلاحة في حلمها أنّها ذاهبة لالتقاط ما تخلف من الحصيد، فهكذا كان الشَّبَحان المتألَّمان غائصين في الثَّلج حتّى الموضع الذي يرتسم عليه الشَّعور بالعار، يُطقطقان بأسنانهما كما تفعل النُّوراس.

كان كلاهما مطأطئًا رأسه؛ والفم يقدّم عن البرد شهادة موجعة والأعين تأتي بمثلها عن أسى القلب. وبعدهما أنعمتُ النَّظر حولي، تطلّعتُ عند قدميَّ فرأيتُ معدَّيين متلاصقين حتّى لقد امتزج شعر رأسيهما.

قلتُ لهما: - «يا مَنْ تعصران صدريكما هكذا بقوة مَنْ أنتما؟»، فمالَ كلٌّ واحدٍ بعنقه إلى الوراى وعندما اشترأبا بوجهيهما ناحيتي، راحت الأعين وما كانت مبلولة إلاّ في الدّاخِل تذرِف الدَّمع على الشَّفتين، وإذا بالثَّلج يجمّد الدَّموعَ بينها فتتلاصق أكثر من ذي قبل.

أبدًا لم يُلصقُ كلاب من الحديد بمثل هذه القوّة خشبَةً بأخرى. وكمثلُ تَيْسِين تناطَح الاثنان في سورة سعارهما.

وآخر، كان قد أفقده البردُ أذنيه وكان مطأطئ الرّأس هو أيضًا، قال لي:

- «ما لك تتمرأى فينا؟ إن كنت تريد أن تعرف مَنْ هذان <sup>397</sup> ، فالوادي الذي تنحدر فيه مياه بيزنتزو

كان لأبيهما ألبرتو ولهما. خرجا من صلبٍ واحدٍ، وإذا أنت فتشّت في دائرة قابيل <sup>398</sup> بكاملها فلن تلقى شبحًا أجدر منهما بأن يُحوّل صقيعًا؛ لا ذلك الذي شقّ آرتور بضرية من حُسامه صدره وظلّه <sup>399</sup> ،

ولا فوكاتشا <sup>400</sup> ، لا ولا هذا الذي يُثقل هنا عليّ برأسه فلا أستطيع أن أرى إلى أبعده؛ كان اسمه ساسول ماسكيروني <sup>401</sup> :

فإذا كنت توسكانيًا فإنك تعرف الآن جيّدًا مَنْ هو. وحتّى لا تحملي على زيادة الكلام، أعلم أنّي كنت كامينشون دي يانزي <sup>402</sup> وأنني أنتظر كارلينو <sup>403</sup> ، ليُبرئني.»

ورأيتُ ألفَ وجهٍ آخر كان البرد طبعها كلّها بصبغة البنفسج ومذاك وأنا أرتجف، وسأبقى كذلك أمام كلّ غديرٍ متجمّد.

في تلك الأثناء كئنا ندنو من الوَسَط الذي يُنزع إليه كلّ ثقلٍ، وأنا أرتجف في ذلك الزمهرير الأبدي؛ أكان ذلك بقرارٍ مئّي أم من القدر أم بمحض صدفة؟ فَبينا أخطو بين الرؤوس إرتطمت قدمي بوجه أحدهم، فصاح بي باكئًا:

- «ما لك تدعسني؟ وإذا لم تكن أتيت لتزيد في انتقام مونتايرتي <sup>404</sup> ، فلم يا ترى تُعذبني؟»

فقلتُ: - «أستاذي انتظرني في هذا الموضع، أريد أن أبَدّد بخصوص هذا ظنًا؛ ولك بعد ذلك أن تستعجلني كما ترغب.» فوقف مرشدي، وقلتُ أنا لذلك الذي كان ما برح يشتمني بكامل قواه:

- «مَنْ أنت يا مَنْ تعنّف الآخرين؟» فأجابني: - «ومَنْ تكون أنت أيّها السائر في الأنتينورا <sup>405</sup> ، ضاربًا

وجناتٍ الغير بهذه القسوة؟، وإذا كنت إنسانًا حيًّا لكان ذلك الأمر جَلًّا». فأجبتُ: - «إني حيٌّ ولربِّما أفرحك إن كنت تريد أن تنال صبيًّا أن أكتب اسمك فيما أدون.» فقال: - «بل في نقيض هذا أرغب. فامضي من هنا ولا تُتعبني أكثر، إنك لا تحسن الاغواء في هذا المستنقع!»

فأمسكتُ به من مؤخرة رأسه، وقلتُ له:

- «ينبغي أن تفصح عن اسمك، وإلاّ لما بقيتُ هنا شعرة واحدة.» فقال: - «لك أن تنزع شعَرَ رأسي كلّهُ، فلن أكشف لك عمّن أكون، وإن هويت على رأسي ألف مرّة.» كنتُ أمسك بشعره الأجدع في كفيّ ولقد اقتلعتُ منه خصلًا عديدة، فجعلَ يعوي خافضًا عينيه، وإذا بأخرٍ يصبح به:

- «ما بك يا بوگا<sup>406</sup> أفلا يكفيك أن تطقطقي بحنكيك وإذا بك تضيف التّباح، أيّ شيطانٍ ركبتك؟» فقلتُ له: - «الآن لستُ بحاجةٍ لكلامك، أيّها الخائن الرّجيم، وزيادةً في عارك سأحمل إلى الأرض عنك أبناءً صحيحة.» فأجاب: - «اذهب عني واحك ما تريد، ولكن إن خرجت من هنا فلا تسكث عن ذرب اللسان هذا<sup>407</sup>، الذي يندب هنا فضة الفرنسيين<sup>408</sup>.»  
تقدر أن تقول: - «رأيتُ هناك سيّد دوڤيرا حيثُ غطّسَ الخطاة في الثّلج».

وإذا ما سُؤلت: - «من رأيت أيضًا؟» فليدك قريبًا منك البيكيّري<sup>409</sup>، الذي دقت فلورنسة عنقه.

ولعلّ جائي دي سولدانييري<sup>410</sup> في مكانٍ أبعد منه، وإلى جانبه غانلون وتيبالديلو<sup>411</sup> الذي فتح أبواب فاينترا والنّاس نيام.»

كنا نأينا عنه عندما رأيتُ إثنين متجمّدين في حفرةٍ واحدة، حتّى صار رأس أحدهما قلنسوة لرفيقه؛ وكما نلتهم الخبز من الجوع، غرس من كان في الأعلى أسنانه في الثاني حيث يلتحق القحف بالعنق:

لم يقضم تيديوس<sup>412</sup> في سورة غضبه صدغي مينالييوس بأعنف ممّا كان هذا يفعل بالجمجمة وما تلاها:

فقلتُ له: - «أنت يا من تُنفس هكذا عن حقدك على من تلتهمه بمثل هذه الوحشيّة، قلّ لم تفعل هذا وسأتعهد، إن كنت تشتهي منه عن حقّ، وعلمتُ أنا من تكونان وما جرمكما، بأن أثيبك هناك على الأرض، ما لم يجفّ هذا الذي به أتكلّم.»

## الأنشودة الثالثة والثلاثون

(الحلقة التاسعة):

- المنطقة الثانية: «الأنتينورا» حيث يُعذَّب خائنو وطنهم.

- المنطقة الثالثة: دائرة بطليموس حيث يُعذَّب خائنو ضيوفهم.

(أوغولينو يحيي عن موته وموت أبنائه. تقريع مدينة يزه. الانتقال إلى المنطقة الثالثة. محادثة مع فراي ألبيريغو. برانكا دوريا. تقريع جنوة.)

رفع فاه عن وليمته الوحشيّة، ذلك الآثم، وهو يمسحه بشعر الرّأس الذي كان هو التّهمه من الخلف.

ثمّ بدأ: - «إنّك تريد أن أبتعث الألم البائس الذي ما برح يعتصر قلبي بمجرد التفكير به قبل أن أتكلّم عنه.

ولكن إن كانت حكايتي ستثمر عن بعض العار للخائن الذي ألّتهمه، فسأمزج أمامك الكلام والبكاء. لا أعرف من أنت ولا بأيّ حيلة وصلت إلى هنا؛ ولكنك فلورنسيّ، كما يبدو لي عندما أسمعك.

إعلم أنّي كنت العُمدة أوغولينو<sup>413</sup> ، وهذا هو رئيس الأساقفة رودجيري:

فاسمّع لم أنا له مثل هذا الجار.

كيف، بباعث من سوء نواياه، وقعت، بعدما وثقتُ به، في الأسر ثمّ أُعديمتُ، لا حاجة لقول ذلك؛ لكنّ ما لا يمكن أن تكون سمعت عنه هو كم كان موتي وحشيّاً:

وسأحكيه لك، فتعرف إن كان عدّبي.

إنّ فرجةً ضيّقة في ذلك القفص<sup>414</sup> ، الذي دُعِيَ في إثري «برج الجوع»، والذي سيُطبق بعدي على كثيرين،

كانت أرثني من منفذها أقماراً<sup>415</sup> عديدة عندما رأيتُ فيما يرى النائم ذلك الجاثوم الذي هتك لي حجاب المستقبل.

تخايل لي هذا الرّجل رئيساً وقائدًا يصطاد الذئب وجراهه فوق الجبل<sup>416</sup> الذي يحجب رؤية لوگا عن أهل يزه.

ومع كلاب سريعة، ضامرة ومدربة كان قد وضع في طليعة الصّيد آل غوالاندي وآل سسموندي وآل لانفرانكي<sup>417</sup>.

لم يدم الطّراد طويلاً؛ وبدا الأب وأبناؤه متعبين، وبدا لي أنّي أبصرتُ نيوبًا حادّة تمزّق جانبي كلّ واحد.

وعندما استيقظت قبيل الفجر، سمعتُ أبنائي، وقد كانوا معي، يجهشون في نومهم بالبكاء، يسألون خبيرًا.

إنك لشديد القسوة إذا لم تتألم إذ تفكر بما أحسَّ به آنئذٍ قلبي؛ وإذا لم تبك لهذا فما يبكيك؟ كانوا قد استيقظوا ودنت الساعة التي اعتيد أن يقدم لنا الطعام فيها، وكان كلُّ قلقًا بسبب ما رآه في نومه؛ ثم سمعتُ من يسمر الباب في أسفل ذلك البرج المرعب؛ وبلا كلام تفرستُ وجوه أبنائي. لم أبك بل أصابني تحجّر، أما هم فكانوا يبكون. قال لي صغيري أنسلموتشو:

- «ما لك تحدق بنا هكذا يا أبتاه، وما بك؟» ولكنتي لم أبك، لا ولم أحب طيلة ذلك النهار والليله التالية، حتى طلعت على العالم شمس جديدة.

وعندما نفذت إلى سجننا الكريه شعاعٌ قليلٌ وتبينت في وجوههم الأربعة صورتي أنا نفسي، عضضت من الألم كلتا يدي، فحسبوا أنني قمتُ بذلك عن رغبة في الطعام، فنهضوا فجأة وقالوا لي: - «أبتاه، إن عذابنا سيهون لو اغتذيت منا؛ إنك قد دثرتنا بهذا اللحم الفقير، فلتنضه الآن عنا.» فهدأتُ آنئذٍ حتى لا أزيد من عذابهم؛ وطوال يومين كتنا سكوئًا؛ أيتها الأرض القاسية، لم لم تنشقي؟

وعندما بلغنا اليوم الرابع، إرتمتي غادو عند قدمي، قائلاً:

- «يا أبتاه، لم لا تسعفني؟» وهناك مات، وكما تبصرني الآن، رأيتُ الثلاثة يهون واحدًا بعد الآخر بين اليومين الخامس والسادس، فجعلتُ وقد عميتُ، أزحف فوق كلِّ منهم، وناديتهم طوال يومين وقد ماتوا، ثم كان الجوع أقدّر من الألم» <sup>418</sup>.

وما إن قال هذه الكلمات بعينين مزورتين، حتى استعاد ذلك القحف اليابس بأسنانه التي عضت على العظام كأنياب كلب.

يا لبيزة، يا خزّي جميع رجال البلد الفاتن الذي تصدح فيه لفظه «سي»، ما دام جيرانك مبطنين في معاقبتك، فلتزحفن كإيرايا وغورغونا <sup>419</sup>، ولتصنعا سدًا أمام الأرنو عند مصبّه، ليغرق بين حيطانك جميع الأحياء.

فلئن كان الكونت أوغولينو قد اشتهر بخيانة قلاعك، فما كان ينبغي أن تعذبي هكذا أبناءه. حادثة سنهم يا طيبة الجديدة أحالتهم أبرياء: أوغوتشوني وبريغاتا والآخرين اللذين سبق أن سميتهما في أنشودتي.

ثم خطونا أبعده حيث اكتنف الجليد بقسوة قومًا آخرين، ما كانوا مطأطي الرؤوس بل عليهم أسفلهم.

هناك كان الدمع نفسه يمنع من البكاء، إذ يجد الألم ما يعيقه في أعينهم، فهو يرتد إلى الداخل فيزيدهم عذابًا.

ذلك أن أولى الدموع تصنع كتلة مترابطة وكمثل واقية من البلور، تملأ محجر العينين كله تحت الحاجب.

ومع أن كلَّ حسٍّ قد زال على وجهي بباعث من الزمهرير، كما يحدث للمصّاب بجرب القدمين، فقد

بدا لي أنني كنت أشعر ببعض ريح؛ فقلتُ:

- «أستاذي، من يهيجُ هذه؟ أفلا يتلاشى هنا كلُّ ضباب؟

فقال لي: - «ستصبح عمّا قريبٍ في الموضع الذي تأتيك فيه بالإجابة عينك، وترى آنئذٍ المصدر الذي يبعث هذه الرّيح.» ثمّ صاح بي واحدٌ من بؤساء القشرة الباردة:

- «أيتها النّفسان القاسيتان بحيثُ أعطيتُما آخرَ موضعٍ إرفعا عن وجهي هذه النّقْب الصلبة، لأُسْري قليلاً عن الألم الذي يملأ قلبي قبل أن يعود دمعي إلى التجمّد.» فأجبتُ: - «إن كنت تريد أن أخفّف عنك، فقل لي من أنت، وإذا لم أخلّصك، فلأهوينّ إلى قاع الجليد!» فأجاب: - «أنا الرّاهب

ألبريغو<sup>420</sup>؛ أنا صاحب ثمار الحديقة السيّئة، آخذ هنا البلح عوضاً عن التين.» فسألته: - «أأنت ميتٌ هنا؟» فقال لي: - «عمّا آل إليه جسدي على الأرض لست لأعلم شيئاً.

422

ولمنطقة بطليموس<sup>421</sup> هذه الميزة في أنّ الرّوح تهبط هنا مراراً قبل أن يدفعها أترويوس .

ولكي تكون أكثر توقفاً لأن تزيل عن وجهي الدمع المتجمّد، فاعلم أنّ الروح التي ترتكب الخديعة كما فعلتُ أنا، ينزع عنها الجسدَ شيطان، ويظلّ بعد ذلك يتحكّم به، حتّى ينقضي كلُّ زمانه؛ في حين تسقط هي في هذا الصّهرج، وربّما لا يزال مرثياً في الأعلى شبّحُ الجسم الذي يتجمّد هنا، ورأيي. تعرفه ولا ريب إن كنت وصلتَ تَوْأ:

423

إنّه السيّد برانكا دوريا ، ولقد انصرمتُ سنوات عديدة منذ أن حُبسَ على النّحو.» فقلتُ له: - «أعتقد أنّك تُخادعني، ذلك أنّ برانكا دوريا لم يمت بعد؛ إنّه يأكل ويشرب وينام ويرتدي الثياب.» فأجاب: - «في الأعلى، في خندق ماليريانكي، حيث يغلي القطران الكثيف، لم يكن ميكيل زانكي قد وصلَ بعدُ حينما ترك هذا بدلاً منه شيطاناً في جسده مع واحد من أقربائه كان قد ارتكب وإيَّاه الغدر.

لكنّ مدّ يدك إليّ الآن وافتحْ عيني.» لكّي لم أفتحهما، إذ كان من الكياسة أن أعامله بقسوة.

ألا تبتّ لكم يا أهل جنوة، أيّها الغرباء عن جميع الفضائل ويا من تزخرون بجميع الرذائل، لم يا ترى لم تُطردوا من الدّنيا؟

فإلى جانب أخبث نفسٍ في رومانيا وجدتُ واحداً منكم جعله سوء أفعاله يغطس الآن بكامل روحه في كوتشيتوس، وما يزال في الأعلى يبدو في جسده حيّاً.



## الأنشودة الرابعة والثلاثون

(الحلقة التاسعة:

المنطقة الرابعة: دائرة يهوذا حيث يُعَدَّب خائنو المحسنين إليهم وخائنو السُّلطة الانسانية أو الإلهية، وأكثرهم إثماً يلتهمهم لوسيفير.  
الظهور الأول للوسيفير. الخونة الكبار الثلاثة للكنيسة والامبراطورية (يهوذا وبروتوس وكاسيوس) تلتهمهم أفواه لوسيفير الثلاثة. النزول إلى مركز الأرض).  
(فرجيليو يشرح سقوط لوسيفير وأصل الجحيم. الشاعران يعودان صعدًا من الجهة الأخرى للأرض.)

424

- «هي ذي ألوية ملك الجحيم تتقدّم

نحونا، فانظرُ أمامك

إن كنت تتبينه»، قال لي أستاذي.

وكما نرى في البعيد، عندما ينتشر

ضباب كثيف أو يخيم الظلام على نصف كرتنا،

طاحونةٌ تديرها الرّيح،

فهكذا كان ذلك البناء الذي خيل لي أنني أراه،

فاحتميت وراء مُرشدي متّقيًا

خطر الرّيح إذ لم يكن من عاصمٍ سواه.

كنتُ، وإني لأرتجف إذ أكتب هذا شعرًا،

بلغتُ موضعًا كانت الأشباح فيه مغطّاة

وتشفّت مثل قشّة وسط الرّجاج.

بعضها استلقى والبعض الآخر كان منتصبًا؛

هذا على رأسه وذاك على ساقيه؛

وسواه مائلًا بوجهه صوب قدميه كالقوس.

وعندما اقتربنا بما فيه الكفاية ليروق لأستاذي أن يُطلعني على الكائن المزدان بذلك الوجه الجميل،

تراجع من أمامي واستوقفني قائلاً:

425

- «هوذا ديس ، وهوذا الموضع الذي ينبغي أن تتسلّح فيه بالبأس.»

كم تجمّدتُ آنذاك وغدوتُ خائر القوى واهيًّا، لا تسلني عن هذا أيّها القاريء، فلن أكتب ذلك، إذ

سيُفصر عن قوله كلّ كلام.



لم أمت ولا أنا بقيت حيًّا:

فلتخمن بنفسك إن كان لك نزرٌ من العقل، ما صرتُ عليه هكذا محرومًا من الحياة ومن الموت.  
كان إمبراطور عالم العذاب خارجًا بنصف صدره من الثلج؛ وإن قامتي لأقرب إلى جسم عملاق من  
قرب قامة العماليق إلى طول ذراعيه:  
فلتر الآن ما ينبغي أن يكونه الكلّ الذي يناسب أجزاء كهذه.  
ولئن كان ذات يوم جميلًا كما هو الآن قبيح، ثم انتفض بوجه خالقه فإنه لطبيعي أن يكون مصدر  
جميع الآلام.

ويا لدهشتي ساعة أن رأيتُ رأسه بوجوهه الثلاثة! <sup>426</sup> الأمامي منها كان أحمر <sup>427</sup> ، والآخران بالأول  
متصلان  
وجميعًا اتحدت عند اليافوخ في وسط كلتا الكتفين.

الأيمن بدا لي بين بياضٍ وصفرة <sup>428</sup> ، والأيسر كان يبدو داكنًا <sup>429</sup> وشبهها بمن يأتون من حيث  
ينحدر النيل.  
من تحت كل واحد يخرج جناحان بقياس طائرٍ عظيم، ما رأيتُ أشرعة بحرٍ تُشبهها.

لم يكن لها ريشٌ بل كانت شبيهة بجناحي الخفاش، وكان يحركها بحيثُ تصدر عنه ثلاث رياح <sup>430</sup> ،  
تجمد منها كوتشيتوس بكل ما فيها.

وكان يبكي بست عيونٍ فينهمر على أذقانه الثلاثة الدمع والرغوة الدامية.  
في كلِّ فمٍ كان يمضغ بأسنانه أثمًا كما تفعل دواليب الكتان، هكذا بحيثُ يعذب في الأوان ذاته  
ثلاثة.

وللذي في الأمام لم تكن العضات بذات بالٍ إلى جانب إنشاب المخالب الذي ينزع أحيانًا من على  
فقاره كامل الجلد.

قال لي أستاذي: - «تلك الروح الملاقية في الأعلى أقسى العذاب هي روح يهوذا الإسخريوطي» <sup>431</sup> ؛  
رأسه داخل الشّدق، وإلى الخارج يرفس بساقيه.

والآخران المنكّسان رأسهما، أحدهما، المتدلي من الخطم الأسود هو بروتوس <sup>432</sup> ، أنظر كيف  
يتلوى ولا ينبس ببنت شفة!

والآخر هو كاسيوس <sup>433</sup> ، الذي يبدو غليظ الأعضاء، لكنّ الليل يعود، وعلينا الآن أن نرحل، فلقد  
أبصرنا كل شيء. «وكما أراد هو احتضنت عنقه؛ فاختر المكان واللحظة الملائمين، ثم لما أفردت  
الأجنحة بسعة تمسك هو بالجوانب المشعرة ومن خصلة إلى أخرى راح ينزل بين متلبّد الشعر  
والقشرة المتجمدة.

وعندما بلغنا هناك محلاً يلتقي فيه الفخذ ببروز الرّدف، حمل أستاذي ببالغ القلق والجهد، رأسه

إلى حيث كانت ساقاه، وتشبّث بالشَّعر كما لو للارتقاء، حتّى حسبنا عائدين إلى الجحيم.  
قال لي أستاذي لاهنًا كمثّل رجلٍ متعب:

- تعلقُ بقوة، فعبرَ مثل هذه الدّرجات ينبغي أن نغادر معقلَ الشّور هذا.» ثم خرج من ثغرة كانت في صخرة وطرحني جالسًا على حافتها ودنا مني بعد ذلك بخطى وثيدة.

رفعتُ عينيّ فظننتُ أنّي سأبصر لوسيفير<sup>434</sup> كما كنتُ تركته، لكنني رأيتُه منتصب السّاقين في الهواء.

وإذا كنتُ مبلبل الفكر آنذاك، فهذا ما ستفكر به الدهماء التي لا ترى الموضوع الذي كنتُ قد اجتزته.

قال لي أستاذي: - «فلتنهض الآن واقفًا على قدميك، فالطريق طويلة والمسلك بالغ الوعورة، والشمس تتوسّط دورتها الصباحيّة<sup>435</sup>.» لم تكن تلك حيثُ كنا آنئذٍ ردهة قصرٍ بل مغارةً طبيعيّة، ذات أرضٍ وعرةٍ وفقيرة إلى التور.

قلتُ حينما نهضتُ واقفًا: - «يا أستاذي، قبل أن أغادر الهاوية، حدّثني قليلًا لتُخرجني من الخطأ: فأين هو الثلج؟ وكيف يقف هذا هكذا منكوس الرأس؟ ثمّ كيف انتقلتِ الشّمس من المساء إلى الصّبح في هذا الوقت القصير؟» فقال لي: - «تحسب أنّك ما تزال في الجهة الأخرى من المركز، حيث تعلقتُ بشعر الدودة المنقّرة التي تخترق العالم.

كنتُ هناك طالما كنتُ أهبط، ثمّ حينما استدرتُ بكِ عبرتِ الموضوع الذي تنجذب إليه الأجسام الثقيلة من كلِّ جانب<sup>436</sup>.

والآن وصلت تحت نصف الكرة<sup>437</sup> المُقابل للنصف الذي يغطّي اليباس الأكبر<sup>438</sup>، الذي أذيق تحت ذروته الموت ذلك الذي ولد وعاش دون خطيئة<sup>439</sup>:

إنّك لتدوس بقدمك مساحةً صغيرة تشكّل الجهة الأخرى لدائرة يهوذا<sup>440</sup>.  
الوقت هنا نهازٌ حيثما يكون هناك مساء، وهذا الذي جعل لنا من شعره سلالم، ما يزال منغرسًا كما كان من قبل.

من هذه الجهة سقط من علياء السّماء<sup>441</sup>:  
والأرض التي كانت بالأمس ممتدّة حتّى هنا، خشيتُ منه فاختبأت تحت البحر، أمّا الأرض التي طلعت في نصف الكرة الجنوبيّ حيث تشكّل جبل المطهر، فقد تركتُ للباعث نفسه منخفضًا كبيرًا وصعدت إلى السّطح.

وجاءت إلى نصف كرتنا نحن؛ ورّبما هربًا منه أيضًا تركتِ الموضوع القفرّ هذا تلك التي نبصرها في الأعلى والتي هناك تسطع.» وثمة في الأسفل موضعٌ بعيدٌ عن بعل الذباب<sup>442</sup>، يبرز في الطول هذا

الكهف نفسه، لا يُعرف بالتّظر بل بخير جدولٍ <sup>443</sup> يهبط إلى هنا من فتحة في صخرة نحتّها مجراه الذي يتعرّج فيه منحدرًا بخفّة.

فدلفنا أنا ومرشدي إلى ذلك المسلك الخفيّ لنعود إلى العالم الوضيء؛ من دون أن نفكّر بأخذِ قسطِ راحةٍ <sup>444</sup> ، وارتقينا إلى أعلى، هو الأوّل وأنا الثّاني، حتى رأيتُ خللَ ثغرةٍ دائريّةٍ الأشياء الجميلة الزّاحرة بها السّماء؛ ومن هناك خرجنا لنستعيدَ رؤية النّجوم <sup>445</sup> .

النّشيد الثّانيّ

المطهر

**Purgatorio**

## الأنشودة الأولى

(مناجاة آلهات الإلهام. دانتي يتأمل نجوم القطب الجنوبيّ الأربع. ظهور كاتون، حارس المطهر.  
شعيرة تطهيرية على الشاطيء. يوم أحد الفصح، العاشر من نيسان 1300، فجرًا.)

ليسير على مياه أفضل، هوذا زورق فكري  
يرفع الآن أشرعتّه،  
تاركًا وراءه بحرًا عارمَ الهيجان.  
وأنا سأغني الملكوت الثاني هذا  
حيث تتطهر روح الإنسان  
فتصير أجدر بأن تصعد إلى السماء.  
لكن فلينبعث الآن ميث الشعر  
يا ربّات الإلهام المباركات، فأنا إليك أنتسبُ

ولتنهض كاليوبي <sup>446</sup> قليلًا،

لُتسعت غنائيّ بذلك النغم الرّائع

الذي لفتح العقائق <sup>447</sup> البائسة بهذه القوّة  
بحيثُ فقدتُ بالغفران كلّ رجاء.

رائقُ اللون من ياقوت الشرق <sup>448</sup> ،

راح يتجمّع في الملمح النقيّ للأثير،  
صافيًا حتى أولى الدوائر،

وجددَ ابتهاج عينيّ ما إن غادرتُ  
ذلك الهواء الميّت

الذي كان قد كدّر ميّ الصدر والقلب.

الكوكب الفاتنُ الداعي إلى المحبّة غمرَ آنذاك بالصّحك الشّرق كلّه حاجبًا برج الحوت <sup>449</sup> الذي كان  
يقتفي أثره.

إلتفتُ يمينًا وتطلّعتُ إلى القطب الآخر ورأيتُ نجومًا أربع لم ترها عقب أولى نظرات البشر عينا

إنسان <sup>450</sup> .

بدت السماء بأنوارها مغتبطة؛ يا لأرض الشمال كم أنت مترمّلة لحرمانك من تأمل هذه النّجوم!

عندما انتزعتُ نفسي من منظرها ملتفتًا قليلًا إلى القطب الآخر، الذي اختفى منه من قبلُ الدبّ الأكبر، أبصرتُ أمامي شيخًا منفردًا <sup>451</sup> مرآه جديرٌ بكلّ ذلك التّوقير الذي لا يمحص ابنُ أباه أكثرُ منه.

لحيته الطويلة شيباء قليلًا، مثلها مثلُ شعر رأسه الذي انداحت منه على صدره مُويجتان. كانت أشعةُ الأنجم الأربع المباركة تزيّن محيّا بهذه الوفرة من النّور بحيثُ حسبتُ أنّه يقف قبالةِ الشّمس.

والأرض المترمّلة المحرومة من هذه الأنوار أو الفضائل هي الجحيم. وأولى النّظرات البشريّة هي النّظرات التي ألقاها على العالم كلّ من آدم وحوّاء.

<sup>452</sup> فقال لنا هارًا ريشه الوقور :

- «مَن أنتما أيّها الهاريان من السّجن الأبديّ صاعدَيْنِ النّهر الأعمى بعكس التّيّار؟ مَن هداكما، ومَن كان لكما نبراسًا لتخرجا من ذلك اللّيل البهيم الذي يغمر بالظّلام واديّ الجحيم أبدًا؟

أُخِرِقَ ناموس الهاوية أم يا ترى أصدرتِ السّماء مرسومًا جديدًا لتأتيا، أيّها الأثمان، إلى صخراتي؟» فأمسك بي مُرشدي من الكتفين، وبيديه ونظراته وإيماءاته، طبعَ بالتّوقير عينيّ وركبتيّ.

ثمّ قال: - «ما أتيتُ بمبادرةٍ مّيّ بل من السّماء نزلتُ سيّدة <sup>453</sup> وبرجاءٍ منها جنّت مُسعفًا بصحبتني هذا الرجل.

لكنّ ما دامت مشيئتك هي أن أشرح لك حقيقةً أمرنا هنا، فأنيّ لمشيئتي أن تكون بخلاف ذلك؟ لم يرَ هذا الرّجل بعدُ مساءه الأخير لكنّه بجنونه كان إليه من القُرب بحيثُ لم يبقَ له من العيش إلّا نزرٌ يسير.

وكما أسلفتُ في القول، فإنّي قد أرسلتُ مُنقِدًا له، ولم يكن من سبيل سوى هذا الذي انتهجتُ.

أريته محفلَ الخُطاة كلّه والآن أريد أن أريه هذه الأرواح التي تتطهّر تحت سلطانك جميعًا.

كيفَ جنّتُ به؟، ذلك حديثٌ لهُ شجون:

مِنَ علٍ تنزّلَ عنايةً تُساعدني في الإتيان به ليراك وليسمعك.

فعسى أن تقبل بمقدمه؛ جاء ناشدًا الحرّيّة، ذلك المطلب العزيز كما يعرف كلّ من تنازلَ من أجلها

<sup>454</sup> عن الحياة .

وانّك بهذا لعليمٌ، إذ لم يكن الموت مريّرًا عليك في أوتيكما عندما نضوت الثّوب <sup>455</sup> الذي سيكونُ عليك في اليوم العظيم باهر الألق.

نحن لم نخرق القوانين الأزلّيّة فهذا الرّجل حيٌّ، وأنا لا أقبعُ في أصفاد مينوس، بل أنا منتّم إلى

الحلقة التي فيها العينان الطّاهرتان عينا امرأتك مارتيزيا <sup>456</sup> ، التي ما برحتُ بالنّظر ترجوك، أيّها

القلبُ المباركُ، أن تَعَدَّها لَكَ، فَبِحُبِّها أَسْتَحْلِفُكَ أن تَلينَ ولتَدعُنَا نمضيَ عبرَ ممالكِكَ السَّبْعِ  
وسأَنطقُ أمامَها بمديحك، إن كانَ ما يَزَالُ يهَمُّكَ أن تُذَكِّرَ هناكَ في الأسفلِ.

فقالَ: - «طالما كُنْتُ في الجَهةِ الأخرى، كانتَ مارتزيا عَزِيزَةً عَلَيَّ فوهبْتُها كلَّ ما سألتُني من أَلطافِ.  
والآنَ إذْ هي وراءَ نَهرِ الشَّرِّ، لن تَقْدِرَ بعدُ أن تلمسني، بمقتضى هذا القانونِ الذي سُنَّ بعدَما خرجتُ  
من هناكَ <sup>457</sup>.

لكنْ ما دامت سيِّدةٌ من السَّماءِ تَدفَعُكَ وتَهديكَ، فلا حاجَةَ بِكَ لأنْ تُطريَ عَلَيَّ، يكفي أنْ تَرجوَنِي  
باسمِها هَيَّ.

فامضِ ولفَّ فَتاكَ هذا بناعِمِ الأَسَلِ <sup>458</sup> ولتَغسَلْ وجهه لِيَطَهَّرَ من كلِّ قَدَرٍ:  
فلا يَحْسُنُ السَّيْرُ بعينِ تَغشاها آثارُ الصُّبابِ أَمَامَ أوَّلِ رايِحِ مَبعوثِ من لدنِ الفردوسِ.  
حولَ هذه الجَزيرةِ، عندَ أسفلِ الحوافِّ حيثَ يأتي ليرتطمَ الموجُ، تنمو فوقَ لَيِّنِ الطَّمِيِّ أعوادٌ من  
الأَسَلِ.

لا نباتٌ آخَرَ ممَّا يَحْمِلُ الأوراقَ أو يَجفُّ ليقدرَ أن يَنموَ هناكَ، لأنَّهُ لا يُحسِنُ المَيلَ ولطَماتِ  
الموجِ.

هكذا لا تَعودا من هنا إذْ تَرجعانَ، فالشَّمسُ، الأيْلَةُ الآنَ إلى الظَّلوعِ، سَتُريكما لارتقاءِ الجبلِ منعطفًا  
أيسرَ. «واختفى؛ فنهضتُ دونَ أنْ أنبسَ ببنتِ شَفَةِ وتَدانِيْتُ من مرشدي متطلِّعًا إليه بملءِ عينيِّ.  
فبدأ: - «تعالَ يا صغيري، واتبعني ولنمضِ إلى الورا، فهذا السَّهلُ ينحدرُ من هنا حتَّى أسفلِ  
أقاصيه.» كانَ الفجرُ يطرُدُ نِساءمَ الصُّباحِ الرَّاكضةِ قَدَّامه، ومن بعيدِ ميَّزْتُ أنا ارتعاشاتِ البحرِ.  
وجعلنا نسيرُ في السَّهلِ القَفْرِ، كمثلِ من يَرجعُ إلى التَّهَجِّ المفقودِ، شاعرًا بعبثِ السَّيرِ حتَّى يلقاه.

ثمَّ بلَغنا الموضعَ الذي تعتركَ فيه الأنداءُ والشَّمسُ، حيثُ لاستقبالِها النَّساءمُ تُبْطِئُ هي في التَّبَخُّرِ  
رويدًا رويدًا، فوضِعَ أستاذي الطَّيِّبِ على العشبِ يديه الممدودتينِ بِبالغِ الرِّفقِ، فأدركتُ على الفورِ  
ما كانَ إليه يرمي، وأوليئُته خَدَيَّ المَخضَلينِ بالدَّمعِ؛ وهناكَ راحَ يجلو اللَّونَ الذي كانتُ قد وارثُهُ  
الجحيمِ.

ثمَّ بلَغنا الشاطِئَ الخاليَ تمامًا والذي لم يَرِ مَمَّنْ جابوا مياهه إنسانًا ذاقَ بعدَ ذلكَ تجربةَ العودِ.

وكما شاءَ الآخِرُ <sup>459</sup>، لَقَّني بالأَسَلِ لكنْ، يا للعجيبِة!، فما إنْ انتزعَ النبتةَ الهَيئَةَ حتَّى عاودتِ الانبعاثَ  
لتَوَّها في المكانِ ذاته الذي كانَ اقتطفَها فيه.

## الأنشودة الثانية

(النَّهَارُ يَبْزَغُ فِي الْجَزِيرَةِ. وَصَوَّلَ الْمَلَائِكَةُ-النُّوْتِيَّ. مَلَاقَةَ الْأَرْوَاحِ. كَازَيْلَا يَغْتِي. كَاتُونُ يَعَاوِدُ الظُّهُورَ  
فِي لُودِ الْجَمِيعِ بِأَذْيَالِ الْفِرَارِ.)

كَانَتِ الشَّمْسُ أَدْرَكَتِ الْأَفْقَ  
الَّذِي تُغْطِي أَعْلَى نَقْطَةَ

460

مَنْ خَطَّ زَوَالَهُ أُورُشَلِيمَ ،  
وَاللَّيْلُ، السَّاعِي فِي دَوْرَةِ مُعَاكِسَةٍ،  
كَانَ يُبَارِحُ «الْكُنْجُ» مَمْسُكًا ب. «الميزان»

461

الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِ اللَّيْلِ عِنْدَمَا يَتَطَاوَلُ اللَّيْلُ ،  
هَكَذَا بَحِيثٌ أَنَّ الْخَدَّيْنِ الْأَبْيَضَيْنِ الْمَشْعَشَعَيْنِ حُمْرَةً  
خَدَّيَ الْفَجْرِ، حَيْثُ كُنْتُ وَاقِفًا، أَتَشْحَا  
بِمَسْحَةِ الْبَرْتِقَالِ بِقَدْرِ مَا رَاحَ يَتَقَدَّمُ الْوَقْتُ.

كَمَا مَا نَزَالَ بِإِزَاءِ الْبَحْرِ  
كَمَثَلٍ مِنْ يَفْكَرُ فِي دَرِيهِ،  
مَنْتَهَجًا إِيَّاهُ بِالْقَلْبِ فِي حِينٍ يَلْبَثُ فِي مَكَانِهِ الْجَسْمِ.

وَكَمَا نَرَى فِي طُلُوعِ الصُّبَّاحِ

الْمَرِيخَ يَحْمَرُ وَسَطَ مَتَلَبِّدِ الصُّبَابِ،  
نَاحِيَةَ الْمَغِيبِ، فَوْقَ السَّهْلِ الْبَحْرِيِّ،

فَهَكَذَا رَأَيْتُ - وَلَعَلِّي مَا بَرَحْتُ أَرَاهُ! نَوْرًا يَقْبَلُ عَلَى الْبَحْرِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ فَلَا يَبْرُزُ مَسْرَاهُ أَيُّ طَيْرَانِ.  
وَبَعْدَمَا حَرَفْتُ عَنْهُ نَظْرِي قَلِيلًا لِأَسْأَلَ مَرشِدِي عَمَّا يَكُونُ، رَأَيْتُهُ ثَانِيَةً وَقَدْ صَارَ أَسْطَعًا وَأَعْظَمًا.  
ثُمَّ بَدَأَ لِي، مِنْ جَانِبِيهِ، بِيَاضٌ لَا أُدْرِي مَا هُوَ، وَمَنْ تَحْتَ هَذَا بِيَاضٌ آخَرَ رَاحَ يَنْبَثِقُ رَوِيدًا رَوِيدًا.

لَبِثْتُ أَسْتَازِي فِي صِمْتِهِ حَتَّى اتَّصَحَّ أَنَّ الْأَبْيَاضَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ كَانَا جَنَاحَيْنِ، وَمَا إِنْ عَرَفَ الْمَلَائِكَةُ النَّوْتِيَّ  
حَتَّى صَاحَ بِي: - «اِثْنِ رَكْبَتَيْكَ، اِثْنَيْهِمَا هُوَذَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ، وَيَدَاكَ صُمَّهُمَا فِلْسُوفَةٌ تَرَى مِنَ الْآنَ مَأْمُورِينَ  
مِثْلَهُ.

أَنْظُرْ كَمْ يَزْدَرِي وَسَائِلَ بَنِي الْإِنْسَانِ فَلَا يَرِيدُ مَجْذَافًا وَلَا شَرَاغًا سِوَى جَنَاحِيهِ لِعُبُورِ شَطَّانٍ مَتْنَائِيَّةِ

462

كَهَذِهِ . وَأَنْظُرْ كَيْفَ يَرْفَعُهُمَا صَوْبَ السَّمَاءِ لِأَفْحَا الْهَوَاءِ بَرِيشَهُ الْأَبْدِيِّ الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ كَمَا يَتَبَدَّلُ  
شَعْرَ الْبَشَرِ الْفَانِينَ.» وَبِقَدْرِ مَا رَاحَ الطَّائِرُ الْإِلَهِيُّ يَدْنُو مِمَّا كَانَ يَزْدَادُ أَلْفًا:



حتى لم تقوَ على احتمالهِ عن كثبٍ عيناى .  
فخفضتُهُما . وإلى الشاطىء أقبلَ الملاك بقاربٍ كان من الخفة ومن السرعة بحيث لم يكذ أن يُبلله الماء .

كان نوتى السماء واقفاً عند مؤخر قاربه ذاك ، مشعشع الوجه بتعاير الغبطة ، وهناك كان يجلس أكثر من مائة روح .

«عند خروج إسرائيل من مصر» <sup>463</sup> ، هكذا كانوا يغنون بصوت واحد ، بباقي ما كتب في ذلك المزمور .

ثم رسم لهم علامة الصليب المبارك ، فارتموا على الشاطىء جميعاً ، أما هو فكما جاء غادر : سريعاً .  
والحشد الذي بقي هناك بدا غريباً على المكان ، يتطلع حوله كمن يتملى مشاهد جديدة .

وطفقت الشمس تشرق النهار من كل جانب بالتور ، بعدما طردت برج الجدي <sup>464</sup> من كبد السماء ،  
بسهامها السديدة .

آنذ رفع القادمون الجدد إلينا جباههم قائلين :

- «إن كنتم تعرفانه ، فلترانا المسلك المفضى إلى الجبل .» فأجاب فرجيليو :  
- «لعلكم تحسبون أننا بالمكان خيران ؛ وما نحن إلا سائران كمثلكم . كنا وصلنا قبل قليل ، خلل نهج آخر كان قاسياً ووعراً حتى ليبدو لنا صعودنا الآن لعباً .»  
لاحظت الأرواح من تواتر أنفاسي أنني كنت ما برحت حياً فامتقع لونها من شدة ما لقاها من العجب .

وكما يجتذب رسولٌ جاء يحمل غصن زيتون زحمةً من البشر تنقضى الأنباء ، وهي تندافع بلا روية ،  
فهكذا ألصقت الأرواح المحظية تلك بمحياتي نظراتها جميعاً ، ناسيةً ، أو تكاد ، أن تذهب لتتجمل .  
ورأيت إحداها تتقدم نحوي لتعانقني بمحبة عارمة حتى لقد حفزتي على أن أبادلها بالمثل .  
يا لها أشباحاً خاويةً إلا من صورتها !

فثلاث مرات ضممت من خلفها يدي وثلاث مرات عدت بهما إلى صدري .  
أحسب أن الدهش ارتسم على وجهي فلقد ابتسم الشبح وجعل يتراجع وأنا رحت أتقدم متبعاً خطوه .

فرجاني بلطف أن أتوقف فعرفته حينئذ ورجوته أن يتمهل قليلاً ليكلمني .  
فأجاب : - «مثلما أحببتك بجسمي الفاني فأنا أحبك وقد تحررت منه ، ولذا فأنا أرف . ولكن أنت ، لم يا ترى أتيت ؟» فقلت له : - «يا عزيزي كازيلاً <sup>465</sup> ، من أجل العودة إلى حيث أكون ، أقوم بكل هذه الرحلة ، لكن أنت فيم أنفقت هذا الزمن كله ؟» فقال :

- «لم يلحقني قط ضرر وإن يكن الملاك الذي يحمل من يشاء وكما يحلو له ، رفض عبوري مراراً .  
مشيئته تصدر عن مشيئة عادلة ، ومنذ ثلاثة شهور أخذ حقاً ، بكامل الرضا ، كل من طاب له أن

يركب.

وأنا كنتُ أتململُ عندَ الشَّاطيء الذي يتعباً فيه ماء التيبرُ بالملح، فتلقأني هوَ بكامل الترحاب.  
والآنَ يفرُدُ جُنحية إلى ذلك المصبِّ، فهناكَ يستقبلُ أبداً كلَّ من لا ينحدرون إلى مياه أكبرون. «  
فقلتُ له: - «إذا لم يجرِّدكَ قانونٌ جديدٌ من ذاكرتك وبراعتك في أغاني العشق التي طالما سرَّيتَ بها  
عن أحزاني، فليطبُّ لك أنْ تؤاسي قليلاً رُوحِي الآتيةَ إلى هنا بجسدها، فتكبِّدْت من الضيق ما لا  
يوصف!» - «يا حُبًّا في صميم قلبي يتفكرُ»<sup>466</sup> ، هكذا بدأ، ويمثل هذه العذوبة بحيث ما برحتِ  
العذوبة في تتردد.

وبدا أستاذي وبدوتُ وجميعُ من كانوا في صحبة كازيلاً في غاية الانسحار فكانَ شيئاً آخرَ ما كان  
ليخطر لنا على بال.

كنا جميعاً مسمرين منتبهين إلى غنائه وإذا بالشيخ الجليل يهتف بنا: - «ما هذا؟ يا أرواحاً كسلى!  
ما هذا التهاون وهذه الوقفة؟

هياً إلى الجبل، ولتنضوا عنكم هذه الغشاوة التي تحجبكم عن نظر الله!» وكما يجتمع في الحقل  
الحمّام، ملتقطاً القمَح أو السَّيلَم بوداعة، من دون أن يبدي معهودَ اعتداده، ثم ما إن يبدو ما  
يُشعره بالخوف، حتّى يتخلّى عن قوته على حين غرة، كما لو سيطرَ عليه همُّ أكبر، فهكذا رأيتُ  
ذلك المحفلَ الحديثَ المقدم وهو يهجر الغناء راكضاً صوب الشَّاطيء كمثل من يعدو ولا يدري  
من أين الخروج:

وما كانَ هربنا [أنا وأستاذي] بالأقلّ سرعة.

## الأنشودة الثالثة

(استثناف المسير. دانتي يقلق. فرجيليو يفسر له طبيعة الأجسام. ملاقات الأرواح المبطنة. مانفريد.)

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ الأرواحَ فِي هربها المِباغتِ ذاكِ

قد تفرقتُ بَدَدًا فِي أرجاءِ الرِّيفِ

ناحيةَ الجبلِ الذي يُورِّقنا فيه العِقلُ،

دنوتُ من رفيقي الأَمينِ:

فأُتِي لي أن أواصلَ العَدوَّ لولاهُ،

ومَن كان سيقودني صَعْدًا حتَّى الجبلِ؟

وبدا لي أَنَّهُ كان يَومُ نَفسه:

آه يا للضميرِ المَرهفِ النقيِّ

أصغرُ الصَّغائرِ تَلسعُك بوخزها المَريرا!

وعندما تحررتُ خطاهُ من تلكِ العِجلةِ

التي تُبَعدُ المَهابةَ عن كلِّ فِعلٍ، فإنَّ فِكري،

الذي كان آنذاك منقبضًا، أطلقَ لهفتَه

من عقالها فصوبتُ نظري إلى تلكِ الدَّروةِ

التي تشهقُ من الماءِ عاليًا في السَّماءِ <sup>467</sup>.

والشَّمسُ تلتهبُ وراءنا بخيوطها الحُمُرِ،

لكنَّها تتكسَّرُ أمامَ جسدي

لأنَّني كنتُ أصنعُ لها مَصدًا.

والتفتُ جانبًا وأنا يتولاني الخوفُ من أن أكون هُجرتُ وحيدًا عندما رأيتُ الأرضَ سوداءَ أمامي

وحدي <sup>468</sup>. فقال مؤنسي ملتفتًا إليَّ بكاملِ جسمِه:

- «لَمَ تراك تشعُر بالخوفِ؟ أو ما تراني هنا، وأنَّني أقودك؟ المساءُ مخيِّمٌ الآنَ هناكِ حيثُ يهجعُ

الجسمُ الذي به كنتُ أصنعُ الظلَّ: نايلي تستبقيه، هو الذي فقدته برينديزي <sup>469</sup>.

فإذا لم يرتسم أمامي أيُّ ظلٍّ، فلا تعجبنَّ، كما لا تعجبُ من رؤيةِ السَّماءاتِ وهي لا توقفُ إحداها

شعاعَ الأخرى. القدرةُ [الإلهية] تصنعُ الأجسامَ كجسمي هذا بحيثُ تحتلُ العذابُ والصَّيهودُ

والبردُ لكنَّها لا تكشفُ سرَّ صنيعها لأحد.

مجنونٌ مَن يحسبُ أنَّ العِقلَ البشريَّ يقدرُ على اجتيازِ المسلكِ المتناهي الذي يجمعُ ثلاثةً في أقنومٍ

واحد!

فليكتفِ البشر بما هو كائنٌ في مظهره، فلو أمكن رؤية كلِّ شيءٍ لما كان من حاجةٍ لأنْ تلد مريم. ولعلَّكَ أبصرتِ راغبينَ عبثًا قَوْمًا كان يمكن أن تُرضى رغباتهم، وإذا بها تصنع جدادهم الأبدى:

عنيْتُ أرسطو وأفلاطون وكثيرين غيرهما <sup>470</sup> «، وهنا راح خافضًا جبينه، ولم ينبس ببنت شفةٍ وبقي مضطربَ الفكر.

ثم بلغنا سفح ذلك الجبل ووجدنا الصَّخْرَ هناك من وعورة الانحدار بحيث لا تقوى على ارتقاؤه السيقان السريعة وإذا بمسالك الصَّخر الأكثر عزلة ووعورةً بين ليرتشي وتوريبا هي بإزاء ذلك الجبلِ مرقي رحيبٌ سهل.

وقال لي أستاذاي موقفًا خطاه:

- «مَنْ ذا الذي يعلم أينَ ينبسط الصَّخر ليرقي مَنْ ليس مزودًا بجناح؟» وفيما راح يتفكَّر في الطَّرِيق مُطرقًا رأسه، وفيما أعينُ أنا عاليًا حول الصَّخرة، بدا لي من جهة اليسار موكبُ أرواح تتقدَّم في اتِّجاهنا دونَ أن يبدو ذلكَ عليها لفرط ما كانت تُبْطِئ في السير.

فهمتُ به: - «ارفع عينيك يا أستاذاي هوذا من سينصحنا إن لم تلقَ في نفسك ما يكفي من النَّصح.» فنظر إليهم وقال لي بنبرة المطمئن:

- «هيا بنا، إنهم يسرون بتؤدة؛ وأنت، أيُّ هذا الإبن الرقيق، فليقو أملك.» كُنَّا قد تقدَّمنا ألف خطوة، وذلك الجمع كان ما يزال على بُعدٍ تجتازه حجارة ترميها يدٌ قويَّة؛ حينما التصقوا كلُّهم بالصَّخور الوعرة للشاطئ المرتفع، متزاحمين ثابتين كمثل مَنْ يخامرهم الشكُّ فيتوقَّف لينظر.

فبدأ فرجيليو: - «يا ذوي الخانة الطيبة، يا أرواحًا مختارة، أستحلفكم بذلك السلام الذي أحسب أنكم ترتقبونه جميعًا، قولوا لنا أين ينبسط المنحدر الجبليِّ بحيث يسهل الصُّعود، فبقدر ما يعرف المرء يشقُّ عليه أن يهدر الوقت.» وكما تخرج الأغنام من حظيرتها، فرادى فمثنى فثلاثًا، وتظلُّ بقيتها في وجل، خافضات الأعيُن والأفواه، وما تفعله الأولى تفعله الأخريات، متزاحماتٍ وراءها إن هي وقفت، هادئاتٍ وساذجاتٍ، لا واحدةٌ تدري ما الأمر، فهكذا رأيتُ آتيا نحونا رأس ذلك المحفل السعيد، لائق المشية حيَّ الوجه، وعندما رأى الأولون إلى التور وهو ينحسر عن يميني على الأرض، بحيث ينحدر الظلُّ من جسمي إلى الصَّخر، توقَّفوا وتراجعوا بعض الشيء وتبعهم مَنْ كانوا يسرون خلفهم، من دون أن يعرفوا للأمر سببًا.

- «قبل أن تسألوني، أعلمكم بأن ما ترونه هو جسم إنسان ينشق نور الشمس بسببه على الأرض.

فلا تندهشوا، بل كونوا على يقين من أنه بفضل من السماء يسعى الاعتلاء حائط الصَّخر هذا.» هكذا تكلم أستاذاي، فقال القوم الوقورون، وهم يشيرون إلينا بقفا أيديهم:

- «إرجعوا أدراجكما وأمامنا الآن سيرا.» وبدأ واحدٌ منهم: - «كائنًا مَنْ تكن، فلثدِرْ إليَّ بصرك فيما تخطو، ولتتذكَّر إن كنت رأيتني هناك يومًا.» فالتفتُ وأجلتُ نظري فيه:

كان نبيلَ الرأي أشقرَ جميلًا، بيد أن شجَّة شطرتُ أحد حاجبيه.

فاعترتُ بتواضعٍ بأنني لم أره من قبل قط، فقال لي: - «والآن فانظر!»، وأراني في أعلى نحره ندبةً

جرح.

ثم، مبتسمًا قال: - «أنا مانفريد<sup>471</sup>، حفيد كونستانترا الأمبراطورة<sup>472</sup>، أرجوك ما إن تعود أن تذهب لترى ابنتي الجميلة، التي أظهرت إلى التور فخرَ صقليةً وفخرَ أراغونا<sup>473</sup>، وأن تنطقَ أمامها بالحق إن كان قيلَ خلاف ذلك.

فأنا بعدما اخترقتُ جسدي طعنتان قاضيتان فوضتُ أمري باكيًا لذلك الذي يغفر عن كلّ طيبة خاطر.

كانت آثامي لا ريبَ فظيعة، لكنّ الطيبة المتناهية لها ذراعان رحيمتان بحيث تستقبلُ كلّ من يتّجه إليها.

ولو أنّ راعي كوسنثزا، الذي دفعه يومذاك كليمنتو لمطاردتي، كان قد أحسن قراءة وجه الله ساعتئذ، لكانت عظامي ما تزال إلى الآن عند الجسر قرب بنقينتو، تحرسها كومة أحجارٍ ثقيلة<sup>474</sup>. الآن يغسلها المطر والرياح تذروها خارج المملكة، على مقربةٍ من نهر فيردى حيثُ حُمِلتُ تحت مصابيح غير مشتعلة.

بلعنتم لن يخبو الحبّ الأبديّ ما دام يقدر أن ينبعث طالما بقي الرّجاء أخضر.

حقًا إنّ من مات في عصيان الكنيسة المباركة، حتّى إذا كان أعلن عن توبته، عليه أن يبقى خارج هذا الشاطئ أضعاف ما أمضى في معصيتها ومع ذلك، فبتحريض من كليمون (كليمنتو) الزّابع، عمل أسقف كوسنثزا على سحب جثة مانفريد من موضعها، ولم تبقَ تحت الأحجار قرب جسر بنيقتو، وهذا ما يتشكّى منه شبحة في هذه الأبيات. ويقول بعد ثلاثة أبيات أنّ جنّته «حُمِلتُ تحت مصابيح غير مشتعلة» إشارة إلى ما كان سائدًا بحق المحرومين بقرار بابويّ، فتُدْفَن جثثهم في الليل بلا مصابيح.

من الزّمن ثلاثين مرّة، إنّ لم تُفصّر مدّة الحكم هذه بصّلواته الطيّبة.

وانظر الآن إنّ كنت تستطيع أن تُفرحني بأنّ توضّح لابنتي الطيّبة كونستانترا كيف قابلتني، وكذلك هذا الحكم؛ ذلك أنّنا نرقي هنا بفضلٍ من هُم هناك.»

## الأنشودة الرابعة

(إرتقاء المرحلة الأولى من الجبل. فرجيليو يشرح لدانتي حركة الشمس في نصف الكرة الجنوبي.  
طبيعة جبل المطهر. ملاقاته بلاكو والكسالي الآخرين.)

عندما تجعل المباهج أو الآلام،  
التي تُحكَم قبضتها على إحدى ملكاتنا،  
النفس تحتشد كلها في تلك الملكة،  
فيبدو أنها لا تعود تعرف سواها.  
وإنّ هذا لينقضُ الخطأ القائل

475 بأنّ نفسًا تعلقو فينا على نفسٍ أخرى .  
وعليه، فعندما يُسمع أو يُبصر شيء ما  
يجتذبُ إليه النفس بصورةٍ ولا أشدّ،  
فالزمن يمرّ دون أن نفطنَ إليه.

ذلك أنّ واحدة من قوى النفس تُعين مروزه،  
وقوة أخرى تستأثر بانتباهها كلّها،

476 فكانّ الأولى موثوقةً والثانية في انطلاق .  
كان لي بهذا تجربة حقّ،

عندما رحّت أنصتُ إلى تلك الروح منجذبًا إليها؛

477 ذلك أنّ الشمس كانت قد ارتقتْ خمسين درجةً ولما ألاحظُ ، وإذا بنا نبليغ الموضع الذي  
صرختُ بنا فيه تلك الأرواح بصوتٍ واحدٍ:

- «هنا يوجد ما تبغيان.» الثغرة التي غالبًا ما يسدها الزّارع في سياج كزمه بملء مدراةٍ من الشوك  
عندما ينضج العنب كانت أكبر من ذلك الدرب الذي سلكه من أجل الصعود مرشدي وحده أوّلًا  
وأنا في إثره، عندما غادرتنا محفل الأشباح ذاك.

478 يرتقي المرء في سائليو ويهبط في نولي، وإنه ليمضي في بيسمانتوفا وكاكومي متسلقًا على قدميه؛  
أما هنا فكان ينبغي الطيران.

أعني أنّي انطلقتُ بالجُنحين المتسارعين للرغبة العظيمة ورياشها متبعا مرشدي الذي كان يتحفني  
بالأمل والهدّي.

رحنا نرتقي في شقوق الصخر والحواف تعصرنا من جهةٍ ومن أخرى والأرض تُلزم بأن نُعمل اليدين

والقدمين.

ثم إذ بلغنا أعلى حافة من الشاطئ المرتفع، عند جانبه المكشوف، قلتُ: - «أيّ طريقٍ نسلُكُ الآن يا أستاذي؟» فقال لي: - «لا تسير القهقري بعد الآن أبدًا، ولتواصل الصعود متبعا خطواتي حتى يلوح لنا مُرشدٌ عليم.» كانت الذروة أعلى مما يستوعبُ البصر والشاطئ كان أشدَّ انحدارًا من الخطّ الموصل بين رُبع الدائرة ومركزها. كنتُ في غاية التعب فبدأتُ:

- «أبتاه الرّفيق، التفتُ إليّ وانظر كيف أظلّ وحيدًا عندما لا تتمهّل!» فقال لي: - «أيّ بُنيّ، ينبغي أن تتجرّجَ حتى هناك»، وأراني في العلاء إفريرًا كان يطوّق من ذلك الجانب الجبل كلّه. كان لكلماته فيّ ذلك الهمز بحيثُ جهدتُ في الرّحف إثره حتى بلغتُ ذلك الصّحن. فجلّسنا هناك ملتفتين إلى المشرق الذي منه ارتقينا فإنه ليلدّ للمرء أن يتطلّع صوب تلك الوجهة. إتجهتُ ببصري أوّلًا صوب الشاطئ ثم رفعتُه إلى الشمس ويا كم دُهشتُ إذ رأيتها تلفحنا بأشعتها من اليسار.

ولقد أدرك الشّاعر عظمَ ذهولي عندما أبصرتُ عربةَ الثور تمرّ بيننا وبين بلاد الشّمال. فقال لي: - «إذا كان كاستور ويولكس يرافقان تلك المرأة المُرسلة نورها من علٍ إلى أسفل، فسُتري

الجانب المتوهّج من دائرة البروج دائرًا بعدُ قرب الدُّبين <sup>479</sup> ، طالما لم يحدّ عن مساره القديم. وإذا كنتَ تريد فهمَ كيفية حدوث ذلك فاستجمع قواك وتخيّل أن جبلَ صهيون وهذا الجبل يقومان على الأرض بحيث يكون لهما الأفق نفسه ونصفا كرة مختلفان؛ وستلاحظ أن الجادة التي لم يُحسن فيتوني سوقَ عربته فيها ينبغي أن تسير هنا في جانبٍ منها وفي الجانب الآخر تمضي إلى هناك <sup>480</sup> ؛ هذا إن تبين عقلك الأشياء بنباهة.» فقلتُ له: - «حقًا يا أستاذي لم أر قطّ بوضوحٍ كما أرى الآن هذه النقطة التي كان فكري يبدو قاصرًا عنها:

أن دائرة السّماء العليا التي يدعوها أحد الفنون خطّ الاستواء <sup>481</sup> ، والتي تقبع أبدًا بين الشّتاء والصّيف، تبتعد في هذا الموضع ناحية الشّمال للباعث الذي ذكرتُ، حتى حسب العبرانيين أنّها متّجهة إلى المنطقة الحارة.

لكن لو طاب لك فإنني راغبٌ في أن أعرف كم ينبغي علينا أن نسير، فالجبلُ أخذُ في العلوّ بأكثر ممّا تقوى على الصّعود عيناى.»

فأجابني: - «من طبيعة هذا الجبل أنه في البدء شديد الوعورة، لكنّ التعب يتناقص بقدر ما يتقدّم المرء في الارتقاء. فإذا ما بدا لك الجبل من اللطافة بحيث يصبح لديك ارتقاؤه بمثل خفة الاندياح في قارب وتيّار الماء، فستكون بلغت نهاية الطريق هذه، وهناك تقدر أن تتخفّف من أتعابك. لن أقول لك المزيد. أعرف أنه أمرٌ حقّ.» وما إن نطق بهذه الكلمات حتى سمعنا صوتًا يخاطبنا عن كئيب:

- «لربّما احتجت للجلوس قبل ذلك!» فالتفت كلٌّ منّا لى سماع ذلك الصّوت، فرأينا إلى يسارنا



صخرة كبيرة لم نكن انتبهنا من قبل إلى وجودها. فاتجهنا إليها ووجدنا أشخاصًا مائلين في ظلّ الصخرة في أوضاع استرخاءٍ وتكاسل. أحدهم، وقد بدا لي منهوگًا، كان جالسًا محتضنًا ركبتيه، عاصرًا بينهما وجهه إلى أسفل.

فقلتُ: - «سيدي الرفيق حبذا لو تنظر إلى هذا الرجل الذي يبدو من التراخي كما لو كان الكسل له شقيقًا.» فالتفت إلينا وتفرّسنا رافعًا بصره عند ارتفاع فخذه، وقال لي: - «فلترتقي الآن إذ أنت باسل!».

فعرفتُ مَنْ كان، وكلّ ذلك الانحصار الذي كان ما يزال يضيق على أنفاسي لم يمنعني من الذهاب إليه، وعندما صرتُ في جواره، رفع بالكاد رأسه، وقال: - «أقرأيت كيف تقود الشمس عربتها هنا عن يسارك؟» حركاته الكسلى وكلماته الوجيزة جعلتني أبتسم قليلًا، فبدأتُ: - «لستُ بالمتألم من أجلك

يا بلاكوا<sup>482</sup>، ولكن قل لي: لم أنت جالس في هذا الموضع: أنتتظر يا ترى دليلًا أم تراك عدت إلى عادتك القديمة؟» فأجابني: - «ما نفع الصعود يا أخي إلى أعلى؟ ما دام ملاك الله الذي يجلس عند العتبة لن يدعني أمضي إلى حومة العذاب. ينبغي أولًا أن تدور السماء حولي بقدر ما دارت في أثناء

حياتي، ما دمتُ أرجأتُ الحسرات الطيبة دون انقطاع<sup>483</sup>. ما لم تُعني قبل ذلك صلاةٌ تُصدر عن قلبٍ يقيم في نعمة الله. فما قيمة صلاةٍ أخرى لا تُسمع في رحاب السماء؟»

كان الشاعر قد باشر صعوده أمامي قائلاً: - «تعال الآن؛ هي ذي الشمس تلامس أطراف الجنوب، وعند الشواطئ يغطي الليل بقدميه بلاد المغرب<sup>484</sup>.»



## الأنشودة الخامسة

(اجتياز المرحلة الثانية من الجبل. قتلى لم تُتَّح لهم فرصة التَّوبة إلا في آخر لحظة من حياتهم. محاورة مع جاكويو دل كاسيرو. بونكونتي دي مونفلترو. بيا دا تولومي.)

كنتُ غادرتُ تلك الأشباح،  
ومقتفياً أثرَ مُرشدِي رحْتُ أسير،  
عندما رفع أحدها إصبعه خلفي  
وهتفَ (لجاره): - «انظر، لكأنَّ أشعةَ الشَّمس  
لا تضيء يسارَ ذلك السَّائر في الأسفل،  
فكأنَّه يخطو مثلَ الأحياء!»  
فالتفتُ ببصري على وقع هذه الكلمات،  
ورأيتهم يعاينونني ذاهلين،  
أنا وحدي، أنا وحدي، والضوء المتكسّر.  
فقال لي أستاذاي: - «لم تبدو روحك مرتبكة  
حتى لتُبطيء خطواتك؟  
وما يعنيك ما يتهامسون به هنا؟  
سرُّ ورائي، ودع النَّاس يقولون.  
ولتكنْ كالبرج الثَّابت لا تهتزُّ  
ذروته بمرور الرِّيح أبداً؛  
فالإنسان الذي تثبَّت لديه فكرة  
على فكرةٍ أخرى يَبعد عن مسعاه،  
فقوَّة الواحدة تُضعِف الأخرى أبداً.»  
فما كان بوسعي أن أقول سوى: - «أنا قادم»؟  
فقلتُ ذلك وأنا يعروني شيءٌ من ذلك اللّون الذي يُحيلنا جديرين بالعُفو أحياناً.  
وفي تلك الأثناء، عبَّر الموقى، جاء قومٌ يعلوننا قليلاً، مغنَّين بالتتابع: - «ربِّنا، رافَةً بنا!».  
وعندما لاحظوا أنني أصدُّ بجسدي ضياءَ الشَّمس، إنقلبَ نشيدهم إلى «وي!»<sup>485</sup> بحاءٍ طويلة.  
وكمثُل رسولين هرولاً منهم اثنان في اتِّجاهنا وسألانا:  
- «ألا عزفانا بحالكما».

فأجاب أستاذه: - «يمكن أن تنطلقا وتُخبرا من أرسلوكما إلينا بأنّ جسمَ هذا الرّجل من لحمٍ ودم. فإذا كانوا توقّفوا ليروا ظلّه، فإنّ إجابتي لكافية. وليمجّدوه: ذلك قد ينفعهم».

لم أرَ قطّ أبخرةً ملتهبةً في مطالع اللّيل، ولا سحُبًا في آب وهي تشقّ رائقَ الهواء عندَ مغرب الشّمس بمثل سرعةٍ تينك الرّوحين في ارتقائهما؛ وما إن وصلتنا هناك حتّى عادتا نحونا صحبةَ الأخريات كمثّل فصيلٍ يجري ليس يكبحه كبح.

فقال لي الشّاعر: - «إنّ زحمةً كبيرةً تأتي لرجائك فامضِ قدّمًا ولتصغِ إليها فيما أنت تمشي.» أقبلوا صائحين: - «يا روحًا ساعيةً في طلب السّعادة، يعلوك الجسد الذي ولدت فيه، حبذا لو تريّثت في خطواتك.

أنظري إنّ رأيت من قبل أحدًا منّا يمكنك حملُ أخباره إلى هناك، أوّاه، ما لكِ تبتعدين؟ أوّاه، لم لا تقفين؟

جميعنا مثلنا ميتةً حمراء، وظللنا آثمين حتّى لحظتنا الأخيرة، وإذا بنورٍ من السّماء يضيء بصائرنا فجأةً، ففارقنا الحياة عاذرين معذرين، في كامل السّلام مع الله الذي يلهبنا بالشّوق لرؤيته.» فقلت: - «أمعنّ النظر في أوجهكم فلم أعرف أحدًا؛ لكنّ إنّ كنتم تريدون شيئًا في مقدوري القيام به، يا أرواحًا نبيلةً الولادة، فلتقولوه لي، وسأفعله من أجل ذلك السّلام الذي يدفعني إلى البحث عنه عبر العوالم مقتفيا خطى مُرشدٍ عظيمٍ كهذا.» فبدأ أحدهم: - «إنّا جميعًا لَواثقون من فعلك الخير دون أن تحلف، ما لم يوهن العجزُ إرادتك.

ولذا فإنّني أرجوك، أنا الذي أكلّمك وحدي قبل الآخرين<sup>486</sup> ، إنّ رأيت يومًا تلك البلاد الواقعة بين أرض الرّومان وأملاك شارل<sup>487</sup> ،

أن تتلطفَ وتسالهم في فانو أن يقيموا من أجلي طيّب الصّلوات، لأتطهّر من آثامي الفظيعة. هناك ولدت، لكنّ الجراح العميقة التي عبّرها اندفق الدّم الذي كنت أسكن، إنّما كبّديها أبناء أنتينور<sup>488</sup> .

فحيثما حسبت أنّي كنتُ أمرعُ في الأمن، دبّر الأمر رجلٌ من إيستّه<sup>489</sup> مضى في غضبه منّي أبعَدَ ممّا يُجيزه الحقّ بكثير.

ولو كنتُ هربتُ صوبَ ميرا، عندما أدركوني في أورياكو<sup>490</sup> ، لكنتُ ما أزال في الموضع الذي يُتنفّس فيه.

إلى البركة جريتُ لكنّ الأسل والطين أعاقاني فسقطتُ وهناك أبصرتُ بحيرةً تتشكّل من دمي على الأرض.» ثمّ قال آخر:

- «أرجو أن يتحقّق ما إليه تصبو في الجبل العالي، ولكنّ ساعدُ برأفتك الطيّبة صبّوتِي أنا.

كنت من مونثفلترو، أنا بونكونتي<sup>491</sup> ؛ الا جوفانا ولا سواها من أهلي ليعني بي، ولذا أسير بين هؤلاء مطرق الرّأس.» فقلتُ له:

- «أيّ قوّة، بل أيّ قدر نأى بك عن كالياندينو، فما عُرف لك من قبر؟» فأجاب:  
- «آه، عند سفح كازنتينو يجري نهرٌ اسمه أركيانو؛ منبعه في الأينين فوق إيريمو، وإلى الموضع الذي يفارقه فيه اسمه، وصلتُ مجروح الحلق، هاربًا على القدم، ملوئًا السهلَ كلّهُ.  
هناك فقدتُ البصرَ والكلام، وقضيتُ نحبي باسم العذراء، وسقطتُ وبقيَ جسمي وحده مُلقِي.  
بالصدق سأخبرك، لتقوله للأحياء:

أخذني ملاك السماء، لكنّ ملاك الجحيم صرّخ به: - «أيهذا الآتي من السماء لم تحرمني؟ إنك لتأخذ  
شطره الخالدَ كلّهُ، من أجل دمةٍ صغيرةٍ تنتزعه مِنِّي، لكنني سأفعلُ بما يبقى منه شيئًا آخرًا!  
عارفٌ أنت كيف يتكدّس في الهواء ذلك البخار الرطب الذي يعود ماءً ما إن يصاعد حيث يلقه  
البرد.» ثم ضاfer العقل والإرادة الخبيثة التي ليس تُنشد سوى الشرّ وأطلق الضباب والريح بالقوّة  
التي تصدر عن طبعه.

ومع أفول النهار غطى بالضباب ذلك الوادي كلّهُ من يراتومانيو حتى الجبل الشاهق، دامعًا  
بالصفافة علياء السماء.

هكذا بحيث استحال الهواء الكثيف ماءً؛ وهطلَ المطر مدارًا وامتلات القنوت بكلّ ما لم تتشرّبه  
الأرض؛ وعندما بلغت المياه كبيرَ الجداول فهي سرعانَ ما ارتمت في النهر الملكي، عنيفةً حتى لم  
يحلّ دونها أيّ حائل.

وعند مصبّه وجد أركيانو الجارف جسدي المتجمّد فألقى به في الأرنو، نازعًا عن صدري ذلك  
الصليب الذي صنعته بجسمي عندما غلبتني الآلام :  
493

فطوّح بي نحو ضفتيه وإلى قاعه، ثم دثرتني وبحصائه طوّقني.» بعد هذه الروح الثانية بدأتُ أخرى:

- «إيه، عندما ستعود إلى الدنيا وتستريح من وعثاء سفرك، فلتتذكري، إنني ييا 494 ولدثني سيينا  
وأبادثني ماريما؛ يعرف ذلك مَنْ وضع في إصبعي أوّل الأمر ليتزوجني خاتمه المرصع بحجارةٍ كريمة.

## الأنشودة السادسة

(بداية المطهر. نهاية اجتياز الطبقة الثانية من الجبل. محاورة في نُجوع الصّلاة. فرجيليو يلتقي شاعر التروبادور سورديلو. الدّعاء بالويل والثّبور على إيطاليا والإمبراطوريّة والبابا وفلورنسة.)

495  
حينما تنتهي جولة من لعب الترد ،  
فالخاسر يبقى في غاية الألم،  
ومن حزنه يتعلّم، مستعيداً رمياته؛  
ومع الزّابح يتراكم الحشد كلّه،  
هذا يتقدّمه وذاك بشدّه من الخلف،  
وآخر إلى جانبه يسترعي انتباهه.  
ولكنّه لا يتوقّف، بل إلى الجميع يصغي؛  
مَنْ شدّ على يده لا يعود يُلحف بعدُ،  
وهكذا يتخلّص هو من الرّحمة.  
هكذا كنتُ في ذلك الحشد المتلاطم،  
ملتفتًا بعينيّ هنا وهناك؛  
وبقوّة الوعود أفلتُ منهم.

496  
هنا كان الأريزي الذي تلقى الموت من يدي غينو دي تاكو القاسيتين ، والآخر الذي مات في  
المطاردة غرقًا . 497

498  
هنا كان يمدّ يديه مبتهلاً فيدرغو نوفلو ، وذلك المواطن من بيزة الذي أظهر للعيان شجاعة  
مارتزوگو الطيب . 499

500  
ورأيتُ الكونت أورسو والروح التي فُصلت عن الجسم بالكراهية والحسد كما يقول، لا باثم  
ارتكبه.

501  
إنّه يبير دلاً بروتشا ؛ وهنا فلتتدبّر أمرها سيّدة برابانت ما دامت على الأرض وإلا لأرسلت وسط  
زمرّة أسوأ.

وحين أفلتُ من جميع تلك الأشباح التي كانت تتصرّع لا لشيء إلا ليصلي من أجلها الآخرون لتعجيل  
زمن دخولها بين الأطهار، بدأتُ:

- «يبدو يا نور عينيّ أنك تنفي في واحدٍ من نصوصك أنّ الصّلاة من شأنها أن تغيّر أحكام السّماء؛

لكن هؤلاء القوم يصلون من أجل هذه الغاية، فهل رجاؤهم باطلٌ في كليته، أم أن ما تقوله ما هو بالجليّ عندي؟» فأجابني:

- «إن كتابتي لشقافة، وأمل هؤلاء ما هو بالخادع، إن أنت فكرت فيه بعقلٍ مستقيم.

ذروة الحكم<sup>502</sup> لا تطأطأ هامتها الآن نار المحبة تُكمل في موضعٍ ما ما ينبغي أن يؤدّيه الآتون إلى هنا.

وفي الموضوع الذي قررت فيه هذه النقطة، ما كان للصلوات أن تمحو الخطايا، لأن الصلاة كانت آنذاك مفصولةً عن الله<sup>503</sup>.

لكن لا تُراوخ في شكك العسير هذا، فسُترشدك هذه التي ستكون نبراسك بين كل من الحق والعقل. لا أعلم إن كنت تفهمني؛ إنني أتكلّم عن بياتريشي سترها في العلى، عند الذروة من هذا الجبل، سعيدةً وضاحكة. «قلت:

- «فلنحتّ الخطي يا سيدي فما عدتُ لأشعر بالتعب كما من قبل، وتلاحظ الآن أن الجبل بدأ يُلقي ظلّه.»

فأجاب: - «سنمضي بمعونة ما يبقى من نور النهار ما استطعنا ذلك؛ لكن الأشياء ليست كما تحسب، فقبل أن نصل إلى الأعلى سترى عودة الكوكب الذي يغطيه الآن الجبل ولذا لا تصدّ أشعته بجسدك.

لكن انظر الشبح الجالس هناك وحده<sup>504</sup> والذي ينظر في وجهتنا: سيشير هو علينا بالدرّب الأقصر.» فاتجهنا إليها؛ أه، أيتها الروح اللّمباردية! كم كنت ملأى بالازدراء، متعالية، وقورًا ومتمهلةً في النظر! لم تنبس لنا ببنت شفة، بل تركننا نسير لا تفعل سوى أن ترقبنا، كما يفعل أسدٌ رابض. فدنا منها فرجيليو ورجاها أن ترينا خير مرقى؛ فما أجابت على سؤاله، بل سألت عن بلادنا وكذلك عن حياتنا، فبدأ مرشدي الطيب:

- «مانتوا...»<sup>505</sup> ، وإذا بالشبح الذي كان منطويًا على نفسه ينهض في اتجاهه من الموضوع الذي كان جالسًا فيه، قائلاً: - «أيها المانتوي، إنني سورديلو من مدينتك!»، وتعانق الرجلان.

وأأسفاه! يا إيطاليا، أيتها الخانعة، يا مرتعًا للألم، يا سفينةً بلا ملاحٍ وسط العصف، ما أنتِ بمليكة الأقاليم<sup>506</sup> ، بل إنك لَمأخور.

هذه الروح الماجدة ما كان أسرعها ما إن سمعت الإسم العذب لمدينتها في الترحاب هناك بمواطنها!

في حين لا يظلّ أحياءك الآن بلا حربٍ، يمزق بعضهم البعض إربًا، مع أن سورًا واحدًا وخذفًا واحدًا يجمعانهم.

فثشي، أيتها البائسة، على امتداد شطآنك، وبحارك، وانظري داخل جِماك، أو ينعَم بالسلام شطرُ منها؟

ما نَفَعَكَ أَنْ أَصْلَحَ يوستثيانوس منكِ العِنانَ <sup>507</sup> ، إذا كان السَّرج بلا فارس؟  
بغيا به ربِّما كان خزيكِ صارَ أهونَ.

أواه يا رجالًا كان ينبغي أن يمتثلوا ويدعوا قيصر متربِّعًا على السَّرج، لو كنتم تسمعون ما يقضي به الله، أنظروا كم جمح ذلك الجواد، إذ لم يعد ليقومه من مهماز، منذ أن صار زمامه في أيديكم.

وأنت يا ألبرت الألماني <sup>508</sup> يا من تهجر هذه التي صارت آبقة متوحشة، أنت الذي كان ينبغي أن تمتطي صهوتها، ألا فليسقط على ذريتك من النجوم قضاء عادلٌ وليكن صاعقًا ولا سابق له، حتى يمتلىء منه خلُقك رعبًا!

كيف يا ترى احتملتما أنت وأبوك، أن تغدو حديقة الامبراطورية عرصه خاوية وقد أغواكما الجشع بعيدًا عنها؟

تعال وانظر، يا غافل، آل مونتيكي وآل كاييليتي <sup>509</sup> ، آل مونالدي وآل فيليبسكي:  
هؤلاء في النهك وفي الخشية أولئك.

تعال، يا فظ، تعال وانظر ما يلحق بخدامك من القهر ولتضمّد جراحهم؛ وسترى كم هي مظلمة سانتافيورا <sup>510</sup> .

تعال وانظر روماك الباكية، المترملة، تصرخ ليل نهار في وحدتها:

- «أيا قيصري لماذا تخلّيت عني؟»، تعال وانظر إلى شعوبك كم هي متحابة!  
ولئن لم ترأف بنا نحن، فلتخجلن من سمعتك!

وإذا أمكنني القول، فيا جوييتر العظيم، أنت يا من صلبت من أجلنا على الأرض <sup>511</sup> ، هل استدارت عينك العادلان إلى مواضع أخرى؟  
أم تراك في أغوار حكمتك تُدبر خيرًا ربِّما كان يعيا على مداركنا أن تسبره؟

ذلك أنّ مدن إيطاليا بالطغاة ملأى وإن أدنى ريفي متحرّب ليصير فيها كمثّل مارتشيلوس <sup>512</sup> .  
يا فلورنسة، يا مدينتي، في مقدورك أن تبتهجي فهذا الاستطراد ليس ليعنيك، بفضل شعبك الذي يسعى مجتهدًا.

كثيرون، ممّن يؤوون في قلوبهم العدالة، يترثون في إطلاق حكمهم حتى لا يصدر عن القوس خبط عشواء؛ وشعبك لا يحملها إلا على طرف شفّتيه.

يرفض الوظائف العامة كثيرون إلا شعبك فيستجيب متلهفًا من دون دعوة ويهتف: - «إني لمتأهب!».

فلتغتبطي، فلك تهيأت الأسباب:

الترء لديك والسّلام والعقل!

والواقع يُبين صدقَ ما أقول.

أثينا وإسبرطة اللتان ابتكرتا قديمَ القوانين وكانتا في نظامهما مُحكمتين، لم تجترحا في رغد العيش إلا علامةً هيّنة بالمقارنة بكِ يا مَنْ تسنّى القوانين بهذه البراعة بحيث لا يدوم حتى منتصف تشرين الثاني ما تنهمكن في حوكه في تشرين الأول.

وفي الزمن الذي يتذكّره الإنسان كم مرّة غيّرتِ عُمَلتكِ وقوانينكِ وعاداتكِ والوظائفِ وجدّدتِ أعضائكِ جميعًا؟

وإذا ما أحسنتِ التذكّرَ ونظرتِ بإمعان، فسترينَ نفسكِ شبيهةً بهذه المُقعدة التي لا تلقى على الرّياش أيّة راحة، فتروح تكابد ألمها بالتقلّب.

## الأنشودة السابعة

(حوار فرجيليو وسورديلو. قاعدة الصعود إلى المطهر. الوادي الزاهر. بعض الأمراء المهملين لواجباتهم.)

بعدما توالى ذلك الترحاب المهذب البشوش

ثلاث مرّات أو أربع،

تراجع سورديلو وسأل:

- «يا ترى من تكون؟»

513

- «قبل أن تتجه إلى هذا الجبل الأرواح الجديرة بالارتقاء إلى الله، قَبَرِ عظامي أوكتافوس . أنا فرجيليو، لم أخسر السماء بأية خطيئة سوى أنني كنت مجرداً من الإيمان»، بهذا أجابه مُرشدِي. وكمثل من يرى أمامه شيئاً يغمره فجأةً بالعجب فيصدق ولا يصدق، ويقول:

- «إنّه هو... كلاً، ليس هو»، فهكذا بدأ سورديلو؛ ثم خفض عينيه وتقدّم إليه بتواضع، وقبله هناك

514

حيث يُقبّل الأذنى منزلةً .

وقال له: - «يا فخر اللاتين، يا من بكّ أبانَ لساننا عن قدراته، أيها الشرف الباقي للموضع الذي وُلدتُ فيه، أيّ جدارةٍ بل أيّ عنايةٍ تهبني أن أراك؟

وإذا كنتُ جديراً بأنّ أسمعَ كلماتك، فقلّ لي إن كنتَ آتياً من الجحيم ومن أيّ محبسٍ؟» فأجابه: - «حتّى أصلَ إلى هنا مررتُ بجميع حلقات مملكة العذاب، يدفعني فضلٌ من السماء بمعونته آتي. لا بما فعلتُ بل بما لم أفعلُ خسرتُ رؤية الشمس السامقة التي تتشوّق أنت إليها، والتي لم أعرفها إلاّ بعد فوات الأوان.

إنّ هناك لموضعاً تزيد الظلمات كمدّاً، لا العذاب؛ وهناك لا تتصعد الشكاوى في صراخٍ بل في حشرات.

هناك أقبُع صحبة الأطفال الأبرياء الذين نهشتهم أنياب الموتِ قبل أن يُغسلوا من آثام البشر.

أنا هناك في رفقة من لم يعتنقوا الفضائل الثلاث المباركة<sup>515</sup> والذين عرفوا، بلا معصية، الفضائل الأخرى جميعاً.

لكن إن كنت تعرف وتريد، فلتمددنا بعلامة تتيح لنا أن نُسرّع في الوصول إلى المدخل الحقيقي للمطهر<sup>516</sup> .»

فأجاب: - «إننا لا نُقيم في مكانٍ محدود، وأنا متاحٌ لي الصعود والالتفاف، ما استطعتُ الذهاب، ولذا فسأرافقك.



لكِنَّكَ ترى كيف يؤذَن النَّهار بالرحيل، وليس يمكن الارتقاء ليلاً، وعليه فيحسن التفكير بمأوى طيب.

إلى يميننا أرواح تحيا منعزلة، سأقودك إليها إن كنت ترضى، وسيلدُّ لك أن تعرفها.»  
فأجاب مرشدي: - «كيف؟ مَنْ أراد الارتقاء ليلاً أتراه سيمنع أم سيعجز هو نفسه عن ذلك؟»  
فرسم سورديلو الطيب بإصبعه على الأرض خطأ وهو يقول: - «انظر، إنك ستعجز عن عبور هذا الخط بعدما تغرب الشمس:

لن يمنعك من الذهاب أبعد سوى ظلمة الليل، ولكنّها مع العجز ستذهب عنك الرغبة في الارتقاء.  
بيد أنّها تسمح لك بأن تنزل إلى الأسفل، أو تجوب حول الجبل متسكّعا، حيثما يحجب الأفق ضوء النهار.»  
أننّد، قال له أستاذاي كمثّل مَنْ تعمّر الدهشة - «فلتأخذنا حيثما أمكن كما تقول أن ننعّم بالراحة».

لم نكن ابتعدنا كثيرا عندما لاحظت أن الجبل كان منفتحاً، شأنه شأن جميع الوديان هذه.  
ثم قال الشّبح: - «سنمضي إلى حيث يصنع المنحدر ما يشبه فجوة، وهناك سنرقب النهار القادم.»  
وقادتنا في أماكن غير مستوية طريقاً منعرجة إلى جانب الوادي، حيث تنخفض إلى النصف الحواف.

الذهب والفضة الخالصة، القرمز واللؤلؤ، والتيلج والخشب اللامع كرائق الهواء، والزمرد الذي يزداد ألماً لدى كسره، هذه كلّها لو طُرحت بين أعشاب ذلك الوادي وأزهاره، سترى إلى بريق ألوانها منكسفاً كما يندحر الأصغر أمام الأكبر.

لم ترسم الطبيعة هنا فحسب، بل بعبق ألف أريج وأريج هيأت مجموعاً فريداً ما لنا به سابق عهد.  
وعلى العشب الأخضر والأزهار رأيت أرواحاً لا تُرى خارج الوادي وهي ترتل: - «السلام عليك أيتها الملكة!»، وبدأ المانتوي الذي قادنا إلى هناك:

- «لا تطلبنا أن آخذكما إليها قبل أن تزول هذه الفضلة الباقية من الشمس، فمن هذا الإفريز ستريان حركات كلّ منها وملاحمها، بأفضل ممّا لو استقبلتكما في الوادي.

ذلك المتربّع في أعلى موضع والذي يُبين عن أنه أهمل ما كان عليه فعله، والذي لا يفتح فاه عندما يرتل الآخرون، كان هو الامبراطور رودولف<sup>517</sup> الذي كان سيقدر أن يشفي إيطاليا من جراحها المهلكة، والآن فات الأوان لينقذها غيره.

والآخر الذي يبدو وهو يواسيه كان عاهل البلاد التي تنبع منها المياه التي تسكب المولداف في الألي والألي في البحر:

إسمه أوتوگار<sup>518</sup>، وحتى في الأقمطة كان يفوق كثيراً ابنه فنسئلاس<sup>519</sup>، ذلك الملتحي الذي كان يقات من الكسل والفجور.

وصغير الأنف<sup>520</sup> ذاك الذي يبدو متشاوراً والأخر الرقيق المحيّا، مات هارباً وجعل زهرة الرنبق تُفطر؛ أنظر هناك، كيف يلطم صدره!

وتأمل ذلك الآخر الذي أنام خده في باطن يده متنهدًا.

هُمَا أَبُو مَنْ كَانَ وَبِأَلَى عَلَى فَرَنْسَا <sup>521</sup> وَحَمُوهُ:

يعرفان حياته الوضيعة والفاسدة، ومن هنا جاء ما يعصف بهما من الألم.

وذلك الذي يبدو ضخم الأعضاء <sup>522</sup> والذي يرتل في وفاقٍ مع ذي الأنف الفحوليّ، كان يتمنطق بحبل جميع الفضائل؛ ولئن أفلح في أن يظلّ من بعده ملكًا ذلك الفتى الذي تراه جالسًا وراءه، فهذا يعني أن الفضيلة انتقلت من إناء إلى آخر، وهذا ما لن نقدر أن نقول عن بقية الورثة:

جاكومو وفيدريكو <sup>523</sup> يحكمان مملكتين لكن لا أحد منهما يملك خير ميراث.

نادرًا ما تُعاود نزاهة البشر الظهور في الفروع؛ هذا ما يريده واهبها كي تتمكن من أن نسأله إياها.

وعلى كبير الأنف <sup>524</sup> تنطبق أيضًا كلماتي مثلما على بيترو الذي يرتل في صحبته، فأوليا والبروفنس تشتكيان الآن منه.

وبقدر ما تنحط النبتة عن بذرتها، فكذلك هما زوجا بياتريس ومارغريت <sup>525</sup> بإزاء بعل كوستانزا <sup>526</sup>

وانظر ذلك الذي عاش بسيطًا هنري ملك إنجلترا <sup>527</sup>، جالسًا هناك وحده؛ كان له في فروع حطّ <sup>528</sup> أوفر .

وذلك المتمدد بينهم في أدنى موضع متطلعًا إلى السماء هو المركيز غوليلمو <sup>529</sup>، الذي من أجله حملت أليساندرا بما جلبته من حرب أهل مونفيراتو وكانافيزي على البكاء.

## الأنشودة الثامنة

(وادي الأمراء المهملين لواجباتهم. وصول الملائكة. نينو فيسكونتي. النجوم الثلاث. الحية تلود بأذيال الفرار. كورادو مالا سينا يتنبأ لدانتي بالمنفى.)

كانت قد حلت الساعة التي تبعث الحنين  
عند من يركبون البحر وتلّين قلوبهم  
[ذكرى] اليوم الذي ودّعوا فيه أصدقاءهم الأحباء.  
الساعة التي ترشق بسهام العشق المسافر الحديث العهد  
عندما يسمع في البعيد رنين ناقوس  
وهو يبدو باكياً التور الآفل؛  
عندما بدأت أمتنع عن السمع  
وأطلع إلى واحدة من تلك الأرواح  
وهي تطلب بيديها واقفة أن تُسمع.  
ضمّت راحتي يديها ورفعتهما  
مصوّبةً نظرها صوب الشرق  
كانها تقول لله: - «لا أعبا بأحد غيرك!».

كان نشيد «قبل نهاية النهار»<sup>530</sup> في فمها يتردد بهذه التقوى وبأنغام هي بمثل هذه العذوبة، بحيث غيبّني عن نفسي؛ والأرواح الأخرى كانت تتبعها هي أيضاً بخشوعٍ وعذوبة حتى نهاية النشيد، شاخصةً بأبصارها إلى أعلى الدوائر.

أمعن النظر أيها القارئ على ما هو حق، فالحجاب الآن هو من النحافة بحيث ليس يصعب اختراقه.

ثم رأيت ذلك المحفل النبيل ينظر إلى أعلى في سكوت، شاحباً ومتواضعاً كمثّل من يرتقب، ورأيت ملاكين يطلعان نزولاً من السماء حاملين سيفين من لهيب، ناقصين، نزع طرفاهما<sup>531</sup>.

ارتديا ثياباً خضراء كوريقات نامية للتوّ، تطفو من خلفهم تدفعها الريح وتلامسها رياشهم الخضري. حظّ أحدهما في موضع يعلونا قليلاً ونزل الثاني صوب الشاطئ المقابل، هكذا بحيث تراص ذلك الحشد بينهما.

تبيّنت من كلّ واحد الرأس الأشقر، لكنّ النظرة تنزلق على محيّاها وتزوغ، كما تضطرب إحدى

حواسنا من الإسراف.

فقال سورديلو: - «كلاهما آتيان من حلقة ماريا ليحرسا هذا الوادي من الحيّة <sup>532</sup> التي ستأتي عمّا قريب.» ولأني لا أعرف من أية طريق هما آتيان فقد أجلتُ النظر حولي والتصقتُ متجمّدة الجسم بالكتف المحبوبة [لأستاذي].

وأضاف سورديلو: - «دَعونا الآن نزل بين أشباح العظماء ونكلمها؛ إنّه ليلدّ لهم أن يرونا.» أحسب أنني لم أنزل سوى ثلاث خطوات وإذا بي في الأسفل؛ رأيت أحداً ينعم النظر إليّ كالرّاعب في معرفتي. كانت قد أزفتِ اللحظة التي يُظلم فيها الهواء لكنّ لا إلى الحدّ الذي يحجب فيه عن عيني وعن عينيه ما كانت تُخفيه المسافة.

فأقبل نحوي وأنا سرتُ إليه يا للقاضي التّبيل نينو <sup>533</sup> كم يُبهجني أن أرى أنّك لم تكن في حلقة المُعاقبين!

لم يبقَ من ترحابٍ مهذبٍ إلّا وتبادلناه؛ فسألني: متى وصلتَ إلى سفح الجبل عابراً المياه المدينة؟ فقلتُ: - «أوه! جنّتُ هذا الصّباح مجتاراً مناطق العذاب؛ ما زلتُ في حياتي الأولى مع أيّ بمسيري هذا أنفدُ إلى الآخرة.» ما إن سمعَ هو وسورديلو إجابتي حتّى تراجعاً خطوةً إلى الوراء، كما لو أصيبا بالحيرة على حين غرة.

اتّجه أحدهما إلى فرجيليو، وإلى روحٍ جالسةٍ هناك اتّجه الآخر صائحاً: - «انهضْ يا كوزادو وتعال وانظرْ ما أَراده الله بأفضاله!».

ثمّ، ملتفتاً إليّ - «باسمِ هذا الفضل الفريد الذي به تدين لمن يُحسن إخفاءً باعته الأوّل علينا فلا يمكن إدراكه، عندما تكون اجتزتِ الموج الخضمّ قلّ لجوفانا ابنتي أن تدعو من أجلي هناك في العلى حيث يُستجاب للأبرياء.

أعتقد أنّ أمّها <sup>534</sup> ما عادت تمحزني الحُبّ، منذ أنّ فارقتُ نقبها البيض، التي أحسب أنّها ستأسف عليها.

بفضلها نعرف ببالغ اليُسّر كم تدوم شعلة العشق لدى امرأةٍ عندما لا يعود يُذكي جذوتها اللّمسُ ولا النَّظر؛ والحيّة التي تُحمَل في ساح الوغى في ميلانو لن تبني لامرأتي قبراً جميلاً كما كان ديك غالورا سيقدر أن يبنيه <sup>535</sup> «.

هكذا تكلم موسومٌ الوجه بأمانة الغضب العادل الذي يضطرم في الفؤاد بلا إفراط.

بلا انقطاع كانت عيناى الوالتهتان تتجهان إلى السّماء حيث تتقاطر الأنجم بأقلّ سرعة كالدّولاب عندما يكون أقرب إلى محوره.

فسألني مرشدي: - «أيّ بُنيّ ما الذي تنظر في الأعلى؟»

فأجبتُه: - «أنظرُ تلكَ الشَّعَلاتِ الثَّلاثِ <sup>536</sup> التي يبدو القطب كلَّه متأجَّجًا بها.» فقال لي: - «لقد هبطتِ الأنجم اللامعة الأربع التي رأيتهَا في الصَّباح، وصعدتُ هذه إلى مكانها.» وفيما يتكلَّم اجتذبه سورديلو قائلاً له: - «هو ذا عدونا <sup>537</sup>»، وأشار إليه بإصبعه ليراه.

وفي الجانب الذي لا يعود فيه للوادي من حاجز، كانت تقف حيَّة ربَّما كانت هي نفس تلك التي ربيتُ لحوَّاء الفاكهة المريرة.

بين العشب والرَّهر جاءت الرَّاحفة المنقَّرة، تُدير بين الحين والحين رأسها وتلحس ظهرها كما يلحس حيوانٌ ظهره.

لم أر، لا ولن أقدر أن أقول كيف طارَ بازياً السَّماءَ ذانك، ولكنني أبصرتُهما معًا في أثناء الطَّيران. ما إن سمعتِ الحيَّة حفيف الأجنحة الخضراء في الهواء حتَّى لاذت بأذيال الفرار وعاد الملاكان إلى مكانهما في الأعلى طائرَين يتساقق.

خلال تلك الهجمة كلَّها لم يكن الشَّبح الذي كان قد جاء عندما ناداه القاضي ليكفَّ عن النظر إليَّ بإمعان.

فبدأ: - «ليجدِ القنديل الذي يقودك إلى أعلى في إرادتك ما يكفي من الشَّمع لتبلغ ذروة اللّازورد.» واستأنف: - «لكن إن كان لديك أنباءٌ حقٌّ عن وادي ماغرا أو المناطق المجاورة فهاتها، فلقد كنتُ هناك من العظاماء.

كنتُ أدعى كورّادو مالاस्पينا <sup>538</sup>؛ لستُ كورّادو القديم بل أنا سليلُه؛ ولقد محضتُ أهلي المحبَّة التي تصفو ههنا.» فقلتُ له: - «وي! ما كنتُ في بلدك، لكن هل في أوربا من مكان لا ينتشر فيه صيتهم الدَّاع؟

إنَّ المجد الذي يشرف منزلكم لئِنشِدُ ذكرَ سادته وموطنهم بحيث تعرفهم وإن لم تكُ هناك يومًا: وأقسمُ لك برغبتي في أن أدركَ العلى أنَّ شعبك المجيد لم يفقد شيئًا من بهائه الذي أحرزه بكلا المال والسَّيف.

وإنَّ عاداته وطبعه ليميزانه فمهما يكن من الرّأس الذي يُضلُّ سائر الدّنيا، فهو يسير وحده باستقامةٍ مزدريًا سبُلَ الشرِّ.» فقال لي: - «امض، لن تحتجب الشَّمس سبع مرّاتٍ في الحيز الذي يغطّيه الحَمَل ويعتليه بأطرافه الأربعة، قبل أن يثبت هذا الرّأي اللطيف في صميم رأسك بمسامير أقوى ممّا يفعل خطاب الآخريين؛ ما لم يوقف القضاء الإلهي سيره.»

## الأنشودة التاسعة

(دانتي يغفو ويرى في ما يرى النَّائم أشياء. الاستيقاظ قرب باب المطهر. الملاك الحارس يفتح الباب للمسافرين. من آخر ساعات ليلة أحد الفصح حتى صباح الاثنين 11 نيسان 1300).

539

كانت محظية تيتونوس العتيق  
تأخذ بالشحوب في سُرفات الشُّرق،  
فيما تغادر ذراعي عاشقها البالغ الرقة.  
كان جبينها يشعّ بالماسات  
مرتبّة في هيئة الحشرة الباردة الجسم  
التي تلدغ الإنسان بذنبها؛  
والليل، في الموضع الذي كنّا فيه،  
كان قد خَطَا خطوتين صعدًا  
ومن أجل الثالثة كان قد خفض جناحيه؛  
عندما أحسستُ بالنعاس يغلبني،

540

أنا الذي كنت ما أزال أحمل بعض وزر آدم ،  
فانحنيتُ على العشب حيث كنّا نحن الخمسة.

وفي الساعة التي يشرع فيها الخطاف بإزاء شذوه الحزين قبيل الصبح، ربّما في ذكرى فواجهه  
الأولى، الساعة التي يكون فيها فكرنا المترجّل، بعدما تحرّر من سلطان الجسد وتداعي في أفكاره،  
شبه إلهي في مجموع رؤاه، رأيتُ في ما يرى النَّائم نسرًا معلقًا في السماء بريشٍ ذهبيّ، فاردًا جناحيه

541

ومتأهبًا للهبوط؛ وبدا لي أنّي كنتُ حيثما تخلّى غانيميد <sup>541</sup> عن أصحابها عندما خُطِفَ إلى مجمع  
الآلهة، فقلتُ في نفسي: - «ربّما كان قد اعتاد الصّيد هنا فحسبُ أو لعله يأنف من أن يحمل  
بمخالبه طريدةً أتيةً من أصقاع غريبة.» وبدا لي أنّه حوّم قليلاً ثمّ نزل رهيبًا كالصّاعقة، واختطفني  
عاليًا حتّى منطقةٍ من النَّار؛ ثمّ بدا لي أنّنا نحن نحن الاثنين، وكان ذلك الحريق المرئيّ في الحلم  
من القوّة بحيث كان على نومي أن ينقطع.

وكما كان من أمر أخيل عندما استعاد وعيه، وأجال حوله عينيه اليقظتين، غير عارفٍ في أيّ مكانٍ

542

هو، عندما استعادته أمّه من كيرون <sup>542</sup> وحملته نائمًا بين ذراعيها إلى اسكيروس حيث سيختطفه  
الإغريق من بعد، فهكذا استعدتُ رشدي، وإذا بالنعاس يهرب من محيّي فصرتُ شاحب اللّون

كَلِّي، كمثل رجلٍ يَجْمَدُ من الرّعب.

إلى جانبي كان أنيسي وحده والشّمس مرتفعة منذ ما يقرب من ساعتين، وأنا كنت ملتفتًا ناحية البحر.

فقال لي سيّدي: - «لا تفرّغني! ولتطمئنّ، فهذا نحنُ نصل إلى شاطئ الأمان، ألا لا تخنق شجاعتك، بل أطلقها.» هو ذا أنت بلغت المطهر، انظر الإفريز يحيط به من كلّ جانب، والمدخل حيث تبدو الصّخرة مثلثة.

منذ سويعاتٍ، في الفجر، قبل أن ينبج الصّبح، عندما كانت روحك غافيةً في صميم ذاتك، بين الأزهار التي تُزيّن الوادي كلّها، أقبلت سيّدةٌ وقالت: - «إنني لوتشيا <sup>543</sup>، دعوني آخذ هذا الفتى النَّائم وسأيسّر أنا له طريقه.» فتخلّف سورديلو وبقية الأرواح النبيلة؛ وحملتك هي، وعندما انبلج الصّبح صعدت بك، ومضيتُ أنا أففو خطاها.

وهنا طرحتك، ولكن في البدء أرثني بعينيها الجميلتين المدخل المفتوح هذا؛ ثم ذهبت وذهبت نومك وإياها.» وكمثل من يتطامن وسط الشك، ويحوّل خوفه إلى ثقة، عندما تتجلى له الحقيقة، فهكذا تغيّرت؛ وإذ أبصرني أستاذي مجردًا من كلّ مخافةٍ، شرع بالسير على تلك الحافة وأنا سرت في إثره إلى أعلى.

هو ذا ترى أيّها القارئ كيف أسمو بمادّة نشيدي <sup>544</sup> فلا تعجبني إذا ما أعلينته بمزيد من الفنّ. ثم دنونا وغدونا في الموضع الذي بدت لي فيه الصّخرة أوّل الأمر مشقوقة بما يُشبه صدعًا في حائط، ورأيتُ هناك بابًا تحته ثلاث درجات تقود إليه، بألوانٍ مختلفة وأمامه حارسٌ كان يلزم الصّمت.

وبقدر ما رحّت أفتح عيني كنتُ أراه جالسًا على الدّرجة العليا لكّي لم أتحمّل سطوع محيّاها: كان يمسك بيده سيقًا منزوعًا من غمده، يُسلّط علينا أشعته بحيث عبثًا كنتُ أتجه إليه بنظراتي <sup>545</sup>.

قال لنا: - «من أين أنتما وما تبغيان؟

وأين دليلكما؟ ألا حذار من أن يسوءكما المجيء إلى فوق.» فأجابه أستاذي: - «إن سيّدة من السّماء عليمّة بهذه الأشياء قالت لنا منذ وهلة: - "أذهبًا إلى هناك، فهناك المدخل." فاستأنف الحارس الدّمث وهو يقول:

- «فلتسددّ خطواتكم صوب الخير، ولتتقدّما إلى درجاتنا.» فخطونا إلى هناك، وكانت أولى الدّرجات من مرمرٍ أبيضٍ بالغ اللّمعان أملس <sup>546</sup> حتى كنتُ أراني فيه كما في مرآة.

الثّانية كانت سوداء أكثر منها حمراء داكنة <sup>547</sup>، ومصنوعة من صخرة خشنة متحرّقة ومحزّزة طولًا وعرضًا.



والثالثة التي استقرت عليها بدت لي حمراء حمرة نارية<sup>548</sup> أشبه ما تكون بالدم المنبجس من شريان.

على هذه الدرجة كان ملاك الله واضعاً قدميه وكان جالساً عند العتبة التي بدت لي من الألماس<sup>549</sup>

ارتقيت الدرجات بمنتهى الرغبة يدفعني مرشدي قائلاً لي:

- «سله بتواضع أن يفتح لنا الباب.» فجتوت أمامه بخشوع ورجوته أن يرأف بي ويفتح، وقد ضريت أولاً على صدري ثلاث مرّات.

فخط بسيفه على وجهي سبعا الحرف الذي به تبدأ كلمة «خاطي»، وقال لي: - «تذكّر عندما تكون في الداخل أن تمسح عنك هذه الندوب<sup>550</sup>».

كان على ثيابه اللون نفسه<sup>551</sup> الذي للرماد أو لأرضٍ تُحرث وهي جافة، ومن تحتها أخرج مفتاحين<sup>552</sup>.

كان أحدهما من الذهب والثاني من الفضة؛ فعالج الباب بالمفتاح الأبيض ثم بالأصفر، وكان له من البراعة ما أفرحني.

قال لنا: - «في كل مرة يعجز فيها أحد هذين المفتاحين عن الدوران في القفل ويخطئ طريقه يتعدّر فتح هذا المدخل.

أحدهما أئمن، ولكن الآخر يتطلب المزيد من الحذق والفرنّ قبل فتحه ذلك أنه هو الذي يحلّ العقدة.

ورثتهما من بطرس الذي قال لي إنه لأولى بي أن أخطئ في الفتح ممّا في الإغلاق عندما يرتمي الآثمون عند قديمي.» ثم دفع مدخل الباب المبارك وهو يقول: - «ادخلاً، وأحيطكما علماً بأنّ كل من نظر إلى الورا كان عليه الخروج.» وعندما دار على الرّزات مصراعاً ذلك الباب القدسيّ المصنوع من

معادن ربّانة قويّة، فما زار تارياً<sup>553</sup> هكذا ولا أبدى مقاومةً أكبر عندما انزع منه ميتيلوس الطيب وبقي كامل الخواء بعده.

فالتفتُ إلى ذلك الصّخب الأول فسمعتُ: «اللهم لك الحمد» آتيةً من صوتٍ امتزج بالزّنين العذب للباب.

ولقد مدّني ما سمعتُ بصورةٍ شبيهة بهذه التي نلمحها عندما نشرع بالإنشاد على أنغام الأرغن<sup>554</sup>، فتفهم الكلمات تارةً وطوراً لا تفهم.



## الأنشودة العاشرة

(الصَّعود إلى الإفريز الثاني. أمثلة على التّواضع منقوشة في الصّخر: مريم وداود وترايانوس. تقريع غطرسة بني الإنسان.)

عندما اجتزنا عتبة ذلك الباب

الذي يمنع الأرواح من دخوله ما تحمله من حبّ سيء

يجعل الطريق المتعرجة تبدو مستقيمة،

أدركتُ من الصّيرير أنّه أُعيد إغلاقه،

ولو أنّي التفتُ إليه بعينيّ

فما سيكون عذر خطأي؟

وبدأنا بارتقاء صخرة منفلقة

تتمايل من جهةٍ إلى أخرى

كما تفعل الموجة هاربةً فدانية.

فبدأ مرشدي: - «ينبغي أن نلتزم الحذر في ملازمة الجانب الذي يميل من هنا تارةً ومن هناك طورًا.»  
طبع ذلك بالبطء مسيرتنا حتى أنّ هلال القمر في خطّ انحداره كان قد بلغ مئواه يلتمس الرّاحة،  
قبل أن نكون خرجنا من تلك الثّغرة؛ ولكنّ عندما صرنا حزينين في طلاقة الهواء حيثُ ينحسر الجبل  
إلى الخلف <sup>555</sup> ، وكان غشينيّ التعب وصرنا على غير يقين من سبيلنا، بلغنا سطحًا كان أكثر عزلةً  
من سبُل الصّحاري.

ومن طرفه المُفضي إلى الفراغ إلى أسفل الجرف الصخريّ الماضي صعدًا كانت المسافة تعادل ثلاث  
مّراتٍ قامّةً إنسان <sup>556</sup> ؛ وبقدر ما كانت عيناى تبلغان في تحديقهما، وعلى الجانب الأيسر كما على  
الأيمن، فهكذا بدا لي ذلك الإفريز.

ما كانت أقدامنا تحرّكتُ من هناك بعدُ عندما تبين لي أنّ سوره الخارجيّ الذي كان وعزًا وبلا ثغرةٍ  
للمرور، كان من مرمر أبيض زيّنته محفوراتٌ بدیعة لم يكن بوليكليتوس <sup>557</sup> وحده بل الطّبيعة  
نفسها ستقفُ حسيرةً بإزائه.

الملاك <sup>558</sup> الذي حمل للأرض السّلام الذي طالما تمتّته النّاس، وفتح السّماء من بعدِ تحريم  
طويل، كان منقوشًا أمامنا بمثل هذه الحقيقيّة، منحوتًا في وضع هو من اللّطافة بحيثُ لم يبدُ لنا  
صورةً صامتة.

وأكد أقسم أنه كان يقول: - «السّلام عليكِ [يا مريم]»، فألى جانبه كانت منقوشة هذه التي عالجتِ المفتاح لتفتح الباب للحبّ الخالص، كانت هيئتها تفصح عن هذه الكلمات:

- «هي ذي خادمة الربّ» <sup>559</sup> بهذه النّصاعة التي بها تنطبع في الشّمع صورة.

- «لا تحصرِ انتباهك في موضع وحيد»، قال لي مرشدي الحبيب، وقد وقفَ إلى جانبي من جهة القلب.

فالتفتُ إلى ناحيةٍ أخرى ورأيتُ وراء مريم، في الجانبِ ذاكِ نفسه حيث كان يقف من يرشدني، قصّةً أخرى حُفرتُ في الصّخر؛ فتجاوزتُ فرجيليو وتدانيتُ بحيث تتبيّن عيناى معالمها.

وفي المرمر ذاته كانت محفورة العربة والثيران حاملة تابوت العهد <sup>560</sup> الذي يبعث الخوف من كلّ مهمّةٍ لم يُعهد بها إلينا <sup>561</sup>.

وُضع في الأمام حشدٌ مقسّم إلى سبع جوقاتٍ، جعلَ إحدى حواسي تقول: - «إنه يغتّي» والثانية تقول: - «لا، ليس يغتّي».

وعلى النّحو ذاته أمام دُخنة البخور المنقوش هناك، كان كلا العين والأنف يتنازعان فيما بينهما «لا» و«نعم».

هناك سارَ الزّبوريّ المتواضع يرقص مشمّراً <sup>562</sup>، ويتقدّم التابوت المقدّس، وهو على هذه الحال أكثر من ملكٍ وأقلّ.

وأمامه حُفرتُ صورة ميكال <sup>563</sup> تنظر إليه من نافذة قصرٍ شاسع، كمثّلٍ سيّدة ملؤها الحزن والغيض.

وخطوتُ من الموضع الذي كنتُ وقفتُ فيه لأرى عن كثبٍ قصّةً أخرى كانت من وراء ميكال تسطع ببياضها.

هناك حُطّ الصّنيع الماجد لأمير الرّومان الذي قادت فضائله غريغوريو إلى نصره الكبير <sup>564</sup>؛ أنكلم عن ترايانوس الإمبراطور الذي كانت أرملة قد أمسكت بعنان جواده باكيةً ومُفصحةً عن ألمها في إيماءات.

حوله كان حشد من الفرسان يتدافع، وفوق رؤوسهم نسور في محيطٍ من الذهب تتقلّب وسط الرّيح.

وسط هؤلاء الرّجال كانت تلك المسكينة تبدو قائلةً: - «مولاي، ألا انتقم لابني الذي طلّ دمه، إنّ فؤادي من أجله لمطعون.» وبدا وكأنه يجيبها: - «انتظري ريثما أعود»، فتقول له كمّن يسوطه الألم سوّطاً:

- «وإذا لم تعد يا مولاي؟»، فيجيب:

- «يفعل ذلك مَنْ سَيَقوم مقامي»، فتردّ: - «فيم يُجديك خيرٌ يقوم به غيرك إذا ما أودعتَ خيرك في طياتِ النّسيان؟» فأجاب: - «لا عليك؛ إنّه لمن المناسب أن أضطلع بواجبي قبل الرّحيل، فالعدالة تريد ذلك، والرّأفة توثقني.» إنّ ذلك الذي لا جديد في نظره <sup>565</sup>، صوّر هذا الكلام المرئيّ الجديد علينا، والذي لا وجود له على الأرض.

وبينا أمتّع نفسي متأملاً هذه الصّور التي أحالها صانعها بالتّواضع الذي يسودها غالبيةً في أعيننا، همسَ لي الشّاعر: - «هو ذا يأتي سائرًا الهويدي جمعٌ غفير سيُرينا الدّرجات الصّاعدة إلى أعلى.» فالتفتُ إليه من دون توانٍ بعينيّ المسرور تين بالتطلع أبداً إلى جديد الأشياء بشغف.

ومع ذلك، أيها القارئ، فأنا لستُ لأريد أن أثبّط نبيلَ مقاصدك إذ أقول لك كيف يريد الله استيفاء الدّين.

ولا يهتمك ما لعذاب التطهّر من أشكال، بل ينبغي أن تفكّر بما يُسفر عنه، ثمّ إنّه لا يدوم أبعدَ من يوم الحساب.

وبدأتُ: - «أستاذي، إنّ ما أراه وهو يتقدم إلينا لا يبدو بشراً ولا أدري ما هو لفرط ما يزوغ عليه بصري.»

فقال لي: - «إنّ الطبيعة القاسية لما يلقون من عذابٍ تُلصقهم بالأرض حتّى لقد تضاربتُ بشأنهم منذ قليلٍ عيناى.

لكن انظر إليهم جيّداً وتبيّنْ بالعينين ما يأتي تحتَ هذه الصّخور؛ ومن الآن تقدر أن ترى كيف يضربون أنفسهم» أيّها المسيحيّون المتغطرسون، يا تعساء مساكين، أيّها المحرومون من نور البصيرة، والواثقون بسيركم القهقريّ؛ ألا ترون أنّنا لسنا بأكثرَ من ديدانٍ حُلقتُ لصنع الفراشة الملائكيّة التي تطير صوب العدالة بلا عائق؟

لم تنتفخ روحكم هكذا عاليًا ما دمتم لستم سوى حشرات ناقصةٍ، يرقاتٍ غير مكتملة النموّ؟

وكما لتدعيم سقّفٍ أو سطح ترى أحيانًا زخارفٍ في هيئة تماثيل رُكبها ملتحمة بصدورها، وبشكلها الرّائف تبعثُ أسى حقيقيًّا في نفس مَنْ يتأمّلها: فهكذا رأيتُ هؤلاء مصوغين، إذ أمعنتُ فيهم نظري.

صحيحٌ أنّ انحناءهم كان متراوحًا بتراوح ما يُثقل ظهورهم من أحمال؛ لكنّ أكثرهم صبرًا في حملة بدا وهو يقول باكياً: - «ما عدتُ لأحتمل المزيد.»

## الأنشودة الحادية عشرة

(المتكبرون يرتلون. أومبرتو ألدوبراندسكي. أوديريزي دا غوبيو. يروفنتزان سالقاني.)

- «يا أبانا الذي في السموات <sup>566</sup> ،

لا لأنك مُنحصرٌ فيها، بل لما تكنّه من حبّ عظيم لأوّل

مَن خلقتَ في عليائك،

ألا ليمتدحِ الخلق أجمعين

اسمك وجبروتك مثلما يليق

بأن يُطري على انبعاثاتك <sup>567</sup> الرائعة.

وليأتِ إلينا سلام ملكوتك،

لأننا لا نقدر أن نبلغه بأنفسنا

مهما بذلنا من الجهد ما لم يجيء هو إلينا.

وكما يضحّي لك ملائكتك بإرادتهم

عندما يرتلون «الهوشعنا» <sup>568</sup> ،

فكذلك ينبغي أن يضحّي البشر بإرادتهم.

أعطنا كفاف يومنا،

فبدونه سيكون المجتهدون للسّير قدّمًا

في هذه البידاء القفر محمولين على العودة القهقري.

وكما نغفر لكلّ إساءته إلينا

فلتغفر لنا برحمتك أيضًا

من دون أن تنظر إن كُنّا لذاك أهلاً.

ولا تتبلّ مع عدونا القديم

قوّتنا اليسيرة الاندحار،

بل نجّها من تكالبه عليها.

هذه الصّلاة الأخيرة،

ربّاه أيّها الحبيب،

لا نقوم بها من أجل أنفسنا فلا حاجة بها لذلك،

بل لمن تخلّفوا في الطريق.»

هكذا كانت هذه الأشباح تدعو لنفسها ولنا، وتتقدّم مثقلّة بما يشبه أضغاث أحلام.

في عقوباتها المتفاوتة تدور تعبي على امتداد الإفريز الأوّل، لتتطهر من أدخنة الدنّيا.

فإذا كانت النَّاس دائمة الصّلاة من أجلنا على الأرض، فما يقدر أن يقول ويفعل هنا من أجلها من انغرس في إرادة طيّبة؟

ينبغي أن نساعدنا في إزالة الشّوائب التي علقت بها على الأرض كي تقوى على الصّعود خفيفة ونقيّة إلى دوائر النّجوم.

- «عسى أن تخفّف العدالة والرّحمة عنك أحمالك، فتفرد عمّا قريب جناحيك ليرقيا بك بمقتضى رغبتك؛ هلاً أريتنا الدرب الأقصر إلى السّلم؛ وإن كان هناك ممّرات كثيرة فلتقل لنا أيّها أقلّ انحداًرا.

فهذا الذي يصحّبي يعاني في الصّعود عسراً بباعث من جسمه الآدمي الذي ما برح يكسوه.» ما كان يمكن أن نعرف من فاه بالكلمات التي بها أجيّب على ما قال هذا الذي كنت أتبع، لكنّ أحدهم قال: -«اتبعنا إلى اليمين، على الحافة، وستجدان الطّريق التي يمكن أن يصعد منها إنسان حيّ.

لو لم أكن معوقاً بالصّخرة التي تُخضع رقبتى المتكبّرة وتجبرني على البقاء مطأطأاً رأسي، لنظرت إلى هذا الرّجل الحيّ الذي لا يقول اسمه، لأرى إن كنت لأعرفه، ولأثير شفقتة على هذا الجمل.

كنتُ لاتينيّاً، ابنَ توسكانيّ عظيم، كان أبي هو غوليلمو ألدوبراندسكي <sup>569</sup> ، ولا أعلم إن كان اسمي تناهى إلى سمعكما.

دم أسلافي الشّهير ومآثرهم جعلوا مّي إنساناً متغطرساً، ومن دون التّفكير بأمننا المشتركة، رحّت أزدري جميع بني الإنسان، وفي هذا كان موتي كما يعرف كلّ من في سينا وكلّ صغير في كامبانيايكو.

أنا أومبرتو؛ ولم تجلب الكبرياء لي أنا وحدي الضّر بل لقد ساقّت إلى الشّقاء كافّة أقربائي.

بسببها ينبغي أن أحمل هذا الثّقل لأكفر أمام الله بين الموتى، ما دمت لم أفعّل هذا عندما كنت في عداد الأحياء.» ويينا أصغي إليه أطرقت برأسي إلى الأرض وكان واحد منهم، لا ذلك الذي تكلم، يتلوّ تحت العباء الذي كان مُثقلًا عليه، فرأني وعرفني وناداني، جاهداً في تثبيت عينيه عليّ، أنا الذي كنت سائراً بينهم بانحناء.

فسأله: - «آه، ألسّت أوديريبي 570 فخر غيبّيو وفخر ذلك الفنّ الذي يسمّى فنّ زخرفة الكتب

بباريس؟» فقال لي: - «يا أخي إنّ الأوراق لأكثر بشاشة عندما تلمسها ريشة فرانكو البولوني <sup>571</sup> ، الفخر كلّ له، وما لي منه إلا شطر يسير.

وما كان يمكن أن أكون دمئًا في حياتي لفرط ما كانت رغبتى كبيرة في إحراز قصب السبق الذي كان يصبو إليه قلبي.

ولمثل هذه الكبرياء نسدد هنا الجزاء، وما كنت حتى سأكون في هذا الموضع لو لم أعد إلى الله عندما كان في مقدوري أن أخطئ.

أيها المجد الباطل للهيمنة الإنسانية! ألا ما أقصر اخضرار ذراك إن لم تعقبها أزمنة أشد شظفًا!  
572 حسب تشيمابوي 573 أنه خلا له الجو في الرسم، ولكن الصيحة هي الآن لجوتو 574 ، حتى  
لقد انطفأ مجد الأول.

كما انتزع أحد الغويدوين 575 مجد اللسان من الآخر؛ وربما ولد ذلك الذي سيطرده من العش كلا  
الاثنتين.

وما الشهرة في العالم إلا نفثة للرياح تهب تارة هنا وطورا هناك، وتغير اسمها فيما تغير وجهتها.

وإذا ما غادرت جلدك وقد صار هرمًا أو مت قبل أن تنسى الخشخاشة وعصيدة الأم 576 ففي أي  
الحالين سيكون لك صيت أعم قبل أن ينقضي ألف عام هي في حقيقة الأمر أقصر في عرف الأبدية  
من طرفة عين بالقياس إلى أبطأ حلقة في علياء السماء؟

إن من يتجرجر هكذا أمامي كان له اسم يُجلجل بذكره سائر توسكانيا، واليوم لا يكاد يُهمس باسمه  
في سيينا 577 ، حيث كان سيدًا حينما قضي على غضب فلورنسة الذي كان في ذلك الزمان متعطرًا  
مثلما هو اليوم داعر.

وما شهرتكم [يا بني الإنسان] إلا كمثل لون العشب الذي يروح ويأتي وينزع عنه لونه ذلك الذي  
أخرجه من التربة طريًا 578 . « فقلت له:

- «إن كلامك الحق ليُلهمني تواضعًا طيبًا ويُزيل عني ورمًا كبيرًا، لكن من هو هذا الذي تكلمت الآن  
عنه؟» فأجاب:

- «إنه بروفنتزان سالفاني وهو هنا لأنه ادعى ذات يوم أنه سيضع سيينا بكاملها بين يديه.» هكذا  
سار وما برح يسير لا يتوقف منذ موته، وهذا هو الثمن الذي ينبغي أن يُسدده للتكفير من جرؤ  
هناك على الكثير.

فقلت: - «إذا كانت الروح التي انتظرت نهاية عمرها لتعلن عن توبتها، تظل قابعة في الأسفل ولا  
تصعد إلى هذه الدائرة قبل أن تمضي هناك بقدر سني حياتها، إلا إذا أسعفتها صلاة طيبة، فيا ترى  
كيف أتيح لهذا أن يأتي إلى هنا؟» فأجابني: - «عندما كان يعيش في عز مجده جاء من تلقاء ذاته إلى  
ميدان العموم في سيينا، كاشفًا عن نفسه ومُلقيًا عنه بكل شعور بالخزي، وإخراج صديق له من

العذاب الذي كان يلقاه في سجن شارل، وقف هناك متواضعًا حتى لقد ارتجفت دمه كله 579 .

لن أقول لك المزيد؛ إنّ كلامي لَغامض، لكنّ لن يمرّ وقت طويل قبل أنْ يساعدك جيرانك على تفسيره.

هذا الفعل الحميد هو الذي فتحَ له حدودنا.»

## الأنشودة الثانية عشرة

(أمثلة على العُجب مصوّرة في محفورات على الأرض. الصّعود إلى الإفريز الثاني.)

سرتُ وهذه الزّوَح المحمّلة

بالأعباء كما يسير ثوران رازحان تحت النّير،

طالما سمحَ بذلك مرّيّ الحبيب.

ولكنّ عندما قال لي: - «فلتدعُه وشأنه ولتمضِ قدّمًا

فمن المناسب أن يدفع كلُّ هنا قاربَه

بالمجازيف والأشرعة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا»،

اعتدلتُ بقامتي بقدر ما يلزم من أجل السّير،

مع أنّ فكري كان ما يزال مكظومًا وفي انكسار.

وشرعتُ بالسّير متّبعًا بطيبة خاطر

خطواتٍ أستاذي وجعلَ كلُّ منّا يُبدي كم أصبحَ خفيًّا،

حينما قال لي: - «انظرُ إلى الأرض لأنّ من اليمن، كي تتبيّن طريقك، أنّ تعالين موطئ قدميك».

وكما تحمل لوحات القبور إشاراتٍ إلى ما كانه موتاها لكي تتأبّد ذكراهم، وبذلك يُبكي عليهم مرارًا

بدافع من وخز الذكرى الذي لا يلسع إلّا القلوب الرّحيمة، فكهذا رأيت الفضاء كلّه الخارج من

الجبَل في هيئة طريقٍ، مزينًا بصورٍ من أرقى فنّ.

ورأيتُ ذلك الذي خُلِقَ أنبلَ من جميع المخلوقات وهو ينزل من السّماء محفوفًا بالبروق في إحدى

الجهات.

وعلى الجانب الآخر رأيتُ برياروس <sup>580</sup> وقد اخترقه سهمٌ من السّماء فاستلقي على الأرض عالقًا في

الثّلج المميت من قبل.

ورأيتُ تيمبريوس <sup>581</sup> ويالاس ومارس شاكين بعدُ بالسّلاح من حول أبيهم يتأمّلون الأعضاء المفترقة

للعماليق.

ورأيتُ نمروود <sup>582</sup> أسفل برجه العظيم كالمشدوه يحدّق بالأقوام التي شاطزته كبرياءه في شنعار.

وأنت يا إنوي <sup>583</sup> ، بأية عينين والهتين أبصرتك منقوشةً في الطّريق صحبةً سبعةً ثمّ سبعةً آخرين

من أبنائك الصّرعى!



وأنت يا شاوول <sup>584</sup> ، كيف بدوت لي هناك ميّتا على سيفك نفسه في جلبوع الذي لم يعرف بعدّ ذاك لا قَطْرَ التّدى ولا المطر.

ثمّ أوّاه يا أراكنا <sup>585</sup> ، إيّ أبصرتك تبكين وقد صرت من قبلُ نصفَ عنكبوتٍ فوق مِرْقِ ذلك النّسيج الذي صنّع من أجل شقائقك.

ويا رحبعام <sup>586</sup> هي ذي صورتك مترعةٌ بالدّعر لا تهديدَ فيها، تحملها عربة لا يتبعها من أحد.

ما يزال ذلك البلاط الصّلد يرينا كيف جعل الكمايون <sup>587</sup> أمّه تدفع أبهظ الأثمان لقاء حليّته المشؤومة.

ويرينا كيف ارتمى أبناء سنحاريب <sup>588</sup> على أبيهم وسط المعبد، وكيف تركوه هالكا هناك.

ويرينا ما تسبّبت به تاميريس <sup>589</sup> من دمار وتقتيل عندما قالت لقورش:

- «كنت للدم ظامنا وإني لبالدم أرويك».

ويرينا كيف هرب الآشوريّون بعد مصرع أوليفانا <sup>590</sup> كما يرينا آثار اغتياله.

كنت أرى طروادة رمادا وخرائب:

وكم بدوت يا إليوم <sup>591</sup> وضيعه ومهانة في الصّورة التي تتبيّنهما العين هناك! أيّ أستاذ للقلم والريشة كان سيقدر أن يخطّ مثل هذه الظلال والرّسوم التي من شأنها أن تُدهش أدهى عقل؟

الموتى كانوا يبدون موتى والأحياء أحياء فمّن رآهم بأّم عينيه لم يرَ أحسنَ منّي ما كان مرسوماً عند قديمي لفرط ما كنت أسير حاني الرّأس.

فلتنتفخوا بالعُجب ولتشمخوا بنظراتكم يا أبناء حوّاء، ووجوهكم لا تخفضوها مخافة أن تروا طريقكم الحافلة بضروبٍ من الشرّ.

كنا مضينا دائرين حول الجبل وكانت الشّمس قطعَتْ شوّطا أطول ممّا حسبّه فكري المشغول، وإذا بهذا الذي يسير دوّما أممي دائمة التّباهة يبدأ: - «ألا ارفع رأسك، لم يعد من وقتٍ لتسير في مثل شرودك هذا.

أنظُر في تلك النّاحية ملاكا يتهيا للمجيء إلينا، وانظُر كيف تعود من عملها الوصيفة السادسة <sup>592</sup> لليوم .

رَبِّنْ بالتوقير وجهك وإيماءاتك كي يروق له أن يحملنا إلى أعلى، ولتفكّر بأنّ هذا النّهار لن يشرق ثانية أبداً.» كنت قد اعتدتُ أن ينّبهي لعدم إضاعة الوقت حتّى لم يعد في مقدوره أن يكلمني في هذا الشّأن تلميحا.

وأتى في اتجاهنا الكائن الجميل مثنّحًا بالبياض ومحياه شبيهه بنجمة الصبح المتلألئة.

فتح ذراعيه ثم بسط جناحيه وقال: - «تعالا، دانية هي السّلام، ويمكن صعودها بكلّ يسر. نادرون من يستجيبون لهذه الدعوة: يا للعزق البشري، وُلدت لتطير في رحاب السّماء فمالك تهوي أمام أدني هبة ريح؟» ثمّ قادنا إلى حيث كانت الصخرة مشقوقة وهنا رفرف بجناحيه على جبيني ووعدني برحلة يحقها الأمان.

وكما فوق جسر روبا كونتي لارتقاء الجبل الذي تشمخ فيه الكنيسة المشرفة على المدينة المحسن قيادها <sup>593</sup>، ينكسر المنحدر الوعر ناحية اليمين بدرجات بُنيّت في ذلك العهد الذي كانت السجّلات والمكايل فيه موثوقًا منها، فهكذا يعتدل الشاطئ الذي ينزل من الدائرة الأخرى منحدرًا بشدة، سوى أنّ صخورًا حقّت به من كلا جانبيه.

ويينا نخطو هناك تناهت إلينا أصواتُ ترتّل: «طوبي للمساكين في الروح!» <sup>594</sup> بأعذب ممّا يقدر على قوله كلّ كلام.

آه شتّان بين هذه المداخل ومداخل الجحيم، فهنا يدخل المرء وسط الأناشيد، وهناك خلال وحشي الصّراخ.

كنا شرعنا بارتقاء الدّرجات المباركة، وبدوتُ لنفسي أكثر خفة ممّا كنتُ من قبلُ في الأرض المنبسطة.

ولذا قلتُ: - «أستاذي، أيّ عبءٍ أزيح عن كاهلي، فأنا إذ أمشي لا أكاد أحسنّ بأيّ عناء؟» فأجابني: -

«عندما ستمّحي الأحرف <sup>595</sup> الما تزال مرسومةً على جبينك، كما امّحي من قبل أولها، فستكون قدماك لإرادتك الطيبة خاضعتين بحيث لا تشعران بعدُ بالتعب، بل ستلقيان أكثر من ذلك في الصّعود بهجتها».

فصرتُ أفعلُ كمن يحملون على رؤوسهم شيئًا لا يعرفون ما هو لو لم تُنرّ إشارات الغير بشأنه شكوكهم، فيرفعون ليتحقّقوا منه يدهم التي تروح تبحث وتجد وتضطلع بالمهمة التي لم تنهض بها أعينهم؛ وبأصابع يدي اليمنى، المفتوحة لم أجد سوى ستّة أحرفٍ باقية ممّا خطّه على جبيني الملاك حامل المفتاحين.

حينما لاحظ مرشدي ذلك، ابتسم.

## الأنشودة الثالثة عشرة

(الإفريز الثاني: الحساد. فرجيليو يبتهل إلى الشمس. أمثلة على الشفقة تنادي بها أصوات غامضة. سايبا، من مدينة سينا. إعراف دانتي.)

كنا بلغنا ذروة ذلك السلم  
حيث ينشقّ للمرة الثانية  
الجبل الذي يُطهر ارتقاؤه من كافة الشرور.  
وهنا يدور إفريز ثانٍ  
حول حوافّ جبلٍ شبيه بالأول  
سوى أنّ قوسه أشدّ انحناءً.  
لا ترى هنا صورةً ولا نحتًا  
والجبل والطريق كلاهما عاريان  
وتلّونهما دكنة الصّخور.

قال لي الشّاعر: - «إذا ما نحن انتظرنا من يدلنا فإنني لأخشى أن يتأخّر اختيارنا للطريق».

ثم حدّق بملء عينيه بالشمس واستند إلى جانبه الأيمن ومن بعد أدار الجانب الأيسر، وطفق يُناجي: - «أيها النور الحبيب، يا من برعايته ألج هذه الطريق الجديدة ألا قدنا مثلما تحسّن القيادة في هذه الجياض. إنك لتدقّ العالم وعليه تسطح، فإذا لم يطردها باعث آخر، فينبغي أن تكون خيوطك هادينا.» إنّ ما يُحسب هنا بمسافة ميل، قطعناه هناك بوقتٍ وجيز بفضل ما يحدونا من رغبة لاهبة.

كانت الأرواح المهذّبة تدعونا إلى مائدة المحبّة؛ فسمعناها ولما نبصرها.

والصّوت الأوّل الذي مرّ بنا في طيرانه كان يقول: - «ليس لديهم من خمر»<sup>596</sup> ، ومضى يردّد ذلك من ورائنا.

وقبل أن نقطع عن سماع كلماته بسبب البعد، مرّ آخر وهو يهتف:

- «إنني أوريستس»<sup>597</sup> ، وهو أيضًا لم يتوقّف.

سألت: - «أبتاه، ما هي هذه الأصوات؟»، وبيننا أتساءل مرّ ثالث وهو يقول: - «أحبّوا من الحق بكم الضّر».

فقال الأستاذ الطيّب: - «هذه الحلقة تُوبّخ الحسد، ولذا كانت أهداب سياطهما منسوجة من

المحبّة.

فالكايح ينبغي أن يكون من نعمة مغايرة، وأعتقد أنّك ستسمعها عندما تطأ عتبة الغفران.  
لكنّ أنعم النّظر في الجوّ، فسترى قومًا جالسين قبالتنا مستندين جميعًا إلى الصّخر. « فحملتُ  
بكلتا عينيّ ورأيتُ أمامي أرواحًا تتّشح بعباءاتٍ بلون الحجارة.  
وعندما ابتعدنا قليلًا، سمعتُ من يهتف: - «يا مريم صليّ من أجلنا»، وسمعتُ أسماء «ميكائيل»  
و«بطرس» و«جميع القديسين».

لا أحسب أنّه ما يزال يعيش على الأرض من هو من القسوة بحيث لا ينفطر قلبه رافّةً على ما  
شاهدتُ هناك؛ فما إنّ دنوتُ من أولئك القوم لكي تتبيّنهم عيناى بوضوح، حتّى استقطر الألم دمعي  
مدرارًا.

بدوا لي متلفّعين بمسوح خشنة واحدهم يستند على كتف الآخر، والجميع يسندهم الصّخر،  
كالعميان الفقراء إلى كلّ شيء، والذين يقفون للشحد في أيام الغفران، مائلين برؤوسهم بعضهم إلى  
بعض، لاستدرار شفقة الغير لا برنين كلماتهم وحده، بل كذلك بالعين المتوسّلة هي الأخرى.  
وكما لا تبلغ الشّمس العميان فإنّ نور السّماء هنا أيضًا لا يريد لمسّ الأشباح التي أنكّم عنها.  
كان يخترق أجفانهم سلّك من الحديد يخيّطها كما يُفعل بالباز البريّ عندما تتأبّى عليه الهدأة.  
وبدا لي أنّي كنتُ أسىء إليهم بالسّير بينهم رائيًا غير مرئيّ، فالتفتُ إلى ناصحي الحكيم.  
كان يعرف ما يعنيه الصّمت، ولذا فلم ينتظر أن أسأله، بل قال لي: - «تكلّم، ولتكنّ وجيزًا وعلى  
تشخيص».

كان فرجيليو سائرًا بقربي في تلك الوجهة من الإفريز التي يمكن السّقوط منها، فلم يكن ليمنع ذلك  
من حاجز.  
وفي الجهة الأخرى كانت الأشباح المتّضعة تبكي خلال الأسلاك بمرارة حتّى لقد اخضلت بالدمع  
وجناتهم.

فاستدرتُ إليهم وقلتُ:

- «يا أرواحًا واثقةً من رؤية التّور العلويّ، الضّالة الوحيدة لرغباتك، فلشّدد النّعمة الإلهيّة زبّد  
ضمائرِك ليسيل فيها نهر الذاكرة صافيًا جليًا، خبّريني، سيكون هذا عزيزًا عندي وبالغ اللّطف، إنّ  
كان بينك روحٌ لاتينيّة، فقد يكون لها خيرٌ في معرفتي».

- «يا أخي، كلّنا هنا مواطنون للمدينة الحقّ، فلعلّك تقصد من عاش في إيطاليا غريبًا.» وبدا لي أنّي  
تلقيتُ الإجابة من مكانٍ أبعد قليلًا من موضعي فتقدّمتُ أكثر لأسمع صوتي.

فرايتُ بين الآخرين شبّحًا بدا لي منتظرًا، وإذا ما سُئلتُ «كيف ذلك؟» لقلتُ إنّّه كان رافعًا رأسه  
كما يفعل أعمى.

فقلتُ: - «يا روحًا تروّض هكذا نفسها من أجل الصّعود، إنّ كنتِ أنتِ من أجب على سؤالي

فلتعرّفيني بنفسك وبالموضع الذي منه تأتين».

فقلت لي: - «كنت من سيينا، ومع هؤلاء أرفو حياتي الآثمة بأن أبكي وأصلي لله ليرينا نفسه.

ما كنتُ حكيمة مع أنّ الاسم الذي أعطيتُ هو «ساييا»<sup>598</sup> ، فلقد كنتُ أكثر سعادة برزايا الغير ممّا بحظوظي.

ولكي لا تحسب أنّي أخذتك فلتّر كيف غدوتُ مجنونة كما أقول لك، عندما نزلتُ في منحدر العُمر.

كان مواظبيّ قد اشتبكوا وأعداءهم قرب كولي<sup>599</sup> ، فابتهلتُ إلى الله أن يُملي ما أراد.

فمُنوا بالهزيمة ولاذوا بأذيال الفرار المرير، وإذ أبصرتُ مطاردتهم تلك أصابني فرحٌ لا فرح بعده.

رفعتُ إلى الله وجهي المجترئ كما يفعل الشحرور ما إن يسبح الصّحو، وهتفتُ به: - «لن أختشيك بعد الآن أبدًا!».

ثمّ في أرذل العُمر شئتُ أن أعقد السّلام مع الله، وما كان أدائي واجب التّوبة ليلقي ختامًا لولا أنّ يبير المشاط<sup>600</sup> تذكّرني في صلواته وبرأفته تكفل بي.

ولكنّ من أنت يا من تستفسر عن حالنا بعينين مفتوحتين كما أعتقد ويا من تتنفس فيما تتكلم؟ «فأجبتُ: - «سأحرّم هنا من عينيّ أنا أيضًا، ولكنّ لبعضٍ من الوقت لفرط ما هي يسيرة الإساءة التي ارتكبتُ بالنّظر الحاسد، وأكبرَ منها يظلّ الخوف الذي يغشى نفسي من عذاب الحلقة التي هي

أسفل<sup>601</sup> ، فما برح يُثقل عليّ عبء أحمالهم هناك».

فسألّتي: - «ومن يا ترى قادك إلى أعلى بيننا، ما دمتَ تحسب أنّك ستنزل؟» فأجبتُ:

- «هذا الذي يرافقني ولا يقول حرفًا. وأنا ما برحتُ حيًّا، فلتسليني أيّتها الرّوح المختارة إن كنتِ تريدين أن أسعى من أجلك على الأرض بقدمي الفانيتين».

فأجبتُ: - «أوه، إنّ هذا على سمعي لجديد! وإنّه لعلامةٌ على أنّك يحبّك الله؛ ولذا فلتُعيّ ببعض صلواتك. وإنّي لأرجوك بما أنت إليه أشدّ توفّقًا، أن تطيب ذكراي لدى أهلي إذا ما وطئتُ قدمك

أرض توسكانيا ثانيةً. ستراهم هناك بين القوم المتغطرسين الآملين بالظفر بتلاموني<sup>602</sup> والذين

سيخسرون فيه من الأمل أكثر ممّا أضاعوا في العثور على نهر ديانا<sup>603</sup> ؛ ولكنّ أمراء البحر سيدوقون

أفدح خسارة<sup>604</sup> .»

## الأنشودة الرابعة عشرة

(الحَسَاد. غويدو دل دوکا ورينييري دا كابولي. فساد وادي نهر الأرنو وسائر رومانيا. أمثلة على الحسد المُلاقي عقابه. فرجيليو يُطلق تحذيرًا.)

- «ألا مَنْ هو هذا الدائرُ حول جبلنا،

قبل أن يتيح له الموت الطيران،

والذي يفتح عينيه ويغمضهما على هواه؟»

- «لا أعلم سوى أنه لم يأتِ وحدَه؛

سَلُهُ ما دمت أقرب مَيِّ إليه،

واستقبله بحفاوة ليُكلمنا».

هكذا كانت روحان تسند إحداهما الثانية،

تتحدثان عني إلى يميني،

ثم ترفعان رأسيهما لتكلماني،

قالت إحداهما: - «أيّهذه الرّوح الما برحت مغروسة في جسدها، والسّاعية إلى العُلى، هلاً واسيتنا، عن رافةٍ، وأخبرتنا من أين تأتين، وما تفعلين، لأنك تُلقين بالفضل الذي لديك من الدهش فينا ما لا يثيره شيء لم يوجد من قبل قطعاً.»

فقلتُ: - «يجتازُ نصفَ توسكانيا جدولٌ ينبع من فالتيروني <sup>605</sup>، ومجراه لا يستنفده ألف ميل. من ضفتيه أحمل جسدي هذا؛ ومن العبث أن أقول لكما اسمي لأنه ليس بعدُ قوياً رنيُهُ.» فقال مَنْ تكلم الأوّل بين الاثنين:

- «إنّ أنا سبرتُ بالإدراك غور تفكيرك فإنّك تتكلم عن الأرنو.» فقال له الآخر: - «لَمْ يا ترى أخفى في كلامه اسمَ النّهر، كما نفعل أمامَ أشياء رهيبة؟» فأجاب الشّبح الذي سُئل:

- «لا أعلم، لكنّ من العدل أن يزول اسم هذا الوادي؛ لأنّه من منبعه، الذي تشهق منه سلسلة الألي، المنفصل عنها جبل ييلورس، عاليًا بحيث لا تفوق ذروتها إلا مواضع قليلة، حتّى مصبته الذي ينداح إليه ليُعوّض عمّا ترتشفه السّماء من البحر، فننال الأنهار ما يغذي مجاريها، الكلّ يهربون من الفضيلة كأنّها عدوهم، وكما لو كانت أفعى، إمّا لشؤم ذلك المكان، أو بفعل عادات خبيثة.

وإنّ سگان الوادي التّعيس هذا قد غيروا من قبل طبائعهم غير مرّة، فكأن سيرسي <sup>606</sup> هي مَنْ ترعاهم.

يتبع النّهر أوّلًا مجراه الفقير بين خنازير حقّ لها أن تأكل ثمار البلوط أكثر من الأغذية المرصودة

لَبَنِي الْإِنْسَانِ <sup>607</sup> ، ثُمَّ فِي انْحِدَارِهِ يَلَاقِي كَلَابًا <sup>608</sup> تَنْبَحُ بِمَا لَا يُنَاسِبُ طَاقَتَهَا، وَعَنْ اَزْدِرَاءٍ يَشِيحُ عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ،

ثُمَّ يَمْضِي هَابِطًا وَكَلَّمَا كَبَرَ مَجْرَاهُ التَّقَى الْجَدُولُ الْمَلْعُونُ الْبَائِسُ كَلَابًا تَنْقَلِبُ إِلَى ذُنَابٍ <sup>609</sup> ؛ وَعِنْدَمَا يَنْزِلُ فِي وَهَادٍ أَعْمَقَ، يَجِدُ ثَعَالِبَ <sup>610</sup> تَزْخُرُ بِالْمَكْرِ فَلَا تَخْشَى أَنْ تَقَعَ أُسِيرَةَ الْفَخَاخِ. سَأَقُولُ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ كَانَ الْآخِرُ يَسْمَعُنِي، فَمَنْ الطَّيِّبُ أَنْ يَحْفَظَ فِي ذَاكِرَتِهِ مَا يُلْهِمُنِيهِ نَفْسٌ حَقٌّ. إِنِّي لِأَرَى ابْنَ أَخِيكَ يَصْبِحُ صَيَّادًا لِهَذِهِ الذَّنَابِ الَّتِي تَجُولُ عَلَى شَوَاطِئِ النَّهْرِ الْوَحْشِيِّ وَجَمِيعًا يُفْزِعُهَا.

يَبِيعُ لِحَمَاهَا الْمَا بَرَحَ حَيًّا، ثُمَّ يُبِيدُهَا كَمَا يَفْعَلُ وَحْشٌ عَتِيقٌ، وَيَحْرَمُهَا مِنَ الْحَيَاةِ حَارِمًا مِنَ الْمَجْدِ نَفْسَهُ <sup>611</sup> ، وَمِنَ الْغَابَةِ الْكَثِيبَةِ يَخْرُجُ مَلْطَخًا بِالدَّمَاءِ وَيَدْعُهَا عَلَى حَالٍ لَنْ تَسْتَعِيدَ مَعَهَا بَعْدَ أَلْفِ عَامٍ خُضْرَةَ أَشْجَارِهَا.»

وَكَمَا عِنْدَ الْإِعْلَانِ عَنْ رِزَايَا أَلِيمَةَ، يَعْتَكِرُ وَجْهَ ذَلِكَ الَّذِي يَسْمَعُ، أَيَّا كَانَتْ الْجِهَةُ الَّتِي يُقْبَلُ إِلَيْهِ مِنْهَا الْخَطَرُ الدَّاهِمُ، فَهَكَذَا رَأَيْتُ الرُّوحَ الْآخِرَى الَّتِي كَانَتْ تَصْغِي، وَهِيَ تَلْتَفَتْ إِلَى الْأُولَى وَيَغْشَاهَا الْحُزْنَ، عِنْدَمَا تَلَقَّتْ كَلِمَاتِهَا هَذِهِ.

مَلَأْنِي كَلَامَ هَذِهِ وَمَرَأَى تِلْكَ بِالرَّغْبَةِ فِي مَعْرِفَةِ اسْمَيْهِمَا فَتَقَدَّمْتُ بِالسَّوَالِ مَشْفُوعًا بِرَجَائِي. فَاسْتَأْنَفْتُ الرُّوحَ الَّتِي تَكَلَّمَتْ الْأُولَى:

- «وَعَلَيْهِ فَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ أَجْلِكَ مَا لَا تَرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ مِنْ أَجْلِي؛ لَكِنْ مَا دَامَ اللَّهُ شَاءَ أَنْ يَشْعَرَ عَلَيْكَ فَضْلُهُ بِمَثَلِ هَذِهِ الْقُوَّةِ فَلَنْ أَكُونَ تُجَاهَكَ بِخِيَلًا وَاعْلَمْ أَنَّي كُنْتُ غُوَيْدُو دَلْ دُوْكَ <sup>612</sup> .

كَانَ دَمِي مَشْتَعَلًا بِالْحَسَدِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ بَحِيثٌ لَوْ أَبْصَرْتُ أَمَامِي مَغْتَبِطًا لِرَأْيْتَنِي أَشْحَبَ بِكَامَلِي. هَا أَنَا ذَا أَحْصَدُ الْقَشَّ مِمَّا زَرَعْتُ؛ يَا سَلَالَةَ الْبَشَرِ مَا لِلوَاحِدِ مِنْكَ يَضَعُ قَلْبَهُ حَيْثَمَا كَانَ رَفِيقُهُ مَسْتَبْعَدًا؟ <sup>613</sup> وَهَذَا كَانَ رِينِيْرِي <sup>614</sup> ، شَرَفَ آلِ كَالْبُولِيِّ وَزِينَتِهِمْ، هُمْ الَّذِينَ لَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَرَثٌ مِنْ بَعْدِ فَضَائِلِهِ.

وَلَيْسَ دَمُهُ هُوَ الْوَحِيدُ بَيْنَ يُوَ وَالْجَبَلِ، أَوْ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالرَّيْنُو، الَّذِي أَعَوَّزَهُ الْخَيْرُ الضَّرُورِيُّ لِلرَّغْدِ وَالْحَقِّ، فِي هَذِهِ الرَّبُوعِ ثَمَّةَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّبَاتِ السَّامِ حَتَّى لَقَدْ فَاتَ الْأَوَانَ لِيَسْتَأْنَفَ أَحَدُ الزَّرْعِ فِيهَا.

أَيْنَ لِيْتِزِيُو الطَّيِّبِ <sup>615</sup> وَأَرِيغُو مَانَارْدِي <sup>616</sup> ؟

أَيْنَ يِيْرُ تَرَاْفَسَارُو <sup>617</sup> وَغُوَيْدُو دِي كَارِيْنِيَا <sup>618</sup> ؟

يَا لِأَبْنَاءِ رُومَانِيَا، يَا مَنْ غَدُوتُمْ لِقُطَاءِ؟

متى يولد ثانيةً في بولونيا رجلٌ كفايرو <sup>619</sup> ، وفي فلورنسة رجلٌ كبرناردينو دي فوسكو <sup>620</sup> ، نبتًا رائعًا طالعا من بذرة هينة؟

فلا تندهشنْ أَيْهَذَا التُّوسْكَانِيّ إِذَا مَا بَكَيْتُ غَوِيدُو دَا يِرَاتَا <sup>621</sup> ، وَأَوْغُولِينُو الْآتَزِيّ <sup>622</sup> الَّذِي عَاشَ بَيْنَ ظَهْرَانِينَا، وَفِيدِيرِيغُو الْأَقْرَعِ <sup>623</sup> وَصَحْبِهِ، وَآل تْرَافْرَسَارَا وَآلْ أَنْاسْتَايِي <sup>624</sup> (وَكَلَا الْبَيْتَيْنِ صَارَا بَلَا وَرِيثَ)، وَإِذَا مَا بَكَيْتُ أَيْضًا السَّيِّدَاتِ وَالْفَرْسَانَ وَالْمَسْرَاتِ وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي مَنْحْتْنَا مَحَبَّةً وَدِمَائَةً، حَيْثَمَا الْقُلُوبُ مَفْعَمَةٌ الْيَوْمَ شَرًّا.

وَأَنْتِ يَا بَرِيْتِينُورُو <sup>625</sup> ، لَمْ يَا تَرَى لَا تَهْرِيْبِيْنَ مَا دَامَ أَهْلِكِ قَدْ هَرَبُوا، وَمَعَهُمْ آخَرُونَ كَيْلَا يَخْتَلِطُوا بِالْأَثْمِيْنَ؟

إِنَّ بَانِيَا كَافَالُو <sup>626</sup> لْتُحْسِنَ صَنِيعًا إِذْ لَا تُنْجِبَ وَلِشَرِّ مَا تَفْعَلُ كَاسْتْرُوكَارُو <sup>627</sup> وَأَكْثَرَ مِنْهَا كُونِيُو <sup>628</sup> إِذْ تَوَاصِلَانِ إِنْجَابٍ مَثَلُ هَوْلَاءِ "الْكُونْتَاتِ".

سَيُحْسِنُ آلُ يَاغَانِ <sup>629</sup> التَّصْرَفَ مَا إِنَّ يَبْرَحُهُمْ شَيْطَانُهُمْ، وَلَكِنْ فَاتِ الْأَوَانَ لِيُخَلِّفُوا وَرَاءَهُمْ ذَكَرِيْ نَقِيَّةً.

إِيْهِ أَوْغُولِينُو دِي فَاَنْتُولِيْنِي <sup>630</sup> ، لَقَدْ صَارَ اسْمُكَ مَوْفُورَ الْأَمَانِ مَا دَامَ لَمْ يَعُدْ يُنْتَظَرُ مِنْ يُعْتَمَّ عَلَيْهِ بِمَفَاسِدِهِ.

لَكِنْ امْضِ الْآنَ أَيُّهَا التُّوسْكَانِيّ فَأَنَا أَوْثَرُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْبِكَاةِ عَلَى الْكَلَامِ الْفَرْطِ مَا أَنْقَلْتُ هَذَا الْمَحَاوِرَةَ عَلَى قَلْبِي. «كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَاتَيْنِ الرَّوْحِيْنَ الطَّيِّبَتَيْنِ سَمِعْتَانَا نَغَادِرُ، وَلِذَا فَبِصْمَتَهُمَا زَادْتَانَا إِيمَانًا أَنَّ ذَلِكَ الدَّرْبَ آمِنٌ.

وَمَا إِنَّ صَرْنَا نَتَقَدَّمُ وَحِيدَيْنِ، حَتَّى دَوَى صَوْتُ تَنَاهَى إِلَيْنَا كَمَا تَشَقُّ الصَّاعِقَةُ الْفُضَاءَ، كَانَ يَقُولُ: - «كَلَّ مَنْ رَأَى يَقْتَلْنِي» <sup>631</sup> ، ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا كَمَا يِنَأَى الرَّعْدُ بَعْدَمَا يَشَقُّ صَفْحَةَ الْغَمَامِ فَجَاءَ.

وَعِنْدَمَا نَلْنَا لِأَذَانِنَا مِنْ ذَلِكَ الدَّوِيِّ هَدَنَةً، إِذَا بَدَوِيٌّ آخَرٌ يَأْتِي مَتَفَجِّرًا فَكَأَنَّكَ تَسْمَعُ رَعْدًا يَتْلُوهُ رَعْدٌ.

- «أَنَا أَلْغُورُوا <sup>632</sup> ، هَذِهِ الَّتِي مُسِخَتْ حَجْرًا»؛ أَنْئِذِ، كِي أَلْتَصِقَ بِشَاعِرِي، خَطَوْتُ لَا إِلَى الْأَمَامِ بَلْ نَاحِيَةَ الْيَمِينِ، كَانَ الْجَوُّ يَمْرَعُ بِالْهُدُوءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَقَالَ لِي: - «هَذِهِ الْأَصْوَاتُ إِنَّمَا هِيَ اللَّجَامُ الْقَاسِي الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُمَسَّكَ بِالنَّاسِ دَاخِلَ حُدُودِهِمْ.

وَلَكِنَّكُمْ تَلْتَقِطُونَ الطَّعْمَ فَتَجْذِبُكُمْ إِلَيْهَا صَنَارَةٌ عَدْوُكُمْ الْأَقْدَمِ، فَمَا عَادَ مِنْ جَدْوَى لِلجَامِ وَلَا لِنْدَاءِ.

السَّمَاءُ تَدْعُوكُمْ وَمِنْ حَوْلِكُمْ تَدُورُ، وَتَرِيكُمْ مَفَاتِنَهَا الْأَبْدِيَّةَ، لَكِنَّ عَيُونَكُمْ لَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَى الْأَرْضِ؛ وَلِذَا يَصْرَعُكُمْ مَنْ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرًا.»



## الأنشودة الخامسة عشرة

(من الإفريز الثاني إلى الثالث. تجلّى ملاك الرّحمة. فرجيليو يفسّر قسمة خيرات الأرض وخيرات السّماء. الإفريز الثالث: الغضبون. أمثلة على الرّفق: مريم، بيستراتوس، والقديس إسطفانوس.)

بقدر ما تجتاز الكرة السّماويّة

التي تبدو لاعبةً كالطفل، بين بداية النّهار

والسّاعة الثالثة التي تتلو طلوعه،

بالقدر نفسه كان يبدو أنّ على الشّمس

أنّ تقطع حتّى حلول المساء شوّطًا،

والوقت كان هناك غروبًا وهنا كان منتصف اللّيل <sup>633</sup>.

كانت الأشعة تلفحن ملء الوجه،

لأنّنا درنا كثيرًا حول الجبل،

لنمضيّ إلى مغرب الكون رأسًا،

عندما أحسستُ بقوة السّطوع

تُثقل على عينيّ أكثر من ذي قبل،

ولقد أفعمني المجهول ذعرًا.

فرفعتُ كفيّ إلى طرف حاجبيّ

وصنعتُ منها مظلة

لأبعد فائض النّور عنيّ.

وكما ينعكس نورٌ من الماء أو من عمقٍ مرآةٍ ويروح يصّاعد على النّحو نفسه الذي به نزل، منزاحًا بقدر ما يُنزاح حجرٌ ساقط، كما يُريناه العلم والتّجربة، فهكذا بدا لي أنّ محيّي كان يلفحه نورٌ منعكسٌ أمامي سرعان ما تفادته عيناى.

فقلت: - «أبتاه ما هو هذا الشيء الذي لا تجد عيناى دونه مصدًا والذي يبدو آتيا نحونا؟» فأجابني: - «لا يُدهشك أنّ تبهرك أسرة السّماء. هذا رسولٌ يدعوننا إلى الصّعود.

سيأتي زمنٌ لا تعود فيه رؤية هذه الأشياء تشكّل لك عبئًا بل مصدرَ لداذة، بقدر ما تهيوك الطبيعة لثحسنّ.» وعندما اقتربنا من ذلك الملاك المبارك قال لنا: - «فلتصعدا على سلالم أيسر من غيرها على الارتقاء.» كنا غادرنا ذلك المكان ومضينا صعدًا عندما سمعنا وراءنا تراتيل:

«طوبى للرحماء» <sup>634</sup> و«أيها الظافر لك البشر» <sup>635</sup>.

كنا أنا وأستاذي نرقى وحيدين إلى العلى فخطر لي آئذ أن أقطف من كلماته ثمراً جنياً، فالتفت إليه وسألته:

- «ما قصدت تلك الروح الأتية من رومانيا <sup>636</sup> عندما تكلمت عن "رفيقٍ مستبعد"؟» فأجابني: -  
«إنه يعرف الضرر التاجم عن خطيئته الكبرى، فلا تندهش  
إذا ما عتقنا عليها، ليقبل بكاؤنا من أجله.

لما كانت رغباتكم [أنتم الأحياء] تنحصر في شيء يضوّل لدى المشاركة فإنّ الحسد يملأ بالزّفرات  
صدوركم.

لكنّ إذا ما أدارت محبةً عليا الدوائر رغباتكم صوب الأعالى، فلن يعود يكتنف قلبكم مثل هذه  
الحشية.

فكلما ازدادَ هناك عدد من يقولون: "هذا لنا"، كبر ما ينال كلّ واحدٍ من الخير، وأصبحت محبة  
الخير في ذلك الدّير أعظم. «فقلتُ له: - «ما زلتُ بإجابتك أقلّ اكتفاءً ممّا لو كنتُ لزمْتُ السّكوت  
بادئ ذي بدء، ذلك أنّ شكّاً أكبر يكتنف الآن فكري. فأنيّ لخيرٍ متقاسم بين عديدين أنّ يحيلهم  
أثرى ممّا لو كان مقسماً على عددٍ أدنى؟»

فأجابني: - «لأنّك ما برحت ترجع بتفكيرك إلى أشياء الأرض، فإنّك لا تقطف من النور إلاّ الظلام.

فالخير اللّانهائي والذي طالما عزّ على الوصف، المنتشر في العلى سرعان ما يهرع إلى المحبة كما  
يتّجه شعاع من النور إلى جسمٍ لامع. وبقدر ما يجد من الحميّة يزيد من بذل نفسه، وهكذا فبقدر  
ما تشيع محبة الخير تكبر النعمة الأبدية فيأضه عليها. وبقدر ما يكثر في العلى من الخير يهيمون  
يكثر الخير موضوع الحبّ ويكثر المتحابّون مستجيباً أحدهم للآخر كما في مرآة. وإذا لم تجد في  
خطابي ما يرضيك، فستلقى هناك بياتريشي وهي سترضي هذه اللّهفة لديك وجميع باقي لهفاتك.  
اعمل فحسب بحيثُ تندمل ندوبك الخمسة الباقية، كما اندمل من قبلُ ندبان، فهي لا تلتئم إلاّ

بالعذاب <sup>637</sup>. «كنتُ على وشك أن أقول: - «إنك لترضيني»، وإذا بي أجديني في الدائرة الأخرى،  
فحملني لهف عيني على السّكوت.

هناك ألفيتني منغمراً على حين غرة في رؤيا جدلية ورأيتُ محفلاً من الناس في معبد <sup>638</sup>، وإذا بسيدةٍ  
واقفة على العتبة تقول لي بإيماءاتٍ أمّ رؤوم:

- «أيُّ بُنيّ لم صنعت بنا ذلك؟» أولاء نحن أنا وأبوك، كنا عنك نبحتُ»، وما إن صممتُ حتى  
تلاشي كلّ ما كنتُ رأيتُ قبلَ وهلة.

وتجلّت لي امرأة أخرى <sup>639</sup> وقد اخضلّ خدّاهَا بذلك البلبلي الذي يُسيله الأسى عندما يكون انبثق من  
غيضٍ عظيم.

كانت تقول: - «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ سَيِّدَ الْمَدِينَةِ الَّتِي بَدَرَ اسْمُهَا بَيْنَ الْإِلَهَةِ بِذَوْرِ الشَّقَاقِ، وَالَّتِي تَشَعُّ مِنْهَا أَنْوَارُ جَمِيعِ الْعُلُومِ، فَلْتَنْتَقِمِ بِنَفْسِكَ مِنْ تَيْنِكَ الذَّرَاعِينَ الْفَاجِرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَانَقَتَا ابْنَتَنَا بِغَيْرِ حَقٍّ يَا يَسِيسْتَرَاتُوسِ»، وَبَدَأَ لِي سَيِّدِي بِوَجْهِهِ الْوَدِيعِ وَهُوَ يَجِيبُهَا بِدِمَائَةٍ وَرَقَّةٍ:

- «مَا نَفْعُ لِمَنْ يُرِيدُ بِنَا شَرًّا إِذَا كُنَّا نَعَاقِبُ مَنْ يَمْحَضُنَا كُلَّ حَبَّةٍ؟» ثُمَّ بَدَأَ لِي قَوْمٌ اسْتَشَاطُوا غَضَبًا كَانُوا يُمَزَّقُونَ فَتَى بِالْأَحْجَارِ صَارْخِينَ:

- «اقْتُلْهُ، أَلَا فَلْتَقْتُلْهُ!»<sup>640</sup>؛ وَرَأَيْتُهُ يَتَهَاوَى إِلَى الْأَرْضِ مَثَقَلًا مِنْ قَبْلِ الْمَوْتِ، سِوَى أَنْ عَيْنِيهِ كَانَتَا مَا تَزَالَانِ بَابَيْنِ مَشْرَعَتَيْنِ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَبِذَلِكَ النَّضَالِ الْقَاسِيِ كَانَ يَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لِقَاتِلِيهِ، وَعَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَرَأَى الَّذِي يَجْعَلُ رَحْمَةَ اللَّهِ تَسْتَجِيبَ.

وَعِنْدَمَا ثَابَتُ نَفْسِي إِلَى الْأَشْيَاءِ الْحَقِّ الْقَابِعَةِ فِي خَارِجِهَا، رَأَيْتُ أَنْ خَطَأِي لَمْ يَكْذِبْنِي.

قَالَ لِي مَرِشْدِي وَقَدْ أَبْصَرَنِي وَأَنَا أَتَصَرَّفُ كَمَنْ يَتَحَرَّرُ مِنْ قَيْدِ الْأَحْلَامِ:

- «مَا دِهَاكَ حَتَّى لَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَمَاسِكَ؟ لَقَدْ اجْتَرَزْتَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ فِرْسَخٍ مَغْشِيًّا عَلَى عَيْنَيْكَ مَضْطَرِبَ السَّاقِينَ كَمَثَلِ مَنْ غَالَبَهُ النَّعَاسُ أَوْ أَثَرُ الْخَمْرَةِ.»

فَأَجَبْتُهُ: - «إِنْ أَنْتَ أَصْغَيْتَ إِلَيَّ يَا أَبْتَاهُ، فَسَأُرْوِي عَلَيْكَ مَا رَأَيْتُ حَتَّى لَقَدْ اضْطَرَبَ سَاقَايَ هَكَذَا.» فَقَالَ لِي: - «إِنْ أَنْتَ حَجَبْتَ مَحْيَاكَ بِالْفِ قِنَاعٍ لَمَّا خَفَيْتَ عَلَيَّ وَاحِدَةً مِنْ أَفْكَارِكَ مَهْمَا كَانَ مِنْ صَغَرِهَا.

مَا رَأَيْتَهُ إِذْ كَانَ لِحَمْلِكَ عَلَى أَلَا تَمْنَعُ أَبْوَابَ قَلْبِكَ عَنْ أَمْوَاهِ السَّلَامِ الَّتِي تَفِيضُ مِنَ النَّبْعِ الْأَبْدِيِّ.

وَلَمْ أَسْأَلْكَ: - "مَا دِهَاكَ؟" كَمَا كَانَ سَيَفْعَلُ مَنْ يَنْظُرُ بَعَيْنَيْنِ لَا تَزِيَانُ الْجِسْمَ الْهَامِدَ أَمَامَهُ مِنْ غَيْرِ حَرَكَاتٍ، بَلْ سَأَلْتُكَ لِأُنْعَشَ خَطْوَاتِكَ، فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ نَهَرَ الْكَسَالَى عِنْدَمَا يَبْطِئُونَ فِي اسْتِخْدَامِ صَحْوِهِمُ الْعَائِدِ.» كُنَّا نَسِيرُ فِي الْمَسَاءِ مُنْتَبِهَيْنِ بِقَدْرِ مَا تَقْوَى أَعْيُنُنَا عَلَى الرَّؤْيَةِ فِي الْأَنْوَارِ اللَّامِعَةِ الْمَتَأَخَّرَةِ.

وَهُوَ ذَا دَخَانٍ يَتَّجِهَ إِلَيْنَا فِي مِثْلِ سِوَادِ اللَّيْلِ، رَوِيدًا رَوِيدًا، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَأْوَى نَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ؛ فَحَرَمْنَا مِنَ الرَّؤْيَةِ وَمِنْ نِقَاوَةِ الْهَوَاءِ.

## الأنشودة السادسة عشرة

(وسط الدخان الذي يكتنف سريعي الغضب. مارك اللمباردي. تفسير الاختيار الحرّ. بواعث الفساد.)

لا ظلمة جحيمٍ ولا اعتكار ليلٍ بلا نجوم

تحت سماءٍ فقيرةٍ ملبّدة

بسحائبٍ زادتها سوادًا على سواد،

ألقيا من قبلٍ على عينيّ حجابًا سميّكًا كهذا

ولا شعراً بمثل خشونة الملمس هذه،

كما فعل ذلك الدخان الذي راح يغشانا.

لم يعد ممكناً النّظر بعينين مفتوحتين،

فدنا منّي رفيقي المخلص

والحكيم وأعارني كتفه.

وكما يمضي الأعمى سائرًا وراء دليله،

مخافةً أن يتيه أو يصطدم

بشيء قد يجرحه أو ربّما يقتله،

فكهذا سرّت في ذلك الهواء المرير الملتاث،

وأنا أصغي إلى مرشدي الذي لم يكن ليكفّ عن القول:

- «حذار من أن تفترق عني!» وسمعتُ أصواتًا كان كلّ منها يتضرّع إلى حمّل الله الذي يزيل الخطايا ويسأله سلامًا ورحمة.

- «يا حمّل الله»<sup>641</sup> : هكذا كان مطلع صلواتها، وكان لها جميعًا كلام واحد ونبر واحد، حتّى لقد بدا الوفاق وهو يشمل الكلّ.

فسألتُ: - «أهذه يا أستاذي أرواح؟» فأجابني: - «حقّ ما رأيت، وهي سائرة لتحلّ عقدة غضبها».

<sup>642</sup> - «من أنت يا من تشقّ دخاننا هكذا، وتتكلّم عنا كما لو كنت ما تزال تحسب الزمنّ بالشهور؟» هكذا كلّمني أحد الأصوات فقال لي مرشدي: - «أجب، ولتسلّهُ إن كان مكان الصّعود هو هذا.» فقلتُ: - «أنت يا مخلوقًا يتطهّر ليعود إلى بارئه جميعًا، إن تبعّني فستعرف أشياءً عجبًا».

فأجابني: - «سأتبعك ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا، وإذا ما منعنا الدخان من الرؤية، فسيجمعنا السَّمع بدلًا منها».

فبدأتُ آنئذٍ: - «بهذا الثوب الذي سينضوه الموت عني أنا ذاهبٌ إلى أعلى، ولقد جئتُ مجتازًا ضيقَ الجحيم».

وما دام الله شملني بنعمائه ففضي أن أبصر بلاطه السماويِّ بشاكلةٍ لم تُعرف من قبل، فلا تُخفِ عني من كنت في الحياة الدنيا، ولتقل لي إن كنت سائرًا في جادة العبور، ولتكن كلماتك لنا دليلًا.

- «كنتُ لمبارديًا وكان اسمي ماركو<sup>643</sup> ، عرفتُ الدنيا وأحببتُ الفضيلة التي لا يشهر من أجلها أحدُ اليوم قوسه. والنهج الذي سلكت من أجل الصعود هو الصحيح.»  
هكذا أجاب وأضاف: - «إني أرجوك أن تصلي من أجلي عندما في العلى تكون».

فقلتُ له: - «أقسم لك بإيماني أن أقوم بما تسألني، بيد أن شكًا يوشك أن يخنقني ما لم أحلَّ عقده».

كان في البدء بسيطًا وهو ذا الآن مزدوجٌ بباعثٍ من خطابك الذي يعززه في، كما يعزز شكًا آخر به أجمعه.

إنه لصحيحٌ أن الدنيا كما تصفها مهجورةٌ من جميع الفضائل، وأنها ثقيلةٌ وبالمكر تزخر، لكن أرجوك أن تقول لي باعث ذلك، كي أراه وأريه لسواي، فبعضهم يحلّه في السماء وآخرون يحلّونه على الأرض<sup>644</sup> .

فأجابني بتنهيدٍ عميقٍ حوله الألم إلى آهةٍ ثم بدأ: - «يا أخي، الدنيا عمياء، ومن الجليّ أنك أتيت منها».

أنتم الأحياء تحيلون جميع القضايا إلى السماء وحدها كما لو كانت تجتذب وإياها كافة الأشياء. ولو كان ذلك كذلك لتحطم فيكم كل خيارٍ حرٍّ ولبات من غير العدل أن نبتهج بالخير وللشر نأسى. تُدشن السماء أولى دوافعكم، لا كلها، ولكن حتى لو قبلنا بذلك، فقد أعطيتُم النورَ لمعرفة الخير والشر.

ووهبتُم الإرادة الحرة التي إن كانت تشقى في عراكاتها الأولى مع السماء، فهي في الختام ظافرةٌ دومًا إن لقيت طيبَ الغذاء.

في حرّيتكم تخضعون لقوةٍ أكبر ومن طبيعةٍ أفضل وهي تخلق فيكم الفكر الذي لا يخضع لسلطان السماء.

وعليه، فإذا كانت دنياكم الحاضرة في ضلالٍ فالباعث هو أنتم، وفي أنفسكم ينبغي أن تبحثوا عنه، وسأكون لك الآن عينك الكاشفة.

تخرج الروح من يد ذلك الذي يتأملها مسرورًا قبل أن تكتمل، كمثّل طفلة تلهو لاعبةً بين الضحك

والبكاء، غريرةً وجاهلةً بكلّ شيء سوى أنّها صادرةٌ عن خالقٍ سعيد، فتنتقل إلى ما يسرّها بابتهاج. تستعذب أولاً مذاقَ خيرٍ غير ذي بال، فتتخدع به وتجري في إثره، إنّ لم يوجّه حبّها دليلٌ أو كايح. ولذا لزمَ أن يتمثّل ذلك الكايح في قانونٍ، وكذلك في ملكٍ يتبيّن من المدينة الحقّ برجّها على الأقلّ. القوانين قائمةٌ ولكنّ من يفرضها؟

645 لا أحد، فالزاعي الذي يقودكم في مقدوره أن يُحسنَ الاجترار لكتّه ليس بالمشقوق الحافر .  
وإذا ما أبصر قومٌ أنّ دليلهم لا يهفو إلّا للخير الذي هو نهمٌ به، شعبوا من ذلك الخير ولم يذهبوا في السعي أبعد.

ولك أن تلاحظ أنّ حكومةً سيئةً هي التي أفسدت العالم، بدل أن تكون طبيعتكم بذاتها فاسدة.

646 وروما التي أصلحت العالم قديمًا، كان لها شمسان ، بإحداهما تنير طريق الدنيا، وبالثانية جادة الله.

ثم اطفأت شمسُ الشمس الأخرى واتحد السيف بعكاز الزاعي ومن امتزاجهما الذي تمّ بالقوة لا يطلع سوى الشرّ.

وباتحادهما لم تعد الواحدة لتخشى الأخرى وإذا لم تصدّقي فلتنظرنّ إلى السنابل فبثمره يُعرف كلّ نبات.

647 وفي البلاد التي يرويها الأديج واليو شاع أن تلاقى الفضيلة والتّهديب، قبل أن يجد فريديريك طريقه محفوفةً بالعوائق؛ والآن يقدر أن يجتازها سادرًا كلّ من كان بالأمس يخشى المرور بها عن خجلٍ من أن يكلم الصّالحين فيها أو يُبصرهم.

بقي هناك ثلاثة شيوخ عبّزهم تنحو الأعصر الخالية باللوم على الأزمنة الجديدة، وهم جميعًا تواقون لأن يدعّوهم الله إلى حياةٍ أهنأ.

648 إنهم كورادو دا يالاتزو وغياردو الطيّب 649 ، وغويدو دا كاستل الذي يجدر أن يُدعى على أسلوب الفرنسيين باللمباردي المتباسط 650 .

ولك من الآن أن تقول إنّ كنيسة روما لأنّها أرادت أن تجمع في ذاتها سلطتين، تمرّغت في الوحل ودتست نفسها ورسالتّها. « فقلت له: - «يا عزيزي ماركو إنّ تفكيرك لسديّد، وأنا الآن أفهم لم حرم

651 أبناء لادو من الإرث، لكنّ من هو غيراردو الذي تقول إنّّه كان مثلاً لما بقي من سلالةٍ منقرضة كمثل ملامةٍ لهذا العصر الهمجيّ؟» فأجابني: - «إنّك بخطابك هذا إما تخدعني أو تغويني، ذلك أنّك رغمّ محادثتك إيّاي بالتوسكانيّة، يبدو أنّك لا تعرف عن غيراردو الطيّب هذا شيئًا.

652 ولست لأعرف له لقبًا غير هذا الذي استعزّته من ابنته غايا ، كان الله معكما، فأنا لا أكمل معكما

الطريق.

أنظر النور يشقّ سحائب الدخان، ومن الآن يبيضّ؛ ينبغي أن أُغادر قبل أن يراني الملاك<sup>653</sup>؛ إنّه هنا.» وابتعدَ ولم يشأ الاستماع إليّ أكثر.

## الأنشودة السابعة عشرة

(من الإفريز الثالث إلى الرابع. ثلاث رؤى عن حالات غضب تلقى عقابها. ملاك الرّفق. فرجيليو يعرض نظريّة الحبّ. الاختيار الحرّ والمسؤوليّة. دانتي يلقّهُ النّعاس. ظهور المهملين المتباطئين في فعل الخير. الأب سان زينو. أمثلة على الإهمال تلقى عقوبتها. دانتي يغطّ في النّوم.)

تذكّر أيّها القارئ إنّ كان أطبق عليك الضّباب يوماً في جبال الألي وجعل رؤيتك أشبه ما تكون برؤية الخلد مبصراً عبر غشاء عينه، وتذكّر عندما تبدأ الأبخرة المتكاثفة الرّطبة بالتبدّد كيف تشقّ أشعّة الشّمس خللاً طريقها بصعوبة، وستكون مخيلتك متأهبة وقادرة على أن ترى كما رأيت الشّمس جانحةً إلى مغيبها، هكذا، مقتفياً في سيري خطواتٍ أساذي الأمانة أتيح لي أن أخرج من ذلك السّحاب إلى الأشعّة الدّاوية من قبل على الشّواطئ الواطئة.

أيّها الخيال <sup>654</sup> ، يا من تجرفنا أحياناً بعيداً عن أنفسنا حتى لا نكاد نسمع شيئاً وإنّ نُفخ حولنا بألفٍ صوّر، ما الذي يُحرّكك، إذا لم توقظك الحواسّ؟

إنّك يحركك نورٌ يكتمل في العلى، صادراً عن ذاته أو عن مشيئةٍ تبعث به إلى أسفل.

ترأى لخيالي وجه تلك المرأة الجاحدة التي حوّلت صورتها إلى الطائر الذي ما أكثر ما يبتهج بشدوه <sup>655</sup> .

ولقد انطوى فكري إلى هذا الحدّ بحيث لم يعد لأيّ شيءٍ آتٍ من خارجه أن يجد فيه له مستقراً.

ثمّ ترأى لخيالي الرّفيع مصلوبٌ <sup>656</sup> يرتسم على مرآه الازدراء والعنف، وعلى هذه الشّاكلة عاجله الموت.

كان إلى جانبه أحشورُش الكبير

وزوجته أستير ومردكاي العادل <sup>657</sup> ، الذي كان بالغ التّراهة قولاً وفعلاً.

ثمّ لما تلاشت من تلقاء نفسها تلك الصّورة كمثّل فقاعةٍ يعوزها الماء الذي تشكّلت تحت سطحه، طلعت في رؤيتي فتاة <sup>658</sup> تقول وهي تبكي: - «أواه أيتها الملكة، لم رغبت عن غضبٍ في الانقلاب إلى عدَم؟

قتلت نفسك كي لا تفقدي لافيينا وها قد فقدتني وإنّي لأبكي موتك يا أمّاه قبل أن أبكي موت سواك.» وكما ينقطع النّوم عندما يلفح العينين المغمضتين سطوع ضياءٍ مفاجئ، ولكّنه يظلل يصطرع قليلاً قبل أن يتلاشى حقاً، فهكذا انقشعت عني تلك الرّؤية، ما إن لفتح محيّي نورٌ كان أكثر ألماً من كلّ ما عرفناه من قبل.

كنتُ أتلقّت لأرى أين أصبحت عندما سمعتُ صوتاً يقول: - «من هنا الصّعود»، فحرفني عن كلّ



مسعى آخَر، وشحدَ في رغبةٍ عظيمةٍ في معرفة مَنْ كان يتكلّم، رغبة لا تُروى إلاّ بمعاينة وجهه. ولكن كما تجرح الشّمس منّا الأعيُن، وتحتجب عنّا وراء وهجها نفسه، فهكذا خارت أنثذ جميع قواي.

- «هذه روح إلهية<sup>659</sup> تجذبنا في الطّرق المفضية إلى العلى ولما نسألها، وفي بهائها نفسه تتخفى. تفعل معنا ما يفعله الإنسان والإنسان، فمن رأى حاجتنا وتوقّع منّا أن نرجوه، هيأ نفسه للرفض بقساوة.

فلتُفُفُ بسيرنا هذه الدعوة المهدّبة، ولنستعجل الارتقاء قبل أن يُرخي سدوله اللّيل، وإلا فلن نقدر على ذلك قبل أن يرجع النّهار.» هكذا تكلم مرشدي، فاستدرنا بخطانا إلى سلّم كان هناك،

وحينما بلغت أولى درجاته، أحسستُ قربي بهسيس جناحين ونفحةٍ على محيّي كانت تقول: -

«طوبى للسّاعين إلى السّلام<sup>660</sup> ، من ليس يعرفون الغضب الدّميم أبداً!» كانت الأنوار التي تسبق مقدّم اللّيل قد شهقتُ عاليًا فوقنا وإذا بالنّجوم تُسريل السّماء من كلّ جانب، كنتُ أقول في نفسي: - «أواه يا قواي لم تخدليّني؟»، ذلك أنّي كنتُ أحسُّ بساقيّ يلفّهما كلتيهما الخمول.

كنا بلغنا من السّلم ذلك الحدّ الذي كفّ فيه عن أن يصعد، فبقينا معلّقين كسفينةٍ جانحةٍ إلى الشّاطئ.

فانتظرتُ قليلاً لأرى إن كنتُ سأسمع صوتًا قد يأتينا من الدّائرة الجديدة، ثم التفتُ إلى أستاذي وقلتُ له:

- «أبتاه الحبيب، أخبرني من آيةٍ خطيئةٍ تتطهّر أرواح الدّائرة التي نحن فيها؟ ولئن توقفتُ خطواتنا فليتواصل حديثك.»

فقال لي: - «إنّ محبة الخير المتوانية عن واجبها تلقى هنا تجديدها، وهنا يُدفع إلى العمل المجذاف المتباطئ.

ولكن لتفهم بوضوح أكثر فلتُعزني انتباهك وستجني من وقفنا هنا ثمارًا جنيّة.» واستأنف: - «تعرف يا بنيّ أنّه ما من خالق ولا من مخلوقٍ كانا مجردّين من المحبة، طبيعيّة كانت أم عقلية<sup>661</sup>.

المحبة الطبيعيّة معصومةٌ عن الخطأ دومًا، لكن المحبة الأخرى يمكن أن تزيغ إمّا لفساد موضوعها أو لنقص حُمياها أو إسرافها.

وطالما اتّجهتُ إلى الخير الأوّل، واعتدلتُ في طلب الخيرات الأخرى، فهي لن تتمخّض عن متعةٍ آثمة؛ ولكن عندما تنجرف إلى الشرّ أو تسعى إلى الخير بأكثر ممّا يلزم من الحُميا أو بأقلّ، فبعكسٍ مشيئة الخالق يعمل أنثذ المخلوق.

هكذا تدرك أنّ المحبة ينبغي أن تكون فيكم بذارًا لكلّ فضيلةٍ أو لكلّ ما يستوجب عقابًا.

وبما أن المحبة لا يمكن أن تحرف نظرها عن نجات من يحملها، فالجميع إذن محميون من كراهة أنفسهم.

ولأننا يتعدّر علينا أن نتصور كائنًا مفصلاً عن الموجود الأول ومكتفياً بذاته، عجز كل كائن عن أن يكره الله.

يبقى، إن أنا أصبت في تحليلي هذا، أن الشر الذي نحب إنما ينصب على الغير، ومحبة الشر هذه تولد في طينتك الأصلية بوجوه ثلاثة:

فبعضهم يأمل أن يتفوق برؤية جاره ساقطاً فيتطلع إلى أن ينحط هذا من علياء مجده.

وبعضهم يخشى فقدان الحظوة والسلطان والمجد والشهرة إن ارتفع غيره، فيحزن حتى ليطمئى له عكس ذلك.

وبعضهم يبدو وهو يجلله الخزي من إهانة تلقاها حتى ليغدو جائعاً للانتقام، فيسعى إلى إلحاق الضرر بالغير.

صوّر المحبة الثلاث هذه يُبكي بسببها في الأسفل؛ لكن أريد الآن أن ترى المحبة الأخرى التي تسعى إلى الخير عبر طرُق ملتوية.

كل واحد يصنع لنفسه فكرة غائمة عن خيرٍ تستريح إليه نفسه، فيرغب فيه ويسعى لبلوغه.

وإذا ما استطعت بفضل محبة متوانية، أن ترى هذا الخير أو تحوزه ففي هذا الإفريز تُعاقب على ذلك بعد توبة نصوح.

وهناك خير آخر لا يُسعد أحداً، فهو لا يمثل الهناء ولا الجوهر الصحيح الذي هو ثمرة كل خير وأصله؛ والمحبة التي تنقاد إلى مثل هذا الخير تجعل القوم يبكون في ثلاث حلقات أعلى منا؛ أما كيف قُسمت ثلاثاً فلن أقول لك ذلك حتى تكتشفه.»

## الأنشودة الثامنة عشرة

(الإفريز الزابع. الكسالى. فرجيليو يشرح طبيعة المحبة وارتباطها بالاختيار الحرّ. المهملون. أمثلة على كسل يلقي عقابه. دانتي يغطّ في النوم وتزوره أحلام.)

كان الأستاذ الحاذق قد فرغ من خطابه ومضى يُنعم النظر إلى عينيّ ليرى إن كنت راضيًا ومسروّرًا. لكنّ ظمًا جديدًا كان يؤرّقني فلزمتُ السكوت قائلًا في نفسي:

- «رَبِّمَا كَانَتْ كُلّ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ ثَقِيلَةً الْوَطءِ عَلَيْهِ!».

لكنّ هذا الأب الحقّ كان قد فطنَ إلى الإرادة المنحسبة عندي فمدّني كلامه بالقوّة على الكلام. فقلتُ له: - «أستاذي، إنّ نظري لينتبعش بأنوارك حتّى لأميّز بوضوح كلّ ما يعرضه حديثك أو يصفه. ولذا فأنا أرجوك أبتاه الحبيب، أن تشرح لي المحبة التي تعزو إليها كلّ فعل صالحٍ ونقيضه.» فأجاب:

- «ألا أعزّني نظرك الثّاقب، نظر العقل وسيّين لك بجلاء خطل العُميان الذين يجعلون من أنفسهم أدلاءً وقادة. إن الرّوح المفطورة على المحبة تتّجه إلى كلّ ما يُبهجها ما إن تحدوها متعتها

إلى الشّروع بالفعل <sup>662</sup>. من الموجود الواقعيّ يصنع عقلكم صورة وينشرها في دواخلكم، مُلفئًا روحكم إلى هذه الصّورة. فإذا مالت في التفاتها إلى ذلك الموجود، فهذا الميل محبة، أعني محبة طبيعيّة، تنغرس فيكم بفعل لذادة جديدة. ثمّ، كما تصاعد النّار إلى أعلى إذ هي منقادة بطبيعتها إلى الصّعود حيثما تدوم في مادّتها أكثر، فهكذا تنخرط الرّوح المُحبة في الشّوق الذي هو للرّوح هزّة لا تكفّ عنها ما بقيت تلتدّ بالشّيء المحبوب. تقدر الآن أن ترى كيف تظلّ الحقيقة خافيةً على من حسبوا أنفسهم واثقين من أنّ كلّ محبة هي في ذاتها شيء يُحمد. ذلك أنّ جوهرها يمكن أن يبدو طبيًّا على الدوام، لكنّ كلّ ختمٍ ليس كذلك مهما يكن من فذادة الشّمع.»

فأجبتُه: - «إنّ كلامك وفكري الذي يتبعه أرياني ما هي المحبة، لكنّ ذلك كلّه زادني شكوكًا. فإذا كانت المحبة تأتينا من خارج، وإذا كانت الرّوح لا تحيد عن هذا المسرى، فلا فضلَ لها بأستقامةٍ سارت أم بانحراف.»

فأجابني: - «ما يقوله هنا العقل أقدر أن أشرحه لك، لكن انتظرُ بياتريشي لتقول لك ما يتخطّى ذلك، فإنّه لِفعلُ إيمان. كلّ صورةٍ جوهريّةٍ - هذا الشّيء الذي هو أبدًا مستقلٌّ عن المادّة ومُتحدّ بها - تنطوي في ذاتها على القوّة التّوعيّة التي لا يُحسّ بها إلّا عبر الفعل ولا تُرى إلّا خللَ أثرها، كالحياة في النّبات عبر أوراقه الخضر.

فهكذا لا يعلم الإنسان من أين تأتيه معرفته بالأفكار الأولى ولا ميله إلى أولى رغباته، التي هي فينا كالغريزة التي تحدو بالنّحل ليصنع العسل، وهذه الرّغبة الأولى ليس فيها ما يستحقّ ثناءً ولا لومًا.

لكنّ حتّى تتواءم هذه الرّغبة وسواها ولدت فيكم الملكة المرشدة كغريزة منوطٍ بها أن تحرس عتبة

الرّضى والاكتفاء.

ومن هذا المبدأ نَتَجَتْ بواعثُ ما تستحقّونه تبعًا لاختيارِ المحبّة الطيّبة أو الخبيثة أو رفضهما.

إنّ من سبروا بالعقل غور الأشياء <sup>663</sup> ، أدركوا هذه الحرّيّة الفطريّة، وتركوا للعالمِ علمَ الأخلاق. من هذا ينتج أنّه حتّى إذا ما أقررنا بضرورة كلّ محبّة تتأجج في جوانحك، فإنّما لكبحها لديكم سلطان.

كذلك هي القدرة النبيلة <sup>664</sup> التي تدعوها بياتريشي بالاختيار الحرّ، فلتعملْ بحيث تحفظها في ذهنك إذا ما كَلَمْتَك عنها. « القمر المتأخّر الطلوع كان في منتصف الليل يجعل النجوم تبدو أكثر ندرة، وكان شبيهاً بمرجلٍ دائم الاشتعال.

كان يعلو في السّماء منتهجًا تلك المسالك التي تُشعلها الشّمس لحظة يراها أهل روما غاربةً بين كورسيكا وساردينيا، وإنّ هذا الشّبح اللطيف الذي عاد ليبيتولا <sup>665</sup> بأكثر شهرةً ممّا نالته سائر ضياعٍ مانتوا، قد أزاح عني العبء المُثقل على كاهلي آنذاك، بحيث أنّي، وقد تلقّيتُ إجابة صريحة وواضحة على أسئلتِي، صرتُ كمثُلٍ مَنْ يلفّه النّعاس وتهوّم أفكاره. لكنّ نعاسي هذا أطارنّه جماعة أشباحٍ ظهرت فجأة من وراءنا واتّجهت إلينا. وكما كانت ضفاف إسمينوس وأسويوس <sup>666</sup> تزخر في اللّيل في سالف العهود بحشودٍ غضبي كلّما تضرّع أهل طيبة إلى باخوس، فهكذا رأيتُ محفل القادمين إلى تلك الدّائرة سائرينٍ بخطي وثّابة، تحدوهم المحبّة العادلة والإرادة الطيّبة. وسرعان ما صاروا يعلوننا، لأنّ ذلك الحشد كان قد جاء بأكمله يجري جزّيًا، وفي طليعته اثنان يصرخان باكتيين:

- «ركضتُ مريم مسرعةً إلى الجبل» <sup>667</sup> ، وكذلك: - «حتّى يسيطر قيصر على ليريدا <sup>668</sup> ، فهو ضربَ مرسلية ثمّ انعطفت إلى إسيانيا.» وتلاههما صراخ الآخريين: - «سارعوا، سارعوا، ولا نهدر الوقت بالحبّ الضئيل، فالفضل سرعان ما يعود بالمعاجلة إلى فعل الخير.» - «أيّها القوم يا مَنْ تعوّضون الآن بحميّتكم الرّائدة عن إهمالكم وتوانيكم، ربّما عن فتورٍ، في فعل الخير إنّ هذا الرّجل الحيّ - ولستُ لأكذبكم القول أبدًا- يتوخّى الصّعود عندما تعاود الشّمس إشراقها، فلتخبرونا أين هو المخرج القريب؟».

هكذا تكلمَ مرشدي فقالت إحدى الأرواح: - «لتأتِ وراءنا لترى هناك الثّغرة. إنّنا تحدونا الرّغبة في أنْ نمضي وليس في وسعنا البقاء أكثر، فلتعذّرنا إذا ما بدا في ناموسنا <sup>669</sup> بعضُ غلظة. كنتُ في فيرونا راهبَ دير القديس أنتزينو <sup>670</sup> في عهد بارياروسا الطيّب، الذي ما تزال ميلانو تتذكّره ببالح الألم <sup>671</sup> . وهناك مَنْ له من الآنَ قدمٌ في القبر وسيبكي عاجلاً هذا الدّير نائحًا على ما كان له فيه من سلطان؛ لأنّه أحلَّ نجله الشّائه في جسده كلّ <sup>672</sup> والذي هو في الرّوح أكثر شوهاً والمولود في العار،

محلّ راعيه الحقّ.» لا أعلم إن كان لزم الصّمت أو واصل الكلام، فلقد ابتعدَ عنّا لكنني سمعتُ هذه الكلمات وعلى حفظها حرصتُ.

وإذا بهذا الذي يُسعفني في كلّ حاجة يقول لي: - «التفتُ شطرَ هذه الناحية فها أن اثنين يأتيان ممزّقين كسلهما.» كنا يقولان في مؤخّرة الموكب:

- «القوم الذين انشقّ لهم البحر ماتوا قبل أن يشهدَ نهْرُ الأردنّ وارثيهم؛ وأولئك الذين لم يحتملوا مع ابن أنكيسيس العباء حتّى آخره على أنفسهم حكموا بحياةٍ لا تعرف أيّ مجد <sup>673</sup>».

ثمّ عندما صارتُ هذه الأشباح نائيةً عنّا حتّى لم يعد لنا أن نبصرها، تسلّلتُ إلى خاطري فكرة جديدة، تمخّضت فيما بعدُ عن أفكارٍ شتى فرحتُ أتأرجح من فكرةٍ إلى أخرى حتّى أغمضتُ عينيّ من فرط اللدّة، وإذا بتفكيري ذاك ينقلب حلمًا.

## الأنشودة التاسعة عشرة

(الحلم بعروس البحر. ملاك العطف. ملاقة أرواح الإفريز الخامس. محاورة البابا أدريانو الخامس.)

في السّاعة التي تنقهر فيها حرارة النّهار  
أمام برودة زُحل أو الأرض،  
فلا تعود تقدر على تسخين برودة القمر،

674 وعندما يرى الرّمالون إلى نجمة الحظّ الأكبر  
وهي تبرز ناحية الشرق قبيل الفجر،  
في مسارٍ ما برح محفوفاً بشيء من الظّلام،

675 رأيتُ في ما يرى النّائم امرأةً تمتاماً

حولاء العينين ملوياً القدمين  
بتراء اليدين شاحبة السّحنة.

نظرتُ إليها ولأنّ الشّمس

تُنعش الأعضاء الباردة المخدّرة بالليل،

فإنّ لسانها انطلق بنظرتي إليها،

وانتصبتُ واقفةً بكامل قامتها،

وبقليلٍ من الوقت تلوّنتُ محياها

باللون الذي تستدعيه المحبّة،

ثمّ، وقد استعادتُ قدرتها على الكلام،

شرعتُ بالغناء غناءً جميلاً

حتى لقد شقّ عليّ أن أحيد بنظري عنها.

كانتُ تعنيّ:

- «أنا النّداهة الفاتنة التي تغوي الملاحين في عرض البحر لفرط ما يسرّ غنائيّ من يسمعه!» لم تكنُ

أطبقتُ بعدُ فاها عندما ظهرتُ سيّدةً 676 قدّيسة متحفّزة لتبليها وتشوش مسعاها.

وهتفتُ وعلى مرآها الازدراء:

- «فرجيليو، يا فرجيليو، من تكون هذه المرأة؟»، فهرعَ هو ثابت النّظرة إلى هذه السيّدة الأمانة.

وأمسكُ بالأخرى وعزّاها من الأمام شاقاً ثوبها وكشف لي عن بطنها، فأيقظني ذلك العفنُ الذي فاح منها. فرحتُ ألتفتُ بعينيّ فقال لي أستاذي الطيّب:

- «ثلاث مرّاتٍ على الأقلّ ناديتك؛ انهضْ وتعالَ لنفتّشَ عن الثَّغرة التي ستلجُ منها.» فنهضتُ وكان النّهار قد شملَ بنوره جميع حلقات الجبل المبارك، وسرنا مُديرين ظهرنا للشمس المُشرقة لتوّها. كنت أمشي في إثره حاملاً وجهي كما يفعل من تثقل عليه همومٌ كثيرة، جاعلاً من جسمي نصف قوسٍ جسر؛ عندما سمعتُ من يقول:

- «تعالاً، من هنا المرور»، وذلك بصوتٍ رقيقٍ وحنونٍ كما لا نسمع في تلك المناطق المُهلكة. بجناحين مفروشين كجناحي طائر البجع جَعَلْنَا من كَلَمْنَا كذلك نرقى بين حائطين من الصّخر الصّلد.

ثم هفّفت علينا بجناحيه قائلاً لنا:

- «الباكون سينعمون بالطوباويّة <sup>677</sup>، لأنّ أرواحهم صانعاتٌ للعزاء.» وما إن ابتعدنا قليلاً عن الملاك حتّى أنشأ مرشدي يقول لي:  
- «ما لك ما تزال تحملق بالأرض؟» فأجبته:

- «ما يجعلني أسير بمثل هذه الحشية هو رؤيا جديدة مستحوذة لا أقدر أن أكفّ عن تداولها في فكري.» فقال لي:

- «هو ذا أبصرت السّاحرة القديمة التي تدفع وحدّها للبكاء هناك في هذه اللّحظة، ورأيت كيف يُفلت المرء منها.

فليكفيتك هذا! ولتضرب الأرض بعقبك وليشخصنّ بصرك إلى الصّورة التي يُديرها السّلطان الأبديّ بدواليبه السّحرية الكبيرة» <sup>678</sup> وكما ينظر البازي إلى قدميه بدءاً، ثم يلتفتُ إلى مصدر الصّرخة ويغدّ بالطيران تحدوه الرّغبة في الفريسة التي تجتذبه، فهكذا صرّ، وبقدر ما تنشقّ الصّخرة لتسمح بمرور من يلتمسون الصّعود، مضيتُ حتّى الموضع الذي يستأنف المرء فيه دورانه. وعندما أصبحتُ في الدّائرة الخامسة طليقاً رأيتُ هناك قوماً يبكون، مستلقين منكفي الوجوه إلى الأرض.

- «التصقتُ بالتراب نفسي» <sup>679</sup>، هكذا سمعتهم يقولون في زفراءٍ قويّة فلا تكاد تُفهم كلماتهم.  
- «أيّها المختارون يا من يُخفّف من آلامكم العدل والرّجاء، ألا أرشدونا إلى الدّرجات التّالية لنصعد.»

- «إذا كنتما جئتما إلى هنا من دون خشية من الالتصاق بالأرض ناشدين أقصر الطّرق فليكن الفضاء إلى يمينكما دوماً.» هكذا سأل شاعري وهكذا أُجيب من موضعٍ كان يتقدّمنا قليلاً فعرفتُ أنا من يختبئ خلف ذلك الجواب.

فالتفتُ إلى سيّدي بعيني فأباح لي بإشارةٍ فرحة ما كان نظري يُفصح عن رغبتني فيه.  
وعندما صار لي أن أنصرف كما أهوى دنوتُ من ذلك الكائن الذي لفتت انتباهي إليه كلماته.  
فقلت له:

- «يا روحاً يُنْضِجُ البكاء فيها ما لا يمكن بدونه الرّجوع إلى الله، حبّذا لو أرجأتِ شغلكِ الشّاعِل من أجلي قليلاً.

مَنْ أَنْتِ، ولم تتّجهِ ظهوركم إلى أعلى، خبّريني إن كنتِ تريدين أن أنال لك شيئاً في الدّنيا التي أتيتُ منها وأنا ما أزال حياً.» فأجابتنِي:

- «إن كنتِ تريد أن تعرف لِمَ تدير السّماء ظهورنا نحوها فاعلمِ باديء ذي بدءٍ أنّي كنتُ خليفةً القديس بطرس <sup>680</sup> بين مدينتي سيسرتري وكيافارِي يتهادى جدول جميل ومن اسمه يستمدّ اسم

عائلي مجده <sup>681</sup> عرفتُ طيلة شهرٍ ونيفٍ كم يُثقل الثّوب العظيم على مَنْ أرادَ حفْظه من الوحل، حتّى لتبدو سائر الأعباء إلى جانبه كمثل ريشة تأخرتُ توبيتي وا أسفاه ولكنني عندما صرتُ راعياً رومانياً تبين لي كم هي باطلّة الحياة الدّنيا؛ وأدركتُ أنّ قلبي لن ينعمَ هناك بالسّلم أبداً، وأنّه ليس يمكن الصّعود أكثر، هكذا ولدتُ فيّ محبّة الحياة الأخرى هذه.

كنت حتّى تلك اللحظة روحاً بنيسة، مفصولةً عن الله وناضحةً بخلاً، والآن ألقى كما ترى لذلك عقابي.

ما يفعله البخل في النفوس بائناً هنا في العذاب الذي تلقاه أرواح التائبين، ولا ترى في الجبل كلّه عذاباً أشدّ.

فكما بقيتُ أعيننا ملتصقة بأشياء الأرض، ولم تسمُ مرّةً إلى العلى، فالعدالة تُلقى بها هنا لصقَ التراب.

وكما أحمَد البخل فينا محبّة كلّ خيرٍ ووسم جميع أفعالنا بالبطلان، فهكذا تُطبق علينا هنا العدالة وتوثق أقدامنا وأيدينا، وسنظلّ مطّرحين هنا ومسمّرين طالما طاب ذلك لسيدنا العادل.» فجمّثتُ على ركبتيّ لأكلّمه ولكن ما إن بدأتُ ولاحظتُ هوّ بالإصغاء إليّ مدى توقيري له، حتّى سألتني:

- «ما الذي يحدو بك للانحناء هكذا؟»، فأجبتُهُ:

- «إكراماً لك، ذلك أنّه ليؤرّق ضميري أن أبقى واقفاً أمامك.» فأجابني:

- «لِتُقِمّ ساقيك يا أخي ولتنهض ولا ترتكب معي هذه الهفوة، فأنا وأنت والأخرون خدام سلطانٍ واحد.

وإذا كنتِ تفهم كلمة الكتاب المقدّس: "لا يتزوّجون أبداً" <sup>682</sup> فستدرك لِمَ خاطبتُك على هذه الشّاكلة.

ولتنذهب الآن عني فأنا لا أريد أن تطيل هذه الوقفة، ذلك أنّ حضورك يعطلّ البكاء الذي يُتيح لي أن أنضج ما ذكرتُ أنتِ نفسك.

لي على الأرض ابنة أخ تُدعى ألدجا <sup>683</sup> وإنّها لطيّبة الخصال إن لم يُفسدها بيتنا بمثاله الشّديد الرّداءة؛ وهي الوحيدة التي بقيتُ لي هناك.»



## الأنشودة العشرون

(البخلاء والمبذرون. تقريع البخل. أمثلة عن الفقر المرغوب فيه وعن الأريحية. هوغ كاپيه والعائلة الحاكمة في فرنسا. أمثلة على البخل تلقى عقوبتها. زلزال في المطهر. الأرواح ترتل «المجد لله في الأعلى».)

لا رغبة تقوى على مقارعة رغبة أفضل منها،  
ولذا، فلأرضيه دون أن تكون في ذلك مرضاتي،

684 . سحبتُ من الماء الإسفنجة التي لم تمتلئ بعد ماءً .

فانطلقتُ، ومعى أستاذي، وتقدّمتنا  
في المواضع الفارغة بعدُ بإزاء الصّخر،  
كمثل من يسير بإزاء سورٍ، ملتصقاً بشرفاته،  
لأنّ أولئك القوم الذين كانوا من أعينهم  
يذرفون قطرةً قطرةً الألم الذي يملأ العالم بأسره،  
كانوا في الجهة الأخرى بالغي القرب من الحوافّ.

685 . تباً لك أيّتها الدّئبة القديمة .

يا مَنْ لديك من الفرائس أكثر ممّا لسائر الوحوش، بجوعك المسعور والذي ليس يعرف من حدّ.  
أيّتها السّماء، يا مَنْ آمنَ الإنسان بأنّ مسارِك يغيّر مجرى الأشياء في العالم السفليّ، متى يظهر ذلك  
الذي سيطردها 686 ؟ رحنا نسير بخطى بطيئة محسوبة، وأنا بالغ الانتباه والرّافة تُجاه الأشباح التي  
كنتُ أسمع شكواها الأليمة، وسمعتُ من أماننا نداءً يُطلقُ بنبرةٍ ملؤها النّشيج:  
- «أواه يا مريمَ الحبيبة!» كما تصرخ امرأةٌ في آلام الولادة.  
ويواصل النّداء:

- «كان فقرك شديداً كما يبين عنه هذا المذود الذي وضعت فيه حملك المبارك.» ثمّ سمعتُ:

687 - «أيّها الطيّب فابريسوس يا مَنْ آثرتَ الفقر صحبةً الفضيلة على الرّذيلة المصحوبة بطائل  
الثّراء.» أعجبتني هذه الكلمات فتقدّمتُ خطواتٍ حتّى أعرف الرّوح التي تبدو هي صادرةً عنها.  
كانت ما تزال تتحدّث عن الهبات التي جاد بها القديس نيقولا على العذارى ليسدّد خطى شبابهنّ في

688 . ملاعب الشّرف .

فقلت لها:

- «أيّتها الرّوح الطيّبة الكلام أخبريني مَنْ كنتِ، ولم تُجدّدين وحدك هذه المدائح اللّائقة؟ لن يكون

خطابك بلا ثواب، إن كان لي أن أعود لأكمل شوطي الوجيز في هذا العمر السائر إلى نهايته.» فأجابني:

- «سأتكلم لا لأتني أنتظر معونة من الأسفل، بل لأن كل هذه البركة تفيض منك قبل أن يخطفك الموت.

أنا كنت جذر هذه النبتة الخبيثة <sup>689</sup> التي تغمر بظلامها العالم المسيحي كله، حتى لقد ندر أن يجتني منها ثمراً طيباً.

ولكن إن قويت دويهِ وليل وغانج وبروج <sup>690</sup> فسيتهاً الانتقام عما قريب، وإني لأسأل هذا من الديان العادل.

كنت أدعى هناك هوغ كاپيه، ومن صُلبي وُلد كل من تسمى فيليب أو لويس، الذين يحكمون فرنسا منذ عقود.

كنت ابن قصابٍ بباريس <sup>691</sup>، وحينما انقرض جميع الملوك القدامى، إلا واحداً تسربل في ثياب الرهبان الرمادية <sup>692</sup>، وجدتني قابضاً بيدي على زمام حكم سائر المملكة، وبات لي ذلك السلطان جديداً وطازجاً وكل ذلك المحفل من الأصحاب، حتى ارتقى إلى العرش المترمل رأس ابني الذي صار هو الأصل لكل هذه العظام المكرسة ملوكاً.

طالما لم يمخ صدق البروقنس العظيم <sup>693</sup> عن سليلي كل شعور بالخزي فإنهم ما كانوا ذوي بالٍ، لكن على الأقل كانت قليلة شرورهم.

وهنا بدأوا بالسلب والنهب، بالعنف والأكاذيب، ثم، على سبيل التكفير، أخذوا پونتيو والنورماندي وغاسكونيا <sup>694</sup>، وإلى إيطاليا أقبل شارل، ومرة أخرى على سبيل التكفير، جعل من كورادان ضحية له، وبعد ذلك بعث بالقدّيس توماس إلى السماء تكفيراً أيضاً <sup>695</sup>.

ولا يبدو لي بعيداً الزمن الذي سيطلع فيه من فرنسا سمي لشارل هذا ليحسن التعريف بنفسه وأبنائه.

سيخرج بلا سلاح <sup>696</sup> سوى ذلك الرمح الذي كان بيد يهوذا، ويصوبه بحيث يبقر بطن فلورنسة <sup>697</sup>.

وبذلك سيكسب لا أراضي بل مزيداً من العار والآثام تُثقل عليه بقدر ما يخالها خفيفة.

والآخر، الذي غادر مركبه أسيراً <sup>698</sup>، أراه يبيع ابنته وعلى سعرها يُساوم كما يفعل القراصنة بالإماء. أيها البخل، ما في جعبتك من جديد، وقد أوثقت إليك سليلي جميعاً حتى ما عادوا ليُعنوا بأبنائهم؟ ليهون وقع أذى أمس والغد أرى زهرة الرنبق تلج في ألانيا <sup>699</sup>.

والمسيح يصبح أسيراً لِنائبه؛ أراه من جديدٍ مُهاناً يتجرّع الخللَ والعُص، مساقاً إلى الموت بين لصّين حَيَّين.

أرى بيلاطس الجديد <sup>700</sup> وحشيّ القساوة ليس يعرف الشّعب وبلا أيّ مرسومٍ يحمل حتّى المعبد مراكبه الجشّعات.

مولاي، متى أبصر يا ترى نعمتك التي، إنّ كانت مطويّةً بعدُ في الخفاء، فإنّها لتُلفّ في السرِّ من غضبك؟ ما كنتُ أقول عن العروس الوحيدة <sup>701</sup>.

للروح القدس، التي جعلتْك تلتفتُ إليّ من أجل بعض إيضاح، يستجيب لصلواتنا التي نزجها طالما كان النهار، ولكنّ عندما يُقبل الليل فنحن ننساها لتتخذ أمثولاتٍ معاكسة؛ فنلهج آنئذٍ بذكر بيغماليون <sup>702</sup> الذي صار من شدّة النّهم إلى التبرّ خائناً ولصّاً وقاتلاً لذويه؛ وما لحق بميداس <sup>703</sup>

البخيل من شقاء جاءه من رغبته النّهمة، التي ينبغي الضّحك منها أبداً <sup>704</sup>؛ والكلّ يتذكرون عخان المجنون <sup>705</sup>، الذي سرق الأسلابَ فما يزال ينهشه غضب يهوشع حتّى هنا؛ ثمّ نتهم سفيرة وبعلها <sup>706</sup> ونمتدح العقب الذي سحق هليودوروس <sup>707</sup>، وعلى امتداد الجبل يتمرّع في الوحل اسمُ پوليمنستور قاتل پوليدوروس <sup>708</sup>؛ وفي خاتمة المطاف نهتف:

- «ألا خبّرنا ما هو طعم الذهب يا كراسوس، إنّك به لخبير» <sup>709</sup> يتكلّم الواحد عالياً والآخر خفيضاً بحسب ما تهمزه رغبته في الارتقاء تارةً ببطءٍ وطوراً بسرعة.

لم أكن الوحيد الذي يمتدح ذلك الخير الذي نسترجع في النهار ذكره، ولكنّ هنا بقربي ما كان ليرفع صوته عالياً أيّ شبح. «كنا ابتعدنا عنه وطفقنا نحاول أن نقطع من الطريق ما تتيحه لنا قوانا، عندما أحسستُ بالجبل كلّهُ يهتزّ كما لو كان آيلاً إلى السّقوط وشعرتُ بما يشبه ارتجافَ من يمضي إلى الموت.

لا شكّ أنّ ديلوس <sup>710</sup> ما ارتجفتُ هكذا قبل أن تبني بها لاتونا عشّاً لتُظهر إلى النور عينيّ السّماء. ثمّ ارتفع من سائر الأنحاء صراخ فدنا مرشدي منّي وهو يقول:

- «لا يعرفونك الخوف فيما أقودك.» كانوا جميعاً يقولون:

- «المجد لله في الأعالي» كما فهمتُ من أقرب الأصوات التي كان يمكن سماعها هنا.

ظللنا هناك واقفين، معلقين، كالرعاة الذين سمعوا هذا النّشيد لأول مرّة <sup>711</sup>، إلى أن انتهى الزلزال وتوقّف ترتيل القوم.

ثمّ استأنفنا السير في الدرب المبارك ونحن ننظر إلى الأشباح المطرحة الأرض وقد عادت إلى معهود نواجها.

قطّ لم يؤرّقني الجهل بهذه الصّورة شاحداً رغبتني لأعرف إنّ لم تخني ذاكرتي في ذلك الشّأن، مثلما

حصلَ لي في تلك اللحظة فيما أفكّر؛ وما كنتُ في تلك العجلة لأجرؤ على السّؤال ولا في مقدوري المعرفة لوحدي، فمضيتُ في السّير متفكّراً وجِلاً.

## الأنشودة الحادية والعشرون

(الإفريز الخامس: البخلاء والمبذرون. ظهور ستاسيوس. أسباب الزلزال والتراويل. ستاسيوس يعرف فرجيليو. ثلاثاء الفصح، صباحاً.)

كان يعذبني الظماً الطبيعي

الذي لا يرتوي إلا من ذلك الماء

الذي سألتِ السامريّة الفقيرة <sup>712</sup>

النّيل من بركته، واللهفة للوصول كانت تهمزني

على الجادة المزحومة خلف أستاذي،

ومشاهد النّعمة العادلة ملأتني شفقة.

وكما كتب لوقا أنّ المسيح

قد تجلّى للمسافرين خارجاً من فوهة قبره،

فكهذا ظهر لنا شبّح سائر وراءنا،

محدّقاً بالحشد المطروح أمامه أرضاً؛

لم نكن رأينا؛ كلّمنا هو.

قال:

- «سلام الله عليكم يا أخويّ!»، فالتفتنا لتونا وردّ فرجيليو على تحيته بمثلها.

وبداً:

- «فليحللك في محفل الطوباويين مجلس الحق الذي يحكم عليّ بأن أبقى في المنفى الأبديّ هذا.»

وبينا نغدّ في سيرنا أضاف:

- «إن كنتما ممّن لا يرغب الله فيهم في عليائه، فمن قادمك يا ترى في سلالم السماء؟ فأجاب

أستاذي:

- «إن أنت أمعنّت في النّظر إلى العلامات المخطوطة على جبين هذا، لأدركت أنّ مكانه ينبغي أن

يكون بين الأخيار؛ ولكن لأنّ من تغزلّ نهار ليل ما فرغت بعد من غزل وشيعته، التي تغزل

كلوتو <sup>713</sup> مثيلها لكل واحد، فإنّ روحه، شقيقة روحينا أنا وأنت، ما كان في مقدورها أن تصعد

وحيدة، لأنّها لا ترى الدرب رؤيتنا نحن، فأخرجت من فوهة الجحيم الكبرى لأريه الطريق وسأريه

إياها، طالما قادتني معرفتي.

لكن أخبرني إنّ كنت تعلم لماذا اهتزّ الجبل بهذه القوّة حتّى بدا صارخاً من أعلاه إلى مرتكزه النّاقع

في البحر؟» بسؤاله هذا شفى غليلي فرأيت إلى الأمل العذب وهو يلطف من غلواء ظمأي.

فأجاب ذاك:

- « ليس هذا شيئاً ممّا يخلّ بانتظام الجبل ولا هو بالخارج عمّا هو مألوف فيه. فالجبل براءً هنا من كلّ التقلّبات، ووحدها العلل التي تصنعها السّماء من ذاتها ولذاتها يمكن أن تكون هي الباعث. ولذا فلا مطرَ لا بردَ ولا جليد ولا ندى ولا صقيع لِيَسْقُطَ أعلى من السّلم الصّغير ذي الدّرجات الثّلاث.

لا غيوم ثقيلة أو خفافاً ولا وميض برقٍ ولا أثر لابنة تاوماس<sup>714</sup> التي ما أكثر ما تُغيّر على الأرض مطارحها.

والبخار الجافّ لا يمضي أبعد من الدّرجات الثّلاث التي تكلمتُ عنها والتي هي موطنُ قَدَمي نائب القديس بطرس.

يمكن أن يهتّر الجبل بعضَ اهتزازٍ في أسفله، لكنّ بدافع الرّيح المكدّسة تحت الأرض، لا أدري كيف، لا يرتجف الجبل هنا أبداً.

بل يرتجف عندما تحسّ روحٌ بأنّها طاهرةٌ بما في الكفاية لتنهض وإلى السّماء تصعد، فتردّ عليها صيحةٌ كهذه.

وعلى الطّاهرة ما من دليلٍ إلّا الإرادة التي تفاجئ الرّوح وقد صارتُ حرّة، في تغيير مقامها، وهذه الإرادة تُبهِجها.

من قبلُ تريد الرّوحُ ولكنّ الرّغبة تعيقها إذ يوجّهها الله إلى العذاب مثلما كانت بالأمس تتّجه إلى الخطيئة.

وأنا الملقى بي في هذه الآلام منذ خمسمائة عامٍ أحسنّ الآن بالإرادة حرّةً في اتّخاذ مقامٍ أجمل.

فلقد سمعتُ زلزلة الأرض والأرواح الوريعة مسبّحةً للمولى على امتداد الجبل سائلةً أن يدعوها.»

هكذا تكلم وكما نستعذبُ الشّرب بقدر ما يكون ظمأنا عظيماً، فأنا لن أقدر على وصف ما سبّبه لي من متعة فقال مرشدي الحكيم:

- «هو ذا أبصر الشبكة التي تستبقيكم هنا وكيف تفلتون منها ولم يرجف الجبل والمتعة التي بها تشعرون.

والآن أرجوك أن تخبرني من كنتَ ولم أمضيتَ هنا كلّ هذه القرون، منطرحاً على الأرض، ولتفهمني ذلك بكلماتك.» فأجاب:

- «في العهد الذي انتقم فيه تيطس<sup>715</sup> الطيّب بمعونة الملك الأعلى، للجراح التي انبجس منها الدم الذي باعه يهوذا كنتُ هنا محظياً بالاسم الذي يُشرف ويدوم طويلاً، ولكنّ مفتقراً بعدُ إلى الإيمان.

كانت نفحات نشيدي من العذوبة بحيث اجتذبني روما إليها، وأنا من تولوز، حتّى لقد توجّج بالريحان جبيني.

ما يزال النّاس هناك يدعونني تاسيوس، ولقد غنّيتُ طيبة وأخيل العظيم، ولكنّ متُّ قبل أن أكمل

نلتُ قريحتي من ذلك الشر الذي لفحني من الشعلة الإلهية التي بها اشتعلَ خيالُ ألفِ [شاعر].  
أقصد الإنيادة التي كانت لي في الشعر أماً ومرضعةً: فلولاها لما فعلتُ شيئاً ذا بال.  
ولو أتيّ عشتُ هناك في العهد نفسه الذي عاش فيه فرجيليو لقبلتُ بشمسٍ أخرى تمرّ عليّ قبل أن  
أخرج من منفاي هذا <sup>717</sup>.

وما إن سمع فرجيليو هذه الكلمات حتى التفت إليّ قائلاً في صمتٍ:  
- «ألا سكوتاً؟» لكنّ الفضيلة لا تقدر أن تفعل كلّ ما ترغب هي فيه.  
فالضحك والبكاء سرعان ما يتبعان الشعور الصادر كلاهما عنه، فلا ينصاعان للإرادة حتى لدى  
أصدق الناس طراً.  
فابتسمتُ كمن يغمز بالعينين فسكت الشّبح ونظر إلى عينيّ هناك حيث ينطبع التّفكير بأفضل  
صورة.  
فسأل:

- «حبّذا لو بلغ مسعاك الكبير غايته، ولكنّ لم أعرب لي محيّاك عن ومضةٍ من الضّحك قبل  
وهلة؟» فغدوتُ كالمتنازع بين نارين؛ كانت الأولى تقول لي أن أصمت والثانية تسألني أن أبوح؛  
فتنهّدتُ فأدركني أستاذي وقال لي:  
- «لا تخشين من الكلام بل أجبه وحدّثه بما يتساءل عنه بهذا الحرص كلّه.» فقلتُ:  
- «ريّما كنت أيتها الرّوح العتيقة تعجبين من ضحكي ولكنني أريد أن ينالك الآن عجبٌ أكبر.  
فهذا الذي يقودني إلى أعلى هو فرجيليو نفسه الذي له تدينين بحذقك غناء البشر والآلهة.  
فإذا كنت تتصوّرين لضحكي سبباً آخر فلتدعيك منه ولتثقي بأنّ الباعث هو ما قلت عنه من  
كلمات.» فانحني الشّبح ليقبل قدي أستاذي فقال له هذا:  
- «يا أخي، لا تفعلنّ فما أنت سوى شبحٍ يتملّى بالنّظر شبحاً.» فقال هو ناهضاً:  
- «هكذا تُدرك كم من الحبّ يتسرّع لك في أعماقي ما دمتُ أنسى مظهرنا الباطل وأعامل الشّبح  
كجسمٍ حيّ.»

## الأنشودة الثانية والعشرون

(حكاية ستاسيوس. اعتناقه السري للمسيحية بفضل فرجيليو. شعراء وبطلات من الأزمنة الخالية في اليمابيس. الإفريز السادس: النهمون. شجرة الغواية.) كان قد أصبح بعيداً وراءنا الملاك الذي حملنا إلى الحلقة السادسة، والذي مسح من على وجهي إحدى العلامات.

718

وأولئك الذين تحدوهم الرغبة في العدل قال لهم إنهم طوباويون واختتم كلماته بـ «العطاش» وما قال المزيد.

وأنا أصبحت أخفّ ممّا كنتُ عليه في العتبات الأخرى، فانطلقتُ من دون أيّ تعبٍ متّبِعاً إلى العُلَى هذه الأنفس المُسرعة.

فبدأ فرجيليو:

- «إنّ المحبّة التي تشتعل بالفضيلة لتُشعل محبّةً أخرى ما إنّ يندلع لهبها إلى خارج؛ ولذا فمئذ تلك اللحظة التي هبط فيها جوفينالس <sup>719</sup> بيننا في يلبوس الجحيم وحدثني عن محبّتك لي، وأنا أمحضك محبّةً تفوق كلّ ما يمكن أن نشعر به تجاه من لم نره يوماً ولذا فسيبدو لي هذا المرتقى قصيراً.

ولكنّ أخبرني، وكصديقٍ فلتعذرني إذا ما أرختِ الحرّية الرائدة مّي العنان، ولتحدثني كما يفعل صديقٌ لصديق، كيف وجد البخل سبيله إلى قلبك بين كلّ ما تحمل من حكمة حزتها بدرسك وبكذك؟» فجعلتُ هذه الكلمات ستاسيوس يبتسم في البدء قليلاً ثمّ أجاب:

- «كلّ ما تقول هو لديّ دليلٌ محبّة؛ إنّنا نرى في الغالب أشياء تصنع بزيفها مواطن للريبة، وذلك لـخفاء الباعث الحقّ.

وسؤالك يجعلني أعتقد أنّك كنتَ تحسب أنّي كنتُ في الدنيا بخيلاً ربّما بسبب الدائرة التي فيها أبصرتني.

فلتعلم الآن أنّ البخل كان بالغ البُعد عني وأنني من أجل الإسراف عوقبتُ هنا لآلافٍ من دورات القمر.

ولو أنّي لم أقوم نفسي عندما أدركتُ مغزى كلامك حينما كتبت، مترعاً بالغضب على طبع

720

الإنسان: - «أيّها الجوع المقدّس إلى الذهب لم لا تقوم شهوة البشر الفانين؟»

لرأيتني الآن في أحلك دوائر العذاب. ففهمتُ أنّ اليبدين، من أجل الإنفاق، يمكن أن تُسرفا في بسط جنحيهما، فثبتتُ من هذه المعصية وسواها. وكم من الناس يُبعثون محلوقى الشّعرا لأنهم يجهلون أنّه من هذه المعصية يحسن الندم في أثناء الحياة أو في آخرها. واعلم أنّ كلّ خطيئة تتخلّى عن

نضارتها في هذا الإفريز صحبة الخطيئة المعارضة لها تماماً <sup>721</sup>. فلئن ألفتني مع هؤلاء القوم الباكين لبخلهم كي أتطهر فإنّما لحقني هذا من الخطيئة المقابلة.»



فقال مغّي أناشيد الرّعاة <sup>722</sup> :

- «وعليه، فعندما غنّيت الصّراع القاسي الذي عاد لجاكوستا بحزّنين اثّنين <sup>723</sup> ، فمّمّا رويّمَاهُ أنتَ وكليو <sup>724</sup> ، لا يبدو أنّك كنتَ تحملَ آنثدِ الإيمان الذي بدونه ليس يكفي فعل الخير. فلئن كان ذلك كذلك فأيّ شمس أو أيّ مشعلٍ أضاء لك حتّى نشرتَ فيما بعدُ قلوبك في أثر صائد السمك؟» <sup>725</sup> .  
فأجابه:

- «إنّك أوّل من أرسلني إلى الپرناسوس <sup>726</sup> لأنهل من ينبوعه، وبعدَ الله أنتَ أوّل من أنار لي الطريق. كنتَ كمثلي من يمضي في الليل حاملاً على ظهره مشعلاً لا يضيء له ولكنّه يرشد السّائرين خلفه <sup>727</sup> ، وذلك عندما قلتَ:  
- «يولد عصرٌ آخر وتعود العدالة كما في الأزمنة الأولى ومن السّماء تهبط سلاله بشريّة جديدة» <sup>728</sup> .

بفضلك صرتُ شاعراً وبفضلك أصبحتُ مسيحياً، ولكنّ لكي ترى جيّداً ما أرسّم بكلامي فسأضع بيديّ ألوانه الحقّ.

العالم كلّه كان مفعماً يومذاك بالإيمان الصّحيح الذي كان قد بدّره جميع رسل الملكوت الأزليّ. ورأيتُ كلماتك التي ذكرتُ متوافقةً وهؤلاء المعلّمين الجدد حتّى صار لي في ارتياد معشرهم ديدن.

وبدوا لي رويداً رويداً بمثل هذه القداسة بحيثُ عندما لاحقهم دوميتيانوس <sup>729</sup> فأبّي مزجتُ بدموعهم بكائي، وطالما كنتُ على الأرض رحّتُ أساندهم وجعلني طبعهم الظاهر أزدري سائر الملل طرّاً.

وقبل أن أقود في شعري أهلَ الإغريق إلى نهريّ طيبة كنتُ تلقّيتُ العماد، لكّتي من الخوف لبثتُ في السرّ مسيحياً، مُتظاهراً بالوثنيّة زمناً طويلاً، ولهذا التّواني رحّتُ في رابعة الدّوائر أدور لأربعمئة عامٍ وأكثر.

ولكنّ أنتَ يا من بدّدتَ الحجاب الذي كان يعميني عن الخير الأعظم الذي أتحدّث عنه، ما دام ما يزال علينا أن نصعد، خبّرتني أين هو تيرنسيوس، شاعرنا القديم <sup>730</sup> وأين كيكيليوس <sup>731</sup>

وبلاوتوس <sup>732</sup> وفاريوس <sup>733</sup> ، قل لي إنّ كانوا بين المعدّبين وفي أيّة حلقة؟ فأجاب مرشدي:

- «هؤلاء وپيرسيوس <sup>734</sup> وأنا وكثيرون آخرون، نقبع في الحلقة الأولى من المحبس الأعمى، مع ذلك

الإغريقيّ <sup>735</sup> الذي أرضعته ربّات الإلهام أكثر من غيره، وغالباً ما نتكلم عن الجبل الذي يؤوي مُرضعاتنا أبد الدهر.

ومعنا أوريبيديس <sup>736</sup> وأنتيفون <sup>737</sup> وسيمونديس <sup>738</sup> وأغاتون <sup>739</sup> ويونانيون آخرون زينت جباههم  
بالأمس أكليل الغار.

وترى هناك أناساً غنيتهم: أنتيغون <sup>740</sup> وديفيلي <sup>741</sup> وأرجيا <sup>742</sup> وإيسمين <sup>743</sup> بما كانت عليه من  
حزن.

وهناك تلك التي دلت على لانجيا <sup>744</sup> وابنة تيريسياس <sup>745</sup> ، وتيتيس <sup>746</sup> وديداميا <sup>747</sup> صحبة  
شقيقاتها.

ثم سكت كلا الشعارين وانتبها من جديد إلى ما كان حولهما، ناسيين الحوائط وسبل الصعود؛ ومن  
قبل كانت خادمت النهار الأربع <sup>748</sup> وراءنا، والخامسة ممسكة بالدقة رافعة في الهواء مشعلها  
اللاهب، حينما قال لي مرشدي:

- «أعتقد أنه ينبغي أن نتجه يمينا إلى الحافة دائرين حول الجبل، كما اعتدنا أن نفعل.» هكذا كانت  
الخبرة لنا دليلاً فسلطنا طريقنا بأقل خشية بتأييد من تلك النفس الثبيلة.

مضيا أمامي وأنا سرت خلفهما وحدي مصغياً إلى خطابهما الذي كان يفتح لي على فن الشعر.  
لكن ذلك الحديث سرعان ما قطعته شجرة كانت في عرض الطريق مثقلة بفاكهة زكي أريجها.  
وكما يستدق شجر الصنوبر في أعلاه من فرع إلى آخر، فهذه الشجرة كانت تستدق في أسفلها، كيلا  
يتسلقها في اعتقادي أحد.

ومن الجانب الذي كان فيه درينا منغلقاً كان ماء رقراق يتهاوى من الصخرة وينثر عالياً خلل  
الأوراق.

ودنا الشاعران من تلك الشجرة فهتف بنا هاتف من جوفها:

- «لن تغتذوا من هذه الثمار!» <sup>749</sup>

ثم أضاف:

- «إن مريم التي تستجيب لكم الآن فكرت بأن تجعل العرس باذخاً ومجيداً أكثر مما فكرت بفمها  
هي.

ومن حيث الشرب كانت نساء روما القديمات يفتعن بالماء، أما دانيال <sup>750</sup> فكان يزدري القوت  
ويكتسب الحكمة.

والعصر الأول، الذي كان كالذهب نضيراً، بالجوع صير للبلوط طعاماً شهياً، وبالعطش جعل كوثرأ  
من أدنى جدول.

والعسل والجراد وحدهما كانا غذاء المعمدان في عرض الصحراء ولذا فهو ممجد وعظيم كما ينادي  
به لكم الإنجيل.»

## الأنشودة الثالثة والعشرون

(الإفريز السادس: النَّهْمون - تَتَمَّة. المظهر الجدِّي للنَّهْمين. فوريصي دوناتي: عذاب النَّهْمين وانعدام الحياء لدى نساء فلورنسة.)

فيما كنتُ ما أزال أنعم النَّظر  
إلى الأوراق الخضراء كما يفعل  
مَنْ أنفق حياته في مطاردة الطَّير،  
قال لي مَنْ هو لي أكثر من أبٍ: - «أَيُّ بُيِّ  
فلتأتِ الآن؛ ينبغي استثمار الوقت  
المعطى لنا هنا على أحسن وجه.»  
فالتفتُ بوجهي وحثثُ خطاي  
صوبَ الحكيمين اللذين كانا يتكلمان  
بروعةٍ جعلتني أمشي من دون عناء.  
وإذا بنا نسمع بكاءً وترتيلًا:  
- «رَبِّاهِ افْتَحْ شَفْتِي»، وذلك بشاكلةٍ عذبة  
حتى لتصنع، معاً، الأسي والبهجة <sup>751</sup>.  
فسألتُ:

- «يا أبتاه ما هذا الذي أسمع؟» فأجاب:

- «هي ولا شكَّ أرواح تسير هكذا توفيةً للدين.» وكما يفعل الحجَّاج المستغرقون في أفكارهم عندما يقابلون في طريقهم غرباء فيلتفتون إليهم دونَ أن يتوقَّفوا، فهكذا كانت زمرة أرواحٍ ورعة تسير صامتةً بخطى أسرع منَّا تتطَّلَع إلينا وتتقدَّمنَا.

كان للجميع عينان غبراوان مجوِّفتان والوجه شاحبٌ والأجسام من الهزال بحيث يتبع الجلد تشكيل العظام.

ولا إخال أن أريسكتون <sup>752</sup> كان على مثل هذا النِّشاف في سائر جسده حتى في أشدَّ لحظات الصَّيام. فقلتُ في نفسي:

- «أولاء هم القوم الذين أضاعوا أورشليم عندما التهمت ماريا جسد ولدها» <sup>753</sup>.  
بدت المحاجر خواتم بلا فصوص ومَنْ قرأ في وجه البشر كلمة OMO لم يسعه أن يلمح هنا سوى

حرف <sup>754</sup> M.

مَنْ ذا الذي يحسب أنّ أريجَ ثمرة أو رائحةَ الماء يمكن أن تُنجِل هكذا أحداً شاحذةً الرّغبة لا ندري كيف؟ كنت أتساءل ما الذي يُجيعهم، لأنني كان ما يزال خافياً عليّ باعث هزالهم ذاك وعضونهم المكتئبة، وهو ذا شبح يتفرّسني من غور رأسه بعينين ثابتتين، ثمّ صرّخَ عالياً:

- «يا لها نعمةٌ أوهبها!» ما كنتُ سأعرفه من وجهه لكنّ رنين صوته أوضح لي ما كان شائهاً في مرأى ذيّاك الوجه.

755

هذه الشّارة أشعلتُ فيّ كاملَ معرفة الوجه المتبدّل فاستعدتُ أمامي وجه فوريّزي . فتوسّلتني:

- «لا تحفلنّ بالقشرة اليابسة التي تحيل جلدي كالح البشّرة ولا بهزال جسدي هذا. قلّ لي مَنْ أنت يا ترى وخبّرتني مَنْ هما هاتان الرّوحان اللتان ترافقانك ولا تأنفنّ من تكلمي!» فأجبته:

- «إنّ وجهك الذي أبكاني عندما متّ يبكيّني الآن بالقدر نفسه من الأسي إذ أرى كلّ ما لحق به من تشويه.

ولكنّ بالله أنبئني ما يعزّيكم من أوراقكم هكذا، ولا تجعلني أتكلّم في الدّهشة، فليس يُحسن الكلام مَنْ تداعبه رغبة أخرى.» فقال لي:

- «من المحفل الأزليّ تهبط على الماء والشجرة التي هي وراءنا هناك بركةٌ منها يأتي هذا الهزال. وكلّ هذا الحشد الذي يرتل فيما يبكي لأنه انقادَ إلى شهوة الفم بلا اعتدال، يتطهّر هنا بالجوع والظماً ثانيةً.

إنّ رغبة الأكل والشّرب تنشّذ فينا بالأريج المنبعث من الثّمرة وبالندي الذي يهمني من أوراق الشّجر.

ومراراً، باجتيازنا الحلقة، يتجدّد الألم فينا، وإنّي أتحدّث عن الألم حينما لزمَ أن أتحدّث عن البهجة.

756

فنحن تقودنا إلى الأشجار ذات الرّغبة التي جعلت المسيح الفرحان يقول: -«إلهي!» عندما خلّصنا بدمه المهرّاق.» فقلتُ له:

- «يا فوريّزي منذ اليوم الذي غادرت فيه الدّنيا صوب حياةٍ أفضل، لم تنقض بعد خمس سنوات، فإذا كانت انقطعتُ فيك الرّغبة في الإثم قبل أن تحين السّاعة التي يُعيد فيها الألم الطيّب ارتباطنا بالله، فكيف وصلتُ إلى هنا بهذه السّعة؟ كنت أحسب أنّي سأجدك في الأسفل حيث لا يُعوّض الرّمن إلاّ بالرّمن.»

فأجابني: - «هي امرأتي نيلاً التي قادتني بدموعها السّخينة لأشرب من شِيح الشّهداء العذب. بصلواتها الورعة وتنهّدها أخرجتني من المزيقي الذي تنتظر فيه الأرواح ومن الحلقات الأخرى أنجتني.

أرملتي العريضة التي كم كنتُ بها شغوفاً تلقى من الله محبّةً وكبيرَ اعتزاز لا سيّما وأنّها نادرةٌ في فعل

الخير.

ذلك أن بارياجيا التي كانت في سردينيا تظلّ في نسائها أكثر حشمة، من بارياجيا <sup>757</sup> التي تركتُ أرملي فيها.

ما تريد أن أقول يا أخي العزيز؟ إنني لأرى أزمناً قادمةً ما هي بالبعيدة عن هذه الساعة، سيمنع فيها من على المنابر على نساء فلورنسة الوقحات أن يرين نحورهنّ وأنداءهنّ. أيّ بربرياتٍ وأيّ مسلمات <sup>758</sup> لزم من أجل تقويمهنّ تعاليم روحية وطرائق سواها؟

لكن لو علمت صلفات النفوس هؤلاء ما تهَيّئ لهنّ السماء هنا عمّا قريب، لفغرنّ من أجل الصّراخ أفواههنّ؛ فإذا لم يخدعني سابقٌ حدسي فسينال منهنّ الحزن قبل أن ينبت الشّعر على وجنتي من يهدّد في المهد الآن.

والآن يا أخي لا تخفنيّ عليّ شيئاً فأنت ترى أنني لستُ هنا وحدي بل جميع هؤلاء يتطلّعون إلى حيث تحجّب [بجسمك] الشّمس.»

فقلتُ له: - «إن كنت تتذكّر ما كتّاه واحداً للآخر، فإنّ تذكّره الآن سيثقل على كاهلينا أكثر. من تلك الحياة أخرجني هذا السّائر أمامي منذ أيّام، عندما أبصرتم كامل الاستدارة شقيق هذه» <sup>759</sup> ، وأريته الشّمس وأضفتُ:

- «في الليل البهيم لمن ماتوا حقاً قادي هو بهذا الجسد الحيّ المقتفي أثره. ويارشاده دفعني إلى أعلى صاعداً بي حول الجبل الذي يقوّمكم حيثما انحرفتُ بكم الدّنيا. يقول إنّه سيرافقني حتّى الموضع الذي ستكون فيه بياتريشي؛ وهناك ينبغي أن أظلّ محروماً منه. من يكلمني هكذا هو فرجيليو - «وأريته إيّاه - والآخر هو الرّوح التي من أجلها ارتجفتُ قبل سويغات أركان ملكوتكم إذ انفصلتُ هي عنها.»

## الأنشودة الرابعة والعشرون

(النّهْمون - تتّمّة. بوناجوتا دا لوگا. «الأسلوب العذب الجديد». نبوءة حول موت كروسو دوناتي.  
شجرة الغواية الثانية. ملاك الاعتدال.)

لم يجعل الكلام سيرنا بطيئاً  
ولا السير أبطأ الكلام، بل بالكلام كُنّا نمضي سِراعاً  
كالقارب الذي تدفعه ريحٌ مؤاتية.  
والأشباح التي كانت تبدو كالميت مرّتين،  
من محاجرها الفارغة كانت تبعث  
دهشتها لرؤيتها إِيّاي حيّاً.  
فقلْتُ مواصلاً حديثي:  
- «رَبِّما كانت هذه الرّوح  
تصعد بأبطأ ممّا ستقدر

760 أن تقوم به، بباعثٍ من الرّوح الأخرى .

ولكنّ قل لي إنّ كنت تعرف أين هي بيكاردا ،  
761 وقل لي إنّ كان من هو جدير بالاعتبار بين  
هؤلاء القوم الذين يحدجونني بالتّظّرات.»

- «إنّ شقيقتي التي لا أدري إنّ كان يتفوّق لديها الحُسن أم الفضيلة، سعيدةٌ ولقد ظفرت بتاجها في  
الأولمپ.» هكذا تكلم في البدء ثمّ أضاف:

- «يمكن هنا تسمية كلّ شبحٍ باسمه، ما دام الصّيام شوّه إلى هذا الحدّ ملامحنا.

هذا - وأراني واحداً - هو بوناجونتا 762 ، بوناجونتا اللّوكي، وذلك الوجه الذي هو بجانبه والأكثر

هزلاً من الآخرين كان قد احتضن الكنيسة المقدّسة بين ذراعيه 763 كان من تور، وهو بالصّوم

يتظّهّر من ثعابين بولسينا ونبيذ فرناتشيا 764 « ثمّ سمّي لي، واحداً واحداً، كثيرين غيره، وبدا

الجميع مسرورين بالتّسمية، فلم أرَ وجهاً واحداً يتكدر. ورأيت أوبالدينو دلاً بيذا 765

وبونيفاتشو 766 الذي كان يرعى الحشود بعصاه عصا الأسقف، وهما يمضغان على فراغٍ من فرط

الجوع..

ورأيت السيّد مارتشيزه الذي شرب في فورلي ما أرادَ دونَ أن يكون على عطشٍ والذي ما كان ليُعرف

الارتواء.

وكما يفعل مَنْ ينظر ويفضّل واحداً على سواه، اتّجهتُ إلى اللّوكيّ الذي بدا لي أكثر سروراً لمعرفتي؛ كان يُهمهم بشيءٍ ما وسمعتُ اسماً شبيهاً بـ «جنتوكا»<sup>767</sup> يرتسم على شفّتيه حيث يُحسّ بجرح العدالة وهو يقضمه رويداً رويداً.

فقلتُ له:

- «يا روحاً تبدو لي بمثل هذه الرّغبة في محادثتي، ألا أسمعيني صوتك ولتُرضي هكذا رغبتنا نحن الإثنين.» فبدأ:

- «وُلدتِ امرأةٌ لا تحمل بَعْدُ على رأسها عصابة وهي ستجعلك مسروراً أيّما سرور بمدينتي مهما قيلَ عنها من سوء. ستذهب إليها بهذه النّبوءة وإذا ما أخطأْتُك وشوشتي هذه فستضيء لك الوقائع الصّحيحة. ولكنّ قلّ لي إن كنتُ أرى أُمّمي ذلك الذي عثر على الفنّ الشعريّ الجديد الذي يبدأ بالقول: "أيتها النّساء المُدركاتِ جوهرَ الحبِّ"»<sup>768</sup>.

فأجبتُه: - «إنني رجلٌ يدوّن ما يُلهمه إياه الحبّ، وكما يُملي على جَنانه يمضي مُعبّراً». فقال لي:

- «الآن أرى أيّها الأخ العقدة التي أبقّتِ الموثقَ<sup>769</sup> وغويتوني<sup>770</sup> وأنا نفسي بعيدين عن «الأسلوب العذب الجديد»<sup>771</sup> الذي تُسمعي إياه.

والآن أرى كيف أنّ يراعاتكم تتبع عن كثبٍ ذلك الذي يُملي، وهذا ما لم يحصل ليراعاتنا قطّ. وإنّ مَنْ نشدّ الذّهاب في الفهم أبعد لن يرى سوى هذا فارقاً بين الأسلوبين»، ثمّ سكتَ كمن يبدو مقتنعاً.

وكما تصنع الطّيور الشّاتية على شواطئ النّيل أسراباً في الهواء أحياناً، ثمّ تستجمع سرعتها وتطير في صفتٍ واحد، فهكذا عجلَ السّير من كانوا هناك مُشيعين عنّا بأوجههم، خِفافاً من الهزال والشّوق اللّاهب.

وكمثّل مَنْ أرهقه العدو، فيدع رفاقه ينادون ويمضي ليتنزّه ريثما يخفّ لهاث صدره، ترك فوريزي ذلك المحفل المبارك يبتعد ورجع إلى الورا قربي، قائلاً:

- «متى أراك ثانيةً؟»، فأجبتُه:

- «لا أعلم كم سأعيش»، ولكنّ عودتي لن تكون أسرع من رغبتني في العود إلى هذه المطارج؛ فالموضع الذي قدّرتُ لي العيش فيه يتخلّى عن الخير يوماً بعد يوم، ويبدو منذوراً للخراب والبؤس.» فقال لي:

- «هيا!، إنّي لأرى أكبر الآثمين<sup>772</sup> وهو يُجرّ مربوطاً بذيلِ دابةٍ صوبَ ذلك الوادي الذي لا يَغفر أبداً؛ في كلّ خطوة تُسرّع الدابة في عدوها ولا تكفّ عن الإسراع حتّى تُهشّمه وتخلّف جسده محطّماً بصورة ولا أشنع.» ثمّ أضاف رافعاً عينيه إلى السّماء: - «لن تدور هذه الدوائر كثيراً قبل أن يتضح لك ما يعجز كلامي عن إيضاحه.



وأغادرك الآن لأنّ الوقت في هذا الملكوت ثمينٌ جدّاً وإنّني لأخسر منه الكثير بالبقاء هنا معك جنباً إلى جنب.»

وكما ينفصل فارسٌ أحياناً عن فصيله ويُسرِع في خببه لينال شرفَ الالتحامِ الأوّل، فهكذا ابتعدَ عنّا فوريزي وهو يحثّ خطوّه، وبقيتُ في الطريق مع هذين اللذين كانا في الدّنيا معلّمين للفرسان.

وعندما صار بعيداً عنّا وراحت عيناى تشبعان عدوّه، كما كان فكري يتبع كلماته، بدت لي أغصان ثقيلة ويانعة من شجرة أخرى كانت قريبة لأنّنا قمنا بانعطافٍ في اتّجاهها.

ورأيتُ أسفلها قوماً يرفعون أيديهم صارخين لا أدري بَمَ صوبَ الأغصان، كصغارٍ متلهّفين وغير ذوي اقتدار يتوسّلون ومَن يتوسّلونه ليس يُجيب بل لكي يُوجِّح رغبتهم يعرض عالياً ما رغبوا فيه ولا يُخفيه.

ثمّ رحلوا كالصّاحي من وهمه، فوصلنا بعدَ قليلٍ الشّجرة السّامقة التي لا تستجيب للصّلوات ولا للدموع.

– «إمضوا في طريقكم ولا تقربوها، ففي الأعلى شجرة أخرى أكلت حواء منها وهذه الشّجرة منها نبتت.» لا أدري مَن كان يتكلّم هكذا بين الأوراق، وتقدّمنا أنا وفرجيليو وستاسيوس متلاصقين بإزاء الصّخر.

واستأنف الصّوتُ:

- «تذكّروا أبناء السّحاب <sup>773</sup> الملعونين الذين قاتلوا زيوس بصدورهم المزدوجة وهم سكارى؛ والعبرانيين الذين كانوا من النّهم للشّرب بحيثُ رفضَ جدعون اتّخاذهم رفاقاً عندما نزل الكُثبان

<sup>774</sup> صوبَ ميديان» .

هكذا سرنا محاذين إحدى الحافّتين، ونحن نسمع خطايا الفم هذه وما تلاها من ثمرٍ أليم. وعلى امتداد ذلك الدرب الذي أصبح الآن قفراً تقدّمنا أكثر من ألف خطوة، كلّ واحدٍ يتأمّل من دون كلام.

«إلى أين تمضون أنتم الثلاثة متفكرين؟»، هكذا تكلم صوتٌ مفاجيء جعلني أرتجف كما يفعل حيوانٌ قزيعٌ خائف.

فرفعتُ رأسي لأرى مَن كان ذلك؛ لم يُرَ في أيّ أتون زجاجٍ ولا معدنٌ بمثلٍ ما كان عليه من توهّجٍ وحمرةٍ ذلك الكائن الذي كان يقول: «-إن أردتم الصّعود فينبغي الانعطاف من هذه النّاحية فتلك هي طريق مَن أرادَ ملاقاته السّلام.»

ففقدتُ برؤيته بصري والتفتُ إلى أستاذي فوراً كمثّلٍ مَن يسترشد بِسمعِهِ.

وكما تهبّ نسائم نوار مبشرةً بالفجر وهي تعطرّ الهواء مفعمةً بأريج الأعشاب والرّهر، فهكذا أحسستُ بريحٍ تلمس منتصف جبيني، وشعرتُ برفيف الأجنحة في الجوّ وهو ينشر شذى عنبر

<sup>775</sup> الآلهة .

وسمعتُ مَن يقول:



- «طوبى لمن تغمرهم نعمة الله بما يكفي من النور فلا يؤجج الطعام شهوتهم، والذين جوعهم عادلٌ أبدلٍ»

## الأنشودة الخامسة والعشرون

(الصَّعود إلى الإفريز السَّابع. ولادة الجسم الإنساني. نفخ الرُّوح في الجسم. تشكُّل الأجسام الأثيرية.  
الإفريز السَّابع: متَّبَعُو شَهْوَةَ الجسد وسط حائط النَّيران.)

كانت تلك هي السَّاعة التي ينبغي فيها الصَّعود بلا إبطاء،  
ذلك أنَّ الشَّمس أسلمت دائرة الرِّوال لبرج الثَّور

776

والليل أسلمها لبرج العقرب.

ولذا، فكما يفعل مَنْ يرفض التوقُّف،

ويتبع طريقه مهما كان ما رآه،

مهموراً بمهماز الحاجة،

فهكذا دخلنا الممرَّ الضيق

واحداً أمام الآخر في السلم الذي هو من الضيق

بحيث يفصل بين سالكيه.

وكما يفرد فرخ اللقلق جناحيه

عن رغبةٍ في الطيران ولا يجرؤ بعدُ

على مغادرة عشه فيعيد خفضهما،

فهكذا كانت تتأجج فيّ ومن بعدُ تخبو

رغبتي في السَّؤال، فارتسمت على وجهي

إيماءة؛ مَنْ يتأهب ليتكلّم.

ومع أنّ السَّير كان مسرعاً فإنَّ أبي الحبيب

ما كان ليكفَّ عن الكلام وقال لي:

- «فلتُطلق قوس كلماتك التي وترتها إلى أقصاها.» ففتحتُ فمي بكامل الثقة وبدأتُ:

- «ما الذي يجعل الأرواح تهزل حيثما لا تشعر بحاجة إلى القوت؟» فأجابني: «لو تذكَّرت كيف

ذوى ملياغرو <sup>777</sup> في الوقت الذي ذوت فيه الجمرة، لما عادَ في هذا ما يُدهشك؛ ولو فكَّرت أننا

لدي أدنى حركة تتحرَّك في المرأة صورتنا، فإنَّ ما بدا لك صعباً سيبدو يسيراً.

ولكنْ حتى تجد في رغائبك الرِّاحة، فانظر ستاسيوس: هو مَنْ أنادي ومَنْ أسأل أن يكون الآن مُداوي

جراحك.» فأجاب ستاسيوس:

- «إنْ كشفتُ له ههنا في حضرتك عن الأسرار الأزليَّة، فليكن عذري أنني لا أستطيع أن أردَّ لك

طلباً.» ثمَّ بدأ:

- «أَيُّ بُنْيَانٍ إِنْ كَانَ فَكْرَكَ يَتَلَقَّى كَلِمَاتِي وَيَحْفَظُهَا، فَهِيَ سَتَضِيءُ لَكَ السُّؤَالُ الَّذِي طَرَحْتِ.

778 إِنَّ دَمًا نَقِيًّا لَا شَرِيهَ الشَّرَائِينَ الْعَطْشَى وَيُظَلِّ أَسْبَهَ مَا يَكُونُ بِالطَّعَامِ الَّذِي لَا يُرْفَعُ عَنِ الْمَائِدَةِ، يَتَّخِذُ فِي الْقَلْبِ الْقُدْرَةَ عَلَى تَشْكِيلِ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ كَمَا يَفْعَلُ سَائِرَ الدَّمِ الْجَارِي فِي الشَّرَائِينَ لِيَصْنَعَهَا.

وَحِينَ يَزِيدُ نَقَاءً يَنْزِلُ فِي مَوْضِعٍ يَحْسُنُ عَدَمَ تَسْمِيَتِهِ، ثُمَّ يَسِيلُ فِي جَسْمٍ آخَرَ خَلَلَ وَعَاءٍ طَبِيعِيٍّ. وَهَنَّاكَ يَلْتَحِمُ الْإِثْنَانِ، أَحَدُهُمَا يَتَكَبَّدُ وَالْآخَرُ فَعَّالٌ بِكَمَالِ الْمَوْضِعِ النَّازِلِ هُوَ مِنْهُ؛ وَبِاتِّحَادِهِمَا هَذَا يَشْرَعُ بِالْعَمَلِ ذَلِكَ الدَّمُ مَتَخْتَرًا فِي الْبَدءِ ثُمَّ يَهَبُ حَيَاةً لَمَّا وَهَبَتْهُ مَادَّتُهُ قَوَامًا. وَالقُوَّةُ الْفَاعِلَةُ الَّتِي صَارَتْ رُوحًا كَمَا فِي النَّبْتَةِ سِوَى أَنْ تَلِكَ لَا تَفْتَأُ تَتَكَوَّنُ فِي حِينٍ تَكُونُ هَذِهِ فِي اكْتِمَالٍ، تَنْدَفِعُ فِي الْعَمَلِ بِحَيْثُ تَحْسَنَ وَتَتَحَرَّكَ كِاسْفَنَجِ الْبَحْرِ 779 ، ثُمَّ تَبْدَأُ بِتَخْلِيْقِ الْقُوَى الَّتِي تَشْكَلُ هِيَ بِذَرْتِهَا.

ثُمَّ تَنْتَشِرُ يَا بُنْيَانُ هَذِهِ الْقُوَّةُ الْآتِيَةُ مِنْ قَلْبِ الْأَبِ وَتُرُوحُ تَسْرِي حَيْثَمَا أَرَادَتْ لَهَا الطَّبِيعَةُ فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ.

كَيْفَ يَطَّلِعُ مِنَ الْحَيَوَانَ كَيَانٌ نَاطِقٌ، هَذَا مَا لَا تَرَاهُ الْآنَ: وَهَذِهِ النُّقْطَةُ دَفَعَتْ فِكْرَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ فِي تِيهِ وَضَلَالٍ، هَكَذَا بِحَيْثُ فَصَلَ فِي مَذْهَبِهِ الرُّوحَ عَنِ الْعَقْلِ الْمُمْكِنِ 780 ، إِذْ لَمْ يَرِ لَهُ ارْتِبَاطًا بِأَيِّ عَضْوٍ حَسَّاسٍ؛ فَلْتَفْتَحْ قَلْبَكَ لِلْحَقَائِقِ الْآتِيَةِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَا إِنْ يَكْتَسِبُ الْجَنِينَ التَّكْوِينَ الْكَامِلَ لِمَخِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ الْمَحْرُوكَ الْأَوَّلَ مَبْتَهَجًا بِكَلِّ هَذَا الْفَنِّ لِلطَّبِيعَةِ، وَيَنْفِخُ فِيهِ رُوحًا جَدِيدَةً مَكْتَنَزَةً بِقُوَّةٍ، بِحَيْثُ تَسْتَوِلِي عَلَى كُلِّ مَا تَلْقَاهُ فِيهِ مِنْ فَعَالٍ وَتَصْنَعُ نَفْسًا مَنفَرْدَةً تَعِيشُ وَتُحْسَنُ فِي ذَاتِهَا تَدْوِيرًا.

وَحَتَّى لَا يَدْهَشُكَ هَذَا الْكَلَامُ أَكْثَرَ مِنَ اللَّزُومِ أَنْظِرِ الشَّمْسَ كَيْفَ تَصْنَعُ النَّبِيدَ بِامْتِزَاجِهَا بِالْعَصِيرِ السَّائِلِ مِنَ الْكُزْمَةِ.

781 وَعِنْدَمَا تَكُونُ لِأَخِيْسِيْسٍ اسْتَنْفَذْتَ مَا لَدَيْهَا مِنْ كِتَّانٍ، تَتَحَرَّرُ النَّفْسُ مِنَ الْجَسَدِ وَفِي كَمُونِ قَدْرَتِهَا تَحْمَلُ كَلَا الطَّبِيعَتَيْنِ، الْإِلَهِيَّةَ وَالْبَشَرِيَّةَ.

وَهَنَّا تَخْمَدُ جَمِيعَ الْمَلَكَاتِ الْآخَرَى، وَلَكِنَّ الذَّاكِرَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْإِدْرَاكَ، تَظَلُّ فَاعِلَةً بِأَقْوَى مِنْ ذِي قَبْلِ، ثُمَّ تَسْقُطُ النَّفْسُ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا وَبَلَا إِبْطَاءٍ، وَبِصُورَةٍ عَجِيبَةٍ فِي أَحَدِ النَّهْرَيْنِ 782 ، حَيْثُ سَرَعَانَ مَا سَتَعْرِفُ مَسَالِكَهَا.

وَمَا إِنْ تَجِدُ نَفْسَهَا مَكْتَنَفَةً بِالْفَضَاءِ، حَتَّى تَشَعَّ حَوْلَهَا الرُّوحَ الْمَشْكَلَةَ 783 كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ فِي الْأَعْضَاءِ الْحَيَّةِ.

وَكَالْهَوَاءِ عِنْدَمَا يَكُونُ مُشْبَعًا بِالْبَخَارِ فَيُلُوحُ مَزْدَانًا بِالْوَانِ شَتَّى، بِفَعْلِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمُنْعَكِسَةِ فِيهِ، فَهَكَذَا يَتَّخِذُ الْهَوَاءُ الْمَحِيطَ الشَّكْلَ الَّذِي تَدْمَغُهُ بِهِ بِمَا فِيهَا مِنْ قُوَّةِ الرُّوحِ الْآتِيَةِ لِتَتَمَوْضِعَ فِيهِ.

وَكَمَثُلَ الشَّلْعَةِ الَّتِي تَتَّبِعُ نَارَهَا أَنْ تَتَّجِهَتْ، تَتَّبِعُ الرُّوحَ صُورَتِهَا الْجَدِيدَةَ.

ولأنّها تستمدّ منها مظهرها، فهي تُدعى شبحاً <sup>784</sup> ، وإنّها لتُعتبر أعضاءً لجميع حواسّها، حتّى حاسة البصر.

وبذا نتكلّم ونضحك، ونذرف الدّمع ونطلق التهنّيدات التي في مقدورك سماعها عبر الجبل. والشّبح يتشكّل بحسب ما يلمسنا من رغائب ومشاعر أخرى، وهوذا باعث دَهشِكَ أنت. « كُنّا بلغنا الحلقة الأخيرة، وانعطفنا ناحية اليمين، وانصرف خاطرنا إلى فكرة أخرى. ففي ذلك الموضوع يُطلق الصّخر نيراناً والإفريز ينفث إلى أعلى ريحاً تدفع النّار وتُقصّيها. ولذا كان ينبغي أن نذهب إلى الجانب المفتوح واحداً بعد الآخر، فمن جهة كنتُ أختشي النّار ومن الجهة الثانية كنتُ هتّاباً من السّقوط. قال لي مرشدي:

- «ينبغي في هذا الموضوع أن نحسن قياد حاسة البصر فإنّه لبالغ اليُسر أن يخطيء المرء موطيء قدمه.» ومن قلب النّار تناهى إليّ هذا الترتيل: «- إلهي يا عظيم الرّحمة» <sup>785</sup> فراودتني في الاتّجاه إليه رغبة قويّة. ورأيتُ بين أسنة اللّهب أرواحاً رحّتْ أتطلّع إليها وإلى قديمي مورّعاً نظري بين تلك وهاتين. وبعدَ كلمات الترتيل الأخيرة، هتفّ القوم عالياً:

- «لا أعرف رجالاً!» <sup>786</sup> ، ثمّ استأنفوا ترتيلهم خفيضاً. وعندما فرغوا منه هتفوا ثانيةً: «بقيتُ ديانا في الغابة ومنها طردت هيليس التي أحسّت في أوصالها بسمّ فينوس <sup>787</sup> .»

ثمّ كانوا يعاودون غناءهم ومن بعده الهتاف بأسماء نساءٍ ورجالٍ كانوا عفيفين كما تقتضيه الفضيلة وعُرف الرّواج. أعتقد أنّ هذا الصّنيع يتواصل طالما كانت النّار تُحرقهم؛ وبهذا الغذاء وهذه المعالجة، تندمل جراحهم في خاتمة المطاف.

## الأنشودة السادسة والعشرون

(موكب المنقادين وراء شهوات الجسد: مَنْ خرقوا النَّاموس الطبيعيَّ وَمَنْ تجاوزوه أو أفسدوه.  
الشاعر غويدو غوينتيلي. لقاء مع شاعر التروبادور آرنو دانيال.)

على شفا الإفريز كُتِّبَ نخطو

واحداً بعد الآخر وأستاذي الطيب

يردّد مراراً - «احرص على الانتفاع بنصائحي»؛

والشمس تلمح يُمْنِي كَتْفِي،

ومن قبلُ كانت بإشعاعها تُحوّل

كامل الغرب من زرقة سماوية إلى بياض؛

بالظلّ الذي أصنعه كنتُ أجعل شعلة النَّار

تزداد في النَّظر حمرةً وبيعاً من هذه العلامة

راح أغلب القوم في الدرب يتفكّرون.

فجعلهم هذا يتكلمون عني ولقد بدأوا قائلين:

- «لا يبدو هذا الجسد وهماً»؛ ودنا بعضهم مني بقدر ما استطاعوا، حريصين دوماً على عدم  
مبارحة الموضوع الذي تحرقهم فيه النَّار.

- «أنت يا مَنْ تسير بعد الآخرين لا عن تباطؤ بل ربّما عن حياء، أجبني أنا الذي يحرقني الظماً  
ولهب النيران.

لن تكون إجابتك نافعةً لي وحدي فهؤلاء جميعاً أظماً إليها من الهنديّ أو الأثيوبيّ لبارد الماء.

قلّ لنا من أين تأتي لك أن تصنع بجسمك حائطاً أمام الشمس من قبل أن تقع في حبال الموت؟»  
هكذا كلّمني أحدهم وأنا كنتُ سأجيب لو لم يسترع انتباهي مشهد رأيتُه لحظتئذ؛ ففي منتصف  
الطريق الملتهبة أقبل إلى هؤلاء قوم آخرون أخذتُ أنا بتفرّسهم.

ومن جانبٍ وآخر رأيت الأشباح تُسارع ليلثم بعضها البعض فرحين بهذا الحفل الموجز.

هكذا تفعل الثّمال في طواويرها الداكنة اللّون إذ يلمس بعضها البعض بالأفواه، ربّما لتعرف طريقها  
أو ما يخبئ لها طالعها.

وما إن يكفّ ترحابهم الصّادق، وقبل أن تفصل بينهم الخطوات الأولى، يهتف كلّ واحدٍ بملء قواه:  
الفوج الأوّل:

- «سدوم وعامورة»، والثّاني:

- «تدخل باسيفي<sup>788</sup> في جوف البقرة "الخشبية" ليُقبل الثور ويطفيء شهوتها».

ثم، كما تحلق أسراب اللقالق إلى جبال ريفان <sup>789</sup> وأسراب أخرى إلى الصحراء، بعضها هارياً من الثلج والبعض الآخر من لفح الشمس، كانت زمرة تروح وأخرى تأتي ثم يعودون باكين إلى سابق أناسيدهم، وإلى ما يناسبهم من صرخات؛ واقترب مني كما من قبل أولئك الذين جاؤوني متسائلين، وبدوا بالغي التأهب لسماعي.

كنتُ لاحظتُ رغبتهم هذه مرّتين، فبدأتُ:

- «يا أرواحاً ملؤها الثقة بأن تنال حالة السلام يوماً أو آخر، إن أعضائي لم تبقى على الأرض يانعةً ولا خضراء بل هي ترافقني بدمها وجميع مفاصلها.

ذاهبٌ أنا إلى العلى لكي لا أظلّ أعمى، وإن سيّدةً لتنال لي هذا التوفيق في السيّر بجسديّ الفاني في عالمكم.

وعسى أن تُرضي أعظم رغائبكم بسرعةٍ وعسى أن تستقبلكم السماء المفعمة حباً والتي وسعت الكون كله.

خبروني، لأدوّن ذلك في صفحتي، من أنتم ومن هي هذه الزمرة التي تنأى مُديرةً لكم ظهورها؟» وكما يضطرب الجبلي ويتولاه العجب ويتخلّى عنه صوته، عندما يفد إلى المدينة بطبعه الجافي الوحشيّ، فهكذا كان من أمر كلّ شبح، ولكن عندما زايلهم العجب الذي سرعان ما يخمد في القلوب الكبيرة، فإنّ ذلك الذي سألني قبل وهلة قال لي:

- «ما أغبتك إذ تهتياً لأفضل موت متمرساً عليه بمرورك في عالمنا! الزمرة التي ابتعدت في الوجهة المقابلة كانت ارتكبت ذلك الخطأ الذي جعل قيصر في يوم ظفره يدعى ب. «الملكة» <sup>790</sup> : إنهم يمضون صارخين:

- «سدوم»، مُدينين أنفسهم كما سمعت، ومُذكين بالخزي لسع النيران.

ونحن كانت خطيئتنا هي هرمافروديتوس <sup>791</sup> ؛ لكن لأننا لم نتبع ناموس البشر وكالبهائم انقذنا إلى

شهوتنا، فزيادةً في عارنا نفترق ونحن نهتف باسم تلك التي صارت بقرةً في جوف البقرة <sup>792</sup> .  
الآن صرت تعرف خطايانا وفعاثلنا وإذا ما أردت أن تعرفنا بالأسماء فلم يعد لذلك من وقتٍ وأنا على قولها لست لأقدر.

ولكن سأرضي رغبتك بخصوصي أنا غويدو غوينتزي <sup>793</sup> ، وأنا أتظهر لأني لم أندم إلا قبيل حلول

الساعة. «وكما صار من أمر ذينك الإبين عندما رأيا أمهما قدّام غضب ليكورغوس <sup>794</sup> ، فكهذا صرتُ، وإن لم أضرعهما في الجراة، عندما سمعتُ يُذكر اسم من كان أبي وأبا كلّ من فاقوني في نظم أشعار الحبّ العذبة؛ ومن دون أن أصغي أو أتكلّم سرتُ وأنا أنطلع إليه طويلاً، دون أن أدنو منه أكثر بسبب النار.

وعندما شبعتُ من تملّيه بنظري عرضتُ عليه أن أتفاني في خدمته مؤدياً القسم الذي ليس يُحتث.

فقال لي:

- «إنك بما قلته لثخلف في أثرأ هو من النفاذ ومن الوضوح بحيث هيهات تقدر مياه لتي <sup>795</sup> أن تطمسه.

فإذا كنت تصدقني القول فلتقل ما يجعلك تكشف لي عن محبتك لي بكلامك والنظرات.» فقلت له:

- «إنها قصائدك العذبة التي سيظل مدادها عزيزاً طالما بقيت لغتنا الحديثة.» فقال لي بينا يشير إلى شبح يتقدمه:

- «يا أخي، إن هذا الذي أشير لك إليه بالإصبع كان هو الصنّاعة الأبرع في لغتنا الأم.

<sup>796</sup> ففي الأبيات المنظومة وروايات النثر فاق كل واحدٍ تاركاً الحمقى يفضّلون عليه ذلك الليموجي. إنهم ليسمعون الصرعة أكثر من الحقيقي، ويصوغون هكذا رأيهم قبل أن يسمعوا صوت الفن والعقل.

هكذا أترّ الأقدمون غويتوني <sup>797</sup> ، وأجزلوه المديح من لسانٍ إلى آخر، وبفضل أصواتٍ أوفر فاقه أخيراً الشاعر الحق.

وإذا كنت تنعم بالفضل الأعظم الذي يتيح لك أن تصعد إلى ذلك الدّير حيث يترجع المسيح رئيساً للمجمع، فائل أمامه من أجلي «يا أبانا الذي...» بقدر ما نحتاج إليه في هذا العالم الذي لم نعد فيه قادرين على الزلة.» ثم، ربّما ليُفسح في المجال الأخر كان إلى جانبه، تلاشى في النار كما تفعل في الماء سمكة.

فدنوت ممّن أشار عليّ به، وقلت له إنّ رغبتني تهبيء لاسمه الفدّ مقاماً بديعاً.

<sup>798</sup> فبدأ يقول لي عفوّ خاطر «إنّ طلبك المهذب ليشرح صدري حتّى لا أقدر، لا ولا أريد أن أتملص منك، أنا آرنو الذي يمضي مغنياً باكياً، أنظر مغتماً إلى جنوبي الماضي وفرحاً أتطلع إلى فرحي القادم.

والآن أستحلفك بهذه القدرة التي تقودك في أعلى السلم، أن تتذكّر في اللحظة المناسبة ألي.» ثم اختفى في النّار التي تطهرهم.

## الأنشودة السابعة والعشرون

(ملاك العقّة. دانتي يخاف من اختراق النيران. اجتياز حائط النار. ملاك الفردوس الأرضي. الصعود الأخير. دانتي يغفو ويرى أحلاماً. ليئة وراحيل. عتبة الفردوس الأرضي. فرجيليو يتكلم. ليلة ثلاثاء الفصح على الأربعاء 13 نيسان 1300.)

مثلما عندما ترسل الشمس أول أشعتها  
حيثما أهریق دمّ بارئها،

799 لحظة يسقط الإيرو تحت برج الميزان ،  
والساعة التاسعة تسخن مياه الكنج،  
فهكذا كان الوقت، والنهار في طور زواله،  
عندما ظهر لنا الملاك في كامل فرحه.  
كان يقف خارج النيران على الشاطيء مُنشدًا:

800

- «طوبى للظاهرة قلوبهم!»

بصوتٍ لا تقوى على اللحاق به أصوات البشر.

ثمّ: - «لا لأحد أن يمضي أبعد من دون أن تلسعه النار: قُلْتِجوها ولا تصمّوا آذانكم عن الأناشيد المتعالية هناك.» هكذا قال لنا عندما دنونا فصرّت إذ سمعتُ كلماته كمثّل من ألقيّ به في الحفيرة حيًّا.

فمددتُ أمامي يديّ مضمومتين، وأنا أنظر إلى النار وأتخيّل بقوة الأجسام البشرية التي رأيتها في داخلها.

فالتفتُ إليّ مرشداي الطّيبان وقال لي فرجيليو:

- «أيّ بنيّ يمكن أن يكون هنا العذاب لكنّ لا الموت.» ولتندكّر، ألا فلتندكّر! فلئن أحسنتُ

الصّعود بك على ظهر جيروني 801 بسلام فما أفعل من أجلك الآن ونحن ندنو من الله؟ ولتتأكّد أنّك لو أقمت في قلب هذه النيران ألف حول فلن تنزع منك شعرة واحدة.

وإذا ما حدثت واختشيت أن يخدعك قولي فلتدُن منها ولتختبر الأمر بنفسك، بيدك، بل بطرف ثوبك.

تجرّد الآن من كلّ خشية، ودُر من هنا وتعال وادخلها مطمئنًا.» بيد أنّي لبثتُ مسمرًا خلاف ما كان يمليه عليّ ضميري.

وعندما رأني فرجيليو جامدًا بلا حركة، قال لي، ببعض اضطراب:

- «انظر يا بنيّ لم يبق بينك وبين بياتريشي إلا هذا الحائط.»



وكما فتحَ ثيسيبي <sup>802</sup> عينيه ما إن سمعَ اسم بيراموس وتطلَّع إليها وهو يلفظ آخر أنفاسه، في حين اصطبغ التوت بحمرة الدماء، فهكذا تحوّلت صلابتي إلى ليونة وأنا أنظر إلى مرشدي الحكيم وأسمع ذلك الاسم الذي ما انفكَّ يتبرعم في أفكاري.

ثم هزَّ رأسه وقال لي:

- «ما هذا! أونبقي في هذه المطارح؟»، ثم ابتسم كما نبتسم لصغيرٍ تغويه تقاحة.

ثم نفذَ أمامي إلى النَّار، راجياً ستاسيوس أن يأتي وراءه هو الذي سار طويلاً بيننا نحن الإثنين. وعندما صرْتُ في داخلها فإنني تمنيت لو أُلقي بي في الرَّجاج المغلي لأتبرّد لفرطما يفوق سعيها كلَّ قياس.

وكان أبي الحبيب، ليؤازرني، لا ينفكَّ يكلمني عن بياتريشي، قائلاً:

- «كأنني من الآن أبصر عينيه!».

كان يهدينا بتراتيله صوت في الجانب الآخر، وبالإصغاء إليه خرجنا في الموضع الذي يبدأ عنده الارتقاء.

«تعالوا يا مَنْ بارككم أبي» <sup>803</sup> ، هذه الكلمات بدأت تتعالى في النور الذي كان ساطعاً هناك، قوياً بحيث بهزني فعجزتُ حتى عن رؤياه.

وأضاف الصوت:

- «هي ذي الشمس تنأى واللّيل يعود فلا تتوقّفوا ولتحثّوا خطواتكم قبل أن يُرخي الظلام سدوله على الغرب.» كان ذلك النّهج يصعد مستقيماً عبر الصّخر من الجهة التي كان جسمي يصدُّ فيها أمامي أشعة الشمس الواطئة الآن.

وما إن صعدنا بضع درجاتٍ حتى أشعرتني ظلّي المتلاشي بغروب الشمس ورائي ووراء حكيميّ. وآنئذٍ، وقبل أن يتخذ الأفق في فضائه المترامي الأطراف لوناً وحيداً ويعرض اللّيل كافةً كنوزه، إتخذ كلٌّ منّا من إحدى الدّرجات له فراشاً لأنّ طبيعة الجبل جرّدتنا من القدرة واللذّة في المضيّ صعداً. وكما تقف العنزات تجترّ بهدوء، بعدما كانت سريعة ومتحفّزة، على الدّرى قبل أن تعود شبعي، فإذا هي في الظلّ صامتةٌ حيثما تلفح الشمس وعلى عصاه يستند راعيها يحرسها وعلى راحة القطيع يسهر، وكمثل الرّاعي يمضي ليلته في العراء مُنعماً بالهدوء قرب نعاجه، ويطرصد خوف أن تدهمها الوحوش، فهكذا كنّا نحن الثلاثة، أنا كالعنزة وهما مثل راعيين، تُطبق علينا الصّخرة الشّاهقة من كلِّ جانب.

من هناك لم نكن لنرى حولنا إلاّ القليل، لكن في هذا النّز اليسير كنتُ أرى النجوم أكبر وأسطع ممّا في العادة؛ وبينا أجترّ خواطري ناظراً إليها غلبي النّوم، النّوم الذي غالباً ما يأتينا بأنباء حادثٍ قبل وقوعه.

وأعتقد أنّه في السّاعة التي بدأت فيها كيتريا <sup>804</sup> تلمع ناحية الشّرق على ذروة الجبل الذي يبدو على الدوام مشتعلًا بنار المحبّة، رأيتُ في ما يرى النائم فتاةً جميلة في مقتبل العمر تعدو في روضة وهي

تقطف الزهر وتقول مغنيّة:

- «مَن أراد معرفة اسمي فليعلم أنّي أدعى لينة<sup>805</sup> وأنني أجول حولي بيديّ الجميلتين لأصنع لي من الزهر أكاليل.

أتزِينُ هنا لأبتهج أمام مرآتي، ولكنّ راحيل<sup>806</sup> شقيقتي لا تفارق مرآتها أبداً بل تظلّ جالسةً قدّامها سحابةً النهار. تحب أن تتأمل في المرأة عينيها الجميلتين كما أحبّ أنا أن أزيّن كفيّ؛ فسورها في النّظر، وأنا في الفعل سروري.»

وبأنوار الفجر التي لها على المسافرين رائع الأثر وبالأخصّ عندما يكونون ناموا غير بعيدٍ عن منزلهم، كانت الظّلمات تهرب من كلّ جانب، وأنا زائليّ التّوم فنهضتُ لأرى أستاذيّ العظيمين ناهضين قبلاً.

- «ستُشبع اليوم جوعك هذه الفاكهة الجنيّة التي يبحث البشر الفانون عنها ببالغ الحرص بين فروع أشجار كثيرة.» قال لي فرجيليو هذه الكلمات، ولا أذكر هديّةً عادت لي بمثل هذه السّعادة يوماً. كلّ هذه البهجة انضافت إلى البهجة الآتية من كوني في العلى، وفي كلّ خطوة كنتُ أحسنّ بجناحين يُنبتان لي.

وعندما ارتقينا السّلم بأسره، وبلغنا آخر الدّرجات، تفرّسني فرجيليو عيناً بعين، وقال لي: - «رأيت يا بُنيّ النار الرّمنية والنار الأبديّة وبلغت الآن محلاً لا أقدر أنا أن أتبيّن فيه أبعد. قدتُك إلى هنا بفتيّ وعلومي فاتخذ الآن من مسرتك دليلاً لك، صرت خارج الطرق المنحدرة الوعرة. هي ذي الشّمس وهّاجة على جبينك، هوذا العشب، هوذا الزّهر، هي ذي الشّجيرات، تُنبتها الأرض من تلقاء ذاتها وبدون عون.

وريشما تأتي، في غاية البهجة، العينان السّاحرتان اللتان جاءتا بي إليك ببكائهما، فلك أن تستريح أو تتمشّي هنا وهناك.

فلا تنتظر مّي بعد الآن قولاً ولا إشارة، قرارك الآن حرٌّ ومستقيمٌ وسليم، وسيكون من المعصية ألاّ تعمل بمشيئتك.

ولذا فأنا أخلع عليك التّاج والإكليل<sup>807</sup>.

## الأنشودة الثامنة والعشرون

(الفردوس الأرضي. الغابة الإلهية. نهر لتي. ظهور سيّدة. السيّدة تفسر المياه والرياح. العصر  
الذهبي في أناشيد الشعراء.)

راغباً في استكشاف الغابة الإلهية  
الكثيفة اليانعة التي تُلطف  
في العينين أنوار النهار الناشيء، وما بها يحيط،  
غادرتُ الشّاطيء بلا إبطاء  
ومشيتُ الهويدي في ذلك الرّيف  
الذي تبعث تربته شذاها من كلّ جانب.  
ومضتُ تنزلق على وجهي  
نفحة خفيفة لا تتغيّر  
ولا تلمسني بأكثر ممّا تفعل النّسائم الرّقيقة.  
مستجيبةً وراجفة، كانت الأغصان  
تميل إلى حيث ألقى ذلك الجبل المقدّس أولى ظلاله؛  
بيد أنّها كانت تحتفظ باستقامتها لتواصل الأطيّار  
على ذروتها ممارسة فنّها الرّفيح.  
كانت تسقبل مغنيّةً بين الأوراق  
وملؤها الفرح أولى النّسائم التي  
كان هسيسها ترجيعاً لحفيف الأشجار.  
هكذا ينتقل النّغم من غصن إلى سواه،

808

خلل الصّنوبرات عند شاطيء كياسّي  
عندما يطلق إيولوس رياح السيروكو.

كانت خطواتي المتمهّلة قد حملتني بعيداً في تلك الغابة العتيقة، فما عدتُ لأرى من أين ولجتُ.  
وهوذا جدولٌ يعترض طريقي كانت موجاته تحني ناحية اليسار الأعشاب النّامية على ضفتيه.  
إنّ كلّ ما على الأرض من مياه سيبدو عكراً أمام هذه المياه الرّقراقة التي لا تتخفّى على أيّ شيء، على  
كونها تجري كابية اللّون تحت هذه الظلال الأبدية التي لا تدع للشمس أن تلقي بأشعتها هناك ولا  
للقمر.

فحبستُ قدمي وأرسلتُ نظراتي أبعد من الجدول متأملاً تنويعات غصون زاهرة كثيرة؛ وهناك، وكما

يظهر على غير غرّة شيء ما يحرف المرء بما يُثيره من أمارات العجب عن كل فكرة أخرى، ظهرت لي سيّدة تمضي وحيدة <sup>809</sup> تقطفُ فيما تغنيّ شيئاً من الزّهر الذي كان يطرّز دربها كلّها. فقلتُ لها:

- «يا سيّدة تتدفأ بشعاع المحبّة إن أنا صدّقتُ منك المرأى الذي هو دائماً على القلب خيرُ شاهد، حبّذا لو تفضّلتِ وأتيتِ ههنا إلى هذا الجدول فيتستى لي أن أسمع ما تُغنّين.

إنّك لتُدكريني ببروزيينا <sup>810</sup> في العهد والمكان حيث أضاعتها أمّها وأضاعَتْ هيّ الرّبيع.» وكما تستدير امرأةً فيما ترقص ضامّةً قدميها وهي تنزلق على الأرض، ولا تكاد أن تقدّم خطوةً قبل الأخرى، فهكذا استدارتُ نحوي على أصفر الزّهر وعلى أحمره وكانت أشبه ما تكون بعدراء تسبل عينيها خفراً؛ ولقد استجابت لرجائي فدنّت مّيّ بحيث صرّت أتلقّى صوتها العذب والمعنى الذي كان مكنوناً فيه.

وما إن صارتُ حيثما يغتسل العشب بماء ذلك الجدول الجميل، حتى جادتُ عليّ بهبة عينيها. لا أحسب أن نوراً كهذا شعّ من عينيّ فينوس عندما جرحها ابنها على غير عادة. وقفتُ باسمّة على الشّاطيء الآخر، تفضز بيديها من حزم اللّون أكثر ممّا ينبت على هذه الأرض السّامقة بلا بذور.

باعدَ النّهر بيننا بخطوات ثلاث، ولا أعتقد أنّ الدردنيل حيث عبرَ إكزسيس <sup>811</sup> ، والذي يقف كاجاً خيلاء الإنسان، لقي من الكزه من لياندر <sup>812</sup> بموجه العرم بين سستوس وأبيدوس، أكثر ممّا لقيّ مّيّ ذلك الجدول لأنّه لم ينشقّ ساعتئذ. وبدأتُ:

- «لأنّكم واصلون للتوّ ولأنّني أقف مبتسمة في هذا المكان المختار ليكون عشّاً للبشر فإنّ بعض ريبة تطبع عليكم ولا شكّ أمارات الدّهشة، لكنّ نوراً يأتي من مزموور "إنّك أفرحتني" <sup>813</sup> يقدر أن يقشع ما يكتنف عقولكم من ضباب. وأنت أيّها السائر قدماً ويا من رجوتني أتريد أن تسمع مّيّ المزيد؟ فأنا جنّت متأهبةً لأجيب على كلّ أسئلتك. فأجبتُ:

- «إنّ المياه وصوت الغابة ليدحضان فيّ اعتقاداً حديثاً، واقعةً رويّت لي مخالفةً لهذه.» فأجابني:  
- «سأقول لك من أين يأتي ما يثير عجبك على هذه الشّاكلة، وسأطرد الضّباب الذي يغشى عينيك. إنّ الخير الأسمى الذي يستمرىء بمفرده ذاته خلق الإنسان خيراً ومن أجل ذلك وهبه هذا المكان ضمانّة سلامٍ أبديّ.

لكنّه بخطيئته أوجزّ إقامته في هذا المكان، وبخطيئته قلب إلى بكاءٍ وإلى عذاب الضّحك التّزيه واللهو الممراح.

فكيلا ينال الإنسان أيُّ ضررٍ من ذلك العكر الذي يُنفثه في الأسفل الماء واليابسة والذي يسعى إلى الحرارة قدرَ جهده، سَمَقَ هذا الجبل صوبَ السَّماءِ خالصاً من ذاك كَلِّه ابتداءً من بَوَابته <sup>814</sup>؛ ولَمَّا كان الهواء كَلِّه دائراً هنا مجتدباً من لدن المحرِّكِ الأوَّل، إلَّا إذا انفصمت الحلقة في موضع ما، فإنَّ هذه الرِّيح ترتطم في هذا العلوِّ المفتوح كَلِّه لحيويَّة الهواء، وتجعل الغاب يهتِّز بأشجاره الكثيفة؛ والنَّبْته الملفوحة بها هي من القوَّة بحيث تفعم بقدراتها الهواء الذي يروح ينشرها في دَوْرانه <sup>815</sup>؛ والأرض الأخرى، بحسب ما لديها من قدرة، وبفضل سمائها، تتمخَّض عن نباتاتٍ شتى متنوِّعة الميزات.

وعليه فما من مدهش، وقد عرفنا هذا أن نرى نباتاً ينمو هناك من دون بذرةٍ ظاهرة. وينبغي أن تعرف أن الرِّيف المبارك حيث أنت الآن ثريٌّ بجميع أنواع البذور والفاكهة التي لا تُقَطَف في أيِّ مكانٍ آخر.

الماء الذي ترى لا ينبجس من ينبوع يغتذي من بخارٍ كثفَّته البرودة، كمثَّل نهرٍ يزداد عنفواناً أو ينقص؛ بل يصدر هذا الماء عن نبع آمنٍ وسرمديٍّ، يستردُّ من مشيئة الله وحده كلَّ ما يسكبه في قناتيهِ الفارهيَّتين؛ إنَّه يجري من هَذَا الجَانِبِ محمَّلاً بقدرة تمحو من الفكر ذكرى الآثام؛ وفي الجَانِبِ الآخر يُعيد له ذكرى كلِّ حسناته.

من هنا هو ليتي <sup>816</sup> ومن هناك هو إينوي <sup>817</sup>؛ ولا يتبدَّى مفعوله ما لم نشرب من كلا جانبيهِ: ومذاقه يفوق كلَّ مذاقٍ آخر؛ ومع أن ظمأكَ وجد الآن لا ريبَ رِيَّه، من دون أنْ أكشف لك عن المزيد، فها أنا أمعن في الشَّرح تكرمَةً لك؛ ولا أحسب أن كلامي سيقَلَّ لديك قدراً إذا ما تجاوزتُ وإيَّاكَ ما به وعدتُ.

فلعلَّ قدامى الشُّعراء الذين غنَّوا العصر الذهبيَّ وما حفلَ به من سعادة، حلموا بهذا المكان على ذروة البرناسوس.

هنا كان أصل البشر في غاية البراءة، وهنا الرِّبيع الأبديُّ وجميع الثَّمار؛ والماء هنا هو الرِّحيق المتغنى به على لسان كلِّ واحد.

ثمَّ استدرتُ إلى شاعريِّ فجأة، ورأيتهما مبتسمين وهما يسمعان الكلمات الأخيرة؛ ثمَّ التفتُّ لأعابنَ السَيِّدة الجميلة.

## الأنشودة التاسعة والعشرون

(مسيرة على امتداد نهر لبيتي. نور مفاجيء وموسيقى. مناجاة ربّات الإلهام. الموكب الرّوحانيّ. السُّرُج السّبعة. الشّيوخ الأربعة وعشرون والحيوانات المجنّحة. العربة التي يجرّها «الغريفون». الرّعد.)

ما إن فرغت ماتيلدا من كلامها ذاك،  
حتى جعلت تترنّم كامرأةٍ ولهي:

818

- «طوبى للمغفورة خطاياهم»  
وكالحواريّات الهائمات وحيداتٍ  
في الغابات الظّليلة بعضهن يَنشدن  
أشعة الشّمس وبعضهنّ يهربنّ منها،  
شرعت هي بالسيّر حيال النّهر  
بعكس اتّجاهه وكما سارت  
بخطاها الوئيّدة سرتُ أنا بخطى وئيّدة.  
لم نخطُ بعدُ مائة خطوة  
وإذا بالصفّتين تنعطفان  
فوجدتني متّجهاً ناحية الشّرق.  
وما كان شوطنا هنا أيضاً طويلاً  
وإذا بالسيّدة تستدير نحوي وتقول:

- «أنعم النّظر يا أخي وأرهف السّمع»؛ وهوذا نورٌ مفاجيء يجتاز الغاب من جانبٍ إلى آخر، حتى  
لقد خلتُ أنّه البرق.

ولأنّ البرق هرب كما جاء، على حين ازداد النّور ببقائه اثتلاقاً، فإنّني تساءلت:

- «ما عسى أن يكون هذا؟» وفي ألق ذلك الهواء تعالي لحنٌ عذبٌ، وإذا بي تدفعني حماسةٌ طيبةٌ  
لأنّ ألوم صلفَ حواء، فحيثما امتثلتِ السّماء والأرض لم تحتمل امرأةً وحيدة وللتوّ مولودة أن تبقى  
مستترةً بحجاب؛ فلو كانت تقيّةً وطبيّةً، لكنّك ذقتُ من قبلٍ ولزمنٍ أطول هذه اللذاذة التي تعيا  
على الوصف.

وبينا أسير بين بواكير هذه المتعة الأبديّة مأخوذاً بكاملي، وراغباً بمزيدٍ من الهناءة، صار الهواء أمامنا  
تحت الفروع الخضراء أشبه ما يكون بنارٍ مشتعلة، واللّحن الرّخيم بات يُسمَع كمثلي غناء.

819

أيتها العذارى المباركات لئن احتملتُ من أجلكنّ السّهر والجوع والبرد، فلقد أزفَ الوقتُ كي  
أسألكنّ المعونة.

820 من أجلي مياهه، ولتسعفني أورانيا 821 بخورسها، لأنظّم في شعري أشياء تنبو عن العقل.

وأبعد قليلاً، بدت لي سبع شجيرات من الذهب لا تتضح عبر المسافة التي ما برحت تفصلنا عنها. ولكن عندما اقتربت منها بما فيه الكفاية بحيث لا يفقد الشيء المشترك الذي يخدع الحواس شيئاً من جاذبيته بفعل المسافة، فإن الملكة التي ينهل منها عقلنا فكره أنبأني بأن تلك كانت سرّجاً وبأن الأصوات كانت ترتل «هوشعنا».

في العلى كان يسطع الموكب الجميل بأكثر نوراً من القمر وقد صار بداراً في منتصف ليلة صافية. فالتفتُ وقد تولاني عجبٌ إلى فرجيليو الطيب فجاؤبني بنظرة ملؤها الدهش أيضاً. ثم تطلعتُ إلى تلك الأشياء النبيلة التي كانت تسعى ناحيتنا بذلك البطء حتى أن عروساً جديدةً لتسبقها. فهتفتُ بي السيدة:

- «مالك تحرق لهفةً لرؤية الأنوار المؤتلفة ولا تصبو بناظريك إلى ما يتبعها؟» فرأيتُ أناساً بثيابٍ بيض يتبعونها كمن يتبعون سادتهم، ومثل هذا البياض ما رأيتُ قبلاً. إلى يسارنا كان يلمع الماء ويُعيد لي ما إن أنظر إليه صورةً جانبي الأيسر كما تفعل مرآة. وعندما صرتُ على مقربةٍ من الشاطيء حتى لا يفصلني عنهم سوى النهر، أوقفتُ خطاي لأراهم بجلاء.

فرايتُ شعل النار تتقدّم تاركَةً الهواء ملوّنًا خلقها، وبدت لي كمثلي رسومٍ خطتها ريشة، حتى أن الهواء بدا في الأعلى مدموغاً بسبعة أشرطةٍ تحمل جميع الألوان التي تصنع منها الشمس قوس قزحها وديانا هالتها.

كانت هذه الأعلام تتوالى في المؤخرة على مدى النظر، وعلى ما قدرت فقد كان بين أقصيها مسافة عشر خطوات.

وتحت سماءٍ بهذه الفتنة الذي أصفُ أقبل في اتجاهنا أربعة وعشرون شيخاً تُكلّهم أزهارُ زنبق. كانوا يرتلون:

- «مباركة أنت بين بنات آدمٍ ومباركة آياتُ جمالك إلى الأبد» وعندما لم تعد الأزهار والأعشاب الخضلى قبالي على الشاطيء الآخر ليدوسها ذلك الموكب المصطفى، وكما يتبع النور نور آخر في عرض السماء، أقبلت بعدها أربعة حيوانات تُكلّها جميعاً أوراق شجرٍ خضراء.

كان كلّ واحدٍ مريشاً بأجنحةٍ ستة والرياش ملأى بالأعين؛ ولو ان عيون آرغوس بقيت حيةً لكانت تُشبهها.

لن أقدر أيها القاريء، كي أصف أشكالها، أن أنفق مزيداً من القوافي؛ إن إنفاقاً آخر يستحثني، فلا يسعني الانصراف لهذه المشغلة.

ولكن اقرأ حزقيال 822 الذي رسمها كما رآها آتيةً من الإقليم البارد تكتنفها الریح والنار والغيوم؛



فكما تلقاها في صفحاته كانت هي هناك، إلا من حيث أجنحتها فيوحتًا يوافقني القول، مختلفًا عنه.

والفضاء بينها شغلته عربة نصر بعجلتين جاء يسحبها «الغريفون» بعنقه <sup>823</sup> .  
كان يفرد عاليًا جناحيه بين الجماعة الوسطى والثلاثتين الباقيتين فبتحريكه إياهما ما كان ليحطم السُّرُج.

كانا يمتدّان بعيدًا فلا يرى لهما من آخر؛ أعضاؤه الطيريّة لها من الذهب لونه، وسائر الجسم كان ضاربًا إلى الأرجوان.

لا فحسب لم تُسعدُ روما بعربة كهذه أغسطسَ ولا الإفريقيّ <sup>824</sup> ، بل حتى عربة الشّمس ستبدو أمامها بالغة الفقر؛ عربة الشّمس تلك التي حادثت عن مسلكتها فاحترقت بضراعة الأرض الورعة،  
عندما نطق جوييتر في دُخيلاه بالحُكم العادل <sup>825</sup> .

ولقد أقبلت حول عجلتها اليمنى ثلاث سيّدات <sup>826</sup> وهنّ يرقصن، إحداهنّ حمراء فلا تكاد تُميّز وسط النيران؛ والثانية كما لو صنّع جسدها وأعظمها من الرّمرد والثالثة لاحث هناك كأنها من طازج الثلج.

تارةً تبدو البيضاء وهي تقودهنّ، وطورًا تقودهنّ الحمراء فعلى إيقاع غنائها يُدوّنن رقصهنّ بطيئًا فمُسرّعاً.

ومن حول العجلة اليسرى شرعت بالرقص أيضًا أربع أخريات <sup>827</sup> اتّشحن بلون الأرجوان وكنّ يتبعن خطوً واحدةً منهنّ كان لها ثلاث أعين.

ثمّ بعد هذا الموكب الذي وصفتُ رأيتُ شيخين بثيابٍ مختلفة، لكنّ يوحدهما إهابٌ وقورٌ وحازم.

أحدهما <sup>828</sup> بدا أنّه من رفاق هيبوقراطيس العظيم الذي ولدته الطبيعة عونًا لحيواناتها المحظية باعتزازه كلّه، والآخر <sup>829</sup> أبان عن همّ معاكس، إذ كان يتمنطق بسيف بتارٍ ولامع، أرعدني من الخوف وأنا في الجانب الآخر من التّهر.

(وقد اعتاد الإثنان الارتحال معًا، لوقا بملابس طبيب ويولس بملابس جنديّ). ثم رأيتُ أربعة آخرين خاشعين في هيأتهم <sup>830</sup> ، ووراءهم يأتي شيخ وحيد، ما يزال يغالب التّوم وله ملامح متوقّدة <sup>831</sup> .

كان هؤلاء متسرلين بالثياب كما فعل السّبعة السّابقون، من دون إكليل زنبق على رؤوسهم، - بل كان لديهم ورودٌ وأزهارٌ حمراءٌ أخرى، ومَن أبصرهم من على مسافةٍ حُيّل له أنّ ما فوق حواجبهم يشتعل بالنّار.

وعندما صارت العربة قدّامي قصف الرّعد فبدأ أنّ المسير صار يتعدّر على هذه الجماعة الوقور، فتوقّفت مع أولى البيارق.





## الأنشودة الثلاثون

(ظهور بياتريشي على العربة. إختفاء فرجيليو. ملامة بياتريشي. رافة الملائكة.)

832  
عندما وقفت الدبّ الأكبر في سمائه الأولى ،  
هو الذي لا يُشرق ولا يُغرب وليس يَعرف  
من ضبابٍ آخر سوي غشاوة المعصية،  
والذي يُشعر كل واحدٍ في العلاء  
بواجبه كما يفعل أخوه الدبّ الأدنى

833  
قائدًا الربّانة إلى الميناء ،  
فإنّ أولئك الرّجال أولي الصّدق  
الذين كانوا يسرون بينه وبين «الغريفون»  
إستداروا إلى العربة كمن يستدير إلى موطن أمّنه،  
وواحدٌ منهم، وكان يبدو من السّماء مبعوثًا،  
غنى ثلاث مرّات والجمع يردّد بعده:

834  
- «من لبنان تعالي يا عروسي» .  
وكما سوف يُفريق الطوباويون  
من قبورهم عندما يُنفخ في الصُّور،  
صارخين بأصواتهم المستعادة: «هللويا»،  
فهكذا نهض من العربة الإلهية  
لدى سماع ذلك الشّيخ العظيم  
مئةً من رسل العيش الأبديّ وخدّامه.  
كانوا جيمعًا يقولون:

835  
- «المجد لك يا مَنْ جئت!» وينثرون في الجوّ حولهم الأزهار ويضيفون:

836  
- «ألا فانتروا زنابق ملء الأيدي!» .  
كنتُ رأيتُ مرارًا مشرق السّماء كلّهُ وهو يتلوّن لدى انبلاج الصّباح بمسحة الورد، وبقية السّماء  
بزرقة اللّازورد، ومحيطًا الشّمس يولد من خلف الظّلال، فيتلطف بالسّحب ألّفه وتحتمل العين  
رؤيته طويلًا، فهكذا وسط سحابةٍ من الرّهور المُصاعدة من أيدي الملائكة فالنّازلة داخل العربة

وخارجها، بدت لي سيّدة تكّلت بغصن زيتون على نقابها الأبيض وارتدت عباءة بيضاء لاح تحتها  
ثوبٌ له لون الشّعلة<sup>837</sup> .

وإذا بروحي التي لم تعرف من زمن طويل ما اعتادته في حضورها من عجب وارتعاد، تحسّ قبل أن  
تتبينها عيناى وبفضل السّحر الخفيّ الذي كان يفيض منها، بالسلطان القويّ للحبّ القديم.  
وحالما لفحني ملء الوجه سحرها الماحق الذي كان اخترقني من قبل أن أجور عهد الطفولة،  
إلتفتُ ناحية اليسار بتلك اللهفة التي يعرفها الطفل الصّغير عندما يهرع إلى أمّه، ما إن يخاف أو  
يُدْهمه الحزن، لأقول لفرجيليو:

- «لم تعد في دمي قطرة واحدة لا ترتجف، وإني لأتبيّن علائم الشّعلة القديمة»؛ ولكنّ فرجيليو كان  
قد تركنا محرومين منه، فرجيليو أبي الحبيب، فرجيليو الذي عهدت له بخلاصي؛ كلّ ما فقدته أمنا  
العتيقة<sup>838</sup> لم يمنع وجنتي المغسولتين بالأنداء من التّلون بالدمع ثانيةً.

- «لا تبكين يا دانتي لرحيل فرجيليو<sup>839</sup> ولا تستعجلنّ البكاء، لأنك ستكون بحاجة للبقاء من جرح  
آخر.» وكما يذرع السفينة أمير بحر من قيدومها حتى المؤخرة ليتفقد ويستحثّ أعمال الرجال في  
سفنه الأخرى، فهكذا في الجهة اليسرى من العربة عندما التفتُ لدى سماع من تنطق باسمي الذي  
لا أسجله هنا إلا بفعل الضّرورة، رأيتُ السيّدة التي لاحت لي في البدء مجلّلةً بنقاب من أزهار  
الملائكة، وهي تُصوّب إليّ نظرتها عبر النّهر.

ومع أنّ النّقاب المتدلّي من رأسها والموشّى بأزهار مبرّقا كان يمنع من رؤيتها بجلاء، ففي إهابها  
الملكيّ المتعالي واصلت الكلام كمثليّ من يتحدّث مُرجئاً للختام ما هو أشدّ لدعاً:

- «أنظر! نحنُ بياتريشي، نحنُ هيّ حقاً. كيف جرّوت على أن تنفذ إلى هذا الجبل؟ أو ما كنت  
تعرف أنّ الإنسان يمرع هنا في السّعادة؟»

فخفضتُ نظري إلى الجدول الصّافي ولما رأيتني فيه حولتُ عينيّ إلى العشب لفرطما كان الخزي  
يُنقل على جبيني.

وكما تبدو الأمّ لطفلها قاسية، فهكذا بدت لي بياتريشي، ذلك أنّه لمرير طعم كلّ إشفاقٍ مشوبٍ  
بالقسوة.

وصمتت؛ فتعالى ترتيل الملائكة فجأةً:

840

- «بكّ اعتصمتُ يا ربّ»، ولكنهم لم يتجاوزوا كلمة «قدميّ» .

وكما على فقار إيطاليا يتجمّد الثلج بين جذوع الأشجار الحيّة، عندما تهبّ عليه وتعصره رياح  
سلافونيا، ثمّ عندما يذوب يزّشح في نفسه، ما إن تطلق فحيحها الأرض التي لا تعرف الظلّ، أشبه  
ما يكون بالشمعة التي تذيبها النّار، فهكذا كنتُ بلا دموع ولا تنهّيات قبل أن يعلو غناء من يقتفون  
أبدًا تناغم المدارات الأزلية.

ولكنني عندما تبينتُ في الألحان العذبة إشفاقهم عليّ كأنهم يقولون:

- «لم تُرهقنيّه هكذا يا سيّدة؟»، فإنّ الثلج المتصلّب حيال فؤادي صار ماءً وحسرةً، ومع الضيق

انبثقَ من حنايا صدري خللَ العينين والفم.

فاستأنفتِ الكلام وهي ما تزال واقفةً على ذلك الجانب من العربة، تخاطبُ تلك الجواهر الورعة:  
- «أيها السّاهرون في اليوم الأبدي، يا مَنْ لا يخفي عليكم الليل ولا سنّة من النّوم أدني خطوةٍ يخطوها الزّمن في طرقاته، إنّ إجابتي موجّهةٌ خصوصًا ليسمعها هذا الباكي هناك، ليدرك ما يناسب خطيئته من عذاب.

لا بفعلِ الدّوائر الكبيرة التي تقود كلّ بذار إلى غايته، بحسب النّجوم التي ترافقه في شوطه، بل بفضل عناية الله التي تُنزل المطر من سحابٍ هو من البُعد بحيث لا تكاد نظرتنا أن تدنو منه، كان لهذا الرّجل في بدء صباه من الملكات ما كان سيطلع منه لو رافقه الميلُ الطيّب ثمارٌ بديعة. لكنّ البقعة التي أُسيء بذرها ورعايتها تصبح فاسدةً ووحشيّة بقدر ما وهبثها الثّربة من عافيةٍ وقوّة. آزرتهُ بمُحيّايَ زمنًا وكشفتُ له عن عينيّ الفتيتين لأقوده وإيّاي في استقامة الصّراط؛ ولكنّ ما إن

أصبحتِ على أبوابِ عمريّ الثّاني وانتقلتُ إلى حياةٍ أخرى <sup>841</sup>، حتّى هجرني وانساقَ إلى سواي. عندما سموتُ من جسدي إلى الرّوح وكبُرُ فيّ الجمال والفضل، صرتُ أقلّ إعزازًا لديه وأدنى محبّة. وأدار عقبيّه صوبَ طريقٍ تيهٍ متبعا الصّور الزّائفة للخير التي لا تقي بوعدّها الحقّ أبدًا.

وعبثًا نلتُ من السّماء إلهاماتٍ عديدة أناديه عبرها في نومه كما في يقظته، فما كان لها لديه كثيرُ شأن! ولقد سقطَ أسفلَ سافلين حتّى لم يعدَ من نجوعٍ لأيّ دواء سوى أن أُظّلعه على القوم الهالكين.

فمضيتُ إلى باب الأموات الأحملَ ضراعتي وبكائي لهذا الذي جاء به حتّى هنا. ولكنّ شريعة الله العليا ستُخرق إذا ما اجتازَ نهرَ ليتي وإذا ما ذاقَ من هذا الغذاء من دون أن يُسدّد ثمنًا بالمتاب بأن يذرف الدّمع.»

## الأنشودة الحادية والثلاثون

(إعتراف دانتي. بياتريشي تُدينه. دانتي يُغمي عليه. الاغتسال في نهر ليتي. بياتريشي ترفع عن وجهها النّقاب. أربعاء الفصح، العاشرة صباحًا.)

- «أنت يا مَنْ تقف على الجهة المقابلة من النّهر»،

هكذا وجّهت لي لاذعَ كلامها

الذي بدا لي باتراً كحدّ السّيف،

وبلا إبطاءٍ استأنفت:

- «قل لي إن كان ما أقوله هو الحقّ، فهذه التّهمة

ينبغي أن يقترنَ بها اعترافك.»

كانت روعي قد تولاها الاضطراب

حتى أن صوتي تدافع ثم احتبسَ

قبل أن ينطلق من عقاله.

وتمهلّت قليلاً ثم أضافت:

- «بم تفكر؟ ذلك أن ذكرياتك الحزينة لم تطردها بعدُ منك مياه ليتي.» وأخرج الاضطراب والخوف مجتمعين من فمي كلمة «نعم» واهية بحيث ينبغي لسماعها قراءة العين.

وكما تقطع القوس المجذوبة بشدّة وترها ومشدّه لدى تسديد السّهم فلا يبلغ الهدف إلا برخاوة، فهكذا انفجرتُ أنا تحت العبء الفادح مُطلقاً البكاء والحسرات واختنق صوتي لدى مروره.

فبدأت هي:

- «في منتصف شوط هيامك بي الذي كان يقودك إلى محبة الخير الذي لا يأمل المرء بعده شيئاً، أيّ مهاوٍ بل أيّ قيود اعترضتُ سبيلك حتى كان عليك أن تتنكب للرجاء في الدّهاب أبعد؟ وأيّ مزايا أو مُغريات وجدت في غرر الخيرات الأخرى فشرعت تجري وراءها هكذا؟» فأطلقت حسرةً بالغة المرارة، وكاد يعوزني الصّوت لأجيب فلم تشكّله شفّتي إلا بمشقة، فقلتُ باكياً:

- «إنّ الأشياء بنات اللّحظة بملدّاتها الكاذبة اجتذبت خطواتي منذ أن غادرني محيّاك.» فقالت لي:

- «إنّ أنت سكتت عمّا تعترف به أو أنكرته، فلا يغيّر هذا شيئاً فخطيئتك يعرفها ديانٌ أعظم؛ ولكن عندما تنطلق من فم الآثم نفسه تهمة الإثم فإنّ الدّولاب في بلاط قضائنا يدور بعكس حدّ السّيف

842

القاطع .

ومع ذلك، فلكي تحمرّ خجلاً من خطيئتك ولكي تكون أقوى عندما تسمع ثانياً غناء حوريات البحر، فلتكفّ عن البكاء ولتصغ إليّ: وستسمع كيف كان ينبغي أن يقودك على طريق مغايرة، وهو في القبر، جسدي.

لا الفنّ ولا الطبيعة وهبناك متعةً أكبر من الأعطافِ الجميلة التي كانت تحوييني وانتثرتُ على الأرض؛  
ولئنُ أعوزتُك بموتي المتعة السّامية فأَيُّ شيءٍ فإنِ قدرَ على اجتذابك بأنّ أثارَ شوقك؟ كان عليك  
منذ أوّل سهم يأتيك من خادعِ الأمور أن تلحق بي أنا التي ما عدتُ لأعرفَ الخداع.

وما كان ينبغي أن تخفض جُنحيك منتظرًا ضربةً أقوى تأتي من فتاة أو من بدعةٍ أخرى موقوتة الأثر،  
فالطائر الأزغب ينتظر ضربتين أو ثلاث ضربات، أمّا مَنْ كانَ لهم كاملُ ريشهم فعبثًا تُنصب لهم  
الشّباك أو يُرمون بالسّهام.» وكما يقف الصّغار خجلين خُرسًا مصغين بعيون مخفوضةٍ إلى الأرض،  
معترفين بالخطأ معلنين توبتهم، فهكذا وقفتُ، فقالتُ لي:

- «ما دمت آسيًا لاستماع كلماتي فلترفع لحيتك فسيكون أساك أكبر إذ تُبصرني.» إنّ جهودًا أقلّ

لتلزم لاقتلاع شجرة سنديانٍ بفعل رياحنا الشّماليّة أو بفعل ريح آتيةٍ من بلاد ياربا <sup>843</sup> ، ممّا لزمي  
لأرفع لحيتي بأمرٍ منها؛ وعندما قالتُ لي أن أرفع اللحية بدل العينين فأنا سرعان ما عرفتُ وخزّت تلك  
الكلمة <sup>844</sup> .

وعندما رفعتُ محياي لاحظتُ أنّ المخلوقات الأولى كفتت عن أن تنثر هناك الزّهور؛ ورأت عيناي  
الزّائغتان بعدُ وجلاّ؟ إلى بياتريشي ملتفتةً صوبَ الحيوان الذي كان يجمع في شخصه أفنومين  
اثنين <sup>845</sup> .

وتحت نقابها وخلل النّهر بدتُ لي فائقةٌ على جمالها القديم أكثر ممّا كانت تفوق على الأرض جميع  
النّسوة.

فلسعني حرّيق النّدامة حتّى كرهتُ جميع الأشياء التي أبعثني أمسٍ عن حبّها.  
ولقد عضّ ذلك الندم على قلبي حتّى هويتُ؛ وما أصبحتُ عليه تعرفه هذه التي كانت هي السّبب.

ثمّ ما إن استعادَ قلبي قوّة الإحساس حتّى رأيتُ تلك السيّدة التي كنتُ أبصرتها وحيدة <sup>846</sup> منحنيةً  
فوقي وهي تقول لي:  
- «تمسّك بي! تمسّك بي!».

غمستني في الجدول حتّى عنقي ومضتُ وهي تجذبني ورائها خفيفةً على صفحة الماء مثل زورق.  
وعندما قاربتُ الضّفة المباركة، سمعتُ ترتيل «طهّزني» <sup>847</sup> يُنشد برقةً أعجز الآن عن تذّكرها أو  
تدوينها.

وبسطت السيّدة الفاتنة ذراعيها واحتضنتُ رأسي وغمرتني إلى حيث كان ينبغي أن أشرب من الماء.

ثمّ أخرجتني وقادتني إلى رقص الجميلات الأربع <sup>848</sup> ، فأحطتني بأذرعهنّ جميعًا <sup>849</sup> .  
- «هنا نحن حورياتُ، وفي السّماء نحن نجوم، ومن قبل أن تُخلق بياتريشي كئنا مرصوداتٍ لها  
كوصيفات.

سنقودك إلى عينيها، ولكنّ أولئك الثّلاث المعروفات بنظرهنّ الأعمق، سيّشحنّ لملاقاةٍ ألق

عينها عينيك.» هكذا بدأ مغنّياتٍ ثم حملنني إلى «الغريفون» الذي كانت بياتريشي قربه ملتفتةً إلينا.

فقلن لي:

- «ينبغي ألا توقّر في النّظر عينيك، لقد جننا بك أمام الزمردتين اللتين أطلق منهما الحبّ عليك قديمًا سهامه.» وإذا بألف رغبةٍ تتفوّق على النّار حرقه تُسمّر عينيّ على تينك العينين السّاطعتين اللّتين كانتا تحدّقان بالغريفون وحده.

وكما تفعل الشّمس في مرآةٍ فهكذا كان ذلك الحيوان المزدوج يسطع تارةً بصورةٍ وطورًا بأخرى. فلتفكّر أيها القاريء كم أدهشني أن أرى إلى الشّيء ثابتًا في صميم ذاته وفي الأوان ذاته متحوّلًا في صورته <sup>850</sup>.

وبينا كانت نفسيّ النّشوى والملأى عجبًا تذوق من ذلك الغذاء الذي بقدر ما يُشبع المرء يُجيعه إليه، أقبلت الحوريّات الثلاث الأخرى وهنّ يرقصنّ على أنغام غنائهنّ الملائكيّ كاشفاتٍ عن انتمائهنّ إلى مرتبةٍ أرفع.

وكنّ يغنّين: «ألا اتّجهي يا بياتريشي، ألا اتّجهي بعينيك إلى المُخلِص الذي خاضَ من أجل رؤيتك هذا الشّوط كلّهُ! وبفضل منك تكرّمي علينا بالكشف له عن فيك ليلمح فيه جمالك الثّاني الذي تُخفيته.» أيّ هذا البهاء للنّور السّاطع الأبديّ أيُّ كائنٍ شحبَ في ظلال اليرناسوس أو شربَ من مياه نبعه، لا يحسّ بفكره معطلًا عندما يحاول أن يصفك مثلما تجلّيت حيثما تصوغك السّماء بتناغم عندما أزحت عنك كافّة النّقُب في طلاقة الهواء؟ <sup>851</sup>

## الأنشودة الثانية والثلاثون

(الموكب يستأنف مسيرته. الوقوف قرب الشجرة. دانتي يغفو ثم يستيقظ. بياتريشي تجلس قرب الشجرة. مهمة دانتي بين الأحياء. أحداث رمزية: النسر والثعلب والتنين. تحوّل العربية. المومس والمارد العملاق.)

كانت عيناى تمعان في التحديق

852

لترويا ظمأ عشر سنين ،

حتى لقد خمدت حواسي الأخرى.

ومن الجانبين صار لهما واقيتان

من اللامبالاة، لفرطما كانت الابتسامة الإلهية

تجتذبهما إليها في شباكها العتيقة!؛

عندما أرغمثني تلك الربّات

على الالتفات ناحية اليسار

إذ صرخن بي: - «إنك لتنظر بامعان زائد!»؛ وإذا بالانبهار الذي يتواصل في عينين لفحتهما أشعة الشمس يحرمني من البصر لهنيهات.

لكن عندما ألفت بصري النور الواهي (أقصد واهياً بالمقارنة مع عظيم السطوع ذاك الذي انتزعت منه رغماً عني)، رأيت إلى الموكب المجيد وهو يستدير إلى يمينه ليعود بعد ذلك بمواجهة الشمس والسرج السبعة.

وكما تلتفت محمياً بالدروع كتيبة تنشد التجارة وتطوي أعلامها قبل أن تتمكن من تغيير وجهتها، فهكذا تجاوزنا خيالة ملكوت السماء أولئك من قبل أن يغير زمام العربية اتجاهه.

ثم عادت السيدات قرب العجلتين وطفق «الغريفون» يجرّ الحمل المبارك دون أن ترتجف منه ريشة واحدة.

853

تبغنا أنا وستاسيوس والسيدة التي عبرت بيّ التهر العجلة التي كانت ترسم أصغر قوس .  
هكذا اجتزنا الغابة العالية التي كانت قفراء بخطيئة من وثقت بالأفعي، منظمين خطانا على ألحان الملائكة.

ربّما كان سهّم سيقطع في رميات ثلاث المسافة التي كنا قطعناها عندما نزلت بياتريشي.

وسمعت الجميع يهمسون:

- «آدم!» ثم أحاطوا شجرة كانت أغصانها معرّة من الزهر ومن الأوراق.

وإنّ ذوائبها المنبسطة بقدر ما تزداد ارتفاعاً لتثير بعلوها إعجاب الهنود في الغابات.



- «طوبى لك أيها الغريفون يا مَنْ لا تقرض بمنقارك شيئاً من هذه الشجرة العذبة، ذلك أنّ البطن يتلوّى من بعدُ ألمًا»<sup>854</sup>.

هكذا كانوا يصرخون جميعاً حولَ هذه الشجرة الضخمة والحيوان المزدوج يقول:  
- «هكذا يُحفظُ بذار العدل».

ثمّ خطا نحوَ مقبض العربة وسحبَه حتّى ذلك الجذع المترملّ وشدّه هناك بغصنٍ منه.  
وكما تفعل نباتاتنا عندما ينزل النور من علٍ ممتزجاً بذلك الذي يشعّ من الحيّز التّالي لبرج الحوت<sup>855</sup>، فتنتفخ كلّ نبتة بنسغها ثمّ تتجدّد في ألوانها قبل أن ترسل الشّمس جيادها تحت برج آخر، راحتِ الشّجرة تعرض لونا أقلّ حمرة من الورد وأكثر زرقاً من البنفسج فتجدّدت هكذا بعدُ إذ كانت جرداء.  
وما فهمتُ ما أنشدَ أولئك القوم فما هو ممّا يُغنيّ به على الأرض، ولا أنا قويتُ على سماع ذلك اللحن كلّه.

ولو أنّي استطعتُ أن أروي كيف انطبقتُ لدى سماع قصّة سيرنكس<sup>856</sup> الأعيُن القاسية التي كلّفها الرؤية فادح الثّمن هذا؛ لصورتُ كيف أخذتني الغفوة كما يُصوّر رسّام عن أنموذج، لكنّ فليصفْ كيف نغفو من يقدر على ذلك.  
ولذا أنتقل إلى البيقظة وأقول إنّ ضياءً ساطعاً مزّق حُجُب النّوم وتعالى نداء يستنهضني.

عندما أخذَ بطرس ويعقوب ويوحنا<sup>857</sup> ليروا أزهار شجرة التّفاح التي يظلّ الملائكة لها نهمين، والتي تقيم في السّماء أعراساً أبديةً، فإنّهم سقطوا في حبال النّوم، ثمّ استعادوا قدرتهم على الكلام الذي أيقظهم أيضاً من غفوة عميقة، فرأوا محفلهم وقد نقصَ من موسى وإيليا<sup>858</sup> كما رأوا إلى تبدّل ثوب سيدهم<sup>859</sup>؛ وهكذا استيقظتُ أنا نفسي ورأيتُ فوقيّ السيّدة الورعة التي قادتني حيال النّهر.

فسألتُ وقد عرّنتي ريبة كبيرة:

- «أين بياتريشي؟» فأجابني:

- «هيّ هناك تحت الأوراق الحديثة الاخضرار، جالسة عند الجذور.» أنظر المحفل المحيط بها الآن، والسّائرين وراء «الغريفون» يمضون صعداً مترنمين بأغانٍ أعذب وأعمق.» لا أعلم إن استرسلتُ في الكلام، فمن قبلُ تراءتُ إلى نظري هذه التي صرفتني عن كلّ تفكيرٍ آخر.  
كانت جالسةً وحدها على الأرض الحقّ، كما لو لتحرس العربة التي كنتُ أبصرتها مربوطَةً إلى الحيوان المزدوج الشكل.

وصنعتِ الحوريّات السّبع حولها سوراً متحلّقاتٍ وهنّ يحملنّ في الأيدي تلك الأنوار التي لا تخشي ريح الشمال ولا ريح الجنوب<sup>860</sup>.

- «لن تظلّ في هذه الغابة طويلاً؛ ومعى ستكون موطناً بلا انتهاء في روما هذه التي تلقى في المسيح مواطنها<sup>861</sup> ، ولذا فلصالح العالم الذي يشقى ركز عينيك على هذه العربة، وكلّ ما تراه إعمل على تدوينه ما إن تعود إلى هناك.» هكذا تكلمت بياتريشي؛ وأنا كنت أقفُ خاشعاً أمام وصاياها ممتثلاً واستدرتُ بعينيّ وفكري إلى حيثُ أشارتُ.

لم تنزل الصّاعقة يوماً من سحابةٍ كثيفةٍ عندما تمطر من مناطق السّماء الموعلة في البُعد عنّا بأسرع ممّا أقبلَ طائر زفش<sup>862</sup> واخترقَ الشجرةَ ممزّقا منها اللحاء وأوراقها وأزهارها الخضراء الجديدة.

ضربَ العربة بعنفوانه كلّه فانثنتُ كمثُل سفينٍ وسط العصف تقهره الأمواج من ذات اليمين وذات اليسار.

ثمّ أبصرتُ ثعلباً<sup>863</sup> يندفع إلى باطن عربة النّصر وبدا وكأنّه ضرّ به الصّوم عن كلّ غذاء؛ ولكنّ سيّدتي لامته على كبري خطاياها فلاذّ بأذيال الفرار بكامل السّعة التي تتيحها عظامه العارية من كلّ لحم.

ومن حيثُ أقبل النّسر في البدء رأيته ينقضّ على جوف العربة ويغادرها ملأى برياشه؛ وكما ينبثق الصّوت من فؤاد النّائح، صدر عن السّماء صوتٌ وهو يقول:

- «آه يا زورقي كم أنت محمّل برديء الأعباء!» ثمّ بدتُ لي الأرض وهي تنفتح بين العجلتين، ورأيْتُ تبيّناً<sup>864</sup> يطلع من بينهما وينشب في العربة تلك ذنبه؛ وكما يسحب حُمته الزّنبور، سحب هو إليه ذنبه الخبيث مقتلعاً جزءاً من العربة ومضى متخائلاً.

وما بقي منها جلّله الرّيش كما تكتسي بالعشب الضارّ أرضُ خصبة، وبذلك الرّيش الذي ربّما كان موهوباً عن نيّة طيّبة<sup>865</sup> ، تغطّت العجلتان ومجرّ العربة بأقلّ زمناً ممّا تُبقي تنهدةً على الفم مفتوحاً.

وممّا صارتُ عليه العربة المباركة طلعت من جميع الأنحاء رؤوس، ثلاثة على المجرّ وواحد في كلّ ركن.

كان للأول منها قرنان كما للثيران، وللأربعة الأخرى قرن في الجبهة واحد، ولم ير قطّ وحشٌ كهذا.

وكمثُل قلعةٍ آمنةٍ في أعلى جبلٍ، بدتُ لي جالسةً داعرةً نصف عارية الجسم<sup>866</sup> ، تُجيل حولها عينيها بصلافة؛ ورأيْتُ واقفاً إلى جانبها عملاقاً<sup>867</sup> كما لو لِمَنع أن يأخذها أحدٌ غيره ومن آنٍ لآخر كانا يتبادلان قبلة.

ولكنّ عندما أدارتُ إليّ عينا متذبذبةً وراشحةً بالشّهوة فإنّ ذلك العاشق الفراس جلدّها بالسّوط من أعلى رأسها حتّى أخصم القدم؛ ثمّ وقد أفعِم بالغيرة وجنّ جنونه من فرط الغضب أطلق الوحش من أساره واقتاده إلى الغابة حتّى حجبَت الأشجار عني رويداً رويداً مرأى كلّ من الدّاعرة والوحش العجيب.



## الأنشودة الثالثة والثلاثون

(تحذير بياتريشي ونبوءتها. كلام غامض. ماتيلدا تقود دانتي وستاسيوس ليشريا من ماء إينوي. دانتي يتأهب للصعود إلى النجوم. أربعاء الفصح، 13 نيسان 1300، من الحادية عشرة صباحًا إلى ما بعد الظهر.)

- «اللهم، إنَّ الأمم نهبتُ ميراثك»، هكذا راحت السيدات

868

يتناوبن باكياتٍ في ترتيل المزمور العذب  
تارةً ثلاثٌ وطورًا رُباع.

وبياتريشي تسمعهنَّ في الأسي وهي تتنهد  
وبوجهٍ لم يكن وجه مريم أمام المصلوب  
ليزيد عنه بشحوبه كثيرًا.

لكنَّ عندما دعئها تلك العذارى إلى الكلام  
نهضتُ باستقامةٍ وأجابتُ

وقد علا وجنتها ما يشبه حمرة النَّار:

- «بعد قليلٍ لن تريني

ثمَّ بعد قليلٍ تشاهدني

869

آه يا أخواتي الحبيبات» .

ثمَّ دفعتُ أمامها السيدات السَّبع

وبإشارةٍ منها دفعننا إلى السير

870

أنا وماتيلدا والحكيم الذي صاحبنا .

هكذا سارتُ ولا أحسب

أنَّها خطتُ على الأرض عشر خطوات

عندما ومضَ في عينيَّ برقٌ عينيها.

وبوجهٍ ملؤه الصَّحو قالتُ لي:

- «أحدثِ الخطو لتكون بحيث تسمعي إذُ أكلِّمك.» وعندما صرتُ إلى جانبها سألتني:

- «أيها الأخ لماذا لا تجرؤ على سؤالي عندما تسير قربي؟» وكما يحدث لِمَنْ يتكلمون إلى مَنْ هو أكبر منهم أن ينحبس صوتهم توقيفًا، فهكذا كان من أمري، ومن دون أن أنبس بكلمةٍ واحدةٍ باكتمالٍ قلتُ لها:

- «سَيِّدَتَاهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمِينَ بِحَاجَتِي وَبِمَا يُسَعِفُهَا.» فَقَالَتْ لِي:  
- «أُرِيدُ مِنَ الْآنَ أَنْ تَتَحَرَّرَ مِنْ كَلَا الْخَجَلِ وَالْخَوْفِ، وَتَكْفَى عَنِ الْكَلَامِ كِنَاسَانٍ يَحْلُمُ.  
وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَرَبَةَ الَّتِي حَظَمَهَا التَّنِينُ كَانَتْ مَوْجُودَةً وَلَمْ تَعُدْ، وَلَكِنْ فَلْيَعْلَمْ الْآثِمُونَ أَنَّ لَا حَائِلَ أَمَامَ  
نِقْمَةِ اللَّهِ <sup>871</sup>.

وَلَنْ يَظَلَّ إِلَى الْأَبَدِ بِلَا وَرِيثِ النَّسْرِ الَّذِي تَرَكَ رِيْشَهُ عَلَى تِلْكَ الْعَرَبَةِ الَّتِي صَارَتْ وَحْشًا فَفَرِيْسَةً؛ وَإِنِّي  
لَأُرَى بَوَاضِحٍ وَبِذَلِكَ أَبْشُرُ نَجُومًا تَأْتِي مِنْ دُونَ كَابِحٍ وَلَا عَقْبَةَ لَتَهْبَتَنَا عَهْدًا يَطْلُعُ فِيهِ ذَلِكَ الَّذِي  
حَسَابُهُ خَمْسَمِائَةٌ وَخَمْسَةٌ عَشْرٌ <sup>872</sup>، مَبْعُوثًا مِنَ اللَّهِ لِيَقْتُلَ الدَّاعِرَةَ وَالْعَمَلِاقَ الَّذِي كَانَ يَسْفِدُ  
وَإِيَّاهَا.

وَلَعَلَّ حَدِيثِي لَا يُقْنَعُكَ إِذْ هُوَ بِغَمُوضٍ كَلَامِ أَبِي الْهَوَلِ وَتَمْمِيسٍ <sup>873</sup> وَمِثْلَهُمَا يَغْشَى الْفِكْرَ.  
وَلَكِنْ عَمَّا قَرِيبٍ سَتَكُونُ الْوَقَائِعُ هِيَ النَّيَادِسُ <sup>874</sup> الَّتِي سَتَحَلُّ اللَّغْزَ الصَّعْبَ مِنْ دُونَ خَسَارَةٍ فِي  
الْمَعْزِ أَوْ الْحَصِيدِ.

فَلتَدَوُّونَ وَلتَنْقُلَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَمَا أَحْكِيهَا لَكُمْ إِلَى الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ حَيَاتُهُمْ إِنْ هِيَ إِلَّا سَبَاقٌ إِلَى الْمَوْتِ.  
وَتَذَكَّرُ عِنْدَمَا تَكْتُبُ ذَلِكَ أَلَّا تَسْكُتَ عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي رَأَيْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَتَجَرَّدُ مِنْ أَوْرَاقِهَا مَرَّتَيْنِ.  
وَمَنْ سَرَقَهَا أَوْ أَتْلَفَهَا أَسَاءَ إِلَى اللَّهِ مَجْدَفًا بِهِ، فَلَقَدْ أَنْشَأَهَا طَاهِرَةً كِي تَخْدَمَهُ.  
وَالسَّيِّدَةُ الْأُولَى، لِأَنَّهَا قَضَمَتْ مِنْهَا، بَقِيَتْ تَصْبُو بِبَالِغِ الْأَلْمِ وَالشُّوقِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ آلَافِ عَامٍ إِلَى  
مَنْ عَاقَبَ فِي ذَاتِهِ خَطِيئَةَ تِلْكَ الْقَضْمَةِ <sup>875</sup>.

وَإِنَّ فِكْرَكَ لَغَافٍ إِنْ كَانَ يَغِيْبُ عَنْكَ أَنَّ سَبَبًا فِدًّا قَدْ جَعَلَهَا سَامِقَةً وَمِثْلَ هَذِهِ السَّعَةِ فِي ذُرُوتِهَا <sup>876</sup>.

وَلَوْ أَنَّ أَفْكَارًا بَاطِلَةً لَمْ تَفْعَلْ فِي فِكْرِكَ مَا فَعَلْتَهُ مِيَاهُ نَهْرِ الْإِلْسَا <sup>877</sup>، وَلِذَاذُنُهَا فِيكَ مَا فَعَلَ يِيرَامُ  
بِثَمَارِ التَّوْتِ <sup>878</sup>، لَكِفْتُكَ كُلَّ هَذِهِ الْقِرَائِنِ لِتَقْرَأَ فِي تَحْرِيمِ الشَّجَرَةِ عَدَالَةَ اللَّهِ - بِالْمَعْنَى الْخُلُقِيَّةِ.

وَلَكِنْ لِأَنِّي أَرَى أَنَّ قَرِيحَتَكَ قَدْ أَصْبَحَتْ حَجْرًا، حَجْرًا أَسْوَدَ، حَتَّى لَيَبْهَرُكَ نُورُ كَلِمَاتِي، فَمَا زِلْتُ  
أَرْجُو أَنَّ تَحْفَظَهَا مَرْسُومَةً فِيكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَكْتُوبَةً، كَمَا يُتَوَجَّعُ عَكَازُ الْحَاجِّ بِسَعْفَاتِ نَخْلِ <sup>879</sup>.  
فَقُلْتُ:

- «كَمَا يَنْطَبِعُ الشَّمْعُ تَحْتَ الْخْتَمِ بِدَمِغَةٍ لَيْسَ تَمْتَحِي أَبَدًا، صَارَ دِمَاغِي بِكَ هَكَذَا مَخْتُومًا؛ لَكِنْ لَمْ  
يَحْلُقْ كَلَامُكَ الْمَتَشَهَّى أَعْلَى مِنْ مَتَنَاوَلِ إِدْرَاكِي فَبَقْدَرُ مَا أَجْهَدُ بِاللَّحَاقِ بِهِ يَفْلَتُ مِنِّي؟» فَأَجَابَتْ:

- «لِكِي تَعْرِفُ أَيْةَ مَدْرَسَةِ تَبِعْتِ، وَإِنْ كَانَ مَذْهَبُهَا يَتَوَافَقُ وَمَا جَاءَكَ مِنْ كَلِمَاتِي؛ وَأَنْ سَبَلَكُمْ إِنَّمَا

تَحِيدُ عَنِ سَبَلِ اللَّهِ كَمَا تَحِيدُ عَنِ الْأَرْضِ السَّمَاءِ الْأَعْلَى وَالْأَسْرَعَ دُورَانًا <sup>880</sup> « فَأَجَبْتُهَا:

- «لَا أَتَذَكَّرُ أَنَّ نَفْسِي حَادَتْ عَنِ مَسَالِكِ يَوْمًا وَلَا ضَمِيرٍ يَخْزِينِي فِي هَذَا الشَّأْنِ.»

فأجابني بابتسام:

- «إن كان لا يسعك أن تتذكر ذلك، فلتتذكر أنك شربت اليوم من مياه ليبي؛ وإذا كان الدخان بالنار يُنبئ فإن نسيانك هذا ليكشف بجلاء عن خطيئة تعتور رغبتك المتجهة وجهة أخرى. ومن الآن فصاعدًا ستكون كلماتي من دون نقابٍ بالقدر المناسب ليتبينها نظرك المغشي عليه.»

بأكثر اشتعالًا وترثيًا كانت الشمس مستويةً عند دائرة الزوال، وتغيرَ مراها بحسب الموضع، وكما يتوقّف من يسير أمام جماعةٍ هو لها الدليل، إذا ما رأى أو خمّن شيئًا جديدًا، توقفت السيدات السبع عند حافة ظلّ رقيق، كما نرى في الجداول الباردة للألي، تحت دكنة الغصون وازدهار الأوراق.

وبدا لي أنني كنت ألمح قدامهنّ دجلةً والفرات يطلعان من نبعٍ واحد، ثمّ يفترقان على مضضٍ كصديقين <sup>881</sup>.

- «إيه يا نور، يا مجدّ البشريّة! أيّ ماءٍ هو هذا الذي ينبثق من معين بذاته ليفترق عن ذاته؟» فأجيب على سؤالي:

- «فلترج ماتيلدا أن تُبين لك»، وكمثل من يعتذر عن خطأ بدأت السيدة الجميلة:  
- «سبق أن قلتُ له هذا وكذلك أشياء أخرى، وإني لواقفة أنّ مياه ليبي لم تمحها.» فأجابني بياتريشي:

- «ربّما كان واحدٌ من هذه الهموم التي تحرم الإنسان من ذاكرته أحيانًا قد أظلم عقله في عينيه نفسهما.

ولكن انظري إينوي <sup>882</sup> ينساب على مقربةٍ منّا، خذيه إليه وأعيدي له ذاكرته شبه المنطفئة، فهذا ممّا أنت به خبيرة.» وكقلبٍ نبيلٍ لا يتملص بل سرعان ما يعدّ صبوة الغير من صبواته، ما إن تفصح عنها علامة بادية، شرعت السيدة الجميلة بالسير وأخذتني معها وقالت لستاسيوس بدماثة:  
- «هلا رافقتّه؟».

لو اتسع، أيها القاريء، المجال للكتابة، لحاولتُ أن أتغني بذلك المشروب العذب الذي ما كنتُ لأرتوي منه أبدًا؛ ولكن بما أنّ جميع الصفحات المرصودة لهذا التشديد صارت مكتملة، فإنّ كبح

<sup>883</sup>

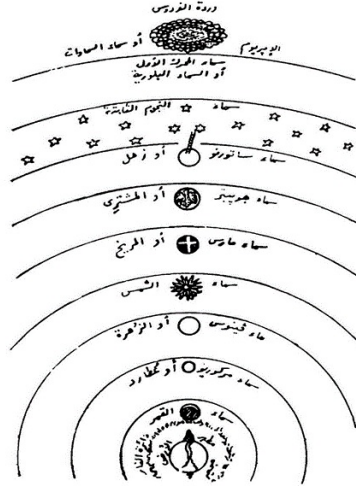
الفن لا يسمح لي بالذهاب أبعد .

ثمّ عدتُ من تلك الأمواج المباركة منبعث القوي كمثّل نبتةٍ جديدة يُنعشها جديدُ أوراقها، طاهرًا ومتأهبًا لأصعد إلى النجوم.

النشيد الثالث

الفردوس

Paradiso



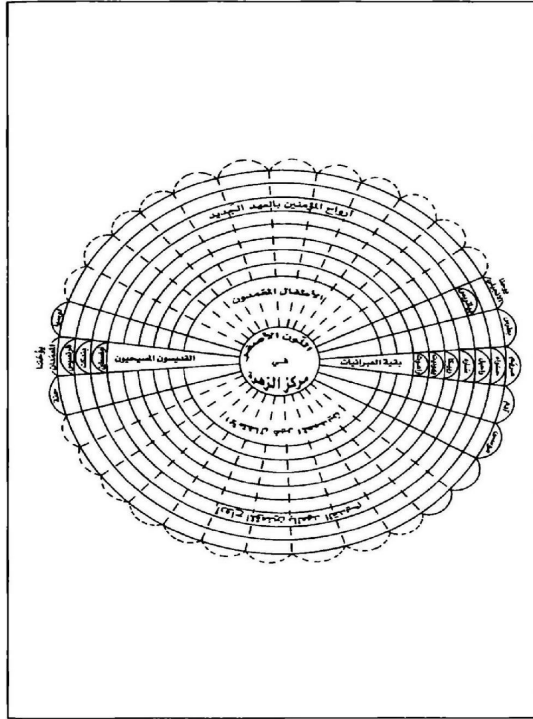
ويبين حجم الأرض والجسم والمظهر بالنسبة لتوسع السماوات كما اعتقد داني  
رسم ليخاس للفردوس

### شرح الرسم الأيضائي للفردوس

السموات	وجه الاختصاص	الشاغولت	اللائكة	الأندوات
1	الصعود من جبل المطهر			
1	سماوات القمر	من نازلوا في مراتب الذين تقصروا العهد الذي على كرمهم.	الرسول 4 - 5	
2	سماوات مرقوريوس أو عطارد	الذين هم الراسم الذين سموا بالثقة الرؤساء	5 - 7	
3	سماوات فينوس أو الزهرة	من فضلوا لهم المخرتب	الرياسات 8 - 9	
4	سماوات الشمس	الصعود إلى ما بعد نزل الأرض		9
5	سماوات مارس أو المريخ	متمركزة	الصلاطين 10 - 14	
6	سماوات جوبيتر أو المشتري	الذين استبقوا القيام بالفضل في أعمالهم	الداولت الصلوات 18 - 20	
7	سماوات ساتورنو أو زحل	المنأفرد قه امر العروش	21 - 22	
8	سماوات النجوم الثابتة	الصعود على مصراع السماوات		22
9	سماوات المجرى الأول أو المسماة بالبورسية	تمركزة من ارتباع صفة كالمكان للفتل الطوابين والذرة على وجه المرم	الكرابين 23 - 27	27 - 29
10	الإسبريو أو سماوات السماوات	فاز من الزمان والظن رسوا لها المرحي والذرة وهي في صمد وردة بجماد هالطه وكتان الله مع الطوابين وصاها في طبقات الذرة الشعة	30 - 32	32

الشهود الإلهي





السورة السماوية

## الأنشودة الأولى

(استعطاف أيولون. دانتي وبياتريشي يصعدان إلى السماء. نور المدارات العليا وموسيقاها. بياتريشي تفسر لدانتي نظام الكون والسبب الطبيعي لصعودهما. خميس الفصح، 14 نيسان 1300، صباحًا.)

884

مجدُّ مَنْ يُحرِّكُ جميعَ الأشياءِ  
يخترقُ الكونَ ويبثُّ أنوارَه

885

في نقطةٍ ما أقلّ ممّا في نقطةٍ سواها .  
وصلتُ حتّى السّماءِ التي تنهل من نوره

886

أكثر من أيّ سماءٍ أخرى ، ورأيتُ أشياء ليس يقدر  
أن يعيد قولها مَنْ ينزل من الأعلى:  
ذلك أنّ فكرنا عندما يُداني

887

رغبته فهو يمضي بذلك العمق  
بحيث لا تقدر الذاكرة أن تلحق به.  
إنّ كلّ ما صار كثرًا مكنونًا في صميم روجي  
من أشياء ذلك الملكوت القدسيّ سيكون هو مادّة غنائيّ.

888

إيه أيولون الطيّب ،  
حتّى يكتمل هذا العمل الأخير،  
رؤني من عصير قواك،  
لأكون جديرًا بالغار العزيز عندك.

889

حتّى هنا كفتني واحدة من ذرّوتي اليرناسوس ،  
والآن تلزميني صحبة الإثنتين  
لأدخل الحلبة التي تنتظرني.

890

فلتنفّذ إلى صدري ولتنفّخ فيّ كما عندما اجتذبتَ مارسياس خارج غمدي أعضائه.

أيها الفضل الإلهي لو أسعفتني ما يكفي من الرّمن لأكشف عن ذلك الظلّ، ظلّ الملكوت المبارك  
الذي بقي في رأسي مختومًا، لرأيتني مقبلًا إلى غابتك المسحورة، حاملًا إكليل تلك الأوراق<sup>891</sup> التي  
تعدّاني أنت وموضوعي بها جديرًا.

ولأننا، بخطيئة رغائبنا الأرضية وما تأتي به من الخزي، نادرًا ما نقطف منها لتتويج أحد القياصرة أو الشعراء، فينبغي أن تجلب أوراق بينيوس<sup>892</sup> لآلهة ديلفي مسرّة عارمة عندما تُظميء لها أحدًا. إن من الشرر لما تتفجّر منه النَّار الكبيرة، ولربّما أقبلَ بعدي من سيَعرف أن يستنطق تشيرا بكلماتٍ أفضل<sup>893</sup>.

لعيون الفانين يتجلّي مشعل الكون من فوهاتٍ عديدةٍ، ولكنّه إنّما ينبثق من هذه التي تجمع حلقاتٍ أربع بثلاثة صلبان<sup>894</sup>؛ هنا هو موصولٌ بمدارٍ أكثر مؤاناةً وبنجمٍ أسعد<sup>895</sup>، وإنّه ليعجن بأفضلٍ ويختم بأفضلٍ وعلى شاكلته هو شمع البشر. هذه النقطة صيرت الصبح هنا والمساء صيرتته هناك؛ وعلى حين وشحت نصف الكرة هذا بالبياض، فهي جعلت تامّ السواد ذيك الجانب<sup>896</sup>. عندما رأيتُ بياتريشي ملتفتة إلى يسارها تتطلّع إلى الشمس فلا تسرّ حدّق بمثل هذا الإمعان.

وكما نرى أشعةً ثانيةً<sup>897</sup> وهي تصدر من الأولى وتمضي صعدًا، أو كما يريد مسافرُ العودة إلى وطنه، فهكذا، من إيماءتها المرتسمة في المخيطة عبر العينين وُلدت إيماءتي أنا، فحدقتُ بالشمس أكثر ممّا يتأتّى لإنسانٍ أن يفعل. والكثير ممّا هو ممكنٌ هناك ليس متاحًا لقوانا على الأرض، بباعثٍ من فضل الموضع المعدّ مقامًا لنا<sup>898</sup> نحن البشر.

لم أُطِق احتمال ذلك السطوع طويلاً، بل ما يكفي لأراه وهو يقدح شررًا كالحديد المسخن حين يُخرج من النَّار.

فجأةً بدا كما لو كان انضاف إلى النور نورٌ فكأنّ القدير زين السماء بشمسٍ أخرى<sup>899</sup>. بملء عينها كانت بياتريشي ترنو إلى المدارات الأزليّة وأنا أرنو إليها متخليًا عن كلّ ما كان يعلوها. صرتُ في تأملي إيّاها صنوّ غلوكوس<sup>900</sup> عندما ذاق من العشب الذي صيره في البحر ريببًا للآلهة. تجاوز الإنسان<sup>901</sup> ما هو بالممكن التعبير عنه قولًا، فلتكف الأمثلة من حبّتهم عنايةً الله بتجربته يومًا.

إن لم أك غير شطري الذي خلقتّه بعد الشطر الآخر<sup>902</sup>، فهذا ما تدريه أنت أيّها الحبّ الذي يحكم السماء ويا من أنوارك اجتذبتي إلى العلى. وعندما نبهني المدار الأبديّ الذي تُحرّكه رغبته فيك، إلى التناغم الذي تُلطفه أنت وتُشيعه، بدا لي جانبٌ من السماء مشتعلًا بوهج الشمس حتى أنّ المطر أو الأنهار لم تصنع قطّ بحيرة واسعة كهذه.

جِدَّة الصوت والنور المتعاضم أجمت في شوقاً لباعث هذا كله، لم أحسن بها لاذعةً هكذا يوماً. ولذا فلتهدئة فكري المضطرب فتحت هذه التي ترى في بقدر ما أرى في نفسي فاها قبل أن أسألها، وقالت لي:

- «إنك لتثقل على نفسك بزائف الأفكار، ولا تقدر أن تبصر أشياء لن تراها ما لم تُبعدها.

لم تعد على الأرض كما تحسب، ولكن بأسرع مما تركض الصاعقة الهاربة من مقامها <sup>903</sup> ، ستعود أنت إليها.» إن كنت تجردت من شك أول بفضل كلامها الباسم الوجيز هذا، فإنني قد سقطت في حبال شك آخر، فقلت لها:

- «قد كنت تخففت من دهش أعظم وهوذا يدهشني كيف سأجتاز هذه الأجرام اللطيفة؟» فأطلقت حسرة إشفاق، ورفعت عينيها كما تفعل أم أمام صغيرها الآخذ بالهذيان، وبدأت: «إن جميع الأشياء ليجمعها نظام هو الصورة التي تجعلها جميعاً على صورة الله.

في هذا يرى أصحاب العقول دمغة السلطان الأبدي الذي هو الغاية النازع إليها هذا النظام.

وإلى هذا النظام تنزع جميع الطبائع <sup>904</sup> كل على شاكلتها وبقرّب يزيد أو يقل من علتها. ومن هناك تبحر صوب موانئ شتي عبر بحر الوجود وكل منها ممثلة للفطرة التي تلقتها هي والتي تحدها.

فطرة هي التي تبعث إلى القمر بالنور، ولأفئدة الفانين هي المحرك، وهي ما يصلب الأرض ويوحدها. ولا تطلق هذه القوس فحسب الكائنات التي هي محرومة من الدكاء، بل كذلك هذه التي تحمل محبةً وعقلاً.

وعناية الله إذ تنظم هذا كله تصنع من نورها سماءً لا تتحرك <sup>905</sup> تدور في قلبها السماء الأكثر عجلة <sup>906</sup>.

وإن هذا هو الموضوع المقدر المقذوفون نحن إليه بقوة هذه القوس التي تبعث إلى محل مبارك كل ما ينطلق منها.

إنه لصحيح أن الشكل غالباً ما يفارق مقصد الفنان، ذلك أن المادة ليست بالمطواع دوماً؛ وعلى النحو ذاته فعن هذا المسار يحدث أن ينفصل الخلق مع كونه يدفع إليه، ذلك أن له القدرة على الميل في اتجاه آخر، - مثلما يحدث أن نرى إلى النار وهي تهيم من الغيم-، عندما تهوي وثبته الأولى على الأرض بفعل متعة زائفة.

فإذا ما أصاب فكري، فليس ينبغي أن تندهش من ارتقائك كما لا يدهشك نهر ينحدر من علياء الجبل صوب الوادي.

بل سيكون مدهشاً لو أنك وقد فارقك كل ما يعيق ظللت قابعاً في الأسفل، أو لو كانت شعلة حيّة تقدر أن تمكث على الأرض.» ثم استدارت بعينيها ناحية السماء.

## الأنشودة الثانية

(السَّماء الأولى: سماء القمر. تنبيه للقراء. سفينة الشاعر. دانتي يتوغّل في جرم الكوكب. نظرية البُقَع القمرية والتأثيرات السماوية. خطأ دانتي. تفسير بياتريشي.)

أنتم يا مَنْ يقلِّكم قاربٌ صغير،

ويا مَنْ ترغبون بالاستماع،

وقد تابعتم سفينتي الكبرى التي تبتعد وهي تُنشد،

ألا عودوا لتأمّل شواطئكم،

ولا تمخروا العباب أبدًا فقد تتيهون إذ تفقدونني.

المياه التي أشقُّ ما شقّها أحدٌ قبلي

ميتزفا تبعث أنفاسها وأبولون يهديني

907 وربّات الإلهام التسع يُرينني الدّيين الأكبر والأدني .

وأنتم، الأقلّ عددًا، يا من مددتم

908 في الأوان المناسب أعناقكم إلى خبز الملائكة

الذين نغتذي هنا منه ولا نشبع أبدًا،

تقدرون أن تقدفوا قاربكم في أقصى البحر

متّبعين مجرى سفينتي، قبل أن يعاود الماء الرّكود.

909 إنّ أولئك الشّجعان الذين مضوا إلى كلّكوس لم يندهشوا بقدر ما قد تندهشون عندما رأوا إلى جاسون يصبح حرّانًا.

910 كان العطش المفطور الأبديّ إلى الملكوت الحامل صورة الله يدفعنا ربّما بالسرعة نفسها التي لِمَا ترون من سموات.

كانت بياتريشي تحدّق بي وأنا أنظر إليها، وفي الرّمن الذي ربّما كان كافيًا ليتوقّف السّهم ويطير ويغادر قوسه، ألفيتني قبالة أعجوبة جذبت عينيّ، وأنذّ قالت لي هذه التي هيهات يخفي فكري عليها، وقد التفتت نحوي باسمه وجميلة:

911 - «إلى الله صوّب خاطرَك المفعمّ بالعرفان، وانظر كيف جمّعنا بالنّجم الأوّل» .

وبدا لي أنّ غمامة كانت تغشانا ساطعة وكثيفة، سميكة وباهرة، كألماسة لفحها وهج الشّمس.

هذه اللؤلؤة السّرمديّة تلقّتنا في داخلها كما يستقبل الماء شعاعًا من النّور وهو باقٍ على ذاته منطبقًا.

لو كنتُ هناك جسداً - وعلى الأرض لا يمكن أن نعقل كيف يكتنف أقنومٌ أقنومًا آخر، وهو ما يحدث ولا شكَّ عندما يتنافذ جسدان <sup>912</sup> فينبغي أن تتأجج رغبتنا أكثر عندما نرى إلى ذلك الجوهر الذي فيه نُبصر إلى الله وطبيعتنا وهما يتحدان <sup>913</sup>.

هناك يُعرف ما نُمسك به عن إيمان، غير مُبرهنٍ عليه ولكنّه من ذاته معروف، حقيقةً أولى يعتقد بها الإنسان. فأجبتُ: - «سيدّاته، إنني لأحمد بكلّ ما أقدر عليه من الخشوع، من انتشلتني من عالم البشر الفانين.

ولكنّ أعلميني، ما هي هذه البقع الدكناء على ذلك الجرم، التي تبعث على الأرض خرافاتٍ شتى بصدد قابيل؟» <sup>914</sup> فابتسمتُ وأجابتُ:

- «إنّ كان الظنّ يخطيء لدى البشر الفانين حيثما لا يكفي لوحده مفتاح الحواسّ، فينبغي ألاّ تنفذ إليك سهام الدهشة بعد الآن ما دمت ترى أنّ العقل إنّ هو أتبع الحواسّ لم يحمله بعيداً جناحاه. ولكنّ أفصح عمّا تفكّر به في صميم نفسك.» فأجبتُ:

- «أعتقد أنّ ما يبدو هنا متمائراً في ألوانه هو من جزيء أجسام متخلخلةٍ وأخرى كثيفة» <sup>915</sup>.  
فقلتُ لي:

- «لا شكَّ أنّك ستري إلى معتقدك وهو يعوم في الضلال إذا ما أرهفت السمع للحجج التي سأصوغ ضده.» إنّ المدار الثامن <sup>916</sup> لينطوي على وفرة من الأنجم التي يمكن أن تكشف بالكمّ والنوع عن أوجه متباينة.

ولو كان المتخلخل والكثيف هما السببين الوحيدين لتمتّع الكلّ بقدرةٍ واحدة تتوزّع تارةً بتفاوتٍ وطوراً بمساواة.

إنّ قدراتٍ متباينةً ينبغي أن تكون ثمرةً مباديءٍ قطعيةٍ، وهذه المباديء، إلّا واحداً، تتهدّم في معتقدك.

وإذا كان المتخلخل هو العلة التي تبحث عنها لهذه البقع، فإنّما أن يكون هذا الكوكب محروماً من مادّته بكامله، أو أن ينوع هذا الجرم طبقاته كما يوزّع جسمٌ في أنحاء الغث من مكّوناته والسّمين.

ولو كانت الحالة الأولى هي الصحيحة لرأيناها في الشمس المنكسفة إذ سيشفّ النور كما في كلّ جرمٍ متخلخل؛ وليس ذلك كذلك. ينبغي إذاً أن نتفحص الحالة الثانية، وإذا ما فتدّنها فسأثبت بطلان اعتقادك.

وإذا لم يكن المتخلخل ليخترق الجرم كلّ فلا بدّ أنّ ثمة نقطةً انطلاقاً منها لا يسمح نقيضه فيها بمرور أيّ شيء؛ ومن هناك تنعكس أشعة الشمس كما يرجع اللون خلل الجام <sup>917</sup> الذي يُخفي وراءه صفحةً من القصدير.

تقدر أن تقول لي إنّ الشعاع يبين أكثر عتمةً هنا ممّا في نقاطٍ أخرى لأنّه ينعكس من مداراتٍ أبعد؛

من هذا الاعتراض يمكن أن تحرّك، إن حاولت ذلك، التجربة<sup>918</sup> التي هي ينبوع فنونكم. فلتأخذ ثلاث مرايا، ثم فلتبعد اثنتين منها على مسافة منك متساوية، ولتبدُ الثالثة لعينيك بين الإثنتين، إنّما في مكان أبعد. وملتفتًا إليها فلتجعلن نورًا يضيء من ورائك المرايا ثلاثهنّ ويعود إليك وقد عسكنه.

ومع أنّ الصورة التي هي أبعد لن تكون بالامتداد نفسه فإنك ستري أنّها تسطح كالأخرين بالقدر ذاته.

وكما تحت لفح الأشعة الساخنة، يحتفظ الثلج بقاعدته عاريةً ممّا كان له من لون وبرودة، فهكذا أنت في عُري فكرك، وإنني أريد أن أضيء لك بنور جديد ساطع بحيث تشعّ لمرآه كلّك.

إنّ جرمًا<sup>919</sup> ليدور في سماء السلام الإلهي<sup>920</sup>، وفي سلطانه يتأسس كيانٌ كلّ ما هو مطويّ فيه.

والسماء التالية<sup>921</sup> الرّاخرة بالنجوم، تنثر هذا الكيان في جواهر شتّى متميزة عنه ويتغمدها هو.

والسموات الأخرى<sup>922</sup>، بحسب فوارقها، تنشر القوى المنطوية في ذاتها بمقتضى غاياتها ودوافقها.

هكذا تعمل أعضاء العالم<sup>923</sup> كما ترى، من منزلةٍ إلى أخرى، تأخذ من علٍ وتمارس الفعلَ أسفل. ولتنظر الآن جيّدًا من أيّ طريق أتجهُ إلى الحقّ الذي ترغب أنت فيه، لتعرف اجتيازَ المعبر من بعدُ وحدك.

إنّ حركة الدوائر المباركة وقدرتها، لتصدر عن المحرّكات الطوباوية<sup>924</sup>، كما يصدر عن الحدّاد فنّ التطريق، والسماء المزدانة بكلّ هذه النجوم تتخذ صورة الفكر العميق الذي يُنعشها وتصير له ختمًا<sup>925</sup>.

وكما تتمخض الرّوح في غباركم<sup>926</sup> عن قوي عديدة، عبر مختلف الأعضاء المتناسبة، فهكذا ينشر العقل عطاياه التي تتكاثر خللَ الأنجم، دائرًا في الأوان ذاته حولَ وحدته هو. مختلف القوى تعقد أحلافًا مختلفة مع الجرم الذي تُنعشه هي، والذي به تتحد كما تتحد بكم الحياة.

وكما يسطع الفرخ في بؤبؤين حيّين، تسطع القدرة الممتزجة بهذا الجرم، بالطبيعة المباركة التي تنحدر هي منها.

من هنا يأتي ما يبدو مختلفًا من نجمةٍ إلى أخرى، لا من المُتخلخل أو الكثيف<sup>927</sup>.  
إنّه مبدأ قطعيّ عنه يصدر، متوافقًا وطبيعته، الواضح كما العتيم.

## الأنشودة الثالثة

(سما القمر: الأرواح التي لم تفِ بندورها. وجوه المختارين كأنها انعكاسات في الماء. أهنالك درجات للغبطة الطوباوية؟ بيكاردا دوناتي. الامبراطورة كونتسانتزا.)

928  
هذه الشمس التي أشعلت في البدء قلبي حبًا  
كشفت لي بطرائقها في البرهنة والدحض  
عن الوجه الفاتن للحقائق الجميلة؛  
ولأعترف بكوني تلقيت التصويب  
وأمنت به، رفعت أنا رأسي  
كما يقتضيه الموقف لأتكلم؛  
لكن رؤيةً عرضت لي واجتذبتني  
بقوة كي ألمحها حتى أني  
ما عدت لأتذكر اعترافي ذاك.  
وكما في أقداح صافية شفاقة  
أو في مياه رقاقة هادئة،  
غير عميقة فلا تتخفى على القاع،

929  
ترتد لنا أطر محيانا  
واهية حتى أن لؤلؤة على جبهة بيضاء  
لا ترجع لأنظارنا بأقل قوة،  
فهكذا رأيت وجوهاً عديدةً  
وهي على أهبة الكلام فوقعت في خطأ معاكس

930  
لذلك الذي أجاج الهيام بين الإنسان والتبع .  
ثم ما إن أبصرتها حتى حسبتها صورًا منعكسة، والتفت بعيني لأعرف لمن كانت؛ فلم أر شيئاً  
فرجعت بهما أمامًا ونظرت باستقامة في عيني مرشدي التي كانت تبتسم وتسطم عيناها المباركتان.  
فقلت لي:

- «لا يُدهشك أن تبصرني وأنا أبتسم من خاطرك الأرعن، الذي لا يقف بعد راحجًا على أرض  
الحق، بل يعبت بك هكذا في الخواء؛ ما تراه هو جواهر فعلية، ألقى بها هنا نسيانها ما ندرته»  
931 .  
كلمها واسمعهما ولتثق بها فالتور الحق الذي يصنع بهجتها لا يسمح لها بأن تنأى عنه.» فالتفت إلى



الشَّيْح الذي كان يبدو لي أكثر شوقًا للكلام وبدأتُ كرجلٍ تَعْتَعْتُهُ رغبة كبيرة،

- «أَيَّتْهَا الرُّوحُ الرَّائِعَةُ التَّكْوِينِ يَا مَنْ تُحَسِّنُ فِي نَوْرِ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ بِهَذِهِ العَذُوبَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُدْرِكَهَا مَنْ لَمْ يَدْفُقْهَا، حَبِّدَا لَوْ أَفْرَحْتَ قَلْبِي بِأَنْ تَقُولِي لِي اسْمِكِ وَمَا لَكُمْ هُنَا»، فَأَجَابْتَنِي مَسْرَعَةً وَبِعَيْنَيْنِ ضَاكِحَتَيْنِ:

- «لَا تَوَصِدْ مَحَبَّتَنَا أَبْوَابَهَا أَمَامَ رَغْبَةٍ عَادِلَةٍ وَلَا كَذَلِكَ مَحَبَّةَ اللَّهِ الَّتِي تَقْضِي بِأَنْ يَشْبَهَهَا بِلَاطِهَا كُلَّهَا. كُنْتُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا رَاهِبَةً وَعِذْرَاءً وَلَوْ أَنْ ذَاكَرْتُكَ أَحْسَنْتِ الغَوْصَ فِي دَاخِلِهَا فَلَنْ يُخْفِيَنِي عَنْكَ بِهَائِي العَظِيمِ، وَسَتَعَلِمُ أَنَّي بِيكَارِدَا<sup>932</sup> ، وَأَتْنِي، بَيْنَ هَؤُلَاءِ الطُّوبَاوِيِّينَ، هَانَتْهُ النَّفْسُ فِي هَذَا المَدَارِ الأَبْطَأِ<sup>933</sup>.

ومشاعرنا التي لا يلهبها إلا لذادة الرُّوح القدس، تستعذب امتثالها لنظامه.

ومصيرنا هذا، وإن بدا متواضعًا<sup>934</sup> ، إِمَّا أُعْطِينَاهُ لِأَنَّ أَهْمَلْنَا نَدُورَنَا بَلْ غَالِبًا مَا تَنْصَلْنَا مِنْهَا. «فَقَلْتُ لَهَا:

- «فِي مَرَاكِ البَدِيْعِ هَذَا يَأْتَلِقُ شَيْءٌ إِلَهِيٌّ، يُبَدِّلُ مِنْ صُورَتِكَ الأُولَى: وَلِذَا أَبْطَأْتُ فِي التَّذَكُّرِ؛ وَلَكِنْ مَا تَقُولِينَهُ الآنَ يَسَاعِدُنِي وَالتَّصَوُّورَ بَاتَ عَلَيَّ أَسْهَلًا. وَلَكِنْ خَبَّرِينِي: أَنْتُمْ يَا مَنْ تَعِيشُونَ هُنَا سَعْدَاءً، أَوْ تَرغِبُونَ بِمَحَلٍّ أَعْلَى لَتَرَوْا فِيهِ بِأَفْضَلَ وَتَحِبُّوْا بِأَفْضَلَ؟» فَابْتَسَمْتُ قَلِيلًا صَحْبَةً الأَرْوَاحِ الأُخْرَى ثُمَّ أَجَابْتَنِي سَعِيدَةً بِحَيْثُ تَبَدُّوْا كَأَنَّهَا تَشْتَعَلُ بِأُولِي نِيرَانِ مَحَبَّتِهَا:

- «أَيُّهَا الأَخُ إِنَّ رَغَائِبَنَا لِتَرْضِيهَا إِرَادَةَ الحَبِّ فِينَا فَلَا نَرغِبُ إِلاَّ بِمَا لَدِينَا وَلَا نَظْمًا لِسِوَاهُ.

وَإِذَا مَا رَغَبْنَا بِمَقَامٍ أَعْلَى فَإِنَّ رَغَائِبَنَا سَتُخَالَفُ مَشِيئَةً مَنْ يَحَدِّدُ مَوَاقِعَنَا؛ وَهَذَا مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَرَاهُ فِي هَذِهِ الدَّوَائِرِ حَيْثُ تَقْضِي الضَّرُورَةَ<sup>935</sup> بِأَنْ نُحِبَّ، إِنَّ أَنْتَ أَحْسَنْتِ فَحَصَّ طَبِيعَتِهَا.

بَلْ مِنْ كَيْنُونَةِ مَقَامِ الطُّوبَاوِيِّينَ هَذَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِالإِرَادَةِ الإِلَهِيَّةِ فَلَا تَصْنَعُ رَغَائِبَنَا سِوَى رَغْبَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَإِنَّ كُونَنَا مَوْزَعِينَ فِي هَذَا المَلَكُوتِ عَلَى دَرَجَاتٍ<sup>936</sup> لَيْسَرُ المَلَكُوتِ كُلَّهُ، وَمَلِيكَهُ الَّذِي مِنْ رَغْبَتِهِ يَصْنَعُ رَغْبَتَنَا.

فِي إِرَادَتِهِ سَلَامْنَا كُلَّهُ، هُوَ هَذَا البَحْرُ الَّذِي يَتَّجِهُ نَحْوَهُ كُلُّ مَا خَلَقَ وَكَلَّ مَا هُوَ صَادِرٌ عَنِ الطَّبِيعَةِ. «فَاتَّضَحَ لِي كَيْفَ أَنْ كَلَّ مَكَانَ فِي السَّمَاءِ هُوَ فَرْدُوسٌ وَإِنْ لَمْ يَنْهَمِرْ فِي جَمِيعِهَا الخَيْرُ الأَسْمَى مُتَسَاوِيًا. وَلَكِنْ كَمَا يَحْدُثُ أَنْ تُشْبَعْنَا كَسْرَةً خَبْزٍ وَتَظَلَّ فِينَا الرِّغْبَةُ لِكَسْرَةٍ أُخْرَى، فَنَطَالِبُ بِالثَّانِيَةِ وَنَشْكُرُ لِلأُولَى، فَهَكَذَا تَضَرَّعْتُ بِالإِيْمَاءِ وَبِالقَوْلِ لِأَعْرَفَ مِنْهَا مَا هُوَ النَّسِيحُ الَّذِي لَمْ تَمُضْ فِي نَسْجِهِ حَتَّى

مُنْتَهَاهُ؟ فَأَجَابْتَنِي: «إِنَّ حَيَاةَ مَنْزَهَةٍ وَمَزَايَا عَظِيمَةً أَحَلَّتْ فِي مَقَامِ أَسْمَى سَيِّدَةٍ<sup>937</sup> تَقْضِي سُنَّتَهَا أَنْ نَلْبَسَ فِي الدُّنْيَا ثِيَابًا كَامِلَةً وَنَعْتَمِرَ حِجَابًا، كِي نَسْهَرَ وَنَنَامَ حَتَّى المَوْتِ مَعَ هَذَا الرُّوْحِ الَّذِي يَتَلَقَّى كُلَّ

نَدْرٍ تَجْعَلُهُ المَحَبَّةَ خَلِيقًا بِمَرْضَاتِهِ، فَعَزَفْتُ عَنِ الدُّنْيَا<sup>938</sup> لِأَتَبِعَهَا وَأَنَا بَعْدُ فَتَاءً، وَحَبَسْتُ نَفْسِي فِي مَلْبَسِهَا، وَنَدَرْتُ نَفْسِي لِلعَيْشِ عَلَى سَنَةِ مَلَّتْهَا.

وَإِذَا بِرَجَالٍ مَعْتَادِينَ عَلَى الشَّرِّ أَكْثَرَ مِمَّا عَلَى الخَيْرِ يَخْتَطِفُونَنِي مِنْ دَيْرِي الرِّفِيقِ: وَحَدَهُ اللَّهُ يَعْرِفُ

ما كانته من بعد حياتي.

وهذه السيدة الساطعة الأخرى التي تراها إلى يميني، والتي تأتلق بنور مدارنا كله، يمكن أن ينطبق عليها ما أقول عني؛ كانت راهبةً، وكما عن رأسي نُزِعَ عن رأسها ظلّ العصابة المباركة؛ ثم عندما أُعيدت إلى الدنيا بخلاف مشيئتها والعرف الطيب، فهي لم تتخلّ عن عصابة القلب يومًا.

إنّه نور كونستانزا العظيمة<sup>939</sup> التي وُلدت من إعصار السّواب الثّاني العصفّة الثالثة والأخيرة. هكذا تكلمت وبدأت تُنشد:

- «السّلام عليك يا مريم»، ومغنيّةً تلاشت كما يتلاشى جسمٌ ثقيلٌ في الماء المظلم.

وبعدما تبعثها نظراتي بأقصى ما تستطيع وفقدتها إتجهت إلى علامةٍ رغبةٍ أكبر، والتفتت بكاملها إلى بياتريشي؛ ولكنّ بهاءها صعقَ عينيّ بقوةٍ حتّى لم أقو على احتمالها باديء ذي بدء، ممّا جعلني أبطيء في طرح سؤالي.

تزوّجت في ميلانو من الامبراطور هنري السّادس، «إعصار السّواب الثّاني»، بن فريديريك بارباروسا. وفي 1194 ولدت فريديريك الثّاني، «العصفّة الثالثة والأخيرة».

## الأنشودة الرابعة

(سما القمر: شكّان يخامران دانتي. أين يقيم عرش الطوباويين؟ وكيف يعمل العدل الإلهي؟  
بياتريشي تفنّد مذهب أفلاطون في عودة الأرواح إلى السّماء وتميّز، إزاء العنف، بين الإرادة المطلقة  
والإرادة النسبيّة. الشكّ الثالث.)

بين كسرتين من الخبز متساويتين في المذاق  
والمسافة، يموت الإنسان الحرّ  
قبل أن يحمل إحداهما إلى أسنانه؛  
وعلى التحو ذاته فيين ذئبين فرّاسين مسعورين  
يقبح الحمل ساكنًا ويخشاهما بالقدر نفسه،  
كما يفعل الكلب بين أيلين؛  
هكذا صمّت أنا، وعلى ذلك لا أقدر  
أن ألوم نفسي ولا أن أمدحها  
إذ كنتُ معلقًا بين شكّين كلاهما ضروريّ.  
صمّتُ بيد أن الرّغبة كانت مرسومة  
على محيّي وكذلك السّؤال  
بحمّيّاه التي هي أبلغ من كلّ كلام.

940

ففعلتُ بياتريشي ما كان قد فعل دانيال  
عندما أزال عن نبوخذنصر سخطه  
الذي كان أحاله جائرًا بوحشيّة؛  
وقالت لي:

- «ألحظ جيدًا كيف تتناهبك رغبةٌ وأخرى حتى أنّ خاطرك المشغول يُعيق نفسه بنفسه وإلى  
الخارج ليس لينفذ.

إنّك تفكّر: - «إنّ كان للإرادة الطيّبة أن تدوم<sup>941</sup> ، فلم يأتي عنف الغير يا ترى ليقلّل من مزاياي؟»،  
وما يزال يغزوك بالشكّ أيضًا ما يبدو من عودٍ للأرواح إلى التّجوم بحسب ما قضى به أفلاطون<sup>942</sup> .

كذلك هما السّؤالان اللذان ما برحا يتدافعان في خضمّ إرادتك<sup>943</sup> بالعنف نفسه، ولذا فسأعالج في  
البدء أكثرهما لدعًا<sup>944</sup> .

945 إنَّ أقرب الملائكة السّروفيين إلى الله، أو موسى أو صامويل أو يوحنا - خذْ مَنْ تريد والعذراء مريم هيَ أيضًا، ما لهم من مكانٍ في سماءٍ أخرى سوى سماء الأرواح التي ظهرتْ لك، وهم لن يمضوا فيها سنواتٍ أكثر ولا أقلّ؛ بل يزيّنون جميعًا المدار الأسمى، ويذوقون فيه حياتهم العذبة كلُّ على شاكلته، بقدر ما يتلقّون من التّفحات الأبدية.

ولئن ظهروا لك هنا فلا لأنّهم يقيمون في هذا المدار، بل ليهبوك فكرة عن منزلتهم السّماوية التي هي أدنى.

هكذا ينبغي أن نخاطب فكركم [البشريّ] ذلك أنّه يكتسب من المحسوس وحده ما يرفعه هو بعد ذلك إلى العقل . 946

ولذا فالكتاب المقدّس يتنازل ليخاطب ملكاتكم ويُعير الله قدمين ويدين قاصدًا شيئًا آخر. وعلى هذا التّحو تُصوّر لكم الكنيسة المباركة جبريل وميكائيل في إهابٍ إنسانيّ، وكذلك من أعادَ لطوبيا عافيتَه . 947

وما يقوله تيمائوس 948 عن الأرواح ما هو بشبيه بما ترى هنا، ما دام يفهم ما يقول حزقيّا.

949 يقول إنّ الرّوح تعود إلى كوكبها لأنّه يحسب أنّها انفصلتْ عنه عندما وهبثها الطبيعة صورتها ؛ ولربّما كان لأفكاره معنى آخر ليس في الكلمات، ولعلّ له قصدًا لا يستحقّ منّا أن ندرّيه. فلئن كان يقصد أنّه إلى هذه المدارات يعود ما للتأثيرات من ضعةٍ أو عظمة، فلعلّ سهمه لم يَطشْ كثيرًا عن هدفه.

هذا المبدأ الذي لم يُحسن فهمه أحد، أضلّ من قبل كثيرين وحملَ النَّاس على ذكر المُشتري أو عطارِد أو المريخ . 950

أمّا الشكّ الآخر الذي يُبلبل فكرك فيظلّ سمّه أقلّ لدعًا لأنّ ما فيه من مكر لا يقدر أن يُقصيكَ عنيّ.

951 فلئن بدتْ عدالتنا للفانين جائزة فإنّ هذه لمناسبة للإيمان لا للسقوط في هرطقةٍ سوداء . وما دام في مقدور فكر الإنسان أن ينفذ إلى هذه الحقيقة عميقًا كما ترغب أنت فيه فسأرضي طلبك.

فإذا مورسَ العنف عندما لا يتنازل مَنْ يتكبّد لقامعه عن مثقال ذرّة، فما لهذه الأرواح من عذر أبدًا: فلا لأحدٍ أن يقسّر إرادةً لا تمتثل، بل تفعل كما تفعل النَّار بطبيعتها عندما يجهد في ثنيها ألفُ عنف.

وإنّ هي أذعنَتْ بقدرٍ أو بأخر فهذا يعني أنّها اتبعتِ القوّة؛ هكذا فعلتْ هذه الأرواح عندما كان في مقدورها العودة إلى مقامها المبارك.

ولو كانت إرادتها كاملةً كتلك التي أبقث لورنتزو<sup>952</sup> على المشواة، وملأت موتشيوس بالحنق على كفه<sup>953</sup>، لكانت أعادتها إلى السكة التي انترعت هي منها، ما إن تصير حزة؛ بيد أن إرادة قوية كهذه لهي بالغة الندرة.

بهذا الكلام، إن أنت تلقيتّه كما ينبغي، تُهدم الحجة التي ستؤذيك لولا ذاك مرارًا عديدة. لكنّ عائقًا آخر ينبثق الآن أمام عينيك وسينالك التعب قبل أن تقدر على قهره وحدك. أوحيتُ لك أنّ روحًا طوباوية لا تعرف الكذب أبدًا ما دامت تعيش في جوار المبدأ الحق؛ ثم إنك سمعت من بيكاردا أنّ كونستانزا احتفظت بمحبة عصابتها<sup>954</sup>، فكانت بكلامها هذا تنقضي. يحدث غالبًا أيها الأخ أن يُجبر المرء، لكي يتفادي خطرًا ما، على فعل شيء كان ينبغي ألا يقوم به: هذا ما فعله ألكميون<sup>955</sup> عندما قتل بدعوة من أبيه أمه، فاختار الحجود لكي يظلّ ورعًا. ولذا أريد أن تفكر بأنّ الإرادة تُعدي هنا بالقوة إلى هذا الحدّ بحيث لا يمكن اغتفار السوء أبدًا. إنّ إرادةً مطلقةً هيئات تقبل بالشرّ، لكنّها تقبل به عندما تخشي إن هي امتنعت عنه أن تسقط في رزءٍ أشدّ.

وعليه فإذ قالت بيكاردا ما قالته فبالإرادة المطلقة كانت تفكر، وأنا بالأخرى: وعليه فكلانا بالحقّ ننتطق.» كذلك كان انسياب النهر المبارك الذي انبثق من التبع الذي عنه يصدر الحقّ كلّ، وعلى هذه الشاكلة أدخل السكينة على كلتا رغبتيّ. فبدأت:

- «يا عاشقة المحبوب الأول أيتها الإلهية، يا مَنْ تغمرنى كلماتها وتدقني وتنعشني، إنّ عمق عاطفتي ليس ليكفي لأشكر لك فضلِك كلّ، فليجزك إذن المُبصر القدير. أرى الآن أنّ فكرنا أبدًا ليس يعرف الرّواء إنّ لم يأت لينيره الحقّ الذي ليس خارجه من حقّ. وإنه ليستقرّ فيه حال بلوغه إياه كما يستقرّ في وجاره الحيوان، وإنه لبالغهِ وإلا لبطلت فينا كلّ رغبة<sup>956</sup>.

من هذه الرّغبة ينبث الشكّ أسفل الحقّ كمثلي فسيلة، والطبيعة من ذروة إلى أخرى تحملنا. وهذا ما يدعوني، سيدي، ويحفّزني لأنّ أسألك بالتوقير كلّ عن حقيقةٍ أخرى تغمض في فكري. أريد أن أعرف إن كان يمكن أن تُوفّي التذوّر المفوّتة بصنيع آخر لا يكون في موازينكم غير ذي بال.» فرمقني بياتريشي بنظراتٍ ملأى بشراراتٍ محبةٍ إلهيةٍ فاندحرت قواي وإذا بي أستسلم، وظللتُ كالمنهار منكفيء العينين.

## الأنشودة الخامسة

(سَمَاءُ الْقَمَرِ: جَوْهَرُ النَّذْرِ، عَهْدُ بَيْنِ الْإِنْسَانِ وَاللَّهِ. إِسْتِنْفَافُ الصَّعُودِ. السَّمَاءُ الثَّانِيَّةُ: سَمَاءُ عَطَارِدِ أَرْوَاحٍ مَن فَعَلُوا الْخَيْرَ تَوْخِيًّا لِلْمَجْدِ. أَلْقِ الْكُوكَبَ وَالطُّوبَاوِيَيْنِ.)

- «إِنْ كُنْتُ أَسْطَعُ أَمَامَكَ بِنَارِ الْمَحَبَّةِ

بِأَقْوَى مِمَّا تَمَكَّنَ رُؤْيَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ،

حَتَّى أَتْنِي أَوْهِنَ مِضَاءَ عَيْنَيْكَ،

فَلَا تَنْبَهْزُ، فَإِنَّمَا يَصْدُرُ هَذَا

عَنِ الرَّؤْيَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي مَا إِنْ تَعْرِفَ الْخَيْرَ

حَتَّى تَتَرَسَّمُ خَطَاهُ لَا تَحِيدُ عَنْهُ يَوْمًا.

إِنِّي أَرَى فِي فِكْرِكَ

سَاطِعًا مِنَ الْآنِ النَّوْرِ الْأَبَدِيِّ

الَّذِي مَا إِنْ يُرَى حَتَّى يُشْعَلُ وَحْدَهُ الْقَلْبُ أَبَدًا.

وَإِذَا مَا أَغْرَى الْقُلُوبَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٍ آخَرَ

فَمَا هُوَ إِلَّا بُقْيَا مِنْ ذَلِكَ النَّوْرِ

غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ بِمَا هِيَ وَلَكِنَّهَا تَشَفَّتْ عِبْرَهُ.

تَرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ إِنْ كَانَ صَنِيعُ آخَرَ

عِنْدَ إِهْمَالِ نَذْرِ يُمْكِنُ أَنْ يَكْفِي

957

لِيَضَعَ الرُّوحُ فِي مَأْمِنٍ مِنَ النَّزَاعِ» .

هكذا دشنت بياتريشي هذه الأنشودة؛ وكمثل من يواصل بلا توقّف خطابه، أكملت هي تفكيرها المبارك:

- «إِنَّ أَكْبَرَ هِبَةٍ تَقَدَّمُ بِهَا اللَّهُ فِي جُودِهِ وَالَّتِي تَتَوَافَقُ أَكْثَرَ وَطَيْبَتَهُ، وَيَمْحُضُهَا أَكْبَرَ تَقْدِيرٍ، إِنَّمَا هِيَ حَرِيَّةُ الْإِرَادَةِ، الَّتِي حَظِيَّتْ بِهَا الْكَائِنَاتُ ذَوَاتِ الْعَقْلِ، جَمِيعًا، وَوَحَدَهَا مَلَكُوتُهَا.

وَالْآنَ إِنْ أَنْتِ أَعْمَلْتِ تَفْكِيرَكَ لِلاَحْظَتِ جِسَامَةَ النَّذْرِ إِذَا كَانَ مَصُوعًا بِحَيْثُ إِنْ قَبِلْتِ بِهِ قَبْلَ بِهِ اللَّهُ أَيْضًا.

فبإبرام العهد بين الله والإنسان، فإنما يُضْحَى بهذا الكنز الذي تكلمت عنه، عبر فعله نفسه. فما يمكن التقدّم به لقاء ذلك؟ إن أنت اعتقدت باستخدام خير وهبته كنت كمن ينشد استخدامًا حسنًا لخيرٍ مسروق.

الآن وثقت من الأمر الأساسي؛ ولكن الكنيسة المباركة تتقدّم بمتاباة، وهذا ما يبدو متعارضًا والحق الذي عنه تكلمت؛ ولذا فلتتمهل قليلًا عند المائدة، فالكسرة القاسية التي أطعمتها ما تزال

تحتاج بعض معونةٍ لتهضم.

ولتفتح فكرك لما أعلمك إياه ولتحفظه فيه لأنّ الفهم لولا التخزين هيهات يلد لك علماً.  
إنّ شيئين ليصنعان جوهر التّضحية: أولهما مادّة النّذر <sup>958</sup> ، والثاني هو العهد المبرم <sup>959</sup> .  
وهذا الأخير ليس ليُمحى وإن لم يُوفّ النذر؛ وعن هذا تحدّثُ من قبلُ بنصاعة؛ ولذا فُرضَ على  
العبرانيين <sup>960</sup> أن يتقدّموا بالقرابين خالصةً وإن كان بعضٌ مثلما تعلم يمكن إبداله بسواه.  
فالشيء الذي تعرفه مادّةً للتّدور يمكن أن يكون بحيث لا يعصى المرء إن هو أبدله بمادّةٍ أخرى.  
لكن لا يُلقين أحدٌ حملَه عن كتفه بقرارٍ منه قبل أن يدور كلا المفتاحين الأبيض والأصفر <sup>961</sup> .  
كلّ تغييرٍ للتّدور فلتعدّه باطلاً إن لم يكن الشيء المتروك محتوي في بديله كالأربعة في الستّة <sup>962</sup> .  
فإذا كان لقيمة الشيء من الثقل ما يتجاوز كافّة الموازين، فلا يمكن إبداله بسواه قطعاً.  
لا تستخفّوا بالتّدور أيّها البشر الفانون:

كونوا أوفياء لا بُدء في فعل النّذر كما كان يفتاح في أضحيته الأولى <sup>963</sup> ؛ كان الأولى به أن يقول:  
- «أسأتُ صنعا»، من أن يسيء في إكمال نذره، ولك أن تحكم بالجنون نفسه على قائد الإغريق  
ذاك <sup>964</sup> ، الذي أبكى إفجينيا على محيّاها الفاتن، وعليها أبكى العقلاء والمجانين طرّاً عندما سمعوا  
بفداحة ذلك العهد.

كونوا، أيّها المسيحيّون، أبطاً في السّير ولا تكونوا كالرياش في عرض الرّيح، لا ولا تحسبوا أنّ كلّ  
ماء يغسلكم، لديكم العهدان القديم والجديد، والكنيسة وراعبيها هاديكم، فليكن هذا لخلاصكم.  
وإذا ما جمّل لكم الجشع أشياءً أخرى، فكونوا رجالاً لا حملاناً كي لا يضحك منكم اليهوديّ العائش  
بين ظهرانيتكم <sup>965</sup> !

ولا تفعلوا كالحمل الذي يعاف حليب أمّه وبطيش وحماقة ومن أجل متعته يروح يصطرع ضدّ  
نفسه. « هكذا، وكما كتبتُ، كَلَمْتُني بياتريشي؛ ثمّ التفتتُ وهي ملؤها رغبة إلى النّقطة حيثُ يعرف  
الكون أجلي سطوعه.

كلامها الذي توقّف ومرآها المتبدّل فرضا عليّ أن أُسكّت فكريّ النّهم الذي كان يهّيء أسئلةً أخرى؛  
وكما يبلغ سهمٌ دريئته قبل أن تتوقّف القوس عن الاهتزاز، فهكذا وصلنا إلى الملكوت الثاني <sup>966</sup> .  
وهناك رأيتُ سيّدتي مفعمةً بهجةً عندما ألفتُ نفسها في الق تلك السّماء، حتّى أن ذلك الكوكب  
صار ساطعاً أكثر.

فإذا كان النّجم نفسه تغيّر و صار يضحك، فما فعلتُ أنا وأنا بطبعي قابلٌ للحلول في كلّ صورة! وكما  
في حوض هاديّ ونقيّ تندفع الأسماك صوب كلّ ما يأتيها من خارج وتحسب أن تلقى قوتها فيه،  
فهكذا رأيتُ أكثر من ألف سطوع وهي تقبل إلينا وفي كلّ منها كنتُ أسمع:



- «هي ذي محبتنا موعودةً بازدياد».

وعندما كان كلُّ يدنو ممّا كنّا نرى الرّوح المحتواة فيه تتهلّل فرحًا من الألق البارق الذي يفيض منها. فكّر، أيّها القاريء، إذا لم يتواصل ما كان قد بدأ ههنا، فكم ستكون رغبتك القلقة في أن تعرف عنه المزيد؛ وستعرف بنفسك أيّ رغبةٍ كانت تحدوني لأسمع من هذه الأرواح شرطها الحقّ ما إن أصبحت هيّ لعينيّ مرئيةً.

- «أيّهذا الكريم المحتد يا من حباك الفضل الإلهيّ بأن ترى عروش النّصر الأبديّ قبل أن تغادر الحشودَ البشريّة، إنّنا لمضاؤون بهذا النور المنتشر في سائر السّماء، فإن كنتَ ترغب أن تعرف من نحن، فلنُشبع رغائبك.» هكذا تكلمت واحدة من الأرواح الورعة<sup>967</sup> فأضافت بياتريشي:

- «تكلّم، تكلّم واثقًا وصدّقهم كأنّهم آلهة.»

- «أري كم تعشّشين في نورك نفسه وأنّه آتٍ من عينيك لأنّه عندما تضحكين يسطع؛ ولا أعلم من أنتِ ولا لم حُزيت، أيّتها الرّوح النّبيلة، هذه الدّرجة في هذا المدار<sup>968</sup> المحتجب عن الفانين بأنوارٍ أخرى.» هكذا تكلمت ملتفتًا إلى النور الذي كلّمني الأوّل، وإذا به يغدو أكثر سطوعًا من ذي قبل. وكالشمس التي تتغشّى بوفرةٍ من الوهج عندما تكون الحرارة قضمّت البخار الذي كان يُلطفها، فهكذا بمزيدٍ من الفرح كان الوجه المبارك يحتجب عنيّ في شعاعه نفسه، ومن وراء برقعته ذلك ردّ عليّ بالشّاكلة التي تغنيها الأنشودة القادمة.



## الأنشودة السادسة

(سَمَاءُ عَطارد. الامبراطور يوستنيانوس. تاريخ النَّسْرِ الرُّومانيِّ من إنياس إلى شارلمان. الأخطاء التي ارتكبتها حزبا «الغَيْلَف» و«الغَيْلِين» بحقَّ الامبراطوريَّة. تقرِيظ روميو دو فيلنوف.)

- «بعدمَا وجَّه قسطنطين <sup>969</sup> النَّسْر

ضدَّ مجرى السَّماء الذي كان من قبلُ قد تبعه

صحبةَ البطل القديم زوج لافينيا <sup>970</sup> ،

<sup>971</sup> بقي طائر الله مئة عامٍ ثمَّ مئة عامٍ وأكثر

في الطرف القصيِّ من أوروبا،

قربَ تلك الجبال التي كان قد طلعَ منها؛

وهنا <sup>972</sup> ، في ظلِّ رياشه المباركة،

حكَمَ العالم، منتقلًا من يدٍ إلى أخرى،

وعلى هذه الشَّكلة حطَّ على يدي.

كنت قيصرَ، أنا يوستنيانوس،

ألهمني الحبُّ الأوَّلُ فجردتُ

القوانينَ من كلِّ ما هو نافلٌ وباطلٌ <sup>973</sup> .

وقبلَ أن أشرعَ بصنيعي هذا

عزوتُ للمسيح طبيعةً واحدةً <sup>974</sup>

لا غير، وبهذا الإيمان كنتُ مسرورًا؛

ولكنَّ الطوباويَّ أغابيت <sup>975</sup> الذي كان

راعياً أعلى عرفَ بكلامه

أنَّ يُعيدني إلى الإيمان الحقِّ.

فأمنتُ به، وما كان ينطوي عليه إيمانه ذاك

أبصره الآن بالوضوح نفسه

الذي به تري تناقضًا وهو يجمع الخطأ والصواب.

وما إن وضعتُ خطايَ في خطي الكنيسة

حَتَّى طابَ لَهِ أَنْ يُلْهِمَنِي

ذَٰلِكَ الصَّنِيعَ الْأَرْفَعَ الَّذِي انصَرَفْتُ إِلَيْهِ بِكَامِلِ قَوَايِ.

فَعَهَدْتُ بِالْقَوَاتِ إِلَى ابْنِي بَيْلِسَارِيُوسَ <sup>976</sup> ، الَّذِي كَانَ فَضَلَ السَّمَاءِ مُؤَاتِيًّا لَهُ حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ فِي ذَٰلِكَ  
عِلَامَةً لِأَتَوَقَّفَ.

هِنَا تَنْتَهِي إِجَابَتِي عَلَى سَأَالِكَ الْأَوَّلِ ، لَكِنَّ طَبِيعَتَهُ تَجْبِرُنِي عَلَى إِحْقَاقِهِ بِصِلَةٍ ، لِتَلَاحُظَ بِأَيِّ حَقِّ  
يَنْهَضُ ضِدَّ الشُّعَارِ الْمُقَدَّسِ مَنْ يَسْتَحُوذُونَ عَلَيْهِ وَمَنْ يُقَارِعُونَهُ.

<sup>977</sup> وَاَنْظُرْ بِفَضْلِ أَيِّ فِعَالٍ صَارَ جَدِيدًا بِالتَّوْقِيرِ ، وَكَانَ بَدَأُ ذَٰلِكَ هُوَ السَّاعَةَ الَّتِي هُوَى فِيهَا يَالَاسَ  
مِحَامِيًّا عَنْ مُلْكِهِ.

تَعْرِفُ أَنَّهُ اخْتَارَ فِي الْبِي مَقَامَهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ عَامٍ حَتَّى النَّهَائِيَّةِ عِنْدَمَا تَقَاتَلَ مِنْ أَجَلِهِ ثَلَاثَةَ ضِدِّ  
ثَلَاثَةِ <sup>978</sup> .

وَتَعْرِفُ كَيْفَ طِيلَةَ عَهْدِ سَبْعَةِ مُلُوكٍ ، مِنْ اخْتِطَافِ السَّابِينَاتِ حَتَّى آلَامِ لُوكْرِيْتِيَا <sup>979</sup> ، طَوَّعَ جَمِيعَ  
الْأُمَمِ حَوْلَهُ.

تَعْرِفُ أَنَّ الرُّومَانَ الشُّجْعَانَ قَدْ حَمَلُوهُ فِي وَجْهِ بَرِينُوسِ وَبِيْرُوسِ <sup>980</sup> ، وَفِي وَجْهِ أَمْرَاءِ عَدِيدِينَ  
وَأَحْلَافٍ غَفِيرَةٍ.

تُورَكَاتُوسَ وَكِينْتِيُوسَ <sup>981</sup> الَّذِي اسْتَمَدَّ لِقَبِهِ مِنْ خِصَلَاتِ شَعْرِهِ الْمَنْفُوشَةِ ، وَآلِ دَتَشْيُوسَ وَآلِ  
فَابْيُوسَ <sup>982</sup> ، نَالُوا جَمِيعًا مَجْدَهُ الَّذِي أُغْنِيَهُ الْآنَ فَرِحًا ؛ خَفِضَ مِنْ كِبْرِيَاءِ أَوْلَائِكَ الْعَرَبِ <sup>983</sup> الَّذِينَ  
اجْتَازُوا يَقُودَهُمْ هَنْبَعْلَ صَخُورَ الْآلِي ، وَكَذَلِكَ نَهْرَ الْيُوسِ الَّذِي مِنْهُ أَنْتَ تَأْتِي.

وَفِي ظِلِّهِ انْتَصَرَ فِي مَقْتَبَلِ الْعُمَرِ شِيْبِيُونِي وَيُومِيُوسَ <sup>984</sup> ، وَكَانَ ذَٰلِكَ بِالْغِ الْمَرَارَةِ عَلَى الْكُثِيبِ الَّذِي  
وَلَدْتَ أَنْتَ فِي أَعْطَافِهِ.

ثُمَّ ، فِي الزَّمَنِ الَّذِي شَاءَتِ السَّمَاءُ فِيهِ أَنْ تَرَدَّ الْعَالَمَ صَافِيًّا عَلَى صُورَتِهِ هُوَ <sup>985</sup> ، بِمَشِيئَةِ رُومَا تَلْقَاهُ  
قِيَصِرَ.

وَفِعَالَهُ مِنَ الْفَارُوسِ حَتَّى الرَّائِينَ ، رَأَتْهَا أَنْهَارُ الْإِيْزِيرِ وَالسُّونِ وَالسَّيْنِ ، وَجَمِيعَ الْجِدَاوِلِ الَّتِي بِهَا يَكْبُرُ  
الرُّونَ <sup>986</sup> .

وَمَا قَامَ بِهِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ رَافِيْنَا وَائْتِبَا فِي سَمَاءِ الرُّوبِيْكَوْنِ كَانَ طَيْرَانًا لَا يَلْحَقُ بِهِ لِسَانٌ وَلَا يِرَاعُ .  
وَانْعَطَفَ مِنْ بَعْدُ بِقَوَاتِهِ صُوبَ إِسْيَانِيَا ثُمَّ صُوبَ دُورَاتَزُو وَضَرَبَ فَارَسَالِيَا بِقُوَّةٍ بِحَيْثُ شَمَلَ الْجِدَادُ  
حَتَّى النَّيْلِ الْوَالْهَبِ <sup>987</sup> .

وَرَأَى ثَانِيَةً سِيْمُويُوسَ حَيْثُ يَرْقُدُ هَكَتُورَ وَأَنْتَانْدُرُوسَ الَّتِي كَانَ هُوَ انْطَلَقَ مِنْهَا ؛ ثُمَّ أَفْرَدَ جَنْحِيهِ إِلَى

988 حيث كان بؤس بطليموس .

989 ومن هناك نزلَ لافحًا يوبا، ثم اتَّجه نحو غربكم أنتم، حيث سمعَ هديرَ أبواق يوميّوس .  
وباعثٍ ممّا قام به صحبةً من حملته من بعد ما برح يعوي في الجحيم بروتوس وكاسيوس ويا لكم

990 شقيث منه مودينا ويروجيا .

991 وما برحت منه تبكي كليواترة هي التي هربت منه لتتلقّى من الصلّ ميتةً مباغتةً وسوداء .  
ومع سواه راح راکضًا حتّى الشاطيء الأحمر، ومع آخر سواه أحلّ في العالم السلام حتّى لقد أغلق  
معبد جانوس 992 .

ولكنّ ما قام به الشعار الذي يلهمني كلماتي من قبلُ وما سيقوم به من بعد في هذا الملكوت الأرضيّ  
المتثلّ له، ليبدو لدى المقارنة فقيرًا ومظلمًا إنّ نحن نظرنا إليه بعين بصيرةٍ وبقلبٍ نقيٍّ، بين يدي  
ثالث القياصرة 993 .

994 ذلك أنّ العدل الألهب الذي يلهمني أتاح له على يدي من أنكلم عنه مجدًا أن ينتقم لغضبه .

995 واستعذب الآن ما سأشرح لك: فلاحقًا هرغ مع تيطس ينشد الثأر من ثأر المعصية القديمة .

996 وعندما نهشت كلابات لمبارديا الكنيسة المباركة ففي ظلّ جناحيه أسعفها شارلمان الظافر .  
الآن تقدر أن تحكم على أولئك الرجال الذين أدنت أعلاه، وخطاياهم التي هي باعث جميع  
عذاباتكم.

997 بعضهم راح شاهراً الزنبق الأصفر بوجه شعار الكون، وبعضهم استحوذ عليه لحزبه، فلا ترى  
من كان بينهم أكبر خطأ.

998 فليمارس الغيلين حيلهم تحت شعار آخر، فلا يتبع هذا الشعار حقًا من يفصله عن العدل  
دومًا؛ وحذار من أن يغتاله شارل الجديد هذا مع أتباعه من الغيلف، وليخش البرائن التي نتفت من  
قبل وبر أسودٍ أشدّ صلفاً 999 ! من قبل طالما بكى الأبناء بجريرة خطايا آبائهم، ثم من ذا الذي

يحبس أن الله سيغيّر شعاره لقاء هذه الزنابق! هذا التجم الصغير 1000 مزدان بأرواح طيبةٍ  
نشطت من أجل أن يتبعها الشرف والمجد: وعندما تنزع الرغائب إلى غايات دنيويةٍ منحرفةٍ هكذا،  
فينجم عن ذلك أن أنوار المحبة تعلق إلى السماء باستقامةٍ أقلّ.

ولكنّ يظلّ من صلب سعادتنا أن نقيس جزاءنا بالفعل الطيب، فنراه لا أكبر ولا أصغر.  
هكذا تُلطف العدالة الإلهية من مشاعرنا، بحيث ليس تقدر بعد أن تنحرف صوب أي جور.  
وكما تنشأ الألحان العذبة من أنغام متباينة، ففي حياتنا هنا درجاتٌ مختلفةٌ تطلق التناغم العذب

لهذه المدارات.

وفي قلب هذه اللؤلؤة التي أنت فيها يأتلق نور روميو<sup>1001</sup> الذي لم يُعرف صنيغُه العظيم الفاتن.  
وما كان على أهل بروقنْس مَمَن تآمروا عليه أن يضحكوا منه، فإنَّ مسلكه لسيء مَن يُشقيه صنيغُ  
الآخر الجميل.  
كان لرايمون بيرانجيه بناتٌ أربع أصبحت كلُّ منهنَّ ملكةً، وهذا كلُّه فعله روميو، الجواب  
المتواضع.  
فيما بعدُ دفعتُ بيرانجيه ألسن خبيثة ليطلب من ذلك العادل كشفًا بحساباته، فردَّ له الأخير اثني  
عشر لقاءً عشرة.  
ثمَّ غادرَ فقيرًا وشيخًا، ولو عرفَ النَّاس القلبَ الذي كان قلبه، يوم راح يشحذ العيشَ لقمةً بعدَ  
لقمة، فإنَّ مَن يمتدحونه سيزيدون امتداحه.»

## الأنشودة السابعة

(سما عطار: بياتريشي تخمن شكوك دانتى حول الثار لمقتل المسيح، وتفسر له مبدأ الحلول وفساد العناصر وانبعث الأجساد.)

- «السلام عليك يا إله القوّات  
يا من تضيء من عليائك

1002 الأنوار السعيدة للملكوت هذا» .

هكذا رأيت هذا الجوهر  
وهو يغني دائراً على إيقاع غنائه

1003 ورأيت نوراً مزدوجاً وهو يقترن فيه .

ثم شرعت الأرواح الأخرى بالرقص إثره  
وكشارات بالغة السرعة  
حجبهن عني بعد مباغت.

كان يخامرني الشكّ وكنت في دخيلاء نفسي

أقول: - «فلتفصح، فلتفصح ولتكلّم سيدي هذه التي ترويني عدوبة نداها.» ولكن التوقير الذي

يغمرنى لمحض سماع «بيا» أو «ريشي» 1004 كان يثني عزمي كمثّل رجل يسقط في النوم.

لم تحتملني بياتريشي هكذا طويلاً فقالت، بابتسام مشعة حتى لتغمّر بالسعادة حتى من هو في  
الثار:

- «يحدثني ظني الذي لا يخطيء أنك يشغل خاطرِك معرفة كيف عوقب بعدالة ثار عادل؛ ولكنني  
سأحلّ لك عقدة فكرِك، وأنت أصغ إليّ لأنّ كلماتي ستهبك حكمة رفيعة.

1005 فلأنّ الرجل الذي لم يلدّه أحد لم يُطق كبحاً لإرادته كان سينجيه، فهو أذان كامل النوع  
البشري بإدانتته نفسه؛ فبقي الإنسان في الأسفل كسيحاً، طيلة عصور وعصور، هائماً في ضلال،  
قبل أن يطيب لكلمة الله أن تنزل هناك حيث أقبلت الطبيعة المجافية لبارئها وتوحدت به في  
شخصه، عبر فعل المحبة الأبدية وحدّه. وارتفع الآن بعقلك إلى تفكيري: فهذه الطبيعة المتحدّة  
بصانعها مثلما صورها كانت صادقة وطيبة؛ ولكنها طردت لخطيئتها من الفردوس لأنها تنكبت  
جادة الحقيقة وطريق حياتها.

وعليه فإنّ عذاب الصليب إنّ نحن قسناه بالطبيعة التي بها اضطلع، كان الفعل الأكثر صواباً الذي  
شوهد أبداً؛ ولكن لا عذاب أكثر منه جوراً إنّ نحن نظرنا إلى الشخص الذي عانى، والذي تجسدت  
فيه هذه الطبيعة.

من فعل واحدٍ نشأت آثَارٌ متباينة فالله واليهود سرهم الموت نفسه؛ ولئن اهتزت له الأرض فقد انفتحت له أبواب السماء.

1006  
وعليه فينبغي ألا يبدو لك غريبًا أن يُقال أن انتقامًا عدلًا قد انتقمته منه محكمةٌ ولا عدلٌ .  
ولكنني أرى فكرك مختنقًا من فكرةٍ إلى أخرى في عقدةٍ واحدة تنتظر لها بفرغ الصبر حلًا.  
تقول: - «إنني لأفهم ما أسمع، ولكنني يغمض عليّ لم أراد الله أن يكون افتداؤنا بهذه الصورة».  
هذا الأمر، أيها الأخ، يعيا اختراقه على كلِّ مَنْ لم ينضج فكره في نيران المحبة.  
ولكنني، ولأنّ هذه مسألة طالما يُنظر إليها وقلّما فُهمت، سأقول لك لم كان هذا الإجراء هو الأمثل.  
إنّ طيبوبة الله، التي تُقصي عنها كلَّ ضعيفةٍ والمتوقّدة في ذاتها لتسطع ناشرةً حولها مفاتنَ أبديةٍ.  
وما يصدر عنها بلا وسيط لا انتهاء له لأنّ دماغه ليس تزول ما إن تكون هي ألفت بحتمها.  
وما ينهمر منها بلا عائق يظلّ إلى الأبد حرًا ولا يخضع لتأثير أية بدعة.  
ومن امتثل لها سرّها أكثر من غيره، فالشعلة المباركة إن كانت تشع في كافة الأشياء، فهي تظلّ أقوى في ما كان يُشبهها أكثر.

من كلّ هذه الهبات يستمدّ الكائن الإنسانيّ فائدةً، وإذا ما نقصته واحدةٌ منها كان في نبالته أقلّ قدرًا.  
وحدها الخطيئة تستعبده وتجعله مفارقًا للخير الأسمى، لأنّه لا يستضيء بنوره بما فيه الكفاية.  
وهو لن يستردّ نبله ما لم يردم الفراغ الذي تُحدثه الخطيئة بعقوبةٍ عادلةٍ تساوي متعته الرذيلة.  
عندما انغمس طبعكم في الآثام بكامله منذ بذرته فهو قد أقصي عن هذه المزايا كما عن الفردوس،  
وهو لن يستردّها، إن أنت ألقيت نظرةً هنا حاذقةً، ما لم يمرّ بواحدٍ من هذين التّهجين:  
فإما أن يمحو الله الخطيئة بمحض طيبته، أو أن يتطهر الإنسان نفسه ممّا يصنع جنونه.  
ولثمّعن النَّظَرَ الآن في هاوية المجلس الأبدية ما أمكنك ذلك، وأصخ السمع عميقًا لما أقول.  
ما كان للإنسان في محدوديته أن يكون كافيًا، ولا طاقة له على أن ينزل ليعرب عن الطاعة بكامل  
الخشوع، لفرط ما حُيّل له الارتقاء بالمعصية؛ ولهذا الباعث حُرِمَ الإنسان من كلّ قدرة على  
الكفاية 1007 .

1008  
فلزم أن يُرجعه الله بطرائقه هو إلى حياته الكاملة، بواحدٍ من التّهجين أو كليهما معًا .  
ولكنّ لأنّ الصنيع يحظى بأكثر محبة من الصانع بقدر ما تنعكس فيه طيبة القلب الصادر هو عنه،  
فإنّ طيبة الله المُلقية بختمها على العالم، تجد سعادتها في أن ترفعكم بالرجوع إلى كلا هذين  
السبيلين.

ومن بداءة الزمن حتى منتهاه لم يكن ولن يكون من صنيع رائع باتّباع هذا النهج وحده أو ذاك  
وحده، ذلك أنّ الله كان أسخى إذ وهب عونه ليمدّ الإنسان بالقدرة على إنهاض نفسه، ممّا لو محي  
خطيئته بمحض فضله؛ وجميع السبل الأخرى في نشدان العدل كانت ستقصر لو لم يمض ابن الله  
في التواضع إلى حدّ أن قبل بمبدأ الحلول.

ولكي أرضي جميع رغباتك، فهذا أنا أعود لإضاءة نقطة، لتراها بوضوح كما أراها.  
تقول: - «إني أرى الماء والنار والأرض والهواء وجميع الخلائط وهي تنتهي إلى الفساد ولا تدوم إلا زمناً؛ ومع ذلك فهي كلها من خلق الله، فإذا صحَّ ما قيل لي فينبغي إذن أن تكون معصومةً من كل انحلال».

يمكن القول يا أخي إن الملائكة والبلد الخالص الذي أنت فيه الآن، خُلقت كما هي هنا، باكتمال؛ أما العناصر التي سميتها والأشياء التي تتخلق انطلاقاً منها فإنما نشأت من قدرة مخلوقة.  
خُلقت أولاً المادة التي هي مادتها ثم خُلقت القدرة المُشكّلة في الأنجم التي حولها تدور؛ فمن ألق الأنجم المباركة ووثبتها تنسكب على هذه الطّبائع الكامنة القدرة روح كل حيوان ونبات **1009**؛ أما حياتكم {أنتم البشر} فإنما تنفخها الطيبة السّامية بلا وسيطٍ وتلهمها محبة الذات فترغب فيها أبداً.  
من هنا تقدر أيضاً أن تستنبط حقيقة النّشور إن أنت أعدت التّفكير كيف خُلِقَ جسد الإنسان ساعة أن خُلِقَ أبوانا الأوّلان.

## الأنشودة الثامنة

(السَّماءُ الثَّالِثَةُ: سماءُ الزُّهرة: الأرواحُ الخاضعةُ للحبِّ. الحبُّ الجنونيُّ ومحبةُ الله. شارل مارتل، ملك هنغاريا. تقريع الحكومة السيئة. لمَ لمَ تكن الوراثة مطلقاً).

كانت النَّاسُ بالأمس تعتقدوا أسفاه

أنَّ الحسناة قبرص <sup>1010</sup> كانت تنشر الحبَّ الجنونيَّ

بالدوران عبر فلك التدوير الثالث <sup>1011</sup>؛

وفي خطأهم العتيق هذا،

لم يكن القدماء يكرّمونها فحسب

في قرابينهم وصلواتهم الطقوسية،

بل كانوا يكرّمون أيضًا ديوني وكوييدون <sup>1012</sup>،

الأولى باعتبارها أمّها والثاني بما هو ابنها،

ويقولون إنَّ ديدون <sup>1013</sup> قد حملته في حضنها؛

ومن قبرص التي تنطلق منها أنشودتي

إستعاروا اسم النّجمة <sup>1014</sup>

التي تمسح الشمس علباءها ثمَّ جبهتها.

لم أفطنُ إلى ارتقائي إليها

ولكنني وثقتُ من أنني ولجتُ فيها

عندما رأيتُ سيّدي تصير أجمل.

وكما نُميّز شرارةً وسطَ شعلة،

أو نتبين بين صوتين صوتًا،

عندما يثبت الأوّل ويتموّج الثاني،

فهكذا رأيتُ في نورها أنواعًا أخرى

تجول في دوائر متسارعة،

أحسبُ أنّها تتبع رؤاها الجوانية.

إنَّ رياحًا تنزل من سحابة باردة

ببالغ السرعة، أمرئيةً كانت أم خافية،



لَتبدو بطيئة ومُلتبكة لمن يرى آتيةً إلينا هذه الأنوار الإلهية من رقصتها التي كانت انطلقت في سماء السُروفيين <sup>1015</sup>؛ ومن بين طلائعها كانت تتعالى «هوشعنا» ساحرة حتى أنني سأودّ ما حييت أن أسمعها ثانيةً.

ثم تقدّم أحدها <sup>1016</sup> ودنا منّا وبدأ: - «كلّنا هنا طوعَ بنانك، فلتصنغْ سعادتك منّا. الدّوران نفسه والإيقاع نفسه والظماً ذاته يحملوننا صحبةً خورس أمراء السّماء هذا، الذين سبق أن قلت لهم على الأرض:

- «أنتم يا من يحرك فكركم ثلاثة السّموات» <sup>1017</sup>؛ كلّنا مفعمون لك حبّاً، ولمرضاتك لن يكون من ضيرٍ في أن نتوقّف هنا قليلاً.»

«وبعدما اتّجهتْ عيناى بتوقيرٍ إلى سيّدي، وبعدما أحالتهما هي مسرورتين واثقتين، إلّفتُ إلى الرّوح المُنيرة التي وعدتْ بالكثير وبصوتٍ مفعم مودّةً قلتُ لها: - «من ذي يا ترى تكونين؟» فإذا بها تصبح أفخم من ذي قبل وتنتعش بمسرةٍ جديدة أقبلتْ لتنضاف إلى مسرتها الأولى! وعلى صورتها هذه قالتْ لي: - «في عالمكم لم أبقِ إلاّ قليلاً من الزّمن، ولو أنني بقيتُ أكثر فإنّ شروراً كثيرةً ما كانت ليحصل <sup>1018</sup>.

ما يحجبني عنك هكذا هو فرحي الذي يشعّ حولي ويخفيني كما تتلفّع بحريها دودة القزّ.

أحببتني كثيراً <sup>1019</sup> وكنت على صواب؛ فلو كنتُ بقيتُ على الأرض لكنتُ أريئك أكثر بكثيرٍ من مجرّد أوراق حبيّ.

ذلك الشاطئ الأيسر <sup>1020</sup> الذي يغتسل بالزّون ثم يروح ليمتزج بالسّورغ، كان ينتظرني، عندما تسنح اللّحظة، سيّداً له؛ وكذلك قرن أوسونيا <sup>1021</sup> الذي تحميه قلاع باري وغاييتا وكاتونا، حيث يصبّ في البحر تروننو وفيردي.

من قبلُ كان يلمع على جبيني التّاج تاج البلد الذي يسقيه الدّانوب، عندما يكون غادر شواطئ ألمانيا <sup>1022</sup>.

وتيناكريا <sup>1023</sup> الجميلة التي بالدّخان يجلّها لا تيفون <sup>1024</sup> بل الكبريت الذي ينبعث من پاتشينو إلى پالورو، على ضفة ذلك الخليج الذي يسوطه الأوروس بلفحه الشّديد، كانت ستنال الملوك الذين تنتظرهم هي طالعين عبّري من شارل وردولف، لولا أنّ الحكومة السيئة التي طالما جرحتْ شعوبها المستعبدة دفعتْ ياليرما إلى الهتاف:

- «الموت له! الموت له!» <sup>1025</sup> ولو كان شقيقي خمّن ذلك لاستطاع أن يهرب في الحين من مهانة فقر كاتالونيا وشحتها <sup>1026</sup>.

حقًا آن الأوان لأن يحرص هو أو سواه على عدم الإثقال بالجمل على المركب المحمّل من قبل.  
إنّ طبّعه المولود سخياً والذي سقط في الشحّة، ليحتاج إلى زمرة من الرّجال غير مهمومةٍ بملء  
الخزائن <sup>1027</sup>. «

- «لأنّني أحسب أنّ الفرح الرّفيح الذي يهبنيه كلامك، سيّدي العزيز، حيثُما يبدأ وينتهي كل شيءٍ  
خيرٌ، تراه أنت مثلما أراه فإنّه ليُفرحني؛ ويُفرحني أكثر أنّك تراه في اللّحظة التي تنظر إلى الله فيها.  
هوذا أبهجّتي فلتوضّح لي الآن لأنّك تحملني على الشكّ، كيف من بذرةٍ طيّبةٍ تولد ثمرةً مريرةً؟»  
هكذا كلفته فأجاب:

- «إنّ استطعت أنّ أكشف لك عن حقيقةٍ معيّنةٍ فستراها وجهًا لوجهٍ لا مُديرًا لها ظهره.  
إنّ الخير الذي يسرّ ويحرّك كامل الملكوت الذي تجتازه الآن يسبغ بفضلٍ إلهيّ على هذه الأجرام  
العظيمة قوّة فاعلة.

وليسَتْ طبائعها وحدها مرسومةً في هذا الفكر الكامل في ذاته بل خلاصها أيضًا.  
وعليه فكلّ ما ينطلق من هذه القوس يهرع إلى غايةٍ مقرّرة كما يسعى سهمٌ إلى هدفه.  
والإّ فإنّ آثار هذه السّماء التي تجتازها لن تكون صنيعةً للفن بل أنقاصًا؛ وما هذا بالممكن ما لم يكن  
خللٌ ما في العقول المحرّكة لهذه النّجوم وفي الباعث الأوّل الذي سيكون أساء صناعتها.  
أفتريد أنّ أوضّح هذه الحقيقة مزيدًا؟» فقلت له:

- «كلّا، فأنا لا أحسب أنّ الطّبيعة يمكن أن يعروها خللٌ في ما ينبغي أن يكون.» فأضاف: -  
«أخبرني، أسيكون أسوأ للإنسان أن يعيش على الأرض بلا مدنيّ يكون هو مواطنها؟» فأجبت: -  
«أجل، وهنا لا داعي للبرهنة.»

- «أو يمكن أن يكون ذلك إنّ لم نعش على الأرض بطرائق مختلفة ووظائف شتى؟

لا أعتقد، إنّ كان معلّمك أحسن الكتابة <sup>1028</sup>. «

إلى هذا وصلّ في استنباطاته واختتمّ بالقول:

<sup>1029</sup> - «وعليه فينبغي أنّ تكون جذور أفعالكم متباينةً فيكم، فهذا يولد سولونَ وذاك إكزسيس  
وثالثٌ ملسشيديس <sup>1030</sup> ورابعٌ ذلك الذي طارَ في الهواء فأضاع ابنه.

إنّ دورة السّماء التي تلقي بدمغتها على السّمع البشريّ تُحسن صنعتها، دونَ أن تميّز بين منزلٍ وآخر.  
هكذا يحدث أنّ يتميّز عيسو منذ بذاره عن يعقوب، وأنّ كيرينوس <sup>1031</sup> يولد من أبٍ رذيلٍ حتّى  
ليُنسبَ إلى مارس.

وطبيعة الأبناء تتبع دومًا مسالك آبائهم ما لم تأت لتصحّحها العناية الإلهيّة.  
الآن صار قدّامك ما كان يقبع وراءك، ولكي توقن من أنّ صحبتك تُبهجني فسأتحفك بحقيقةٍ  
أخرى.

ككّل بذرة قابعة خارج موطنها، لا يُحسنُ طبعُ صنيعه أبداً إذا ما التقى بحظّ مناوئ؛ فإذا ما امتثلتِ  
الدُّنيا في الأسفل للأسس التي تُرسِيها الطّبيعة واتّبعتها، لكان لها سكّانٌ أفضل.  
ولكنّكم تلوونَ عنقَ مَنْ وُلدَ ليتمنطقَ بالسيف لتجعلوا منه راهباً بالقوّة، ومَنْ خُلِقَ للوعظ تنصبونه  
ملجاً.

ولذا فخُطاكم هي خارج النّهج أبداً.»

## الأنشودة التاسعة

(سماة الزهرة: نبوءة شارل. نبوءة كونيتزا دا رومانو. الشاعر المتيم فلوكيه المرسيي. ألق راحاب، من أريحا. تقريع البابوات).

بعدمًا أوضح لي، يا كليمانس <sup>1032</sup> ، بعلكِ شارل  
أشياء، سرد لي أفعال الخيانة  
التي تُحاك ضدّ ذريتك؛

ولكنّه قال لي: - «عليك بالصّمت ولتدعِ الأعوامَ تمرّ»؛  
وعليه فلا أقدر أن أقولَ شيئًا

سوى أن بكاءً عادلاً سيتبع رزاياكم <sup>1033</sup> .  
ثمّ لم تعد روح ذلك السطوع المبارك  
لتخاطب سوى الشمس التي تُبهجها  
كما تخاطب الخير الكافي لكلّ شيء.  
وأها لك أيتها الأنفس المخدوعة

يا مخلوقاتٍ ملؤها الجحود،  
يا من تديرين قلبك عن كنز كهذا،  
مشرّبةً بجبينك صوب كلّ ما هو باطل!  
لكنّ هوذا سطوعٌ آخر يتّجه نحوي ويدلّ بألقه أنّه يريد أن يرضيني.

فوهبني عينا بياتريشي،  
الملقيتان عليّ كما من قبل،  
موافقتها العزيزة على رغباتي.

فبدأت: - «آه لبي لي هذه الرّغبة أيّتها الرّوح المغتربة ولتهبيني البرهان أن فكري يمكن أن يجد  
فيك انعكاسه.» وإذا بذلك النور، الذي كان ما برح لديّ مجهولًا، يُجيب من العمق الذي كان هو

يُنشد فيه <sup>1034</sup> وكمثل من يحدوه السرور بصنيعه الحسن:

- «في ذلك النّطاق من إيطاليا المتداعية <sup>1035</sup> الذي يمتدّ من رياتلو حتّى ينابيع برينتا وبيافا، يرتفع

كثيب <sup>1036</sup> ما هو بالعالي، نزل منه ذات يوم مشعلٌ نارِيٌّ عاثّ في ذلك النّطاق فسادًا؛ ولدَ كلانا من  
الجذر نفسه:

كونيتزا<sup>1037</sup> كان هو اسمي وأنا أسطع ههنا لأنني غلبتني نار تلك النجمة؛ ولكنني أغفر لنفسي ببالح الفرح بواعث حظي ولست لأسف على شيء، وهذا ما سيدهش من ليس يعرفون.

من لؤلؤة<sup>1038</sup> سمائنا هذه، الوضأة والنادرة، والتي هي إلى أقرب، بقيت سمعة عظيمة، ومن قبل أن تندثر سيتلو هذا القرن خمسة قرون: فانظر كم ينبغي أن يكون المرء فذاً كي تتبع حياته الأولى حياة سواها. وهذا ما لا تفكر به حثالة البشر

المحصورة بين تاغليامنتو وأديج<sup>1039</sup> ، والتي لا تتوب مهما تلقت من الضرب؛ ولكن عمّا قريب سئلون يادو<sup>1040</sup> ماء المستنقعات في ثيمنتسه، لأن سگانها عن الواجب منصرفون؛ وحيثما يتحد سيلي وكانيان<sup>1041</sup> ، يتلع أحدهم برأسه ويدعي السيادة بينما المشنقة نُهيأ له من قبل.

كما ستبكي فيلترو من الخطأ المرعب الذي سيرتكبه راعيها الجاحد، والذي ما دخل سراديب السجون لمثله أحد؛ وإنه ليلزم طستُ بالغ السعة لاستقبال دماء أهل فرارا، وسيتع من يزنها أوقيةً بعد أخرى، الدماء التي يريد ذلك الزاهب المهذب<sup>1042</sup> أن يهديها كي يُثبت أنه من الرفاق، وإن مثل هذا الهدايا لموافق لطباع الناس في هذه البلاد.

هناك في الأعلى مرايا تسمونها "العروش"<sup>1043</sup> ، يسطع فيها من أجلنا الخالق الديان؛ ولذا فهذه الكلمات تبدو لنا مستحقة.

«ثم صمت وأفهمني أن خاطره كان مشغولاً بشيء آخر فلقد استعاد مكانه في الحلقة. فتجلت لنظري الروح المغتبطة الأخرى التي بدت لي من قبل كائنًا ثمينًا كمثل ياقوتة زادتها الشمس جلواً.

هناك تتمخض البهجة عن السطوع كما عندنا عن الضحك؛ لكن في الجحيم تزداد الأشباح عتمة بقدر ما تتلفع بأحزانها الروح.

فقلت لها: - «إن الله ليرى كل شيء ولما كان نظرك، أيتها الروح المغتبطة، ينفذ فيه، فلا تخفي عليك أية رغبة.

فما لصوتك الذي يُبهج السماء بغناء هذه الشعل الورعة الصانعة عباءةً بأجنحتها الستة<sup>1044</sup> ، لا يرضي هنا رغائبي؟

أنا لن أنتظر أسئلتك لو كنت أرى فيك كما ترين في<sup>1045</sup> !« فبدأت هكذا خطابها: - «ذلك المنخفض الذي تنتشر فيه المياه خارج هذا البحر المحيط الذي يزتر الأرض، والذي يمضي إلى البعيد بين ضفاف متعارضة بعكس اتجاه الشمس حتى ليصنع خطّ الزوال حيثما كان

يصنع من قبل خطّ الأفق<sup>1046</sup> ؛ كنت أنا في ما مضى جارةً له، بين الإيرو وماكرا، هذا المجرى

الوجيز الذي يصنع الحدّ بين جنوة وتوسكانيا <sup>1047</sup> حيثما يتوافق الغروب والشروق إلى حدّ ما تقوم

بوجيا ومسقط رأسي الذي سخّن الميناء بالأمس من دماء أبنائه <sup>1048</sup> كان يسمّوني فولكيه <sup>1049</sup> في تلك البقاع التي كان اسمي معروفاً فيها، وهذه السماء تلتقت دمعتي كما انطبعتُ أنا بميسمها؛ ذلك

أن ابنة بيلوس <sup>1050</sup> عندما اعتدّت على سيكيو وكرويزا ما اشتعلتُ بأقوى مّي بقدر ما كانت تسمح به سنّي؛ ولا رودوبيا تلك التي خانها ديموفونتييس <sup>1051</sup> لا ولا السيد <sup>1052</sup> ذاك عندما كانت يعتصر لولي في قلبه.

بيد أنّك لا تجد هنا ندماً، بل ضحكاً، لا من الخطيئة، فهي لا تعود إلى الخاطر، بل للقدرة التي تُنظّم وتُكرّم.

هنا نتأمل الفنّ الذي به يترنّن هذا الصنيع الفدّ ونميّز الخير الذي به يحرك العالمُ السماويّ العالمَ السفليّ.

ولكنّ لُترضي جميع رغباتك المولودة في هذا المدار فعليّ أن أمضي في الكلام أبعد. تريد أن تعرف من هو هذا الكائن المُنير الذي يأتلق إلى جانبي بهذه الحدّة كأشعة الشمس في رقرق المياه.

إعلم أنّ راحاب <sup>1053</sup> تستعذب هنا السّلام؛ فهي قد التحقتُ بمحفلنا الذي يتلقّى منها أسمى علامة.

رفعتها هذه السّماء التي يتضاءل عندها الظلّ الآتي من عالمكم <sup>1054</sup> ، قبل آية روحٍ أخرى في يوم ظفر يسوع.

كان لائقاً أن توضع في إحدى السّموات كمثّل سعة النّصر العالي الذي حازه هو باليد واليد الثانية <sup>1055</sup> ، ذلك أنّها ساعدتِ المأثرة الأولى ليهوشع <sup>1056</sup> في الأرض المقدّسة التي قلّما تُداعب اليوم ذاكرة البابا.

وإنّ مدينتك التي هي سلية ذلك الذي كان أوّل من عصى ربّه <sup>1057</sup> ، والذي أجرى حسده دموعاً كثيرة، هي من تُطلّع وتنشر هذه الزّهرة الملعونة <sup>1058</sup> التي تُضلّ المغز والخراف لأنّها من راعيها صنعتُ ذنباً.

هكذا نُسيّ الإنجيل وكبار العلماء ووحدها تُدرّس المرسومات البابويّة <sup>1059</sup> كما نرى في حواشيها الكثيرات.

لا يحمل البابا والكرادلة في رؤوسهم شيئاً آخر؛ فلا يتّجه فكرهم إلى النّاصرة حيث فردّ جبريل جناحيه.

ولكنّ الفاتيكان والأماكن الأخرى من روما المعروفة بكونها صارت مقبرةً للفرسان الذين ساروا على

خطى القديس بطرس، سَتُخَلَّص من الخيانة عمَّا قريب <sup>1060</sup>. «

## الأنشودة العاشرة

(سماء فِينوس: المعمار البديع للعالم. السّماء الرّابعة: سماء الشّمس. القديس توماس الإكويني يُري  
دانتي الحكماء الأحد عشر للتّاج الأوّل: أهل اللاّهوت والفلاسفة).  
القدرة الأولى التي لا تُدرَك،

1061  
فيما تنظر إلى ابنها بالحبّ كلّه  
الذي يوحى به أحدهما والآخر أبداً،  
صنعت كلّ ما يجوبُ في الفضاء والفكر  
بمثل هذا التنظيم بحيث ليس يقدر  
كلُّ من تطلّع إليه ألاّ يقطفَ من لذاته.  
فلترفعْ معي، أيّها القارئ، نظركَ  
إلى المدارات العليا وباستقامةٍ إلى ذلك النّطاق

1062  
الذي تلتقي فيه كلتا الحركتين ؛  
وهناك ابدأ بالتّنعّم من ذلك الصّنيع  
للمعلّم الذي يستعذبه في ذاته.  
فلا يُحوّل عنه نظره البتّة.  
أنظر كيف تنفصل عن تلك النقطة

1063  
الدّائرة المائلة التي تدور فيها الكواكب  
لإرضاء العالم المحتاج إليها.

1064  
فلو لم يكن نهجها مائلاً ، لكانت قوى كثيرة في السّموات نافلهً، ولماتت في العالم السفليّ كلّ  
قدرة؛ ولو كان الانزياح عن التّهج القويم أكبر ممّا ينبغي أو أصغر، فإنّ نظام العالم في الأعلى  
والأسفل سيُصيبه الخلل .  
1065

ولتبقَ الآن على مصطبتك أيّها القارئ متأمّلاً ما صار لديك منه مذاقٌ أوّل إن كنت تنشُد متعةً  
تسبق عناءك.

لقد خدمتُك؛ فاغتذِ الآن بنفسك؛ فالمادّة التي أنا مُدوّنها تستأثّر بكاملِ عنايتي.  
إنّ أكبر مرتبّي الطّبيعة الذي يدمغ العالم بتأثير السّماء، ويهبنا بنوره مقياسَ الوقت، عندما يبلغ  
النقطة التي تكلمتُ عنها 1066  
يدور عبر المسالك اللّولبيّة التي يظهر فيها كلّ يومٍ في وقتٍ أبكر؛



كنتُ قد ولجته، ولكنني لم أفطنُ إلى الارتقاء إلاّ بالقدر الذي نفطن فيه، وقد راودتنا فكرةٌ، إلى مجيئها!

وبياتريشي هي مَنْ تقود من الحسن إلى الأحسن وبمثل هذه الفجاءة بحيث لا تدخل أفعالها في قيد الزّمان.

كم ينبغي أن يكون مضيئاً في ذاته ما رأيتُ في تلك الشّمس التي صرتُ فيها ليُرى هكذا لا بلونه بل عبر ألقه!

أنا لن أقدر على تقريبه للمخيّلة بالرجوع إلى الذكاء والفنّ والتجربة؛ يمكن الاعتقاد به، وكذلك أن نرغب في رؤيته.

ولئن كانت مخيلاتنا قاصرة إزاء مثل هذه الأعالي فما من عجبٍ ما دامت عينٌ لم تر أبعدَ من الشّمس.

كذلك كانت الأسرة الزّابعة <sup>1067</sup> للأب العليّ الذي يسرها دائماً بأن يُريها كيف يتنفس وكيف يلد.

وبدأت بياتريشي: - «فلتلهجنّ بالشّكر لشمس الملائكة <sup>1068</sup> التي أصدتكَ إلى هذه الشّمس المحسوسة بفضلٍ منها.» لا قلبَ إنسانٍ كان بمثل هذا التأهب للعرفان ولا بمثل هذه السّرعة للتوجّه إلى الله عن طيبة خاطر كما كنتُ بسماعي هذه الكلمات، ولقد صار حبي له من التوقّد بحيث ألقى ببياتريشي طيّ النّسيان.

وما انجرحتُ هي من ذاك بل لقد ضحكك وإذا بسطوع عينيها الضاحكتين يجزّئ فكري المتضامّ أشطاراً عديدة.

رأيتُ شِعْلاً عديدةً متوهّجةً وبارقة تجعلنا في مركزها وتشكّل من حولنا تاجاً لا تُداني فيه قوّة السّطوع حلاوة الصّوت.

هكذا نرى أحياناً ابنة لاتونا <sup>1069</sup> وهي تتكلّل بهالةٍ عندما تُمسك نداوةً الهواء بالخيط الذي يشكّل لها حزاماً.

وفي بلاط السّماء التي عدتُ منها جواهرٌ ثمينةٌ وفاتنة يتعدّر أن تُحمل خارج ملكوتها؛ ولهذه الأنوار كان مثلُ تلك التّرانيم، فمَنْ لم يكُ له جناحان ليطيّر إليها فلينتظر أن يأتيه أخرسُ بالأخبار <sup>1070</sup> وعندما دارت تلك الشّمس الحامية حولنا ثلاثاً وهي تغنيّ كنجومٍ قريبةٍ من القطبين الثّابتين، بدونَ لي كسيّدتٍ لا يُغادرن الرّقص بل يوقفنّه بصمتٍ ليسمعنَ مرتقباتٍ نعمة الرّقصة القادمة.

وسمعتُ صوت إحداهنّ <sup>1071</sup> يبدأ:

- «عندما تسطع فيك أشعةُ الفضل التي يتأجج فيها الحبّ ويّزید لهباً، وتتضاعف فيك حتّى لتقودك عاليّاً عبر هذه السّلالم التي لا ينزل منها المرء إلاّ ليصعدَ ثانيةً، فإنّ مَنْ يمنع عن ظمأك خمراً قارورته سيكون معاقفاً في حرّيته كالماء الذي هيهات يبلغ البحر.

تريد أن تعرف من أيّ نبتةٍ أزهَرَ الإكليل الذي يحيط بهذه الرّقّة السيّدة الجميلة التي جعلتك

تستأهل هذه السماء.

كنتُ أحدَ حملان القطيع المبارك الذي يقوده القدّيس دومنغو<sup>1072</sup> على طريقِ نَسْمَن فيها جيّدًا ما لم نضلّ.

هذا الذي هو أقربُ إليّ عن اليمين، كان أخي ومعلّمي؛ إنّه ألبرت<sup>1073</sup>، هو من كولونيا، وأنا توماس الإكويني<sup>1074</sup>.

وإذا أردت أن تعرف جميع الآخرين فلتأت مهتديًا بكلامي وتدور بنظرك حول التّاج السعيد كلّه.

هذه الشّعلة الأخرى تصدر عن ضحكِ غراتيان<sup>1075</sup> الذي كان عونهُ ثميًّا لكلا القانونين، فغدا في الفردوس مصدرَ مسرّة.

والآخر الذي يضيء إلى جانبه جوقتنا هو بيبير<sup>1076</sup> الذي أهدى الكنيسة، شأنه شأن المرأة الفقيرة، محتويات كنزهِ.

والنور الخامس<sup>1077</sup> الذي هو الأبهي ينضح بمثل هذه المحبّة بحيث يتميّ العالمُ كلّهُ على الأرض لو عرفَ أخباره.

فيه يكمن الفكر الأرفع الذي أحلّت فيه معرفة عميقة حتّى أنّه إن كان الحقّ هو الحقّ فما وُلد بعدُ من يرى مثله.

وإلى جانبه ترى نورَ تلك الشّمعة التي عاشت على الأرض في جسدها نفسه طبيعّة الملائكة ووظيفتها<sup>1078</sup>.

وأبعدَ منه في النور الصّغير يضحك ذلك المحامي عن أزمنة المسيحيّة الذي خدّمت لاتينيته أوغسطين<sup>1079</sup>.

وإذا كان فكرك يُنقل عينيه من نورٍ إلى آخر متبّعًا إطرأتي، فلا بدّ أنّك تلتهب الآن ظمًا إلى ثامنة السموات.

رؤية الخير فيها تُنعش الرّوح المباركة<sup>1080</sup> التي تكشف لمن يعرف السّمع زيفَ العالم.

الجسد الذي منه طردتُ هاجعُ هناك في [المكان المسمّى] "سماء الذهب": ولكنّ الشّهادة والمنفى رفعها حتّى هذا السّلام.

ثمّ أبعدهُ منه انظر إلى سطوع الأرواح اللّاهية لإيسيدورو وبيدا وريشار<sup>1081</sup>، الذي كان في التأمّل أكثر من مجرد إنسان.

وهذا الذي يرتدّ نظرك منه نحوي هو شعله روحٍ كان لها مشاغل عميقة حتّى كانت تستغرب كم بطيء هو الموت!

إنه التور السرمدي لسيجيري<sup>1082</sup> الذي علّم في شارع فوار، وعالج أفكارًا ألحقت به كبير ضرر»  
1083

ثم كالساعة التي تُنبهنا للحظة التي تنهض فيها امرأة الله<sup>1084</sup> من أجل صلاة السحر ليحبها زوجها،  
والنوابض يدفع بعضها بعضًا رائةً ومُحدثةً نغماتٍ رقيقة حتى لتُفعم الروح المتأهبة حبًا، رأيتُ إلى  
تلك الحلقة المجيدة وهي تبتعد مُوافقةً أصواتها بعدوية لا يمكن أن يذوقها أحدٌ إلا هناك حيث  
يتأبد الفرح<sup>1085</sup>

## الأنشودة الحادية عشرة

(سَمَاءُ الشَّمْسِ. بَطْلَانُ الهمومِ الأَرْضِيَّةِ وسَعَادَةُ السَّمَاءِ. شَكُوكُ دَانْتِي يَحْمَنُهَا وَيَعْتَرُّ عَنْهَا القَدِيسُ توماسُ الإِكْوِينِيّ. القَدِيسُ الإِكْوِينِيّ يَمْتَدِحُ القَدِيسَ فرانتشيسكو الأَسِيسِيّ وَيَأْسُفُ لَانْحِدَارِ الجُمُعِيَّةِ الدُّومِينِيكَانِيَّةِ).

يا للهموم الرّعاء للبشر الفانين،

أية مقدمات فاسدة <sup>1086</sup> تجعلك

تخفقين بجناحكِ واطئاً هكذا!

<sup>1087</sup> بعضهم يتبع الشرع وبعضهم الطبّ

وبعضهم الآخر يصبو إلى سلطة رهبنيّة،

بعضهم ينشد السيادة بالقوّة والسّفسطة،

وبعضهم يُعنى بالتهب أو بالتجارة،

بعضهم ينحبس في متعة الجسد حتّى يناله التعب،

وبعضهم يستعذب البطالة،

وفي تلك الأثناء، محرّراً من كلّ هذه الأعباء،

كنتُ عاليّاً، في السّماء، صحبةً بياتريشي

أستقبلُ بمثل هذه الحفاوة المجيدة!

عندما كانت كلّ شعلةٍ تعود

إلى التّقطة التي كانت فيها وسط الحلقة،

فهي تثبت فيها كما تثبت في الشمعدان شمعة.

وسمعتُ من ذلك النور الذي كلّمني

<sup>1088</sup> أولاً صوتاً يبدأ هكذا، مبستماً وبأكثر وضوحاً:

- «لما كنتُ أنال سطوعي كلّهُ من أشعة النور الأزليّ فبنظري هكذا إليه أحيطُ بمنبع أفكارك.

إنّك لتشكّ وتودّ أن يتشخّص لك كلامي في لغة واضحة وبيّنة، ليكون في متناول فكرك ما سبق أن

قلتُ: «حيثُ نُسمن جيّداً» <sup>1089</sup> ، وكذلك:

«ما وُلِدَ بَعْدُ مَنْ يَرى مثله» <sup>1090</sup> ، وهنا ينبغي أن نُحسن التّمييز.

إنّ العناية التي تحكّم هذا العالم بهذه الحكمة التي تضيع فيها كلّ نظرة من قبل أن تبلغ منها الغور؛

من أجل أن تذهب إلى محبوبها زوجة<sup>1091</sup> هذا الذي بها يتحد بكل دمهِ المباركَ في صرخاتٍ عظيمة، وهي أكثر ثقةً بنفسها وبالمحبوب، فإنَّ هذه العناية أوصتُ بها أميرين<sup>1092</sup> في مقدورهما أن يهدياها كلاً من جهته؛ الأوّل كان في حُمَيّاه سروفيّاً، والثاني، بفعل حكمةٍ أرضيّة، كان له سطوع نورٍ كرويّ<sup>1093</sup>.

سأتحدّث عن أحدهما لأننا إذ نمتدح واحداً منهما فإنما يتلقّى كلاهما المديح، ما دام صنيعاهما عرفاً غايةً واحدة.

بين تويينو والمياه التي تنزل من الكثيب المختار إلى أوبالدو السعيد<sup>1094</sup>، ينحدر من الجبل شاطئ خصب يُنزل على بيروجيا القبيظ والبرد عبر "باب الشمس"؛ ووراءه تبكي نوتشيرا وغوالدو من نيرٍ شديد الغظاظلة<sup>1095</sup>.

ومن ذلك الشاطئ حيثما يُلطف من انحداره، أقبلتُ إلى العالمِ شمسٌ كما تولد الشمس من الكنج أحياناً<sup>1096</sup>.

ومن ذكّر هذا المكان لزِمَ ألا يقول «أسيسا»، فما هذا بالشيء الكثير، بل «الشرق» إن هو رام الصواب.

فهو لم يكُ بالغ البعد عن الشروق عندما بدأ يهب الأرضَ بفضائله الكبيرة سلواناً كبيراً.

في شبابه<sup>1097</sup> أغضبَ أباه نفسه من أجل سيّدةٍ لا يفتح لها أحدٌ بابه عن سرورٍ، كما لا يفتح أحد للموت؛ وأمام حاشيته الرّوحانيّة وأمام أبيه<sup>1098</sup> تزوّجها، ومن يومٍ لآخر ازداد لها حبّاً.

لِحرمانها من بعلمها الأوّل<sup>1099</sup>، كانت هي قد بقيت ألف عام وأكثر كئيبةً ومزدرارة، وبلا خطيبٍ حتى التقته، لم يجدها نفعاً أن ذلك الذي كان يخيف الخلق أجمعين لقيها بجوار أميكلاس<sup>1100</sup> وادعته ومتطامنَةً لندائه؛ ولم يجدها نفعاً أنّها كانت شموساً ووفيةً، حتى أنّها صعدتُ إلى الصليب صحبة المسيح عندما بقيتُ مريم في أسفله؛ لكنّ حتى أوصل الكلام بلا أحاجي فلتعرف من كلامي المبهم هذا أنّ هذين العاشقين هما فرانتشيسكو والفقير<sup>1101</sup>.

كان وفاقهما ووجهاهما الفرحان والمحبة والعجب والنظرات الرّفيقة، جعلتُ منهما باعثَ أفكارٍ مباركة؛ حتى أنّ برناردو المبيجل<sup>1102</sup> نزغَ نعليه أولّ الناس ووراء سلامهما هذا ركض وهو يحسب أنه كان في الرّكض بطيئاً.

آه يا للترّاء المجهول!، يا للخير الخصيب!

فها هما إجيديو وسلفسترو يتحقّيان<sup>1103</sup>، وراء الزوج لفرط ما تسرّهما الزّوجة. ثمّ ابتعد ذلك السيّد، ذلك المعلم، مع سيّدته وكلّ هذه الأسرة التي كان حبّله المتواضع

يجمعها 1104 .

وما كان خرع القلب ليثقل رموش عينيه لأنّه ابن يبيترو برناردوني <sup>1105</sup> ولا مرآه الغريب البائس؛ ولكن بوقار الأمير أسرّ لإنوتشنتو <sup>1106</sup> بمقصده الصّعب وتلقّى منه ختم ديانتة الأوّل. وعندما كبر جمع الفقراء خلّفه هو الذي تُغنى حياته الرّائعة وسط مجد السّماء خير غناء، فإنّ رغبة هذا الأرشمنديت <sup>1107</sup> المباركة حظيت من الرّوح الأزليّ على يد هونوريوس <sup>1108</sup> بالتّاج الثّاني.

وعندما دفعه ظمؤه إلى الشّهادة إلى التّبشير قدّام السّلطان المتكبر بالسّيّد المسيح وأتباعه <sup>1109</sup>، ثمّ إذ ألقى ذلك الشّعب كثير الإحجام أمام إيمانه وحتى لا يمكث هناك عبثًا، رجّع ليحصد عشب إيطاليا، وعلى الصّخور القاسية بين تيفيرو والأرنو

تلقّى من المسيح الختم الثّالث الذي حملّه في جسده طيلة عامين <sup>1110</sup>. وعندما طاب لمن اختاره لهذا الخير العميم أن يرفعه لينال ثوابه الذي استحقّه إذ جعل من نفسه صغيرًا، فهو أوصى إخوته وجميع ورثته بسيدته الأعلى وأمرهم بأن يحبّوها بإيمان؛ ثمّ أرادت الرّوح الباهرة أن تفيض من صدرها لتفيء إلى ملكوتها، فما أراد لجسده ضريحًا آخر <sup>1111</sup>.

فكر الآن من كان رفيقه الوفيّ ليُبقى على سفين بطرس <sup>1112</sup> ماخرًا باستقامة في عرض البحر؛ كان ذلك هو بطيركنا وسترى آية محاصيل طيبة يحمل من يتبعونه <sup>1113</sup> مثلما يُشير. ولكنّ قطيعه صار نهمًا بالكلاً الجديد حتى لم يمنع نفسه من الانجرار إلى مراعي أخرى؛ وكلّما بعدت عنه معازة، شاردة، قلّ حليبها عندما ترجع إلى الحظيرة. صحيح أن بينها من يخشى الخطر فيتضامّ حول الرّاعي، ولكنّها من القلّة بحيث يكفي لدثارها قطع نسيج قليلة.

والآن إذا لم يكن واهيًا كلامي، وإذا كنت أصغيت لي بانتباه وحفظت ما قلت لك في ذاكرتك، فستكون رغبتك أرضيت في شطرٍ منها <sup>1114</sup>، لأنك ستري من أين تتجرد الشّجرة من أغصانها وترى لمّ صححت عبارتي:

«حيث نسمنُ جيّدًا، ما لم نضلّ».

## الأنشودة الثانية عشرة

(سَمَاءُ الشَّمْسِ: رَقص تاج الحكماء الثَّاني وغناؤه. القَدَّيس بونا فنتوره يمتدح القَدَّيس دومنغو ويأسف لانحدار النِّظام الفرانتشيسكاني. الحكماء الأحد عشر للتاج الثَّاني).

1115 ما إن نطقَتِ الشَّعلة المباركة

بكلامها الأخير حتَّى

شرعتِ الرِّحى المقدَّسة بالدوران؛

ولم تكنْ بعدُ قامتْ بدورتها

حتَّى أحاطتِ بها في حلقتها رحي أخرى

مُوافقةً الغناء بالغناء والرَّقص بالرَّقص؛

غناء يفوق بعدوبة ناياته

ربَّات إلهامنا وحواريَّات البحر،

كما يتفوق نورٌ على انعكاسه.

وكما ينطوي في غيمةٍ ناعمة

قوسان متوازيان وبألوانٍ متقاربة،

عندما يوفد يونون رسولته <sup>1116</sup> ،

ومن القوس الداخلي يولد الخارجي

1117 أشبه ما يكون بكلام تلك الولهي

التي أذابها الحبُّ إذابةً الشَّمس للضُّباب،

وعلى الأرض تصنع النَّاس من ذلك فألاً بمقتضى الوعد الذي قطعه الله لنوح بأنَّ الفيضان لن يُغرق العالمَ بعدُ أبدًا؛ فهكذا جعلتْ هذه الأوراد الأبدية تدور حولنا في إكليلين، فتردُّ الدَّانية منها على القاصية.

وعندما توقَّف الرَّقص وذلك الحفل الباذخ من الوهج والغناء، الذي كان النور يتحاور فيه والنور بفرح ورقة، وسكنا معًا بإرادةٍ واحدة كما تنفتح وتنطبق في آنٍ واحد عينان تحرَّكهما الغبطة؛ فمن

قلب إحدى تلك الشُّعل الجديدة صدر صوتٌ <sup>1118</sup> جعلني ألتفت إليه كما تتَّجه إلى النِّجم

إبرة <sup>1119</sup> وبدأ:

- «إنَّ المحبَّة التي تزيدني حُسناً تدعوني إلى الكلام عن الزَّعيم الروحي الآخر <sup>1120</sup> الذي قيل لك

باسمه عن زعيبي أنا خيرٌ كثير <sup>1121</sup>؛ فحيثما كان أحدهما لزم أن يحضر الثاني ليشعّ الإثنان في مجدٍ واحد ما دامَا خاضا النضال نفسه.

إن جيش المسيح الذي كلف كثيرًا أن يُعاد تحشيدَه وراء يافطته <sup>1122</sup>، كان يتقدّم ببالغ البطء، مرتابًا، ومتواضع العدد، وإذا بالامبراطور الأزليّ الحُكم <sup>1123</sup> يُنجد المحفل الذي كان بالمخاطر محفوفًا، وذلك بفضلٍ منه، لا عن استحقاق، وكما قيل لك أسعفت زوجته ببطلين أعادا بقولهما ويفعلهما إلى جادة الصواب الشعب الضالّ.

وفي الموضع الذي تهبّ فيه النّسائم لتفتّح برقتها الأوراق الجديدة التي تتلفّع بها أوريّه <sup>1124</sup>، غير بعيدٍ عن الأماكن التي تصطرع فيها الأمواج التي يطيب أحيانًا للشمس أن تتخفى وراءها بعد شوطها الطويل عن أعين البشر، تقيم كارالوغا <sup>1125</sup> المحظية محميةً بالدرع الكبيرة التي ارتسم عليها أسدٌ مستلقٍ فمُنْتَصِب:

هناك ولد العاشق الولهان للإيمان المسيحيّ، المصارع المبارك البالغ الرقة لمحبّيه والبالغ القسوة على أعدائه.

روحه كانت منذ أن خُلِقَ ملاءى بفضائل حيوية حتى أنّه وهو في بطن أمّه جعلَ منها نبيةً <sup>1126</sup>.  
وعندما عُقِدَ القران بينه والإيمان عند الينبوع المبارك حيث كان صداقهما النّجدة المتبادلة، رأت السيدة التي منّت عليه بالقبول في ما يرى النائم الأثر الزائع الذي سيطلع منه ومن ورثته <sup>1127</sup>.  
وليرتسم شخصه في اسمه جاء من السماء روحٌ يُسميه بصفة النسبة لسيده المطلق <sup>1128</sup>.  
سُمي دومنغو، وأنا أتحدث عنه كما أتحدّث عن البستانيّ الذي اختاره المسيح ليعينه في جنينته.  
وكان حقًا رسول المسيح وأحد ألافه، لأنّ محبّته الأولى كانت لوصية يسوع الأولى.  
غالبًا كانت مُرضعته تلقاه صامتًا يقظًا يقتعد الأرض كأنه يقول:  
- «إنما لأجل هذا جنّت».

يا لأبيه من سعيدٍ حقًا! ويا لأمه، كم هي حنّة من الله! <sup>1129</sup> إن كان التأويل صائبًا مثلما يُقال! لا من أجل الدنيا التي تلهث الناس وراءها في أيامنا متبعين تاديو أو عالمٍ أوستنسه <sup>1130</sup>، بل من أجل المَنّ الحقيقيّ، صارَ في زمنٍ قليلٍ عارفًا عظيمًا بحيث بات يحرس الكرامة التي سرعان ما تيبس إذا لم يكن الكرامُ حسنًا؛ ومن الكرسيّ الذي كان بالأمس أرحم على الفقراء العادلين قبل أن ينحدر لا بجريرته هو بل بجريرة من يشغله، طلب لا أن يُسدّد اثنين أو ثلاثةً مقابل ستّة، ولا أن ينال أوّل وظيفةٍ شاغرة، لا ولا الأعشار التي هي لفقراء الله <sup>1131</sup>، بل الترخيص بأن يذهب ليحارب ضليلي العالم لحماية بذار النبتات الأربع وعشرين المحيطة بك في هذه الساعة <sup>1132</sup>.



ثم، بالإرادة والإيمان والدّعم الرّسوليّ <sup>1133</sup> ، راح مندفعًا كمثّل تيّار مُندفق من أعلى ينبوع، وباندفاعه ذاك راح يُسدّد لأشواك الهراطقة أعنف الصّربات حيثما كانت المقاومة ولا أعتى.

ومنه ولدت فيما بعد جداول عديدة تسقي منذ ذلك الحين رياض المسيحيّة وتجعل أشجارها معافاة أكثر.

فإذا كانت كذلك إحدى عجلات العربة التي من عليها دافعت الكنيسة المباركة عن نفسها قاهرةً نزاعاتها الداخلية، فينبغي أن تتضح لك الآن فذاذة الآخر الذي نطق القديس توماس أمامك بمديحه

قبل مجيئي <sup>1134</sup> .

لكنّ الأخدود الذي رسمته ذروة دائرته بات مهجورًا والعنّ صار يعلو راسب الكلس <sup>1135</sup> .  
ولقد انفرط عقد عائلته التي كانت تضع خطواتها في خطواته حتى صار ذيلها يرتطم الآن

بالرأس <sup>1136</sup> ؛ وعمّا قريب سيُرى حصاد الرّرع السيء عندما سيشتكي الغث من أنّ الخزينة مغلقةٌ  
دونه <sup>1137</sup> .

صحيحٌ أنّ من يُورّق كتاب ملتنا صفحةً صفحةً سيجد هذه العبارة:

«كنتُ ما أنا عليه دومًا»، لكنّ مثل هؤلاء الخدّام لسنتنا لا يأتي بهم كزال ولا أكواسپارتا <sup>1138</sup> ،  
فواحدٌ تخلى عنها والآخَرُ بالغ صرامتها.

أنا روح بونافينتوره <sup>1139</sup> ، من بانيوريجيو، وفي كافّة كبار أعبائي ما أعرتُ مشاغل اليد اليسرى أيّ  
اهتمام.

هنا أوليميناتو وهنا أوغسطين <sup>1140</sup> ، اللذان كانا بين أول الحفاة الفقراء، وكلاهما صارا من خلان الله  
المُتمنطقين بالحبل.

يرافقهما هوغ دو سان-فكتور <sup>1141</sup> ، وبيير الأكل وبييرو الإسپاني <sup>1142</sup> الذي لمع على الأرض في  
اثني عشر كتابًا؛ وناتان النبي <sup>1143</sup> وكريزوستومو المدني وأنسيلمو ودوناتو هذا <sup>1144</sup> الذي كرس  
حياته للفنّ الأول.

وهنا رابانو <sup>1145</sup> وبُقربي يسطع الأب الكالبري جواكيمو <sup>1146</sup> ، الذي كان ذا روح نبوية.  
لمديح هذا الفارس العظيم حمسني دماثة أخي توماس اللاهبة وخطابه الجليّ، كما حمستُ معي  
هذه الجماعة.»

## الأنشودة الثالثة عشرة

(سماء الشمس: غناء ورقص مزدوج لتاجي المختارين. القديس توماس الإكويني يبدد شكوك دانتي حول المفاضلة بين حكمة كل من آدم وعيسى وسليمان. بواعث عدم تكافؤ الأرواح.)

1147

فيلتصوّر من أراد أن يدرك  
ما رأيتُ آنئذٍ وليبق على الصورة  
طالما تكلمتُ، ثابتةً كمثلي صخرة.  
خمسة عشر كوكبًا تتوزع السماء  
وتُنعشها بنورها القوي  
حتى ليشقّ النور سماكة الهواء؛  
وليتخيّل العربة التي يكفيها  
في النهار والليل فضاء سماوتنا  
والتي عندما ينعطف مقودها لا تختفي؛  
وليتخيّل فوهة ذلك الصوّر  
الذي يبدأ عند أقصى المحوّر  
الدائر حوله أوّل مدار،  
راسمًا في السماء علامتين

1148

كما فعلتِ ابنة مينوس  
عندما أحستُ ببرودة الموت؛  
وليتصوّر أيضًا أنهما تشعان الواحدة في الأخرى  
وأنهما تدوران على هذه الشاكلة  
بحيث تتقدّم الواحدة وترجع القهقري الثانية؛  
آنئذٍ سينال ما يشبه ظلًا  
من الكوكبة الحقّ والرّقص الرّوج  
المُكتنِف النقطة التي كنتُ فيها؛  
ذلك أنها بعيدة عما هو مألوفٌ لدينا  
بُعد سرعة السماء الأسرع

1149

عن مجرى المياه في تشايانا .

لم يكن يُعنى هناك لا لباخوس ولا لبيبان ، <sup>1150</sup>

بل لثلاثة في الطبع الإلهي،

وفي واحدٍ منهم الإلهي والإنساني.

بعدما اكتمل الطواف والرقص إلتفتت إلينا تلك الأنوار المباركة مسرورةً بالانتقال من صنيعٍ إلى آخر.

وإذا بالتور <sup>1151</sup> الذي سرد لي الحياة الشائقة لذلك الفقير لله، يكسر صمت تلك الإلوهات المنسجمة؛ قال لي - «عندما يكون قد دُرسَ الحصيد وحُزِنَ بذاره في الأهراء، فإن محبةً رفيقةً تدعوني لأدرسَ حصيدًا آخر.

مؤمنٌ أنت بأنه في ذلك الصدر الذي استلثت منه ضلعٌ لصوغِ الوجه الجميل الذي كلف فوه الدنيا

باهضَ الثمن <sup>1152</sup> ، وفي ذلك الصدر الآخر <sup>1153</sup> الذي اخترقه الريح وبذلك سدّد ما تقدم من الدّين وما تأخر حتى لم يعد لأبيّ خطيئة أمامه وزنٌ يُذكر، إنسكب كل ما يمكن أن تحويه الطبيعة البشرية من نورٍ، وكل ذلك بفضلٍ ممّن خلق كلا الإثنين، ولذا فأنت تندهش ممّا قلتُ عندما ذكرتُ أنه لم

يُولد ثانٍ للخير الممكنون في الشعلة الخامسة <sup>1154</sup> .

إفتح الآن عينيك لما سأقول وسترى إيمانك ومقالي وهما يتوافقان كالدائرة ومركزها.

كل ما خُلق، فانيًا كان أم أبديًا، إن هو إلا سطوع هذه الفكرة التي يُبدعها سيّدنا في محبته؛ ذلك أنّ التور الذي يصدر عن ألقه يظلّ لصيقًا به من دون فكاك كما بالمحبة التي تصبح فيهما ثلاثةً،

جامعًا بطيبوبته إشعاعاته، كما في مرآةٍ، في تسعة جواهر <sup>1155</sup> ، باقيا إلى الأبد فردًا.

ثم من فعلٍ إلى فعلٍ آخر ينزل إلى القدرات الأخيرة متحوّلًا بحيث لا يُنتج إلا ظواهر عرضيّة وجيزة.

بالعرضيات هذه أقصد أشياء مخلوقةً تتمخّض السّماء عنها بحركتها وحدها، ببدارٍ أو بدونه.

شمعها والسّماء الخاتمة صورتها متبدّلان، مما يجعلها تتفاوت في الشّاكلة التي بها تعكس نور

المثال <sup>1156</sup> .

ينتج عن هذا أنّ ذات الشّجرة بحسب فصيلتها تمنح ثمرًا يتراوح في طبيعته، وأنكم [أنتم معشر البشر] تولدون بأرواح مختلفة.

ومتى كان الشمع طيِّعًا بما فيّه الكفاية، وكانت السّماء في أقصى قدرتها، بأن نور الختم في كامل ألقه؛ بيّد أنّ الطبيعة توصله منقوصًا دومًا، متصرفةً على شاكلة الفنّان الحاذق في صنعته والذي ترتجف كفاه.

لكن إذا ما أحكمت المحبة اللاهبة دماغه الرّؤية الواضحة للقدرة الأولى نجم عن ذلك الكمال كلّه. هكذا أحييت الأرض بالأمس جديرةً باستقبال الكائن الحي الأكمل، وهكذا العذراء حبّلت؛ ولذا أجهز

بقبول قولك إنّ طبيعة البشر ما كانت ولن تكون أبدًا بمثل ما هي عليه في هذين الشّخصين <sup>1157</sup> .

والآن إذا لم أمضِ أبعد، فستبدأ هكذا كلماتك:

- «والآخر، كيف صارَ بلا نظير؟»؛ ولكي يُجلى لك ما ليس بجليّ، فلتفكّر بما كانه وما الذي خداه

1158

عندما قيل له «سَلْ» لأنّ يسأل .

أنا ما تكلمتُ بحيث تعجز عن أن تُبصر أنّه كان ملكًا، وأنّه قد سأل الحكمة ليكون في ملكه مقتدرًا؛ هو لم يطلب معرفة أعدادِ المحركاتِ في السّماء ولا إمكان أن يولد من لقاءِ الضّروريّ والعرضيّ

1159

ضروريّ آخر .

أو إن كان لازمًا أن يكونَ هناك محرّكٌ أوّل <sup>1160</sup>، أو إن كان من نصف الدّائرة يمكن أن ينشأ مثلثٌ لا تكون قائمةً أيّ من زواياه.

فإذا ما جمعت ما قلتُ لك الآن ومن قبل، فالحيطة الملكيّة هي هذه الرّؤية البلا نظير التي كان

1161

يروم أن يبلغها قصدي .

وإذا ما نظرت بوضوح إلى قولي: «ما وُلِدَ مَنْ يَرى مثله» لأدركت أنّّه لا يعني إلا الملوك <sup>1162</sup>، ذلك أنّهم كثرٌ وما أندر الصّالحَ فيهم! تملّ خطايي هذا بكامل الدقّة، وسترى أنّّه يتوافق وما تؤمن به بخصوص الأب الأوّل وحببنا.

وليكنّ لك هذا كالرّصاص في قدميك، لتسير الهويدي كمثل إنسانٍ متعب، صوب اللّا والنّعم اللّتين لست لتبصر: ذلك أنّ مَنْ يُثبت وينفي بلا تمييز في إحدى الحالتين كما في الأخرى ليقيب أسفل سافلين بين الحمقى؛ فإنّه ليحدث أن يجنح الرّأي المتعجّل ناحية الخطأ أغلب الأحيان، ثم إنّ الهوى يُقيّد البصيرة.

ومن تصيّد الحقّ دون أن يحدّق فنّه، غادر الشّاطئ سدى، بل بأسوأ من ذلك، لأنه لن يعود كما

1163

غادر .

1164

تلقى في العالم براهين ساطعةً على ذلك في بارمينديس وميليسوس وبريسوس وآخرين .

كانوا يسيرون غير عارفين إلى أين؛ هكذا انتهى سابيلوس وأريوس وأولئك المجانين <sup>1165</sup> الذين كانوا كمثل سيوفٍ مسلّطة على الإنجيل، والذين كانوا يلوون ما كان قويمًا.

فلا يكن المرء مفرط الثقة برأيه عندما يُطلق الحُكم فيكون كمن يحسب القمح في الحقل ناضجًا قبل أن يكون كذلك.

فلقد أبصرتُ الشّوك في الشتاء صارمَ الحدّ لاسعًا في وخزاته، ثم بعد ذلك يحمل في أعلاه الورد؛ ورأيتُ المركبَ مستقيمًا ومُسرعًا يمخر العباب في كامل شوطه، ثم يغرق في النهاية وقد اقترب من المرفأ.

1166

فلا يحسبن أحدٌ إن هو أبصر واحدًا يمارس التّهّب وثانيًا يقدم القرابين، أنه قابضٌ على حُكم

الله، فيمكن أن يعلو الأول ويسقط من عليائه الثاني.»

## الأنشودة الرابعة عشرة

(سماء الشمس: شكوك دانتى حول النشور. رقصة المختارين. النبي سليمان يبدد شكوك دانتى. ظهور تاج ثالث للمختارين. الارتقاء إلى السماء الخامسة، سماء المريخ: أرواح من حاربوا من أجل الإيمان. جوقتان لأرواح المريخ تشكّان تاجًا منيرًا يُطلق المسيح منه بروقًا. جمال بياتريشي يتعاضم. جدل دانتى).

من المركز إلى المحيط أو من المحيط إلى المركز  
ينتشر الماء في موجاتٍ في الدورق المستدير  
بحسبما نلمسه من داخلٍ أو من الحواف،  
وعلى هذا النحو تداعث في ذهني هذه الكلمات  
ما إن فاءت إلى الصمت روح توماس المجيدة،  
وذلك بباعثٍ من الشبه الذي لاحظته  
بين كلامه وكلام بياتريشي  
التي طاب لها أن تبدأ حال انتهائه:  
- «هذا محتاج، وإن لم يفصح عنه،  
لا بصوته ولا في فكره،  
لأن يتوغّل في حقيقةٍ أخرى.  
فلتقولوا له إن كان النور  
الذي به يزدان جوهركم سيلازمكم  
إلى الأبد كما في هذه اللحظة؛  
وإذا كان يلازمكم فلتُخبروه  
كيف لا يجرح أبصاركم  
عندما تصبحون مرتبين في جسدكم ثانية.»

مثلما يجعل مزيدٌ من الفرح الرّاقصين في حلقةٍ أحيانًا يرفعون صوتهم ويزيدون من إيماءاتهم، فإنّ ذلك الالتماس الورع والصّريح جعل الحلقات المباركة تبدي بهجةٍ أخرى في دورانها وغنائها البديعين.

من شكي من أننا نموت على الأرض لنعاود العيش في السماء فلأنّه لم يُبصر نداوة ذلك التثيث الأبدي.

الواحد الزوج الثالوث <sup>1167</sup> الذي يحيا أبدًا ويسود أبدًا بما هو واحدٌ واثنان وثلاثة، محيطًا بنا من دون أن يُحاط به، غنته ثلاثًا كلٌّ من تلك الأرواح بنغمٍ هو من العذوبة بحيث يصلح ثوابًا لأسمى

فضيلة.

ومن النور الأكثر إلهية <sup>1168</sup> في أصغر تلك الحلقات سمعت صوتًا ربما كان بتواضع صوت الملاك في كلامه لمريم، وهو يُجيب: - «طالما دام العيد في الفردوس فإنّ محبتنا ستسج حولنا رداءً كهذا. نوره آتٍ من الحميا والحميا من مضاء الرؤية، وإنّه ليكبر بقدر ما يُضاف من الفضل على استحقاقاته.

وعندما نكون استعدنا جسدنا المجيدَ المباركَ فإنّ كيان الواحد منّا سيتلقّى مزيدًا من الفضل ما دام اكتملَ أخيرًا؛ هكذا يزيد ما يُعطيناها الخيرُ العليّ من نورٍ مجايّ يُكيّف لمرآه أبعارنا؛ من هنا لزم أن تتسع الرؤية وتكبر الحميا المتأججة فيها وتتعاظم الأشعة المنبثقة منها.

وكما يُطلع الفحم نازًا ويفوقها بنصاعة بياضه، فيدوم مرآه بعد زواله، فهكذا سيكون الألق الذي يكسونا الآن مقهورًا بمظاهر جسدنا الذي يكتنفه الآن التراب؛ وكلّ هذا النور لن يتسبّب لنا بأيّ ضيق، لأنّ أعضاء الجسد ستقوى فتحتمل كلّ ما يُبهجنا. « كانت أرواح تينك الجوقتين من السرعة

ومن اللهفة في قول «آمين!» <sup>1169</sup> ، بحيث لم تخف رغبتها في استعادة جسدها الميت <sup>1170</sup> : ربما لا من أجل أنفسها بل من أجل أمهاتها وآبائها وكلّ من كان لديها عزيزًا قبل أن تصير شعلاً أبدية. وهوذا نورٌ منضافٌ إلى النور المنتشر من قبل ينبثق في المجال منتظم الإشعاع، أشبه ما يكون بأفقي يتضوّأ.

وكما ترسم في السماء مع تصاعد المساء صورًا جديدة يبدو لنا مرآها حقيقيًا وغير حقيقي، بدا لي أنني بدأت ألمح جواهرَ جديدةً تطوف حول الحلقتين الأخريين.

يا له توهجًا خالصًا للروح القدس! كم كان مفاجئًا وشديد التأجج فلم تحتمله عيناى الحاسرتان! ولكنّ بياتريشي بدت لي من الفتنة والابتسام بحيث أودّ لو أتركها بين تلك الرؤى التي لم تمسك بها ذاكرتي.

ثم استعادت عيناى مضاءهما فألفيتني محمولًا وسيدتي إلى موئل للخلاص أعلى <sup>1171</sup> .  
ومن الضحك المتأجج للنجم الذي بدا لي أكثر وهجًا ممّا في العادة اتّضح لي أنني ارتقيتُ.  
ومن كلّ قلبي، ومستخدمًا ذلك اللسان الذي هو واحدٌ لدى الجميع، أهديتني قربانًا لله إكرامًا لفضله الجديد.

ولم تكن لفحة التضحية هدأت في فؤادي بعدُ عندما فهمتُ أنها حظيت بكامل القبول؛ ذلك أن أنواعًا أخرى ظهرت لي بألق الأرجوان في صقّين فهتفتُ:

- «كم تُجمّلينهم أيتها الشمس <sup>1172</sup> !»

وكما تبيض المجرة بين القطبين، مزدانةً بشعل كبيرة وصغيرة، مثيرة حيرة الحكماء <sup>1173</sup> ، فهكذا، في قلب المريخ، كانت تلك الأنوار المكوّبة ترسم العلامة الموقرة التي بها يصنع التقاء الأضلاع

الأربعة دائرة <sup>1174</sup> .

ولكنّ ذاكرتي تدحر ههنا المخيّلة، فالمسيح كانَ على ذلك الصّليب من السّطوع بحيث لا أجد مثلاً يفیه حقّه.

بيد أن من حمل صليبه وراء المسيح سيعذرني لما لا أفجح في قوله، عندما يرى المسيح ساطعاً في ذياك البياض.

من ذراعٍ إلى أخرى، ومن أعلى الرأس حتّى أخصم القدم كانت أنوارٌ تجول قويّة الألق، تتقاطع ويَجوز بعضها البعض: فكما نرى هنا هباء الأَجسام مستقيماً ومنحنياً، سريعاً ومُبطئاً، متبدّل الهيئة، على طولٍ أو على قصر، متحرّكاً في ذلك الخَطّ من النّور الذي يحزّز الظلّ الذي يهيّؤه الإنسان ببراءةٍ وحذقٍ محتمياً به أحياناً؛ وكما يصنع القيثار والأرغول في وفاقٍ أوتارهما المشدودة رنيناً عذباً حتى في أدنّ من ليس يُميّز النّغم، فهكذا، من الأنوار التي كانت تبدو لي هناك، كان ينثال في ذلك الصّليب لحنٌ أوقعني في الجذل دون أن أتبيّن الغناء.

ففهمتُ أنّ ذاك كان مديحاً بالغ العلوّ لأنّ العبارتين «كنّ ظافراً» و«انبعث!» <sup>1175</sup> كانتا تأتيانني كما لإنسانٍ يسمع وليس يفهم.

فسحرنني ذلك الغناء كله ولا سيّما أنني ما عرفتُ قبلاً ما يوثقني بوثاقٍ هو بمثل هذه اللدونة.

ولعلّ كلامي يبدو مفرط الاجتراء إذ يتغاضى عن فتنة تينك المقلتين اللتين تُريح رؤيتهما

صَبّواتي <sup>1176</sup>؛ بيد أنّ من أدرك أنّ هذين الخُثمين الحيين للجمال هما في العلى أشدّ لدعاً، وأنني صوبتهما لم ألتفتُ، فله أنّ يعذرلي ما أدين به نفسي معتذراً منه، إذ يرى صدق ما أقول: فالمتعة المباركة ما هي هنا بالمستبعدة ما دامت، بقدر ما نرتقي، تصير أنقى.



## الأنشودة الخامسة عشرة

(سماء المريخ. صمت الطوباويين. دانتي يتلقى تحية جد الأعلى كاتشاغويدا. حياة كاتشاغويدا. شجرة أنساب العائلة. مديح فلورنسة القديمة).

إن إرادة الخير التي ينصهر فيها  
الحب الطامح باستقامة

كما ينصهر الجشع في إرادة الشر <sup>1177</sup> ،  
فرضت السكوت على ذلك القيثار العذب الرنين  
واستراحة على الأوتار المباركة

التي تعالجها يد السماء قبضًا وبسطًا <sup>1178</sup> .  
فكيف تصم آذانها عن أسئلة مفعمة عدلًا  
هذه الجواهر التي أجمعت على الصمت  
لتهبني لذاذة أن أسألها؟  
إن لمن العدل أن يشقى دون انتهاء  
من يتجرد من مثل هذه المحبة  
راكضًا وراء محبة أشياء تزول.  
وكما تنزلق في السموات النقية الهادئة،  
من برهة إلى أخرى شعله مفاجئة،  
جاذبة العينين اللتين كانتا ساهمتين،  
وتخالها نجمة تغير موضعها

لولا أنه في الموضع الذي التمعت فيه لا شيء يضيع <sup>1179</sup> ، ثم إنها لا تدوم؛ فهكذا، من الكوكبة

الساطعة هناك <sup>1180</sup> ، مرّ نجم انطلق من الذراع الممتدة يمينًا حتى أسفل ذلك الصليب؛ ولم

ينفض فص هذه الجوهرة من غلافه بل اخترق المنطقة المشعة <sup>1181</sup> ، أشبه ما يكون بنار تشتعل  
وراء مرمز: هكذا انتفض شبح أنكيسيس عندما لمح ابنه في جنة النعيم، إن كان يمكن الوثوق  
بذاكرة ربة إلهامنا، - «آه يا سليل دمي، يا من أنت البركة الربانية الغامرة، لمن سواك فتحت بوابة

السماء مرتين؟» <sup>1182</sup> .

هكذا تكلمت تلك الشعلة فالتفت بعيني إلى سيدي ولقد دُهِشت من كلتا الناحيتين <sup>1183</sup> ، ففي

عينها كان يلتمع ضحكُ جعلني أعتقد بأنني كنتُ ألمس بعيني غورَ فرودوسي ومجدي.  
ثم إن تلك الروح التي كانت تسرّ كلاً من البصر والسمع، أضافتُ إلى كلماتها الأولى تلك الأشياء لم أفهمها لفرط ما كان كلامها عميقاً؛ ولم يكن ذلك عن رغبةٍ في أن تتخفى عني بل عن ضرورةٍ، لأن تفكيرها كان يجوز قدراتِ البشر الفانين.

وعندما ارتختُ قوس تلك العاطفة اللّهابة ونزل كلامها حتى ذلك العلو الذي يقتدر عليه ذكاؤنا (البشري)، فإن أول ما قدرتُ على فهمه كان:

- «بورك لك أيها الواحد الأحد والثالث يا من تنعمت هكذا على أبناء سلالاتي أنا!» ثم أضاف: -

«إن الجوع العزيز <sup>1184</sup> المتطاول الأمد، الذي عرفتُ عندما قرأتُ السفر العظيم الذي لا يعرف بياضه ولا سواده شطبةً واحدة، هوذا أنت تُلطفه يا بني في هذا التور الذي منه أناجيك وبفضل

هذه <sup>1185</sup> التي مددتك من أجل هذا الطيران الشاهق بجناحين.

مؤمن أنت بأن تفكيرك يبلغني عبر الموجود الأول كما يطلع من الواحد، ما إن نكون عرفناه، خمسة وستة؛ ولذا فإنك لا تسألني من أنا ولا لم أنا فرحان أكثر من سواي في هذا الحشد.

وإن اعتقادك لحق، فالصغار والكبار <sup>1186</sup> في حياتنا هنا ينظرون إلى الجامة التي يتجلى فيها فكرك قبل أن تشرع أنت بالتفكير؛ ولكن ليكتمل بأفضل صورة الحب المبارك الذي يشهد في أعذب الرغاب، والذي فيه أسهر في رؤى سرمدية، فليعرب صوتك، واثقاً، فرحاً، وشجاعاً، عن إرادتك وليفصح عن رغبتك، فإجابتي عليهما متأهبةً بادئ ذي بدء!«.

فاستدرتُ إلى بياتريشي ولقد فهمتُ قبل أن أتكلّم وبابتسامٍ رسمتُ إشارةً أنبتت لإرادتي جناحين.

فبدأتُ: - «إن المحبة والذكاء، منذ أن تجلّت لكم المساواة الأولى <sup>1187</sup>، لهما عند كل منكم الوزن نفسه، ذلك أن الشمس التي أشعلتكم وألهبت الواحد منكم بنورها وحرارتها هي من التساوي بحيث

تقصر دونها كل مساواة <sup>1188</sup> ولكن الرغبة والمعرفة لدينا نحن الفانين لا تتمتعان بجناحين متكافئين وذلك للسبب الذي هيئات عليك يخفي؛ وأنا، إذ أنا من الفانين، أشعر بأني مغمور في عدم

التكافؤ هذا <sup>1189</sup>، ولذا فمن القلب وحده أشكر الفرح الأبوي.

وإنني لأرجوك أيهذا الزبرجد المشع الذي يحلّي هذه الجوهرة <sup>1190</sup>، أن تُشبع نهمي لمعرفة اسمك».

فبدأ إجابته هكذا:

- «يا ورقة طالعة مّي وأفرحتني حتى في الانتظار، إنني كنتُ جذرك <sup>1191</sup>؛ وذلك الذي وهب أُسرتك اسمه، والذي منذ أكثر من مئة عام يدور حول الإفريز الأول [من جبل المظهر]، إنما هو ابني

وجدك الأعلى <sup>1192</sup>، ولذا فمن العدل أن توجز بأعمالك الطيبة عناءه المديد.

فلورنسة، في سورها القديم، حيث ما تزال تُقرع الأجراس لصلاة الثالثة والتاسعة <sup>1193</sup> ، كانت يومذاك في سلامٍ، متقشّفةً وحيّيةً.

لم يكن يُرى فيها لا تيجان ولا عقود، ولا هذه الأتواب المطرزة ولا الأحزمة التي تبهر النَّظَرَ أكثر من الشَّخص.

ما كانت البنت في ولادتها لِتُخيف بعدُ أباهَا، لأنه لا السنّ ولا الصِّداق كانا يتجاوزان حدود المعقول <sup>1194</sup> ؛ لم يكن فيها منزلٌ بلا عائلة؛ وما كان جاء بعدُ سارناداपाल <sup>1195</sup> ليكشف عمّا كان في الحجرة مُباحًا.

لم يكن مونتيمالو <sup>1196</sup> بعدُ مسبوقةً بجبلكم أوتشيلاتويو <sup>1197</sup> الذي مثلما كان سابقًا له في العلوّ فسيكون كذلك في الانحدار.

رأيتُ بيلينتشون بيرتي <sup>1198</sup> يمضي مزننًا بالجلد والعظم وزوجته تُبارح مرآتها بمحيًا لا تطليه المساحيق؛ ورأيتُ بعضًا من آل نيرلي وآل فيكيو <sup>1199</sup> يكتفون بجلودٍ غير مبطنة، ونساؤهم رأيتهنّ قدام المسحج والمغزل.

يا للمحظوظات! كل منهنّ كانت واثقةً من نيلها مدفنًا، ولا واحدة كانت تُهجر من أجل فرنسا في فراشها <sup>1200</sup> .

إحداهن كانت تسهر على المهد وتهدئ صغيرها باستخدام تلك اللهجة التي كانت تؤنس أولًا الآباء والأمهات <sup>1201</sup> ؛ وسواها، بينا تسحب صوفها من مسحجه، كانت تقص على ذويها حكايات طروادة وفييزولي وروما.

وكان شبّيه لاپو سالتاريلو أو تشانغيلًا <sup>1202</sup> سيثيران العجب ذاته الذي سيثيره اليوم تشينتشيناتوس أو كورنيليا <sup>1203</sup> .

في تلك الحياة الجميلة الهانئة للمواطنين، في هذا العيش الجماعي الآمن وعدوبة المقام تلك، أظهرتني إلى النور مريم وقد نوديت بصرخاتٍ عظيمةٍ، وفي معمدانكم القديم صرتُ مسيحيًا ودُعيْتُ كاتشاغويد <sup>1204</sup> .

مورونتو كان أخي وكذلك أليزيو <sup>1205</sup> ؛ ومن وادي اليو جاءتني امرأتي؛ هكذا نشأ الإسم الذي تحمله أنت <sup>1206</sup> .

ثم تبعْتُ الإمبراطور كونراد <sup>1207</sup> ؛ ولقد عيّنتني بين فرسانه لفرط ما سرته مآثري.

تبعته لأحارب جورّ القوانين التي باسمها يغتصب ذلك الشعب عدالتكم، بخطيئة البابوات <sup>1208</sup> .

هناك خلّصني أولئك القوم الأردّياء من جميع أوهام العالم التي تُذبلُ محبّتها أرواحًا كثيرة؛ ومن  
الشّهادة أقبلتُ إلى هذا السّلام <sup>1209</sup> .«

## الأنشودة السادسة عشرة

(سما المريخ. إفتخار دانتي بانتماء أسرته إلى النبالة. دانتي يطرح أسئلة على سلفه. أجوبة كاتشاغويدا حول تاريخ فلورنسة: اختلاط السّكان وانحدار كبار العائلات الفورنسيّة واندثارها.)

يا لك يا نبالة الدم من شيءٍ ضئيل!  
فأنّ تجعلي الناس يفتخرون بكِ  
على الأرض حيث تفتّر عندنا المحبة،  
فلا عجب في هذا البتة؛

فحتى هناك حيث لا تعرف الرغبة اعوجاجًا،

1210 أقصد في السموات، شعرتُ أنا منكِ بالعظمة  
حقًا إنكِ عباءةٌ سرعانَ ما تقصر  
فإذا لم نُطلها يومًا بعد يوم،  
دارَ حولها الزمن بمقاصه.

1211 بدأتُ بالكلام مستخدمًا «أنتم»  
هذه التي تبتئها روما قبل سواها  
والتي راعاها شعبها أقلّ من سواه،  
فضحكّت بياتريشي، المنعزلة عتًا، وبدتْ

1212 كمثّل تلك التي جعلتْ تعطس  
لدى أول هفوة ارتكبتها كما يروى غينييفر

فبدأتُ: - «إنكم لأبي وإنكم لتهبونني للكلام هذه الجراءة وترفعوني عاليًا فأكون أكثر من نفسي.  
وإنّ روافد كثيرة لتفعم بالفرح فكري حتى ليغتبط من احتمال فرحه دون أن ينكسر.  
فأخبروني يا أصليّ العزيز من كانوا أسلافنا وأية أعوام رافقتْ عهد طفولتكم كّموني عن موئل  
القديس يوحنا 1213 كما كان في ذلك العهد ومن كان الناس الجديرون فيه بأسمى الأعباء».

وكما يتأجج بهبة من الريح فحمٌ مشتعلٌ فهكذا رأيتُ ذلك النور يسطع لِسماحٍ إطراءاتي؛ وكما لاح  
لعيني أكثر جمالًا، قال لي بصوتٍ أعذب وأرقّ، لكن لا بلسانًا الحديث هذا:

- «منذ يوم البشارة لمريم حتى اليوم الذي وضعتني فيه أمي التي هي الآن بين الطوباويين، مرّت هذه  
الشعلة ببرجها برج الأسد خمسمائة وثمانين مرة 1214 لتُذكي نارها عند قائمتيه 1215 .

وُلدنا أنا وأجدادي في الموضوع الذي فيه يبلغ الحارة السادسة مَنْ يركضون في سباقكم السنوي <sup>1216</sup> .

ولتكفك هذه الكلمات عن أجدادي: فإنه ليحسُن الصمت لا الكلام عما كانوا ومن أين جاؤوا إلى هنا <sup>1217</sup> .

كل من كانوا هناك في ذلك العهد صالحين لحمل السلاح بين [تمثال] مارسَ والمعمدان <sup>1218</sup> ، كانوا حُمس الشعب الحالي.

ولكن السّكان الذين يختلطون اليومَ بالآتين من كامبي وتشيرتالدو وفيغيني <sup>1219</sup> ، كانوا في أدنى حرَفِيَّهم من دمٍ صراح.

آه كم يَحسُن أن يكون هؤلاء الذين ذكرتُ جيرانًا لكم وأن تتحدد تخومكم بغالوتزو وتريسيانو <sup>1220</sup> ، بدل أن يكونوا في المدينة فتتكبّدوا عفونة أغوليون الشرير وسينيا <sup>1221</sup> الذي يدرّب من الآن عينه من أجل التّهب <sup>1222</sup> .

ولو أن العصابة الأكثر فسادًا في العالم لم تكن لقيصر رابّة قاسية <sup>1223</sup> بل حنونًا كأّمٍ بإزاء ابنها، فإن ذلك الذي صار فلورنسيًا وصار يعمل صرافًا وتاجرًا كان سيعود إلى سيميْفونتي حيث كان جده يقوم بجولاته <sup>1224</sup> ، ولكانت مونتيمورلو ما تزال بأيدي آل كونتي، ولبقي آل تشيركي في كنيسة أكوّني الصغيرة، والبوودلونتي ربما كانوا ما يزالون في وادي غريفي <sup>1225</sup> .

ذلك أنّ اختلاط السّكان هو دومًا منبع الشر في المدينة، كما هو بالنسبة إليكم نافل الطعام؛ وإن ثورًا أعمى لينهار قبل الحمل الأعمى، وإن سيفًا وحيدًا ليقطع غالبًا بأفضل وأكثَر من سيوفٍ خمسة.

فلو رأيت لوني وأورسيباغليا <sup>1226</sup> وما آلتا إليه وكيف تقفوا آثارهما كيوسي وسينسغاليا، فلن يبدو لك فاجعًا ولا غريبًا أن تسمع كيف تنحدر العائلات ما دام للمدن هي أيضًا نهايتها. جميع أشيائكم مقدّر لها أن تموت، كمثلكم أنتم، لكنّ هذا يخفى بإزاء البعض منها مما يعمر طويلاً، وقصيرةً هي الأعمار.

وكما تكشف دورات القمر والسّماء عن الشواطئ وتخفيها دون انقطاع، فهكذا فعلَ القدر مع فلورنسة: فلا يدهشك ما سأقول عن بعض كبار أهل المدينة ممن انطوت ذكراهم في مجرى الأزمان.

لقد رأيت آل أوغي وآل كاتيليني وآل فيليبي وآل غريتشبي وآل أورماني وآل ألبيريكي، وجميعهم مواطنون مرموقون، إلى السقوط يؤولون <sup>1227</sup> .

ورأيت من هم كبارٌ بقدر ما هم عريقون، من آل سانيلّا إلى آل آرکا، فال سولدانييري فال أردينغي

فآل بوستيكي <sup>1228</sup> .

وقرب الباب المحمل في هذه اللحظة بأوزار خيانة جديدة تثقل على الحمل حتى لتهدد بإغراق مركبكم، كان يقف آل رافينياني ومنهم يتحدّر الكونت غويدو وجميع من حملوا فيما بعد اسم

بيلينتشوني العظيم <sup>1229</sup> .

كان أهل پريسا من قبل يعرفون كيف تُحكّم المدن، وكان لآل غالغايو من قبل شعارهم المتمثل في شارب السيف والرمانة المذهبة <sup>1230</sup> .

كان شريط الفير من قبل عظيمًا <sup>1231</sup> ، وكذلك آل ساكيتي وآل جيوكي وآل فيفانتي وآل باروتشي وآل غالي، ومن ما يزالون يحمّرون خجلًا من صاع الملح <sup>1232</sup> .

والجذر الذي ولد منه آل كالفوتشي كان من قبل نبيلًا، وآل سيتزي وال آريغوتشي كانوا من قبل يشغلون كبير المناصب.

أواه كيف رأيتُ من هزمتهم خيلاؤهم! والكريات الذهبية <sup>1233</sup> كانت تعود لفلورنسة بالمجد في جميع المآثر.

وكذلك كان آباء أولئك الذين كلّمنا شغرتُ كنيستكم سَمِنوا باحتلال مجمع الكرادلة <sup>1234</sup> ؛ والفصيلة

المتغطرسة التي تصبح كالتنين <sup>1235</sup> وراء من يهرب وكالحمل تهدأ أمام من يكشف لها عن أنيابه أو عن صرته، كانت بدأت من قبل بالظهور من أناسٍ وضعاء آلم أوبرتين دوناتو كثيرًا أن يُصبح بباعثٍ

من صهره قرييهم <sup>1236</sup> .

من قبل كان كويانسكو قد نزل من سوق فييزولي، ومن قبل كان جودا وإنفاغاتو من الأعيان. وسأقول شيئًا يتعدّر على التصديق وإن كان حقًا: فإلى السور الصغير كتنا نلج عبر باب كان يستمدّ

اسمه من أهل الپيرا <sup>1237</sup> .

وجميع من يحملون الشعار الجميل شعار البارون العظيم الذي يُحتفل باسمه وبمجده في يوم القديس توماس، كان ينالون ذلك اليوم رتبة الفارس وامتيازاته <sup>1238</sup> ؛ هذا مع أنّ من أضاف إلى

شعاره تطريزًا يؤثّر اليوم أن يختلط بالشعب <sup>1239</sup> .

كان آل غوالتيروتي وآل إمپورتيني من قبل هنا؛ وكانت حارة البورغو ستكون أهدأ لو لم تستقبل

جيرانها الجدد <sup>1240</sup> .

والأسرة التي هي باعث دموعكم المنهمة <sup>1241</sup> ، باعثٍ من الغضب العادل الذي قتل الكثيرين منكم ووضع لحياتكم الهانئة حدًا كانت تُمجّد، هي وحلفاؤها.

أواه يا بوونديلمونتي <sup>1242</sup> ، ليتك لم تهرب من خطوبتها مدفوعاً بنصيحة الغير! كان حزاني كثيرون  
سيُسعدون لو انّ الله أسلمك لأمواج الإيما <sup>1243</sup> عندما جئت إلى المدينة لأوّل مرّة.



## الأنشودة السابعة عشرة

(سماء المريخ. دانتي قلىق على مستقبله. نبوءة كاتشاغويدا: منفى الشاعر. المهمة: ينبغي الكلام.)

مثلما جاء إلى كليميني ليتأكد  
مما كان شائعاً عنه ذلك الذي

1244 ما برح يُسبّب قسوة الآباء على الأبناء ؛  
فهكذا كنتُ أنا نفسي، وهكذا كنتُ أبدو

1245 لبياتريشي وللشعلة المباركة  
التي غيّرتُ لتكلمي موقعها.  
فبدأتُ سيدتي: - «إلى الخارج فلنُظهر  
شعلة رغبتك ولتجعلها تنبثق  
موسومةً بدمغةٍ دواخلك؛  
لا لكي تزيد معارفنا

بكلامك، بل من أجل أن تتعلم  
أن تقول عطشك، ولكي نسقيك فتشرب».

1246 - «يا جذراً عزيزاً لقومي، إنك لتمضي  
إلى العلى، وكما يدرك أبناء الأرض  
ببالغ اليسر أن مثلثاً لا يضم زاويتين منفرجتين،  
فهكذا يُمسك نظرك بالعرضي  
قبل أن يكون، بتطلعك إلى النقطة  
الحاضرة جميع الأزمنة فيها؛  
عندما كنتُ صحبة فرجيليو  
على امتداد الجبل حيث تظهّر الأرواح  
أو نازلاً في عالم الميتين،  
قيل لي عن حياتي القادمة  
أشياء تُثقل عليّ 1247 مع أني أراني  
منيعاً على ضربات الأقدار.

وعليه فستكون رغبتى مُرضية إذا ما سمعتُ أي حَظٌّ يسعى إليّ؛ ذلك أن السَّهمَ المتوقَّع يظلّ أقلّ مضاءً من غيره.» هكذا تكلمت مُخاطبًا النور الذي كلَّمني الأوَّل، وكما طلبته بياتريشي فهي ذي رغبتى مُزاحُ النَّقابِ عنها.

وبدون تلكِ المداورة التي كان الناسُ الحمقى يتخبَّطون فيها بالأمس قبلَ أن يُدبِحَ حملَ الله الذي يغسل الذَّنوب، بل بكلماتٍ واضحةٍ وخطابٍ ملموسٍ أجاب ذلك الحَبَّ الأبويّ، المحتوى والمكشوف للنَّظيرِ في ضحكته:

- «العَرَضِيُّ الذي لا يتعدَّى لديكم صفحاتِ دفترِ موضوعاتكم <sup>1248</sup>، مرسومٌ بكامله في خاطر الله؛ بيدَ أنه لا يكتسب فيه معنى الصُّرورة مثلما لا يكتسبه القارب المنحدر في التَّيار في العين التي ينعكس هو فيها. ومن هنا، فكما يأتي إلى الأذن لحنُ الأرغن العذب، فالى عينيّ يأتي الزَّمن الذي يتهيأ لك.

فكما خرج هيبوليتوس من أثينا، بسببٍ من رابته <sup>1249</sup> الخبيثة القاسية، ستغادر أنتَ فلورنسة. هذا ما يُراد وما يُفكَّر به من قبل، ومَن يفكرون به سينالونه عما قريب حيثما يُتاجر بالمسيح كلَّ يوم <sup>1250</sup>.

وكما في العادة ستعزو إشاعة الناس الخطأ إلى المعتدى عليه، ولكنَّ الانتقام سيشهد للحقيقة التي تُتيحه. ستدعُ كلَّ مَنْ هو عزيزٌ عندك، وتمحضه أعلى محبةٍ <sup>1251</sup>، وهذا هو السَّهم الذي تسدده قوس المنفى بادئ ذي بدء. وستُحسَّ كم هو لاذعُ الملوحة خبزُ الغير، وكم هو عسير صعودُ سلم الغير ونزوله.

وما سيُثقل على كتفيك أكثر هو الرِّفقة السيئة والحمقاء التي ستسقط وإياها في ذلك الوادي <sup>1252</sup>؛ رفقة كلِّها جاحدة، مجنونة وكافرة، ستناصبك العدا، ولكنَّ عمَّا قريب سيحمرَّ جبينها من العار، هي لا أنت.

سُنَّبت أعمالها بهيميَّتها وسترى كم كان جميلاً أنّك شكَّلت بمفردك حزباً <sup>1253</sup>. وسيكون ملجأك الأوَّل وملاذِك دماثة اللومبارديّ العظيم الحامل الطائر المبارك على الأدرج <sup>1254</sup>. سيُلقي عليك نظراتِ حنان ومن الطلب والنيل بينكما سيأتي عاجلاً ما يأتي لدى سواه ببالغ البطء. عنده ستلتقي ذلك الذي حملَ منذ الولادة وسمَ نجمة السَّعود تلك التي ستطبع جميع فعّاله بالعظمة <sup>1255</sup>.

لم تلتفتِ النَّاسُ إليه بعدُ لِحدائثة سنّه، ذلك أنّ هذه المدارات لم تدرُ بعدُ حوله غيرَ تسع سنوات؛ ولكنَّ قبلَ أن يخدع الغاسكونيّ هنري العظيم <sup>1256</sup>، ستُطلق فضائله هو ألقها بازدرائه الذهب والأتعاب.

وسيلقى سخاؤه الاعتراف كله، حتى أن أعداءه أنفسهم لن يقدرُوا أن يظَلُّوا بإزائه حُرس الألسن. فلتثِقْ به وبأفضاله؛ على يده سيلقى كثيرون حياةً أُخرى، ويتغيَّر شرط الأثرياء والشحَّاذين. احفظْ عنه هذه المحاسنَ في ذاكرتك ولكنْ لا تقلِّها»، ثم نطقَ بأشياءَ أُخرى لن يصدقها حتى مَنْ شهدوها.

ثم أضاف: - «أيُّ بُنيٍّ، هوذا تفسير ما تنبأوا لك به؛ هي ذي الأشرار التي ما برحت تخفيها عليك دوراتٌ للأفلاك قليلة.

لا تحسدنَّ مع ذلك أبناءَ وطنك، فحياتك تنحطُّ في قادمِ الزَّمن أبعدَ من عقوبة خيانتهم.» وعندما كشفتِ الرُّوح المباركة بسكوتها عن أنها أكملتِ اللُّحمة والسِّداة في النَّسيج الذي كنتُ أنا أحضرته، بدأتُ كمنْ يرغب وسطَ الشكِّ أن ينال نُصْحَ أحدٍ يرى ويريد باستقامةٍ ويحبُّ:

- «أرى، أبتاه، أنَّ الزَّمن يخبِّ نحوِي ليوَجِّه لي ضربةً بالغة الصَّراوة يشقُّ احتمالها على مَنْ كان معرَّضًا أكثرَ من غيره؛ وعليه فينبغي أنْ أحتاطَ فإذا ما فقدتُ البلدَ الأعزَّ عندي، فعسايَ لا أخسر

1257

النَّاس بأبيات شعري

في الأسفل، عبَّرَ العالم الذي هو مريِّرٌ بلا انتهاء وخلَّلَ الجبلَ الذي رفعتني من ذروته الجميلة عينا

1258

سيديتي ، ثم عبَّرَ السَّماء، من نورٍ إلى نورٍ آخر، تعلَّمتُ أشياءَ لو اتَّي رويُّتها لكان لها عند أكثر الخلقِ مذاقٌ حامض؛ وإذا كنتُ الصَّاحبَ الوَجَلَّ للحق، فأنا أخشى أنْ أموتَ بين أولئك الذي سيَدعون "قديمةً" هذه العهود.» ثم طفقَ النَّور الذي كان يبتسم فيه كنزي الذي التقيته هناك يأتلق في البدء كمرآة ذهبية وسطَ أشعة الشمس، ثم قال لي:

- «إنَّ الوعي المغشي عليه بخطيئته أو بخطيئة الآخرين، سيجد كلامك شديد اللداعة. ومع ذلك، فلتتجرَّد من كلِّ كذبٍ، ولتُظهزِّه إلى النَّور رؤيتك بكاملها، تاركًا النَّاس تحكُّ نفسَها حيثما أصابها الجرب. فإذا كان كلامك في البدء مريِّرًا لدى أول مذاقٍ، فسيترك من بعدُ، وما إنْ يتَمَّ هضمه، للحياة قوتًا. فلتغدُ صرختك كمثُل الرِّيح التي تضرب أقوى ما تضرب الذرى العالية؛ وما هذه مناسبةٌ للشُّرف ضئيلة. وإذا لم تكنْ أُطِعت في هذه المدارات، وعلى مشارفِ الجبل وفي هاوية العذاب، إلَّا على أرواح من لهم صيتٌ ذائع، فلأنَّ خاطر المستمع لا يتوقَّف ولا يعزِّز إيمانه بإزاءٍ مثُلِ جذره مجهولٌ أو مخفيٍّ، ولا أمام حجَّةٍ غير ساطعة.»

## الأنشودة الثامنة عشرة

(سما المَرِيخ. بهاء بياتريشي. أرواح المحاربين حياضًا عن الإيمان: أبطال اليهودية والمسيحية وفرسان الملاحم.

الصعود إلى السماء السادسة: سما المشتري، حيث أرواح العادلين والأتقياء.

ألف شعلة تتضافر في هيئة حروف أيجدية وتصنع عبارة العدالة. حرف ال. M الذي يختتم عبارة العدالة يتحول إلى زهرة زنبق، ثم إلى نسر. تقريع بخل البابوات.)

ثم راحت تلك المرأة السعيدة

تستمرئ فكرها وأنا رحمتُ أتذوقُ فكري

مازجًا الحلو بالمرّ؛

فقلت السيّدة التي كانت تقودني إلى الله:

- «لتغيّر تفكيرك ولتعتقِدْ

بأنني قربَ مَنْ يخفّف جميع الأخطاء.»

فالتفتُ إلى الصّوت العاشق

لهذه التي هي عَوني: والحبّ الذي رأيتُه آنئذ

في العينين المباركتين، كلاً ما أنا على قوله بِقَدِير؛

عن تلك الهنيهة أقدر فحسبُ أن أقول

إنّ عاطفتي بالنّظر إليها

تحرّرتُ من كلّ رغبةٍ أُخرى،

لِفرط ما سحرّني المتعة الأبدية

الصادرة بلا مداورةٍ من عيني بياتريشي،

بالأشعة المنهمرة من محياها الفاتن.

وبعدما قهرّني بنور ابتسامتي قالت لي:

- «دُرّ حولَ نفسك وأرهف السّمع، فما الفردوس في عينيّ وحدهما.» وكما نرى على الأرض أحياناً

الشّعور وهو يرتسم في النّظر إن كان كبيراً بحيث يكتنف الرّوح بكاملها، فهكذا في توهج الشّعلة

المباركة التي التفتُ إليها، أدركتُ أنا رغبتها في أن تكلمني هنيهاتٍ أُخرى.

وبدأت: - «في المرتبة الخامسة هذه من الشّجرة التي تتلقّى الحياة من ذروتها وتثمر إلى الأبد ولا

تتجرّد من أوراقها <sup>1259</sup>، تعيش في الهناءة أرواحٌ كانت قبلَ أن ترقى إلى السّماء محظيةً بصيتٍ ذائع

حتى لتثرى بها كلّ ربةٍ إلهام.

أَنْظُرُ إِلَى أَفْرَعِ الصَّلِيبِ: سَيَمَّرَ مَنْ أَسَمَّيْهِمْ مِثْلَ الْبَرْقِ الَّذِي يَخْتَرِقُ الْغَمَامَ بِنَارِهِ الْمُسْرَعَةَ.» وَرَأَيْتُ  
يَتَحَرَّكَ عَلَى الصَّلِيبِ نَوْرًا يَحْمِلُ اسْمَ يَهُوشَعَ <sup>1260</sup> ، وَمَا إِنَّ نُطْقَ بِاسْمِهِ حَتَّى بَدَأَ لِي الْقَوْلَ مَتَأَخَّرًا  
عَنِ الْفِعْلِ.

ثُمَّ تَحْتَ اسْمِ الْمَكَابِيِّ النَّبِيلِ <sup>1261</sup> رَأَيْتُ نَوْرًا آخَرَ يَتَحَرَّكَ فِي دَوْرَانِ، وَالْفَرْحُ كَانَ مُحَرَّكَ ذَلِكَ  
الْخَذْرُوفِ.

ثُمَّ، تَحْتَ اسْمِي شَارْلَمَانَ وَرَوْلَانَ، تَابَعْتُ عَيْنَايَ بَانْتِبَاهٍ اثْنَيْنِ آخَرَيْنِ كَمَا نَتَّبِعُ فِي السَّمَاءِ صَقْرًا  
يُحَلِّقُ.

ثُمَّ اجْتَذَبَ عَيْنِي إِلَى ذَلِكَ الصَّلِيبِ غِيغْلِيْمُو وَرِينَوَارِدُو <sup>1262</sup>

وَالدَّوْقُ غُودْفَرُو <sup>1263</sup> وَرُويِرُ غَيْسَكَارُ <sup>1264</sup> .

ثُمَّ، بِالتَّحَرُّكِ وَسَطَ الْأَنْوَارِ الْآخَرَى، أَرْتَنِي الرُّوحُ الَّتِي كَانَتْ تَكَلِّمُنِي أَيَّ فَنَانٍ كَانَتْ هِيَ بَيْنَ أَوْلَيْكَ  
الْمَغْنَيْنِ السَّمَاوِيِّينَ.

وَالْتَفَتُّ نَاحِيَةَ الْيَمِينِ لِأَقْرَأَ فِي بِيَاتَرِيْشِي وَاجِبِي عِبْرَ كَلِمَاتٍ أَوْ بِالْإِيْمَاءِ؛ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهَا تَأْتَلِقَانِ بِمِثْلِ  
ذَلِكَ الصَّفَاءِ وَبِمِثْلِ تِلْكَ الْمُسْرَةِ حَتَّى لَتَفُوقًا كُلِّ جَمَالٍ آخَرَ وَجَمَالِهَا الَّذِي كَانَ لَهَا عَلَى الْأَرْضِ.

وَكَمَا يُدْرِكُ الْمَرْءُ مِنْ أَزْدِيَادِ فَرْحِهِ بِصَنْيَعِهِ الْحَسَنِ أَنَّ حَسَنَ الْفَضِيلَةِ يَتَعَاضَمُ لَدَيْهِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ،  
فَهَكَذَا أَدْرَكْتُ أَنَّ قَوْسَ طَوَائِفِي قَدْ اتَّسَعَتْ فِي الْأَوَانِ ذَاتَهُ مَعَ السَّمَاءِ، عِنْدَمَا رَأَيْتُ هَذِهِ الْمَعْجَزَةَ  
الْفَرْحَةَ.

وَكَمَا تَسْتَرْجِعُ السَّيِّدَةُ الْبَيْضَاءُ الْبَشْرَةَ سَحْنَتَهَا بِقَلِيلٍ مِنَ الْوَقْتِ بَعْدَمَا تَزُولُ عَنْ مَحْيَاها حُمْرَةَ  
الْخَجَلِ، فَهَكَذَا أَنْجَلْتُ لِي عِنْدَمَا التَّفْتُ نَقَاوَةَ النَّجْمِ السَّادِسِ الْمَعْتَدِلِ <sup>1265</sup> ، الَّذِي اسْتَقْبَلَنِي أَنْئذٍ  
فِي أَعْطَافِهِ.

فِي مَشْعَلِ الْمَشْتَرِي <sup>1266</sup> ذَاكَ رَأَيْتُ تَلَالُؤَ الْحَبِّ الَّذِي يَغْمُرُ الْجَوَّ وَهُوَ يَرْسُمُ لِنَظَرِي حُرُوفَ لَغْتَنَا.  
وَكَمَا تَنْبَثِقُ الطَّيُورُ مِنَ النَّهْرِ وَلِكِي تَصَفَّقَ احْتِفَالًا بِقُوَّتِهَا الْجَدِيدِ فَهِيَ تَصَطَّفُ تَارَةً فِي دَوَائِرٍ وَطَوْرًا فِي  
رَفُوفٍ، فَهَكَذَا كَانَتْ مَخْلُوقَاتٌ مُبَارَكَةٌ تُنْشِدُ وَهِيَ تَطُوفُ فِي التُّورِ وَتَصِيرُ تَارَةً D وَطَوْرًا I وَطَوْرًا آخَرَ

L فِي تَشْكِيلَاتِهَا <sup>1267</sup> .

كَانَتْ فِي الْبَدءِ عَلَى إِيقَاعِ غَنَائِهَا تَمِيلُ؛ ثُمَّ إِذْ تُصْبِحُ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ، فَهِيَ تَتَوَقَّفُ قَلِيلًا  
وَتَلْزَمُ السَّكُوتَ.

يَا لِبَيْغَازِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ <sup>1268</sup> ، يَا مَنْ تَجُودِينَ عَلَى الْأَرْوَاحِ بِالْعَمْرِ الطَّوِيلِ وَالْمَجْدِ، وَهِيَ تَجُودُ بِهِمَا وَإِيَّاكَ  
عَلَى مَدِينِ وَمَالِكِ، أَعِيرِنِي مِنْ نُورِكَ لِأَتَمَكَّنَ مِنْ أَنْ أَرْسَمَ صُورَهَا كَمَا هِيَ مَائِلَةٌ فِي فِكْرِي:

وَلِيَبْدُ سُلْطَانِكَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْقَصِيرَةِ <sup>1269</sup> .

إنَّ خمسةً وثلاثين حرفًا بين صائتٍ وصامتٍ بانَتْ آنثٌ، ولقد دَوَّنتُ الأحرفَ كما ظهرت لي. «دليلجيتي جوستيثيام»، هذه هي الأسماء والأفعال الأولى التي ظهرت من الرِّسم، وكانت الأخيرة

1270

هي: «كي جوديكا تيس تيرام» .

ثم بقيتُ جميعًا منتظمة داخلَ M اللفظ الخامس حتى بدا المشتري فضةً بالذهب مطعمة. ورأيتُ أرواحًا أخرى وهي تحطّ على ذروة الـ M وتستلقي فيها مغنّيةً الخير الذي يجذبها.

ثم كما نجعل آلاف الشرارات تطلع من جذوةٍ مشتعلةٍ إذ نضربها، وبها يزعم البلهاء قراءة

1271

الفأل ، فهكذا طلعتُ ألف شعلةٍ راحتُ تصاعد بعضها عاليًا والبعض الآخر أقلّ ارتفاعًا، على هوى الشمس التي تلهبها؛ ثم عندما استقرتُ في مكانها كلٌّ منها، رأيتُ رأس نسرٍ وعنقه يتشكّلان من تلك السّعل المتمايزة.

ما الرّسام الذي هناك بحاجةٍ إلى أستاذ، بل هو أستاذ نفسه، وذكره تهدي القدرة الصانعة

1272

للأعشاش .

والطوبابويون الآخرون الذين بدوا سعداء لتشكيلهم في الـ M زهرة زنبق، بحركةٍ خفيفةٍ أكملوا ذلك الرّسم.

أيها النّجم الشائق، كم من الجواهر الفاتنة أثبتت لي أنّ عدالتنا إنّ هي إلاّ أثرٌ لهذه السّماء التي

1273

تجوهرها أنتُ !

ولذا فأنا أتضرّع للعقل الذي منه يصدرُ كلا حركتك وسلطانك أن تتنبه للموضع الذي منه تخرج

1274

هذه الدّخنة التي تعكّر على إشعاعك ؛ ليسلّط مرّةً أخرى غضبه على ما يُباع ويُشترى في هذا الهيكل المبنية حيطانه بالشّهادة والآيات.

يا فرسان هذه السّماء التي أتأمل، ألا صلّوا من أجل من هم على الأرض ضالّون بسبب الأمثلة السيّئة!

بالأمس كانت النّاس تحارب بالسيف، واليوم بانتزاعها من هذا ومن ذاك الرّغيف الذي لا يمنعه الأب عن أحدٍ أبدًا.

1275

ولكن أنت يا من لا تخطّ إلاّ لتمحو ، فكّر بأن بطرس ويولس اللذين ماتا من أجل الكرامة التي تحظّمها ما برحا حيّين.

تقدر ولا شك أن تقول: - «إني لمن التمسك بذلك الذي أثار العيش وحيدًا والذي استشهد بفعل

1276

رقصة، بحيث لا أعرف الصياد ولا من يدعى يولو .»

## الأنشودة التاسعة عشرة

(سماء المُشترِي). النَّسْرُ يَتَكَلَّمُ. شَكْوَاكَ دَانِي. إِجَابَةُ النَّسْرِ: الْعَدْلُ الْإِلَهِيُّ لَا يُسَبِّرُ لَهُ مِنْ غُورٍ. مَذْهَبُ الْخِلَاصِ. خُصَاسَةُ مَلُوكِ أَوْرُوبَا.)

كَانَ الْجَنَاحَانِ الْمَفْرُودَانِ يَرْسِمَانِ لِعَيْنِي  
الصُّورَةَ السَّاحِرَةَ الَّتِي كَانَتْ الْأَرْوَاحُ الْمَجْتَمِعَةَ

تَصْنَعُهَا فِي اسْتِمْتَاعِهَا اللَّذِيذِ <sup>1277</sup>؛

كَلَّ وَاحِدَةً كَانَتْ تَبْدُو كِيَاقُوتَةٍ صَغِيرَةٍ

يَتَأَجَّجُ فِيهَا خَيْطٌ مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ

لَا هَبُّ حَتَّى لِيَعْكَسَ أَلْقَاهَا فِي عَيْنِي.

وَمَا سَأَصْفُ الْآنَ لَمْ يَقُلْهُ

صَوْتُ مِنْ قَبْلُ وَلَا خَطَّهُ مَدَادٌ،

وَلَا تَصَوَّرْتُهُ مَخِيلَةً قَطُّ.

مَا دَمْتُ رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ الْمَنْقَارَ يَتَكَلَّمُ

وَيَرِنُّ فِي ذَلِكَ الصَّوْتِ «لِي» وَ«أَنَا»

<sup>1278</sup>

حَيْثَمَا يَرْتَسِمُ فِي الْفِكْرِ «لَنَا» وَ «نَحْنُ» .

بَدَأُ: - «لَأَتْنِي كُنْتُ عَادِلًا وَتَقِيًّا فَقَدْ رُفِعْتُ هُنَا إِلَى هَذَا الْمَجْدِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ نَيْلُهُ بِالرَّغْبَةِ؛ تَرَكْتُ عَلَى الْأَرْضِ ذِكْرِي حَسَنَةً حَتَّى أَنْ مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْخَبَثَاءِ يَمْتَدِحُونَهَا مِنْ دُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا

الْأَمْثُولَةَ <sup>1279</sup>. « وَمِثْلَمَا يُحَسِّنُ بَحْرَارَةً وَاحِدَةً مِنْ جَمْرَاتٍ عَدِيدَةٍ، فَمَنْ ذَلِكَ الْحَبِّ كُلِّهِ كَانَ يَصْدُرُ مِنْ ذَلِكَ الرَّسْمِ صَوْتُ وَاحِدٍ.

فَقُلْتُ: - «يَا أَزْهَارًا سَرْمَدِيَّةً لِلسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ، يَا مَنْ تُظْهِرِينَ لِي فِي عَطْرِ وَاحِدٍ عَطُورِكَ جَمْعَاءَ، أَوْقِفِي بِنَفْحَاتِ مَنْكَ الصَّوْمَ الْكَبِيرَ الَّذِي أَبْقَى عَلَيَّ فِي الْجُوعِ طَوِيلًا لَا أَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ أَيَّ غِذَاءٍ.

أَعْلَمُ أَنَّ عَدَالََةَ السَّمَاءِ تَتَمَرَأُ فِي مَلَكُوتِ آخِرٍ، وَلَكِنَّهَا لِمَرَآتِكُمْ هِيَ أَيْضًا تَتَجَلَّى مِنْ دُونَ حِجَابٍ.

تَعْلَمُونَ بِأَيِّ عَنَاقِيَّةٍ أَتَهَيَّأُ لِلْإِصْغَاءِ؛ وَتَدْرُونَ مَا هُوَ هَذَا الشُّكُّ الَّذِي هُوَ لَدَيَّ جُوعٌ مُوْغَلٌ فِي الْقَدَمِ. « وَكَمَا يَخْرُجُ صَقْرٌ مِنْ قَنْزَعَتِهِ وَيَحْرُكُ الرَّأْسَ وَيَخْفِقُ بِجَنَاحِيهِ، مُعْرَبًا عَنْ رَغْبَتِهِ وَمُؤَبِّدِيًا حُسْنَتَهُ، فَهَكَذَا رَأَيْتُ إِلَى اخْتِلَاجِ ذَلِكَ الشُّعَارِ الْمَنْسُوجِ مِنْ مَدَائِحِ فَرَحِ اللَّهِ، بِأَغَانٍ يَعْرِفُهَا مَنْ يَغْتَبِطُونَ هُنَاكَ.

ثُمَّ بَدَأُ: - «إِنَّ هَذَا الَّذِي رَسَمَ بِفَرْجَارِهِ تَخُومَ الدُّنْيَا، وَفِي دَاخِلِهَا مَيِّزَ الْخَافِي وَالْمَتَجَلِّي، لَا يَقْدِرُ أَنْ

<sup>1280</sup>

يَدْمِغُ بِسُلْطَانِهِ الْكُونَ كُلَّهُ دُونَ أَنْ تَبْقَى كَلِمَتُهُ فِي حَالَةٍ فَيَضُ مِنْ دُونَ انْتِهَاءٍ .



دليلٌ على ذلك أوّل المتكبرين الذي كان هو المخلوق الأرفع، والذي سقط وهو بعدُ أخضرٌ <sup>1281</sup> إذ لم يشأ انتظار التور؛ من هنا كان أنّ كلّ كيانٍ محدود هو آنيةٌ صغيرةٌ لهذا الخير غير المتناهي الذي لا يعرف من قياسٍ سوى نفسه.

وعليه، فإنّ بصركم الذي هو بالضرورة واحدٌ، لا غير، من شعاعات العقل المنبثّ في جميع الأشياء، ليس بطبيعته قويًّا بما فيه الكفاية ليعجزَ خالقه عن أن يبصر أبعدَ ممّا يترأى له هو.

ولذا فالرؤية المعطاة لعالمكم لا تنفذ إلى العدل الأبديّ كما لا تنفذ العين إلى أعماق البحر، وعلى كونها تُبصر عمق الشاطئ فهي تعجز عن رؤية القاع في عرض البحر، مع أنها فيه، ولكن عمقه يخفيه عنها.

لا نورَ إلاّ التور السماويّ البالغ التقاوة، والذي لا يعكّره من شيءٍ، وكلُّ ما عداه إنّ هو إلاّ ظلٌّ جسدكم أو سمُّه <sup>1282</sup>.

الآن انفتحت لك المغارة التي كانت تُخفي عليك العدل الحيّ الذي كنت تُكثر بشأنه من الأسئلة؛ كنت تقول: - «يولد إنسانٌ على ضفاف نهر الهندوس حيث لا أحد ليتكلم عن المسيح أو يقرأ أو يكتب؛ وجميع فعالة ورغائبه طيبةٌ كما يقدر أن يحكم العقل البشريّ، وهو بلا خطيئةٍ عملاً وقولاً؛ ولكنّه يموت بلا إيمانٍ ولا عمادة: فأيّ عدالة تدينه؟

وما خطيئته إذا لم يكن ليؤمن؟»؛ وأنت، من أنت لكي ترغب في أن تترجع على كرسيّ لتحكم من على مسافة آلاف الفراسخ بنظرك الذي ليس يجوز شبرًا؟

<sup>1283</sup> حقًا، لو تعمق أحدٌ في أسراري، لوجدَ مجالًا للشكّ ليس يُضاهي لو لم يكن الإنجيل ليُرشدكم .

يا للمخلوقات الأرضية! يا للعقول الغليظة!

إنّ المشيئة الأولى، الطيبة في ذاتها، والتي هي الخير الأسمى، لا تتأى عن نفسها أبدًا. كلّ ما وافقها كان عدلًا:

لا يجتذبها أيّ خيرٍ مخلوق، بل هي بإشعاعها تجترحه.

وكما يحومّ التورس أعلى عشّه، بعدما يكون زقّ صغاره، ويتملاه بالنظر، شبعًا، أصغرهم فهكذا

صرتُ، وهكذا رحّت أعين الصّورة المباركة وهي تحرك جُنحها تدفعها إراداتٌ جمّة <sup>1284</sup>.

كانت تحوم وهي تُنشد وتقول: - «كذلك هي أغانيّ لك يا من لا يفهمها، وكذلك هو قضاء الله للبشر الفانين.» وعندما هدأت تلك المحرقة المُنيرة للروح المبارك وسط ذلك الشعار الذي فرضَ

على العالم احترامَ الرومان <sup>1285</sup> ، عاود الصّوتُ:

- «إلى هذا الملكوت لم يَزَقَ قطّ من لم يؤمن بالمسيح، قبل تسميره على الصّليب أو بعده.

ولكنّ انظُر: فكثيرون ممّن يلهجون بذكر يسوع سيكونون في يوم الحساب أبعدَ عنه من بعض من

ليس يعرفونه؛ وسيلعن الحبشيّ <sup>1286</sup> أمثال هؤلاء المسيحيّين عندما سينفصل الجمعان <sup>1287</sup>



واحدٌ إلى الأبد غنيٌّ والآخر يتلقَّع بفقره.

ثمَّ ما سيقول الفُرس لعواهلكم عندما سيرون مفتوحًا ذلك الكتاب الذي تتسجّل فيه جميع مساوئهم <sup>1288</sup>؟

هناك سنرى في فعال ألبرت <sup>1289</sup> ما سيشقّ على اليراع وصفه وما سيجعل الملك في براغ صحراء قفراً، هناك نرى أيّ عذابٍ سيحمل لنهر السين بسكّه عملةً زائفةً ذلك الذي سيموت من ضربةٍ عقِبَ خنزيرٍ بريّ <sup>1290</sup>.

هناك سنرى الغطرسة التي تُظميء وتطبع بالجنون ملكي إنجلترا واسكوتلندة بحيث لا يحتملان البقاء داخل حدودهما.

ونرى رخاوة ملك إسبانيا وملك بوهيميا <sup>1291</sup> وفجورهما، هما اللذان ما عرفا الشجاعة ولا فيها رغبا.

ونرى إلى طيبة الأعرج الأورشليمي موسومةً بحرف «الياء»، على حين يسم نقيضها حرف «الميم» <sup>1292</sup>.

ونرى ما كان من خرعٍ ومن بُخلٍ لدى من احتفظً بجزيرة التار حيثُ أنهى أنكيسيس عمره المديد <sup>1293</sup>؛ وللإبانة عن وزنه الضئيل سيكتب حسابه في موجزٍ يفصح عن الكثير في كلماتٍ قليلة.

وستظهر للجميع الأفعال الشنيعة للعمّ والشقيق <sup>1294</sup> اللذين جلبا الخزي لأمةً جميلةً ولتاجين.

وسيعرف هناك ملك البرتغال <sup>1295</sup> وملك النرويج <sup>1296</sup> وملك صربيا <sup>1297</sup> الذي طالما زيف عملة البندقية. يا لسعادة هنغاريا <sup>1298</sup> إن لم تسمح بأن تُسامَ الهوانَ ويا لسعادة ناڤارا <sup>1299</sup> لو تسلحت

بالجبل الذي يزورها! وينبغي الاعتقاد بأن نيقوسيا وفاماغوستا <sup>1300</sup>، تطيرًا من مثل هذا الفأل السيء، تصرخان من الآن وتبكيان من وحشهما الذي لا يفرقه عن سائر الوحوش أيّ شيء.

## الأنشودة العشرون

(سماء المشتري. غناء أرواح العادلين، فرادى ثم مجتمعةً داخل النَّسر. عين النَّسر. وثنَيان في الفردوس: ريفيو وترايانوس.)

1301  
عندما نزلتُ هذا التي تُنير العالمَ  
من نصفِ كرتنا بحيثُ  
طفِقَ النَّهار يذري في كلِّ جانبٍ،  
صارت السَّماء التي كانت تستمدُّ منها  
وحدها نورها تستضيء فجأةً  
بأنوار عديدةٍ كان واحدٌ منها يتفوق بسطوعه؛  
عاود خاطري تغيُّر السَّماء هذا

1302  
عندما صمتَ المنقار المبارك  
لشُعاري العالمِ وأسياده؛  
ذلك أنَّ جميع تلك الأنوار الحيَّة  
المتعاظمة الألق شرعتْ بالغناء،  
غناء يهرب منزلقًا من ذاكرتي.

يا محبةً حنونًا محاطةً بالصَّحك كم كنتِ تبدينَ لاهبةً بينَ تلك النَّيات التي ما كانت تنفث إلا  
أفكارًا مباركة!

1303  
عندما توقفت هذه الجواهر الكريمة البارقة التي رأيتُ النجم السادس مطرِّرًا بها عن إصدار  
لحنها الملائكي، بدا لي أنني كنتُ أسمع خريزَ نهرٍ 1304 يتهادى رقرقًا بين الصَّخور، كاشفًا عن  
خصوبة ينبوعه.

1305  
وكما يتخذ مجراه نغمٌ في عنق القيثار وكما ينفذ الهواء إلى ثغور الشَّبابة ، فكذلك جعل همس  
النَّسر ذاك يتصاعد مبددًا جميع الشُّكوك، على امتداد عنقه كما لو كان هذا أجوف.  
وهناك صارَ صوتًا ومن المنقار خرَجَ في شكل كلماتٍ كان ينتظرها قلبي لأخطها فيه.  
وبدا: - «ينبغي أن يتركز النَّظر الآن على ذلك الشطر لدى النَّسور الفانية الذي يرى ويتكبَّد الشَّمس،  
فبين الأنوار التي تتشكّل صورتها منها، تلك التي تأتلق بها في الرّأس عيني هي بين الجميع أرفع منزلةً.

1306  
وذلك الوامض في الوَسَط مثلُ بؤبؤ، كان مغنيّ الروح القدس الذي حملَ تابوت العهد من

مدينةٍ إلى أخرى:

الآن ينال جزاء غناؤه الذي كان ابنَ مشيئته هو، بالمكافأة العظيمة التي يتلقاها.  
ومن الأنوار الخمسة التي يتشكّل منها حاجباي كان هذا الذي هو أقربُ إلى المنقار

قد عزّى الأيّم على فقدان ابنها <sup>1307</sup>:

الآن يعرف كم يُكَلّف ألاّ نتبع المسيح، باختبارِ هذه الحياة الهانئة والأخرى نقيضها <sup>1308</sup>.

وهذا الذي يتلوه في محيط الدائرة الذي أصفُ، في أعلى القوس، كان قد أرجأ موته بالتوبة <sup>1309</sup>؛

الآن يُدرك أنّ الحكم الإلهي لا يتغيّر إذا ما جعلت صلوات حميدة اليومَ يتحوّل إلى غد <sup>1310</sup>؛ يليه

من حملنا أنا والدساتير، وبمقصدٍ حسنٍ كان له ثمار مرّة، صار يونانيًا كي يتنازل أمام الرّاعي <sup>1311</sup>:

الآن يعرف كم أنّ الأذى الذي تسبّب هو به بأعماله الطيبة لم يلحق به ضررًا، مع أنّ العالم نال به

<sup>1312</sup> خرابته .

وهذا الذي تراه في القوس المنحدرة تنعاه الآن الأرض التي تبكي لرؤيتها شارل وفيدريغو

<sup>1313</sup> حينئذٍ :

والآن يعلم كم أنّ السماء تهيم حبًّا بالملك العادل وتظللّ تعرضه للنظر عبر بهاء ألقه.

وفي العالم الضليل من يا ترى سيحسب أنّ ريفيو <sup>1314</sup> الطروادي هو في هذه الحلقة خامس الأنوار المباركة؟

الآن يعرف عن أفضل الله ما لا يمكن أن يعرفه أحدٌ في دنياكم، مع أنّه عاجزٌ عن إبصار العمق. «  
وكما تندفع القبرة في الجوّ صادحةً في البدء ثم تصمت مسرورةً بالهناء الجديدة التي تفعمها، فهكذا  
بدت لي صورة ذلك الشعار للمشيئة الأبدية التي تهب رغبتها لكلّ شيء أن يكون ذاته.

ومع أنّ محيّي كان يشفّ عن بعض الشكّ كما تشفّ كأسٌ عن لونه <sup>1315</sup> فما كان لشكّي أن يقبع في  
السكوت منتظرًا، بل لقد أطلق السؤال: «ما هو هذا؟»، خارج الفم بكلّ ثقله، فرأيت آياتٍ من  
الفرح تسطع.

وعلى الفور، بالعين الأكثر اضطرابًا، أجابني ذلك الشعار المبارك، لكيلا يدعني مندهشًا، معلّقًا:  
- «أرى أنّك تعتقد بهذه الأشياء لأنّني أقولها، ولكنك لا تعرف كيف؛ فأنت مؤمنٌ بها مع أنّها عليك  
تخفي.

فأنت كمثّلٍ من يعرف شيئًا باسمه وحده ولا يقدر على إبصار كنهه ما لم يفسره له غيره.

إنّ ملكوت السماء ليتكبد عنف محبةٍ كبيرةٍ <sup>1316</sup> وأملٍ شاسع يقدر أن يقهر إرادة الله؛ لا كما يقهر  
إنسانٌ إنسانًا آخر، بل لأنّه يريد أن يقهر فهو يقهر، ومنقهرًا هكذا تراه بطيبته قهّارًا.

إن الرّوحين الأولى والخامسة <sup>1317</sup> في حاجي تسحرانك لأنك تلاحظ أنّ نطاق الملائكة بهما يزدان. فهما لم يبارحا جسميهما وثنيين مثلما تظنّ، بل مسيحيين إذ لقد آمنّا بالقدمين اللتين ذاقتا العذاب أو ستذوقانه <sup>1318</sup>.

ففي الجحيم التي لا معاد منها إلى المشيئة الطيبة عاد أولهما إلى عظّماته <sup>1319</sup>، وكان ذلك جزاء رجائه العريم؛ رجاء كان قد وضع كامل قواه في التضرّع لله كي يبعثه ويعيد هكذا في مشيئته النّظر. إنّ الرّوح الماجدة التي أكلمك عنها والتي عادت إلى جسدها الذي لم تبقّ فيه إلا قليلاً، كانت مؤمنةً بذلك الذي يقدر أن يُخلّصها <sup>1320</sup>؛ وبإيمانها اشتعلتْ بمثل هذه الشّعلة للحبّ الحقّ بحيث استحققتْ لدى موتها الثاني أن تُقبل إلى هذه المسرّة. والآخر، بالفضل الذي ينبجس من ينبوع عميق حتّى أنّ أحداً لم ينفذ قطّ بعينه إلى موجته الأولى، كان قد محضّ على الأرض العدلَ كاملَ محبّته، ولذا فمن فضلٍ إلى فضلٍ آخر، فتح الله عينيه على خلاصنا الآتي <sup>1321</sup>.

فأمّن به وما عاد ليحتمل وباءة الوثنيّة ومن هذه أَدانَ الأقوام الفاسدة طرّاً <sup>1322</sup>؛ والسّيّدات الثلاث اللّائي أبصرتهنّ عن يمين العربة <sup>1323</sup>، كُنّ له بمثابة ماء العماد بألف عامٍ قبل أن تُعرف العمادة. يا خيارَ الله الأوّل، كم تمتدّ جذورك بعيداً عن تلك النّظرات التي ليسَ تعرف أن ترى الباعث الأوّل بأسره! <sup>1324</sup> كونوا، أيّها البشر الفانون، في الحُكم بطاءً، فمع أنّنا نُبصر هنا الله فنحن لا نعرف بعدُ جميعَ المختارين؛ وعدم المعرفة هذا لذيّدٌ لدينا لأنّ خيرنا يتحقّق في هذا الخير، ولأنّ ما أرادَه الله أردناه نحن أيضاً.» وهكذا فلاسعاف نظريّ القاصر، وهبثني تلك الصّورة الإلهيّة <sup>1325</sup>، بهذه الكلمات مرّهماً لطيفاً.

وكما يُسَعِف المغيّي الجيّد عازفٌ جيّد يجعل بارتجاف أوتار قيثاره متعةً الغناء تتزايد وتعلو، فهكذا رأيتُ في أثناء ذلك الكلام الشّعلتين المباركتين تُحرّكان، كما تتوافق في الرّمش العينان، ألسنة اللّهب فيهما صحبةً الكلمات.

## الأنشودة الحادية والعشرون

(السَّماء السَّابعة، سماء زحل: التأمليّون. بياتريشي تكفّ عن الابتسام والمختارون عن الغناء، لما في هذا كلّ من ألق لا يقدر أن يحتمله إنسانٌ فان. السّلم الذهبيّ ينتشر من زحل إلى الأميريوس، سماء النّور الخالص. القديس بطرس. لغز القدر الأوّل أو التسيير الإلهي. تقريع البابوات. صرخة عظيمة تشقّ أطراف السّماء.)

من جديدٍ كانت عيناي تتأملان  
وجه سيّدي، ترافقهما روجي  
التي تحرّرت من أسار كل تفكيرٍ آخر.  
ما عادت هي لتضحك، بل قالت لي:  
- «إن أنا ضحكتُ فستغدو شبيهاً

بسيميلي <sup>1326</sup> الممسوخة رماداً؛  
ذلك أن جمالي الذي يتعاضم  
كما ترى بقدر ما نصعد  
درجات البلاط السماوي،  
إن أنت عاينته بلا حجابٍ كان من الألق  
بحيث تصير حواسك أنت الفاني  
بإزائه كالغصن تُحوّله الصّاعقة إلى هشيم.

<sup>1327</sup> لقد وصلنا إلى النّجم السّابع ،  
الذي يجمع أشعته بالأسد اللاهب  
القابع هو تحت لبانه.  
أجلّ فكرك حيثما كانت عيناك،  
واصنع منهما مرآة للصّورة

التي ستظهر لك في المرآة هذه <sup>1328</sup> .

إن من أدرك أيّ غداء كان يشكّله لنظري محيّاها العذب، عندما انتقلتُ منه إلى تأمل شيءٍ آخر،  
عرفت كم كان يبهجني أن أطيع حارستي السّماوية، موازناً جهةً بأخرى <sup>1329</sup> .

وفي ذلك البؤر الذي يزتر العالم كلّ <sup>1330</sup> ، والحامل اسم مولاها الحبيب، الذي بطلّ في ظلّه كلّ

مكر، رأيت سلماً ذهبياً<sup>1331</sup> تخترقه شعاعات، سامقاً إلى العلاء حتى ما كان لنظري أن يتبعه. ورأيت نازلاً من درجاته ذلك القدر من الشعل حتى بدا لي أن جميع أنوار السماء تنبثق منها؛ وكما تنتفض الرِّيفان في انبلاج الصُّباح سويّةً بدافع غريزتها، لتسخين رياشها الباردة، ثم يذهب بعضها بلا معاد، ويعود بعضها إلى نقطة الانطلاق، وفريق ثالث يمكث في مكانه محوّمًا؛ فهكذا بدا لي الشيء نفسه في ذلك الائتلاق الآتي محتشدًا ما إن يبلغ درجةً معيّنة. وتوقّفت على مقربةٍ منّا شعلة صارت من السطوع بحيث قلتُ لها في نفسي:

- «إني أبصرُ جيّدًا الحبّ الذي تميطين لي عنه اللثام، بيد أن هذه التي تُعيّن لي الأوان والكيف لما أفعل وأقول لا تُبدي حراغًا، وعليه فحسناً أفعل إذ أزم الصّمت مُخالفاً رغباتي.» ولكنّها، وقد قرأتُ صمتي بنظرةٍ من يرى كلّ شيء، قالت لي:  
- «أطلق الرّغبة التي تُحرقك.» فبدأتُ:

- «لا شكّ أن مقدار فضلي لا يجعلني أستأهل إجابتك، لكنّ بهذه التي تتيح السؤال<sup>1332</sup> أستحلفك أيّتها الرّوح الطوباوية المُدثّرة بغببتها، أيّ باعث جعلك تفقيرَ قربي؟ وأخبريني ما الذي جعل الألحان العذبة للفردوس تصمت في هذا الكوكب هي التي تصدح ببالغ التقوى في الأسفل؟» فأجابني:

- «أنت لك سمعُ البشر الفانين ونظرهم، ونحن هنا لا نغيّ للباعث نفسه الذي يمنع بياتريشي من الضحك.

لقد نزلتُ كلّ هذه الدّرجات من السّلم المبارك لأحتفي بك بالكلام والنور الذي يكتنفي. وليس مزيدًا من الحبّ ما جعلني أسرع فإنّ حبًا مماثلًا بل وأكثر يتوقّد أعلى منّا، كما يبين لك عنه هذا التّأجج؛ بل الرّافة العالية تجعل منّا خادما متحفّزاتٍ للمشورة الحاكمة العالم، والتي تعيّن هنا الأدوار كما تُلاحظ<sup>1333</sup>».

فأجبتُ: - «يا قنديلاً مباركًا إنني لأرى كيف يكفي الحبّ الطليق في هذا البلاط لاتباع العناية الأزليّة<sup>1334</sup>؛ لكنّ ما يعيا على فهمي هو لم كنت أنت الوحيدة المقدّرة بين باقي رفيقاتك لهذا المسعى.» لم أكد أنطق بالمفردة الأخيرة وإذا بالشعلة تدور حول محورها حائمةً كقطبي رحي سريعة؛ ثمّ أجابني المحبّة التي كانت فيها:

- «إنّ نورًا سماويًا قد انقضّ عليّ مخترقًا النور الذي يُنصاغ منه جسدي<sup>1335</sup>، وإنّ قدرته المجتمعة برؤياي لترفعني أعلى منّي حتى لأرى الجوهر السماويّ المجترّاة هيّ منه.

ومن هنا الفرح الذي فيه اشتعل فطالما كان نظري جليًا فيه أتساوى وجلاء شعلي هذه. لكنّ الرّوح المقيمة في أسطح سماء، أو السّروفيّ الثّابت النّظر على الله، لن يقدر أن يُرضي سؤالك؛ ذلك أنّ ما تسأله يتغوّر في هاوية المشورة الأزليّة وإنّه لعلّ هذا البعد بحيث يشظّ عن كلّ نظير

1336  
مخلوق .

فإذا ما رجعت إلى دنيا الأحياء فلتنقلن هذا حتى لا يجرؤ أحدٌ على السعي بخطاه صوبَ غايةٍ كهذه. الفكر، الوضوء هنا، هو على الأرض محض دخان؛ فأنتى له يا ترى أن يفعل في الأسفل ما يعيا عليه وهو مستقبل في السماء؟» رسم كلامها لي حدودًا فهجرتُ كلَّ سؤالٍ آخرٍ مكتفياً بأنَّ أسألها بخشوعٍ عن اسمها.

- «بين شاطئي إيطاليا تسمق صخورٌ غيرَ بعيدٍ عن موطنك، وبالغ العلوِّ حتى أن الصواعق لا تزعم إلا في أسفلها، وهي تشكّل نتوءًا يُدعى كاتريا <sup>1337</sup>» تقوم في أسفله صومعة مكرّسة لطقوس لاتريا <sup>1338</sup>. «هكذا بدأ صاحب تلك الرّوح خطابه الثالث؛ ثم واصل الكلام وأضاف:

- «هناك بخدمة الله انتعشتُ روجي ومغتديًا من عصير الرّيتون وحده كنت أجتاز البرد والقيظ بلا عناء، راضيًا بأفكاري التأمليّة. كان ذلك الدّير يهب هذه السّماء محاصيلَ خصيبةً والآن هو فارغ

حتى أن الكشف لا ريب لن يتأخّر <sup>1339</sup>. في ذلك المكان كنتُ بييترو داميانو <sup>1340</sup> وفي منزل سيّدتنا على الشاطيء الأدرياتيكيّ كنتُ بييترو الخاطيء. لم يكن بقي لي سنواتٍ كثارٍ في العيش الفاني عندما

دُعيتُ للقلنسوة التي تنتقل دائمًا من سيءٍ إلى أسوأ <sup>1341</sup>. بالأمس كان كيفا والإناء الكبير <sup>1342</sup> للرّوح القدس، وحفاة الرّهبان والضّامرون يتناولون طعامهم في أدنى نُزل، واليوم يريد رعاتنا الجدد

أن نُعيّتهم هنا وهناك وأن نحملهم <sup>1343</sup> لفرط ما هم ثقيلون وأن ندفعهم من الخلف. بعباءتهم يدثرون أفراسهم الاستعراضية بحيث يمضي حيوانانٍ تحت دثار الجلد نفسه <sup>1344</sup>: يالصبر الله أنت يا من تحتمل هذا كله!».

عند هذا الكلام أبصرتُ شُعلاً عديدة تنزل وتدور من درجة إلى أخرى وكلّ دورة تحيلهنّ أكثر جمالاً. وأتّين ليحطن بالشعلة الأولى وأطلقن صرخةً كانت من العلوِّ بحيث لا يضارعها صخبٌ على الأرض؛ ولم أحظ بمغزاها، إذ لقد غلبني ذلك الرّعد <sup>1345</sup>.

## الأنشودة الثانية والعشرون

(سَمَاء زَحَل. ذَهول دَانِي. بِيَاترِيشي تَطْمَنه. القَدَّيس بِنِيدِيَّو يَتَكَّم. فساد الأديرة. الارتقاء إلى السَّمَاء الثَّامنة: سَمَاء الأَنْجَم الثَّابِتة. المَسِيح فِي هَالَة مَجْدِه. الِابْتِهَال لِبْرَج الجوزاء الَّذِي وُلِدَ دَانِي تَحْت عِلَامَتِه. نَظْرَة إِلَى الكَوَاكِب وَالِى الأَرْض.)

حَاصِرَنِي الذَّهول فَالْتَفْتُ  
إِلَى مَرشِدَتِي كَصَغِيرٍ يَتَلَفَّت  
صَوَبَ هَذِه الَّتِي يَتَطَاَمَن قَرَبَهَا أَكْثَرُ؛  
وَكَمَا تُسَارِعُ أُمَّ لِنُجْدِ  
إِبْنَهَا الشَّاحِبِ المَبْهُورِ الأَنْفَاسِ  
بِصَوْتِهَا المُعْزِي قَالَتْ لِي:  
- «أَوْ مَا تَعْلَمُ أَنَّكَ فِي السَّمَاءِ؟  
وَأَنَّ السَّمَاءَ كُلَّهَا مَبَارَكَةٌ،  
وَأَنَّ مَا نَفْعَلُه فِيهَا آتٍ مِنْ حَمَاسَةٍ طَيِّبَةٍ؟  
كَمْ كَانَ الغِنَاءُ سَيُزْعِزِعُكَ وَضَحِكِي أَنَا،  
تَقْدِرُ الآنَ أَنْ تَتَخَيَّلَ ذَلِكَ مَا دَامَتِ الصَّرخَةُ  
أَثَرْتُ فِيكَ بِمِثْلِ هَذِهِ القُوَّةِ؛  
وَلَوْ أَنَّكَ أَمْسَكْتَ بِمَا فِيهَا مِنْ ابْتِهَالِ

1346

لأَدْرَكَتَ مِنْ الآنَ ذَلِكَ الِانْتِقَامِ الَّذِي سَتَشْهَدُه قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ .

إِنَّ سَيْفَ الأَعَالِي لَا يَضْرِبُ عَلَي عَجَلِ،

لَا وَلَا مَتَأَخَّرًا، مِنْ دُونَ امْتِثَالِ

مَنْ انْتَظَرَه رَاغِبًا أَوْ مَخْتَشِيًا.

لَكِنِ التَّفَتِ الآنَ صَوَبَ الأرواحِ الأُخْرَى، سَتَرِي بَيْنَهُنَّ شَهِيرَاتٍ إِنَّ أَنْتَ وَجَّهْتَ نَظْرَاتِكَ كَمَا أَقُولُ لَكَ.» وَكَمَا طَابَ لَهَا اسْتَدْرَتْ بَعِيَّيَّ وَرَأَيْتُ مِئَةَ مَدَارٍ صَغِيرٍ يَزْدَادُ بَعْضُهَا بِأَشْعَةِ البَعْضِ حُسْنًا.

كَنْتُ كَمَنْ يَكْبِتُ فِي دَاخِلِهِ لِسَعِ رَغْبَتِهِ وَلَا يَحَاوِلُ السَّوْأَلَ مَخْتَشِيًا الإِفْرَاطِ؛ بَيِّدَ أَنْ أَكْبَرَ تِلْكَ اللَّأَلِيَاءِ وَأَكْثَرَهَا أَلْقَا اقْتَرَبْتُ مِنِّي لِتُشْبِعَ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا مَا إِلَيْهِ أَصْبُو.

وَسَمِعْتُ مِنْ دَاخِلِهَا صَوْتًا: - «لَوْ أَنَّكَ أَبْصَرْتَ كَمَا أَبْصَرُ المَحَبَّةَ الَّتِي تَلْهَبُنَا لَوَجَدْتَ أَفْكَارَكَ سَبِيلَهَا إِلَى القَوْلِ؛ لَكِنْ حَتَّى لَا تَتَأَخَّرَ الغَايَةَ النَّبِيلَةَ بِدَافِعٍ مِنْ انْتِظَارِكَ فَلَنْ أُجِيبَ إِلَّا عَلَى الفِكْرَةِ الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي الإِعْرَابِ عِنْدَهَا.



1347  
إنّ هذا الجبل الذي يحمل أحدُ كشحيه كاسينو كان قد ارتادَه بالأمس في ذروته أناسٌ مخدوعون وبلا علم؛ وكنت أنا أولَ مَنْ حمل إلى هناك إسمَ من جلبَ إلى الأرض الحقيقة التي ترفعنا إلى العلى؛ ولقد انهالَ عليّ فضلٌ غامر حتّى لقد أخرجتُ المدن المجاورة من العبادة

1348

الجاحدة التي كانت تغوي العالم .  
وهذه الأنوار الأخرى هي جميعًا رجال متأملون تلهبهم الحميا التي تُنضج طيبَ الزهر ومُبارك الثمار.

1349

هوذا ماكاربوس وهوذا رومالدو ، وأولاء إخوتي الذين كانوا في الأديرة أوقفوا خطاهم واحتفظوا بقلبٍ ثابت. « فبدأتُ: - «إنّ حدبك عليّ هذا إذ تكلمني وما أرى وألاحظ من الرفق في حُمياكم جميعًا، هذا كله فتحٌ ثقفي بمثل هذه القوة التي تُفتح بها الشمس الوردة فتصبح كبيرة ما وسعها ذلك.

ولذا فأنا أرجوك أبتاه أن تخبرني إن كان لي أن أنال مثلَ هذا الفضل يومًا في رؤيتك مكشوفَ الوجه. « فقال لي: - «أيها الأخ، إن رغبتك التَّبيلة ستكتمل في المدار الأعلى حيث تكتمل جميع رغائبي ورغائب الآخرين.

كلّ رغبةٍ هي هناك كاملةٌ وناضجةٌ وملاى؛ وفي ذلك المدار وحده يكون كلّ جزءٍ حيثما كان بدءًا، فهو لا مكان له ولا من قطب؛ وسَلَمنا إليه يرقى ولذلك فهو يحلّق هكذا أبعدَ من مدى بصرك .

1350  
البطيريك يعقوب رآه يصاعد حتّى هناك بجانبه العلويّ الذي بدّاله محملاً بالملائكة .  
ولكنّ لتسلقه لا أحد يرفع الآن قدمه من على الأرض، فبقيتُ قاعدتي لا تنفع إلّا في تبذير الصّحائف

1352

والحيطان التي كانت بالأمس أديرةً أصبحت مغاراتٍ، وقلانس المتعبدين أكياسًا ملأى بطحينٍ فاسد.

1353  
لكنّ الربّ الفاحش لا يجرح مشيئة الله كما تفعل هذه الثمرة التي تخلب أبواب الرهبان ؛ فكلّ ما في الكنيسة ينبغي أن يعود لمن يسأل باسم الله، لا لأقرباء الرهبان ومن هم أسوأ.  
إنّ جسد الفانين لضعيف فلا تدوم بدايةً طيبة ما يكفي لتعطي شجرة البلوط الوليدة ثمارها.

1354

بدأ بطرس بلا ذهبٍ ولا فضة، وأنا بالصوم وبالصلاة، وبتواضع أسس فرانتشيسكو ديرته .

1355  
وإذا ما عاينت بداية كلِّ منّا ثمّ ما آلَ إليه ما بناه، لرأيت البياض وقد انقلب سوادًا ؛ لكنّ رجوع الأردنّ القهقري وانحسار البحر عندما أراد الله ذلك، كانا أكثر إدهاشًا من كلِّ دواءٍ لهذه

1356

الأدواء .

هكذا كلّمني، ثمّ ذهب ليلتحقَ برفاقه، وهؤلاء احتشدوا وكما يفعل الاعصار طاروا.  
فدفعنتي السيّدة الحبيبة وراءهم على ذلك السَلَم بإيماءةٍ واحدة لفرط ما غلبَ فضلها طبعي؛ لم تُر يوماً

على الأرض حيث يصعد المرء وينزل طبيعياً حركة تبرز بسرعتها خفقة جناحي.

1357 أه لو كان لي أيها القارئ أن أعود إلى ذلك الظفر المبارك الذي طالما أبكي من أجله أسفاً على خطاياي لأطمأ صدري!

1358 إنك لن تخرج إصبعك من النار وتضعها فيها بأسرع مما رأيتُ البرج التالي للنور وأفيتني فيه .  
يا للنجوم المجيدة يا للنور الكامل للقدرة السامية يا من أدين لك بقريحتي كلها أيًا كنت، معك كان يولد ومعك كان يحتجب ذلك [الكوكب] الذي هو أبو كل حياة تفتي، عندما تنسّمث لأول مرة هواء توسكانيا  
1359؛ ثم عندما نلتُ الفضل في ولوج المدار العالي الذي يدفعك إلى الدوران، فإنّ نطاقك حدّد لي مقاماً.

وإليك تهفو الآن روعي بكامل تقواها علّها تنال القوة لاجتياز الخطوة القاسية التي تدعوها.  
وبدأتُ بياتريشي: - «إتكَ الآن من القرب من الخلاص النهائي بحيث يلزم أن تكون نظرتك واضحة ونافاذة؛ ولذا، فمن قبل أن تدخل، أنظر إلى الأسفل لترى أي شطرٍ من العالم جعلته ينطوي تحت قدميك؛ لكي يتقدّم جنانك بكل ما يسعه من البهجة إلى الحشد الظافر الذي يأتي سعيداً إلى دائرة الأثير هذه.»

فالتقتُ بنظري عبر جميع المدارات السبعة ورأيتُ كُرتنا على هذه الصورة بحيث ضحكتُ من مرآها  
البائس 1360؛ وإتني لأعتبر الرأي الأفضل رأي من لا يُعيرونها كبير قيمة؛ ومن فكَرَ بشيء آخر سواها فلنا أن ندعوه بحقّ حكيماً.

1361 رأيتُ ابنةً لاتونا مشتعلة بدون ذلك الظلّ الذي أوهمني بالأمس بأنّها متخلّلة وكثيفة في أوانٍ بذاته 1362 .

1363 وقدرتُ يا هيبيريون أن أرمقَ بثباتٍ ألقَ ابنتك ورأيتُ كيف تدور حوله مايا وديوني 1364 .

1365 ثم رأيتُ ما يفرضه البرجيس من اعتدالٍ بين أبيه وابنه ، ورأيتُ بجلاءٍ انتقالَ كلِّ في موضعه 1366؛ وأراني السبعة 1367 جميعاً ما هي أبعادهم وسرعتهم وبُعد أحدهم عن الآخر.

1368 ثم إذ كنتُ دائراً والجوزاء الأزلية، فقد بدا لي باكتمالٍ، من الكتبان إلى الشواطئ، ذلك المدى الضيق الذي يحيلنا شرسين جداً 1368؛ ثم بعينيّ التفتُ إلى العينين الساحرتين.

## الأنشودة الثالثة والعشرون

(سماء الأنجم الثابتة. إنتظار بياتريشي. نزول المسيح ومريم بين الطوباويين. جذل دانتي. ضحك بياتريشي. مريم في هالتها وصورة الصعود. نشيد المختارين. تجلي القديس بطرس. خميس الفصح، 14 نيسان 1300، في منتصف الظهر.)

كالطائر الواقف على عشّ فراخه اللطفاء،

تحت ورق الأشجار الأثير،

في أثناء الليل الذي يحجب الأشياء عنّا،

الطائر الذي يستبق الوقت على فرعه العالي،

ليرى أشكالهم المحبوبة

ويجد الغذاء الذي يُطعمهم إياه،

بفضل عملٍ شاقٍّ يستهويه،

وينتظر الشمس بمحبّة،

متربّصاً ولادة الفجر بانتباه،

فهكذا كانت تقف سيديتي

منصتةً وملفتةً إلى ذلك النطاق

الذي لا تُبدي فيه الشمس كثيرَ عجلة <sup>1369</sup> :

وإذ رأيتها لاهبةً ومنتظرة،

صرتُ كمثّل من تحدوه الرّغبة

في شيءٍ آخرٍ فيتطامن برجائه.

لكنّ برهةً قصيرةً مرّت بين الحالتين،

أعني بين الانتظار ورؤية السماء

وهي تنضوّاً رويداً رويداً؛

وإذا ببياتريشي تقول لي: - «هي ذي قوّات يسوع في ظفره وكامل الثّمار التي يؤتيها دوران

الأفلاك!» <sup>1370</sup> وبدا لي محياها مشتعلأً وكانت عيناها ممتلئتين فرحاً بحيث ينبغي أن أستغني بإزائهما عن كلّ خطاب.

وكما تقف تريفيًا <sup>1371</sup> أسفل القمر الساطع ضاحكةً للحوريّات الأزلّيّات المزدهرات تحت خلجان

السّماء، رأيتُ، فوق آلاف المشاعل، شمساً تتغمّدها كلّها، كما تضيء شمسنا أنجم العلاء <sup>1372</sup> ؛ وكان

ذلك النور الحيويّ يشفّ في نظري عن الجوهر الأليق بمثل هذا الجلاء بحيث لم أحتمل مواجهته.  
يا بياتريشي، يا أمرشدتي الحبيبة الغالية!

قالت لي: - «إنّ ما يقهرك لهو قوّة لا يصمدها أمامها أيّ شيء. هنا تكمن الحكمة والقدرة التي شقّت بين السّماء والأرض، المسلك الذي طالما كان يهفو إليه العالم.» وكما تُفُلت من غمامةٍ شعله من النّار اتّسعت فما عادت قادرةً على المكث فيها، فانقذفت على الأرض خلافت طبيعتها، فهكذا خرج فكري من ذاته، وقد كبر في تلك المأدبة، وما عاد بوسعي أن أتذكّر ما صار عليه.

- «افتح عينيك، انظر كيف أنا كائنة، فلقد أبصرت أشياء مدّتك بالقدرة على احتمال ضحكي.»  
عندما سمعتُ هذا العرضَ الجدير بعرفانٍ ليس ينطفيء أبداً في السّفَر الذي يُنكّتب الماضي فيه، فأنا كنتُ كمنلٍ من يواصل التّأثر بحلمٍ نسيه ويُجاهد عبثاً ليُعيدَه إلى ذاكرته.

وإذا ما هبّت الأنّ جميع الألسن التي تغذيها پوليمنيا<sup>1373</sup> وشقيقاتها بحليهنّ البالغ العذوبة، لنجدتي، فهي لن تبلغ من الحقيقة واحداً بالألف بتغنيها بالابتسامه الواهبة الوجه المبارك مزيداً من الألق؛ وهكذا فعلى القصيدة المقدّسة إذ تصف الفردوس أن تقوم بطفرة، كما يفعل من يفاجؤه انقطاع الطّريق.

لكنّ من فكّر بثقلٍ موضوعي وبالكثفين الفانيتين اللّتين تحتملانه، لن يلومهما إذا ما ارتجفنا تحته:  
فالمياه التي يخرها قيدهم سفينتي المقدام، ليست ممّا خُلق لقاربٍ صغير ولا لملاحٍ يتهيب العناء.  
- «لم يسحرك محياي إلى هذا الحدّ بحيث لا تنظر إلى الحديقة الغناء المتفتحة تحت هالة المسيح؟

هيّ ذي الوردة<sup>1374</sup> التي صارت الكلمة الإلهية فيها جسداً، وهيّ ذي الرّنايق<sup>1375</sup> التي دلّ أريجها على الدرب الصّالح.» هكذا تكلمت بياتريشي، وأنا الذي كنتُ متأهباً لتلقّي نصائحها عدتُ مرّةً أخرى

إلى معركة رموشي الواهية<sup>1376</sup>.  
وكما رأيتُ عيناياً أحياناً في أشعة الشّمس التي تجتاز بصفاءٍ غيمةً منكسرة حقلًا من الزّهر تعلوه بكامله الأفياء؛ فهكذا رأيتُ وفرّةً من النور تُسقطها من الأعلى خيوط شعاعٍ ملتهبة، من دون أن أرى منبع ذلك البرق.

أيتها القدرة السخية المرتسمة على هذه الشّاكلة، إلى العلى ارتفعت لإنجاد عينيّ اللّتين ما كانتا هناك قويّتين بحيث تحتملانك.

وإنّ اسم الزّهرة الجميلة<sup>1377</sup> الذي أردده في الصّباح والعشيّ قد أدار فكري كلّهُ لأتأمل هناك كبرى الشّعلات؛ وعندما رسمت [سيدتي] في كلنا عينيّ كلّ ما كان من جمالٍ وأبهة للنّجمة الحية الظّافرة هناك كما ظفرت على الأرض، نزل من السّماء مشعل دائريّ الإهاب كمنلٍ تاج، أحاط بها ومن حولها جعل يدور.

واللّحن الذي يصدح هنا على الأرض بأعذب النّعم ويجتذب إليه الرّوح أكثر، لأشبهه ما يكون بغمامةٍ مبفورةٍ تطنّ بالمقارنة بصوت ذلك القيثار الذي كان يتوجّج الياقوت الفاتن المتضوّاة به أنقى سماء

- «أنا المحبّة الملائكيّة<sup>1379</sup> ، أدفع إلى الدّوران الفرح السّامق الصّادر عن البطن الذي كان منزل رغباتنا؛ ولسوف أدور يا سيّدة السّماء فيما تتبعين ابنك وتحيلين المدار الأسمى أكثر سماويّةً بدخولك فيه.» هكذا اختتمّ اللّحن الدّائر كلماته وجعلت الأنوار الأخرى اسمَ مريم هناك يعلو.

وإذا بمعطف المدارات الملكي<sup>1380</sup> المشتعل والمتأجج أكثر من غيره، في نفس الله وأفعاله، يمدّ شقّه الداخلي أعلى منّا وعلى هذا البعد بحيث لم يكن ملمحه ليترأى لنا بعد حيثُ كنْتُ<sup>1381</sup> ؛ وما كان لعينيّ القوّة الكافية لأتبع الشعلة المتوّجة التي حلّقتُ عاليًا في إثر ابنها<sup>1382</sup> .  
وكما يبسط صغيرٌ ذراعيه نحو والدته بعدما يكون رضع من ثدييها، ويبعث الفرح ملتهبًا حوله، فهكذا مدّت كلّ واحدةٍ من تلك الشّعَل البيضاء إلى العلاء عُرفها حتى اتضحت لي المحبّة الكبيرة التي كنّ يحضنها مريم.

وهناك ظللن في مدى نظري، يُنشدن «يا مليكة السّماء»<sup>1383</sup> بمثل هذه العذوبة بحيث لم تبارحني متعتها بعد ذلك قطّ.

أوه، أيّة غزارةٍ تزدهم في هذه العنابر الثريّة التي أخصب قمحها حقولاً ليس تُعدّ! هنا يُعاش<sup>1384</sup> ويُستلذُّ من الكنز الذي يُحاز بالبكاء عبر المنفى البابلي<sup>1385</sup> ، حيثُ بقيّ الذهب مهجورًا.  
هنا يظفر، في ظلّ ابن الله ومريم، في أوج انتصاره، وفي صحبة المجمعين القديم والجديد، ذلك الذي يُمسك بمفتاحي هذا المجد<sup>1386</sup> .

## الأنشودة الرابعة والعشرون

(سماء الأنجم الثابتة. إبتهاال بياتريشي للأحبار من أجل دانتي. البهجة في السماء. القديس بطرس  
يمتحن دانتي في الإيمان. اعتقاد دانتي. نجاحه في الامتحان.)

1387

- «يا رفاقاً اختيروا للمأدبة العظيمة  
التي يغذيكم فيها الحمل المبارك  
بحيث يجد جو عكم شبعه دوماً،  
إن كان لهذا الرجل أن يذوق سلفاً  
بفضل من الله ما يسقط من مائدتكم،  
قبل أن يخط له الموت غايةً أجله،  
فلتفكروا بطموحه العظيم:  
وارووه قليلاً: ما دمتم تشربون أبداً  
من النّبع الواهب ما يهفو هو إليه.»  
هكذا تكلمت بياتريشي: وإذا بتلك الأرواح المغتبطة  
تشكل حلقات ثابتة أقطابها،

1388

متأججة بقوة أشبه ما تكون بالتيار  
وكما يدور عقرباً ساعة بتناغم بحيث يرى من يتأملهما إلى الأول هادئاً وإلى الثاني في طيران، فهكذا  
كشفت لي هذه الكلمات المتنوعة الرقص بين بطء وسرعة 1389 ، عن كل ما كان لها من الثراء 1390 .  
ومن تلك التي بدت لي هي الأثمن رأيت تنبثق ناراً فرحة لا تبرّها في السطوع ناراً أخرى؛ وثلاث  
دورات دارت حول بياتريشي منسدةً لحناً إلهياً هيهات يسع خيالي أن يُعيد قوله.  
ولذا يطفره يراعي ولا أكتب عنه:

1391

فالمخيّلة والكلام يقترحان لمثل هذه اللطائف ألواناً صارخة أكثر من اللزوم .  
- «يا أختاً صالحاً تبتهل هكذا بورع، بمحبتك اللاهية هي ذي أنت تفصيليني عن هذه الدائرة الجميلة.»  
عندما توقفت تلك الشعلة المباركة حرّكت في اتجاه سيدي أنفاسها التي خاطبتها كما ذكرت.  
فقلت لها سيديتي: - «أيهذا النور الأزلي للرجل العظيم، يا من سلمك سيدينا مفتاحي الغبطة الرائعة  
الذين حملهما إلى الأرض، إمتحن هذا ما طاب لك في مسائل مترواحة في العسر والسهولة حول  
الإيمان الذي أتاح لك أن تخطو على البحر 1392 .

إن كان يحب كما ينبغي، ويأمل ويؤمن، فلن يخفى عليك هذا ما دام لك نظرة يرتسم فيها كل شيء؛ فما

دام هذا الملكوت صنَع أبناءه بالإيمان الحقّ حتّى يُمَجِّدوه، فإنّه لطيبٌ أن يتحدّث عنه هو أيضاً.» وكما يشذ التلميذ أسلحته ولا يتكلّم قبل أن يطرح المعلم المسألة، ليُبرهنَ عليها لا ليضع لها حدّاً <sup>1393</sup>، فهكذا رحّت ألسنُ ببراھيني، فيما تتكلّم هي، حتّى أتأهّب في حضرة ذلك المعلم لِمثُل تلك الشّهادة <sup>1394</sup>

- «تكلّم أيّها المسيحيّ الجيّد، وعن فكرك أفصح: ما هو الإيمان؟» <sup>1395</sup>، فرفعتُ جبيني إلى النّور الذي صدرَ عنه ذلك الكلام، ثمّ التفتُ صوبَ بياتريشي فأشارتُ عليّ بأنّ أنشرَ إلى الخارج فيضَ ينبوعي الداخليّ.

فبدأتُ: - «أسألُ العناية التي تهبني أن أعترف أمام القائد <sup>1396</sup> النبيل هذا، أن تتيح لأفكاري تعبيراً جليّاً.» وواصلتُ: - «مثلاً خطّه اليراع الحقّ لأخيك الحبيب يا أبتاه، ذلك الذي وإيّاك وضعَ روما في التّهج القويم <sup>1397</sup>، الإيمانُ جوهرٌ كلُّ مأمول، وبرهانٌ ما لا يُرى؛ كذلك أرى أنا كُنْهه <sup>1398</sup>»

فسمعتُ: «إنّك لتفكّر باستقامة إن كنتَ تُدرك لماذا أحلّه في البدء بين الجواهر <sup>1399</sup>، ومن بعدُ بين البراهين.» فأجبتُ: «إنّ الأشياء العميقة التي تكشف لي هنا عن أسرارها، هي من الخفاء في نظر الأرضيّين بحيث تشكّل لديهم لا أكثر من مادّة إيمان عليه يتأسّس الرّجاء؛ ولذا حازَ الإيمان تسمية "جوهر".»

وبهذا الإيمان ينبغي أن نفكّر دونَ أن تكون لنا رؤية أُخرى، ولذا دُعِيَ برهاناً <sup>1400</sup>. فسمعتُ: - «لو كانَ كلُّ ما يمكن أن يتعلّمه الإنسان على الأرض من معتقداتٍ يفهم على هذه الشّاكلة، لما كانَ للسّفسطة أن تكون.» هكذا كانت تلك المحبّة اللاهبة تنفتّ كلماتها؛ ثمّ أضافتُ: - «إنّ سبيكة هذه العُملَة ووزنها قد تداولتُهما جيّداً كفاك؛ ولكنّ قلّ لي إن كنتَ تحفظها في صرّتك <sup>1401</sup>.» فأجبتُ: - «أجل، وهي لامعةٌ ومدوّرة حتّى أنّ شيئاً لا يتيح لي الارتياح من صنعتها.» فسمعتُ من داخل النّور العميق الذي راح يسطع: - «هذه الجوهرة المثمّنة التي تقوم عليها جميع الفضائل، من أينَ يا ترى جاء نكّ؟» فأجبتُ:

- «المطر الشّاسع للرّوح القدس المنتشر في قديم الصّحائف وجديدها، هو المنطق الذي أثبتَ ذلك لي وبهذا الجلاء حتّى أن كلَّ برهان يبدو لي إلى جانبه مثلاً <sup>1402</sup>.»

فسمعتُ من بعدُ: - «قديمة المقولتين والأخرى الجديدة اللّتان بفضلهما تختتم على هذا النّحو <sup>1403</sup>، لم تعدّهما يا ترى كلاماً إلهياً؟» فأجبتُ: - «إنّ البرهان الذي يكشف لي عن الحقّ، هو الأعمال التي تواتت والتي من أجلها لا تسخّن الطبيعة الحديدَ لا ولا تطرّق السنديان <sup>1404</sup>.»

فأجابني: - «ولكنّ قلّ لي منْ يُثبتُ لك أنّ هذه الأعمال كانت؟ إنّ ما ينبغي برهنته هو ما يقول لك ذلك، ولا شيء آخر <sup>1405</sup>.»

فرددت: - «إذا كان العالم جاء إلى المسيحية بلا آياتٍ فهذه الآية هي من العظمة بحيث لا تعادل الأخرى شطراً منها يسيراً:

فأنت نفسك ولجت فقيراً وجائعاً<sup>1406</sup> في الحقل لتبذر النبتة الطيبة التي كانت بالأمس كزماً قبل أن تنقلب إلى عُلق»<sup>1407</sup>.

ثم ما إن فرغت من هذه الكلمات حتى تعالَى في ذلك البلاط المبارك نشيدُ «حمداً لله» بالنعم الذي به يُغنى هناك<sup>1408</sup>.

واستأنف ذلك البارون<sup>1409</sup> الذي كان قد سعدَ بي في أثناء اختباره لي من غصنٍ لآخر إلى الأعلى حتى لقد قاربنا آخر الفروع، قائلاً: «إنَّ الفضل الذي يحاور فكرَك عن المحبة، قد أنطقَ فاك إلى الآن مثلما كان ينبغي له أن ينطق، بحيث أُويد أنا كلُّ ما انبثقَ منه، والآن ينبغي أن تقول ما تؤمن به ومن أين تأتي لك هذا الإيمان.»

- «أيها الأب القديس، يا روحاً تُبصر ما به آمنت هكذا بحيث انتصرت بجريك إلى القبر على قدمين أفتي»<sup>1410</sup> ؛ هكذا بدأت وأضفت:

- «تريدني أن أصفَ شاكلةَ إيماني المبرم وتسالني عن بواعثها أيضاً؛ وأنا أُجيبُ بأنني أو من بالله الأبدى الواحد المحرك السماء بكاملها بمحبةٍ ورغبةٍ<sup>1411</sup> دون أن يُحركه شيء؛ وما لدي على هذا الإيمان براهين آتية من الطبيعة ومما وراءها فحسب، بل هي تأتيني من الحقيقة التي تنهمر ههنا عبر موسى والأنبياء والمزامير، عبر الإنجيل وعبركم أنتم يا من كتبتم بعدما أحالكم الروح اللاهب قديسين<sup>1412</sup> ؛ وأنا أو من بثلاثة باقين أبداً، وأرى فيهم جوهرأ واحداً وثالوثاً يقبل في الأوان ذاته ب-

<sup>1413</sup>

«يكونون» و«يكون» .

وخاتمُ الشرط الإلهي العميق الذي ألمسه الآن إنما طبَّعه في فكري معتقد الإنجيل مراراً عديدة.

هنا يكمن المبدأ وهذه الشرارة التي تكبر وتصير شعلةً حيَّة تتأجج في كما يتأجج في كبد السماء نجم.» وكما يعانق المعلم تلميذه عندما يسمع منه شيئاً يسره ويفرح بالنبأ ما إن يصمت التلميذ، فهكذا باركني بغنائه ودارٍ حولي ثلاثاً نورُ ذلك الحبر الذي بأمرٍ منه تكلمت، لفرط ما سره كلامي!



## الأنشودة الخامسة والعشرون

(سماء الأنجم الثابتة. الحنين إلى فلورنسة. اليقين بنيل إكليل الشعر. القديس يعقوب يمتحن دانتي في الرجاء. ظهور القديس يوحنا. دانتي يحاول أن يرى القديس جسدياً، فينبره ويفقد بصره مؤقتاً.)  
إذا حدثت وانتصرت القصيدة المقدسة

1414 التي تعاونت الأرض في إتمامها والسماء ،  
والتي أنحلت الجسم مني سنين عديدة،  
على الفظاظة التي تُبقيني

1415 خارج الحُصن الجميل الذي نمث فيه حملاً ،  
مُعادي الذناب الثنائة عليه حرباً؛  
فبصوتٍ آخرٍ وصوفٍ آخرٍ ،  
سأعود شاعراً وعلى الأحواض

1416 التي عُمّدت فيها سأنال الإكليل ؛  
فهناك دخلت في الإيمان  
الذي يعرف الله الأرواح بفضلته والذي من أجله  
توجّ بطرس لاحقاً جيبني.  
في تلك اللحظة أقبل نحونا نورٌ  
من ذلك المدار الذي خرج منه

1417 أول الرّسل الذين خلفهم المسيح  
فقالنت لي سيّدي وملؤها الفرح:

1418 - «ألا انظر، هوذا يُقبل "البارون" الذي من أجله نزور على الأرض غاليسية .» وكما عندما  
تنطرح الحمامة قرب رفيقتها وتُبدي إحداها للأخرى محبّتها، دائرتين موشوشتين، فهكذا رأيتُ  
الأميرين العظيمين وهما يحتفي أحدهما بالآخر، ممتدحين الغذاء الذي يُطعمانه هناك .

1420 وعندما استنفدا عبارات الترحاب وقفا قدامي صامتين ولاهيين حتى جعلاني أخفض محيّي.  
فقالنت بياتريشي ضاحكةً:

1421 - «أيتها الروح الدّاعة الصّيت يا مَنْ بها عُرِفَت سماحة كنيستنا ، حبّذا لو جعلتِ الرّجاء يتعالى

في هذه الأعالي:

فأنتِ تعرفينه، أنتِ الذي مثّله في جميع المرّات التي أحاط فيها يسوع الثلاثة بإحسانه <sup>1422</sup>  
- «إرفع الرأسَ ولتزددْ ثقةً:

فما يأتي إلى هنا من دنيا الفانين ينبغي أن يُنضح بأشعّتنا.» هذا التّشجيع جاءني من الشّعلة الثّانية؛ فرفعتُ عينيّ صوبَ تينك الدّروتين اللّتين كانَ ثقُلهما في البدء جعلني أخفض بصريّ.

- «ما دام فضل امبراطورنا يقضي بأنْ تقابل قبل موتك هؤلاء العمّادات الثّلاثة في الحجرة السريّة

<sup>1423</sup> ، بحيث تُبصر حقيقةً هذا البلاط فيتدعّم فيك وفي غيرك الرّجاء، هو الذي ينشر على الأرض المحبّة، فلتقلّ لنا ما هو الرّجاء ومن أين تأتي لروحك أنْ تزهّر منه ومن أين أتاك؟»، هكذا استأنف الثّور الثّاني كلامه.

لكنّ الصّديقة الورعة التي قادت في ذلك الطّيران العالِي ريش جناحيّ، سبقتُ إجابتي هكذا:

- «إنّ الكنيسة المجاهدة <sup>1424</sup> ، كما هو مكتوب في الشّمس التي تُثير محفلنا كلّه، لم تعرف ابناً يحمل من الرّجاء أكثر ممّا يحمل:

ولذا أتيح له أنْ يأتي من مصرَ لرؤية أورشليم <sup>1425</sup> قبل أنْ يكتمل نضاله.

والنّقطتان الأخريّان المطروحتان عليه، لا للحكم عليه بل لكي ينقلَ إلى الأرض كم هي غالية لديكم هذه الفضيلة، أتركهما له: لن تكونا عسيرتين عليه، ولا ينبغي أنْ تملأه زهواً؛ فليطرخْ إجابته ولتساعده في ذلك عناية الله.» وكما ينوب مُريدٌ عن أستاذه، متحفّزاً ومنفتحاً على ما يعلم، كي تسطع قيمته في نظر الجميع، قلتُ: «الرّجاء هو الانتظار الواثق من المجد القادم الذي ينجم عن الفضل الإلهي والاستحقاق القديم.

جاءني هذا الثّور من أنجم عديدة، لكنّ أوّل من قطّره في قلبي هو كبيرٌ مغنيّ أكبر الملوك.

هو من قال في نشيده الإلهي <sup>1426</sup> :

"فليأملْ بك من عرفوا اسمك"; أفيجعله من كان له إيمانٌ كإيماني؟

ثمّ ألقينته أنت في روعي كما ألقاه هو فيها، عبرَ رسالتك <sup>1427</sup> : وإته ليفيض فيّ، فأعيدُ في الغير سكب غيتك».

وفيما أتكلّم، في الحضن الحيّ لهذه المجرّة، راح يرتجف نورٌ مفاجئ ومتكرّرٌ كمثل برق.

ثمّ نطق: - «الحبّ الذي ما برحتُ أشتعل به من أجل الفضل الذي تبغني حتّى نيل السّعفات والخروج

من الميدان <sup>1428</sup> ، يقضي بأنْ أكلمك، أنت يا من تُحبه؛ وسأشكرك إذا ما أفضيت لي بما يعِدك به الرّجاء.» فقلتُ له:

- «العهدان القديم والجديد يحدّدان الغاية التي يكشف لي الرّجاء عنها، غاية الأرواح التي منّ عليها الله

بصداقته. يقول أشعيا <sup>1429</sup> إِنَّ كَلَّ وَاحِدَ سِيكْتَسِي فِي وَطْنِهِ ثَوْباً مَزْدُوجاً: وَوَطْنُهُ هُوَ هَذِهِ الْحَيَاةُ الْعَذِيبَةُ؛ وَأُخُوكَ <sup>1430</sup> ، بِكَلِمَاتٍ أَشَدَّ بَوْحاً، كَشَفَ لَنَا عَنْ هَذَا الْوَحْيِ، عِنْدَمَا تَكَلَّمُ عَنِ الْأَثْوَابِ الْبَيْضِ.»

ثُمَّ، فِي خَتَامِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، سَمِعْنَا أَعْلَى مَنَّا: «أَفْرَحُ بِكَ وَأُبْتَهَجُ» <sup>1431</sup> ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ جَمِيعَ التَّوَيِّجَاتِ، ثُمَّ انْتَلَقَ وَسَطَهَا نَوْزٌ كَانَ مِنَ الْقُوَّةِ بَحِيثٌ لَوْ كَانَ لِبُرْجِ السَّرَطَانِ مِثْلَهُ لَكَانَ لِلشَّتَاءِ شَهْرٌ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ <sup>1432</sup> .

وَكَمَا تَنْهَضُ لِنَلْجَ فِي حَلْقَةِ الرَّقْصِ عِزْرَاءُ فَرِحَةٌ تَكْرَمَةٌ لِلْعُرُوسِ مِنْ دُونَ أَنْ تَفَكَّرَ بِأَيِّ سَوْءٍ، فَهَكَذَا رَأَيْتُ النُّورَ السَّاطِعَ وَهُوَ يَتَّجِهُ إِلَى الْآخَرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَرْقِصَانِ كَمَا يَلْبِقُ بَحْبَهُمَا اللَّأْهَبُ، وَهَنَّاكَ انْقَذَفَ فِي الْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ وَكَانَتْ سَيِّدَتِي لَا تَفَارِقُ بِنَظَرَتِهَا الشَّعَلَاتِ الثَّلَاثِ كَعُرُوسٍ صَامِتَةٍ فِي مَكَانِهَا لَا تَرِيْمُ.

- «هُوَذَا مَنْ اسْتَنْدَ إِلَى صَدْرِ بَجِينَا <sup>1433</sup> وَالَّذِي اخْتَبَرَ عَلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِ الْقَدَّاسِ الْكَبِيرِ.» هَكَذَا تَكَلَّمْتُ سَيِّدَتِي، وَلَكِنَّ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ لَمْ تَمْنَعْ بَصَرَهَا مِنْ أَنْ يَظَلَّ بَالِغَ الْإِنْتِبَاهِ بَعْدَ كَلَامِهَا كَمَا مِنْ قَبْلِهِ. وَكَمَثَلِ مَنْ يُعَايِنُ وَيَجْهَدُ فِي أَنْ يَرَى الشَّمْسَ وَهِيَ تَتَكَسَفُ قَلِيلاً وَالَّذِي يَفْقَدُ مِنْ طَمَعِهِ بِالرُّؤْيَا بَصَرَهُ، فَهَكَذَا صَرْتُ أَمَامَ الشَّعَلَةِ الْآخِرَةِ، فِيمَا يَقُولُ صَوْتُ: - «لَمْ يَنْبَهْرْ يَا تَرَى بَصْرُكَ مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ مَا هُوَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ <sup>1434</sup> جَسَدِي فِي الْأَرْضِ تَرَابٌ وَسَيَبْقَى هُنَاكَ مَعَ الْأَجْسَادِ الْآخَرَى طَالَمَا لَمْ يَكُنْ عِدَدُنَا مُعَادِلًا لِمَا يُحَدِّدُهُ الْمَرْسُومُ الْأَزَلِيُّ.

وَلَمْ يَرْقَ إِلَى الدَّيْرِ الطُّوبَاوِيِّ إِلَّا نُورَانِ اثْنَانِ فِي ثَوْبَيْهِمَا <sup>1435</sup> ؛ سَتَنْقَلُ هَذَا إِلَى عَالَمِكُمْ.» مَعَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هَدَأْتُ الدَّوْرَةَ الْمَلْتَهَبَةَ وَذَلِكَ الْوَفَاقَ الْعَذْبَ الَّذِي كَانَ يَجْمَعُ صَوْتَ الْأَنْفَاسِ الثَّلَاثَةِ <sup>1436</sup> ، مِثْلَمَا تَنْتَوِّفُ الْمَجَازِيفَ عَلَى صَوْتِ صَفَّارَةٍ <sup>1437</sup> ، تَفَادِيًا لِلْخَطَرِ أَوْ الْإِجْهَادِ، بَعْدَمَا كَانَتْ تَصْطَفِقُ فِي الْمَاءِ.

أَوَاهُ كَمْ اضْطَرَبْتُ آنَذَاكَ نَفْسِي عِنْدَمَا التَفْتُ لِأُرِي بِيَاتْرِيشِي وَلَمْ أَقَوْ عَلَى رُؤْيَيْهَا <sup>1438</sup> مَعَ أَنِّي كُنْتُ إِلَى جَانِبِهَا، فِي الْكُونِ السَّعِيدِ!

## الأنشودة السادسة والعشرون

(سماء الأنجم الثابتة. القدّيس يوحنا يمتحن دانتى في المحبة. الطوباويون يصقّون له. دانتى يستعيد بصره. تجلّي آدم وكلامه عن الأزمنة الأولى للخليقة وعن لسان أوائل البشر وأسماء الله.)

1439

كنتُ قلقاً على بصريّ المعميّ ،  
وإذا بالشعلة الوامضة التي أحمده  
تبعث نفساً جذب انتباهي،  
كان يقول: - «في انتظار أن تستعيد  
البصرَ الذي انطفأ بمعابنتي،  
فإنه ليحسُن أن تعوّضه بالكلام.  
فلتبدأ مُسمياً مَنْ تحنّ إليه روحك،  
ولتعلم أنّ بصرك  
إن كنتَ فقدته فما هو بالميت؛  
فالسيدة التي تقودك

عبرَ هذه الدوائر الإلهية تحمل في نظرتها

1440

القدرة التي كانت ليديّ حنيناً»  
فقلتُ: - فليأتِ عاجلاً أو آجلاً الدواء لعينيّ اللتين كانتا هما الباب الذي منه ولجئتُ هي والنار التي ما  
برحتُ أحترق منها.  
فالخير الذي يصنع حبور هذا البلاط كلّهُ هو الألف والياء لكامل الكتابة التي يملئها عليّ العشق تارةً  
بقوّة وطوراً بارتخاء».

1441

وإذا بالصوت نفسه الذي كانَ أزالَ عنيّ خوفيّ من الانبهار المفاجيء يهيني متعة الكلام أيضاً، قال  
لي: - «ينبغي أن يُجلى فكرك بغربالٍ أرهف، وأن تقول آية قوسٍ أطلقتك نحو هذه الغاية.» فأجبتُ:  
«إنّ براهين الفلاسفة والسيادة التي تنتزل من هذه الأعالي تطبع فيّ ولا شكّ مثلَ هذا العشق:

فالخير، بما هو خيرٌ، ما إن نسمعه، حتّى يُشعل العشقَ فينا لا سيّما وأنّه ينطوي في ذاته على طيبة

1442

كبيرة

وعليه، فصوبَ هذا الجوهر الوفير وفرةً تجعل كلّ خيرٍ قائمٍ في خارجه لا أكثرَ من واحدٍ من خيوط  
نوره، صوبه، لا صوبَ سواه، ينبغي أن يتّجه عاشقاً فكلّ مَنْ يتبيّن الحقّ القائمَ عليه هذا البرهان.

1443

والذي يكشف لفكري عن هذا الحقّ هو مَنْ يُثبت لي أنّ العشق هو أوّل الجواهر السّرمدية

هذا ما يكشف عنه صوت المؤلف الحقيقي الذي قال لموسى متكلماً عن نفسه:

- «سأريك الخير كله.» <sup>1444</sup> وأنت أيضاً تكشف لي عنه إذ تبدأ تبشيرك العالي الذي يذكر أبناء الأرض بأسرار هذا البلاط أفضل من أي بيان آخر.»  
فسمعتُ: - «بالفكر الإنساني وبالسيادة التي تتوافق وإياه، يتطلع إلى الله أعلى حبك.

لكن قل لنا إن كانت أوتارٌ أخرى تجذبك إليه وأفهمنا بكم من الأسنان يعضك يا ترى عشقه.» <sup>1445</sup> لم يكن المقصد المبارك للنسر المسيح هذا مخفياً، فأدركتُ إلى أين كان يريد توجيه شهادتي.  
فاستأنفتُ: «إن جميع العضات التي يمكن أن توجه القلب ناحية الله، ساهمت في تكوين محبتي؛ ذلك أن كياني وكيان العالم، والموت الذي قاساه الإله لكي أحياء، وما يأمله كل مؤمن كما أفعل أنا نفسي، والمعرفة الحية التي تكلمتُ عنها، هذا كله أخرجني من بحر الحب الظالم، ووضعني على شاطئ المحبة الحق.

والأوراق التي يزدان بها بستان البستاني الأزلي <sup>1446</sup>، أحبها أنا بقدر ما غمرها به من خير.» وما إن صمتُ حتى ترددت في السماء أناشيدٌ عذبةٌ وكانت سيديتي:

تقول والآخرين: - قدوس، قدوس، قدوس!« وكما يوقظنا نور قوي بالفكر البصري الذي يهرع لملاقاة الضوء الذي يتسلل من غشاء إلى آخر ويهرب المستيقظ من كل ما تراه عيناه، وتكون يقظته المفاجئة مجردة من الوعي طالما لم يأت ليُسعفه الحكم؛ فهكذا طردتُ بياتريشي من عيني كل غبار بوهج عينيها ذاك الذي كان يسطع على مسافة آلاف الأميال:

فصرتُ أرى بأفضل من ذي قبل، وكمثل المصعوق تساءلتُ عن اسم شعلة رابعة رأيتها قربنا.

فأجابتُ سيديتي: - «في هذه الأشعة تتوجه لبارئها بالعبادة <sup>1447</sup>. النفس الأولى التي خلقتها القدرة

الأولى <sup>1448</sup> وكما تُنكس أوراق الأشجار ذروتها لدى مرور الريح، ثم تشرئب بقواها نفسها التي تُنهضها، فهكذا فعلتُ طالما كانت تتكلم، منصعقاً بكاملني ثم أعادت لي ثقتي رغبة في الكلام كانت تلهبني.»

فبدأتُ: - «يا ثمرةً وحدها أنتجت يانعةً، أيهذا الأب العريق الذي تكون كل زوجة ابنة له وكنة، أتوسلك بكامل الورع أن تكلمني: أما ترى رغبتني التي لا أعبر عنها كي أسمعك بسرعة؟» وكما يصطرع حيوان مغطى بحيث يُحيط بما يُحس به خلل الدثار الذي يتكيف لحركته، فهكذا كانت الروح الأولى تشفت لي عبر غلافها [المنير] عن أنها جاءت لتُجاملني بكامل السرور.

ثم قالتُ: - «دون أن تعبر عن رغبتك، أتبيّننا بأكثر وضوحاً ممّا يبين لك الشيء الواثق أنت منه كامل الثقة؛ ذلك أنني أراها في المرأة الحق التي تطبع جميع الأشياء بصورتها، ولا يطبعها شيء بصورته.

تريد أن تعرف متى أحلني الله في الروضة العالية التي هيأتك فيها هذه السيدة للمعراج الطويل، وكم من الزمن أبهج عيني، والباعث الحقيقي غضبه واللسان الذي كنتُ أنطق به، وما فعلتُ.

أي بني، لم يكن تناول الثمرة هو باعث ذلك النفي، بل تجاوز الحدّ وحده <sup>1449</sup> وفي الموضع الذي منه

أخرجت سيّدتك فرجيليو، ظللتُ أرغب في هذا المحفل طوال ألفٍ وثلاثمائةِ سنةٍ ودورتين للشمس  
1450 ؛ وطوال مكثي على الأرض أبصرتُ الشمسَ تمرّ بجميع بروج طريقها تسعمائةً وثلاثين  
مرّة 1451 واللّسان الذي كنت أنطق به انقضى حقاً من قبل أن تنهك سلالة نمرود بالصنّيع الذي لا  
يمكن إتمامه 1452 فبفعل متعة البشر التي تتغيّر بحسب حركات السّماء، لم تكن واحدة من آثار العقل  
دائمة قطّ.

من صنّيع الطبيعة أن ينطق الإنسان، لكن أبهذه الشّاكلة أم بتلك، هذا تتركّم الطبيعة تقرّونه كما  
يُرضيكم.

قبل أن أنزل إلى ضيق الجحيم، كان «إي» على الأرض هو اسم الخير العليّ  
الخير العليّ أو الأسمى هو الله. ويصحّ دانتي هنا اعتقاده اللغويّ الأوّل الذي كان عبّر عنه في كتابه  
النظريّ «في فصاحة العاميّة»، إذ كان يرى أن لغة آدم بقيت غير ممسوسة كلغة للعبرانيين بعد انهدام  
برج بابل وولادة الألسن المتعدّدة. كما يؤكّد في المؤلّف نفسه أن أوّل لفظ نطق به آدم هو «إي»، وهو  
أحد أسماء الله في العبريّة، وتدلّ المفردة على الوحدة (الرّم «واحد» في الترقيم الرّومانيّ، وصرخة  
الفرح «إي»). الذي يصدر عنه ما يكتنفن من بهجة، ثمّ سُمّي «إل» 1453 : وكان ذلك حسناً لأنّ  
استعمالات البشر هي كمثل ورقة تنزاح عن الغصن في حين تولد أخرى.  
وعلى الجبل الشّاهق المشرف على البحر، ظللتُ في البراءة ومن بعدُ في الإثم، من السّاعة الأولى إلى  
تلك التي تلي، عندما تغيّر الشّمسُ ربعَ دائرتها، السّاعة السادسة 1454 .

## الأنشودة السابعة والعشرون

(سماء الأنجم الثابتة. نشيد القديسين. تقريع القديس بطرس للبابا بونيفاتشو الثامن. دانتي يدور صحبة الجوزاء والسماء المكوّبة. نبوءة: مهمّة دانتي. عودة الطوباويين إلى سماء النار. صعود دانتي إلى السماء التاسعة أو المحرّك الأول: الله والملائكة. بياتريشي تشرح له طبيعة المحرّك الأول. تقريع فساد الإنسانية. البشارة بتجديد أخلاقيّ قادم.)

- «المجد للأب والابن والروح القدس»

هكذا بدأ يردّد الفردوس كلّهُ،

فأسكرتني عذوبة ذلك الغناء.

وبدا لي ما كنتُ أراه

ضحكاً للكون وكان السُّكر

ينفذ إليّ من كلا البصر والسَّمع.

آه يا للفرح ويا لها بهجةً شائقة!

يا لحياةٍ كاملةٍ ملؤها المحبّة والسلام!

يا لثرواتٍ مضمونةٍ بلا طمَع!

<sup>1455</sup> أمام عينيّ كانت المشاعل الأربعة .

تتوقّد، والأوّل الذي أقبل من بينها

جعل يزداد وهجاً،

ثم صار في مرآه أشبه ما يكون

بما سيصير البرجيس لو كان هو والمريخ

<sup>1456</sup> طائرَين يتبادلان ريشهما

والعناية التي توزع ههنا

الأدوار والأعباء أحلّت الصمت

في جوقة الطوباويين من كلّ جانب،

عندما سمعتُ: «إنّ فقدتُ لوني فلا تندهشُن،

فحينما أتكلّم سيفقد هؤلاء جميعاً ألوانهم.

وذلك الذي يغتصب على الأرض مكاني،

<sup>1457</sup> مكاني، مكاني الشّاغر من حضور ابن الله،

جعل من مقبرتي مستنقعا من  
الدّماء والعفن حتّى أنّ الفاسق الذي  
سقط من هنا مسرورٌ هناك <sup>1458</sup>»

فانتشر على كامل السّماء اللّون الذي يصبغ الغيوم في مواجهة الشّمس صبح مساء.  
وكمثّل امرأة شريفة تظللّ واثقة من نفسها ويعروها الخوف ما إنّ تسمع بخطايا الغير، فهكذا تغيّر ملمح  
بياتريشي هي أيضاً وأحسب أنّ السّماء شهدت كسوفاً كهذا عندما تعذّبت القدرة العليّة <sup>1459</sup>.  
ثمّ واصلت الشّعلة كلامها بصوت أدركه من التغيّر أكثر ممّا أصاب مرآها:

- «لم تغتذ زوجة المسيح من دمي أنا ولا من دم لين وكليتوس <sup>1460</sup> لتخدم في تكنيز الذهب، بل لنيل  
هذه الحياة السّعيدة سكب سيستو وبيو وكليستو وأوربانو <sup>1461</sup> دماءهم من بعد دموع كثيرة.  
ولم يكن من مقصدنا أن يجلس إلى يمين من يعقبوننا شطر من الشّعب المسيحيّ وإلى يسارهم شطر  
آخر <sup>1462</sup> ولا أن يصبح المفتاحان اللذان تلقّيت شعاعاً على راية <sup>1463</sup> تُقاتل من نالوا ماء العمادة؛ ولا  
أن أصبح صورة على ختم من أجل امتيازات مباحة وكاذبة، غالباً ما أحمرّ خجلاً منها وأشتعل  
غضباً <sup>1464</sup> في جميع المراعي نرى من مكاننا هنا ذئاباً فراسةً في ثياب رعيان <sup>1465</sup> يا رعاية الله، ما  
لكِ تنامين؟

ولشرب دمنا يتهياً الكاهوريون والغاسكون <sup>1466</sup> : يا بداية طيبة في أيّ نهايةٍ بائسةٍ ستسقطين!  
ولكنّي أرى أنّ العناية الإلهية التي دافعت في روما <sup>1467</sup> ، هي وشيوني، عن مجد العالم سرعان ما  
ستهب للنجدة؛ وأنت، يا بنيّ، يا من سبّعتك ثقلك الفاني <sup>1468</sup> إلى الأرض، ألا افتح فاك، ولا تتستز  
على الأذى الذي لم أتستز أنا عليه.» وكما يسقط الثلج في هوائنا ندفاً من بخار متجمّد عندما يُلامس  
قرن عنزة السّماء الشّمس <sup>1469</sup> فهكذا رأيت في الأعلى الأثير يتلون ويمطر أبخرته المنتصرة التي  
تخيرت مقامها بيننا.

راح بصري يتبع أشكالها حتّى اللحظة التي لم تعد المسافة تسمح لها فيها بالتفاد أبعد.  
فقلت لي سيّدي وقد رأيت أنني كفتت عن النّظر إلى أعلى: - «فلتخفض نظرك، وانظر كم دُرت»  
فرايت أنني منذ الساعة التي بدأت فيها بالنّظر قد اجتزت، من الوسط حتّى النهاية، كامل القوس التي  
يصنعها المناخ الأوّل <sup>1470</sup> هكذا بحيث كنت أرى أبعد من قادش عبور عوليس المجنون، وأقرب منه  
ذلك الشّاطيء الذي صارت فيه أوروبّه جملاً صغيراً <sup>1471</sup> كان يمكن أن أرى في ذلك الفضاء أكثر،  
ولكنّ الشّمس كانت تعدو عند قدميّ على مسافة علامةٍ ونيف <sup>1472</sup> فكريّ العاشق الذي كان ما برح  
يُحاور سيّدي.



راح يشتعل أكثر من أي وقت مضى رغبة في التّحديق بها عن كُثب؛ ولو أنّ الفنّ أو الطبيعة صنّعا فخاخاً الاجتذاب الأرواح أو أسر الأعيُن في الجسد البشريّ أو عبر التّصاووير، لبدا كلّ سلطانهما هباءً بالقياس إلى الحُسن الإلهيّ الذي كان يبهرني عندما ألتفتُ إلى عينيها الصّاحكتين.

فانتزعتني القدرة التي ألفتها نظرتُها فيّ من عشّ ليدا الجميل وقذفتني في السّماء التي هي أسرع من  
الجميع <sup>1473</sup>.

أقاليمها الحيويّة العالية هي من التّمائل بحيث لن أقدر أن أقول أيّها اختارته بياتريشي لإدخالي <sup>1474</sup>.  
ولكنّها، إذ هي بصيرةٌ برغباتي، بدأت، ضاحكةً بمثل هذه البهجة بحيث بدا الله في محيّاها مغتبطاً:  
- «إنّ طبيعة العالم التي تُبقي في سكون على المركز وتحرك ما يبقى حوله، تجد هنا نقطة

بدايتها <sup>1475</sup>؛ وما لهذه السّماء من محلّ آخر سوى خاطر الله الذي فيه يتوقّد الحبّ الذي يُحرّكها وما  
يسكبه عليها من فضل <sup>1476</sup>. والنور والمحبة يحيطانها بدائرة، كما تحيط هي بسواها، وذلك النّطاق  
وحده من زنّره يقدر على فهمه. لا تنفّس حركتها بحركاتٍ أخرى، بل الحركات الأخرى تنفّس  
بحركتها، كالعشرة تنفّس بالنّصف والخمس <sup>1477</sup>؛ وعسى أن يكون اتّضح لك الآن كيف يتمتّع الزّمن

بجزوره في هذا الإناء، وبأوراقه في أنيةٍ أخرى <sup>1478</sup>. آه يا جشع يا من تُغرق البشر الفانين ببالغ  
العُمق تحنّك حتّى أنّه لا أحد ليقدّر أن يتلع بعينه أعلى من أمواجك!  
تزهّر الإرادة لدى البشر، بيد أنّ المطر الملحاحّ سرعان ما يُحوّل البرقوق الحقيقيّ ثمراً جهيضاً.  
الإيمان والبراءة لا يُوجدان إلاّ عند الصّغار، ثم يهربان منهم من قبل أن يتزعّب خدّاً كلّ واحد.

فهذا يصوم وهو بعدُ يتلعثم، ثمّ ما إن ينطلق لسانه حتّى يلتهم أيّ كلماتٍ كانت في أيّ شهر <sup>1479</sup>،  
وذاك في طور لعنتمته يحبّ أمّه ويستمتع إليها، ثمّ ما إن يكتمل النّطق عنده حتّى يأمل أن يرى إليها  
وهي تُقبر.

هكذا ينقلب أبيضُ الجلد أسود مع ظهور الابنة الجميلة لهذه التي تجلب الصّبح وتهجر  
المساء <sup>1480</sup>.

أما أنتَ فلكي لا تندهش من ذلك، فلتفكّر بأنّ أحدًا لا يحكم الآن الأرض؛ ولذا فالإسرة البشريّة  
مدفوعةٌ على طرُق ضلال <sup>1481</sup>.

لكن قبل أن يخرج كانون الثّاني بكامله من الشّتاء بسبب الجزء المئويّ المهمّل على الأرض <sup>1482</sup>،  
ستشعّ هذه الحلقات العليا بمثل هذه الحدة بحيث يضع الحظّ الذي طال انتظاره المؤخّر في محلّ  
القيدوم، فينطلق الأسطول باستقامة؛ وتجيء الثمرة الحقّ في أعقاب الرّهرة.

## الأنشودة الثامنة والعشرون

(السَّماءُ التَّاسِعَةُ أو المَحْرَكُ الأوَّل. رُؤيةُ نقطةٍ مضيئةٍ محاطةٍ بتسعِ دوائرٍ ناريةٍ. بياتريشي تشرح علاقةَ الدَّوائرِ التَّسعِ بالسَّمواتِ التَّسعِ. مراتبُ الملائكة.)

عندما أرثني الوجة الحقّ  
للحياة الحاضرة للفانين البؤساء  
هذه التي تُفردسُ روجي،  
فكما يرى المرء في المرأة نارَ شعلة  
يضيؤه نورها من الخلف،  
قبل أن يلمحها في نظره أو في فكره،  
ويلتفت ليرى إن كان الجام  
نطقَ بالحق فيرى أنه يطابق ما يعكسه،

1483

تطابقَ نشيدٍ وإيقاعه ،  
فهكذا فعلتُ - ما برحتُ بذلك تنطق ذاكرتي -  
وأنا أنظر إلى العينين الفاتنتين  
اللتين صنعَ منهما الحبَّ أحبولةً لِشَنقي.  
وعندما التفتُ ولفحَ عيني  
ما يترأى هناك في السَّماء  
عندما نحدّق بدائرتها بإمعان،  
رأيتُ نقطةً يشعّ منها نورٌ هو من القوّة  
بحيث ينبغي على العين التي يلهبها  
أن تنطبقَ أمام مضاء وهجّه،  
والنّجمة التي تبدو هنا ضئيلاً جدًّا،  
تبدو إلى جانبه هناك قمرًا  
كمثلِ نجمٍ مقيمٍ بجوارِ نجم.

وكما تبدو قريبةً الهالة من النور الذي يصنع زينتها، عندما يكون الضباب الذي يحملها كثيفًا،  
فهكذا كانت تدور حول النقطة دائرةً من النار، سريعة حتى ليتمكن أن تتجاوز الحركة الأسرع التي  
تطوف حول العالم <sup>1484</sup>؛ وهذه الدائرة كانت محاطة بدائرةٍ أخرى والثانية بثالثة، والثالثة برابعة،  
والرابعة بخامسة، والخامسة بسادسة.

وفي أعلاهنّ تأتي السّابعة، وإنّها لمنّ الامتداد بحيث سيكون رسول يونون أضيّق من أن يحتويها  
بأكملها <sup>1485</sup>.

وكذلك الثامنة والتاسعة؛ وكلّ واحدة منها كانت تدور أبطأ بحسب المسافة التي بها يبتعد ترتيبها  
عن المجموع؛ وهذه التي كانت شعلتها هي الأصفى كانت هي الأقرب إلى الشّارة المحض، لأنّها  
تغندي منها أكثر في اعتقادي. <sup>1486</sup> فقالت لي سيّدي التي رأيتني حائرًا وفي شكّ من الأمر: «عن هذه  
النّقطة تصدر السّماء والطبيعة بأكملها.

وانظر الدّائرة الأقرب إليها؛ واعلم أنّ لحركتها هذه السّرعة بباعثٍ من الحبّ اللاهب الذي يُحفّزها.  
فقلتُ لها: «لو كان العالم مرتّبًا بمثل هذا النّظام الذي رأيتُ في هذه الأفلاك، فسيكفيني ما أُتيح لي  
أنّ أراه؛ ولكنّ في العالم الحسيّ يمكن أن نرى الأفلاك بديعًا تكوينها لا سيّما وأنّها نائيةٌ عن المركز.  
ومن هنا، إنّ كان لرغبتني أنّ تعرف من غاية في هذا المعبد الملائكيّ الرّائع الذي لا يعرف تخومًا  
سوى المحبّة والنّور، فينبغي أن أعرف كيف يظلّ الأنموذج والصّورة متباينين <sup>1487</sup>، فأنا إنّما أعاين  
ذلك عبثًا.» - «إنّ كانت أصابعك لا تكفيك لحلّ هذه العقدة فلا تندهشُنْ فلقد اشتدّت صعوبه  
لأنّها لم تلمس!» هكذا تكلمت سيّدي وأضافت:

- «تلقّ ما سأقول لك إنّ كنت تريد تسكين روحك، وأرهف النّظر حولك.  
تكون دوائر الجسد واسعةً أو ضيّقة بحسب عظم الفضيلة المنتشرة في كافّة أنحاءه أو  
ضالّتها <sup>1488</sup>.

القدر الأكبر من الطيبة يهب خلاصًا أكبر؛ والخلاص الأكبر ينطوي على جسد أكثر امتدادًا إنّ كانت  
له نواحٍ متكافئة في كمالها.

وعليه، فهذه السّماء التي تجتذب وراءها سائر الكون إنّما تُحيل إلى الدّائرة التي تحبّ أكثر وتعرف  
أكثر؛ فإذا ما أنت كيفت قياسك لا مع الظاهر بل مع القدرة في هذه الجواهر البادية لك دائرية،  
فسترى أيّ تناسبٍ بديعٍ ذاهبٍ من الكثير إلى الأكثر ومن القليل إلى الأقلّ يجمع كلّ سماءٍ بما تتمتع  
به من فهم. <sup>1489</sup> «وكما يظلّ نصف الكرة الأثيريّ رائقًا وألقًا عندما يأتي بورياس لينفخ من خده

الأكثر نعومة <sup>1490</sup>، بحيث يغسله وينزع عنه تلك القشرة التي كانت تعكّر من صفوه، وتبتسم  
السّماء بمفاتن أقاليمها كلّها، فهكذا فعلتُ عندما جاءني سيّدي بإجابتها الموضّحة فانجلي لي  
الحقّ أنجلاءً نجمةً في سماءها.

وعندما توقفتُ كلماتها هذه، راحت تلك الدّوائر تتلألأ كما يتلألأ حديدٌ محمّي.

كانت كلّ شرارةٍ متبوعةً بحريقها؛ ومن الوفرة كانت بحيث يفوق عددها بآلاف المرّات خانات  
الشّطرنج. <sup>1491</sup> سمعتُ «هوشعنا» ترتلها جميع الجوقات في النّقطة الثّابتة التي تُبقي عليها في

مواقعها <sup>1492</sup> حيثما كانت أبدًا.

فقلت لي هذه التي لمحت آيات الشك تعتمل في فكري: - «أرثك الدائرتان الأوليان السّروفيتين والكروبيين يتبعون بهذه السرعة وشائج محبتهم، ليكونوا شبيهين بالنقطة ما استطاعوا، يساعدهم في النظر موقعهم العالي.

والمحبتات الأخرى المحلقة من حولهم تُدعى بعروش المرأى الإلهي، وبها يجد تمامه المثلث الأول<sup>1493</sup> واعلم أنهم جميعاً فرحون بحسب ما يتمتعون به من عمقٍ نظري في الحق الذي يسكن إليه كل فكر.

هكذا نرى كيف يتأسس الكائن الطوباوي في فعل الرؤية، ذلك أنّ فعل المحبة يأتي من بعد<sup>1494</sup> والرؤية تنقاس بمقتضى الأفعال الحسنة التي تتمخض عن الفضل والإرادة الطيبة:

هكذا نتقدم من درجة إلى أخرى.<sup>1495</sup> المثلث الآخر الذي يتبرعم على هذه الشاكلة في ربيع أبدي،

دون أن يعزّيه الحمل الليلي<sup>1496</sup>، يُنشد «هوشعنا» دون انقطاع بثلاثة ألحان تتعالى في مراتب الفرح الثلاث الصانعة ذلك المثلث.

في هذه المرتبة تقبع الربّات الأخريات:

الهيمنات أولاً، ثم الفضائل، وفي المقام الثالث تأتي القدرات<sup>1497</sup>.

ووسط جوقات الفرح ما قبل الأخيرة يدور كبار الملائكة والأمراء؛ والجوقة الأخيرة كلّها لعب ملائكي<sup>1498</sup>.

جميع هذه المراتب في الأعلى تدور جدي؛ وفي الأسفل هي من القوّة بحيث تظلّ منجذبة إلى الله<sup>1499</sup> وجاذبة إليه.

كان ديونيسيوس<sup>1500</sup> قد تأمل هذه المراتب بمثل هذه اللفتة بحيث سمّاها وصنّفها مثلي.

ولكنّ غريغوريو<sup>1501</sup> خالفه الرأي؛ ثمّ ما إن فتح عينيه في السماء حتّى راح يضحك من نفسه.

وإذا كان فانٍ قد عبّر على الأرض عن هذه الحقيقة الخافية فأنا لا أريد لك أن تعجب، فالذي رآها هنا<sup>1502</sup> كشف له عنها هي وحقائق أخرى لهذه المدارات.»

## الأنشودة التاسعة والعشرون

(المحرّك الأول. بياتريشي تعرض خلق العالم وخلق الملائكة. الملائكة الأوفياء والملائكة العاصون. قدرات الملائكة. تقريع الأوهام اللاهوتية والاتجار بالمسامحات. عدد الملائكة وعظمة الله. خميس الفصح، 14 نيسان 1300، عصرًا.)

عندما ينقسم ابنا لاتونا  
سويةً في وسط السماء،

1503

وقد حجبهما الحمل والميزان ،  
بين اللحظة التي يوازنهما فيها السمت  
وهذه التي يتغيّر فيها نصف الكرة،

1504

فهما يتحرّران معًا من ذلك الحزام ،  
وفي الأوان نفسه كانت بياتريشي  
ضاحكة المحيّا صامتةً تُعاین بثبات  
النقطة التي كانت قهرتني.

ثمّ بدأت: - سأقول من دون أن أسالك  
ما تريد أن تعرف، لأنني رأيتُ

1505

إلى أين تفضي "أينك" و"متاك" .

1506

لقد انفتح الحبّ الأزليّ على محبّاتٍ أخرى ليس تعدّ  
في أبعديته خارج الزّمان،

بعيدًا عن كلّ فضاءٍ، وكما طاب له هو نفسه،

وذلك لا ليحوّزَ خيرًا لذاته، وهذا ما لا يمكن أن يكون، بل لكي يستطيع نوره أن يقول فيما يشعّ:

"إنني قائمٌ بذاتي" <sup>1507</sup> ، وهو لم يكن قبلَ ذلك في خمول لأنّ مرور الله على تلك المياه لم يحدث لا

1508

من قبل ولا من بعد .

انبثقت الصّورة والهيولي ملتحمّتين وصافيتين من دون عيب كثلاثة سهامٍ من قوسٍ بثلاثة

1509

أوتار .

وكما يسطع شعاعٌ في الجام أو العنبر أو البلّور بكامل حرّيته، فلا يكون من فاصل بين مجيئه وكونه،  
فهكذا أقبل الأثر الثلاثي من صانعه وشعّ بكامله في كتيّة كياني دون أن يبين عن أيّ بدء.

ومع الجواهر خُلِقَ في آين واحد النظام والمبنى وكانت ذرى العالم هي هذه التي تمخّض عنها فعلٌ صرفٌ <sup>1510</sup>؛ إلى الشّطر الأسفل ذهبّت القدرة الخالصة وفي الوسط <sup>1511</sup> قامت عروة لا تنفصم وجمعت القدرة بالفعل.

كتب لكم ييرونيموس أنّ الملائكة <sup>1512</sup> خُلِقوا بِقُرونٍ عديدة قبل أن تُنشأ بقية العالم؛ لكنّ ذلك الأمر الحقّ مكتوبٌ في مواضع عديدة على أيدي كتّبة الرّوح القدس <sup>1513</sup>، وإليه ستلتفت إن كنت نبيهاً؛ والعقل يتبيّنهُ هو الآخر فهو لن يقبل بأن تكون المحرّكات بقيت محرومة من كمالها <sup>1514</sup> طويلاً.

تعلّم الآن أين خُلِقَت هذه المحرّكات وكيف ومتى، وبذا تخدم فيك لهفة لمعرفة ثلاثة أشياء. ولن تعدّ إلى العشرين بأقلّ من الوقت الذي استغرقه شطرٌ من الملائكة لرجّ دعامة عناصركم <sup>1515</sup>. والشّطر الآخر واصل المكثّ وبدأ هذا الفنّ الذي ترى وشرع به بمثل هذه الغبطة بحيث لم يكفّ قطّ عن الدّوران.

كان باعث السّقوط هو خيلاء ذلك الذي رأيته وهو يريز تحت كلّ ثقل العالم. <sup>1516</sup> ومن تُبصرهم هنا كان لهم التّواضع الكافي ليقرّوا بأنهم خلقتهم الطّيبة الإلهية التي جعلتهم متأهّبين لكلّ هذا الفهم؛ ولذا فقد أجمّ نظرهم الفضل المنير وجدارتهم، فصارت لهم إرادةٌ حازمة وكاملة؛ ولا أريد أن ترتاب، بل كنّ على يقين من أنّ الفضل يُستحقّ استحقاقاً بحسبما تفتح له الرّغبة. ومن الآن تقدر أن تتأمّل هذا المحفل بقدر ما تريد دون آية معونة، إن أنت أحسنت استيعاب كلماتي.

ولأنّكم تقرّون في مدارسكم على الأرض <sup>1517</sup> أنّ الطّبيعة الملائكية مصوّرة بحيث يكون لها أن تفهم وتذكّر وتريد، فسأقول لك أيضاً، لتلاحظ عين الحقيقة، إنهم هناك يخلطون في القراءة <sup>1518</sup> ويلتبسون.

فهذه الجواهر منذ أن اغتبطت برؤية الوجه الإلهي لم تُبعد النّظر عنه هو الذي لا يخفى عليه شيء:

ولذا لم يكن نظرهم مشغولاً مشهدٍ جديدٍ، وعليه فما لديهم من حاجة ليتذكّروا بأفكارٍ منفصلة؛ وعلى الأرض تحلمون دون رقاد معتقدين وغير معتقدين أنّكم تقولون الحقّ، لكنّ عدم الاعتقاد <sup>1519</sup> يظلّ أكثر خطيئةً واثماً.

لا تسيرون على نهج معلوم خطّته الفلسفة: لفرط ما تدفعكم محبة المظاهر وفكرتها! وهذا أيضاً نحتمله هنا بصورة أقلّ ازدراءً ممّا عندما تُخفّض النّصوص المقدّسة إلى المقام الثّاني أو يعتورها التّشويه <sup>1520</sup>.

لا تقدرون كم من الدم يلزم لبذرهما على الأرض وكم يرضينا هنا من بكامل الخشوع يستند إليها.  
من أجل الظهور يتفنن كل ويتقدم باختراعاته ويأتي الوعظ بتفاسيرهم، والإنجيل صامت.  
بعضهم يقول إنه في أثناء الام المسيح رجع القمر أدراجه وتوسط السماء بحيث لم تعد الشمس  
لتضيء أسفل <sup>1521</sup>؛ وإته ليكذب، لأن النور احتجب من تلقاء ذاته، وكان الكسوف مشتركاً لدى  
الإسبان والهنود والعبرانيين.

ولا تعرف فلورنسة ممن يدعون لابي وبيندي <sup>1522</sup> أكثر مما يردد فيها من هذه الأساطير من على  
المنابر في كل عام؛ هكذا تعود المعاز التي ليس لديها من معرفة، من مرعاها وهي بالريح ممتلئة  
وليس يعذرها عماها أبداً.  
ولم يقل المسيح لمحفله الأول:

- «ذهبوا وعظوا بحماقات»، بل لقد أرسى أساساً حقاً، ولقد تردد هذا في أفواههم بحيث في  
قتالهم لنشر الإيمان صنعوا من الإنجيل تُرساً ورمحاً.  
واليوم يعظون بمزج ثقيلة وسفاهات، ولسماع الضحك وحده تنتفخ القلنسوة ولا تروم غير  
ذلك. <sup>1523</sup> ولو أبصر العوام أي طائر <sup>1524</sup> عشش في ذروة القلنسوة لأدركوا لأي مغفرة هم  
مستسلمون:

بذلك ازدهرت الحماقة على الأرض حتى لتهرع الناس إلى مثل هذه الوعود من دون برهان ولا  
شهادة.

هكذا يسمن خنزير القديس أنطوان <sup>1525</sup> وآخرون هم خنازير أكثر، يُسددون بعلمة بلا دمعة <sup>1526</sup>.  
والآن بعد هذا الاستطراد الطويل إلتفت من جديد إلى استقامة الصراط ليتناسب الدرب  
والوقت <sup>1527</sup>.

طبيعة {الملائكة} هذه تزداد عددًا <sup>1528</sup> بحيث ما من تصور إنساني ولا من كلام اقتدرًا على الذهاب  
أبعد؛ وإذا ما لاحظت ما كشف عنه دانيال لرأيت أنه في ما ذكر من آلاف يظل عدد محدد  
غائبًا <sup>1529</sup>.

والنور الأول الذي يضيء هذه الطبيعة بكاملها تتلقاه هي بشاكلات مختلفة بقدر ما فيها من أنوار  
متحدة بها <sup>1530</sup>.

ومن هنا، وما دامت العاطفة تتبع التفكير، فإن لطافة المحبة تتراوح هنا تأججًا وفتورًا <sup>1531</sup>.  
الآن ترى عظمة القدرة الأزلية وامتدادها، إذ خلقت كل هذه المرايا التي تتشظى هي فيها، مع بقائها  
واحدة، كما من قبل.

## الأنشودة الثلاثون

(السّماء العاشرة أو الأمبيريوس، سماء النّور الخالص: البلاط السّماويّ، الملائكة والطوباويّون. إختفاء الملائكة وتحوّل جمال بياتريشي. برق يصعق دانتي. نهر من النّور، أزهار وشرر. الوردة السّماويّة. عرش هنري السّابع، خارج الفضاء والزمن.)  
ربّما كانت السّاعة السّادسة

1532  
تشعّ على مسافة ستّة آلاف ميلٍ ،  
والعالم يُميل من قبلُ ظلّه أفقيّاً،  
عندما بدأ ميدان السّماء المتغوّر  
يتضوّأ وبعض النّجوم تتجرّد  
من ألقها الذي كان يأتي حتّى أسفل؛

1533  
ومع ظهور خادم الشّمس البالغ الإضاءة  
طفقت الشّمسُ توصل منافذها  
من نجمٍ إلى آخر، حتّى الأجل؛

1534  
وعلى النّحو ذاته راح الانتصار اللّاعب  
المستمرّ حول النّقطة التي قهرتني  
والتي تبدو محتويةً ما يحتويها،  
ينطفيء في نظري رويداً رويداً:  
فجعلني الحبّ وانعدام الرّؤية ألتفت  
بعينيّ إلى عينيّ بياتريشي.  
ولو أنّ كل ما قيل حتّى الآن عنها  
جُمع في مديح واحد  
لكان أضالّ من أنّ يكفي لهذا الصّنيع.  
أجهرُ باندحاري في هذا الموضوع  
أكثر ممّا اندحر مؤلّف ملهاةٍ أو مأساة  
أمام نقطةٍ من موضوعه يوماً:

فكما تفعل الشّمس في مقلةٍ راجفة، فهكذا فصلتُ فكري عن نفسه ذكرى ضحكها ذاك البالغ  
العدوية.



فمن اليوم الأول الذي رأيته فيه في حياتنا الدنيا حتى هذه الرؤية، ما توقفت قط مجرى غنائي، لكن الآن ينبغي أن يتوقف طرادي وراء جمالها عبر الشعر، كما يتوقف عند غاية جهده فنان. بصوت دليل بارع وبإيماءته، قالت لي هذه التي سأتركها لصوت أقوى من صوت قيثاري الذي يجهد في إتمام معالجة مادته العسيرة:

- «لقد خرجنا من أكبر جرم إلى السماء التي هي نورٌ خالص: <sup>1535</sup> نورٌ فكريٌّ ملؤه المحبة؛ محبةٌ للخير الحق ملؤها الغبطة؛ غبطةٌ تتخطى أكبر عذوبة <sup>1536</sup>؛ هنا ستري محفلي الفردوس <sup>1537</sup>، وتُبصر أحدهما في مرآه الذي ستره فيه يوم الحساب.» وكما يشتت برق مفاجيء نوابض البصر ويحرم العين من حركة أقوى الأشياء، فهكذا اكتنفتني التور النشيط وتركني محاطًا بنقابٍ من ألقه فما عاد يتبين لي أي شيء.

- «الحب الذي يصنع سكينه هذه السماء، يستقبل دائمًا بمثل هذه الحفاوة ليهيئ الشمع لتلقي الشعلة» <sup>1538</sup> ما إن تناهت إلى سمعي هذه الكلمات حتى أدركت أنني كنت أتجاوز قدراتي؛ وتأجج في بصري جديد كان من المضاء بحيث لا نور خالصًا كهذا ستعجز عن احتمالته عيناى؛ ورأيت نورًا في إهاب نهر بارق السطوع يتهادى بين جرفين يجللها ربيع شائق.

من ذلك النهر كان ينبثق شرر متسارع ينطرح في جميع الأرجاء بين الأزهار كيواقيت محاطة بالذهب <sup>1539</sup>؛ ثم كما لو أسكره الأريج كان يعاود الغطس في الهاوية العجيبة، فتغوص شرارة لتتصاعد أخرى.

- «الرغبة العالية التي تلهبك وتستعجلك لإدراك معنى ما ترى، كلما كبرت زادني سرورًا؛ لكن ينبغي أن تشرب من هذه المياه قبل أن يخمد فيك هذا الظمأ كله»، هكذا تكلمت شمس عيني.

وأضافت: - «النهر واليواقيت هذه التي تظهر وتعاود الظهور وضحك الأعشاب إن هي إلا استهلالٌ مُعتم عن وجهها الحق <sup>1540</sup>.

لا لأن هذه الأشياء في ذاتها ناقصة؛ بل منك أنت يأتي النقص، لأنك لا تملك بعد بصريًا حديدًا.» لا رضيع يندفع بكامل محياه إلى الحليب عندما يكون قد استيقظ متأخرًا عن الساعة المعهودة، بأسرع مما فعلت لأصنع من عيني أفضل مرأتين ممكنتين منحنياً على تلك الموجة التي تجري لتحيلنا أفضل مما نكون؛ ثم ما إن شربت منها بملء حواف جفني حتى بدا لي أنها انقلبت دائريةً وكانت طوليةً <sup>1541</sup>.

وكما يبدو أناس كانوا تحت القناع مختلفين عندما يتجردون من الهيئة المستعارة التي كانت تخفيهم، فهكذا تحوّل الشرر والأزهار في عيني إلى عيدٍ عظيم، ورأيت تيارى السماء <sup>1542</sup> بجلاء.

يا بهاء الله، يا من بفضلته رأيت الانتصار العالى للملكوت الحق، ألا هبني قوة أن أقول كيف رأيته!

إن نورًا ليحيل هناك الخالق مرئيًا لكل مخلوق لا ينال سلامه إلا برويته.

نورٌ ينتشر في شكل دائري، ومن الامتداد هو بحيث سيصنع قطر دائرته حزامًا للشمس مفرط

السَّعة.

1543 كلَّ ما نراه منه مكوّن من أشعة تنعكس في ذروة المحرّك الأوّل الذي يستمدّ منه حياته وقوّته .  
وكما يتمرأى كثيبٌ في المياه الجارية أدناه ليرى نفسه كاملَ البهاء عندما يزخر بالخضرة وبالزّهور،  
فهكذا رأيتُ جميعَ مَنْ يعودون منّا إلى العُلَى يتمرأون هناك في آلاف الأدرج مُطلينَ على الأنوار  
المحيطة.

فإذا كان أدنى درجٍ يستقبل نورًا بمثل هذا الامتداد فما أوسعها هذه الوردة في أوراقها القصيّة!

1544 ولم يكُ نظري في فخامته وعلوّه ليزوغَ هيهاتَ بل كان يُمسك بكمّ ذلك الفرح وبِنوعه .  
هناك لا يُحدِث البُعد والقُرب زيادةً ولا نقصًا:

فحيثما سادَ الله بلا وسيط لم يكُ للثاموس الطبيعيّ من أثر.  
وفي المحوّر الذهبيّ للوردة الأزليّة التي تتّسع وترقى وتتضوّع مديحًا لشمس ذلك الرّبيع الأبديّ،  
كنتُ كمن يَنشد الكلام ويلزم الصّمت، فاقْتادُني بياتريشي وقالتُ لي:

- «انظُرْ كم هو كبيرٌ ذيرُ هذه الثّياب البيضاء! انظُرْ مدينتنا، كيف تدور دورةً عظيمة؛ وانظُرْ  
مقاعدنا وقد امتلأتُ من قبلُ فلا تنتظرُ سوى قليلٍ من البشّر»  
1545 .

وعلى الكرسيّ الكبير الذي لا تبارحه عينك بباعثٍ من التّاج المطروح عليه من الآن، ستتربّع قبل  
أن تتعشّى أنتَ في هذه الأعراس الرّوح التي ستكون على الأرض باذخة المجد، روح هنري الذي  
سيأتي ليقوّم إيطاليا قبلَ أن تكون هي متهيئةً لذلك  
1546 .

الشّره الأعمى الذي يسحركم جعلكم أشبه ما تكونون بالرّضيع الذي يتضوّر جوعًا ويطرد مرضعته.

1547 آنئذ سيسود بيتَ الله آخزُ لا يتبع النهج نفسه، سواءً أعمل في الخفاء أو في العلن. ولكنّ الله  
لن يحتمله طويلاً في المنصب المبارك، بل سيجعله يغوص حيثما استحقّ سمعان السّاحر البقاء،

1548 وسيُلقي أسفلَ سافلينَ بابن أناني .  
«

## الأنشودة الحادية والثلاثون

(الأمير يوس أو سماء النور الخالص. الوردة البيضاء. زهول دانتي. القديس برنار يحلّ محلّ  
بياتريشي. وداع دانتي لبياتريشي وابتهاله لها. نصائح القديس. مريم العذراء تتجلّى في هالتها.)

وعليه، ففي شكلٍ وردةٍ بيضاء  
بدا لي ذلك المحفل المبارك

الذي اقترن به المسيح في دمه <sup>1549</sup>؛

والمحفل الآخر الذي يُرى

فيما يغني ويحلّق مجدّ من يلهبه

بنيران العشق، والطّيبة التي منحته

كبره هذا، كمثّل سربٍ من النحل

كان يحطّ على الزّهر تارةً

ويعود طورًا إلى حيث يكتمل طعم عسله،

يغوص آناً في الوردة الكبيرة المزدانة

بأوراقٍ كثيرةٍ وأنا يصعد

إلى حيث يقيم حبّه أبداً <sup>1550</sup>.

كان للجميع محيّا ملتهب كالشعلة،

وجناحان من العسجد والباقي هو من البياض

بحيث لا يدانيه أيّ ثلج.

كانوا ينزلون في الوردة، ومن درجةٍ إلى أخرى

ينشرون حولهم سلامًا وحُميّا

ينهلها كلُّ من رياح جناحيه.

ولكنّ ازدحام الحشد الطائر بين تينك الدّروة والوردة ما كان ليُعيق النّظر ولا ليقلّل البهاء؛ ذلك أنّ  
النّور السماويّ كان ينفذ إلى جميع أرجاء الكون ما إنّ تكون جديرةً به، فلا لشيءٍ أن يقف عائقًا  
أمامه.

ذلك الملكوت الهاديء والمفعم فرحًا، المأهول بأناسٍ عتاقٍ وجدد، كان يجتذب العين والقلب في  
نقطةٍ واحدة.

أيّ هذا النّور المثلث الذي يسحرهم طرًا بنجمه الأوحده المتألئ في أعينهم، آه لو رأيت العاصفة التي

1551

تطوّح بنا على الأرض! فإذا كان البرابرة الأتون من تلك الشواطئ التي تعلوها إيليس كلّ يوم حائمةً مع ابنها الذي يا كم تحبّه، قد اندهشوا لرؤية روما ومبانيها السامقة عندما كان

1552

اللاترانو يفوق ببهائه كلّ شيءٍ فانٍ، فما ينبغي أن يكون عليه عظيم اندهاشي أنا الذي ألفتني منتقلًا من الإنسانيّ إلى الإلهيّ، ومن الزّمن إلى الأبدية، ومن فلورنسة إلى الشعب العادل المبارك! بين الذّهول والفرح كان لذيذًا عندي أن أكفّ عن السّمع وأبقى في صمم.

وكما يتريّث حاجٌ في هيكل نذوره ويتطلّع إليه ويأمل أن يصفه فيما بعد، فهكذا كنتُ أجتاز النّور المتوهّج، مُزَهِّمًا عينيّ عبر الدّرجات، من علٍ ومن سفّلٍ وفي كافة الأرجاء.

كنت أرى عيونًا داعيةً إلى المحبّة تسطع بنور سواها وبضحكها نفسه، وبإيماءاتٍ تنضح نراهة. الصّورة الشّاملة للفردوس قبضَ عليها من قبلُ نظري، دونَ أن ينطرح على نقطة معيّنة؛ فرُحْتُ ألتفتُ برغبةٍ مُعادٍ تأجيحها لأسأل سيّدتي عن أشياء كانت تدع فكري في انتظار. كنتُ أنتظر كائنًا فأجابني كائنٌ آخر:

1553

كنتُ أحسب أنني أرى بياتريشي وإذا بي أرى شيخًا تزيّ على شاكلة تلك الأرواح المجيدة.

كان فرحٌ رفيقٌ منطبغًا على عينيه وعلى وجنتيه، وكان له إيماءاتٌ وقور كما يليق بأبٍ حنون. فقلتُ على الفور: - «أين هي؟»، فأجاب: - «أنزلتني بياتريشي بدلًا عنها لإيصال رغبتك إلى غايتها؛ وإن أنت نظرتُ إلى الصّف الثّالث بدءًا بأعلى الدّرجات لرأيتها تترّبّع على العرش الذي استحقّته بمزاياها» فرفعتُ عينيّ دونَ أن أجيب ورأيتها تصنع لنفسها تاجًا من الأشعة الأزليّة المنعكسة فيها. إنّ عين الإنسان الفاني، ولو كانت غاطسةً في قاع البحر، لم تكن أبعدَ عن المنطقة التي تزّم فيها الصّواعق ممّا كانته عيناى هناك عن بياتريشي؛ وما كان ذلك بذي بالٍ لأنّ صورتها كانت تتنزل إليّ من دون اعتكار.

«أيتها السيّدة التي يحيا فيها رجائي ويا مَنْ قبلت من أجل خلاصي بترك أثر قدميك على أرض الجحيم، كلّ ما رأيتُ من أشياء بفضل سلطانك وطيبتك، أقرّ أنا بفضلها وبقدرتها. من العبوديّة أخرجتني إلى الحرّيّة، عبر كل هذه الطرُق وهذه الطرائق التي كان لك القدرة على انتهاجها.

فلتحفظي فيّ جوّدك هذا، لتتحرّر روحيّ التي أشفيتها من جسدي وهي برضاك محظية. «هكذا تضرعتُ إليها، وعلى ما كانت تبدو عليه من البعد ابتسمت لي ونظرتُ إليّ من جديد ومن بعد ذلك

1554

التفتتُ إلى النّبع الأبديّ .

فقال لي الشّيخ الجليل: - «حتّى تُكمل مسيرك بحقّ وهذا ما أرسلتني من أجله الصّلاة والمحبّة المباركة، فلتطرّب بعينيك عبر هذه الحديقة؛ لأنّ رؤيتها ستُنضح نظرك لئحسّن الصّعود عبر النّور الإلهيّ؛ ومليكة السّماء التي ألتهبُ أنا من أجلها بكامل حبا ستُنيلنا فضلها كلّها، لأني برنار المخلص

1555

إليها.» وكمثل مَنْ ربّما كان يأتي من كرواتيا ليرى صورتنا المدعوّة فيرونيكا ، والذي لا

1556

يشبع من جوعٍ قديم، ويقول في فكره عندما يُرونه إيّاها:

- «سَيِّدِي يسوع، أيّها الإله الحقّ، وإدُنْ فقد كان محيّاك هو هذا؟»، فهكذا كنتُ أنا نفسي وأنا أعاين المحبّة اللاهبة لَمَن ذاق وهو على الأرض بفضل تأمّلاته ذلك السّلام. وبدأ:

- «يا ابنًا للبركة إنّك هيهاتَ تعرف هذه الحياة السّعيدة إنّ كنتَ تُبقي على عينيك مخفوضتين؛ أنظرِ الدّوائر حتّى أبعدّها، لترى متربّعةً على عرشها الملكة التي يمثّل هذا الملكوت رعيتها الورعة.» فرفعتُ عينيّ، وكما يحدث في الصّبح أن يتجاوز الجانب الشرقيّ من الأفق ذلك الجانب الذي فيه تغرب الشّمس، فهكذا، وكما عندما نجتاز بالعينين جبلاً، رأيتُ شطرًا يقارب الدّروة وهو يطغى بنوره على الباقي كلّهُ.

وكما نُبصر الهواء في الموضع الذي نرتقب عنده العربة التي أساء فيتوني <sup>1557</sup> قيادتها وهو يتّقد أكثر، على حين ينحف النّور في كلا الجانبين، فهكذا كانت شعلة السّلام تلك تزداد تأجّجًا في الوسط، ومن كلّ جانب على النّحو ذاته كان يتخفّف اللّهب؛ وفي الوسط أبصرتُ أكثر من ألف ملاكٍ فاردين أجنحتهم مفعمين غبطة، ومختلفين جميعًا بهاءً وقرًا.

ورأيتُ وسطَ ألعابهم وأناشيدهم فتنةً ضاحكةً <sup>1558</sup> تغمر ببالغ الفرح أعينَ سائر القديسين. ومهما كان ثرائي بالكلمات وبالمخيّلة فهيهاتَ أجرؤ على وصف لمسةٍ واحدةٍ من مباحجها. وعندما رأني برنار وأنا أنعم النّظر إلى شعلتها اللاهبة بثبات، رفع عينيه إليها بهذا القدر من الحنان بحيث زادني في استغراقي لهيبًا.

## الأنشودة الثانية والثلاثون

(الأميربوس أو سماء النور الخالص. توزيع الطوباويين في الوردية. مختارو العهدين القديم والجديد.  
الأطفال الأبرياء. الملائكة والقديسون يمجّدون مريم. كبير الملائكة جبريل. كبار أمراء السماء.)

من تلقاء نفسه اضطلع ذلك القديس المتأمل

وهو مفعّم فرحًا بدور العارف

وبدأ بهذه الكلمات المباركة:

- «الجرح الذي ضمّدته مريم وعجّلت اندماله،

هذه المرأة الجميلة الجاثية عند قدميها

هي من تسبّبت به وفغرته» 1559.

ثم أدنى منها تقف راحيل 1560

في الصف الذي يشغل الدرجة الثالثة،

إلى جانب بياتريشي كما ترى.

وسارة ورفقة ويهوديت وتلك 1561

التي كانت جدّة المغّي الذي قال بباعث من تبكيت

خطيئته: «ارحمي يا الله ارحمني» 1562 ، تقدر أن تراهم من درجة إلى أخرى، نزولاً فيما أسميهم  
ذاهباً عبر الوردية، من ورقة إلى سواها.

ومن الصف السابع حتى أدناه، كما إلى الأعلى، تتوالى اليهوديات 1563 ، مقسمات أهداب الوردية؛

فبحسب النظرة التي أطلقها الإيمان بالمسيح، هنّ الحائط الذي يقسم السّلام المباركة 1564 .

فمن النّاحية التي تينع فيها الوردية في اكتمال أوراقها ترى جالسين من آمنوا بالمسيح الآتي؛ ومن  
النّاحية الأخرى حيث ترى بعض المقاعد شاغرة، يجتمع من كانت نظراتهم مصوّبة إلى المسيح  
الذي أتى.

وكما يصنع المقعد المجيد لسيدة السماء والمقاعد الأخر الكائنة تحته هذا الفاصل، ترى جالساً في

القبالة يوحنا العظيم الذي كان على الدوام قديساً 1565 واحتمل الصحراء وألم الشهادة ومن

بعدهما الجحيم عامين اثنين؛ وفي الأسفل يصنع الفاصل ذاته فرانتشيسكو وبنيديتو

وأوغسطين 1566 ، وآخرون في الأسفل من صف إلى آخر.

فلتأمل العناية الإلهية العالية:

ذلك أن وجهي الإيمان ذينك سيملان بالتساوي هذه الحديقة. واعلم أنه تحت ذلك الصف الذي يقطع في الوسط كلتا الفئتين، لا أحد يمثل باستحقاقه هو، بل بفضل سواه، وبشروطٍ مخصوصة: لأن جميع هؤلاء هم أرواح مغفور لها قبل أن تنال البصيرة الحق.

تقدر أن تتبين ذلك من الوجوه وكذلك من الأصوات الطفلية إن أنت نظرت إليهم وأصغيت بانتباه. الآن تشك وتلزم السكوت فيما تشك، ولكنني سأحل العقدة المحكمة الضاغطة على حاذق أفكارك. في فضاء هذا الملكوت لا مكان لما هو وليد صدفة؛ كما لا مكان للأسى أو الظماً أو الجوع:

فكل ما تراه هنا مقام بناموسٍ طبيعيٍّ وبمثل هذه الدقة بحيث يستجيب إليه كل شيء استجابة الخاتم في الإصبع؛ وعليه فهذا الحشد الذي أبكر في الدخول إلى الحياة الحق لا تراه بلا سبب موضوعاً هنا في أماكن تتراوح في الروعة فالملك الذي يستلقي بفضل هذا الملكوت في هذه المحبة كلها وهذا الفرح كله، فلا ترغب أية إرادة في المزيد، إذ يصور النفوس في نظرتة الفرحة، يُنعم عليها بمقتضى متعته بأفضال متباينة؛ ولتكفك معرفة ذلك <sup>1567</sup>.

هذا ما يعرضه بصورةٍ ولا أجلي في الأسفار المقدسة ذانك التوأمين اللذان كان الغضب يعصف بهما في رحم أمهما <sup>1568</sup>.

وعليه، فيحسب لون الشعر يكلل نور العلي الرأس ببركته بجدارة <sup>1569</sup>. ولذا، فمن دون النظر إلى أعمالهما، أجالاً في درجتين مختلفتين بمقتضى ما كانت عليه نظرتهما الأولى <sup>1570</sup>.

في بدء العصور كان يكفي، لينال المرء خلاصه وبراءته، أن يكون على إيمانٍ والديه، وعندما انقضت العصور الأولى صار نيل الذكور جناحين بريئين يلزم بحيازة فضيلة الختان <sup>1571</sup>، ولكن عندما جاء عهد البركة، صار مقام هذه البراءة هو الأدنى إن لم ترافقها عمادة المسيح الحق. أنظر الآن الوجه الأكثر شَبَهًا بالمسيح، فوحده سطوعه يهَيِّؤك لمشاهدة يسوع. «ورأيتُه محفوقاً بالغبطة المنهمرة من الأرواح المباركة المخلوقة لتطير في تلك الأعالي، حتى أن كل ما رأيت من قبل لم يختطني بمثل ذلك السحر، ولا أراني مثل ذلك الشبه بالله؛ والمحبة الأولى التي نزلت مُنشدة:

- «السلام عليك يا مريم، يا ممتلئة بركة <sup>1572</sup>»، نشرث أمانها جناحها.

وعلى اللحن الإلهي، من كافة الأرجاء، رد ذلك البلاط الطوباوي، فازدادت منه جميع الوجوه ألقاً. - «أيها الأب القديس، يا من تحتمل من أجلي أن تكون هنا، تاركاً المحل الطيب الذي أحلك فيه حظك الأبدي، من هو هذا الملاك الذي يُعَين عيني مليكتنا بمثل هذا الهيام حتى لتحسبه شعلة نارية؟».

هكذا استعنت بعلم ذلك الذي يستمد من مريم بهاءه كما تستمد من الشمس بهاءها نجمة



الصَّبَاح.

فقال لي: «بقدر ما يمكن أن يَحِلَّ الفضلُ والثَّقةُ في ملاك أو روح فَهُما حالانِ فيه؛ وإِنَّا لَيَسِرُّنا ذلك لآثِهِ مَنْ حَمَلَ السَّعْفَةَ لمريمَ على الأرضِ عندما أراد ابنُ الله أن يَضطلعَ بعبئنا.

ولكنِ اتبِعني الآنَ بعينيك فيما أَتكلِّم، ولاحظْ كبارَ أشرافِ هذا الملكوتِ العادلِ التَّقِيّ.

ذانك الجالسانِ في الأعلى والأكثرَ فرحًا بينَ الجميعِ لكونهما يجاورانِ السيِّدةَ العظيمةَ، هما كمثلِ جذرَينِ لهذه الوردة:

فذلك الذي يلمسُ يدها اليسرى هو الأب الذي جعلَ اجترأَ ذوقه التَّوَعَّ البشريَّ يذوقَ طعمًا

مريًّا<sup>1573</sup>؛ وإلى يمينه ترى الأبَ المَبجَّلَ للكنيسةِ المباركةِ الذي وكلَ إليه يسوعُ بمفتاحي هذه

الرَّهْرةِ الرَّائعةِ<sup>1574</sup>.

وذلك الذي عاشَ قبلَ موتهِ جميعَ عهودِ شقاءِ العروسِ الجميلةِ التي نيلتْ بالمساميرِ والرَّمحِ<sup>1575</sup>، جالسٌ إلى جانبه، وإلى جانبِ هذا يجلسُ الرَّعيمُ الذي عاشَ في عهدهِ من المنِّ والسَّلوَى الشَّعبُ

الجاحدُ، الحرونُ، القَلْبُ<sup>1576</sup>.

وقباله بطرسُ ترى حنَّةً وهي تنظرُ إلى ابنتها ببالغِ السَّعادةِ مغنيَّةً "هوشعنا" دونَ أنْ تفارقها عيناها؛

وأمامَ أقدمِ آباءِ هذه الأسرةِ تجلسُ لوتشيا<sup>1577</sup> التي استدعتْ سيِّدتكِ عندما خفضتْ أنتَ عينيكِ منحدرًا في الهاوية.

لكنْ لأنَّ الوقتَ الذي يُشعركَ بالحاجةِ إلى التَّوَمِ<sup>1578</sup>.

سريعٍ في هربه فسنعمدُ هنا إلى وقفةٍ، كالخيَّاطِ الجيِّدِ يصنعُ الثَّوبَ بما لديه من قماش؛ ولنرفعُ عينينا إلى المحبَّةِ الأولى، لتنفِذَ، فيما تنظرُ إليها، إلى ألقها قَدْرَ ما تستطيع.

ومع ذلك، فمخافةً أنْ ترجعَ القهقريَّ بتحريكِ جناحيك متوهَّمًا السَّيرَ قَدُمًا، فمن المناسبِ أنْ نسألَ البركةَ من هذه التي تقدرُ على مساعدتكِ؛ وستتبعني أنتَ في مشاعركِ، كيلا ينفصلَ عن قولي جَنانُك. «وبدأَ هذه الصَّلَاةُ المباركةُ:



## الأنشودة الثالثة والثلاثون

(سَمَاءُ النُّورِ الخَالِصِ. القَدِّيسِ بَرْنَارِ يَلْتَمِسُ بَرَكَةَ العِذْرَاءِ لِدَانْتِي. دَانْتِي يَغْمِسُ عَيْنِيهِ فِي الجَوْهَرِ غَيْرِ المِتْنَاهِي وَيَدْرِكُ وَحْدَةَ الوجودِ فِي الله، وَوَحْدَةَ لَغْزِ الحُلُولِ وَثالوثِيَّتِهِ. عِنْدَ تَخُومِ العِبَارَةِ. جِذَلِ وَانصِعَاقِ.)

1579 - «أَيَّتْهَا العِذْرَاءُ، يَا ابْنَةَ ابْنِكِ ،  
يَا مَنْ أَنْتِ أَكْثَرُ تَوَاضَعًا وَعِلْوًا مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ،

1580 يَا حَدًّا مَقَرَّرًا لِمَجْلِسِ أَرْزَلِي ،  
أَنْتِ يَا مَنْ أَضْفَيْتِ كُلَّ هَذِهِ التَّبَالَةِ  
عَلَى طَبِيعَتِنَا الْإِنْسَانِيَّةِ حَتَّى أَنْ خَالَقَهَا  
لَمْ يَأْنَفْ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَخْلُوقًا.  
فِي بَطْنِكَ اشْتَعَلَ الحَبِّ  
الَّذِي بَفَضْلِ حَرَارَتِهِ، فِي السَّلْمِ الأَبَدِيِّ،

1581 تَفْتَحْتُ عَلَى هَذِهِ الشَّكْلَةِ هَذِهِ الزَّهْرَةَ  
هِنَا أَنْتِ لَنَا مِنْ أَجْلِ المَحَبَّةِ

1582 مَشَعْلُ الهَاجِرَةِ ، وَلَدَى البَشَرِ الفَانِينِ  
أَنْتِ النَّبْعُ الحَيَوِيُّ لِكُلِّ رَجَاءٍ.  
سَيِّدَتِي إِنْكَ لِمَنْ الرِّفْعَةُ وَمِنْ العِظْمَةِ  
حَتَّى أَنْ مَنْ أَرَادَ بَرَكَتِكَ وَلَمْ يَأْتِ إِلَيْكَ  
كَانَ كَمَثَلِ مَنْ أَرَادَ لِرَغْبَتِهِ أَنْ تَطِيرَ بِلَا جَنَاحِينَ.  
لَا يَرِدُ إِحْسَانُكَ فَحَسْبُ  
عَلَى مَنْ يَسْأَلُ، بَلْ كَثِيرًا  
مَا يَسْبِقُ بِسَخَائِهِ السَّوَالَ نَفْسَهُ.  
فِيكَ تَكْمُنُ الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ وَالجُودُ،  
وَفِيكَ يَجْتَمِعُ كُلُّ مَا هُوَ طَيِّبٌ لَدَى كُلِّ مَخْلُوقٍ.  
وَإِنَّ هَذَا الَّذِي رَأَى،  
مِنْ غُورِ هَاوِيَةِ الكَوْنِ حَتَّى هِنَا،

مصائر النفوس واحدًا فواحدًا،  
يسأل أن ينال من بركتك ما يكفي  
من القوة ليرتقي بنظراته  
عاليًا صوب أقصى غبطة.  
وأنا، الذي لم أشتعل من أجل رؤياي  
كما أشتعل الآن من أجل أن ينال رؤيته، أرجوك  
وعسى ألا يكون رجائي غير كافٍ،  
أن تُحرّره بصلواتك  
من جميع غيوم شرطه الفاني،  
لينفتح له الفرح الأسمى.  
أرجوك أيضًا أيتها الملكة  
القادرة على ما تريد، أن تُبقي  
على مشاعره نقيّة بعد كل ما رآه.

ولتنتصر رعايتك على جميع المبادرات البشرية،  
وانظري بياتريشي وجميع هؤلاء الطوباويين  
يضمّون نحوك أيديهم لمساندة ابتهالي!»

فأمعنّ العينان اللتان يحبهما الله ويوقرهما، في النّظر إلى الرّوح المبتهلة، فرأينا كم يرضيهما ابتهالٌ  
مضطرمٌ كهذا؛ ثمّ اتّجهتا إلى الشّعلة السّرمديّة، التي ينبغي الاعتقاد بأنّه لا تقدر على التّفاد إلىها  
عينا مخلوقٍ بمثل هذا الجلاء كلّه.

وأنا الذي كنتُ ألمس غايةً جميع أمانيّ، كنتُ أبلغ، كما ينبغي، من رغبتني تخوم حُمياها.  
وابتسم لي برنار وأشار إليّ بالنّظر إلى أعلى؛ بيدَ أنّي كنتُ من قبلُ ما كان يرغب لي في أن أكون:  
ما دام نظري، وقد تطهّر نهائيًا، صار ينفذ أكثر فأكثر إلى سطوع ذلك النّور العلويّ الذي هو في ذاته  
حقيقة.

منذ ذلك الحين صار نظري يفوق كلامنا الذي ينحسر قدام الرّؤية، والذّكرة التي تنحسر أمام كلّ  
ذلك الفيض.

وكمثّل من يرى في ما يرى النّائم أشياء وعندما ينتهي الحلم لا يمكث منطبّعًا فيه سوى الانفعال ولا  
يعود يذكر غيره، فهكذا أنا الآن، رؤيتي بكاملها توقّفت، بيدَ أن جناني ما برحت تترقق فيه كلّ تلك  
العذوبة المنبثقة هناك منها.

هكذا ينصهر الثلج تحت الشّمس، هكذا بباعثٍ من الرّيح كانت من على الأوراق الرّقاق تُمحي

أيها النور العلويّ يا مَنْ تُحلّق عاليًا فوق أفكار الفانين أعزُّ فكري من جديدٍ بعضَ صورتك التي تجلّيتَ فيها؛ ولتمنحْ لساني ما يكفي من القوة ليُوصلَ إلى الأعصرِ القادمة ولو شرارةً من عريضِ مجدك؛ فإذا ما عاد بعضُ ظفركَ إلى ذاكرتي وإذا ما صدحَ قليلاً في أبياتي، فلا غروَ أنّه سيُصان أكثر. من مضاء الأشعة اللاقحة التي صعفتني آنئذٍ إخالُ الآنَ أنّي لو كنتُ أشحتُ بنظري عنها لضيعتُ. وأتذكرُ أنّ ذلك نفسه حفّزني على الصّمود حتى أتحدتُ نظراتي بالقدرة غير المتناهية. أوه، يا للبركة الوافرة التي جعلتني أجرؤ على غمس قديمي في النّار الأزليّة هكذا بحيثُ أفنيتُ فيها بصري! <sup>1584</sup> كلّ ما يتناثر في الكون بدداً.

رأيتُ إليه متجمّعاً في غورها متّحدًا بالحبِّ في مجلّدٍ بذاته <sup>1585</sup> : العرضيات والجواهر وطرائقها كأنّها انصهرتُ في كتلةٍ واحدةٍ <sup>1586</sup> ، فلا يعدو ما أقول عنها أنّ يكون سوى بوارقٍ طفيفة. أحسب حقاً أنّي رأيتُ الصّورة الكونيّة لعقدتها تلك، لأنّني إذ أقول ذلك فأنا أحس بالمتعة في وهي تتفاقم. <sup>1587</sup> نقطة واحدة كانت هناك تُنسيبي أكثر ممّا أنسته خمسة وعشرون قرناً من الهيكل الذي جعل نبتونَ يُسخر لدى رؤية ظلّ أرغو <sup>1588</sup> .

هكذا بقيتُ روجي معلقة تُنعم النّظر ثابتةً ومنتهبة ولا تفتأ تشتعل إذ تُعاود النّظر. وإزاء ذلك النّور يصبح المرء على هذه الشاكلة بحيث هيهات يقبل بأن يشيح عنه ببصره إلى رؤيةٍ أخرى؛ ما دام الخير كلّهُ، وهو غاية إرادتنا، ماثلاً فيه كلّهُ، وخارجاً عنه ناقصاً يظلّ ما يلقي فيه اكتماله. <sup>1589</sup> وحتىّ بخصوص ما حفظتُ في ذاكرتي سيكون كلامي من الآنَ أفقر من كلام طفلٍ ما برح لسانه عالماً بالحلمة.

لا لأنّ أكثر من صورة كانت محتواةً في النّور الذي كنتُ أبصر، إذ لقد كان مثلما كان عليه بدءاً؛ بل لأنّ صورةً واحدةً في النّظر الذي كان يقوى فيّ بقدر ما أعين، كانت، في حين أتبدّل، في نظري تتحوّل.

وفي الديمومة الجليّة والبالغة العمق للنّور العليّ ذاك ظهرتُ لي ثلاث دوائر بثلاثة ألوانٍ وبالعظم نفسه <sup>1590</sup> ؛ وبدتِ الأولى منعكسة في الثانية كقوس قزح في قوس قزح آخر، والثالثة كمثّل شعلةٍ تتأجج من كلتا الأخرين بالعدل <sup>1591</sup> .

آه كم باهتٌ هو القول وقصير بالقياس إلى فكري وإلى ما أبصرتُ حتى أنّ التّعت «قليلٌ» هيهات يكفي.

أيها النّور السرمديّ يا مَنْ في ذاتك تُقيم وحدك، ووحّدك تفكّر، مسموعاً من قبلك أنت نفسك، سامعاً إياك، ضاحكاً لنفسك، مُحبباً إياها <sup>1592</sup> ، هذه الدائرة المصوّرة بحيث تبدو نوراً فيك منعكساً والتي تأملتها عيناَيَ طويلاً بدتُ لي في داخلها منطوية على صورتنا مرسومةً بلونها نفسه <sup>1593</sup> ،

فُغمستُ فيها نظري كلّه.

وكمثل المسّاح المنهمك بكامل كيانه في قياس الدّائرة، والذي لا يقدر أن يجد بالتّفكير المبدأ الذي ينقص <sup>1594</sup> ، فهكذا كنتُ أنا قدّامَ ذلك المشهد العجيب:

كنتُ أريد أن أرى كيفَ تلتحم الصّورة بالدّائرة وكيف تتأينُ هناك فيها <sup>1595</sup> ؛ ولكنّ جناحيّ ما كانا سيكفيان لذلك الطّيران لو أنّ فكري لم يلفحه ذلك البرق الذي جاء فجأةً ليحقّق أمنيته <sup>1596</sup> .  
وهنا تجرّدَ خيالي السّامق من قوّته؛ ولكنّ من قبلُ كان يُحرّك إرادتي ورغبتي، كدولابٍ مدفوعٍ باستواء، الحبُّ الذي يُحرّك الشّمسَ وسائر النّجوم <sup>1597</sup> .

ملاحق

## ملحق (1) بعض التواريخ:

- 70ق.م:** تاريخ انشاء فلورنسا كما تروى الأسطورة
- 450م:** توتيلا يهدم فرنسا
- 801م:** شارلمان يعيد انشاء فلورنسا
- 1078م:** إقامة السور الثاني لفلورنسا
- 1172-1173م:** إقامة السور الثالث لفلورنسا
- 1125** عيد الفصح: مقتل بووندلموئي وانقسام فلورنسا الى جلف وجبلين
- 1248م:** تفوق الجبلين ونفي الجلف من فلورنسا
- 1249م:** استدعاء الجلف المنفيين وتحالفهم مع الطبقة الوسطى
- 1250م:** وفاة الامبراطور فردريك الثاني
- 1250م:** انشاء مجلس الاثني عشر من شيوخ فلورنسا وانشاء وظيفة قبطان الشعب وإيجاد مجلس شعبي.
- 4 سبتمبر 1260:** مانفريد بن فريدريك الثاني يهزم الجلف في مونتأبرتي.
- أواخر مايو 1265م:** ميلاد دانتي.
- 1265-1266م:** شارل دانجو يستولى على مملكة نابلي وصقلية.
- 25 فبراير 1266م:** هزيمة مانفريد ومقتله في موقعة بنفتو وعودة الجلف الى فلورنسا وطرد الجبلين
- تنظيم المهن السبع الكبرى.
- يونيو 1269م:** الفلورنسيين سهزمون أهل سيينا في كولي دي فالسا.
- 1274م:** دنتي يرى بياتريشي.
- يناير 1280م:** الكاردينال لاتينو يسعى لعقد السلام بين الجلف والجبلين.
- 1282م:** انشاء مجلس السنيوريا في فلورنسا (من ثلاثة ثم من ستة ثم من اثني عشر).
- 1283:** دنتي بي بياتريشي ويضع أولى قصائده في «الحياة الجديدة».
- 1284:** انشاء السور الرابع لفلورنسا.
- 1286:** انشقاق الجلف الى سود وبيض في بيتويا وانتقال ذلك الى فلورنسا.
- 11 يونيو 1289:** الفلورنسيين يهزمون أهل أريتزو والجبلين في كامدالينو واشترك دنتي في المعركة.
- 8 يونيو 1290:** موت بياتريشي.

- 1295-1292: دانتي يمضى في كتابة «الحياة الجديدة».
- 1293: إصلاحات جانو دلا بيلا القانونية.
- 1294: تشيلستينو الخامس بابا لفترة قصيرة وانتخاب بونيفاتشو الثامن لكرسي البابوية.
- عيد الميلاد 1299: بونيفاتشو الثامن يصدر مرسوماً بالاحتفال بعام اليوبيل في 1300.
- أبريل 1300: بعثة الكاردينال أكواسيارتا الى فلورنسا.
- أول مايو 1300: قتال البيض والسود في فلورنسا.
- مايو 1300: سفارة دانتي الى سان جيمنيانو.
- 15 يونيو – 15 أغسطس 1300: دانتي عضو في مجلس السنيوريا.
- يونيو 1301: سفارة دانتي الى روما.
- عيد جميع القديسين 1301: وصول شارل دي فالوا الى فلورنسا وطرد البيض.
- 27 يناير 1302: صدور قرار النفي ضد دانتي.
- 10 مارس 1302: صدور قرار بإحراق دانتي اذا وقع في يد فلورنسا.
- 8 يونيو 1302: اشتراك دانتي في مجلس الخارجين من فلورنسا.
- مارس 1303: فولتشييري دا كالبولى عمدة فلورنسا.
- 1303: دانتي في فورلى ثم في فيرونا.
- سبتمبر 1303: الاعتداء على بونيفاتشو الثامن في اناني.
- 12 أكتوبر 1303: وفاة بونيفاتشو الثامن.
- 1304-1307: كتابة «الوليمة».
- 1304-1307 أو بعد ذلك: كتابة «الجحيم».
- مارس 1304: بعثة كاردينال براتو.
- اول مايو 1304: سقوط جسر كارايا.
- يونيو 1304: قرار كاردينال براتو، حدوث حرائق ونهب في فلورنسا.
- 20 يوليو 1304: اخفاق المنفيين في حملتهم على فلورنسا.
- يونيو 1305: اختيار البابا كلمنتو الخامس واقامته في افنيون.
- 1305: ؟ كتابة «عن اللهجة العامية».
- 1305-1306: حصار بستويا وسقوطها في يد السود.
- 1306: دانتي في لونيديجانا.
- 1308: انقسام في صفوف السود وموت كورسو دوناتو.

- 1312-1308 أو 1313 أو بعد ذلك: كتابة «المطهر» بعضه أو كله؟  
27 نوفمبر 1308: كونت لوكسمبرج يصبح الامبراطور هنري السابع.  
سبتمبر-أكتوبر 1310: هنري السابع يعبر الالب الى ايطاليا.  
1312-1310: كتابة «الملكية».  
1311: ثورات في إيطاليا الشمالية وحملات هنري السابع.  
1311: استبعاد دانتي من قرار العفو السياسي.  
يناير 1312: هنري السابع في بيزا.  
اول أغسطس 1312: هنري السابع يتوج في روما.  
سبتمبر 1312: حملة هنري السابع على تسكانا ووصوله خارج فلورنسا.  
مارس 1313: انسحاب هنري السابع.  
24 أغسطس 1313: وفاة هنري السابع.  
20 ابريل 1314: وفاة كلمنتو الخامس.  
يونيو 1314: روبرتو ملك نابلي سيد فلورنسا.  
نوفمبر 1314: وفاة فيليب الجميل.  
29 أغسطس 1315: اوجوتشوني دلا فادجولا والجبليين يهزمون الفلورنسيين في مونتكاتيني.  
1315؟: دانتي في فيرونا.  
1316؟-1321: دانتي يكتب «الفردوس».  
7 أغسطس 1317: اختيار البابا يوحنا الثاني والعشرين في افنيون.  
سبتمبر 1317: دانتي في رافنا.  
1320-1319: كتابة «الرسائل اللاتينية».  
20 يناير 1320: دانتي يتكلم عن «مسألة الماء والأرض» في فيرونا.  
14 سبتمبر 1321: وفاة دانتي في رافنا.



## ملحق (2)

### جزء من شجرة دانتي منذ جده الأكبر كاتشاجويدا حتى أبناء دانتي

1/ إيزيتو <sup>1598</sup> .

2/ كاتشاجويدا <sup>1599</sup> (1090؟ - 1147)، تزوج من أليجييري، أليجيرو الأول <sup>1600</sup> .

3/ مورونتو <sup>1601</sup> .

\*\* أليجيرو الأول: بلو <sup>1602</sup> (توفى قبل 1268)، بلنتشوني <sup>1603</sup> .

(بلو): تشوني <sup>1604</sup> ، تشيني <sup>1605</sup> ، جوالفريدوتشو <sup>1606</sup> ، جيرري دل بلو <sup>1607</sup> .

(بلنتشوني): برونيتو <sup>1608</sup> ، جيراردو <sup>1609</sup> ، بلو <sup>1610</sup> ، أليجيرو الثاني.

\*\* أليجيرو الثاني (تزوج بيلا <sup>1611</sup> ، ثم لوبا): تانا <sup>1612</sup> ، فرانتشسكو <sup>1613</sup> (توفى حوالي 1348)، دانتي أليجييري (1265 - 1321).

\*\* دانتي أليجييري (تزوج جيما دوناتي): جوفاني (توفى في سن الطفولة)، بياترينشي <sup>1614</sup> (توفيت بعد 1350)، أنتونيا <sup>1615</sup> ، ياكوبو، بيترو (توفى 1364).

### ملحق (3)

سلالة دانتيّ المباشرة من ابنه بيترو حتى جينفرا في القرن السادس عشر

\*\*بيترو (توفى 1364)؛ تزوج ياكوبا دي دولتشيتو دي ساليرني دا بستويا (توفيت 1358)

\*\*دانتي (توفى 1428)

\*\*ليوناردو (توفى 1439)؛ تزوج ياكوبا دي جابرييل يدا فيرتا.

\*\*بيترو (1425-1486) تزوج كاترينا دي فاتشينو دي جويدوتوا مونسلينشي (كانت على قيد

الحياة في 1522)

\*\*دانتيّ (1476-1514)

\*\*بيترو (توفى 1546)

\*\*جينفرا

ملحق (4)  
جزء من السلالة المباشرة من جينفرا وماركانتونيو دي سيريجو حدة أوائل  
القرن العشرين

\*\*جينفرا؛ تزوجت ماركانتونيو دي سيريجو 1549.

\*\* پيبر ألفيزى 1616؛ تزوج أنجيلا جوسى.

\*\* پاندولفو تزوج أوريجا لافانيولى

\*\* پيبر ألفيزى 1617 .

\*\* پاندولفو 1618 .

\*\* ماركانتونيو (1667-1741)

\*\* پاندولفو (توفى 1804)؛ تزوج ماريا تيريزا بلجرينى

\*\* فيديريكو (1766-1846) تزوج تيريزا پيريز ولم ينجب، وتزوج أنا دا سكيو (1792-1829)

\*\* پيترو (1815-1872) تزوج ماريانا فيريتا يوبيتا

\*\* دانتي (1843-1895)، تزوج ماريا فينيير (توفيت 1915) 1619 . 1620

\*\* جينفرا (4 يونيو 1881-5 نوفمبر 1918) 1621 .

\*\* پيبر ألفيزى (ولد فى 26 مايو 1875) تزوج أنا مينيتشونى براتشسكى 1622 : دانتي ولد في  
يناير 1905، ماسيميليا (ولدت في 21 أكتوبر 1906)، ماريا لينا (ولدت في 31 أكتوبر 1908)،  
فيديريجو (ولد فى 25 أغسطس 1912)، ليوناردو (ولد فى 28 نوفمبر 1917)

## ملحق (5) بعض المعاصرين لدانتي (1265-1321) من رجال الأدب:

- سوردیلو دی بویٹو (حوالی 1200-1270) ورد فی المطهر.  
جلال الدین الرومی (1207-1273).  
برونیتو لاتینی (1210؟ -1294) ورد فی الجحیم.  
أبو إسحاق التلمسانی (1212-1291).  
بونادجونتا دلی اوریتشانی (حوالی 1220-1290) ورد فی المطهر.  
جویدو جوینتزی (1230؟-1275؟) ورد فی المطهر.  
جیرو ریکیر (توفی حوالي 1280).  
کیارو دافانزاتی (توفی حوالي 1280).  
روستیکو دی فیلیبو (حوالی 1230-1293).  
جویتونی داریتزو (1230؟ -1294) ورد فی المطهر.  
بونفیزین دا ریفأ (حوالی 1240-1314).  
جان دی مونج (حوالی 1250-1305).  
فولجوری دی سان جیمینیانو (حوالی 1250-1317).  
لابو جانی (1250-1328).  
جویدو کافالکانی (1255؟ -1300) ورد فی الجحیم.  
تشیکو انجولیری (1260-1313؟).  
بندو بونیکی (1260-1338).  
ألبرتینو دا موساتو (1261-1329).  
محمد بن سلیمان شمس الدین المعروف بالشاب الظریف (1263-1289).  
جانّی الفانی (القرن 13).  
تشینو دا بستویا (1265-1337؟).  
تشیکو ستابیل دی أسکولی (1269-1327).  
دینو فریسکو بالدی (1275؟ -1316).  
ابن نباتة المصری (1287-1366).  
عمر بن مظفر بن الوردی (1292-1349).  
ماتیو فریسکو بالدی (1297-1348).  
شمس الدین حافظ الشیرازی (1300؟ -1389).

روستيشانو دا بيزا (من القرنين 13 و 14).  
فرننشسكو بتراركا (1304-1374).  
جوفاني بوكاتشو (1313-1375).

## ملحق (6) بعض المعاصرين من رجال الدين والعلم والصوفية

- محمد بن سليمان الشاطبي (1189-1274).  
ألبرتو الكبير (1193-1280) ورد في الفردوس.  
السيد أحمد البدوي (حوالي 1200-1276).  
على بن عبدالله الششتري (توفى 1269).  
نصير الدين الطوسي (1201-1274).  
جمال الدين أبو عبدالله بن مالك (1204-1274).  
أبو الحسن على بن سعيد (1208/1214-1274/1286).  
ماتيلدا دي مجدبورج (1212-1299).  
روجير بيكون (1214-1293؟).  
قطب الدين القسطلاني (1218-1287).  
سانتا زيتا (1218؟ -1278) وردت في الجحيم.  
يوناڤنتورا (1221-1274) ورد في الفردوس.  
توماس الاكوييني (1225؟ -1274) ورد في المطهر والفردوس.  
فرنثسكو دا كورسو (1292-2336).  
جون بيكام (حوالي 1225-1292).  
عبدالله بن عمر البيضاوى (توفى 1286).  
جويدو بوناتى (من القرن 13).  
شهاب الدين بن فرح الاشبيلي (1227-1300).  
ياكوبونى دا تودى (1230؟ -1306).  
ابن قدامة المقدسى (1231-1316).  
محمد بن مكرم بن منظور (1232-1311).  
محيي الدين النووي (1233-1277).  
سيجيير دى براينت (1235؟ -1282) ورد في الفردوس.

ماتيو دا أكواسبارتا (توفى 1247) ورد في الفردوس.  
رايموندو لوليو (1235؟ - 1315؟).  
أنجيلا دا فولينييو (1248-1309).  
سانتا جرتروود (1256-1311).  
ابن عطاء الله السكندري (حوالي 1259-1309).  
ماتيلدا دى هاكنبورن (توفيت 1310).  
أوبرتينو ديليا دا كزالى (1259-1338) ورد في الفردوس.  
ايكارت (1260-1327).  
تقى الدين بن تيمية (1263-1328).  
جون دنس سكوت (1266؟ - 1308).  
شمس الدين الذهبي (1274-1348).  
علاء الدين الخازن (1280-1341).  
مرجريت ابتر (1291-1351).  
شمس الدين بن قيم الجوزية (1292-1356).  
جون روزبريك (1293-1381).  
هنرى سوسو (1295-1365).  
جوفاني دل فيرجيليو (من القرنين 13 و 14).  
جان توار (1300-1361).  
وليام أوكام (حوالي 1300-1349).  
احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (1301-1349).  
عبدالله بن يوسف بن هشام (1308-1360).  
رولمان مرسوين (1310؟ - 1370).  
الشريف التلمساني (1310-1370).

## ملحق (7) بعض المعاصرين من المؤرخين

جمال الدين بن واصل (1207-1298).

شمس الدين بن خلكان (1211-1281).

ساليميميني دا بارما (1221-1287).

جان دي جوانفيل (1224-1317).

غريغوريوس أبو الفرج بن العبري (1226-1286).

فضل الله رشيد الدين (1247-1318).

دينو كومباني (1260-1325).

بارتلوميو دا سان كونكرديو (1262-1347).

جلال الدين أبو جعفر بن الطقطق (1262-؟).

جوفاني فيلاني (1276-1348).

جيرميا جوتو (من القرنين 13 و14).

بتزو داليساندريا (من القرنين 13 و14).

صارم الدين بن دقماق (1308-1388).

لسان الدين بن الخطيب (1313-1374).



## ملحق (8) بعض المعاصرين من رجال الرحلات والجغرافيا

- زكريا بن محمد القزويني (1208-1283).
- لانزاروتي مالوشيبيلو (من النصف الثاني من القرن 13).
- أوجولينو فيفالدي (من النصف الثاني من القرن 13).
- جويدو فيفالدي (من النصف الثاني من القرن 13).
- بوسكاريلو دي جويتز ولفي (من النصف الثاني من القرن 13).
- ريستورو داريتزو (من النصف الثاني من القرن 13).
- جوفاني دي موتنيكو رفينو (حوالي 1247-1328).
- ماركو بولو (1254-1323).
- إسماعيل بن علي عماد الدين أبو الفداء (1273-1331).
- محمد بن عبدالله بن بطوطة (1304-1377).

## ملحق (9) بعض المعاصرين من الأطباء

- موفق الدين ابوالعباس بن ابي اصيبعة (1203-1270).  
جوليلمو دى ساليشيتو (1210-1280).  
على بن ابي الحزم بن النفيس (1210-1288).  
تاديو دالديروتو (1215؟ -1295) ورد في الفردوس.  
ألدوبراندو دى سيينا (القرن 13).  
لانفرانكو دى بافيا (توفي حوالي 1306).  
محمد بن دانيال الموصلى (1250-1310).  
محمد بن ساعد السنجاري المعروف بابن الأكفاني (1267-1339).  
فيدوتشى دى ميلوتى (من القرنين 13 و14) زار دانتى في اثناء مرضه الأخير.  
بيترو دابانو (من القرنين 13 و 14).  
اوبرتينو دا رومانو (من القرنين 13 و 14).  
بونمارتينو (من القرنين 13 و 14).

## ملحق (10) بعض المعاصرين من رجال السياسة

- ألاردو دى فاليرى (حوالي 1200-1277) ورد في الجحيم.
- برانكا دوريا (حوالي 1233-حوالي 1324) ورد في الجحيم.
- أوجوتشونى ديلا فادجولا (1250-1320).
- مونتانيا دى بارتيشيتاتى (توفى 1295) ورد في الجحيم.
- كولا دى رنزو (حوالي 1313-1354).
- لابو سالتا ريلو (من القرنين 13 و 14) ورد في الفردوس.
- شارا ديلا كولونا (من القرنين 13 و 14) ورد في المطهر.
- ماجيناردو باجانى دى سوزينا (من القرنين 13 و 14) ورد في الجحيم.
- فيليبو أرجنى ديلى أديمارى (من القرنين 13 و 14) ورد في الجحيم.
- سكاربيتا ديلى أورديلانى (من القرنين 13 و 14) ورد في الجحيم.

## ملحق (11) بعض المعاصرين من رجال التصوير وزخرفة الكتب

- أوديريزى دا جوييو (توفى 1299) ورد في المطهر.  
شيمابوى (1242؟ - 1302) ورد في المطهر.  
بيetro كافاليني (1250؟ - 1339).  
دوتشو (1255/60؟ - 1318/19؟).  
جوتو (1266/7 - 1337) ورد في المطهر.  
سيمون مارتيني (1284؟ - 1344).  
تاديو جادى (1300 - 1366).  
أوركانيا (1308؟ - 1368).  
بيetro لورنزي (نشاطه 1306 - 1347).  
فرانكو البولوني (من القرنين 13 و 14) ورد في المطهر.  
مايسترو شيكونيا (من القرنين 13 و 14).  
ياكوبينو دى بافوزى (من القرنين 13 و 14).

## ملحق (12)

### بعض المعاصرين من رجال النحت والمعمار

- نيقولا بيزانو (5/1220؟ - 1284؟).
- جوفاني بيزانو (50/1425؟ - 1314؟).
- أرنولفو دا كامبيو (1250؟ - 1302؟).
- جانو دا سيينا (توفي حوالي 1318).
- لورنتزو مايتاني (حوالي 1275-1330).
- أجوستينو دي جوفاني (من القرنين 13 و 14).

## ملحق (13) بعض المعاصرين من رجال الموسيقى

- قطب الدين الشيرازي (1236-1310).  
أدام دي لا هال (حوالي 1240-1287).  
صفي الدين عبدالمؤمن (1294).  
بيترو كازيلا (توفي 1300) لحن شيئاً من شعر دانتي الغنائي وورد في المطهر.  
سالمبيني (من النصف الثاني من القرن 13).  
فرنثسكو لانديني (من النصف الثاني من القرن 13).  
جوفاني دا كاتشا (من النصف الثاني من القرن 13).  
فرانكو الكولوني (من النصف الثاني من القرن 13).  
اسكوكيتو (من القرنين 13 و 14) لحن شيئاً من شعر دانتي الغنائي.  
شيني ديلا كيتارا (توفي حوالي 1336).  
محمد بن عيسى بن كُرّ (1282-1358).  
هوجو شيختشارت فون رويتلنجن (حوالي 1285-حوالي 1360).  
جان دي موريس (1291-1351؟).  
فيليب دي فيتري (1291-1361).  
جيوم دي ماشو (حوالي 1300-1377).  
وولتر أودنجتون (من النصف الأول من القرن 14).  
هاينريخ فون موجلن (من النصف الأول من القرن 14).  
دينو بيرني (من القرنين 13 و 14).  
هاينريخ فون أوفتردنجن (من القرنين 13 و 14).  
مارشيتوس دي بادوا (من القرنين 13 و 14).  
إنجلبرت دي آدمونت (من القرنين 13 و 14).

## ملحق (14)

### بعض الامراء والادواج والبابوات والاباطرة والملوك والسلاطين المعاصرين

#### 1-فلورنسا:

حكومة الجمهورية (1189-1530).

#### 2-أمراء مونترفليرو:

جوليلمو الخامس (1254-1292) ورد في المطهر.

جوفاني الأول (1292-1305).

تيودور باليولوجوس (1305-1330).

#### 3-أمراء آل سكاللا في فيرونا:

ماستينو (1263-1277).

ألبرتو (1277-1301).

بارتولوميو (1301-1304) ورد في الفردوس.

ألبونيو (1304-1311).

كان جراندى (1311-1329) ربما قصد دانتي الإشارة اليه في الجحيم وكذا في المطهر وورد في الفردوس.

#### 4-أمراء آل إست في فرارا:

أوبتزو الثاني (1264-1293) ورد في الجحيم وفي الغالب اشير اليه في الجحيم.

أتزو الثامن (1293-1308) اشير اليه في الجحيم وربما كان هو المقصود في الجحيم وذكر في المطهر.

فولكو الثالث (1308).

#### 5- أمراء آل ملاتيتا في ريميني:

مالا تستا دا فيروكيو (1295-1312) ذكر في الجحيم.

ملاتستينو (1312-1317) أشير اليه في الجحيم.

رودولفو (1317-1326).

#### 6-أمراء ملاسينا في لونيديجانا:

مورييلو الثاني (توفي 1285).

مورييلو الثالث (توفي 1315) اشير اليه في الجحيم.

مورييلو الرابع (?).

#### 7-مانتوا:

حكم الكومون (1256-1328).

### 8- آل فيسكوني في بيزا:

جوفاني قاضي جالورا (توفي 1275).

أوجولينو قاضي جالورا (توفي 1296) ورد في المطهر.

### 9- آل جيراردسكا في بيزا:

أوجولينو وولداه جادو وأوجوتشوني وحفيدها نينو وأنسلموتشو (توفوا في السجن في 1288) وردوا في الجحيم.

### 10- آل فيسكوني في ميلانو:

أتوني (1277-1295).

ماتيو (1295-1302) و(1310-1322).

### 11- آل سافويا:

بيترو الثاني كونت سافويا الثاني عشر (1263-1268).

فيليبو الأول كونت سافويا الثالث عشر (1268-1285).

أميديو الخامس كونت سافويا الرابع عشر (1285-1323).

### 12- أدواج البندقية:

رينييرو تزينو (1253-1268).

لورنتزو تيبولو (1268-1275).

ياكوبو كونتاري (1275-1280).

جوفاني داندولو (1280-1289).

بيترو جرادينجو (1289-1311).

مارينو تزورتنزي (1311-1312).

جوفاني سورانتزو ( ) في زمنه ذهب دانتي على راس وفد رافنا لتسوية مشكلة البحارة البنادقة في سنة 1321.

### 13- البابوات:

كلمنتو الرابع (1264-1268) ورد في المطهر.

خلو الكرسي البابوي (1268-1271).

جريجوريو العاشر (1271-1276).

إنوتشنتو الخامس (1276).

أدريانو الخامس (1276) ورد في المطهر.

جوفاني الحادي والعشرون (1276-1277).



نيقولا الثالث (1277 – 1280) ورد في الجحيم.  
مارتينو الرابع (1281 – 1285) ورد في المطهر.  
أونوريو الرابع (1285 – 1287).  
نيقولا الرابع (1287 – 1292).  
تشيليستينو الخامس (1294) ورد في الجحيم.  
بونيفاتشو الثامن (1294-1303) ورد في الجحيم وفي المطهر وفي الفردوس.  
بنيديتو الحادي عشر (1303-1304).  
كلمنتو الخامس (1305-1314) ورد في الجحيم وفي المطهر وفي الفردوس.  
خلو الكرسي البابوي (1315).  
جوفاني الثاني والعشرون (1316 – 1334) ورد في الفردوس.

#### **14- ملكا نابلي وصقلية:**

مانفريد (1258 – 1266) ورد في المطهر.  
كارلو الأول (1266 – 1282).

#### **15- ملوك نابلي من بيت أنجو:**

كارلو الأول (1285 – 1382) ورد في الجحيم وفي المطهر وفي الفردوس.  
كارلو الثاني (1285 – 1309) ورد في المطهر وفي الفردوس.  
كارلو روبرتو (1309-1343) ورد في الفردوس.

#### **16- ملوك صقلية من أراغونة:**

بيetro الثالث (1282 – 1285) ورد في المطهر.  
ياكومو الثاني (1285-1296) ورد في المطهر وأشير إليه في الفردوس.  
فيديريكو الثاني (1296-1337) ورد في المطهر وفي الفردوس.

#### **17- الأباطرة في الغرب:**

رودولف (1272-1292) ورد في المطهر وفي الفردوس.  
أدولف (1292-1298).

ألبرت الأول (1298-1308) ورد في المطهر وفي الفردوس.  
هنري السابع (1308-1314) ربما كان هو المقصود في الجحيم وورد في المطهر وفي الفردوس.  
لويس الرابع (1315-1347).

#### **18- ملوك فرنسا:**

لويس التاسع القديس (1226-1270) ورد في المطهر.

فيليب الثالث (1270-1285) ذكر في المطهر.  
فيليب الرابع الجميل (1285 – 1314) ورد في الجحيم وفي المطهر وفي الفردوس.

لويس العاشر (1314-1316).

فيليب الخامس (1316 – 1322).

### **19- ملوك نافار:**

تيوبالدو الثاني (الخامس) (1253-1270).

هنرى الأول (الثالث) (1270-1274) ورد في المطهر.

جوفانا (الأولى) (1274-1305) وردت في الفردوس.

لويس (العاشر) (1305-1316).

فيليب (الخامس) (1316-1322).

### **20- كونت تولوز:**

ألفونس الثالث (1249 – 1271).

### **21- ملوك أراغونة:**

ياكومو الأول (1213 – 1276).

يدرو الثالث (1276 – 1285) ورد في المطهر.

ألفونسو الثالث (1285 – 1291) ورد في المطهر.

ياكومو الثاني (1291 – 1327) ورد في المطهر وفي الفردوس.

### **22-ملكا مايورقة:**

ياكومو الأول (1276-1311) ورد في الفردوس.

سانكو (1311-1324).

### **23-ملوك قشتالة وليون:**

ألفونسو العاشر الحكيم (1252-1284).

سانكو الرابع (1284-1295).

فرناندو الرابع (1295-1312) ذكر في الفردوس.

ألفونسو الحادى عشر (1213-1350).

### **24-ملكا البرتغال:**

ألفونسو الثالث (1248-1279).

ديونيزيو (1279-1325) ورد في الفردوس.

### **25-ملوك المجر:**

بيلا الرابع (1270-1235).

استيفانو الرابع (الخامس) (1272-1270).

لدسلاس الثالث (الرابع) (1290-1272).

شارل مارتل (1295-1290) ورد في الفردوس.

أندريا الثالث (1301-1290) ورد في الفردوس.

فنسلاو (الخامس) (1305-1301).

أوتو (1308-1305).

كارلو روبرتو (1342-1308) ورد في الفردوس.

**26-ملوك بوهيميا:**

أودواكرو الثاني (1278-1253) ورد في المطهر.

فنسلاو الرابع (1305-1278) ورد وأشير إليه في المطهر والفردوس.

فنسلاو الخامس (1307-1305).

رودولفو (1307-1306).

أريجو (1310-2307).

جوفاني (1346-1310).

**27-ملوك راشا:**

استيفانو أوروذيو الأول (1272-1240).

استيفانو دراجوتانو (1275-1272).

استيفانو أوروذيو الثاني (1321-1275) ورد في الفردوس.

**28-ملوك إنجلترا:**

هنرى الثالث (1272-1216) ورد في المطهر.

إدوارد الأول (1307-1272) ورد في المطهر والفردوس.

إدوارد الثاني (1327-1307) ورد في الفردوس.

**29-ملوك إسكتلندا:**

إسكندر الثالث (1286-1249).

مارجريت (1290-1286).

جون باليول (1296-1292).

روبرت بروس (1329-1306) ربما كان هو المقصود في الفردوس.

**30-ملوك النرويج:**

مانئوس الرابع (السادس) (1263-1280).

إريك الثاني (1280-1299).

هاكون الخامس (السابع) (1299-1319) ورد في الفردوس.

مانئوس الخامس (السابع) (1319-1355).

### **31-ملوك قبرص:**

أوجو الثاني (1253-1267).

أوجو الثالث (1267-1284).

جوفاني الأول (1284-1285).

هنرى الثالث (1285-1324) ورد في لفردوس.

### **32-إمبراطورا القسطنطينية:**

ميشيل باليو لوجوس (1261-1282).

أندرونيكوس الثاني (1282-1332).

### **33- في شمالي أوروبا وفي موضع روسيا الأوروبية الحالية وجد ما يلي:**

مملكة السويد-مملكة الدنمارك- إمارة بولندا- إمارة الفرسان التوتون - إمارة لتوانيا - جمهورية نوفجورود - إمارة فلاديمير - إمارة ريزان - بلاد القبائل الذهبية - مملكة جورجيا.

### **34- بنو نصر في غرناطة:**

أبو عبدالله محمد الأول (1234-1272).

أبو عبدالله محمد الثاني (1272-1301).

أبو عبدالله محمد الثالث (1301-1308).

أبو الجيوى نصر بن محمد الثاني (1308-1313).

أبو الوليد إسماعيل الأول (1313-1324).

### **35-بنو مرين في فاس:**

أبو يوسف يعقوب (1258-1286).

أبو يعقوب يوسف (1286-1306).

أبو ثابت عامر (1306-1308).

أبو الربيع سلمان (1308-1310).

أبو سعيد عثمان (1310-1331) ذكت مراکش في الجحيم وفي المطهر ووردت يبتة في الجحيم.

### **36-بنو حفص في تونس:**

أبو عبدالله محمد الأول (1249-1276).

أبو زكريا يحيى الثاني (1276-1279).

### الانقسام:

أحمد بن مرزوق (الدعي) (1282-1284).

أبو حفص عمر الأول في تونس (1284).

أبو زكريا يحيى الأول في بوجاية (1284-1298).

أبو عبدالله محمد في تونس (1294).

أبو البقاء خالد الناصر الأول في بوجاية انفرد بالحكم بعد ذلك (1299).

أبو بكر الأول الشهيد في بوجاية ثم انفرد بالحكم (1309) ذكرت بوجاية في الفردوس.

أبو البقاء خالد الناصر الأول (1309).

أبو بكر الثاني المتوكل بقسنطينة وبوجاية (1311).

أبو يحيى زكريا اللحياني في تونس (1311).

أبو ضربه محمد الثالث المستنصر في تونس (1317).

أبو يحيى أبو بكر الثاني المتوكل (1318-1346).

### 37-بنو زيان في تلمسان:

الفرع الأكبر (بنو عبد الواد).

أبو يحيى يغمر أسن (1235-1282).

أبو سعيد عثمان الأول (1282-1303).

أبو زيان محمد الأول (1303-1307).

أبو حمو موسى الأول (1307-1318).

أبو تاشفين عبدالرحمن الأول (1318-1335).

### 38-سلاطين المماليك البحرية:

الظاهر ركن الدين بيبرس (الأول) البندقدارى (1260-1277).

السعيد ناصر الدين برکه خان (1277-1279).

العادل بدر الدين سلامش (1279).

المنصور سيف الدين قلاوون (1279-1290).

الاشرف صلاح الدين خليل (1290-1293).

الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (للمرة الأولى) (1293-1294).

العادل زين الدين كتبغا (1294-1296).

المنصور حسام الدين لاجين المنصورى (1296-1299) ورد سلطان مصر في الجحيم.

الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (للمرة الثانية) (1299-1309).  
المظفر ركن الدين بيبرس (الثاني) الجاشنكير البرجي (1309-1310).  
الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (للمرة الثالثة) (1301-1341).  
وردت أشياء عن مصر منذ العصر القديم حتى زمن دانتي في الجحيم والمطهر والفردوس.

### **39-الخلايفتان العباسيان في مصر:**

أبو العباس أحمد الحاكم (الأول) بن الحسن القبي (1262-1301).  
أبو ربيعة سليمان المستكفي (الأول) بن الحاكم (1301-1339).

### **40-ولاية دمشق:**

#### **الايوبيون:**

جمال الدين أفسوس النجبي الصالح (1262-1271).

#### **المماليك:**

عز الدين أيدير الظاهري (1271-1277).

سنقر الأشقر الظاهري (1279).

حسام الدين طره نطاي (1279-1291؟).

عز الدين أيبك الحموي (حوالي 1291-1295).

سيف الدين أغرلو (1295-1299).

قبجاق المنصوري (1299-1307).

أصلم (1307-1311).

جمال الدين أفش الأفرم (1311-1312).

سيف الدين أبو سعيد خليل تنكر الاشرفي (1312-1340).

ورد قصص عن اشتراك جد دانتي الأكبر في الحملة الصليبية الثانية على دمشق ومونه في عهد معين الدين أنر من الدولة البورية ورد ذلك في الفردوس.

### **41-الايوبيون في حماه:**

الملك المنصور (الثاني) سيف الدين محمد (1244-1284).

الملك المظفر (الثالث) تقى الدين محمود (1284-1298).

استولى الناصر محمد على حماه ومنحها للأمير سنقر (1298-1310).

الملك الصالح المؤيد عماد الدين أبو الفدا إسماعيل (1310-1331).

### **42- ولاية حلب:**

#### **عهد المغول والمماليك:**

استردها المماليك البحرية في (1260).

استولى المغول عليها للمرة الثالثة في (1271).

قره سنقر الأشرفي (1282-1291).

بلبان الطباخي (1291-1298).

استولى المغول عليها للمرة الرابعة في (1298).

شمس الدين الجوكندار (1303).

#### **المماليك البحرية:**

سيف الدين سودى (1312).

علاء الدين الطنبغا الناصرى (1314-1326).

#### **43- الامارة ثم السلطنة التركية العثمانية في اسيا الصغرى:**

إرطغرل (توفى 1288).

عثمان الأول (1288-1326).

#### **44- سلاجقة الروم:**

غياث الدين كيخسرو (الثالث) (1264-1276).

استولى المماليك المصريون على قونية في (1276).

سيواش بن كيكافوس (الثاني) (1277-1282).

غياث الدين مسعود (الثاني) (1282-1284).

علاء الدين كيقباد (الثالث) (للمرة الأولى 1284).

مسعود الثاني للمرة الثالثة (1293-1300).

كيقباد الثالث للمرة الثالثة (1300-1302).

مسعود الثاني للمرة الرابعة (1302-1304).

كيقباد الثالث للمرة الرابعة (1304).

غياث الدين مسعود الثالث بن كيقباد الثالث.

السيادة المغولية (1307).

تمرتاش بن جوبان (1317-1326).

#### **45 – بنو صاروخان في مغيسيا:**

صاروخان (1300–1345).

#### **46 – بنو آيدين:**

محمد (الأول) أمير السواحل.

آيدين بك محمد أمير السواحل (1300–1333).

#### 47- الكرما نيون في كوتاهية:

مظفر الدين يعقوب (الأول) بن عليشير (حوالي 1299).

أوج بك من قبل كيقباد الثالث.

محمد بن يعقوب (حوالي 1306-؟).

#### 48- بنو حميد:

حميد بك أو فلك الدين دندار (1300-1323)

#### 49- الپراونيون:

في سينوب وسمسون وجانيك:

پروانه معين الدين سليمان (1296-1251).

پروانه معين الدين محمد بن سليمان (1296-1276).

پروانه مهذب الدين مسعود بن سلمان (1296-1300)

#### 50- بنو غازي جلي بسينوب:

سلطان تاج الدين ألتينباش غازي جلي (1300-1355).

#### 51- بنو صاحب أتا:

في قره حصار صاحب:

صاحب أتا فخر الدين على بن حسين (باشتراك مع پروانه معين الدين سليمان الوزير السلجوقي)

(1264-1285).

تاج الدين حسن ونصرة الدين حسن.

سعد الدين يونس.

شمس الدين محمد بن حسن (توفي 1287).

#### 52- الاسفندياريون:

في قسطموني وسينوب وبرغلو:

شمس الدين تُمُر جاندار (1291).

شجاع الدين سلمان (الأول) بن تمر (حوالي 1309-1339).

#### 53- بنو منتشا:

في مغلا وبالات وبوز أيوك وميلاس وبجين مرن وجينه وطواس وبرناز ومكري وحوي جنيز

وفتشه ومرمرس:

منتشا بك مسعود (1300-حوالي 1329).

#### 54- أخي بأنقره:



أخي حسام الدين حسين أفندي (توفي 1295).  
أخي شرف الدين محمد بن حسين (1295-حوالي 1330).

#### 55- بنو أشرف:

في كتهري ويني شهر وأقشهر وسیدی شهری :  
أشرف.

سيف الدين سليمان (الأول) بن أشرف «1288-1301.  
مبارك الدين محمد بن سليمان (1302- ؟).  
سليمان شاه (الثاني) بن محمد (توفي قبل 1327).

#### 56- بنو قره مان:

في لارندا وسيواس وقونية وقرمان:  
محمد (الأول) بن قره مان (1261- ؟).  
بدر الدين محمود بن قره مان (1278-1339؟).

#### 57- ولاية بغداد:

##### عهد المغول:

علاء الدين عطا ملك (1262-1282).  
بايدو (أصبح إيلخانا فيها بعد). (1284).  
تُدْجُو (1294).  
..... (1316).

#### 58- إيلخانات فارس:

##### بنو هولاء كو:

أبأقا (1264-1281).  
أحمد تكودار (1281-1284).  
أرغون (1284-1291).  
كيختو (إرينجين تورجي). (1291-1294).  
بايدو (1294).  
غازان محمود (1294-1303).  
أولجايتو، حدَّابنده محمد (1303-1316).  
أبو سعيد بهادر «1316-1335».

وردت أشياء عن فارس وأشور وبابل منذ العصور القديمة في الجحيم

وفي المطهر وفي الفردوس.

### 59- القبيل الأزرق:

القبجاق الغربي :

بنوباتو:

منكو تيمور (1265-1280).

تودا منكو (1280-1287).

تولابوغا (1287-1290) .

تُفتو (أو تو ختوغو) غياث الدين (1290-1312).

أوزيك غياث الدين (1312-1340).

### 60 - القبيل الأبيض:

القبجاق الشرقي:

آ ل أوردا:

أوردا (1226- 1280).

قوجي (1280-1301).

بايان (1301-1309).

سامي بوقا 1309-1315».

إبسان حوالي (1315- 1320)

مبارك خواجه (1320- 1344)

### 61- سلاطين دهلي:

الأتراك:

بلبان غياث الدين أولوغ خان (1265 -1287).

كيقباد معز الدين (1287-1290).

كيومرث شمس الدين (1290).

الخليجيون الأفغانيون:

فيروز شاه (الثاني) جلال الدين (1290-1294).

إبراهيم شاه الأول ركن الدين (1294-1295).

محمد شاه (الأول) علاء الدين (1295-1315).

عمر شاه شهاب الدين (1315-1316)

مبارك شاه (الأول) قطب الدين (1316-1320).

خسرو شاه ناصرالدين (.1320

بنو تغلق شاه:

تغلق شاه (الأول) غياث الدين (1324-1320).

حكام بنغالة:

من قبل سلاطين دهلي:

محمد أرسلان تترخان.

شيرخان.

أمين خان (تولى هؤلاء الثلاثة بين 1260، 1278).

مغيث الدين طغرل (1278-1282).

ناصر الدين بغراخان (1282-1291).

ركن الدين كيكوس (1291-1302).

شمس الدين فيروز شاه «1302-1318».

شهاب الدين بغراشاه (بنغالة الغربية). (1318)

غياث الدين بهادر بوراشاه (بنغالة الشرقية). (1318).

غياث الدين بهادر (بنغالة كلها). (1319-1323).

ورد ذكر الترك في الجحيم: وورد ذكر الهند في الجحيم. وفي المطهر وفي الفردوس

## ملحق (15) مراحل دراستي لدانتي وترجمتي للكوميديا

صيف 1933 – أكتوبر 1941:

ثقافة ودراسة عامة ومعلومات عن الحضارة الإيطالية وعن دانتي.

أكتوبر 1941 – مارس 1948:

دراسة دانتي بصفة خاصة.

أبريل 1948 – سبتمبر 1951 :

كتابة مقالات وترجمات مختارة من الكوميديا.

نوفمبر 1951 – مايو 1954:

ترجمة الجحيم.

مايو 1954 – يناير 1955:

ترجمة شيء من الطهر.

يناير 1955 – مايو 1955:

عودة إلى ترجمة الجحيم.

مايو 1955 – يناير 1958:

ترجمة بقية المطهر.

يناير 1958 – يوليو 1959:

ترجمة الفردوس.

(نُشرت الطبعة الأولى من ترجمة الجحيم في نوفمبر 1959).

يوليو 1959 – أكتوبر 1961:

عودة إلى ترجمة المطهر.

نوفمبر 1961 – أبريل 1962:

عودة إلى ترجمة الفردوس.

# الفهرس

## Telegram Network مكتبة

### تصدير عام

مدخل الى عالم دانتي (قراءة ريسيه، بورخيس، أنغاري، جيرار، جاكوتيه...)

(1) سيرة دانتي

(2) الأعمال الأولى

(3) قراءة في « الكوميديا الإلهية »

(4) امتدادات

### مصادر الدراسة:

## التشيد الأول الجحيم Inferno

الأنشودة الأولى

الأنشودة الثانية

الأنشودة الثالثة

الأنشودة الرابعة

الأنشودة الخامسة

الأنشودة السادسة

الأنشودة السابعة

الأنشودة الثامنة

الأنشودة التاسعة

الأنشودة العاشرة

الأنشودة الحادية عشرة

الأنشودة الثانية عشرة

الأنشودة الثالثة عشرة

الأنشودة الرابعة عشرة

الأنشودة الخامسة عشرة

الأنشودة السادسة عشرة

الأنشودة السابعة عشرة

[الأنشودة الثامنة عشرة](#)

[الأنشودة التاسعة عشرة](#)

[الأنشودة العشرون](#)

[الأنشودة الحادية والعشرون](#)

[الأنشودة الثانية والعشرون](#)

[الأنشودة الثالثة والعشرون](#)

[الأنشودة الرابعة والعشرون](#)

[الأنشودة الخامسة والعشرون](#)

[الأنشودة السادسة والعشرون](#)

[الأنشودة السابعة والعشرون](#)

[الأنشودة الثامنة والعشرون](#)

[الأنشودة التاسعة والعشرون](#)

[الأنشودة الثلاثون](#)

[الأنشودة الحادية والثلاثون](#)

[الأنشودة الثانية والثلاثون](#)

[الأنشودة الثالثة والثلاثون](#)

[الأنشودة الرابعة والثلاثون](#)

[Purgatorio النشيد الثاني المطهر](#)

[الأنشودة الأولى](#)

[الأنشودة الثانية](#)

[الأنشودة الثالثة](#)

[الأنشودة الرابعة](#)

[الأنشودة الخامسة](#)

[الأنشودة السادسة](#)

[الأنشودة السابعة](#)

[الأنشودة الثامنة](#)

[الأنشودة التاسعة](#)

[الأنشودة العاشرة](#)

[الأنشودة الحادية عشرة](#)

[الأنشودة الثانية عشرة](#)

[الأنشودة الثالثة عشرة](#)

[الأنشودة الرّابعة عشرة](#)

[الأنشودة الخامسة عشرة](#)

[الأنشودة السّادسة عشرة](#)

[الأنشودة السّابعة عشرة](#)

[الأنشودة الثّامنة عشرة](#)

[الأنشودة التّاسعة عشرة](#)

[الأنشودة العشرون](#)

[الأنشودة الحادية والعشرون](#)

[الأنشودة الثّانية والعشرون](#)

[الأنشودة الثّالثة والعشرون](#)

[الأنشودة الرّابعة والعشرون](#)

[الأنشودة الخامسة والعشرون](#)

[الأنشودة السّادسة والعشرون](#)

[الأنشودة السّابعة والعشرون](#)

[الأنشودة الثّامنة والعشرون](#)

[الأنشودة التّاسعة والعشرون](#)

[الأنشودة الثّلاثون](#)

[الأنشودة الحادية والثلاثون](#)

[الأنشودة الثّانية والثلاثون](#)

[الأنشودة الثّالثة والثلاثون](#)

[النشيد الثّالث الفردوس Paradiso](#)

[الأنشودة الأولى](#)

[الأنشودة الثّانية](#)

[الأنشودة الثّالثة](#)

[الأنشودة الرّابعة](#)

[الأنشودة الخامسة](#)

[الأنشودة السّادسة](#)

[الأنشودة السّابعة](#)

[الأنشودة الثّامنة](#)

الأنشودة التاسعة

الأنشودة العاشرة

الأنشودة الحادية عشرة

الأنشودة الثانية عشرة

الأنشودة الثالثة عشرة

الأنشودة الرابعة عشرة

الأنشودة الخامسة عشرة

الأنشودة السادسة عشرة

الأنشودة السابعة عشرة

الأنشودة الثامنة عشرة

الأنشودة التاسعة عشرة

الأنشودة العشرون

الأنشودة الحادية والعشرون

الأنشودة الثانية والعشرون

الأنشودة الثالثة والعشرون

الأنشودة الرابعة والعشرون

الأنشودة الخامسة والعشرون

الأنشودة السادسة والعشرون

الأنشودة السابعة والعشرون

الأنشودة الثامنة والعشرون

الأنشودة التاسعة والعشرون

الأنشودة الثلاثون

الأنشودة الحادية والثلاثون

الأنشودة الثانية والثلاثون

الأنشودة الثالثة والثلاثون

ملاحق

ملحق (1) بعض التواريخ:

ملحق (2) جزء من شجرة دانتي منذ جده الأكبر كاتشاجويدا حتى أبناء دانتي

ملحق (3) سلالة دانتيّ المباشرة من ابنه بيترو حتى جينفرا في القرن السادس عشر

ملحق (4) جزء من السلالة المباشرة من جينفرا وماركانتونيو دي سيريجو حتة أوائل القرن



## العشرين

ملحق (5) بعض المعاصرين لدانتي (1265-1321) من رجال الأدب:

ملحق (6) بعض المعاصرين من رجال الدين والعلم والصوفية

ملحق (7) بعض المعاصرين من المؤرخين

ملحق (8) بعض المعاصرين من رجال الرحلات والجغرافيا

ملحق (9) بعض المعاصرين من الأطباء

ملحق (10) بعض المعاصرين من رجال السياسة

ملحق (11) بعض المعاصرين من رجال التصوير وزخرفة الكتب

ملحق (12) بعض المعاصرين من رجال النحت والمعمار

ملحق (13) بعض المعاصرين من رجال الموسيقى

ملحق (14) بعض الامراء والادواج والبابوات والاباطرة والملوك والسلاطين المعاصرين

ملحق (15) مراحل دراستي لدانتي وترجمتي للكوميديا

## Notes

[←1]

إستخدم دانتي ضمير الجمع: *nostra vita* («حياتنا»)، قاصداً عُمر الإنسان بعامة، الذي كان معاصرو دانتي يرون وسطه في سنّ الخامسة والثلاثين، وهي السنّ التي كانت للشاعر يومَ شرع بكتابة عمله هذا. ولدَ دانتي في 1265، وبدأ كتابة «الكوميديا الإلهية» في 1300، وهو عام سفره إلى روما الذي صادف احتفالات «اليوبيل» التي هيأ لها البابا بونيفاتشو الثامن. ونوافق الشاعرة جاكلين ريسيه، واضعة إحدى أحدث ترجمات «الكوميديا الإلهية» إلى الفرنسية والتي نعتمد هنا أغلب حواشيها، الاعتقاد بأنّ صيغة الجمع هذه التي تفتتح البيت الأول من العمل كلّ تشير من ناحية أخرى إلى اعتقاد دانتي أو إيمانه بأنّ عمله ستكون له دلالة شاملة تهّم الانسانية جمعاء.

وذلك لا سيّما وأنّه ينتقل منذ البيت الثاني إلى صيغة المتكلم المفرد: «ألفيئي...». ففي هذا الجدل بين «أنا» الخطاب و«مجموعيّة» المرجع يتموقع نشيده.

[←2]

ترمز الغابة المظلمة إلى الآثام والأخطاء. وهي تشير، في حياة الشاعر أو سيرته، إلى فترة ضلال أخلاقيّ وتخبّط فكريّ يستعيدها هنا ويحاسب نفسه عليها ويتجاوزها.

[←3]

المقصود بالكوكب الشّمس، كانت تُعدّ كوكبًا في منظومة بطليموس الفلكيّة التي يتبعها دانتي ومعاصروه.

[←4]

يرى الشراح، بالرجوع إلى النصوص الفكرية والروحية المعاصرة لدانتي (لدى بونافينتوره مثلاً) أنّ القدم الثابتة، بمعنى الثقيلة والمسمّرة، هي القدم اليسرى، التي تُثقل على الانسان وعلى اندفاعاته. وتذكّر ريسيه بهذا الصدد بتدرّج خطو دانتي وواتاره عبر «المنازل» الثلاثة. فلئن كان سيره في «الجحيم» بطيئاً، فإنّه يتسارع في «المطهر» ويكون في «الفردوس» قريباً من الطيران.

[←5]

Lonza ، من الفرنسية القديمة lonce:  
حيوان بين التمرة والفهدة. يرمز عمومًا إلى الشهوانية الفاجرة أو شهوة الجد المتسلطة.

[←6]

كان يسود في العصر الوسيط الاعتقاد بأنّ العالم أنشئ والأرض دُفِعت إلى الحركة في مطلع الرّبيع. وفي العام 1300، الذي يموقع فيه دانتي هذا اللّقاء في الجحيم، صادف الانقلاب الربيعي الثاني عشر من آذار.

[←7]

كان الأسد يرمز عمومًا إلى الكبرياء والصّلف والعُجب.



[←8]

ترمز الذئبة إلى الشره والجشع. ويرى الشراح أنّ دانتي يعلن من الآن، عبرَ ظهور الوحوش الثلاثة، إلى أقسام الجحيم الكبرى الثلاثة (ما يدعو به ب. «الحالات الثلاث الممقوتة في السماء»: الغلظة أو الانقياد للشهوة والخداع والعنف).

[←9]

يطرح الشّراح لهذا الصّمت تأويلين اثنين. فإمّا أن يشير الشاعر إلى أن العقل (وهو المعنى الرمزيّ لحضور فرجيليو الذي كان يُلقَّب بـ «الشّاعر الحكيم») يجد صعوبة في إفهام مرماه بعدما لزم الصّمت طويلاً. أو أن يكون المقصود هو أنّ القادم لا يتّضح للنظر بما فيه الكفاية بسبب من الصّمت الطويل للشّمس بباعث من ظلمة المكان. وهناك أيضًا من يرى أنّ فرجيليو كان يلقّه الصّمت في اليمابيس قبل أن يأتي دانتي ويوفّر له الفرصة في مرافقته وإرشاده عبر أقاليم العالم الآخر الثلاث.

[←10]

المقصود هو إنياس، الذي كان فرجيليو قد غنى مجده في ملحمة الحاملة اسمه عنواناً: «الإنياذة». أما «إيليوم» التي يرد ذكرها في المقطع الثلاثي نفسه فهي طروادة، وقد استخدم دانتى اسمها الثاني تفادياً للتكرار.

[←11]

يعرفه على الفور بالاستناد إلى ما يمكن دعوته بأسطورة فرجيليو الشائعة في العصر الوسيط، التي تصوّره على الخصوص حكيمًا وخبيرًا بفنون السّحر وتمتّعًا بقوة النبوءة ومغنّيًا لمجد الأموات. وهو يرمز لدى دانتي إلى العقل الانسانيّ ويمثّل شاعر السّلطة الامبراطوريّة. وفي الأنشودات الأولى من «الكوميديا» هو، خصوصًا، معلّم في السّعر وحكيم كبير.

[←12]

كلب صيد قويّ، يرمز هنا إلى مخلصٍ منتظرٍ سيُحلّ في العالمِ العدالة والسّلام. رأى فيه بعض الشّراح وجوهًا تاريخيّة عديدة قد يكون دانتي قصدها، وبالأخصّ كانْ غرانده ديلا سكالا، الذي استقبل دانتي المنفيّ في فيرونا، والذي سيهديه الشاعر نشيد «الفردوس» اعترافًا بفضله، أو ملك اللوكسمبورغ هنري السّابع، الذي كان دانتي يحضه الإعجاب ويأمل أن يتحقّق السّلام الكونيّ على يديه، والذي تمّ تكريسه امبراطورًا للرومان إلا أنّه توفّي بعد ذلك بشهور في 1313.

[←13]

كتب دانتي: peltro، وهو معدن مزيج من الرصاص والقصدير، المقصود به «المال» بعامّة.

كتب دانتي: *tra feltro e feltro*، ويمكن أن نقرأ فيها «اللبد»، وهو نسيج رخيص، فيكون القصد أنه يقيم في منزل متواضع. وإلى هذا يذهب أيضًا الشاعر الإيطالي المعروف أنغاري، إذ كتب في مقالته «دانتي العادل» (في مجموعة مقالاته «البراءة والذاكرة»، ترجمها إلى الفرنسية فيليبي جاكوتيه، منشورات غاليمار، 1969) أنه «لما كان هذا السلوقي لا يسعى إلى أن يسمن من التروات وخيرات الأرض، بل إلى الاغتناء بـ "الحكمة والفضيلة والمحبة"، فيبدو لي أن من الصائب تفسير البيت بمعنى أنه، أي السلوقي، سيولد بين رجال يشهد ملبسهم المتواضع على أنهم (...) ينزعون هم أيضًا إلى "الحكمة والفضيلة والمحبة"». أو أن نقرأ «بين فيلترو ومونتيفترو»، وهناك كان يقع منزل كان غرانده (أنظر الحاشية ما قبل السابقة).

[←15]

شخص من «إنيادة» فرجيليو، بعضهم كان في معسكر الطرواديين والبعض الآخر في المعسكر العدو. يلمح دانتي إلى أن موتهم جميعًا كان ضروريًا لقيام الامبراطورية الرومانية.



[←16]

الطوبايون، المصوغة من كلمة «طوبي»، تدلّ في المصطلح الفنيّ للتصوّف واللاهوت على السّعداء في الفردوس، ولا علاقة لها في هذا العمل بالفلسفة والأدب المعروفين بالطوبايين بمعنى الأفكار والعوالم المتفائلة التي تتراوح في خياليتها (اليوتوبيا).

[←17]

المقصود بهذه الرّوح بياتريشي، محبوبة الشاعر، التي يشير إليها مطوّلاً في عمله الأوّل «فيتا نووفا» («الحياة الجديدة»)، والتي ستكون مرشدته في «الفردوس» حيث لا يقدر فرجيليو على الدّهاب معه بباعث من وثنيته.

[←18]

إشارة إلى وثنيّة فرجيليو، الذي توفي قبل مجيء السيّد المسيح بتسع عشرة سنة، مع أنّه ترك كلامًا شعريًّا عن قرب ظهور مخلص عادل فُهمَ وكأنّه نبوءة بظهور يسوع.

[←19]

لا باب لفردوس دانتي، ولعلّ المقصود هنا هو باب «المطهر»، الملكوت الثّاني الذي سيزوره دانتي مهتديًا بفرجيليو.

[←20]

يمكن فهم هذه «الرّوح» التي طرحها دانتي بالمفرد، باعتبارها روحًا جماعية لربّات الإلهام (وهذا هو رأي ييزار Pezard، مترجم دانتي في سلسلة لايلاياد- غاليمار)، أو على أنّها روح دانتي نفسه، مخاطبًا ذاته وواعيًا بعلو مهمّته.

[←21]

والد سيلفيوس هو إنياس، الذي وصف فرجيليو في «الإنياذة» نزوله إلى الجحيم (أنظر قراءتنا لأنغاريي في المدخل النقدي لهذا الكتاب).

[←22]

يقصد بالأثر الآتي تأسيسه الامبراطوريّة الرومانيّة فيما بعد. والمقصود بـ «عدوّ جميع الشّرور» هو الله.

[←23]

«الإناء المختار» هو لقب القديس يولس في «الكتاب المقدس». وفي رسالته إلى أهل كورنثة، يموقع يولس بنفسه زيارته للعالم الآخر في السماء الثالثة، وهي أقصى سماء يمكن أن يزورها إنسان حيّ وإن يكن نبياً.



[←24]

أي بين مَنْ هُمْ في «اليمابيس» أو «اللمبو» بحسب النطق الايطاليّ)، وهي المنطقة التي لا عذاب فيها، والمخصّصة للأطفال الذين ماتوا قبل أن ينالوا التعميد، وللعادلين الذين ماتوا قبل أن يدركهم الإيمان (كما هي حال فرجيليو نفسه). وسيصفها دانتي في الأندشودة الزابعة من هذا الجزء (الأبيات 31-45).

[←25]

يقصد بياتريشي.

[←26]

أي هذا الذي يمحض محبته بصورة منزهة وبلا مقابل.

[←27]

السّماء هنا بالمعنى الفلكي، باتّباع تصوّر البطليموسيّ. هي سماء القمر، التي تُعدّ أدنى السّموات.

[←28]

لوتشيا، من سيراكوزا، قديسة كان داني يمحص ذكراها محبة وإجلالاً كبيرين. استشهدت في القرن الرابع، وتعتبر شفيعة مرضى البصر.

[←29]

امراة يعقوب الثّانية، أمّ يوسف وبنيامين، وترمز في روحانيّات القرون الوسطى إلى الحياة التأمليّة.

[←30]

نستشفّ من هذه الأبيات الاعتقاد الذي كان سائدًا بأنّ الجحيم نجمت عن سقوط لوسيفير (ملك بابل في «العهد القديم»، صار في القرون الوسطى يرمز إلى الشّيطان) على الأرض، بُعيد خلق الملائكة الذين سيتمردّ بعضهم ويعصي الله. كلّ ما خُلِق قبل الجحيم (الملائكة والسّموات والمادّة الخالصة) هو بحسب هذا الاعتقاد أبديّ.

[←31]

الملائكة المحايدون لا وجود لهم في التراث اللاهوتي. ولعلّ داني يمتاح هنا من أساطير شعبية قروسطيّة، تلك المنسوجة حول رؤيا القديس يولس مثلاً.



[←32]

لعلّ المقصود هو تشيلستينو الخامس، الذي كُرس بابا في تمّوز 1294، وتنازل عن البابويّة في كانون الأوّل من العام نفسه لبونيفاتشو الثامن الذي يمقته دانتي بشدّة. ويرى فيه شّراح آخرون عيسو أو بونص بيلاّت أو يوليانوس المرتد (331-363 م.)، إلخ.

[←33]

هو كارّون، أخذته الميثولوجيا الرّومانية عن اليونانيّة، وهو فيهما معبّر الأرواح إلى العالم الآخر.

[←34]

لّما كان دانتى ما يزال على قيد الحياة، فهو لا يمكنه المرور من حيث تمرّ أرواح المعافين. وعليه أن يسلك طريق الأرواح الطيبة التي تجتمع عادةً عند منبع «التيبر» ومن هناك يحملها الملائكة إلى جبل «المطهر» في «قارب خفيف».

[←35]

هذا النَّهر هو «أكبرون»، مستعار من الميثولوجيا اليونانية، جعل منه دانتي أكبر أنهار الجحيم، ويتشكّل من دموع الأثمين المعذبين.

[←36]

يمثل الإغماء الذي يُصاب به دانتي العنصر ما فوق-الطبيعيّ الذي يتيح له عبور «أكيرون» من دون الصّعود في سفينة كارون.

[←37]

هو يسوع المسيح، الذي لا يمكن في الجحيم تسميته باسمه، والذي يُعتقد بأنه نزل بين موته وانبعاثه إلى ملكوت المعذبين، ومن اليمابيس انتشل أباه الأول (آدم) وبقية الأنبياء والصالحين.

[←38]

إشارة إلى اضطرار اسرائيل (يعقوب) إلى العمل في خدمة أبي محبوبته راحيل طيلة سبع سنوات حتى يتمكن من الزواج منها.

[←39]

هؤلاء الشعراء أشهر من أن نعرّف بهم. نذكر مع ذلك بأنّ هوميروس، المنسوبة له «الإلياذة» و«الأوذيسة» ما برح موضع جدال: هل وجد هذا الشاعر فعلاً، وهل كان وحده مؤلّف هذين العملين العظيمين، أم هما من صنع الذاكرة الجماعية لأهل الإغريق؟ أمّا هوراتيوس، الذي عاش بين 65 و8 ق.م.، فقد ترك باللاتينية أشعاراً تهكمية وغنائية. وأوفيدوس (43 ق.م.) هو الشاعر اللاتيني المعروف بعملية «فنّ الهوى» و«التحوّلات»، يفيد منه دانتي ويتخطّاه في كوميدياه هذه. ولوكانوس (29 – 65 م.)، ترك باللاتينية أيضاً ملحمة «فرساليا» التي يصف فيها نضال يومبيوس في مواجهة يوليوس قيصر.



[←40]

باعتبار أنّهم يشكّلون خمسة بعد إضافة فرجيليو. ويلاحظ القارئ كيف يُدرج داني نفسه في تتمة الشعراء الكلاسيكيين ويقول إنّّه صار سادسهم.

[←41]

ترمز هذه القلعة إلى الفلسفة، التي تمثل العقل الانساني مجردًا من الأنوار الإلهية. جدرانها السبعة هي أبواب الفلسفة السبعة بحسب التقسيم الكلاسيكي (الجماليات والأثيقا أو علم الأخلاق وعلم المنطق والميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة وآداب السلوك morale - وهي أضيق نطاقًا من الأثيقا - والأنطولوجيا أو علم الوجود وأخيرًا علم اللاهوت).

[←42]

من الشخصيات اليونانية الأسطورية. هي أم داردانوس، مؤسس السلالة الطروادية. ورافقها هم هنا خلقها، وبينهم هكتور الذي حامي عن طروادة، وإنياس بطل «الإنياذة»، مخلص سلالته وأول مؤسس للمجد الروماني. وينبغي الانتباه إلى أن أغلب من يلاقهم داني في اليمابيس، منطقة العفو هذه التي تشكل داخل الجحيم نوعًا من المطهر (سوى أنهم لا يخرجون منه إلى الفردوس، نظرًا لموتهم في الوثنية) هم، واقعيين كانوا أم أسطوريين، ممن «ساهموا» في الإغلاء من شأن الامبراطورية الرومانية التي كان داني يريد تخليصها من سطوة البابوات.

[←43]

كاميليا: عذراء محاربة، من شخوص فرجيليو أيضًا. وينتسليا: مليكة «الأمازونات»، ساعدت الطرواديين وقهرها أخيل.

[←44]

لاتينوس: ملك لاتزيوم وأبو لافينيا (أنظر الحاشية التالية).

[←45]

لافينيا: زوّجها أبوها من إنياس وقادت الثورة على تاركوينوس المعروف بالمتغطرس.

[←46]

هو لوسيسوس يونيوس بروتوس، مؤسس الجمهورية الرومانية والذي انتقم من تاركوينوس المتعطرس، لقتله لوكريسيوس.

[←47]

لوكرتيزيا: إغتصبها سيكستوس ابن تاركوينوس، فانتحرت. جوليا: ابنة يوليوس قيصر وزوجة ييوميتوس (خصم قيصر، سيرد ذكره). مارتيزيا: الزوجة الثانية لكاتون (سيرد ذكره، خصم لقيصر ومناصر للجمهورية الرومانية وقد انتحر لدى سقوطها). كورنيليا: أم «الغراكيين»، ابنة شيبوني. نكّر القول إنّ جميع هذه الشخصيات مرتبطة بالصراعات الأولى من أجل تأسيس الامبراطورية الرومانية والمحامة عنها.



[←48]

عن عجب، تشير جاكين ريسيه إلى أنّ صلاح الدين الأيوبيّ هو المسلم الوحيد الذي «يقابله» دانتي في «اليمابيس». فبعد أبيات قليلة، سيقابل القارئ الفيلسوفين ابن رشد وابن سينا!

[←49]

هو أرسطو، الذي يمثّل في نظر دانّي الفيلسوف بامتياز.

[←50]

سقراط وأفلاطون: كان دانتي يمجد فيهما مؤسسين للفلسفة الأخلاقية. ويبدو أنّ دانتي لم يقرأ من أعمال أفلاطون إلا محاورة «التيمائوس»، وذلك في ترجمة لاتينية. وتتوالى في الأبيات التالية سلسلة من أسماء أهمّ قدامى الفلاسفة والأطباء والعلماء، وهم جميعاً أشهر من أن يحتاجوا إلى تعريف. وخلا ابن رشد وابن سينا، هم جميعاً من اليونانيين. ولاحظ كيف جمع دانتي بهم أورفيوس، الشاعر والموسيقيّ في الأساطير اليونانية: كان غناؤه يجذب وراءه الجماد والحيوان، وليس عديم الدلالة في سياق «الكوميديا الإلهية» أن يكون هو الآخر هبط إلى العالم السفليّ بحثاً عن زوجته أوريديس التي كانت لقيت مصرعها بلدغة أفعى.

[←51]

هو في الميثولوجيا الكلاسيكية ملك جزيرة «كريت» اليونانية. عُرف بالصّرامة وروح العدل. جعل منه هوميروس ومن بعده فرجيليو قاضيًا للجحيم.

[←52]

أي أرواح مَن ولدوا للشقاء.

[←53]

هنا إشارة إلى الثَّغور الناجمة عن الانهيارات، والتي تمكّن من نزول الجرف الصّخريّ الشديد الانحدار الذي يفصل مختلف حلقات الجحيم.

[←54]

ملكة أسطوريّة لأكد وآشور في القرن الرابع عشر قبل ميلاد السيّد المسيح. مشهورة بجمالها وشهوانيّتها ويُعزى لها قانون يبيح ارتكاب سفاح المَحارم. وقصدَ في قوله في بيت سابق: «امبراطورة لغاتٍ عديدة» أنّها كانت تسود أقوامًا يتكلمون بلغات متعدّدة، كناية عن امتداد سلطانها.

[←55]

المقصود هو سلطان مصر. ولعلّ دانتى يخلط بين «بابلونيا» الرافدينيّة وفسطاط مصر التي كان من أسمائها «بابلونيا» أيضًا.



[←56]

ديدون (وتسمّى أيضًا «أليسا») هي أميرة صور ومؤسسة قرطاجنة التي يروي فرجيليو في ملحمة أنها خانت عهد الوفاء الذي قطعت له لزوجها المتوفى سيكيو بأن أحبّت إنياس وانتحرت عندما هجرها هذا الأخير.

[←57]

ملكة مصر، خلية يوليوس قيصر ثم أنطونيوس، أنموذج تقليدي للفجور.

[←58]

تَسبَّب اختطاف هيلانة من قبل ياريس بحرب طروادة.

[←59]

في الأساطير القروسطيّة المنسوجة حول حرب طروادة، يُقاد أخيل إلى فخّ بسبب من حبّه ليوليكسانا ويُقتل غدراً.

[←60]

إبن ملك طروادة، حكم لفينوس بتفوقها في الجمال على بقية الآلهات فساعده في اختطاف هيلانة.

[←61]

هو بطل إحدى قصص العصور الوسطى الفرنسية، ذهب إلى إيرلندا ليوصل الشابة إيزولت إلى خطيبها عمه الملك مارك، فهام بها ولم يتمكن من الوفاء لعمه الذي سيكتشف الود بين الشابين ويتسبب لابن أخيه بجرحٍ ميث. تصل إيزولت لتجد عشيقها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فتموت على جثمانه كمدًا.

[←62]

إنطلاقاً من هذا البيت يعالج دانتي حادثة فعلية تحوّلت إلى أسطورة. فرانشيسكا دا ريميبي، ابنة غويدو دا يوليتنا، تزوّج من جوفاني مالتيستا في 1275، ثمّ تهيم بأخي زوجها ياولودا مالتيستا، فيفاجؤهما الزّوج ويقتلها معاً. وهذه الأنشودة من أشهر أنشودات «الكوميديا الإلهية»، وقد ألهمت العديد من المقالات والشّروح النقديّة القديمة والمعاصرة، منها مقالة لبورخيس يؤكّد فيها على افتتان دانتي بهذا الالتحام العشقيّ الذي يجمع كائنين حتّى في قلب الجحيم (أنظر دراسة هذه الحالة في مدخلنا النقديّ).

[←63]

أنظر الحاشية السادسة أعلاه.



[←64]

دائرة قابيل («القاينا»): أولى المناطق الأربع التي تتشكّل منها حلقة الجحيم الأخيرة، المدعوّة «كوتشيتوس». وهي مخصّصة لمعاقبة خائني ذويهم.

[←65]

تروي قصص «المائدة المستديرة» الفرنسيّة (القرن الثالث عشر) غرامياته مع جينيفر، زوجة آرثور ملك البروتاني الفرنسيّة الذي كان قد عيّنه فارسًا لها، أي لزوجته.

[←66]

في الرواية المذكورة، كان لأنسلو يستحي من أن يبوح لجينيغر بحبه، فذهب صديقه غالهو ورجاها بأن تجود على لأنسلو بقبلة، وهذا ما حصل. وبذا تكون الرواية اضطلعت بين فرانسيسكا وحميها العاشق بالدور نفسه الذي اضطلع به غالهو ذلك بين العشيقين الفرنسيين في الرواية المذكورة. أنظر في مدخل هذا الكتاب قراءة جاكلين ريسيه لهذه الحالة من ناحية الأعداء الشعري، وقراءة الفيلسوف رنيه جيرار لها من زاوية التلاعب بالرغبة أو إملائها.

[←67]

إستخدم دانتى حرفياً تعبير «إبني العمّ»، بمعنى القرينين.

[←68]

سريروس: وحش ميثلوجي في هيئة كلب له ثلاثة رؤوس مغطاة بالأفاعي وذنوب أفعى. جعل منه فرجيليو وأوفيدوس حارس الجحيم. أمّا دانتي، فيجعل منه حارس هذه الحلقة الثالثة، وهو يرمز للنّهم ولكلّ ما هو منفرّ.

[←69]

المقصود هو تشاكو (حرفياً: «الخنزير»)، لقب كان معطى لمهّج فلورنسيّ من القرن الثالث عشر، يُدان هنا  
لنهمه ونزعتة الطفيليّة.

[←70]

هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها فلورنسة في النصّ.

[←71]

المقصود في تعبير «حزب الرّيف» هو حزب «الغيلف البيض»، برئاسة آل تشيرتشي، فكان أغلب أنصاره متحدّرين من الأرياف التوسكانيّة.



[←72]

في 1301، استولى «البيض» على السلطة وطردوا جميع القادة «السود». وقد مكّن هذا دانتى من أن يكون عضوًا في حكومة جماعية لمدينة فلورنسة وإقليمها، ولكنه عبثًا حاول استئصال الفساد والمناورات السياسية في صفوف حزبه.

[←73]

يقصد أنه قبل ثلاث سنوات ستحصل الإدانات وعمليات الأبعاد التي يتعرّض لها «البيض» (وبضمنهم دانتي) على أيدي «السود». وكما في سائر أناشيد «الكوميديا»، يطرح دانتي هنا في صيغة نبوءة أحداً كان عاشها بنفسه قبل سنوات قليلة، ممّا يمنح لكلامه أثراً أقوى ممّا لو طرحها كذكريات أو عناصر من السيرة الذاتية. أمّا هذا الذي «يداورهما» (البيت اللاحق) فهو البابا بونيفاتشو الثامن، المرتشي الشهير وعدوّ دانتي اللدود، الذي اتّصل أولاً بكلا الحزينين قبل أن يرى أنّ من مصلحته مساندة السود فدعمهم في ضرب البيض.

[←74]

عادلان اثنان: ربما كان يقصد أنّ هذا قليل. وعلى أية حال، فلم يُشخّص دانتي العادلين المقصودين. أكان يفكر بنفسه وبرفيقه الشّاعر غويدو كالفالكاتي؟ أو ربّما بنفسه وبرفيقه الآخر دينو كومياي؟

[←75]

فاريناتا دلي أوبرتي: قائد مشهور للغيلين، سيلتقيه دانتي في حلقة الهراطقة (الأنشودة العاشرة).  
تاغايو: قاضي القضاة في سان جيمينيانو في 1238، وسيلتقيه دانتي في حلقة أهل سدوم (الأنشودة السادسة عشرة).

[←76]

جاكوبو روستيكوتشي: وسيط للسلام، سيلتقيه في حلقة أهل سدوم هو أيضًا. آريغو: غير مشخص. لعلّه آريغو دي كاشيا، الذي ساهم إلى جانب تيغايو وروستيكوتشي في مفاوضات السلام مع فولتيرا. موسكا: قاضي قضاة ريجيو في 1242. سيلتقيه دانتي في الحلقة الثامنة بين باذري الفتن وصانعي الشقاق.

[←77]

أي الله، عدوّ كلّ شرّ.

[←78]

يقصد مذهب أرسطو (نصوصه وشروحها). ويضيف بعضهم إليه مذهب القديس توماس الإكويني، الاسكولائي، الذي تستلهمه «الكوميديا الإلهية» هو أيضًا.

[←79]

يلوتون هو إله الجحيم، كان في العصر الوسيط يُخلَط بينه وبين يلوتوس، إله الثروة.



[←80]

"Pape Satan. Pape Satan aleppe !"

بيت غير مفهوم ولكته غير مفتقر إلى المعنى، إذ يبدو من البيت الثالث أنّ فرجيليو يفهمه. إنّهُ دعاء إلى

الشيطان، يري

بوسكو

Bosco

أنّ «ياي» تدلّ فيه على هتاف تعجّبيّ و«أليبي» على صرخة ألم. وقد تقدّم الشّراح بتأويل لا تحصى لهذه

العبارة. منها تأويل

تشيليبي

Cellini الذي يقرأ فيها كلمات فرنسيّة:

:Paix , paix , Satan , paix , paix , allez paix

«السّلام، السّلام، يا شيطان، السّلام، السّلام، هيّا، السّلام».

[←81]

صخرة على البحر في صقلية، تقابل صخرة مماثلة اسمها سيلاً. وفي مشهد مشهور من «الأوديسة» لهوميروس، يستعيده فرجيليو في «الإنياذة»، ينجو ملاحو عوليس من الاصطدام بخاريبيديس وتُلحق بهم سيلاً أضراراً شديدة. ولقد سارت العبارة مثلاً على مَنْ ينجو من خطر فيظللّ يتهدّده خطر آخر أدهى: «نجا من خاريبيديس فاصطدم بسيلاً».

[←82]

كانت الصّورة الشّائعة حتى عصر النّهضة عن رجال البلاط البابويّ هي أنّهم نهمون بخلاء. ويلاحظ القارئ كيف يضع دانتي كلّاً من البخلاء والمُسرفين وجهاً لوجه، يرقصون في اتّجاهين متعاكسين ويعود كلّ فريق أدراجه ما إنّ يصطدم بالأخر، وهكذا دواليك.

[←83]

ترمز القبضة المغلقة إلى البخل. والشعر المنتوف من جميع الجهات إلى التبذير والإسراف.

[←84]

يصوّر دانتي الحظّ، الذي سيتكّم عنه على لسان فرجيليو طوال الأبيات التالية، على هيئة ملاك مكّلف بتدبير المعاملات الإنسانيّة. وهو يفعل ذلك متأثراً بمذهب القديّس توماس الإكوينيّ.

[←85]

في اعتقاد دانتي، المتأثر بهذا الصدد بمصادر عديدة، إسكولائية وصوفية، أنّ الله خلق السموات تسعاً وعين لكل منها عقلاً محرّكاً أو فاعلاً. كلّ واحد من هذه العقول يسلط نوره الفكريّ على كلّ سماء ماديّة وعلى كلّ مدار سماويّ، موزّعاً بالعدل النور الإلهيّ المحمّل هو به.

[←86]

أي سائر العقول التي تدبّر مسيرة السّموات والتي تُدعي إجمالاً أو للتبسيط بالملائكة.

[←87]

هذا يعني أنّ اثنتي عشرة ساعة قد مرّت، ونحن الآن في منتصف ليلة الجمعة المقدّسة تقريبًا.



[←88]

جميع أنهار الجحيم وجداولها نابعة من منبع واحد هو «أكرون».

[←89]

لون السجّاد الفارسيّ. وكما كتب دانتي في «المأدبة» (4، 20، 2) فهو يقصد منه «لونًا مزيّجًا من الأرجوان والأسود يهيمن فيه اللون الأخير».

[←90]

هو في الميثولوجيا القديمة نهر أقاليم الجحيم. ويصنع منه داني، مقتفياً في ذلك أثر فرجيليو، بركة تحيط بمدينة ديس. بين أكبرون وستيكس يتلقى الآثمون بالإسراف عقوبتهم. ووراء ستيكس ترتفع أسوار ديس (مدينة الشيطان) الملتهبة، حيث يلقي عقوبتهم الآثمون بالغدر والعنف.

[←91]

نلاحظ في الأنشودة الثامنة استعادة للسرد. يرى بوكاشيو أنّ الأنشودات السّبع الأولى كتبها دانتي في فلورنسة، قبل منفاه. ثمّ يكون طراً على عمله توقّف ريمّا دام سنوات عديدة. وقد استعاد هذه الفرضيّة، مع تحويرات أو تنويعات كثيرة، شراح معاصرون عديدون.

[←92]

شخصية أسطورية: أفاضه أيولون بإغوائه ابنته كورونيس، فأشعل النار في معبد ديلفي، وبعث به الإله المذكور إلى الجحيم. يرمز إلى سرعة الغضب، وعلى هذا الأساس جعل منه دانتي حارس الحلقة الخامسة هذه، التي يجتمع فيها من قهرتهم سرعة غضبهم.

[←93]

يقصد أنّ القارب ازداد ثقلاً بوزن دانتي نفسه لأنّه كان إنساناً حيّاً. وهذا ما يوكدّه قوله بعد ثلاثة أبيات إنّ القارب راح يسير بأعمق من المعتاد، فيغوص في الماء أكثر بدافع من الوزن.

[←94]

هو فيلييو أرجنتي، موسر فلورنسيّ من حزب «الغيلف السود»، كان عدوّاً لدوداً لدانتي، سبق ذكره في الأندودة الخامسة من هذا الجزء.

[←95]

ديس: جاء اسمها من الاسم الآخر ليلوتون، إله الجحيم في اللاتينية. وتنطوي مدينة ديس على حلقات الجحيم الأربع الأخيرة.



[←96]

كتب دانتى «مساجدها»، قاصداً، بحسب ريسيه، كنائس حوّلت إلى جوامع، وهذا ما لا نعتقد به (لا شيء يدعمه في النصّ). ولأنّ دانتى سيعود إلى هذه الصّيغة في «الفردوس»، فنحن نعتقد بأنه يُطلق تسمية «المساجد» على «المعابد» بعامة.

[←97]

هم الملائكة الساقطون، صاروا مردّة وشياطين في الجحيم بعد سقوطهم من السماء.

[←98]

عندما نزل المسيح ليتفقّد الجحيم، حاول الشياطين منعه من اجتياز المدخل (الأقلّ خفاءً لكونه أكثر برّانية)، وكان على يسوع أن يقسر بابه.

[←99]

يقصد رسولاً من السماء.

[←100]

ساحرة من تساليا تكهّنت أمام بومبيّوس بنتيجة معركة فارساليا، وكانت قادرة على إرجاع الأرواح إلى أجسادها.  
أمّا عن زيارة فرجيليو السّابقة إلى الجحيم، فهي من ابتكار دانتي ليبرّر بها معرفة أستاذه للأماكن.

[←101]

هَنّ «الإيرينات»، كَنّ في الميثولوجيا اليونانية مفوضات بتحقيق الانتقام الإلهي والأرجح أنهم يرمزن لدى دانتي إلى التّدامة وتبكيّت الصّميم.

[←102]

الهيدرات أفاعٍ أسطورية برؤوس عديدة.

[←103]

هي بروسزينا، اختطفها بلوتون وتزوجها وصارت ملكة الجحيم، ومن هنا دعوة دانتي إيّاها بمليكة البكاء الأبدى.



[←104]

تحدّث ميدوزا جمال ميّزُفا فمسخ بوسيدون شعرها إلى ثعابين وأحال وجهها رهيب القسوة وقادراً على مسخ  
مَن ينظر إليه إلى حجر. وهي تتقاسم هذه القدرة مع شقيقاتها الأخريات، وهنّ يُدعّين معها ب.  
«الغورغونات» (أنظر البيت الثاني من المقطع التّالي مباشرة).

[←105]

كان تزيوس قد رافق إلى الجحيم رفيقه بيريتوس الذي كان عازمًا على اختطاف بروسرينا من هناك، ولكن بلوتون اعتقلهما حتى جاء هرقل ليطلق سراحهما.

[←106]

يريد دانتي إلفات انتباه القارئ إلى المعنى المجازي أو الأمثولي للحادثة. وثمة تأويل عديدة لمقابلة ميدوزا والشياطين، منها أنّ دانتي، وقد قرّر اختيار الخلاص الروحاني، كان عليه أن يرى جميع حلقات الجحيم، وإلا لبقى خلاصه في نظره موضوع ريبة. ولا شك أن أستاذه الحاذق فرجيليو يمنعه هنا من التطلّع إلى ميدوزا وجهاً لوجه لأنّه يعدّه غير مهياً بعد لهذا الاختبار القاسي، ولكنّه سيمنّنه في «المطهر» من رؤية ما هو أفضع وأشدّ.

[←107]

يقصد رسولاً من السّماء، لعلّه كبير الملائكة ميكايل. ولعلّ ما يقصده دانتي من هذا الإخفاق الذي عانى منه هو وفرجيليو في اختراق أبواب «ديس» هو أنّ هذه الرّحلة المتطرّفة لا يمكن أن يقوم بها العقل الإنسانيّ وحده وتلزمها عناية سماوية أو شفاعة روحانية. وتكتنف مدينة الجحيم هذه المعدّين لآثام مقصودة بباعث الخبث، كان دانتي يريد مشاهدتهم بعدما شاهدَ عذاب المنقادين إلى الشّهوة انقياداً (وهو إثم أخفّ).

[←108]

كان هرقل قد قاد إلى الأرض الوحش سريروس بسلسلة خلفت في عنقه حزورًا.

[←109]

تضمّ مدينة آرل الفرنسيّة مقابر مسيحيّة ورومانيّة كانت مشهورة في القرون الوسطى.

[←110]

مينااء في إيسٲريا؁ كان يضمّ مقابر رومانئة؁ مندثرة ءالئًا.

[←111]

في الجحيم ينزل دانتي إلى اليسار دومًا. هنا، وبصورة غامضة، يتّجه إلى اليمين.



[←112]

يوسافاط: وادٍ قريب من أورشليم، يمثّل في التراث التوراتيّ مسرح الحساب بُعيد النّشور.

[←113]

كانت الفلسفة الأبيقورية في العصر الوسيط تدلّ خصوصًا على نفي خلود الرّوح أو بقائها.

[←114]

فرجيليو يخمّن رغبة دانتي في التكلّم مع مُواطن من فلورنسة.

[←115]

هو مارينته دلي أوبريتي، المدعو فاريناتا، كان زعيم «الغيلين» في فلورنسة اعتبارًا من 1239. طرد «الغيلف» في 1241 فعادوا في 1251 وطرده بدوره في 1258. ثم هزمهم في واقعة مونتهبرتي في 1260، واضعًا بذلك توسكانيا تحت سيطرة «الغيلين». توفي في 1264.

[←116]

هو شبح كافالكانته كافالكانتي، فيلسوف أبيقوريّ ووالد غويدو كافالكانتي الذي كان صديق داني الأول ومثّل إلى جانبه أحد أقطاب التيار الغنائيّ المعروف بتيار «الشعر العذب الجديد».

[←117]

طويلاً تساءل الشّراح عن بواعث هذا الازدراء المحتمل: هل ينصبّ على فرجيليو باعتباره ممثلاً للعقل أم على كونه الشّاعر القوميّ للرّومان، ممّا يقربّه من أفكار الغيّبين التي كان كالفالكانتي يناوئها؟

[←118]

يجد القارئ تفسير هذا التأخر في الردّ في الأبيات 109-114 أدناه («فقلت نادماً على تلك الهفوة»، إلخ.).  
ربّما كان دانتي يحسب الأب كفالكانتي قادراً على تخمين أنّ ابنه غويدو كان ما يزال على قيد الحياة. ويعزو  
بعض الشراح ندم دانتي أيضاً إلى شعور خفيّ بالذنب لكونه اضطرّ، يوم شارك في الحكومة المؤقتة لفلورنسة،  
إلى إرسال الإبن (وكان صديقه المقرب) إلى المنفي تهدئةً للصراعات. وهو نفسه سيلحقه إلى المنفى بعد فترة.

[←119]

هي هيكلته أو بروسرينا، إلهة القمر وملكة الجحيم. يقصد أنّ دانتي سيتعرّض للنفي بعد خمسين دورة للقمر (اعتبارًا من فصح 1300).



[←120]

يقصد الفلورنسيين.

[←121]

إشارة إلى معركة مونتايوتي، في 1260، التي قادت إلى انهيار حزب الغيلف البيض (حزب دانتي) نهائيًا. و«ريبيا»  
نهر يجري قرب مدينة سيينا.

[←122]

أُنتخب فريديريك الثاني هوهنشتاوفن امبراطورًا في 1212 وتوفي في 1250، وكان أبيقوريًا.

[←123]

المقصود هو أوتافيانو دلي أوبالديني، الكاردينال اعتبارًا من 1265، والمتحدّر من أسرة رفيعة كانت منضوية تحت لواء «الغيلين». كان يعدّ مؤسس هذه الفرقة إلى حدّ ما، وهرطوقيًا.

[←124]

يقصد بالطبع بياتريشي.

[←125]

تقلد إناستاسيوس الثاني منصب البابوية من 496 حتى 498، أي في فترة الانقسام بين الكنيستين الشرقية والغربية. حاول هو المصالحة بينهما، فصار باعثاً على الريبة في نظر المتطرفين.

[←126]

هي الحلقات السابعة والثامنة والتاسعة.

[←127]

سدوم، معروفة، مدينة أسطورية على البحر الميت أحرقها السماء لفساد أهلها. وكاهور مدينة صغيرة في جنوبي فرنسا كانت في القرون الوسطى معروفة بمُرابيها.



[←128]

في جغرافية بطليموس للعالم الآخر التي يتبعها دانتي شأن جميع أهل العصر الوسيط، تحتلّ الجحيم مركز الأرض التي تشغل بدورها مركز الكون. ويدعو دانتي «ديس» كلاً من مدينة الجحيم أو مركزها وملكها المُشرف عليها (لوسيفير، تجسيد الشيطان) الذي سيعاود القاريء مقابلته في الأنشودة الرابعة والثلاثين من هذا الجزء.

[←129]

يقصد كتاب «الأخلاق» لأرسطو، وقد عني دانتي بدراسته طويلاً.

[←130]

يقصد كتاب أرسطو «في الطبيعة» ومن الإثنين [الفنّ والطّبيعة]، إذا استعدت، في ذاكرتك بدء الخليقة، ينبغي أن يستمدّ الانسان حياته ويسير قدماً؛ ولأنّ المرابي يتبع مسالك أخرى، فهو يزدرى الطبيعة في ذاتها كما في فنّها، ما دام يودع أمله في محلّ آخر.

[←131]

يسبق برج «الحوت» برج «الجدي»، إذ يطلع في الأفق قبل الفجر بثلاث ساعات.

[←132]

«كاروس» ربح تهبّ من الشمال الغربيّ، حيث موقع الدّب الكبير. النّجوم متعدّرة على الرّؤية في الجحيم، ولكن فرجيليو «يقراها» بفعل قدرة خاصّة لا يفسرها لنا دانتي.

[←133]

ربما كان يقصد الأنقاض القائمة قرب روفيريتو، بين ترينتو وفيرونا في شمالي إيطاليا، في الموضع الذي يُدعى سالفيني دي ماركو.

[←134]

يقصد بخزي كريت «المينوطوروس»، أبن ياسيفيه والثور المعتقل في المتاهة.

[←135]

بقرة خشبيّة صنعها ديدالوس وفيها دخلت ياسيفيه لتُجامع الثور.



[←136]

هو تيزيوس، ابن ملك أثينا، وقد قتل الوحش وخلص أثينا من العار.

[←137]

المقصودة هي آريانده، شقيقة «المينوطوروس»؛ أحبّها تيزيوس وساعدته بإرشاداتها في الخروج من المتاهة في الأسطورة المعروفة.

[←138]

هو المسيح، الذي انتشل من يمايس الجحيم عادلي الناموس القديم.

[←139]

هو الزلزال الذي يُعتَقَد بوقوعه لدى نزول المسيح إلى الجحيم بُعيد موته (أنظر الحاشية السابقة).

[←140]

إشارة إلى مذهب أمبيدوقليس في الحبّ، وكان دانتى يعرفه عبر «ميتافيزيقا» أرسطو: يثبت العالم بصراع النقائض؛ يعيد الحبّ لحم أشتاته فيعود العالم إلى الفوضى أو العماء من جديد.

[←141]

نهر الدم هو «فليغيتون» وسيأتي ذكره.

[←142]

القناتس جمع «قنطروس»، كائنات خرافية في الميثولوجيا اليونانية، نصفها حصان ونصفها الآخر رجل، كانت ترمز إلى الغضب والعنف.

[←143]

هو كبير القناطس وأكثرهم عدلاً. كان معلّم أخيل وأبطال إغريق آخرين.



[←144]

إختطف القنطروس نيسوس ديانيرا زوجة هرقل، فانتقم الأخير منه بفضل قميص مسموم جعل هو خصمه يرتديه. ثم انتهى به الأمر إلى ارتدائه هو نفسه بدفع من ديانيرا، وهكذا قضى هو الآخر.

[←145]

هو أحد أعنف القناطس. حاول اختطاف نساء أهل لاييٲا فقتله أحد رجال هرقل.

[←146]

قد يكون المقصود هو ألكسندر الكبير، الذي أراق دماء كثيرة في حروبه وفتوحاته، أو ألكسندر فيريّ، طاغية تيساليا في القرن الرابع قبل الميلاد.

[←147]

لعلّه ديونيسيوس الكبير، طاغية سيراكوزا في القرن الزّابع قبل الميلاد، وقد تسبّب لأهالي صقلية بالام كثيرة.

[←148]

أتزولينو الثالث دا رومانو، كان زعيم «الغِبْلين» في شماليّ إيطاليا. قتل الكثير من أهل يادو.

[←149]

أوبيتزو الثاني الإيسّي (نسبة إلى مدينة إيسته)، مركز فرّارا، توفّي في 1203، واشتهر بالفضافة والبطش.

[←150]

هو شبح غويدو دي مونتفورتى، كان في توسكانيا رسول شارل الأول ملك أنجو. قتل هنري بن ريشارد ملك إنجلترا، في أثناء القدّاس في كنيسة فيتريو، في 1272، انتقامًا لأبيه الذي كان قد اغتاله إدوارد، عمّ هنري وملك إنجلترا لاحقًا.

[←151]

ملك «الهون» (من المغول)، عاش في القرن الخامس الميلاديّ وتزعم غارات مدمرة على آسيا وأوروبا.



[←152]

الأرجح أنّ المقصود هو بيروّس نجل أخيل، وقد شارك هو الآخر في حرب طروادة. ويفكّر بعض الشّراح ببيروّس ملك إيروس في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان سفّاحاً.

[←153]

هو سكستوس يومبيوس، ابن بوميّوس الكبير، عاش في القرن الأوّل قبل الميلاد وخاض صراعًا مع قيصر مني فيه بالهزيمة، ثمّ سيطر على صقلية وحكمها لفترة قبل أن يهزمه أسطول أغسطس في 35 ق.م.

[←154]

رينير دا كورنيٽو قاطع طريق معاصر لدانتي كان مشهورًا في منطقة ماريما حيث أثار رعبًا كبيرًا. ورينير ياتزو، قاطع طرق آخر مشهور عرف في مدينة أريتزو بخاصة.

[←155]

تشيشينا: نهر صغير في توسكانيا. وكورنيتو مدينة صغيرة في المنطقة نفسها كان فيها غابات موبوءة.

[←156]

الهربوسات حيوانات خرافية لها جسم طير ورأس امرأة. ويصف فرجيليو في «الإنياذة» الآلام التي تسببت هي بها لإنْياس ورفاقه في جزير استروفاديس، إذ راحت تلوّث أطمعتهم كما تنبأت لهم إحداهما بمجاعة قادمة.

[←157]

في هذا التكرار حيلة بلاغية قروسطية تمهد للحوار مع الشاعر يبير ديي فينيا.

[←158]

في النَّشيد الثالث من «الإنياذة»، يقطع إنياس لدى وصوله إلى تراسيا بعض الأغصان من شجرة صغيرة فوق قبر فيرى إلى الغصن وهو ينزف فيما ينبثق من الشَّجرة صوت فوليدوروس، ابن فريام وصديق إنياس، الذي اغتيل بالغدر على يد ملك تراسيا ودُفن في الموضع نفسه. قصد فرجيليو أنه كان حريًّا بهذا النَّشيد أن يكون نَبه دانتى من قبلُ إلى طبيعة هذه النَّباتات النَّازفة في الجحيم.

[←159]

هو يبيرو دلاً فينيا (1190-1249)، كان مستشاراً لدى الامبراطور فريديريك الثاني. قانوني وشاعر مشهور. اتُّهم بالخيانة واعتُقل وسُملت عيناه، فانتحر في محبسه في ييزه. كان دانتي يشاطر الرأي القائل ببراءة دلاً فينيا من الجرائم المنسوبة إليه. ثم إنّه كان معروفاً بفصاحته وميوله «البديعيّة»، ويمنحه دانتي هنا الكلام متبنيّاً أسلوبه.



[←160]

إستعارة توراتية تشير عادةً إلى بابل. وهي تشير هنا إلى الحسد.

[←161]

هذا هو اللقب الملكي لفريديريك الثاني، امبراطور الرومان، لكنّه كان كذلك اللقب الشائع لكلّ زعيم دولة.

[←162]

يمكن قراءة النَّعت الذي استخدمه دانتي nove (ويعني «الجديد» بمعنى حديث العهد، كما يعني ما لم يُر من قبلُ ويبدو عجيبيًا) باعتباره دالًّا على «حادثة عهد» وصول يبيرو دلاً فينيا إلى الجحيم (منذ خمسين سنة فحسب)، أو على «غرابة الموقف» فعلاً.

[←163]

مينوس هو قاضي الجحيم. وقد نُعِنَتْ هذه الرّوح بالقسوة لأنّها وضعت حدًّا لحياتها بالانتحار.

[←164]

هو لانو دي سيينا، كان مثلاً كبيراً، لقي مصرعه في معركة تويو في 1287 التي خسرها أهل سيينا أمام أهل أريتزو. ويروي بوكاشيو أنّ لانو نشد في هذه المعركة الموت نشداناً ليهرب من الفقر.

[←165]

فلورنسيّ مجهول الهوية يبدو أنّ مرور جاكومو آذاه، ويظلّ مسقط رأسه (أنظر الحاشية التالية) أهمّ هنا من هويّته الشخصيّة.

[←166]

هي فلورنسة. كان الإله مارس هو شفيع المدينة لدى تأسيسها على أيدي الرومان. وعندما اعتنق الفلورنسيون المسيحية، أزاحوا تمثاله في المدينة وبنوا في مكانه كنيسة سموها «المعمدانية». ولدى تهديم آتيليا المغولي للمدينة، أُلقي بالتمثال في مياه الأرنو. ثم نُصبت القطعة التي عُثِرَ عليها منه في عهد شارلمان عند رأس الجسر القديم، وكانت ما تزال قائمة هناك في عهد دانتي، قبل أن تجرفها فيضانات 1333.

[←167]

قَادَ مَارْكُوسُ يُورْتَشْيُوسُ كَاتُونًا جَيْشًا كَامِلًا عَبْرَ الصَّحْرَاءِ اللَّيْبِيَّةِ، هَرَبًا مِنْ قَيْصَرِ الذِّي أُثَارَ هُوَ عِدَاوَتَهُ بِالْإِنْحِيَاذِ إِلَى خِصْمِهِ يَوْمِيَّوسَ. ثَمَّ لَحِقَتْ بِهِ قُوَّاتُ قَيْصَرٍ وَهَزَمَتْ رِجَالَهُ فَآثَرَ الْإِنْتِحَارَ عَلَى الْإِسْتِسْلَامِ وَالْقَبُولِ بِسُقُوطِ جُمْهُورِيَّةِ الرُّومَانِ. وَسِنَاعُودٌ مُقَابَلَتُهُ فِي مَطْلَعِ «الْمُظْهَرِ».



[←168]

نّبّه بوسكو إلى أنّ دانتي استقى هذه المعلومة من كتاب ألبرت الكبير «في النيازك» De Meteoris.

[←169]

هو كايانيوس، أحد الملوك الإغريقيين السبعة الذين حاصروا طيبة. ويصوّره ستازيوس في عمله الشعريّ في المدينة المذكورة مجدّدًا بالآلهة، ولذا صعقه جوبيتر وأرداه قتيلاً.

[←170]

هو «الإتنا» الذي كان فولكانو، إله البراكين وواهبها اسمه باللاتينية، أقام فيه مصهرته.

[←171]

هو في الميثولوجيا القديمة حدّاد الإله جوبيتر وابنه (أنظر الحاشية السابقة).

[←172]

في وادي فليغرا في تساليا وقع الصّراع الشّهير بين الآلهة والعماليق الذين حاولوا تسلّق جبل الأولمب (مقرّ الآلهة في الميثولوجيا اليونانيّة) فأهلكهم جوبيتر.

[←173]

هو نهر من الدماء ينزل عبر غابة المنتحرين والوادي اللّهاب، ومن الإفريز الكبير ينغمر في الحلقة الثامنة.

[←174]

منبع كبريتي حار قريب من فيتربو. كان للموامس فيه حق خاص بالحمام العمومي.

[←175]

الأبخرة المتصاعدة من النَّهر الصَّغِير تُقْصِي ألسنة اللّهب فتمكّن فرجيليو من المرور.



[←176]

ريا هي امرأة ساتورن (الإله الذي يحمل الكوكب رُحل اسمَه في اللاتينية). كان الأخير خائفًا من تحقّق النبوءة القائلة بأنّه سيلقى مصرعه على يدي ابنه منها، جوبيتر، فقرر قتل الطفل. ولإنقاذه منه، تخفيه ريا في مغارة في جبل إيدا. وكان أتباعها يَغنون ويعزفون على آلات موسيقية لتغطية على بكاء الصغير.

[←177]

مصدر هذه الصورة للشيخ الكريتي هو الفقرة التوراتية المتعلقة بحلم نبوخذ نصر في «سفر دانيال» (2/1-49). يرى الملك الآشوري في منامه شيخاً كهذا الذي يصفه دانتي، ويعجز الجميع إلا دانيال عن تفسير الحلم للملك. قال له دانيال إنه هو، أي نبوخذ نصر، رأس الذهب، آتاه إله السماء «المُلك والقدرة والسلطان والمجد»، وإن المعادن التالية تدلّ على انحدار متدرّج ستشهده مملكته بعده. أمّا القدمان اللتان إحداهما من حديد والثانية من خزف الفخار فتعنيان أنّ بعض مملكته سيكون «صُلْباً وبعضها الآخر هشاً». وباستعارة دانتي صورة الشيخ الكريتي هذه يريد الإشارة إلى الإنسانية أو الكنيسة أو الامبراطورية الرومانية في فسادها التدريجي المتعظم (أنظر الحواشي التالية).

[←178]

إشارة من دانتي إلى الأصول الشرقيّة للحضارة الإنسانيّة. وكانت شهرة دمياط قد بلغت أوروبا في أثناء الحروب الصليبيّة. وكأنّ الإنسانيّة تلتفت هنا من آليها المتمثّل في الشّرق إلى مآلها أو أنموذجها المثاليّ المتجسّد في روما، المركز الرّوحي للكنيسة والامبراطوريّة.

[←179]

رمز للعصر الذهبي الذي سيتلوه العصر الفضي فالنحاسي فالحديديّ.

[←180]

ترمز قدم الفخّار إلى البابويّة المصابة بالفساد، والقدم الحديديّة إلى الامبراطوريّة الرومانيّة المجرّدة منذ ذلك الحين من كلّ التمتع وسيادة.

[←181]

هذه الدّموع تُصبح أنهار الجحيم الوارد ذكرها أدناه. ولَمّا كان الشَّيخ يقف عند مسافة متساوية بين القارّات الثلاث، فهو يمثّل مركز الزّمن، يدير ظهره إلى الشرق ويتطلّع إلى روما.

[←182]

هي البحيرة المتجمّدة في مركز الجحيم.

[←183]

فليغيتون هو نهر الدماء، سبق ذكره. وليتي هو لدى القدامى نهر التسيان. ولدى دانتي، هو نهر الفردوس الأرضي، يتطهر فيه المرء من ذكري ذنوبه.





[←185]

برونيٲو لاتيني (1230-1294) فلورنسيّ لامع، كان كاتباً عدلياً ومبعوث «الغَيْلف» إلى ملك قشتالة. ولدى عودته وسماعه بهزيمة الغَيْلف في مونتاڤرتي، قبلَ طوعاً بالنفي إلى فرنسا. ولدى عودته إلى فلورنسة، كان من كبار ناشري الثقافة العلمانية. وقد وضع بالفرنسيّة موسوعة سمّاها «الكنز» Le Trésor.

[←186]

تقول الأسطورة إنّ الرّومان سيطروا على فييزولي وأقاموا أمامها فلورنسة، وأنّ أهالي الأخيرة نسّؤوا من بقايا الجند الرّومان وأهل فييزولي، وأنّ فلورنسة تدين بفِتنها الكثيرة لهذا الأصل المزدوج.

[←187]

يقصد أنّ العَيْلِف البيض ومن بعدهم السّود ينوون الإساءة إليه.

[←188]

مَثَل سَائِر. يَقْصِد أَنَّهُ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ يَتِمَّكَنَّ هَوْلَاءُ مِنْ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِ ضَرْباً وَيَعْطَلُوا مَسِيرَتَهُ الْخَلَاقَةَ.

[←189]

أي بياتريشي.

[←190]

مثل كان شائعاً في فلورنسة، يقصد منه أنه سيحتمل كل ما يأتي من إرادة بني الإنسان.

[←191]

پريشان دا تشيزاريا: نحوّي وعالم باللاتينيّة كان مشهوراً في القرن السّادس الميلاديّ.



[←192]

قانوني فلورنسي وأستاذ في جامعة بولونيا إبان النصف الثاني للقرن الثالث عشر.

[←193]

يقصد بقوله «ذلك» الفلورنسيّ أندريا دي موتزي، أسقف فلورنسة في 1287. وقد نقله بونيفاتشو الثامن من فلورنسة الواقعة على نهر الأرنو إلى أسقفية واقعة على نهر باكيلوني. وتعبير «خادم الخدام» (خادم خدام الله) هو من ألقاب بونيفاتشو الثامن، به كان يُمضي على المراسيم والمعاملات.

[←194]

أي أنّ أعصابه كانت دائمة التوتّر بباعث من حاجته إلى إرضاء نزواته.

[←195]

كان فتیان فیرونا یقیمون هذا السباق وینال فیہ الفائز علماً أخضر. وبالسرعة التي ركض فیها برونیتو لاتینی یرینا دانتي حماسته لتكبد العقاب الحالّ علیه.

[←196]

واحدة من شخصيات الحكايات الشعبية الفلورنسية، تجسّد فيها مثال الفضائل البيئية والأخلاق الحميدة.

[←197]

غويدو غويرا: أحد قادة حزب الغيلف الشجعان، ومن هنا لقبه «غويرا» ويعني: الحرب. هو، إذا جاز القول، «غويدو حرب».

[←198]

كان واحداً من آل آديماري؛ توفي في 1266. كان قد حاول ثني مواطنيه أهل فلورنسة عن الذهاب لمقاتلة أهالي سينا، ولكنهم لم يسمعه وانتهى الاشتباك بهزيمة الغيلف النهائية في مونتايرتي. يرى الشراح أنّ صفة السدومية لم تعرف عنه ولا أحد يعلم لم يضعه دانتي في حلقة المعدّين من جزائها.

[←199]

مواطن فلورنسيّ موسر وشديد الحيويّة عاش في النّصف الأوّل من القرن الثالث عشر. كان واحداً من فرسان حزب الغيّف، وقد هدم الغيلين منزله بعد واقعه مونتاپرتي.



[←200]

كان من رجال البلاط، عُرف بكياسته وبراعته في المصالحة وتزويج الناس. توفي نحو 1300.

[←201]

صار المكان يُدعى مانتوا، وهناك ولد فرجيليو.

[←202]

لم يسبق أن تحدّث دانتى عن هذا الحبل. ولقد تساءل بعض الشّراح عمّا إذا كان دانتى يريد الإشارة من خلاله إلى الحبل الذي به يتمنطق، لدواعٍ زهديّة، أتباع جمعيّة القديس فرانتشيسكو (فرانسوا) التي كان الشّاعر يفكّر بالانخراط فيها في صباه. ولعلّ هذا الحبل يرمز إلى الفضيلة أو العقّة، به يحدّد من جماح الوحش جيروني، الذي يرمز من ناحيته إلى الجشع والانقياد إلى الشهوة.

[←203]

هو جِروني الذي كان في الأساطير الوثنيّة عملاقاً بثلاثة أجسام وثلاثة رؤوس، ملكاً لجزيرة غربيّة (ربّما كانت البلياريس). كان يُطعم ماشيته من اللحم البشريّ (لحم ضيوفه الذين يقتلهم هو غيلة)، ولقي بدوره مصرعه على يد هرقل. أمّا دانتى، فبإضافته إليه عناصر قياميّة وتصويريّة قروسطيّة، يجعل منه أمثلة (بالمعنى البلاغيّ للكلمة) للتدليس الذي يُعاقب مرتكبوه في الحلقة الثامنة التي يحرسها جِروني.

[←204]

خطايا التدليس والغشّ هي في عُرفه أكثر تدميراً من خطايا العنف. وهذا كلّه يعكسه دانتي بتصوير جموح الوحش ونزعتة التّدميريّة.

[←205]

كان التتار والتُّرك النّسّاجين الأكثر براعة في أيام دانتي.

[←206]

آراكنا هي في الميثولوجيا اليونانية النَّسَاجَة اللَّيْدِيَّة التي تحدت ميترًا في النسج فمسختها هذه إلى عنكبوت. واسم العنكبوت نفسه في اللغات الأوربية آتٍ منها (بالفرنسية: araignée، وبالإيطالية: arachna).

[←207]

هم المُرابون الذين يرتكبون في نظر دانتي العنف على الفنّ. يمثّلون الفئة الثالثة والأخيرة من ممارسي العنف بإزاء الرب.



[←208]

شعار آل جيانفيلياتزي، من «الغَيْف» الفلورنسيين.

شعار آل أوبرياكي، من «الغِبْلين» الفلورنسيين.

[←210]

شعار آل اسكروڤيني، من پادو.

[←211]

رَبِّمَا كَانَ الْمَعْنَى هُوَ فِيتَالِيَانُو دَلْ دِيْنِي، وَكَانَ عَمْدَةُ پَادُو فِي 130V.

[←212]

هو جوفاني دي بويامنتي، أنْتُخب «حاملاً للواء العدالة» (أي رئيساً للحكومة) في 12٩3. كان شعاره يتمثل في ثلاث عنزات على خلفيّة ذهبية.

[←213]

هو ابن أڤولون، يصوره أوفيدوس وقد قاد ذات يومِ عربة أبيه، عربة الشمس، وأوشك على إشعال السماء والعالم، فصعقه جوبيتر.

[←214]

هو ابن ديدالوس. قصّته معروفة: طار ذات يوم بجناحين صنعهما له أبوه، فذاب شمعهما بسبب من حرارة الشمس وسقط في البحر.

[←215]

قطعة خشب مكسوة بالزّيش بها يستحثّ البيزار (الصيّاد) البازي على النزول أو يغويه للهبوط ومن هنا جاء اسمها.



[←216]

ماليبولجي: هي الحلقة الثامنة من الجحيم، مكوّنة من منطقة دائريّة شاسعة منحدرّة صوب مركزها المتشكّل بدوره من بئر عميقة. والمنطقة هذه مقسّمة إلى عشرة خنادق متمركزة-أي بعضها في داخل بعض-، ومن هنا تسمية الواحد منها بـ «البولجي» bolge (مفردة تعني حرفياً: جيب أوصرة أو كيس). ومن الطرف الأقصى للشاطئ تبرز صخور تشكّل ما يشبه جسوراً تعلو هذه «البولجيات» وتنتج بحيث تتلاقى عند البئر المركزيّة. ولعلّ أقرب المقابلات لـ «الماليبولجي»، التي اجترحتها دانتي بإدغام male وتعني السيء والتّديء والشّرير و bolge وقد تقدّم شرحها، هي: «الدار السيئة» أو «منزل الأذى» أو «دار العذاب».

[←217]

هو جسر السّانت-آنجلو. وبمناسبة يوبيل العام 1300، الذي أقامه بونيفاتشو الثّامن، ذهب دانتي إلى روما مبعوثاً من لدن الغيلف البيض.

[←218]

يُدعى جبل جوردانو، وهو كثيب صغير يقع قبالة قصر السانت-أنجلو، حيث كان يُقيم آل أورسيني.

[←219]

حتى هذا الموضع، كانت رغبة المعدّيين في الجحيم تكمن في تذكير الأحياء بأسمائهم. لكن في قاع الجحيم تنقلب «الآية» إذ يحاول الخطاة عموماً التخيّي على هويّاتهم.

[←220]

ڤينيديكو كاتشانيميكو (1228-1302): شخصيّة قويّة من حزب الغيلف في بولونيا. شغل وظائف سياسيّة عديدة في مدن إيطاليّة مختلفة. وهو من أوقع شقيقته في طريق الغواية، وعلى هذا يلقي عذابه في هذا الموضوع.

[←221]

في هذه «المزقة اللاذعة» مجاز عن العذابات وربما كذلك تلميح إلى حارة سيئة السمعة في إحدى ضواحي بولونيا، كان اسمها بالذات Salse («المركة»).

[←222]

غيزولابيلًا: شقيقة فينيديكو المذكور أعلاه، حرّضها هو على الاستجابة إلى رغبة أوبيتزو الإيستّي، مركز فيرّار، وكانت متزوّجة.

[←223]

استخدم دانتى مفردة sipa، وهي في لهجة بولونيا آتية من si («نعم») فميّز البولونيين على أنّهم «الناطقون بسيپا» كما يتميّز العرب بكونهم «التّاطقين بالصّاد».



[←224]

لا تمثل هذه الانعطافة إلى اليمين خرقاً لقاعدة السير في «الجحيم» (إلى اليسار دوماً)، فكما نبّه إليه بوسكو، فبعدها كان الشاعران قد انعطفا إلى اليسار كان عليهما اجتياز الجسور، وكانت هذه واقعة إلى يمينهما.

[←225]

جاسون هو بطل أسطوريّ إغريقيّ من تساليا. قاد حملة لاسترداد الجوّة الذهبية من ملك الكولكيين أيتس، فظفر بها بتواطؤ من ميديا، ابنة الملك المذكور، بعدما وعدها بالزّواج منها ثمّ حنث بوعدده. وستنتقم الأخيرة منه بقتل أطفاله.

[←226]

قبل أن يغزّر جاسون بميديا، كان قد خدع هيپسپيل بأنّ أغواها ثمّ تركها وقد حبلتُ منه بتوأمين.

[←227]

يقصد الخندق الثاني حيث يُعذَّب المنافقون وأهل الزُّلفي.

[←228]

أليسيو دلي أنترمينلي: من العَيْفُ البيض، فارس من أسرة نبلاء لوكا، عُرف بإغراء النساء.

[←229]

تاييس: شخصيّة روائية تمثّل غانية عالجهما الشعاع الروماني تيرنتوس (القرن الثاني ق.م.) في إحدى ملهواته.  
والأرجح أنّ دانتي يستشهد بها عبر تشيشيرون.

[←230]

سمعان السّاحر: شخصيّة توراتيّة («أعمال الرّسل»، 8، 9-20). كان يمارس طرائق السّحر وطلب إلى بطرس  
ويولس أن يمّداه، مقابل مبلغ من المال، بالقدرة على بثّ الرّوح القدس في كلّ مَنْ يتمّ تعميدهم، فدفعه  
الاثنان ولعنه بطرس.

[←231]

قبر tomba: استخدم دانتى هذه المفردة للدلالة على خندق، عملاً بقانون الاستعارة القائم على حذف أداة التشبيه وأحد طرفي التشبيه: لا يقول إنَّ هذه الخنادق تشبه القبور، بل يدعوها قبوراً.



[←232]

هنا فصل من سيرة دانتي سرده بينيفيتو ديمولا. ففي معمدان سان جوفاني، أهم كنيسة في فلورنسة قبل بناء كاتدرائيتها، كان مكان مخصصاً لوقوف القساوسة المشرفين على تعميد الصغار. وحدث أن علقت ساق طفلٍ في إحدى فتحات المعمدان الحجريّ، فكسرها دانتي ليخلصه.

[←233]

هنا كناية ومجاز تكثيفي. فلَمَّا كانت ساقا الرَّجل خارجَتين وحدهما من الفجوة، فعليهما وحده كان يتصَّح أثر  
بكائه، بتحريكه إِيَّاهما بلوعة.

[←234]

هو نيقولا الثالث، عيّن بابا من 1227 إلى 1280، وعُرفَ ببيعه الدين بالمال. وفي البيت التالي: «مجرم غادرٍ مزروع في حفرة» إشارة إلى عقوبة المجرمين في القرون الوسطى، يُدفن الواحد منهم في حفرة، رأسه الأول، حتى يموت اختناقاً.

[←235]

يقصد بونيفاتشو الثامن، سبق ذكره، وقد انتخب بابا في 1294. كان دانتى شديد الغضب عليه لجشعه وفساده. والمعذب هنا يتوهم أن دانتى هو بونيفاتشو، وسيلمّح لاحقاً إلى أن الأخير سيأتي ذات يوم ليأخذ مكانه هناك، أي في الجحيم.

[←236]

هذه السيّدة المغرّز بها مجاز عن الكنيسة. أمّا الإساءة فتتمّ بممارسة السّمعانيّة وهي الاتّجار بالعلامات الرّوحانيّة والدينيّة (صكوك الغفران، بيع رفات القديسين المزعومة، إلخ.).

[←237]

يقصد التَّوْبُ البَابِيُّ.

[←238]

يدعو نيقولا الثالث نفسه بابن الدبّة لأنّه كان من آل أورسيني Orsini (لعب على الاسم فهو يعني «الدبّ»). وفي كلامه في البيت التّالي عن أبنائه الدّببة إشارة إلى حرصه على تأمين تقدّمهم بجميع الوسائل والسّبل.

[←239]

يقصد البابوات الذين سبقوه والذين تاجروا هم أيضاً بالأشياء المقدّسة.



[←240]

يقصد البابا كليمن (كليمنتو) الخامس، الذي كان أسقف بوردو (فرنسا) وسيحلّ محلّ بونيفاتشو الثامن على عرش البابوية في الخامس من حزيران 1305، وسيُنقل مقرّ البابوية إلى أفينيون في فرنسا، مدسّناً فترة تُدعى بفترة أسر البابوية أو احتباسها في فرنسا، وهذا البلد هو المعنيّ بمفردة «الغرب».

[←241]

جاسون بن سمعان الثاني. بحسب «الكتاب المقدس» («المكابيون»، 4، 7-26)، حصل، مقابل وعد برشوة، على دعم الملك أنطيوخس ملك سوريا ليُعيّن راهباً كبيراً للعبانيين، وعاش بمنتهى الفساد. وعلى التحو ذاته، يُروى أنّ برنار دو غوت (كليمون الخامس) قد ترّبّع على عرش البابوية بتدخّل من الملك فيليب الجميل الذي كان هو وعده بامتيازات واسعة.

[←242]

أُنْتِخِبَ مَتَّى رَسُولاً لِيَحِلَّ مَحَلَّ يَهُوذَا بَعْدَ خِيَانَةِ الْأَخِيرِ (وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِتَعْبِيرِ «النَّفْسُ الْمُثْقَلَةُ بِالْخَطَايَا» فِي الْمَقْطَعِ نَفْسَهُ).

[←243]

كان نيقولا الثالث دائم المحاربة لتأثير شارل الأنجيّ ملك صقلية، ولا شكّ أنّه كان يفعل ذلك لدوافع ماليّة.

[←244]

لمح يوحنا في رؤياه إلى روما الوثنية (الكثبان السبعة والملوك العشرة). ويرى داني هو أيضاً إلى روما البابوية وقد أفسدتها السمعية، فتكون الرؤوس السبعة رامزة إلى الأسرار الكنسية السبعة، والقرون العشرة إلى الوصايا العشر. ويكون البابا هو زوج هذه المرأة الفاسدة.

[←245]

«هيا» أداة نداء وزجر. كان يسود في فترة دانتي الاعتقاد بأن سلطة البابا الزمنية نجمت عن تنازل الامبراطور قسطنطين الأول (306-327م.) للبابا سيلفسترو الأول (314-336) عن روما ونقله من أجل ذلك مركز الامبراطورية إلى بيزنطة. وكان يجب انتظار القرن الخامس عشر ليتم إثبات زيف الوثيقة التي تضمنت ذلك التنازل أو تلك البيعة.

[←246]

يقصد بالنشيد الأول «الجحيم».

[←247]

هو في الميثولوجيا الإغريقيّة أحد الملوك السبعة الذين زحفوا على طيبة لإرجاع بولينيسي إلى العرش. عَرف بفضل مواهبه في العرافة أنّه سيلقى مصرعه في تلك الحملة وحاول عبثاً الاختباء، إذ فغَرَ جوبيتر الأرض على مرأى من أهل طيبة وجعلها تبتلعه.



[←248]

أحد عرّافي الإغريق الأسطوريّين قبل حرب طروادة. كان قد ضرب بعصاه السحرية أفعوانين متجامعين، فتحوّل إلى امرأة وبقي كذلك طيلة سبع سنوات (أوفيدوس).

[←249]

أرنوس: عزّاف أتروسكيّ تنبأ بقيام الحرب الأهليّة وانتصار قيصر على پومپيوس.

[←250]

جبال لوني: تقع في لونيديانا قرب كازارا. أمضى فيها داني فترة هائلة في 1306.

[←251]

هي مانتو، ابنة تيريسياس. تقول الأسطورة إنَّها كانت عرّافة، وبعد موت أبيها غادرت طيبة، ثمَّ بعد تطواف طويل استقرَّتْ في المدينة الإيطاليَّة التي ستحمل اسمها (مانتوا)، والتي ولد فيها فرجيليو.

[←252]

الاسم القديم لبحيرة غاردا في شمال إيطاليا.

[←253]

العمدة ألبرتو دي كازالودي، أحد زعماء «الغَيْلْف» في مانتو. طرده بينامونتي دي بوناكولزي من مدينته بالحيلة في 1272 (نصحته في البدء بنفي جميع الأمراء البارزين من مانتو حتى لا يكونوا مصدر قلق ومبعث خطر عليه. ثم لما فعل كازالودي ذلك تقوى بينامونتي عليه وطرده، بعدما قتل الأسر البارزة القليلة الباقية).  
والمقصود بجنون كازالودي استماعه إلى نصيحة خصمه تلك.

[←254]

عزّاف إغريقيّ سبق كالكاس في الإشارة إلى مواطنيه باللحظة المؤاتية للإقلاع لخوض حرب طروادة.

[←255]

يقصد بالطبع عمله «الإنياذة». وهو يدعو «تراجيديا» (مأساة) لأنّه كتبه بأسلوب رفيع. على حين يدعو دانتي عمله بالكوميديا (ملهاة) لأنّه وضعها بأسلوب مزيج يتبنّى فيه العاميّة ويرفعها إلى مصاف لغة شعريّة.



[←256]

ميكيل سكوت: من سكوتلنڊة، كان طبيب فريديريك الثاني ومنجمه. ترجم أرسطو وشرحه. بقي شهيراً في بلده كساحر.

[←257]

غويدو بوناتى: من فورلي. عاش في القرن الثالث عشر. كان المنجم الأثير لى غويدو دي مونتفلترو. وأسدنّي:  
إسكافيّ من پارما عاش في التّصف الثاني من القرن الثالث عشر، هجر عمله هذا ليمارس العرافة.

[←258]

«قَابِيلُ الْمُحْمَلِ بِالْأَشْوَاكِ» تَعْبِيرٌ شَعْبِيٌّ يَشِيرُ إِلَى الْقَمَرِ الَّذِي كَانَ الْإِعْتِقَادُ سَائِداً فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى فِي أَنَّ بَقْعَهُ تَمَثَّلَ قَابِيلٌ حَامِلاً حَزْمَةً مِنَ الْأَشْوَاكِ.

[←259]

في الجغرافية البطليموسية التي يتبعها دانتي (والتي يرجع إليها دائماً في هذا العمل، فلا داعي للتذكير بها كلّ مرّة)، يقع القمر في خطّ سمت إشبيلية التي تمثّل النقطة الأكثر غربيّة في العالم؛ وهو يغرب عند أورشليم، الواقعة في أعلى نصف الكرة الشماليّ.

«المخلب الشّيرير»: بالإيطالية «ماليرانكي» Malebranche، وليس هذا اسماً بل لقباً به ينادي كبير الشّياطين هذا مساعديه في الجحيم. وسيقابل القارئ في مجرى هذه الأنشودة ألقاباً أخرى. ونظراً لأهميّة دلالة هذه الألقاب في «المنّاخ» العامّ للأنشودة، ولإسهامها في إشاعة الرّعب الشّامل، وكذلك من أجل عدم إثقال الأنشودة بألفاظ أجنبيّة تتلاحق على امتداد أبيات معدودة وقد تمرّ من دون تحقيق أيّ وقع دلاليّ في أذن القارئ، فقد ارتأيت تقديمها في مقابل عربيّ، مع ذكر اللقب بلغته الأصليّة في الحاشية. علماً بأنّ هذا هو الإجراء السائد بإزاء الأسماء المتبوعة بألقاب تاريخيّة أو أدبيّة أو أسطوريّة. فنقول في العربيّة «ألكسندر الكبير» لا «ألكسندر ماغنو» كما في اللاتينيّة، و«فيليب الجميل» لا «فيليب لوبيل» كما في الفرنسيّة أو «فيليبه هرموسو» كما في الإسبانيّة، إلخ.

[←261]

زيتا دا مونساغراتي: خادمة عاشت في القرن الثالث عشر وصارت قديسة مدينة لوكا.

[←262]

دانتي يشخر. فقد عرف بونتورو داتي، زعيم حزب الشَّعب في لوكا في بدايات القرن الثالث عشر، بكونه من كبار المرتشين.

[←263]

إشارة إلى منحوتة خشبيّة صغيرة للمصلوب كان الاعتقاد الشعبي في مدينة لوكا يقول إنّها منحوتة بيد الله نفسه، وكانت تُعزى لها معجزات عديدة ويُستجار بها عند المحن. يقصد المتكلم أن لا مكان في الجحيم للضراعة.



[←264]

جدول صغير قرب لوكا اعتادت الناس على السباحة فيه صيفاً.

[←265]

بالإيطالية «مالاكودا» Malcoda.

[←266]

قلعة في بيزة هاجمها الغيلف الفلورنسيون، وقد شارك دانتي في هذه الحملة التي انتهت بإبرام اتفاق بين الغيلف والغيلين.

[←267]

«الأشعث»، بالإيطالية: «سكارميليوني» Scarmiglioni.

[←268]

يحاول مالاكودا أن يضيفي على كلامه قدرأ من الدقة بأن يجعل تحطم الجسر متوافقاً مع الزلزال الذي يسود الاعتقاد بأنه حدث لدى موت السيد المسيح.

هنا تبدأ سلسلة ألقاب باقي أتباع شيطان الجحيم:

- «الجنح الخفيض» هو «أليكينو» Alichino؛
- «الملاح الأهوج» (حرفياً «السائر فوق الثلوج») هو «كالكابرينا» Calcabrina
- «الكلب الشرس» هو «كانياتزو» Cagnazzo.
- «ذو اللحية الشائكة» هو «بارياريتشا» Barbariccia (وهو الوحيد الذي أضفتُ له «ذو» حتى نبقى في حدود تذكير الشياطين لدى مناداتهم، فدانتى يدعوه بـ «اللحية الشائكة» من دون وساطة أحد الأسماء الخمسة)؛
- «الليباوي» هو «ليبيكوكو» Libicocco (صفة تحقيرية من «ليبي» -مما يدلّ على أنّ تناز أهل إيطاليا مع جيرانهم الليبيين كان قديماً- حاولتُ التعبير عنها باجتراح هذه الصفة).
- «التنين الخبيث» هو «دراغينياتزو» Draghignazzo.
- «الخنزير الكبير النّابن» هو «تشيرياتو» Ciriatto.
- «برثن الكلب» هو «غرافيكاني» Grafficani.
- «القطرب» (أو العفريت) هو «فارفاريلو» Farfarello.
- وأخيراً «الأصهب» (أي أحمر الوجه) هو «روبيكانتي» Rubicant

[←270]

حدث هذا في أثناء معركة كامبالدينو، التي شهدها دانتي كمحارب خيالة. وكان أهل أريتزو (في توسكانيا) قد ناهضوا «الغَيْلَف» الفلورنسيين.

[←271]

صبيغة بأسلوب المثلّ يقصد منها أنّ كل مقام أو محلّ يفرض على المرء رفقة معينة قد لا يكون هو راغباً فيها.



[←272]

كان اسم هذا المعدب هو كامپولو. عاش قرب تبيو الثاني، ملك نافارا (إسبانيا)، عمدة شامپانيا (فرنسا) وابن عم سان-لويس، والذي سيتوفى بالطاعون في أثناء الحملة الصليبية على تونس.

[←273]

راهب من غألورا (ساردينيا)، كان الرّاهب المعاون لنينو فيسكونتي في پيزة.

[←274]

كان ضابطاً لدى الملك إنتزو، ابن فريديريك الثاني، في لوغودورو. بعد وفاة الملك، تزوّج من أرملة وخلفه على العرش.

[←275]

واحدة من الحكايات المنسوبة لإيزوب (يوناني، القرن السادس ق.م.)، كانت تُعلّم في مدارس القرون الوسطى، تحكي عن ضفدعة تحاول خداع فأرة لإغراقها. تتخبّط الفأرة من أجل الإفلات، فتأتي حداة وتختطف الاثنين.

[←276]

استخدم دانتي المفردتين mo و issa ، من اللهجة الفلورنسيّة القديمة، وكلتاها تعنيان «نعم» مع فوارق في الاستعمال.

[←277]

دير للرهبان البندكتيين في بورغندا (فرنسا).

[←278]

كان فريديريك الثاني يعاقب من يرتكبون الخيانة العظمى بالباسهم بُرداً أو غفاراتٍ من الرصاص ثقيلة وتغطيسهم في مرجلٍ حامٍ بملايسهم هذه.

[←279]

هي جمعيتة «رهبان مريم»، تأسست في بولونيا في 1261، بهدف تهدئة النزاعات العائلية وإحلال روح الوئام الاجتماعي وحماية الضعفاء، ومن هنا تسمية أعضائها بـ «الرهبان السعداء»، تسمية صارت تتمتع في فم الشعب بنغمة ساخرة بعدما تدهور نشاطها.



[←280]

كاتالانو دي كاتالاني: من أسرة مالاقوئي من العَيْلَف في بولونيا، شغل منصب عمدة في مدن عديدة ثم في مدينته نفسها. أمّا لوديرينغو دلي أندالو، فمن الغَيْلِين، عُيِّن عمدة لفلورنسة في الأوان ذاته مع كاتالانو الآنف الذِّكر، بهدف تهدئة الصِّراعات الأهليّة. وكان عليهما أن يهربا، إذ اتُّهما بالدِّفاع عن البابا كليمنتو الرابع. وطُرِدَ الغَيْلِين على إثر ذلك من فلورنسة وأُحرقت بيوت قاداتهم.

[←281]

المقصود هو قيافا، رئيس الكهنة العبرانيين الذي أقنعهم بضرورة التّضحية بالمسيح بدعوى حماية الحقّ العامّ («الإنجيل كما رواه يوحنا»، 11، 50). وهو هنا معاقب بأن يدوس عليه المارّة في هذه الدّائرة حتّى يحسّ بثقلهم على جسمه.

[←282]

هو «حنان»، الذي نطق بالحكم على السيّد المسيح (سفر يوحنا، 18، 13).

[←283]

يندهش فرجيليو لأنه لم يرَ لدى مروره الأول في الجحيم هذا المصلوب، فما كان قد توفي بعد.



[←285]

شقيق الصقيع هو بالطبع الثلج: الأول ينشأ من تجمد الماء على الأرض وفوق المسائل المائية والثاني ينزل  
نثيئاً من السماء.

[←286]

يفكر فرجيليو هنا بتسلق جبل المطهر.

[←287]

هنا قائمة بأسماء أفاعٍ أغلبها أسطوريّة يستوحىها داني من «فارساليا» ملحمة لوكانوس.



[←288]

كان من ضمن اعتقادات القرون الوسطى أنّ زهرة عبّاد الشّمس تشفي مَنْ يحملها من الأمراض وتحيله غير مرئيّ، فهي تقوم مقام تعويذة.

[←289]

كان فائِي فوتشي ابناً غير شرعيّ (ومن هنا دعوته نفسه بـ «البغل»، الحيوان الرامز إلى النّغولة) لأحد نبلاء  
پتستويا اسمه فوتشييو ده لاتسيبي. ساهمَ نحو 1293 في سرقة محتويات كنيسة القديس يعقوب في پتستويا  
ولاذ بأذيال الفرار، فألقي القبض في إثر ذلك على متّهمين عديدين وعوقبوا حتّى اعترف أحد الضالعين  
بالمجرمين الفعلين. كان فوتشي من الغيلف السّود، وهو يتنبأ هنا لدانتي بانهزام البيض.

[←290]

تصف النبوءة هنا تسلسل الوقائع التي قادت دانتي إلى المنفى. فكما ذكرنا في المدخل، فإنما يسوق دانتي هنا وفي مواقع أخرى من عمله في صيغة نبوءات ما حدث بالفعل وعانى هو نفسه منه في السنوات القليلة السابقة لوضع «الكوميديا الإلهية» (يموقع زيارته الخيالية للعالم الآخر في 1300، وهو الذي بدأ بكتابة العمل في 1303 وأمضى في كتابته عشرين عاماً). ففي 1301 طرد الغيلف البيض الغيلف السود من پُستويا، ولكن في يوم عيد «جميع القديسين» دخل كورسو دوناتي، زعيم السود، فلورنسة ظافراً، وستعمل حكومته على تغيير القوانين وموظفي المراكز الحساسة وعلى نفي البيض. وفي 1302، وبقيادة المركز مالاسپينا، استولى السود في پُستويا على قلعة سيرافال وانتزعوها من البيض، وهذه هي المعركة التي قادت إلى الانهيار النهائي لهذا الحزب.

[←291]

علامة بذيئة تُرسم بثني أصابع اليد وإخراج الإبهام بين السبابة والإصبع الوسطى.

[←292]

يقصد كاپانيو الذي كرس له داني الأبيات من 46 إلى 72 من الأنشودة الرابعة عشرة من هذا النشيد.

[←293]

ماريما منطقة في توسكانيا حافلة بالغابات والزواحف.

[←294]

كأكوس في الأساطير اليونانية تئن ولصّ، هرب الثيران التي كان هرقل قد جاء بها من إسبانيا ووضعها في مكان آمن تحت جبل الأفتينو. كان كأكوس يجرها من ذيلها ويجبرها على السير إلى الوراء حتى يشوش آثارها. ولكن هرقل عثر عليها وقتل كأكوس.

[←295]

يقصد أنّه مات بعد تلقّيه الصّريّات العشر الأولى.



[←296]

هي أشباح ثلاثة لصوص فلورنسيين، سيرد ذكرهم في الأبيات التالية.

[←297]

تشانفا من أسرة آل دوناتي التي كانت تتزعم الغيظ السود، كان معروفاً بالّصوحيّة واعتاد قسر الخزائن الحديدية.

[←298]

أنيلو دو برونلسكي: من عائلة فلورنسيّة مرموقة، لصّ معروف في زمنه، كان يمارس السرقة كمثّل رياضة. وهو «يمتج» هنا بشبح ذي ستّة أقدام هو رفيقه الأنف الذكر كايُنفا دوناتي.

[←299]

يُمسخ هنا اللّسان الآخران، ف. «يتمتج» بوزو (ربّما كان بوزو دوناتي) بأفعى أخرى هي في الواقع اللصّ الآخر فرانتشيسكو دي كافالكانتي. وكلاهما كانا من نبلاء فلورنسة ولصوصها الكبار.

[←300]

يقصد بالطبع السّرة.

[←301]

يروى لوكانوس في «فارساليا» النّهاية العجائبيّة لاثنين من جند كاتون، هما سابيلوس وناسيديوس، تعصّهما أفعيان في الصحراء السّورية. وفي هذا المقطع والذي يليه يصرّح دانتي، في نوع من التّحميس الذاتي، بأنّه يبرّ لوكانوس وأوفيديوس، وكلاهما من أساطين الكلاسيكيّة اللاتينيّة في فنّ مسخ الكائنات ووصف تحوّلاتها.

[←302]

لدى أوفيدديوس، يتحوّل قدموس، مؤسس طيبة، إلى أفعى. في حين تتحوّل الحوريّة أريتوزا، تابعة إلهة الصّيد ديانا، إلى ينبوع هرباً من ملاحقة ألفيوس.

[←303]

يوتشو تشانكاتو، من غِبْلين فلورنسة، كان دمث الأخلاق ومصابًا بالعرج.



[←304]

هي قلعة في وادي الأرنو، قتل سكانها فرانشيسكو كافالكانتي (الذي يدعو دانتى هنا بـ«الأخر»)، ولحقت ذلك أفعال انتقام دامية، ومن هنا بكاء غافيلي.

[←305]

كانت يراتو مدينة صغيرة تابعة إداريًا لفلورنسة وطالما تدمّر أهلها من طبيعة الحكم المفروضة عليهم.

[←306]

يصف المساء. مشعل الكون هو الشَّمس، وفي المساء يختفي الذَّبَاب ويخرج البعوض.

[←307]

يروى سفر «الملوك» («العهد القديم»، 4، 2) كيف سخر حشد من الصبيان من النبيّ إيليا، فلعنهم الأخير  
وإذا بدّين يخرجان من الغاب ويأكلان اثنين وأربعين منهم.

[←308]

إتيوكليس وبيولينيسيس هما ابنا أوديب ملك طيبة، تنازعا على خلافته في العرش وقتل أحدهما الآخر، فأحرقا على كومة واحدة من الحطب ولكنّ النَّار تشعَّبَتْ في لسانين متضادين بهما تسمَّح الإسطورة إلى استمرار عداوتهما.

[←309]

عوليس: اسمه باليونانية أوديسيوس، ومن هنا عنوان ملحمة هوميروس المكرسة له: «الأوديسة وقد أخذنا هنا باسمه الشائع في العربية بتأثير من اللاتينية حتى لا يفكر القارئ بشخصية أخرى). كان هو ملك إيتاكا وقد تحالف مع ديوميدي ملك أرغوس وقاما في حرب طروادة بأعمال عنف وخداع كثيرة.

[←310]

كان عوليس وديوميديهما من حثا أخيل على المشاركة في حرب طروادة، وسيكون أحد أهم أبطالها.

[←311]

طرح النقّاد والشّراح تأويلات عديدة لوساطة فرجيليو هذه بين دانتي وعوليس وخشيتته من أن يتعرّض الإيطاليّ دانتي لازدراء الإغريقيّين عوليس وديوميد. ومن أهمّها تأويلان اثنان: أنّ الإغريق كانوا يعدّون الأيطاليّة لغة بربريّة، كما يرون في الطليان سليلي إنياس والطرواديين الذين شنّوا هم عليهم الحرب المعروفة. ومن ناحية أخرى، فرجيليو هو الوسيط الطبيعيّ بين هوميروس («خالق» عوليس) ودانتي.



[←312]

سيرسي هي السّاحرة التي آوت عوليس ورجاله الباقين طيلة عامٍ بعد انتهاء حرب طروادة. وانطلاقًا من هذا البيت يمنح دانتي لعوليس نهاية غير تلك المعروفة عند هوميروس، ويصف استئنافه السّفر بصورة متحدّية كما سنرى. وهو يستوحى هذا كلّه من عبارة لأحد رفاق عوليس (مكاريوس) ترد في «التحوّلات» لأوفيدْيوس، مفادها أنّ عوليس دعاهم لاستئناف السّفر، وكانوا قد صاروا شيوخًا بطاءً. وقد بقي الرّفيق المعنيّ في ضيافة سيرسي (أنظر في المدخل النقديّ عرضًا لمختلف القراءات التي أثارتها هذه الرّحلة الجديدة لعوليس).

[←313]

أطلق إنياس (بطل «الإنياذة») اسم مرضعته غاييتا على هذه المدينة في جنوب إيطاليا، التي بقيت تحمل اسمها.

[←314]

تروي الأساطير أنّ هرقل قد أقام عند مضيق جبل طارق عمودين يشير بهما إلى تخوم المغامرة الإنسانية التي ينبغي ألاّ يتجاوزها أحد.

[←315]

هو جبل الفردوس الأرضي الذي حددّ المسيح عنده موقع المطهر. وخلافًا لداني، لم يتمكن عوليس من إدراكه لأنّه كان وثنيًا ولأنه جاء متدرّجًا بالعقل وحده.

[←316]

يقصد الله.

[←317]

ورد في الميثولوجيا القديمة أنّ فالاريس قد صنع لييريلوس، طاغية صقلية، ثورًا من المعدن ليُحرق فيه أعداءه وهم أحياء حتّى يخرج صراخهم المتألم منه كأنّه خوار الثور. وكما فعل التّعمان بن المنذر بسنّمار المهندس، فقد جعل ييريلوس من فالاريس أول ضحيّة تطلق «خوارها» من داخل الثور المعدنيّ فيما تحترق في جوفه. والجملة المعترضة: «وكان هذا من العدل» تعني أنّ من العدل أن يُحرق مصمّم الثور المعدنيّ فيه قبل سواه، فهنا تتجلّى قناعة دانتي، بكلّ ما فيها من قسوة ضروريّة، في أنّ من العدل أن ترتدّ نتائج الاختراعات السّوداء على صانعيها أنفسهم.

[←318]

رومانيا هي هذا الجانب من إيطاليا الذي يتاخم منطقة توسكانيا ويطلّ على الأدریاتيك، وهو مهد الحضارة الرومانية.

[←319]

لاتيني، أي إيطالي.



[←320]

حکم آل یولنتا رافینا انطلافاً من 1270. کان شعارهم نسرًا، وكان نفوذهم یمتدّ حتّى تشيرفیا الواقعة علی الأدریاتیک.

[←321]

يقصد بهذه الأرض فورلي، الواقعة جنوبيّ غرب رافنا، وقد هزم عندها غويدو دا مونتفلترو جيشًا من الفرنسيين أرسله البابا مارتان الزابع للاستيلاء عليها في 1282. وكان أصحاب فورلي هم آل أورديلاني، شعارهم أسد أخضر.

[←322]

ڦيروكيو هي قلعة آل مالائستنا.

[←323]

الدّرواس كلب حراسة ضخّم، ويقصد بالدّرواسين العجوز والجديد مالاّستا وابنه مالاّستينو.

[←324]

زَعِيمِ الْغُبَلَيْنِ فِي رِيْمِي، قُتِلَ بِأَمْرٍ مِنْ مَالِئِئِسْتَا.

[←325]

أي ينهشان لحم الناس في ريميبي

[←326]

هو مارغيناردو ياغاني دا سوزينانا، كان شعاره يصبور أسدًا على خلفيّة فضيّة.

[←327]

هي مدينة تشيزينا في شمالي إيطاليا، وتقع على النهر المذكور.



[←328]

الزّاهب «الكرديلي» cordigliero (أي «حامل الحبال»، ويلاحظ القارىء في المفردة حضور مفردة «حبل» corda): هكذا كان يتسمّى أعضاء جمعيّة القديس فرانتشيسكو، إذ كانوا يتمنطقون بالحبال عن زهد وتقشّف. والمتكلم هنا هو غويدو دا موتفلترو، زعيم الغبّلين المشهور الذي أحرز انتصارات عديدة على الغيلف ثم طرده الحزب فتصالح مع الكنيسة وانخرط في الجمعيّة الدينيّة المذكورة في 1296.

[←329]

يقصد البابا بونيفاتشو الثامن.

[←330]

تقع شرقيّ روما، أي في قلب العالم البابويّ. والإشارة هنا إلى صراعه ضدّ آل كولونا (أنظر الحواشي التّالية).

[←331]

إشارة إلى الحبال التي بها يتزّنر أعضاء جمعيّة القديس فرانتشيسكو، سبق ذكرها.

[←332]

كان الامبراطور قسطنطين قد استقدم بالفعل البابا سلفسترو الأول (314-335) ليشفيه من البرص. ومن هنا نشأت أسطورة تنازله للبابا المذكور عن مركز الامبراطورية الرومانية (روما)، والانتقال إلى بيزنطة، ماداً الكنيسة بسلطة زمنيّة.

[←333]

هي قلعة آل كولونا، حيث فندقهم الصّخم الذي كان يشكّل عائلاً أمام طموحات بونيفاتشو الثامن الزمنيّة والماديّة.

[←334]

وعد البابا بالفعل آل كولونا بالأمن فلما اطمأنوا إليه هدم قلعتهم.

[←335]

هو القديس فرانشيسكو الأسيي، يزعم المتكلم أنه، أي القديس، هبّ لحماية من نيران الجحيم لأنّه كان عضواً في جمعيته «الكرديلية».



[←336]

بعد مقاطع من التفجّع والقول باستحالة التّعبير عمّا رآه من آلام، يصف دانتي في هذه الأنشودة المكرّسة لمُحدِثي الشّقاق العذاب الذي تتلقّاه شخصيّة إسلاميّة أساسيّة اضطررنا إلى إبهامها، بدلَ حذف الأبيات بكاملها كما فعل سلفنا الكبير الدكتور حسن عثمان (مع إشارته بكامل التّراهة إلى قيامه بهذا الحذف). ونستري انتباه القارىء إلى ضرورة قراءة هذه الأبيات قراءة تذهب إلى ما تشي به من «أعراض» وتلتفت فيها إلى تيّارين نقيضين: الخلفيّة المذهبيّة الاحترابيّة التي تدفع إلى إحلال هذه الشخصيّة ومثيلاتها في هذا الموضوع من جهة، وعاطفة دانتي الفيّاضة وتفجّعه لما يلقاه هذا المعذّب أمامه من جهة ثانية. كما لايفوتنا التّدكير بأنّ دانتي قد أحلّ في اليمابيس (أي خارج منطقة العذاب) كلّاً من صلاح الدّين الأيوبيّ وابن سينا وابن رشد (أنظر «الجحيم»، الأنشودة الرّابعة).

[←337]

تمثّل أيوليا هنا كامل المنطقة الجنوبيّة من إيطاليا (حيث كانت تقوم ملكة نايلي).

[←338]

يقصد بالطرواديين الرومان، لأنّ الأخيرين متحدّرون من إنباس. والمقصود بالحرب الطويلة تلك التي قامت بين 224 و146 ق.م. بين روما وقرطاجنة، والتي بلغ فيها عدد القتلى من الرومان ما مكّن أهل قرطاجنة من أن يصنعوا تلة عالية من خواتم الذهب المنتزعة من أصابع القتلى في صفوف الأعداء. ويستشهد دانتي هنا بالمؤرخ الروماني ليفيوس (67 ق.م. - 17 م.).

[←339]

هو ابن تانكريد دو هوتفيل النورمنديّ، التحق بأشقائه في إيطاليا وسيطر على ملكة نابلي لعقود عديدة من القرن الحادي عشر.

[←340]

موقع استراتيجي تم التخلي عنه بلا معركة، ولعلّ دانتي يخلط بينه وبين بنفنتو القريب منه، والذي قُتل فيه مانفريد (1231-1266) ورجاله ممّا سمح لشارل الأوّل الأنجيّ (نسبة إلى مدينة آنجو الفرنسيّة) بالاحتفاظ بعرش صقلية.

[←341]

قلعة في جنوبي إيطاليا دُحر فيها كورّادان، ابن مانفريد.

[←342]

هو أالردو دي فاليري، صحت لويس التاسع ملك فرنسا في حملاته الصليبية، ثم لدى عودته ساعد شارل الأول الأنجي في الانتصار على كورادان (سبق ذكره).

[←343]

هو فرا دولتشينو تورنييلي، وجد نفسه على رأس جماعة «الرهبان الرسوليين»، وراح يدعو في خطبه إلى الافتسام الكامل، حتى للنساء. نظم البابا كليمون (كليمنتو) الخامس ضده حملة صليبية، فاعتصم فرا دولتشينو في جبل تزابيلو في 1305، ثم اضطره غياب التموينات في أثناء موسم سقوط الثلج الكبيرة إلى الاستسلام للبابا.



[←344]

لا نكاد نعرف شيئاً عنه، سوى أنه عاش بين بولونيا ورومانيا وكان يمضي سحابة وقته في إثارة الشَّحناء بين أهل بولونيا.

[←345]

المقصود به منطقة لمبارديا.

[←346]

هما غويدو دل كاسيرو وأنجوليّو دا كالينيانو، نبيلان من فانو. دعاهما مالاتستينو (أنظر الأنشودة السابقة، الأبيات 46-48) إلى كاتوليكا للتشاور وهناك غدر بهما ورعى بهما إلى البحر في كيسين.

[←347]

تطلّ على الأدرياتيڪ، بين يزارو وريميني.

[←348]

يقصد الإغريقيين، وبخاصة القراصنة منهم.

[←349]

هو كوربون، خطيب الشعب، الذي طُرد من روما فحَقَّز قيصر على عبور نهر الرّوبيكون وإعلان الحرب على الجمهوريّة. ومع أنّه أحرز النّصر، إلّا أنّ هذه النّصيحة أشعلت نار الحرب الأهليّة.

[←350]

هو موسكا دي لامبرتي. بباعث من نصائحه، أقدم آل أميدي على قتل بوودلمونتي الذي كان تخلى عن إحدى بناتهم. حدث هذا في يوم الفصح في 1215، واعتُبر هذا المقتل السبب الرئيس لاشتعال نيران الفتنة في فلورنسة وقيام الحرب بين «العيلف» و«العيلين».

[←351]

برتران دو بورن دو هوتفور، من بيريجور الفرنسيّة، شاعر معروف من التروبادور، عاش في النّصف الثّاني من القرن الثّاني عشر. يُطري عليه دانتي في كتابيه «المأدبة» و«في فصاحة العاميّة». يُروى أنّه أوقع بين هنري الثّاني ملك إنجلترا وابنه هنري الثّالث.



[←352]

أخيتوفيل هو مستشار داود، أضرم في قلب الأخير الضغينة على ابنه أبشالوم (أنظر «سفر الملوك الثاني»، 17-15).

[←353]

يقصد فرجيليو أنّ الوقت تجاوز الظّهر وأنّه ما يزال عليهما، هو وداني، زيارة الخندق الأخير من هذه الحلقة الثامنة، وبعدها كامل الحلقة التاسعة. ويستشفّ القارىء أنّه ما عاد لديهما سوى يوم واحد لزيارة حلقات الجحيم التسع.

[←354]

كان جيري دل بلو هذا ابن عم أبي داني، قتل رجلاً عن خيانة ثم اغتيل هو نفسه.

[←355]

هي قلعة هوتفور، وكان صاحبها، الذي يتسمى باسمها، هو شاعر التروبادور برتران دو بورن، سبق ذكره.

[←356]

وَادٍ فِي تَوْسَكَانِيَا، يَقَعُ بَيْنَ مَصْبَاتِ نَهْرِ كِيَانَا. وَكَمَا فِي مَارِيْمَا وَسَارْدِينِيَا، كَانَ هَذَا الْوَادِي فِي عَهْدِ دَانْتِي مَغزُوًّا بِالْمَلَارِيَا.

[←357]

إيجينا جزيرة صغيرة تقع قرب أثينا، أرسلت لها يونون، عشيقه جويتر، الطاعون غيراً من حورية المكان إيجينا. وتقرأ لدى أوفيدوس كيف بعث جويتر موتاهها بالطاعون على هيئة نِمال.

[←358]

هو غريفولينو الأريزي، وكان يُلقَّب بـ «بال». كان يمارس الخيمياء وتزييف النقود. إبتَرَّ مَرَّةً مَالاً من ألبرتو دا سيينا وأعدَّ إياه بأنَّ يَعْلَمه الطَّيران. فلَمَّا اكتشف الأمر أبو الأخير بالتبَّي، وكان أسقف سيينا، بعثَ بالأريزي إلى المحرقة. حدث هذا في أواخر القرن الثالث عشر.

[←359]

يفتح داني هنا، على سبيل السّخرية، سلسلة استثناءات ما كانت استثناءات حقًا. أمّا استريكا دي جوفاني دي ساليمبيني، فكان عمدة بولونيا بين 1276 و1286، وعرف بتبذير جميع ممتلكاته بصورة رعناء. وكان شقيقه نقولاً هو أول من أشاع بين موسري سيينا موضة استعمال القرنفل بين الأفاويه. ويلاحظ القارىء سخرية المعدّب في كلامه المستوحى من المناسبة: «الحديقة التي ينمو فيها مثل هذا البذار»، فالبذار المقصود هو أمثال هؤلاء، والحديقة المقصودة هي مدينة سيينا نفسها.



[←360]

كان كاتشا داشانو من أسرة موسرة ويمتلك كرومًا وغبابٍ قرب سينا، وعُرف هو أيضًا بإتلافه ممتلكاته على حياة اللهو والقصف مع أصدقائه.

[←361]

هو بارتلوميو دي فولكاكيري، كان يُلقَّب بـ «الأبالياتو» أي «المبهور»: شغل وظائف إدارية في سينا وأنحاء عديدة من توسكانيا في أواخر القرن الثالث عشر، وكان ضمن مجموعة من الأثرياء رصدت حياتها للبدخ.

[←362]

يرجّح أن يكون شبح مواطن من فلورنسة كان زميل دانتي في الدّراسة، وكان بارعًا في رسم الكاريكاتور ومزيّف معادن. أُحرِقَ في 1293.

[←363]

لفهم المقاطع التالية ينبغي أن نتذكر سلسلة من الانتقامات المتبادلة في الميثولوجيا اليونانية. كان جويتر قد خان يونون مع سيميليه، ابنة قدموس أول ملوك طيبة. فغضبت يونون على شعب طيبة كله وتسببت له بويلات عديدة، منها أنها أثارت غضب الملك أتاماس على زوجته إينو وجعلته يقتل ابنه منها ليركوس، فانتحرت إينو بأن ألقت بنفسها إلى الماء ومعها ابنتها الثانية ميليسيرتيس.

[←364]

هي أرملة يريام ملك طروادة، عرفت مهانة الأسر ورأت ابنتها يولكسين مقتولة بعد سقوط طروادة واكتشفت جثة ابنتها يوليديروس، ففقدت صوابها.

[←365]

شبح زميل محتمل لدانتي في أيام الدّرس، سبق ذكره في آخر الأَنشودة السّابقة.

[←366]

هو جاني اسكيي دي كفالكانتي، مواطن فلورنسي زيف لصالح سيمون بووزو وصية تجعل له كامل إرث أبيه.

[←367]

إبنة سنبراس ملك قبرص، ارتكبت الإثم مع أبيها في غياب أمها وولدت منه أدونيس (يذكره أوفيدوس).



[←368]

هو جاني اسكيكي الأنف الذكر. حرّر لسيمون بووزو وصيّة أبيه الرّائفة، فاقتطع لنفسه فرسًا من أملاك المتوفّي كانت تدعى «ملكة القطيع». وتمثّلت حيلته في نصح سيمون هذا بعدم الإعلان عن موت أبيه، ثمّ جاء اسكيكي متنكّرًا في ثياب الأب وأملّى الوصيّة الرّائفة. والأب الميت هو بووزو دوناتي، حفيد قاطع الطريق الحامل الإسم نفسه والذي يرد ذكره في الأنشودة الخامسة والعشرين من «الجحيم».

[←369]

مرض معروف يجعل بطن المرء أكبر من المعتاد.

[←370]

المعلّم أدامو دي أنغليا، من أصل إنجليزيّ احتمالاً، زتيف عملة فلورنسة (الفلورين الذهبيّ) بدفع من آل غويدي، فأُحرق في 1281.

[←371]

هو الوادي الأعلى من الأرنو.

[←372]

قلعة آل غويدي الذين دفعوا المعذب إلى تزيف النقود.

[←373]

كان الفلورين يحمل في وجهه رسم الزنبق (شعار فلورنسة) وفي قفاه رسمًا ليوحنا المعمدان.

[←374]

نبح في سينا، وقد يشير أدامو إلى نبح آخر يحمل الاسم نفسه في رومينا. والثلاثة الذين يذكر (غويدو وأسكندر وشقيقهما أغينولفو) هم آل غويدي، سبق ذكرهم.

[←375]

زوجة بوطيفار التي حاولت إغراء يوسف وأتّهمته باطلاً وتسبّبت بسجنه.



[←376]

هو مَنْ أفتع أهل طروادة بالسّماح بإدخال الحصان الخشبيّ الضّخم الذي كان يحوي نخبة من المحارئين الإغريق.

[←377]

المقصود بمرآة نرجس النَّبَع الرَّقراق الذي كان نرجس يتأمل وجهه فيه.

[←378]

تقول الأسطورة إنّ الرّيح الذي ورثه أخيل عن أبيه ييلIOS كان قادرًا على إشفاء الجرح الذي أحدثه هو بمجرد تمريره عليه بعد الإصابة.

[←379]

بوق نمروود العملاق. ونمروود هو، في الأسطورة، ملك بابل الذي أمر ببناء برج يناطح السماء، فجعله الله ينهار وعاقب أهل بابل بأن يَلْبِل ألسنهم وجعل أحدا لا يفهم سواه، فولدت اللغات المتعددة بعدما كان البشر يتخاطبون بلسان واحد.

[←380]

إشارة إلى موقعة رونسفو في 778، اشتبكت فيها قوّات لشارلمان كان يقودها رولان مع جيش من المسلمين. وتقول الأسطورة إنّه لمّا رأى رولان إلى قوّاته وهي توشك على الانهزام نفخّ في البوق مستنجدًا بشارلمان الذي كان يبعد عنه على مسافة ثمانية أميال (وهناك الملحمة الشعبيّة الفرنسيّة التي تصوّر مواجهة رولان للمسلمين، المعروفة بـ «أغنية رولان»).

[←381]

قرية صغيرة محصنة قريبة من سيناء ما تزال تحتفظ إلى اليوم بهيأتها التي رآها عليها داني.

[←382]

هم وحوش الأسطورة، ويُدعون أيضًا بـ «المردة». كانوا طويلي القامات، هاجموا الأولمبي، مقرّ الآلهة، فصعقهم جوبيتر (زفّس - «زيوس» في كتابة أُخرى. لدى الإغريقيّين).

[←383]

تمثال من البرونز لشجرة صنوبر، ما يزال في القاتيكان.



[←384]

كان سكان فريزيا في هولندا في القرن السابع عشر يُعدّون أطول رجال العالم.

[←385]

أي أكثر من سبعة أمتار. ممّا يعني أنّه كان لنمرود من الطّول ما يتراوح بين سبعة وعشرين وثمانية وعشرين متراً.

[←386]

كلام غير مفهوم عن قصد، يوحى بأصوات حروف عربيّة وعبريّة إيحاءً بالاختلاط البابليّ للألسن.

[←387]

إبن نيتون إله البحر في الميثولوجيا القديمة، كان من أجرأ العمالق أمام جوييتر.

[←388]

برياروس أحد العماليق الذي ثاروا على الآلهة، ولد من التحام الأرض والسّماء، وكان أطولهم وأكثرهم امتساحًا، فكان له خمسون رأسًا ومائة ذراع، وكان على الدّوام شاهرًا خمسين سيفًا وخمسين درعًا، ويصق شعلاً نارية.

[←389]

أنتيوس: ابن نيتون والأرض، كان الوحيد الذي لم يشارك في الحرب ضدّ الآلهة (ولذا تراه يتكلم هنا بلا أغلال).  
كان يعيش في مغارة قرب تزاما، حيث انتصر القائد الروماني شيبونيّ (المعروف بشيبوني الأفريقيّ) على هنبعل.  
وقد قتل هرقل أنتيوس خانقاً إيّاه بيديه عندما لاحظ أنّه يستعيد قوّته كلّما لمس أمّه.

[←390]

نهر الجحيم المتجمد الذي يشكّل نهاية الحلقة التّاسعة، اقتبسهُ دانتي من فرجيليلو.

[←391]

تيتوس وتيفون عملاقان، اخترق أحدهما سهم من أيولون والثاني صعقَه جوبيتر.



[←392]

برج بولونيا المائل الشهير والذي كان في أيام دانتى أكثر ارتفاعًا ممّا هو عليه اليوم.

[←393]

أي من لا يزال يتكلم بلغة الأطفال.

[←394]

يقصد بهؤلاء السيدات ربّات الإلهام، وكنّ في الأسطورة قد ساعدنّ أمفيون في بناء سور طيبة، فكان يكفي أن يعزف على قيثاره حتّى تهرع الأحجار من تلقاء ذاتها وتتنظم في البناء.

[←395]

جبل لم يتوصّل أحد إلى تشخيص مكانه بدقّة، ربّما كان في شرقيّ سلافونيا.

[←396]

جبل في توسكانيا يُدعى حاليًا يانيا دلاً كروتشه.

[←397]

هما إسكندر ونابليون، ابنا الكونت ألبرتو دي مانونيا، كان الأول من حزب الغيلف والثاني من الغيلين، قتل أحدهما الآخر في 1286 لخلاف على ممتلكات.

[←398]

«قايينا» أو دائرة قابيل، المنطقة الأولى في كوتشيتوس، في آخر الحلقة التاسعة من الجحيم، يُعاقب فيها من أجزموا بحقّ ذويهم وأقاربهم، ومن هنا تسميتها باسم قابيل قاتل أخيه.

[←399]

يقصد موردريد، الابن غير الشرعي للملك آرتور في قصص «المائدة المستديرة»، أراد الاستيلاء على العرش فضربه أبوه بالسيف ونفذ شعاع من الشمس إلى جرحه واخترق جسده، ومن هنا قول المتكلم إنَّ الحسام اخترق الجسم إلى ما وراء ظلّه.



[←400]

هو لقب فائِي دي كانتشيليري، من الغيلف البيض في يستويا، قتل غيلةً أحدَ أبناء عمّه وكان من من الغيلف السود.

[←401]

فلورنيّ قتل غيلۀ ابن أخيه وكان صغيرًا، وأُعدم.

[←402]

من الغِبَلين في فالدارنو، كان قد قتل أحد أقربائه، أوبرتينو، لاختلاف على المصالح بينهما.

[←403]

هو كارلينو دي ياتزي، خائن سياسي سلّم في 1302 قلعة البيض إلى السّود الفلورنسيين. والمقصود بالتهرئة هنا أنّ ذنب المتكّم (كاميتشون) سيبدو هيئًا بالقياس إلى ما سيفعله كارلينو.

[←404]

الهِزِيمَةُ الشَّهِيرَةُ الَّتِي مُنِيَ بِهَا الْعَيْفُ الْفُلُورَنَسِيُّونَ أَمَامَ غِبْلَيْنِ سَيِينَا فِي الثَّانِي مِنْ أَيْلُولِ 1260.

[←405]

«الأنتينورا» هي المنطقة الثانية من كوتشيتوس، مخصصة لمعاقبة خائني وطنهم أو حزبهم. وتستمد اسمها من أنتينور: الطروادي الذي سلّم الإغريقيين عوليس وديوميد تمثال أثينا (اليلاديوم).

[←406]

بوکا دئی أبائی: تسببت خیانتہ بهزیة الغیلف فی مونتابرتی، إذ قطع ید حامل لوائهم ممّا أضعف عزیمتهم.

[←407]

يُدين بوكا هنا مَنْ كان وشى به، وهو بروزو دا دو فيرا، وهو الأخر متَّهم بخيانة الغِبْلين.



[←408]

كان بووزو الآنف الذّكر قد تسلّم في 1265 مبلغًا من المال جعله يسمح بالمرور لقوّات الفرنسيّ شارل الأوّل الأنجيّ الدّاهية لمجابهة مانفريد، وستنتصر على الأخير وعلى ابنه للاستيلاء على صقلية.

[←409]

تيزاورو دي بيكيريا: مواطن من يا فيا، كان مندوب البابا إسكندر الرابع في توسكانيا، أعدمه الغيلف  
الفلورنسيون بعد اتّهامه بالتّعاون مع الغيلين المطرودين.

[←410]

جاني دي سولدانييري: من حزب الغبّين في فلورنسة، أُعدم في 1266 متّهمًا بمحاولة الاستيلاء على رئاسة الحكومة بالتضادّ مع مصلحة حزبه في أثناء الفتنة.

[←411]

غانلون: تصوّره «أغنية رولان» وهو يعمل على خيانة الأخير في معركة رونسفو. أمّا تيبالديلو تزامبرازي فمواطن من فاينترا فتح في الليل أبواب مدينته لعليف بولونيا.

[←412]

أحد الملوك السبعة الذين زحفوا على طيبة، أصابه مينالييوس بجرح خطير ولكنه تمكن من قتله وطلب أن يُحمَل إليه رأسه فشرع ينهشه في سورة سعاره.

[←413]

العمدة أوغولينو: هو أوغولينو دلاغيرارديسكا، من أسرة منتمية إلى الغيلين. آلت إليه بعض الأملاك في سردينيا، وعمل مع صهره في الخفاء لصالح الغيلف عندما استولوا على السلطة في ييزة في 1275. فطرد من المدينة ثم عاد إليها في العام التالي بمساعدة فلورنسيين. أصبح عمدة للمدينة، فتنازل للفلورنسيين ولبعض أهل لوكا عن عدد من القلاع، وأفلح في إبرام اتفاقية سلام مع أهل جنوة. ولكن الغيلين عادوا ظافرين يقودهم رئيس الأساقفة رودجيري دلي أوبالديني اليبزي، الذي قام في 1289 باعتقال أوغولينو عن غدر، في حصن في قلعة آل غوالاندي، وبعد شهور عديدة من الحبس تركه هو وأولاده بلا طعام، فسمي الحصن على إثر ذلك «برج الجوع».

[←414]

الكلمة الإيطالية التي استخدمها داني هي la Muda (الفرنسية: la Mue) أي «المَحْسَرَة» وهي قفص توضع فيه الصقور والدواجن في فترة الانسلاخ أو التحسير.

[←415]

أعتقل أوغولينو في شهر تمّوز 1288 ومات جوعًا في 1289.



[←416]

هو جبل السّان -جوليانو، ويقع بين ييزة ولوكا.

[←417]

ثلاث أُسْر من غِبْلين ييزة كانت موالية لرئيس الأساقفة رودجيري دّلي أوبالديني وحرّضها هو على مهاجمة أوغولينو.

[←418]

في هذا التصريح بأنّ «الجوع كان أقدر من الألم» غموض أسال لدى الشّراح أنهارًا من الحبر. بعضهم يقول إنّ الجوع خطّ نهاية أوغولينو حيثما لم يقدر الألم على قهره. والبعض الآخر يقول إنّ استجاب لدعوة أبنائه فتناول من لحمهم بعدما ماتوا. يرى بورخيس (أنظر المدخل النقديّ) أنّ اللبس هنا متعمّد وأنّ دانتى أقام قوّة الأنشودة على هذا التردّد بين احتمالين أو قراءتين.

[←419]

كأرايا وؑورؑونا ؑزيرتان ؑير بعيدتين عن مصبّ الأرنو؁ وكاننا يومذاك خاضعتين لبيزة.

[←420]

هو ألفريديو دي مانفريدي: من «الرهبان السعداء» (سبق ذكرهم)، وأحد زعماء الغيلف في فلورنسة. أهانه ابن أخيه، فدعاه إلى العشاء في قصره، ولدى إشارته بإحضار الفاكهة دخل خدمه وذبحوا ابن أخيه وأبا الأخير، ومن هنا الإشارة المريرة إلى التين والتّم.

[←421]

دائرة بطليموس (أو «البطليموسية») هي المنطقة الثالثة في كوتشيتوس، وتستمد اسمها لا من الفلكي والجغرافي اليوناني المعروف (القرن الثاني الميلادي)، بل على الأرجح من بطليموس حاكم سهل أريحا والمذكور في سفر المكابيين الأول من «العهد القديم» (دعا سمعان المكابي وأولاده إلى وليمة تمّ أبادهم)، أو من بطليموس ملك مصر الذي يروي أنه حاول استمالة قيصر بأن أرسل إليه رأس خصمه يومميوس الذي كان يومذاك في ضيافته.

[←422]

أترويس هو في الميثولوجيا اليونانية القدر الذي يقطع خيط أيام الإنسان ويفصل روحه عن جسده.

[←423]

برانكا دوريا مواطن جنويّ من حزب الغِبَلين، دعا حماه ميكيل زانكي (الذي يلقى تعذيبه في الخندق الخامس من الحلقة الأخيرة) ثمّ قتله للاستيلاء على أملاكه.



[←424]

وضعه دانتي باللاتينية، وقد استعاره من نشيد مشهور لفورتونا، أسقف يواتيه الفرنسية، يُدعى «نشيد الصليب».

[←425]

ديس هو ملك أفيرنو القديمة، والأخيرة اسم بحيرة ما تزال موجودة قرب نايلي في إيطاليا، كان الوثنيون يعدونها مدخل الجحيم لفرط ما هي موبوءة. وعلى هذا النحو تعامل معها فرجيليو في «الإنياذة». دانتي يمنح اسم ملكها للوسيفير (الشيطان أو الملاك الساقط لعصيانه الله، فهو معادل لإبليس)، كما سمى باسمه إحدى مدن الجحيم وقد سبق ذكرها. أمّا كلام دانتي في البيتين السابقين عن «الوجه الجميل» للوسيفير، فيحمل إمّا على السخرية (له رؤوس ثلاثة)، أو باعتبار أنه ما يزال يحتفظ ببعض من وسامته القديمة، فمن المعروف في التصورات التوحيدية أنّ إبليس كان، قبل أن يعصي الله، من أجمل الملائكة.

[←426]

هذه الوجوه الثلاثة مقابل سلبّي للتألوث في المسيحيّة.

[←427]

الأحمر هنا رمز للكراهية، مضادّ لـ «الحبّ الأوّل» الذي هو الرّوح القدس.

[←428]

الأبيض والأصفر يرمزان إلى الجهالة، مضادّ «العِلْم الكَيِّ» الذي يتمثّل في الإِبْن.

[←429]

اللون الداكن كما في وجوه الأثيوبيين أو الأحباش يرمز إلى العجز، نقيض القدرة الإلهية المتمثلة في أبي الثالث.

[←430]

هي الرّيح الثّلاث التي تجمّد مياه كوتشيتوس.

[←431]

خائن المسيح، وبالتالي فهو الخائن الأعظم.



[←432]

بروتوس هو خائن قيصر، وبالتالي خائن السلطة الامبراطورية.

[←433]

كاسيوس صديق بروتوس، شاركه في خيانة قيصر.

[←434]

لم أكتب اسم لوسيفير بالنطق الإيطاليّ (لوتشيفيرو) لأنّه أحد ملوك بابل، يرد ذكره في «العهد القديم»، كان شريرًا حتّى لقد جعلت منه الأعمال الأدبيّة القروسطيّة تجسيدًا للشيطان، ويجعل منه دانتي ملكًا للجحيم.

[←435]

هذا يعني أنّ الوقت كان في منتصف المسافة بين شروق الشّمس والتّاسعة صباحًا، أي في حوالي السّابعة والتّصف أو الثّامنة. ويرى بعض الدّارسين أنّ دانتي وفيرجيليو يكونان قد أمضيا على هذا التّحو في زيارة الجحيم ثمانين وأربعين ساعة، وصلّاها مساء الخميس 7 نيسان 1300 وسيخرجان منها في مساء السّبت 9 نيسان منه، وسيدخلان المطهر فجر الأحد 10 نيسان.

[←436]

هذه النّقطة هي مركز الأرض، وتتوافق مع وركي لوسيفير، ممّا يعني أنّ جسمه الضّخم كان مورّعًا على جزئي الأرض.

[←437]

أي نصف الكرة السّماويّة (الجنوبيّ).

[←438]

التيّاس الأكبر هو العنصر الجامد الكبير، أي الأرض.

[←439]

أي في أورشليم. والزجل الذي «ولد وعاش دون خطيئة» هو السيّد المسيح.



[←440]

دائرة يهوذا («الجيوديكا» في لغة دانتي) هي أصغر مناطق كوتشيتوس.

[←441]

تقول الأسطورة إنّ لوسيفير قد سقط من السّماء، بعد عصيانه الرّب، ناحيةً نصف الكرة الجنوبيّ، فهربت الأرض مرتاعةً منه وانزوت تحت سطح البحر وعاودت الانبثاق في نصف الكرة الشماليّ.

[←442]

هذا الموضع منخفّض أو هوّة في نصف الكرة الجنوبيّ بشاسعة الجحيم. و«بعل الدّباب» مذكور في «العهد القديم» (يُدعى أيضًا «بلزبوت»)، وهو كناية عن الشّيطان. يُنوّع دانتي هنا أسماء لوسيفير وألقابه تفاديًا للتكرار.

[←443]

رَبِّمَا كَانَ هُوَ نَهْرٌ لِيَتِي، الَّذِي يَجْلِبُ إِلَى الْجَحِيمِ قَدْرَ الْأَرْوَاحِ الْمَغْتَسِلَةِ مِنْ خَطَايَاهَا فِي الْمَطْهَرِ.

[←444]

لما كان الشعاعان يصلان إلى المطهر في الخامسة من فجر أحد الفصح، فهذا يعني أنّهما سارا منذ خروجهما من الجحيم طيلة إحدى وعشرين ساعة.

[←445]

بمفردة «النَّجوم» يجد ختامه نشيد «الجحيم»، وكذلك نشيدا «المطهر» و«الفردوس».

[←446]

هي ربّة إلهام الشّعْر الملحمي، يعني اسمها «صاحبة الصّوت الأغنّ».

[←447]

هَنّ فِي الْأَصْلِ الْبَنَاتِ التَّسْعِ لِلْمَلِكِ الْمَقْدُونِيِّ يَبْرُوسَ، تَحْدِيدًا كَالْيُونَانِيِّ فِي الْغِنَاءِ فَدَحْرْتَهُنَّ وَمَسَخَتْهُنَّ إِلَى عَقَاقِقِ.



[←448]

بهذه الشّاكلة، وبالتعويل على تواتر «الزّاء» و«القاف»، حاولتُ الإمساك ببعضٍ من جمال بيت دانتي (Dolce color d'oriental zaffiro) الذي اعتبره بورخيس (أنظر المدخل) أجمل بيت سمعته أو قرأه في حياته. الياقوت الشّرقى، الذي يدعى أيضًا بالسّفير (أو الصّفير)، يميل لونه إلى زرقاة شقّافة، ففيه شيء من لون الشّروق، ووجود مفردة «الشّرق» يحيل التعبير دالًّا في نظر بورخيس على الشّروق مرّتين، فنكون أمام مجاز مزدوج أو تضعيفيّ.

[←449]

فِينوس (الزُّهرة) تغمُر بنورها برج الحوت، ممّا يعني أنّ الوقت كان الثانية قبل طلوع الشمس.

[←450]

ترمز النجوم الأربعة إلى الفضائل الأخلاقية الأربعة (الاعتدال والحذر وروح العدل وقوة النفس).

[←451]

هو ماركوس كاتون، السّياسيّ الرّوماني ومناصر الجمهوريّة الذي انتحر بسقوطها على يد قيصر في 46 ق. م.  
يجعله دانتي هنا بمثابة حارس لمَدخل المطهر.

[←452]

الرّيش هنا مجاز عن شعره الأبيض، فلم نرغب بتحويله إلى «شعر» أو «لحية»، وعلى هذا النّحو نتصرّف مع جميع صوّر دانتي التي يدرك القراء الواقعيّ منها والمجازيّ بدون عسر.

[←453]

هي بياتريشي.

[←454]

أي أنّه رفضَ الحياةَ عندما انتحر. ذلك أنّ داني يُحلّ كاتون في المطهر، وبالتالي ينجّيه رغم انتحاره، لأنّه فسّر انتحاره كتوسّل لحريةٍ أخلاقيّةٍ وسياسيّةٍ، وبالتالي رديفًا للشهادة.

[←455]

المقصود بالتَّوْب هو الجسد.



[←456]

كانت مارتزيا زوجة كاتون، ثم انفصلا فتزوجت من شقيقه هورتنسيوس، وبعد وفاة الأخير تزوجها كانون ثانية بطلب منها.

[←457]

نزل المسيح بعد انبعائه إلى الجحيم وأخرج منها أرواح بعض الأنبياء والعاذلين (سبق أن عددهم دانتي في الأنشودة الرابعة من «الجحيم»)، وتمخض هذا عن قانون يقول باستحالة تبادل العاطفة بين سكان كل من المطهر والجحيم. ولما كانت ماتزيا في اللمبو أو اليمابيس، فستظل مفصولة عن كاتون.

[←458]

يرمز قصب الأسل إلى التواضع، وبه تبدأ شعائر الدّخول إلى المطهر.

[←459]

ترد مفردة «الآخِر» لدى دانتي غير مرّة. وهي يمكن أن تدلّ على الله، أو على الطرف الآخِر في العلاقة (هنا: كاتون، حارس المطهر والقيّم على مدخله).

[←460]

كانت التصوّرات الجغرافيّة في فترة دانتي ترى أنّ الأرض أو اليابسة لا تشغل سوى نصف الكرة الشماليّ، من منبع التيّز حتّى مصبّ الكانج. وتقع أورشليم في الوسط. وبذا، فعندما يكون الوقت في إسبانيا ظهرًا، يكون في الهند منتصف اللّيل، وفي أورشليم موعد غروب الشّمس.

[←461]

عندما تطول الليالي من الانقلاب الشتائي إلى الانقلاب الصيفي، يُكمل الليل دورته تحت برج آخر سوى برج الميزان.

[←462]

أي بين مصبّ التبير، حيث يستقبل الملاك الأرواح، وشاطيء المطهر.

[←463]

البيت الأوّل من المزمور الثالث عشر بعد المائة، الذي يذكر خروج العبرانيين من مصر، به يعبر المتطهرون عن منغاهم المؤقت هذا.



[←464]

برج الجدي واقع عند سمت المطهر، وهو ينزاح الآن وقد طردته أشعة الشمس.

[←465]

موسيقى إيطالي لم تبقى لنا أعماله.

[←466]

هذا هو البيت الأول من الأغنية التي بها يفتتح دانتي الرسالة الأولى من كتابه «المأدبة». وتجد في عرضنا لـ «الحياة الجديدة» في المدخل النقدي تحليلًا موجزًا لعلاقة الحبّ والفاعليّة التخمينيّة في هذه الصيرورة العذريّة أو الصوفيّة للعشق لدى دانتي.

[←467]

جبل المطهر أعلى من جميع سائر الجبال.

[←468]

نسي داني أنه وحده يصنع ظلًا على الأرض، لأنه ما يزال حيًّا. وعندما لم يرَ ظلًّا لفرجيليو حسب أن أستاذه قد تخلّى عنه وتركه وحيدًا. وهذا ما يوضح مدى التصاقه بمرشده في هذا الطور من رحلته.

[←469]

توفي فرجيليو في برينديزي في العام 19 قبل الميلاد، ومن هناك نُقل جثمانه إلى نابلي حيث دُفن، بأمر من أغسطس.

[←470]

يقصد أنّ أساطين الفلسفة القديمة حاولوا إدراك الحقائق الأخيرة فما أفلحوا في ذلك لأنّهم كان ينقصهم عنصر الإيمان (الإشارة إلى «المسلك المتناهي الذي يجمع ثلاثة في أقنوم واحد»، أي سرّ الثالوث، قبل ثلاثة مقاطع).

[←471]

مانفريد هو الإبن غير الشرعيّ للامبراطور الألمانيّ فريديريك الثاني الذي عيّنه وصيًا على العرش في صقلية، فترجّع عليه بعد موت فريديريك. لكنّ الكنيسة قرّرت حرمانه من الإرث واتّهمته بالهرطقة. فزحف عليه شارل الأنجي (نسبة إلى مدينة آنجو) الفرنسيّ في 1266 وتغلّب عليه بعد قتال طاحن انتهى بمصرع مانفريد. وكانت هزيمة الأخير هزيمة للغيلين (الذين دعموه) في صقلية وسائر إيطاليا.



[←472]

لكونه ابنًا غير شرعيّ، كان مانفريد يتسمّى بجدّته الامبراطورة كونستانزا، أمّ فريديريك الثّاني وزوجة هنري الرّابع.

[←473]

تدلّ كلمة «فخر» هنا على التّاج الملكيّ. وكان اسم ابنة مانفريد هو كونستانزا أيضًا. وكان ابنها جاكومو ملك صقلية وابنها الثّاني ألفونصو ملك أراغون.

[←474]

أيُّ لو كان هذا عرفَ الرَّحمةَ الإلهيةَ لما تكالب على مانفريد حتَّى بعد موته. كان الملك الظَّافر شارل الأنجِيّ قد منعَ من إقامة ضريح لمانفريد، فاكتفى كلُّ واحد من رجاله برمي حجارة على الحفرة.

[←475]

إشارة إلى المعتقد الأفلاطونيّ، الذي عارضه أرسطو في رسالته «في الرّوح»، والقائل إنّ أرواحًا عديدة متميزة تنشأ في داخلنا. ودانتي يحمل هنا في ذهنه أفكار الفلاسفة العرب، وخصوصًا ابن رشد.

[←476]

أي أنّ النَّفس العاقلة تلاحظ مرور الوقت على حين تكون النَّفس الحسّاسة أو الحسيّة موثّقة بالانتباه المستغرقة هي فيه.

[←477]

تجتاز الشّمس خمس عشرة درجة في السّاعة، ممّا يعني أنّ ثلاث ساعات وعشرين دقيقة قد مرّت منذ شروقها.

[←478]

سان-ليو مدينة صغيرة قرب أوريينو مبنية على صخور شديدة الانحدار؛ نولي قرية صغيرة قرب سافونا كان يُنفذ إليها عن طريق البحر فحسب؛ بيسمانتوفا جبل قرب ريجيو إيمليا؛ وكاگومي جبل قريب من فروسينوني.

[←479]

عندما يكون برج الجوزاء قريبًا من الانقلاب الصيفي (نوار وحزيران)، فإن منطقة البروج التي تكون فيها الشمس تتحرك بأكثر قربًا إلى الدبين (الدب الأكبر والدب الأصغر). وتُسمى الشمس «مرآة» لأنها جسم منير يعكس الأجسام الأخرى.



[←480]

مَن كان في أورشلِيم ونظَرَ إلى الشَّرْقِ رأَى الشَّمْسَ إلى يمينه. ومَن كان في المطهر وتطلَّع إلى الغرب، رآها إلى شماله.

[←481]

الدائرة الوسطى في السماء العليا هي المحرك الأول، وهي تدفع إلى الدوران كل أربع وعشرين ساعة جميع السموات حول الأرض، والأخيرة ثابتة في مركز الكون. ويكلام دانتي عن «أحد الفنون» يقصد «علم الفلك» (وكانت العلوم تُدعى فنوناً)، ففيه تُدعى هذه الدائرة خط الاستواء.

[←482]

فلورنسيّ من معارف دانتي. كان مصمّمًا للألات الموسيقية وعُرف بكسله وإدمانه على الشّرب.

[←483]

لأنه تأخّر في التّوبة (التي تدلّ عليها الحسرات التي ينعثها بالطيّبة)، فعليه أن يمضي في المطهر بقدر سنوات حياته ليكفّر عن أخطائه.

[←484]

كان المغرب يُعتبر النّقطة الغربيّة القصوى للعالم المسكون.

[←485]

أي أنّهم تعجبوا من زيارة يقوم بها كائن ما يزال حيًّا. ولقد اضطررت إلى استخدام «وي!» التعجبية كما عند قدامى العرب إذ لم أجد ما يسدّ مسدّها في العريّة الحديثة.

[←486]

هو جاكويو دل ماسيرو، كان أحد زعماء العُيُوف في فانو، وعُيِن عمدة في بولونيا. ثم دُعِيَ في 1298 ليكون عمدة ميلانو، ولكنّه اغتيل في الطّريق إلى الأخيرة عبْر البندقية، على أيدي رجال أتزو الثامن مركز إيسته، وكان هو قد ناهضه.

[←487]

يقصد شارل الثّاني الأنجيّ، وكان يحكم منطقة «المارش» (بين الأينين والأدرياتيك).



[←488]

أنتينور هو الخائن الشهير في طروادة، كان دانتى يعتبره مثال الخيانة السياسيّة حتّى لقد سمّى باسمه آخر حلقات الجحيم («الأنتينورا»). وهو يضع هنا على لسان المعذّب المتكلم اعتقادًا بأنّ جميع أبناء يادو هم من أبناء أنتينور، علمًا بأنّ الأخير يُعدّ المؤسس الأسطوريّ للمدينة المذكورة.

[←489]

يقصد أتزو الثالث، مركيز فيزارا بين 1293 و1308.

[←490]

ميرا وأورياكو قرينان قرينان من يادو.

[←491]

هو بونكونتي دا مونتفلرو، بن غويدو دا مونتفلرو (أنظر «الجحيم»، الأَشُودَة السَّابِعة والعشرين، الأبيات 19-23). كان كأبيه من زعماء الغيلين، ولقي مصرعه في معركة كومالدينو في 1289.

[←492]

يقصد أنّ دمة لا تكفي للتكفير عنه، وأنّه ما دام الملاك أخذ شطره الخالد، أي روحه، فهو سيمارس عقوبته على الباقي منه، أي جسده.

[←493]

أني أنه صنع بذراعيه عندما مات علامة الصليب، ولكن حركة المياه العنيفة غيرت وضع الذراعين فأزالت الصليب.

[←494]

هي ييا تولومي، من سينا، تزوجت أحد زعماء الغيلف في ماريما، يروي أنه رماها من نافذة قلعة عن غيرة أو ليتزوج بسواها.

[←495]

كانت هذه اللعبة، التي تُدعى بالإيطالية Zara (من العربية «زهر») شائعة يومذاك في البيوت والساحات.



[←496]

هذا الأريزيي (نسبة إلى أريتزو في إيطاليا) هو بنينكاسا دي لاتيرينا، قانوني عاش في القرن الثالث عشر. عُين قاضيًا في سيينا، فحاكم بتهمة السرقة شقيق غينو دي تاكو وعمًا له، وكانا قد استوليا على قلعة في سيينا ونهبها جيرانها. فتربص به غينو ذاك وقتله في الطريق إلى روما وقطع رأسه. أما غينو دي تاكو فكان من أسرة نبلاء من فراتا، تمرّد على الكنيسة فأبعد، ولكنّه تصالح في آخر أيامه مع البابا بونيفاتشو الثامن، ومات مغتالاً.

[←497]

هو جوتشو دي تارلاتي، من زعماء الغبيلين في أريتزو، أُغريقَ في الأرنو فيما كان يقاتل العيلف.

[←498]

فيدريغو دي غويدو نوفلّو، من أسرة كانت منقسمة بين الغيلف والغيلين. هبّ لمساندة الغيلين في أريتزو ولقي مصرعه في كازنتينو عام 1289.

[←499]

هو فاريناتا بن مارتزو كو دلي سكورنيجيانى. كان أبوه قانونياً وفارساً شجاعاً، نجا ذات مرّة من أفعى فدخل على إثر ذلك في جمعيّة الرهبان الفرانتشيسكان. يروى أنّه، عندما اغتيل فاريناتا، ذهب بوالده هذا روح العفو إلى حدّ تقبيل يد القاتل. وفي رواية أخرى أنّه ذهب بنفسه لاستلام جثة ابنه من دون خشية من القاتل الذي كان شديد السطوة (بعضهم يرى فيه بوتشيو دي كايرونا، والبعض الآخر أوغولينو دلا غيراردسكا الوارد ذكره في «الجحيم»، الأنشودة الثالثة والثلاثين). وهذا هو ما يقصده دانتي: أنّ موت فاريناتا كان المناسبة لتظهر للجميع شجاعة أبيه مارتزوكو الطيب.

[←500]

الكونت أورشو دلي البرتي: قتله ابن أخيه انتقامًا لموت أبيه.

[←501]

طبيب جرّاح نال الحظوة لدى ملكي فرنسا لويس الحادي عشر وفيلبي الثالث. ولدى موت الأخير، اتّهم زوجته ماري دو برابان باغتياله لينتقل العرش إلى ابنها فيلبي الجميل. فدبّرت هي له تهمة الخيانة والرّاسل مع ألفونسو العاشر، ملك قشتالة الذي كان في حرب مع ابنها، فأعدم في 1278.

[←502]

ذروة الحكم هي العدالة الإلهية، التي يقول إنها لا يمكن أن تتأثر بالصلوات التي يقوم بها من أجل الموتى المعذبين أقربائهم ومحبيهم على الأرض. فالتكفير يتحقق بعد فترة من العذاب التطهيري تمرّ بها روح المعدب نفسه. ومع ذلك، فهذه الصلوات فائدة، بالسّرور الذي تُدخله على أنفس الخاطئين.

[←503]

يقصد أنّ هذه الصَّلوات، التي ذكرها في «الإبادة»، ما كانت يومذاك موجَّهة إلى الله لأنَّها كانت صادرة عن وثنيين.



[←504]

هو سورديلو أحد أهم شعراء التروبادور، وكان دانتي يكتب متأثرًا به نوعًا ما في فترة «الحياة الجديدة» (أنظر تقديمنا). ولد في غويتو، قرب مانتوا، في بداية القرن الثالث عشر، من أسرة نبيلة وفقيرة. صار شاعر بلاط في فيرونا، ثم في البروفنس الفرنسية، وصاحب شارل الأنجي في حملته على إيطاليا ضد مانفريد، والأرجح أنه توفي قبل 1273.

[←505]

لفظ فرجيليو اسم مدينته باللاتينيّة (Mantua بدل Mantoa)، وكان هذا كافيًا ليعرف سورديلو من هو مقابله وينهض لمعانقته.

[←506]

كان الإمبراطور يوستنيانوس (ولعلّه هو مَنْ قصده شاعرنا امرؤ القيس ينشد مساعدته في استرداد عرش أبيه ثمّ مات في الطّريق، وإليه يشير في قوله لصاحبه: «... إنّنا لاحقان بقيصرا») ، يدعو إيطاليا «مليكة الأقاليم»، وهذا ما يعارضه دانتي في أبياته الغاضبة هذه.

[←507]

إشارة إلى قانون يوستنيانوس الذي جمع فيه مختلف القوانين الرومانية لتسيير المعاملات في إيطاليا.

[←508]

هو ألبرت الأول، من آل هابسبورغ، إختير إمبراطورًا للدولة الرّومانيّة بين 1298 و1308، ولكنّه تنازل، كما فعل أبوه رودولف، عن ممارسة سيادته الفعلية على إيطاليا وعن الدّفاع عن حقوقه أمام البابوات.

[←509]

آل مونيكي وآل كاييليتي أسرتان، الأولى من الغيلين والثانية من الغيلف، كانتا متعاديتين وجعلتا من كامل لومبارديا مسرحًا لصراعاتهما. والأمر نفسه بالنسبة إلى آل موناودي (من الغيلف) وآل فيلييسكي (من الغيلين)، وهما أسرتان من أورفييتو.

[←510]

منطقة في ماريمّا قرب سينا، كان يحكمها آل ألدوبراندي، وقد اقتطعت سينا جزء من أراضيها القديمة نحو  
.1300

[←511]

في «جوييتر المصلوب من أجلنا» مثال على ما في نصّ دانتي من مزج شديد الإثراء بين رموز وثنيّة وأخرى مسيحيّة. ربما كان، على سبيل المجاز والخطاب الشعريّ، يدعو جوييتر إلى التّدخّل كما كان يفعل في الأساطير القديمة، أو لعلّه يرى في المسيح نوعاً من جوييتر جديد.



[←512]

على الأرجح كلاوديوس مارتشيّوس، القنصل الروماني في 50 ق.م.، والذي خصّه لوكانوس بملهاة، وكان مناوئاً لقيصر لصالح خصمه يوميّوس.

[←513]

أوكتافيوس هو الإمبراطور أغسطس قيصر الذي أمر بنقل رفات فرجيليو إلى نابلي.

[←514]

يُقَبَّلُ عند الرّكبتين، كما كان سائداً يومذاك.

[←515]

يقصد الفضائل الدّينيّة الثّلاث (في التّحديد المسيحيّ)، وهي الإيمان والرّجاء والمحبة. وتارةً تكون هي الحاضرة في «الكوميديا الإلهيّة»، وطورًا تحلّ محلّها أو تكملها الفضائل الأخلاقيّة الأربع (في تحديد الفلاسفة) وهي الاعتدال والحذر وقوّة النّفس وروح العدل.

[←516]

أي بعد اجتياز الباب المصنوع من معادن عديدة، وهذا ما سيحصل في الأشرطة التاسعة، فحتى الآن نحن في مدخل المطهر.

[←517]

الإمبراطور رودولف هو أبو ألبرت الألمانيّ (سبق ذكره في الأنشودة السابقة)، وكان دانيي يعدّه أحد الملوك المهملين. ملكٌ بين 1273 و1291.

[←518]

ملك بوهيميا بين 1253 و1278، كان عدو رودولف ولقي مصرعه في فيينا في القتال ضده.

[←519]

خلفَ أباه أوتوگار في 1278 وتوفي في 1305. يدين دانتي في «الفردوس» فجوره ورخاوته.



[←520]

المقصود بصغير الأنف فيليي الثالث الملقب بالمقدام. ساند مطامح شارل الأنجيّ على عرش صقلية، ولكنّ الأدميرال رودجيرو دي لاوروبا دمّر أسطوله. وبذلك يكون فيليي قد أخزى زهرة الزنبق، رمز العائلة الحاكمة الفرنسيّة.

[←521]

هو فيليي الجميل، خلفَ على عرش فرنسا أباه فيليي الثالث. يهاجمه دانتي في أكثر من موضع من دون أن يسميه، وذلك عن ترفّع وازدراء.

[←522]

هو يبير الثالث الأراغونيّ، ملك صقلية في 1282، يعزو له داني فضائل كثيرة.

[←523]

جاكومو الثاني، ملك صقلية في 1286 وأراغونا اعتبارًا من 1291، وفيدريكو ملك صقلية بين 1296 و1337.

[←524]

كبير الأنف هو شارل الأنجيّ، سبق ذكره، نجل لويس الثامن عشر ملك فرنسا، هزم مانفريد واستولى على نابلي.

[←525]

هما بياتريس البروفنسيّة ومارغريت البورغنديّة، زوجتا شارل الأوّل الأنجيّ.

[←526]

هي ابنة مانفريد وأرملة ييدرو الثاني الأراغوني، سبق ذكرها.

[←527]

هو هنري الثالث، ملك إنجلترا بين 1216 و1272، والصفة «بسيط» غير كافية الوضوح هنا، وقد يقصد بها دانتي أنّ هذا الملك اختار حياة البساطة.



[←528]

في «الحظّ الأوفر» تلميح إلى أدوارد الأوّل، ملك إنجلترا بين 1272 و1307، وقد أسبغ على المعاملات في بلده طبعة أكثر قانونيّة.

[←529]

هو غوليلمو السّابع، زعيم الغبّيين ومركز مونفيراتو. تصدّى لشارل الأنجيّ فثار عليه أهالي أليساندريا (شمالي إيطاليا) وأسّر ووضع في قفص من الحديد حتّى مات.

[←530]

من نشيد روحانيّ منسوب إلى القدّيس أمبروسيوّس (أمبرواز)، عاش في القرن الرّابع الميلاديّ، يلتمس فيه معونة السّماء ضدّ غوايات اللّيل.

[←531]

بهذا يتميز الملائكة عن سواهم، فسلّاحهم هو للدّفاع لا غير.

[←532]

ترمز هذه الأفعى إلى الشيطان، يُطرد كلّ يوم في هذا الضرب من المسرح المقدّس.

[←533]

هو نينو فيسكونتي، من أسرة مرموقة من بيزة، مناصرة للغليف، وهو ابن أخت الكونت أوغولينو دلا غيراردسكا «بطل» الأنشودة الثالثة والثلاثين من «الجحيم». كان نينو قاضياً في غالورا، حيث كاد يذهب ضحية خداع مساعده فراغوميتا وارتشائه (أنظر «الجحيم»، الأنشودة الثانية والعشرين)، ثم قاضياً في بيزة بين 1285 و1293. كان في تلك الفترة كثير التردد على فلورنسة حيث التقى دانتي. ويبدو دانتي هنا مبتهجاً عندما عرف أن نينو سلم من عذاب الجحيم.

[←534]

يقصد أرملته بياتريشي الإيستية، التي تزوّجت بعد مصرعه من جالياتزو فيسكونتي، من زعماء الغيلين وستُطرد معه من ميلانو. أما التُّقُب البيض فكانت علامات الجدّاد لدى الأرامل.

[←535]

الأفعى هي شعار ميلانو المرسوم على آلات الحرب، والدّيك شعار بيزة. ويقصد المتكلم (نينو) أنّ أرملة له لو كانت ظلت وفية له وللعيلف الذين كانوا أسياد بيزة، لوضع على قبرها شعارها المتمثل في الدّيك. أمّا وقد تزوّجت بعده من جالياتزو الميلانيّ، فسيوضع على قبرها شعار الأفعى. وقد وضع ورثة جالياتزو لاحقاً كلا الشّعارين على القبر، إمّا لتكذيب داني بعدما حققت «الكوميديا الإلهية» انتشاراً واسعاً لدى القراء، أو مدفوعين بمطامح وراثية في بيزة.



[←536]

الشُّعَلُ الثَّلَاثُ ترمز إلى الفضائل الدينيَّة الثَّلَاثِ (سبق ذكرها، وهي الإيمان والرَّجاء والمحَبَّة)، والنُّجُومُ الأربَعُ الواضحة إلى الفضائل الأربَعِ في تحديد الفلاسفة (الحذر وقوَّة النَّفس والاعتدال والعدل).

[←537]

هو الشَّيْطَان، يدعوه «العهد القديم»: «عدوُّنا».

[←538]

هو ابن فيديريكو الأول ومركيز فيلافرانكا في منطقة لونيديجانا؛ توفي في 1294.

[←539]

هي أورورا («الفجر»)، عاشقة تيتونوس، اختطفته إلى أثيوبيا وتزوجته، ونالت له من زفس (جوبيتر) الخلود  
ولكنها نسيت أن تسأله له الشباب الأبدى.

[←540]

يقصد عبء الجسد الإنساني، لأنه كان ما يزال حيّاً.

[←541]

غانيميد، في الميثولوجيا اليونانية والرومانية، ابن ملك «إليوم» (طروادة)، خطفه نسر بطلب من زفوس، من فوق جبل إيدا في فريجيا، ليصبح ساقياً في محفل الآلهة. ونرى أنّ هذا الحلم من لدن دانتي شديد الدلالة، لأنّ النسر يرمز إلى النعمة الإلهية فحسب، بل كذلك لأنّ عمل دانتي هذا كلّهُ إنّما هو مسيرة تصاعديّة ستقوده في النهاية إلى الفردوس التي سيجتاز عتباتها من سماء إلى أخرى.

[←542]

كانت ثيتوس قد اختطفت طفلها أخيل من القنطروس كيرون وأخفته في جزيرة اسكيروس حتى لا يشارك لدى كبره في حرب طروادة. إلا أنّ عوليس وديوميد سيكتشفانه ويأخذانه إلى الحرب.

[←543]

هي القديسة لوتشيا، شفيعة داني، التي تمثل العناية الهادية (واسمها يعني «المنيرة»)، هذه التي تعرّف الإنسان بما يحتاجه لخلاصه.



[←544]

كان التماس معونة القارئ أو شحذ انتباهه إجراءً معروفاً في الأدبيات المسيحية. إلا أن داني لا يجتذب انتباه القارئ إلى القيمة الرمزية لواقعة ما بقدر ما يدفعه إلى المشاركة في تذوق النشيد المتصاعد والأسلوب المتدرج العلو، في نوع من تحميس الذات والتذكير مرة تلو المرة بمصاعب رحلة اختراقية كهذه.

[←545]

الآتجاه بالنظر أو تسليطه على وجهة معينة دليل على الانبهار، وهو هنا إجراء فعال يدلّ على استعداد القوى  
التفسيّة وتأهبها.

[←546]

وجود المرمر هنا أساسيّ ويرمز للندم كطور أوّل للتوبة. البياض غياب لكلّ خطيئة أو شائبة، وهو حلم جميع هؤلاء التائبين ومسعاهم.

[←547]

الطّور الثّاني من التّوبة هو الاعتراف. واللّون المذكور يرمز لشعور المعترفين بالخزي.

[←548]

يرمز هذا اللون للمحبّة التي تطهّر قلوب التائبين.

[←549]

الألماس، بصلابته، هو رمز الثبات والمواظبة.

[←550]

في الأصل حرف p، وبه تبدأ مفردة peccato أي الخطيئة.

[←551]

لون الرّماد يرمز للتواضع.



[←552]

هما المفتاحان اللذان أعطاهما السيّد المسيح لبطرس، وهما يفتحان ملكوت السّماء. المفتاح الذهبيّ هو الأثمن، إذ يُعتقد أنّ الله صنّعه بيديّه. والمفتاح الآخر يتطلّب خبرة واستعداداً فطريّاً، وهو الذي يحلّ عقدة الخطيئة.

[←553]

يروى لوكانوس كيف أنّ قيصر، لدى وصوله إلى روما، طمع بأموال الخزينة العموميّة المحفوظة في تلّ تارپيا، فكّلف ميتيلوس، أحد أتباع پومپيوس، بحراستها. وبعدها طُرِدَ الأخير بالقوّة، أبدى باب الخزانة مقاومة شديدة ولكن انتهى الأمر بفتحه.

[←554]

وجد بعض الشّراح هنا إشارة إلى ما يحدث لدى الإصغاء إلى التّراتيل المصحوبة بعزف الأرغنّ من عدم فهم للكلمات بسبب اختلاطها بالألحان. ورأى آخرون إشارة أو استيحاءً للباب الشّهير الموجود حتّى اليوم في معموديّة القديس جوفاني في روما، والمصنوع في عهود روما القديمة من سبك سبعة معادن. وهو يُحدث لدي فتحه أو إغلاقه سلسلة من الأصوات المدهشة تبدو متضمّنة حتّى على الصّوت البشريّ.

[←555]

أي بحسب تعرّجات الصخر.

[←556]

أي من خمسة أمتار إلى ستة.

[←557]

پوليكليتوس نحات إغريقيّ عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. كان معروفاً في العصر الوسيط ويُعتبر أفضل نحات.

[←558]

هو جبريل وقد بدا في الحفر البارز محيياً مريم العذراء.

[←559]

استعادة لإجابة مريم أمام الملاك.



[←560]

يَصَوِّرُ الحِفْرَ البارزَ الثَّانِي نَقْلَ التَّابُوتِ المَقْدَسِ أو تابوت العهد من بيت أبينا داب إلى أورشليم، على عربة تجرّها الثَّيْران، ثمّ على أذرع الرِّجال.

[←561]

هنا إشارة إلى عزة اللاوي الذي رأيتابوت العهد يهتز فأراد أن يسندة بيده فمحقه الله لأنه لا يجوز أن يمسّ التّابوت المقدّس من لم يكن من الكهنوت. وهذا هو ما يقصده دانتي بالمهمّة غير المعهود به أو الدّور المسلوب سلباً.

[←562]

إشارة إلى رقص داود رافعاً ثيابه كي لا تعيقه عن الحركة، وبهذا الرقص أراد صاحب «المزامير» أن يبين عن أتضاعه أمام الله.

[←563]

ميكال هي ابنة الملك ساؤل المتكبرة، عاقبها الله بالعقم، وكانت تبدي سخطها عندما ترى زوجها داود يرقص للرب.

[←564]

يستعيد دانتي هنا أسطورة قروسطيّة مفادها أنّه، بفضل صلوات غريغوريو الكبير (القرن السادس)، نُقِلَ الإمبراطور ترايانوس (تراجان، 9٨-11٨ م.) من المطهر إلى الفردوس (وهذا هو النَّصر الكبير للقديس المذكور). ويدعم القديس توماس الإكويني ذلك ويفترض أنّ ترايانوس رُدّت له الحياة لبضعة أيّام ريثما ينعم بالعمو الإلهي. ويستعيد دانتي حكاية خلاص الإمبراطور في الأنشودة العشرين من «الفردوس».

[←565]

أي الله.

[←566]

يقدم دانتى هنا صورة عما كان سائداً في القرن الرابع عشر من محاكيات للصلوات تشكّل مراساً تقوياً وفي الأوان ذاته بلاغياً.

[←567]

تقرأ في «سفر الحكمة» (25،7) أنّ الحكمة «نفحةً من قدرة الله / وانبعثت خالصاً من مجد القدير».



[←568]

«الهوشعنا» (وتعني بالعبرية: «نَجْنَا») هي في البدء صلاة عبرانية تُرْتَل في المواكب، ثم تبنتها المسيحية فصارت تُنشد في عيد الشعانين الذي يُحتفل فيه بدخول المسيح أورشليم. كما تدلّ العبارة في اللغات اللاتينية، مجازاً، على كلّ صرخة فرح أو هتاف حماسة.

[←569]

غوليلمو ألدوبراندسكي اسم ما يزال حاضراً في ذاكرة أهل توسكانيا. من أسرة شهيرة في ماريما ناضلت في صفوف الغيلين، وبادلت مدينة سينا عداءً مستمرًا. وأومرتو ابنه، الذي يتكلم هنا، يواصل تأجيج العداء مستنداً إلى الفلورنسيين.

[←570]

أوديريزي دا غوبيو رسّام للمُتمنّات الدينيّة في بولونيا، عرفه دانتي، ولم يبق من أعماله شيء يُذكر.

[←571]

فرانكو البولونيّ هو الآخر رسّام منمنمات، عاش في بدايات القرن الثّاني عشر وكان يحظى بتقدير البابوات. لم  
تصلنا أعماله.

[←572]

يقصد عهد انحطاط وجهالة.

[←573]

تشيمابوي (تشيبي دي بيبي): مصوّر فلورنسي يُعتبر من أوائل مَنْ خرجوا على معايير الرسم في القرون الوسطى، توفي في 1302 ويروى أنّه كان شديد الاعتداد والغطرسة.

[←574]

جوتو (أمبرودجوتو دي بوندوني)، مصوّر فلورنسي، تلميذ لتشيمابوي و صديق لدانتي، ترك عنه رسمة محفوظة في متحف البارغلو بلفورنسة. توفي في 1337.

[←575]

غويدو الأول المقصود هنا هو غويدو كافالكانتي (1255 - 1300)، شاعر ومناضل فلورنسيّ معروف، كان الصديق الأقرب إلى دانتي وخاض معه مغامرة «الأسلوب العذب الجديد»، التيار الذي وضع أسس الشعر الإيطاليّ المحدث. وعلى صداقة الرّجلين، شارك دانتي في قرار خروج غويدو إلى المنفى لتخفيف التوتّرات السياسيّة في فلورنسة. وسيلحقه هو نفسه إلى المنفى بعد هزيمة الغيلف البيض. أمّا غويدو الثّاني فهو غويدو جوينيتزيليّ (1223 - 1276)، وكان في طليعة الشعراء في بولونيا. يقصد دانتي أنّ كافالكانتي فاق جوينيتزيليّ وأنّ من سيفوقهما مولود من قبل (دانتي نفسه).



[←576]

استخدم دانتى هنا مفردتين من القاموس العامي لصغار فلورنسة هما «pappo» و«dindi»، ينطق الصّغير بالأولى لطلب الطّعام وبالثّانية لطلب النّقود. والمعنى في الفقرة واضح: ما الفرق بين موت الإنسان شيخاً وموته صغيراً؟

[←577]

هو پروفنتزانو سافاني، كان على رأس «الغِبِلين» في سيينا عندما هزموا «عَيلف» فلورنسة في واقعة مونتابرتي. ولقي مصرعه في واقعة التلّ في وادي إلسا وقطع رأسه. وعندما عاد العَيلف من المنفى إلى مدينتهم، أحرقوا بيته وعملوا على محو ذكره.

[←578]

الذي أخرجهُ من التربة طرِيّاً هو الله. وهذه من أبيات داني الشّهيرة في تقريع البحث عن الشّهرة وفي التأكيد على زوالها خاصّةً عندما يقصدها المرء لِذاتها.

[←579]

كان صديق لپروفنتزانو هذا قد اعتُقل بأمر من شارل الأنجيّ. فتنازل پروفنتزانو عن كبريائه وقام بالتسوّل من أجله في ساحة «الكامپو» في سيينا. وبهذا الصنيع وجد طريقه إلى المطهر بدل أن يذهب إلى الجحيم.

[←580]

برياروس أحد العماليق الذين انتفضوا على الآلهة وهاجموا الأولمپ.

[←581]

تيمبريوس هو لقب الإله أبولون، مأخوذ من المعبد المكرّس له في تيمبرا.

[←582]

إشارة إلى ذهول نمرود وجنونه بعد انهدام برج بابل وولادة الألسن المتعدّدة.

[←583]

إنيوبي هي ابنة تانتالوس وأمفيون، كانت شديدة العُجب بجمالها وأبنائها الأربعة عشر، تفاخرت على لاتونا زوجة زفس، فدفعت هذه ابنيها منه، أپولون وديانا، إلى قتل أبناء إنيوبي بسهامهما. فتبلى عقل إنيوبي وأفقدھا الحزن صوابها.



[←584]

شاول أول ملوك اسرائيل، تخلى عنه الله لمعصيته، فهزمه الفلسطينيون في جبل جلبوع، ولما رأى أبناءه الثلاثة يتهاوون، أسقط نفسه على سيفه منتحراً.

[←585]

تحدّث أركاننا ميئزفا فمسختها هذه إلى عنكبوت (سبق ذكرها).

[←586]

رحبعام هو ابن سليمان وخليفته. انتفض عليه شعبه، فانهزم إلى أورشليم في عربة.

[←587]

ألكمايون هو ابن العزّاف أمفياروس. كان الأخير يعرف أنّه سيلقى مصرعه إذا شارك في حرب طيبة، فاخْتَبأ في موضع لا يعرفه أحد سوى زوجته إريفولي. ولكنّ إريفولي دلّت على موضعه مقابل قلادة ثمينة، فقتلها ابنها ألكمايون انتقاماً لأبيه.

[←588]

سنحاريب هو ملك آشور الذي قتله ولداه في المعبد على إثر هزيمته أمام جيش العبرانيّ حزقيا.

[←589]

تاميريس ملكة إسكيتيا. كان قورش ملك الفرس (560-530 ق.م.) قد قتل ولدها، فحاربتة وقتلته ووضعت رأسه في إناء مليء بالدم قائلةً له: «فلتكرغ من الدم الذي طالما كنت شديد الظمأ إليه».

[←590]

تقرأ في «العهد القديم» أنّ أوليفانا كان قائد جيوش نبوخذنصر، وأنّ يهوديت أوقعت به وقطعت رأسه.

[←591]

«إليوم» (وكذلك «إليون») هو اسم آخر لطرودة، سبق أن استخدمه دانتي في الجحيم (الأنشودة الأولى).



[←592]

يقصد بهذه الوصيفة السّاعة السادسة، أي أنّ ستّ ساعاتٍ مرّت منذ الفجر، فالوقت آنذاك منتصف الظهيرة.

[←593]

المقصود بالمدينة المُحسنة قيادها فلورنسة، وهنا سخرية. الكنيسة هي كنيسة سان مينياتو. أمّا جسر روباكونتي فيُدعى اليوم Ponte delle Grazie («جسر الرحمة»).

[←594]

مقولة معروفة للسيد المسيح، و«المساكين في الروح» تعني خفاف العقل.

[←595]

مسح الملاك بلمسة من جناحه إحدى «الپاءات» السبع التي كان حارس مدخل المطهر قد وسمها على جبين دانتي، والتي تدلّ على الخطايا السبع. وهذا ما سيحدث لدى الخروج من كلّ حلقة، أي أنّ دانتي يكفّر لدى المرور بكلّ حلقة عن الخطيئة المعاقب عليها أصحابها في الحلقة نفسها.

[←596]

وضعها باللاتينية، وهي كلمات مريم العذراء في أعراس قانا، بها دفعت السيد المسيح إلى إحداث معجزته الأولى محوّلًا الماء إلى خمر.

[←597]

عندما وصل أوريستس إلى أرغوس لينتقم لأبيه، يصحبه صديقه پيلاديس، وأوقفا، قال پيلاديس: «أنا أوريستس» ليهلك بدلَ صديقه، ثم نجا الاثنان.

[←598]

تسخر من نفسها لأنَّ اسمها مشتقٌّ من الحكمة، وما كانت بالحكيمة. هي عمّة يروفتزانو سالفاني (سبق ذكره). يروى أنَّها نُفِيَتْ من سيينا، فامتلاً قلبها حقداً على المدينة حتّى لقد شعرت ببالغ السّرور عندما انهزم أهل سيينا أمام «غَيْلف» فلورنسة.

[←599]

إشارة إلى هجوم الغيلف الفلورنسيين الطّافر على غِبْلين سينا في تلّ كولي في وادي إيلسا في الثّامن من حزيران  
.1269



[←600]

هو يبير يتيناو، كان يبيع الأمشاط في سينا فلحقه لقب المهنة هذا. التحق بالزهبان الفرانتشيسكان وعُرف بالأمانة حتى عدّه البعض قديسًا. توفي في 1289، وكانت سايا تُحسن إليه.

[←601]

أي في حلقة المتغطرسين، وتقع أدنى من هذه.

[←602]

قرية اشترتها مدينة سيينا بمبلغ ضخم للإفادة من مينائها، وأخفق المشروع في البداية بباعث من وباء المكان وانتشار الملاريا فيه، ثم تم إصلاحه، ومن هنا التّعير عن الأمل في الإفادة منه.

[←603]

نهر ديانا: مشروع آخر عاثر لأهل سيينا يسخر دانتي منه. فقد شاع أنّه تحت أرض سيينا، التي كانت تفتقر إلى الماء، يجري نهر جوفيّ بهذا الاسم. ولقد أنفق السكّان أموالاً طائلة للعثور عليه، ولكنّ عبثاً.

[←604]

بيت اختلف حوله الشراح. فهل يسخر داني هنا من رجال البحرية أو مهندسيها الذين أنفقوا عبثًا على ميناء تلاموني وربما هلك الكثير منهم بسبب الملاريا (لكن لم في هذه الحالة صياغة الفعل على المستقبل؟)، أم تراه يلمح إلى أنهم لن ينالوا أبدًا أسطولًا قويًا؟

[←605]

يقصد نهر الأرنو، يسمّيه هكذا جدولاً باسم جزئه الأوّل.

[←606]

إشارة تهكمية إلى سيرسي، ساحرة الجزيرة التي وطئها عوليس صحبة رجاله، فحوّلت الأخيرين إلى خنازير. ولكنّ عوليس نجا من سحرها وأجبرها على إعادة الهيئة البشرية لرجالها.

[←607]

الخنازير هي التي تتغذى على ما يسقط من البلوط في أرض الحقول. وفي رأيه أنّ أهل الكازنتينو الأعلى صاروا خنازير فلزمهم غير الغذاء الذي يهضمه البشر.



[←608]

يقصد أهل أريتزو، وكانت هذه صفة تُطلق عليهم جماهيرياً.

[←609]

يقصد أهل فلورنسة، لجشعهم، والدّئاب لديه أسوأ من الكلاب.

[←610]

يقصد أهل ييزة، يتبى هنا أيضًا صفة ملصقة بهم جماهيريًا.

[←611]

هو فولتشييري دا كالبولي، كان عمدة في ميلانو ثمّ في يارما ومودينا ففلورنسة في 1303، وقد أباد الكثير من رجال كلا الحزبين (الغَيْلف البيض والغَيْلِين).

[←612]

من رافينا، وكان قاضيًا في مدن عديدة من رومانيا.

[←613]

يقصد الأملآك المادية التي يستصعب البشر اقتسامها؁ ولذا فالأولى بهم الأتجاه إلى الخيرات الروحية التي تظل ملك الجميع (لكن تظل هناك حالة البخلاء بالعلم والباطنيين القائلين بضرورة حجب المعرفة!).

[←614]

هو رينييري دي كايولي، عمدة يارم في 1252. نُفي ولقي مصرعه في معركة بين مختلف «الكومونات».

[←615]

من أمراء فوري، وكان من «العَيْلف».



[←616]

من برتينورو، صديق لغويدو دل دوکا كان يُوصف بالكرم والحكمة.

[←617]

أحد كبار سادة رافقينا، من حزب «الغيبلين». عُرفَ بالسَّخاءِ والجِلمِ.

[←618]

من منوتيفيلترو، كان سخياً أيضاً، وتوفي في 1280.

[←619]

زَعِيم «الغِبْلِينَ» فِي رومانيا، كان سياسياً محنّاً، وتوفي نحو 1259.

[←620]

حامي عن فاينترا أمام فريديريك الثاني في 1240، وكان قاضي القضاة في ييزه ثم في سينا.

[←621]

من فاينترا. لم يخلف آثارًا ذات بال.

[←622]

توسكاني، عاش في رومانيا.

[←623]

من ريميئي، كان كريماً وذا شعرٍ أشقر جميل، لُقّب بالأقرع (تينيوزو) على سبيل المداعبة.



[←624]

كُتِبَا مِنْ الْأَسْرِ النَّبِيلَةَ فِي رَاقِينَا.

[←625]

قلعة في وسط رومانيا.

[←626]

بلدة صغيرة قرب رافينا، كان يحكمها آل مالفتيشيني.

[←627]

بلدة في وادي مونتوني.

[←628]

بلدة تقع قرب إيمولا.

[←629]

من أمراء فاينتزا.

[←630]

نبيل من فاينترا.

[←631]

العبرة التي كان قابيل يردها بعد قتله هابيل.



[←632]

هي ابنة كيركوبس، ملك أثينا، عارضت زواج عطارد من شقيقتها هيرسيه، فمُسختُ حَجْرًا.

[←633]

أي أن الشَّمس ستغرب بعد ثلاث ساعات. فالسَّاعة في المطهر هي الثَّالثة، وفي إيطاليا («هنا»، حيث «رجع»  
دانتي ليكتب كوميدياه) هي منتصف اللَّيل..

[←634]

الرّحمة تأتي في إنجيل متى في المرتبة الخامسة («طوبى للرّحماء»، 7 / 5)، وهي موضوعة بالتّضاد مع الحسد.

[←635]

تنويع على مٓى 5/12: «افرحوا وابتهجوا: إنّ أجرکم في السموات عظیم، فهكذا اضبطهد الأنبياء من قبلکم».

[←636]

إشارة إلى غويدو دل دوکا (انظر الأَشْوَدة السَّابِقة).

[←637]

يقصد الندوب السبعة التي خَطَّها حارس بؤابة المطهر على جبينه، والتي تقابل الخطايا السبع.

[←638]

استعادة للحادث الذي تفتقد فيه مريم يسوع ثم تجده جالسًا في الهيكل بين العلماء. وكانت أولى كلماتها له (كما لدي دانتي في الأبيات التالية) هي: «يا بنيّ لمّ صنعتَ بنا ذلك؟» (إنجيل لوقا، 2 / 41-52).

[←639]

فصل من حياة ييسُتراتوس، طاغية أثينا في القرن السادس ق. م.، الذي امتنع عن معاقبة الشاب الذي قبّل ابنته علناً مسيئاً بذلك لشرفها، بل أكثر من ذلك زوّجها إيّاه. وواضح أنّ روح زوجته تخلط هنا في هديانها بين زوجها ودانتي الذي رأته يقترب منها. وإلى هذا تشير إجابة فرجيليو التالية لها بأنّه لا يحمل لها إلاّ المحبّة.



[←640]

إشارة إلى رجم القديس إسطفانس، أول شهداء المسيحية، على أيدي الفريسيين («أعمال الرسل»، 7/60-54).

[←641]

استعادة مكثفة لإحدى الصلوات الطقوسية المسيحية.

[←642]

يخمن وضعيّة دانتي كإنسان ما برح حيّا يُررّق وما يزال مرتبّطًا بطريقة الأرضيين في حساب الزّمن بالشّهور والسّنوات.

[←643]

أحد رجال البلاط، لمبارديّ الأصل، من الجيل السّابق لجيل دانتي، كان يُعدّ صاحب حكمة وتجربة.

[←644]

يقصد أنّ بعض النّاس يعزّون خطيئة الفساد إلى تأثير الكواكب، والبعض الآخر إلى الإرادة البشريّة.

[←645]

تحريم شريعة موسى تناول لحم الحيوانات غير المجترّة وغير الحائزة على حوافر مشقوقة. وفي التفسير الأليغوري الاسكولائيّ، يدلّ الحافر المشقوق على التعقل أو التبصر الذي يوجّه الفعل. وبتشخيص أكثر، فالاجترار يدلّ على المعرفة، والحافر المشقوق على التمييز بين الرّوحيّ والزميّ.

[←646]

هاتان الشَّمسان هما البابا والامبراطور. كان دانبي في نظريته البالغة الجرأة في مرآة عصره، التي يعرضها في كتابه «في الملكيّة»، ينادي باستقلالهما الواحد عن الآخر. فالسلطة الرّوحية والرّمنيّة تدور كلُّ منهما في مدارها الخاصّ. وكان في كتابه المذكور يدعوهما بالشَّمس والقمر للتمييز بينهما، والآن يؤكّد على تكافؤهما بدعوته إيّاهما بالشّمسين.

[←647]

إشارة إلى فريديريك الثاني، الامبراطور الجرمانى الأصل الذي بدأت مشاحناته مع البابا في لمبارديا، والذي تعرضت قوآته للهزيمة في 1248 أمام ياليرما حيث كان القاصد الرسولى معتصمًا.



[←648]

من بريشيا، كان نائب شارل الأنجي الأول، ثم قاضي القضاة في فلورنسة في 1276، فقائداً للغيلف في 1277. وكان معروفاً بسخائه.

[←649]

هو غيراردو دا كامينو، أمير تريفيسو من 1283 حتى وفاته في 1306. كان راعياً، بل حامياً للفنانين والأدباء، ولا بدّ أن يكون دانتي عرفه.

[←650]

من أسرة آل رويرتي، من زعماء «الغِبْلين» في ريجيو إيميليا. وكان الفرنسيون هم مَنْ وهبوه هذا اللقب (بمعنى «المتواضع»).

[←651]

من أسباط إسرائيل، كُفِّوا بالأعباء الكهنوتية وحُرِّمَت عليهم الحيازات الماديَّة حتى لا يفسد الكهنوت بحكم العادة والتشبُّث بالأُملاك الدنيويَّة.

[←652]

كانت غايا، ابنة غيراردو هذا، معروفة بجمالها الفائق ومغامراتها الغزلية، فخلّفت صبيًا تضاربت فيه الآراء، ممّا يفسّر تردّد المتكلم في تسمية أبيها.

[←653]

هو ملاك السّلام، القيّم على مخرج إفريز سريعي الغضب.

[←654]

المخيلة مقصودة هنا باعتبارها الملكة القادرة على توليد الصور بخاصة.

[←655]

هي بروكنيا، التي دفعها غضبها على بعلها توروس، ملك تراسيا، إلى قتل ابنهما وإطعام زوجها من لحمه، فمسختها الآلهة إلى طائر.



[←656]

هو هـامان، وزير أحشورُش («العهد القديم»، سفر أستير، 2 وما يليها). انظر الحاشية التّالية.

[←657]

أحشورُش ملك الفرس. كان وزيره هامان قد غضب من مردكاي، عمّ أستير، فقرّر إبادة اليهود. فنالت أستير من الملك القضاء على هامان وقتله.

[←658]

هي لافينيا، ابنة لاتينوس ملك لاتيوم. كانت مخطوبة لتورنوس وتزوجت من إنياس، فانتحرت أمها الملكة أماتا غضبًا.

[←659]

هو مرّةً أخرى ملاك السّلام، القَيِّم على مخرج إفريز سريعي الغضب.

[←660]

«طوبى للسّاعين إلى السّلام، فإنّهم أبناء الله يُدعون» (إنجيل متى، 5/9).

[←661]

لا يقوم تصنيف الأرواح في المطهر على الخطايا بل على التّوازع الأصليّة، وينطلق من تحليل للميول وأصناف المحبّة التي هي منبع كلّ فضيلة وكلّ رذيلة. والمحبّة الطبيعيّة أو الغريزيّة لا تعرف الخطأ، أمّا المحبّة العقليّة، التي تصدر عن اختيار، فيمكن أن تخطئ، وذلك بالشّكالات التي يشرحها فرجيليو في الأبيات التّالية.

[←662]

أي أنّ النّفس البشريّة تحمل في داخلها الاستعداد الكامن للمحبّة. وهي تنزع إلى كلّ شيء يسرّها ما إنّ تحدو بها المتعة التّاجمة عنه إلى ترجمة استعدادها الكامن إلى فعل.

[←663]

أي الفلاسفة.



[←664]

هذه القدرة النبيلة هي العقل مفهومًا كمرشد لأفعال الإنسان. وهذا هو ما تدعوه بياتريشي، باعتبارها صوت  
اللاهوت، بـ «الاختيار الحرّ».

[←665]

قرية هي مسقط رأس فرجيليو، قرب بلدة مانتوا.

[←666]

نهران في بيوتيا (وسط اليونان)، تقول الأسطورة إنّ أهل طيبة كانوا يمارسون على ضفافهما طقوسهم الإيروسية تحت حماية باخوس.

[←667]

إشارة إلى ذهاب مريم إلى الجبل لزيارة ابنة عمّها أليصابات، أمّ يوحنا المعمدان (إنجيل لوقا، 1/39).

[←668]

كان قيصر قد عهد لبروتوس بمهمة إخضاع مرسيلية المتمردة واتجه هو إلى ليريدا في إسبانيا ليحاصرها.

[←669]

إنَّ رغبة المتطهّرين في إنهاء فترة أحكامهم والصّعود إلى الفردوس السّماوي تُملي عليهم ما يُشبهه ناموسًا أو قاعدة سلوكيّة تدفعهم إلى الحرص على الاضطلاع بالعقوبات المفروضة عليهم طول الوقت وبأسرع ما يمكن. ولذا يعتذر المتكلّم عن عدم تمكّنه من البقاء أطول.

[←670]

هو غيراردو الثاني، رئيس دير القديس أنتزينو (زينون) في عهد فريديريك بارباروسا. لم يترك آثارًا، ويُروى أنه كان كسولًا وبديئًا.

[←671]

دمر بارباروسا ميلانو في.



[←672]

هو جوسيه بن إبرتو دّلا سكالّا، أمير فيرونا. كان لقيطًا وعلى شوّه في الخلقة.

[←673]

يقصد بالقوم الأوائل (الثلاثية السابقة) العبرانيين الذين أحجموا عن اتباع موسى فهلكوا، وفي الثانيين الطرواديين من رفاق إنياس الذي رفضوا اتباعه حتى إيطاليا وتوقفوا عند صقلية فلم يشاركوه مجده.

[←674]

ينثر الرمالون (أو الضاريون بالرمل) حفنة من الرمل أو التراب على الأرض أو على ورقة كيفما اتفق، وبحسب الصورة الطالعة يقرأون المستقبل أو الحظ. فإذا جاءت الصورة مشابهة للنصف الأول من برج الدلو أو للنصف الثاني من برج الحوت اعتبروها علامة فأل حسن وبشارة بثروة أو نجاح قادمين.

[←675]

هذه المرأة الشَّوهاء ترمز إلى ضروب الجشع الثلاثة: البخل والنَّهم والانقياد المفرط إلى شهوة الجسد، التي يُنطَهَر منها في الأفاريز العليا من المطهر. وسيدعوها فرجيليو في أبيات لاحقة بـ «السَّاحرة القديمة» لأنَّها تمثِّل، في نظر القديس بنفنونو، الغاوية التي حرفت الإنسان عن جادَّة الصَّواب في بدء الرِّمان.

[←676]

تساءل الشّراح إذا كانت هذه المرأة التي تظهر لتزيل عن دانتي خطر غواية عروس البحر أو النّداهة ترمز إلى بياتريشي (كيف لم يعرف دانتي في هذه الحالة محبوبته؟) أم إلى مريم العذراء أم إلى القديسة لوتشيا. ورأى آخرون أنّها قد تمثّل تجسيمياً للعقل أو الفلسفة أو الحقيقة أو العناية الإلهية أو العدالة أو الرّحمة... المهمّ هو أنّ صورة مباركة وحارسة تطلع له في اللحظة المناسبة لتحذيره وإنقاذه.

[←677]

طوباوية مرصودة للكسالى والمتباطئين في فعل الخير الذين يركضون في المطهر باكين ويعملون على تدارك ما فاتهم من الزمن (أنظر الإنجيل كما رواه متى، 5، 5).

[←678]

تشكّل المدارات العليا ما يشبه «فخّاً» به يوجّه الخالق نظرة الإنسان إلى خيرات السّماء. والصّورة مأخوذة هنا من مشهد مطاردة الطّائر.

[←679]

عبارة من المزمور الثامن عشر بعد المائة. ويرمز الالتصاق بالتراب إلى التعلّق بالممتلكات الأرضية وأكثر الحيازات فساداً.



[←680]

المتكلم هنا هو أدريانو الخامس. وهو ينطق بعبارته الأخيرة باللاتينية، اللغة الرسمية للبابوات. كان معروفاً بجشعه ومحبته للمال، وقد انُخب للعرش البابوي في 15 تمّوز 1276، وتوفي بعد ذلك بثمانية وثلاثين يوماً. وسيشير دانتى إلى وجازة هذه الفترة في المقطع ما بعد التالي الذي يتحدّث فيه أدريانو هذا عن ثقل ثوب البابا وما يزعمه من صعوبة الحفاظ على الظهر.

[←681]

الجدول المقصود هو لافانيا، وكان لقب أسرة أدريانو الخامس هو الكونت ده لافانيا.

[←682]

إشارة إلى كلام السيّد المسيح في إنجيل متى 12، 29 - 30: «بعد النّشور لا يزوّج بنو الإنسان ولا يتزوّجون أبداً، بل يكونون في السّماء كمثّل الملائكة». ويطبّق داني هذه الكلمات على البابوات في العالم الآخر فيوحي بأنّهم لن يُدعوا «أزواج الكنيسة» ولن يكون لهم من حقوق خاصّة بل سيموتون أسوّة بسائر البشر.

[←683]

زوجة مورويلو مالا سبيننا، أحد حُماة داني في سنوات منفاه الأولى، وكانت ورعة ومُرشدة

[←684]

حرصتُ على الحفاظ على هذه الصّورة الشعريّة التي يقصد منها دانتي أنّه ابتعد عن أدريانو الخامس قبل أن يكتفي من الحديث معه، لأنّ رغبة أدريانو (الإمعان في البكاء ابتغاءً للتّوبة) تعلقو في الفضل على رغبته هو في مواصلة تجاذب أطراف الحديث.

[←685]

هنا تعاود الظهور الدّئبة التي سمّاها دانتي في الأنشودة الأولى والتي ترمز إلى الجشع. وهو يدعوها بالقديمة لأنها ظهرت مع ظهور الإنسان.

[←686]

المقصود بهذا الذي سيُطرد الدّابة من الدّنيا هو «السلوقيّ»، رمز المخلّص، المسمّى في الأنشودة الأولى من «الجحيم» أيضاً.

[←687]

هو كايوس فابريسيوس، الحاكم الروماني في 282 ق.م.، رفض الرّشوة التي عرضها عليه بيروس ملك أيروس في أثناء مفاوضات السلام معه. مات فقيراً إلى حدّ أن تكفّلت الدولة بشراء قبر له ودفن مهر بناته.



[←688]

هو القديس نيقولا، من باري، راح يربي طيلة ثلاث ليالٍ متتالية مبالغ من المال إلى نافذة أحد رجال بلدته كان عاجزاً عن تديير مهر بناته الثلاث.

[←689]

هو هوغ كاپيه، مؤسس أسرة آل كاپيه التي حكمت فرنسا بالمال والخداع وزيجات المصلحة طوال الحقبة الممتدة بين 987 و1328. كان كاپيه هذا دوق فرنسا ومقاطعات عديدة، وسيصبح ابنه، الحامل هو أيضاً اسم هوغ كاپيه، ملك فرنسا بين 987 و996. وكان دانتي يمقت هذه الأسرة لتدخلها في شؤون فلورنسة وحؤولها دون تتويج هنري السابع امبراطوراً، هو الذي كان دانتي يحضه تقديراً كبيراً ويأمل تحقق العدل والسلام على يديه.

[←690]

هذه مدن من بلاد الفلاندر، المتقاسمة اليوم بين فرنسا وبلجيكا، كانت أعلنت عصيانها على المملكة الفرنسية وجابها فيليب الجميل فكبدته هزيمة فادحة في كورتريه في 1302.

[←691]

كان الاعتقاد سائداً في عهد داني أن كاپيه هذا، المعروف بتحدّره من أسرة أدواق، كان ابن قصاب أو حفيد قصاب، ربّما من جهة أمّه.

[←692]

لم يكن آخر الملوك الكارولنجيين، سابقى آل كاپيه فى الملك، هو من ترهب، بل شلريك الثالث، آخر الملوك المبروفنجيين، الذى عزل وأنهى حياته فى دير. لكن أشيع أيضاً أن هوع كاپيه، ابن المتكلم، قد ألقى القبض على منافسه شارل دوق اللورين وآخر سليلي شارلمان وأودعه السجن.

[←693]

يقصد تزوّج أبنائه من بنات رايمون بيرانجيه، عمدة البروفنس (جنوب فرنسا)، وكنّ ملكات.

[←694]

يجمع داني هنا على سبيل التكتيف حيازات غير شرعية قامت بها السّلالة المعنّية في تواريخ متباينة.

[←695]

سخرية مزدوجة من قبل دانتي، عبر تكرار الصيغة وبالإلماح إلى أنّ شارل الأنجيّ، حفيد كاپيه هذا، كان يكفر عن كلّ خطيئة بخطيئة أخرى ويتبع الأذى بالأذى. فبعدما قاتل شارل الأنجيّ مانفريد وقضى عليه، قتل ابن أخيه كورادان، وهو صبيّ في السادسة عشرة جاء يطالب بعرش عمّه. كما يُتَّهَم شارل نفسه بالقضاء على القدّيس المعروف توماس الإكوينيّ بسمّ يكون دسّه له.



[←696]

يقصد شارل القاليّ الذي دخل إيطاليا بسلاح وجيش، ولكنّه دخل فلورنسة بدعم دبلوماسيّ مكثّف. وبزُبح يهوذا إنّما يقصد الخيانة.

[←697]

هنا قراءتان ممكنتان. فهو يبقر فلورنسة نفسها، أي عامّة أهاليها، وكذلك ما كان يُدعى شعبياً «بطن المدينة»، وهو حزب العَليف البيض الذي كان ظافراً فيها.

[←698]

تعرض شارل الأنجيّ الثّاني إلى الهزيمة بحراً في عرض سواحل نابلي في 1284.

[←699]

زهرة الزنبق، وقد سبق ذكرها، هي شعار الملكية الفرنسية. وهنا تلميح إلى ما فعله فيليب الجميل بالبابا بونيفاتشو الثامن، الذي كان هو في خلاف معه حول استقلال التاج الفرنسي عن السلطة البابوية. أرسل فيليب هذا بعض أتباعه ليلقوا القبض على بونيفاتشو في كنيسة قرية ألانيا قرب روما، وليحتجزوه ويذكروه بممارسة السمعية (المتاجرة برفات القديسين وصكوك الغفران). وتمكن البابا من الهرب بمساعدة سكان القرية، ولكنه سيموت بعد أيام سوعاراً وكمدأ. وعلى كل كره دانتى للبابا المذكور، فهو يعلن هنا عن احتجاجه على اعتقاله، إذ يظلّ يمثّل في نظره نائب المسيح على الأرض، ويمكن مقارنته بإنالة الامبراطورية استقلالها لا باحتجازه. وفي المقطع التالي إشارة إلى ما يرد في إنجيل متى من أن المسيح صُلب مع لصين، كأنه من «مجري الحق العام». ولكن لعلّ دانتى يقلب هنا التلميح فيشير إلى تابعي فيليب الجميل اللذين قاما باعتقال بونيفاتشو بأمر منه، وهما غيوم دو نوغاريه وسيارا كولونا.

[←700]

يقصد فيليب الجميل (أنظر الحاشية السابقة)، يشبّهه بالحاكم الرومانيّ الذي حاكم السيّد المسيح وحكم عليه بالموت بتحريض من أعدائه.

[←701]

يقصد مريم العذراء.

[←702]

ملك صُور الذي قَتَلَ بالغدر صهره وعمّه للاستيلاء على ممتلكاتهما.

[←703]

ملك فرينيا الأسطوريّ الذي نال من باخوس القدرة على تحويل كلّ ما تمسّ يده إلى ذهب.



[←704]

الصَّحْكُ إِذَا لَمَّا أوردَه أوفيدديوس عن أذنيه أذني الحمار، أو لأنَّ عاقبته تمثَّلت في الموت جوعاً بالرَّغم من القدرة التي نالها من باخوس على إرضاء نهمه (الحاشية السابقة).

[←705]

سرق عخان قسماً من غنائم العبرانيين بعد الاستيلاء على أريحا، فُرِجِم.

[←706]

حاولت سفيرة وبعلاها حنانيا الاحتفاظ ببعض أموال الشعب المسيحي، فضريهما الله بالصّاعقة وخرّا ميّتين أمام القديس بطرس.

[←707]

حاول سرقة كنوز هيكل أورشليم مبعوثاً من لدن سلوقس الرابع ملك سوريا، فظهر له فارس غامض (أم ملاك؟) واضطره للهرب تحت رفسات جواده.

[←708]

پوليمنستور: أرسل إليه پريام ملك طروادة ابنه پوليوودوروس ومعه كمية كبيرة من الذهب فقتله غيلةً ليستولي على الذهب. وقد أماتته هيكوبا، أم القتيل، بعدما أعمته (ترمز في «الإلياذة» وبعض التراجيديات إلى الألم الأمومي).

[←709]

هو قاتل قيصر. كان من الأبطال الرومان، ولكن جشعاً وللمال محبباً.

[←710]

هربت لاتونا في الأسطورة من غضب يونون وراحت تبحث عن مكان لتلد فيه ديانا وأبولون (المنعوتين هنا بـ «عيي السماء»)، فثبت لها جويتر جزيرة ديلوس العائمة بالأصل في عرض البحر.

[←711]

يقصد النّشيد الذي تلاه الملائكة عند ولادة السيّد المسيح وسمّعه الرعيان.



[←712]

هي مَن سقت يسوع من ماء بئر يعقوب، فسقاها هو من ماء الحقيقة.

[←713]

إحدى ربّات القدر. يقصد أنّ أيامه لم تدرك بعدُ نهايتها.

[←714]

هي إيريس، رسولة الآلهة، تنزل وتصعد بمعونة قوس القزح.

[←715]

هو الامبراطور الروماني المعروف لدى قراء «الكتاب المقدس»، حاصر اورشليم وهدم المعبد انتقاماً لمقتل السيد المسيح.

[←716]

پوبلیسوس پاپیلیسوس ستاسیوس (45 - 96 م.)، شاعر لاتینی من ناپلی (وان شاع أنه من تولوز، كما یرد هنا لدي دانتي)، من أهم أعماله «أنشودة طيبة» و«أنشودة أخيل» التي توفي قبل أن يتمها (وإلى هذا يشير شبحة في كلامه).

[←717]

يبيدي استعداده لقضاء سنة أخرى في المطهر من أجل ملاقة فرجيليو، مع أنّ المطهر يشكّل بالقياس إلى الفردوس منفى.

[←718]

إشارة إلى إنجيل متى (5/6): «طوبى للعطاش للعدل».

[←719]

شاعر ساخر معاصر لستاسيوس.



[←720]

يقتبس دانتي هنا تقريع فرجيليو للذهب («الإنياذة»، الكتاب الثالث، 56 - 57)، معدّلاً إياه نحو معنى الاعتدال في طلب المال، بل ربّما حوّله مجازاً إلى الرّغبة في ملاقة الله.

[←721]

يكون التكفير في المطهر عن كلّ خطيئة بالعقاب المخصّص للخطيئة المقابلة لها، كتقابل البخل والتبذير هنا.

[←722]

الإشارة هنا إلى فرجيليو عبر قصائده المعروفة بـ «الرّعويّات» أو «الرّيفيّات»، وتكاد شهرتها تضارع شهرة ملحّمته «الإنّيّادة».

[←723]

هي أم أوديب، وحنها المزروج هذا لولادة ابنيها من السفاح المحرم إتيوكليس وپولينسيس ولكونهما سيقتل أحدهما الآخر.

[←724]

هي إلهة التاريخ عند الإغريق والرومان، استنجد ستاسيوس بمعونتها لدى كتابة «أنشودة طيبة» كما استنجد دانتي برّيات الإلهام لكتابة هذا النّشيد، وسيستنجد بهنّ وبأبولون لكتابة «الفردوس».

[←725]

صائد السمك هو لقب القديس بطرس في «العهد الجديد».

[←726]

هذا الجبل هو مقرّ أبولون وربّات الإلهام الشّعريّ (معروف في العربيّة عبر الفرنسية بجبل البرناس).

[←727]

لعلّ هذا أجمل بيت في تعريف مأساة فرجيليو ومصدر عظمته، فقد أثار الطريق (معرفة المسيحية) دون أن يبصرها هو نفسه. ويمكن التوسّع بالمعنى وفهم كامل علاقة دانتى به من التّاحية الشّعريّة على هذا الأساس.



[←728]

إشارة إلى مقطع من «رعويّات» فرجيليو (الكتاب الزّابع، 5 - 7)، يمتدح فيه العصر الذهبيّ لأغسطس، قرأ فيه أهل العصور الوسطى تنبؤاً بمجيء السيّد المسيح.

[←729]

حاكم رومانيّ كان ستاسيوس مقرباً منه، يُقال إنّهُ طاردَ المسيحيّين الأوائل، ويقول ستاسيوس إنّهُ هو نفسه قدّم لمساعدتهم كلّ ما كان في وسعه.

[←730]

تيرنسيوس شاعر لاتينيّ هازل (قرطاجنة 195 - اليونان 159 ق.م.)، كان معروفاً في العصور الوسطى، امتاز بوضوح الأسلوب ومثاقته.

[←731]

كِيكِيْلْيُوسِ سِتَاسْيُوسِ (سَمِيّ الشَّاعِرِ الْمُتَكَلِّمِ) (219 - 166 ق.م.)، شاعِرِ لَاتِينِيّ هَاذِلِ هُوَ الْآخِرُ، وَكَانَ، شَأْنُهُ  
شَأْنَ تِيرَنْسِيُوسِ، عِبْدًا أُعْتِقَ.

[←732]

بلاوتوس (254 - 184 ق.م.) شاعر لاتيني هازل.

[←733]

فأريوس روفوس صاحب مأساة عن تيطس، وكان صديقاً لفرجيليو.

[←734]

پيرسيوس فلاكوس (34 - 62 ميلاديه)، شاعر لاتيني ساخر.

[←735]

بالإغريقيّ يقصد هوميروس.



[←736]

أوريبيديس (480 - 406 ق. م.)، شاعر يونانيّ صاحب تراجيديات عديدة ويعتبر من أكبر شعراء هذا الجنس.

[←737]

أنثيفون (340 - 367) شاعر تراجيديّ يونانيّ، ويحمل الاسم نفسه شاعر يونانيّ آخر عاش بين 479 و411 ق.م.

[←738]

سىموندیس (468 - 556) شاعر غنائی یونانی.

[←739]

أغاتون (400 - 448) شاعر تراجيديّ يونانيّ.

[←740]

أنتيغون ابنة أوديب ملك طيبة.

[←741]

ديفيلي زوجة تيديوس، أحد الملوك السبعة الذين حملوا على طيبة.

[←742]

أرجيا أخت السابقة وزوجة پولنسيس.

[←743]

إيسمين ابنة أوديب الثانية.



[←744]

لانجيا عين ماء قرب نيميا دلت هيپسپيل عليها مهاجمي طيبة.

[←745]

ابنة تيريسياس هي مانتو، وقد أحلّها دانتي في الجحيم («الجحيم»، الأشرطة العشرون، 52 - 93)، وكانّ في السّؤال عنها تناقضاً. أو سهواً.

[←746]

تيتيس ربة البحر، أم أخيل.

[←747]

ديداميا ابنة ليكوميد ملك سكيروس، أحبّها أخيل.

[←748]

يقصد السّاعات الأربع الأولى من النّهار، فالوقت كان إذنً بين العاشرة والحادية عشرة صباحاً.

[←749]

هي «شجرة الغواية»، وتُدعى أيضاً «شجرة الحياة»، وبمنعها ثمرها على مَنْ يمرّون بها تعود النّهمين على الاستغناء عن الطعام تمهيداً لتطهّرهـم.

[←750]

إشارة إلى رفض النبيّ دانيال الأكل من طعام نبوخذنصر.

[←751]

الأسى لعذاب المتطهرين، والبهجة لعذوبة الترتيل. والمقصود بالعبارة «ربّاه افتح شفّي» (من «الكتاب المقدّس») طلب فتحهما لحمد الله لا لتناول الطّعام.



[←752]

ابن أحد ملوك تساليا، قطع شجرة بلخ في غابة الإلهة ديميتير فعاقبته بأن أصابته بجوع دائم لا شبع منه.

[←753]

ماريا إيلعازار، يسرد «العهد القديم» حكايتها، أكلت ابنها من الجوع في أثناء حصار الرومان لأورشليم في 70 ميلاديّة.

[←754]

كان علماء الألاهوت في العصور الوسطى يرون أنّ تشكيل الوجه البشريّ وترتيب الحاجبين والعينين والأنف في الوجه برسم المفردة OMO (الإنسان)، ويشير دانتي هنا إلى أنّ الهزال أبقى على الحرف M وحده شبه ملموح

[←755]

فوريزي دوناتي، من أسرة نبلاء، ومن حزب الغيلف السود، توفي في 1296. كان صديقاً لدانتي وتبادل معه، على سبيل المزاح، قصائد هجائية شديدة اللذع.

[←756]

إشارة إلى عبارة السيّد المسيح على الصّليب: «إلهي لماذا تركتني؟».

[←757]

بارباجيا الأولى منطقة في وسط سردينيا يقال إنّها كانت مسكونة بأقوام شبه همجيّة وإنّ نساءها كنّ يسرن عاريات. والثّانية فلورنسة، يدعوها باسم الأولى مجازاً ويلمّح إلى أنّها أكثر وحشيّة من الأولى.

[←758]

استخدم دانتي مفردة Saracine، وكانت شائعة في أوروبا لتسمية أهل الإسلام. ويقصد المتكلم أنه لا البربريات ولا المسلمات احتجن إلى تقويم ورقابة كما احتاجت إليهما نساء فلورنسة. ولم نجد ما يدعو إلى إبدالها بـ «وثنيات» كما فعل سلفنا المرموق الدكتور حسن عثمان في ترجمته.

[←759]

يقصد بالطَّبع القمر.



[←760]

يقصد أنه يتمهل في السير احتراماً لروح فرجيليو السائرة إلى جانبه.

[←761]

هي شقيقة فوزي المتكّم، وسيقابلها داني في «الفردوس»، في «سما القمر».

[←762]

بوناجونتا دّلي أوفيراردي اللّوكيّ (نسبة إلى مدينة لوكا)، شاعر من النّصف الثّاني من القرن الثّالث عشر. كان يحاكي شعراء البروفنس الفرنسيّة وصقلية.

[←763]

هو البابا سيمون الملقب بمارتينو الرابع، ارتبط اسمه بمدينة «تور» الفرنسية لأنه كان في البدء أمين صندوق كاتدرائيتها، وكان في الحقيقة من «بري» بإيطاليا. عُرف بالبطنة ومات متخماً من أكل السمك.

[←764]

بولسينا في وسط إيطاليا، كان مارتينو الزّاع يتغدّى من ثعابينها، وقرناتشيا تقع قرب جنوة، وكان مولعاً  
بنييذها.

[←765]

أوبالدينو دلاً ييدا نبيل فلورنسيّ عاش في النّصف الثّاني من القرن الثالث عشر، عُرّف بالتبذير والنّهم، وهو أبو رودجيري أسقف بيزة ومُهلك الكونت أوغولينو الموصوفة مأساته في الأنشودة الثّالثة والثّلاثين من «الجحيم».

[←766]

بونيفاتشو هو غير البابا بونيفاتشو الثامن عدوّ دانتى اللدود. هو من جنوة، وكان أسقف رافينا بين 1274 و1294.

[←767]

جنتوگا اسم امرأة. يبدو دانتي هنا وهو لا يفهم ما يُقال له. والمتكلم يتنبأ له بأنه سيعرف في لوكا امرأة بهذا الاسم وتربطه بها علاقة مودّة ومحبة. وهنا فصل فعليّ من حياة دانتي الذي نذكر أنه يطرح في «الكوميديا» معيشه الحياتيّ على هيئة نبوءات (أنظر مدخل هذا الكتاب).



[←768]

« أَيْتَهَا النَّسَاءُ الْمُدْرَكَاتِ جَوْهَرَ الْحَبِّ » : مَطْلَعُ أُولَى الْأَغَانِي الَّتِي ضَمَّنَهَا دَانِي كِتَابَهُ السَّرْدِيَّ وَالتَّأْمَلِيَّ « الْحَيَاةُ الْجَدِيدَةُ »، وَهِيَ مِنْ قِصَائِدِهِ الْغَنَائِيَّةِ الْأُولَى الْجَمِيلَةِ.

[←769]

الموتق هو جاكومو دالنتيني، توفي في 1250 واشتهر بلقبه المهني هذا إذ كان موتقاً لدى الامبراطور فريديريك الثاني. وهو صاحب قصائد امتدحها دانتي في كتابه التّظريّ «في فصاحة العاميّة»

[←770]

غوٲنٲوني؁ من أريتزو؁ توٲي في فلورنسة في 1294؁ وكان أفضل شاعر توسكانيّ قبل ولادة حركة «الأسلوب العذب الجديد» (أنظر الحاشية التالية).

[←771]

«الأسلوب العذب الجديد» Dolce stil nuovo هو اسم التيار أو الحركة الشعرية التي ولدت على أيدي دانتي وعدد من رفاقه على رأسهم صديقه الشاعر غويدي كافالكانتي. نظر لها دانتي في كتابه «في فصاحة العامية»، وكانت تقوم على «الإلهام» والتعمق الغنائي والشكلي والعاطفي، مع شيء من التأثر بشعر التروبادور أقرّ به دانتي نفسه، وربما كذلك، عن طريق التروبادور وسواهم، وكما تؤكد عليه جاكين ريسيه في «دانتي كاتباً»، بغنائية الشعراء الغزلين والمتصوفة العرب.

[←772]

الآثم الأكبر هو كورسو دوناتي، شقيق فوريزي دوناتي المتكلم نفسه، وزعيم الغُلف السّود، عدّه دانتي المسوؤل الأول عن الخراب الذي لحق بفلورنسة. ولقد هرب من المدينة في 1308 متّهماً بالخيانة والعصيان، وأمکن القبض عليه وأسرّه، ولكنّه سقط من على جواده. ويعالج دانتي الحادثة هنا معالجة فنطاسيّة أو خياليّة.

[←773]

أبناء السحاب هم القناتس (جمع قنطروس، وقد قابلناهم في «الجحيم»)، وهم كائنات خرافية للواحد منها نصف جسم إنسان ونصف جسم حصان، تقول الأسطورة إنهم ولدوا من زواج إكسيون وسحابة خلع عليها جوبيتر هيئة يونون. وقد ثملوا في عرس لاپيتي وشرعوا بالعريضة فتصدى لهم تيزيوس وأبادهم.

[←774]

يرد في «العهد القديم» أنّ جدعون، عندما نزل من جبل جلعاد لمهاجمة الميديانيين، رأى بعض جنوده العبرانيين عاجزين عن مكابدة العطش وأنّهم أخذوا يقطعون الماء كالكلاب، فاستنكرهم وحرّمهم من المشاركة في القتال واستحقاق النصر.

[←775]

عنبر الآلهة: إستخدم داني المفردة ambrosia (تقابلها في الفرنسية ambrosie) وهي تسمي طعام الآلهة عند الإغريق، وصارت تدلّ مجازاً على كلّ طعام شهّي لذيذ. لعلّ المفردة «عنبر» حاضرة فيها وإن لم تؤكّد القواميس ذلك، والقاريء مرجوّ لأن يفهم البيت بمعنى «شذى أغذية إلهية».



[←776]

أي أن الوقت، ضمن حركة الأبراج التي يتبعها دانتي، كان يشير إلى الثانية بعد الظهر في المطهر وإلى الثانية صباحاً في أورشليم.

[←777]

بحسب أوفيدديوس، كان مقضياً على ميلياغرو بأن يعيش بقدر توهُج قطعة من الخشب أُشعلت لدى ولادته. ولكنَّ أمّه ألثيا سرقتها وأخفتها. ثمَّ كبر وأحبَّ أثالانا وأهداها فراء دبِّ صاده هو، فسرق أخواله الفراء فقتلهم غضباً. فألقت أمّه من غيظها قطعة الخشب في النَّار فمات الصبيّ في الزّمن الذي استغرقه اشتعالها.

[←778]

طوال عدد من الألائيات التالية، يتبع دانتي، على لسان ستاسيوس، ما كان سائداً لدى فلاسفة زمنه حول نشوء الجنين ونموه. الدم النقي هو المني، المجرد من الصبغة الحمراء والذي توصله الشرايين إلى مستقره في الخصيتين من دون أن تشربه، على عطشها وحاجتها للغذاء. كما كان يُعتقد بأن المرأة لا تساهم في تكوين الجنين، بل هي مجرد حامل له، خلافاً لما سيكشف عنه العلم الحديث الذي أثبت أن الجنين ينشأ من تلقيح حيامن الذكر لبويضات الأنثى.

[←779]

كتب دانتى spungo (إسفنج) وقرأ البعض fungo ( فطر). ولمخلوقات البحر المذكورة بالفعل حركة وإحساس بقدر محدود جداً، وهذا ما قصده الشاعر.

[←780]

هنا ردّ على قول ابن رشد بوجود عقل فعّال مستقلّ عن جميع الأرواح ويشمل الجميع ويشكّل قوّة إلهيّة منفصلة. وقد عارضه القدّيس توماس الإكوينيّ بالقول بوجود روح فرديّة، وهو ما يعرضه ستاسيوس هنا.

[←781]

يقصد أنّ الإنسان يموت عندما تنفد خيوط الكتّان المقدّرة لكلّ واحد والتي تغزل منها لاختيسيس إلهة القدر حياة البشر. ولكنّ حتّى بعد الموت تواصل الرّوح عملها، بكامل قدراتها التذكريّة والإدراكيّة، ممّا يسمح بتلقّيها العقاب أو الثّواب.

[←782]

أي إِمّا إلى شاطِئِ الأَكْيونِ للذهابِ إلى الجحيمِ في حالةِ الأَثْمينِ، أو إلى مصبِّ التَّيْبُرِ المفضيِ إلى المطهرِ  
فالفردوسِ في حالةِ الصّالِحينِ.

[←783]

يقصد أن الروح المشكّلة تشعّ بالصّورة التي كان عليها الإنسان في حياته وتدمغ بها الهواء المحيط به، فنتوهم أنّنا نراه في حين لا نرى سوى شبحه.



[←784]

يُدعى الشُّبح في اللغات اللاتينية «ظلّ» الكائن بالإيطالية ombra : وبالإسبانية sombra : وبالفرنسية ombre : وكما يرى القارئ، فعلى هذه المفردة تستند فكرة المتكلم في هذه الثلاثة وسابقتها.

[←785]

وضعها باللاتينية، وهي بداية صلاة تُرْتَل في الكنائس صباحاً.

[←786]

إجابة مريم العذراء على الملاك جبريل عندما بَشَّرها بأنها ستلد يسوع.

[←787]

طردت إلهة الصّيد ديانا إحدى حورتيّاتها هيليس لأنّها حملت بولد من جوييتر، خارجةً بذلك عن حياة العفة، فكانّها أحسّت في أوصالها بسرّيان سمّ فينوس الخاصّ بالحبّ غير الشرعيّ. فحوّل جوييتر هيليس هذه إلى كوكبة هي «الدبّ الأكبر».

[←788]

إشارة إلى باسيفي زوجة مينوس (سبق ذكرها)، التي جمعت الثور داخل بقرة خشبيّة، ومن اجتماعهما هذا ولد المينوطورس.

[←789]

جبال عُرفت بهذا الاسم في العصور الوسطى، يواقعها القدماء في منطقة الدّون ويعدّونها رمزًا للبرودة القصوى.

[←790]

دُعي قيصر يوم انتصاره بالملكة تهكماً وتلميحاً إلى حياة التهتك التي عاشها في بلاط الملك نيقوميديوس.

[←791]

هرما فروديتوس هو ابن عطارد وفيينوس، عشقته حورية واحتضنته وهو يسبح في النهر وتضرعت للالهة أن يتحد جسماهما إلى الأبد. فاستجابت لها الآلهة وصارا يشكّان جسداً واحداً يجمع خصائص الأنثى والذكر، وصار اسمه يُطلق على الكائن الخنثى.



[←792]

إشارة ثانية وسخرية مضاعفة إلى ما تقدّم من أمر باسيفي : فلما كانت ضاجعت داخل البقرة الخشبيّة ثوراً  
فهي صارت كمثّل بقرته.

[←793]

غويدو غوينتزيلى شاعر مشهور من بولونيا.

[←794]

كان ليكورغوس، ملك نيميا، قد أضع ابنه بعدما عهدَ به إلى هيسبيلي، فقَرَّر أن يقتل الأخيرة، نهبَ ابناها لإنقاذها.

[←795]

في الميثولوجيا اليونانية، يساعد نهر ليبي من يردده على نسيان جميع تجارب حياته (ومعنى اسمه هو «النسيان»). ولكنّ دانتى يُدخل عليه، كما سنلاحظ في نهاية الأُنشودة الثامنة والعشرين، تعديلاً أساسياً، فيجعله يُنسى المرء ذكريات مساوئه بعد توبته منها.

[←796]

نسبة إلى مدينة ليموج الفرنسية، والمقصود شاعر التروبادور جيرو دو بوريّ.

[←797]

غوئيتوني الأريزيّ (نسبة إلى مدينة أريزو)، سبق أن قابلناه في الأنشودة الرابعة والعشرين من هذا الجزء، من كبار شعراء توسكانيا، توفي في 1294، وكان دانتي يعتبره شاعراً ثانوياً.

[←798]

هو آرنو دانيال، كبير شعراء التروبادور، من البيريغور الفرنسية، عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. كان يتوحي الأشكال والأوزان الصعبة، وقد استلهمه دانتي أو حاكاه في بعض قصائده القصيرة الأولى. ويصوغ دانتي هنا كلام آرنو بالبروفنسالية، محاكياً على سبيل التقريظ لا لهجة الشاعر وحدها بل كذلك أسلوبه.

[←799]

«الإيرو» نهر يجتاز أغلب إسبانيا، يشير إليها على سبيل الكناية. في هذا الموسم الذي يجتاز فيه «المسافران» المطهر، يظهر برج الميزان على جنوب إسبانيا.



[←800]

وضعها باللاتينية، وهي من إنجيل متى، 5، 8.

[←801]

ندكر بأن جيروني هو الوحش الذي أخرج فرجيليو ودانتي من الهاوية في الأنشودة السابعة عشرة من هذا الجزء، البيت 79 وما يليه (وقد كتب دانتي في تلك الأنشودة أنّهما صعدا «على عجز جيروني»، وهنا يكتب «على ظهره».)

[←802]

ﺛﯩﺴﺒﯩ ﺷﺎﺏ ﺃﺳﻄﻮﺭﯨﻲ ﺑﺎﺑﻠﯩﻲ ﺃﺣﺐ ﺍﻟﺼﺒﯩﻴﻪ ﺑﯩﺮﺍﻣﻮﺱ ﻋﻠﻰ ﻏﯩﺮ ﻭﻓﺎﻕ ﺫﻭﯨﻬﻤﺎ، ﻭﻋﻨﺪﻣﺎ ﺗﻮﻓﯩﺌﯩ ﺛﯩﺴﺒﯩ ﺍﺼﻄﺒﻐﺖ  
ﺷﺠﺮﻩ ﺗﺘﻮﺕ ﺍﻟﺘﻲ ﻛﺎﻧﺎ ﻳﻠﺘﻘﯩﺎﻥ ﺗﺤﺘﻬﺎ ﺑﺪﻣﺎﺋﻪ.

[←803]

تقرأ في الأناجيل أنّ هذه هي الكلمات التي سيستقبل بها المسيح المختارين في يوم الدينونة.

[←804]

اسم جزيرة في اليونان يرمز إلى كوكب الزهرة، ويقصد داني أن الوقت كان فجرًا، وكان أهل العصر الوسيط يعتقدون أن الأحلام تكون أصدق ما تكون عليه في الفجر.

[←805]

«ليئة» (أو «ليا») هي ابنة لبان البكر وأولى زوجات يعقوب. لم يُذكر عنها أنها كانت جميلة، بل خصيبة وترمز إلى الحياة النشيطة أو حياة العمل (بالمقارنة مع راحيل - أنظر الحاشية التالية).

[←806]

زوجة يعقوب الثانية، جميلة وعقيم، ترمز إلى الحياة التأمليّة (ولا يخفى على القارئ مغزى ذكر داني في هذه  
الأنشودة كلا هذين النمطين الكيانيين، فلعلّ فلسفة «الكوميديا» بكاملها قائمة على  
تكامل مبدئي التأمّل والفعل وتكافلهما)

[←807]

يمثل التتويج والتكليل رمزي السّلتطين الرّوحيّة والرّمنيّة، وباجتماعهما يشكّلان رمز السيادة الكليّة. فرجيليو  
يكرّس هنا دانتي شاعراً ويشهد له بمعرفة كافية بالزمنيّات والروحانيّات.



[←808]

عند كياسّي، أي قريباً من رافينا.

[←809]

لن يكشف دانتي عن اسم هذه السيّدة، ماتيلدا، إلّا في الأُنشودة الثالّثة والثلاثين، البيت التّاسع عشر بعد المائة. ولا عن وظيفتها، المتمثّلة في اقتياد الأرواح إلى نهر ليّتي وجعلها تشرب منه ومن مياه نهر إينوي، إلّا في الأُنشودتين الثّانية والثلاثين والثالثة والثلاثين. هو وجه غامض يدلّ في أغلب الاحتمالات على السّعادة الأرضيّة المعطاة للإنسان في حالة البراءة المستعادة، وبالذّات في الفردوس الأرضيّ. ولقد تقدّم الشّراح والباحثون بمختلف الفرضيّات للعثور على المصدر الفعليّ لهذا الوجه الذي قد يكون دانتي استقاه من هذه المرأة أو تلك، في فترة كتابة «الحياة الجديد» أو في عهد نضاله السياسيّ. أمّا إيلوس، فهو إله الرّياح، يُطلق ريح السّبروكو التي تهبّ من السّواحل الشماليّة الشرقيّة لإفريقيا.

[←810]

هي ابنة ديمتير، اختطفها بلوتون ملك العالم السفلي أو الجحيم فيما كانت تقطف الزهر.

[←811]

أي في مضيق الدردنيل، نحو 480 ق.م.

[←812]

فتى يونانيّ من أبيدوس، في آسيا الصّغرى، كان يعبر البحر سباحةً كلّ ليلة ليلتقي عشيقته هيرو في سيستوس، ومات غرقاً ذات ليلة.

[←813]

من المزمور الحادي والتسعين. وتصوغ الفتاة هنا ضمير المخاطبة تارة بالجمع، متوجهة إلى كل من دانتي والشاعر ستاسيوس الذي أنهى فترة إقامته في المطهر وصار يتهيأ للصعود إلى السماء، وفرجيلو الذي سينسحب لاحقاً بتكتم وقد بلغ الحدود التي لا يمكنه ماضيه الوثني من تخطيها، وطوراً تصوغه على الأفراد مخاطبةً دانتي وحده.

[←814]

اعتباراً من باب المطهر يكون الهواء خلواً من كلّ تغير ولا يتأثر بالتقلبات الجوية. وذلك خصوصاً في الفردوس الأرضي، الكائن في ذروة جبل المطهر. وهنا تجد تفسيرها دهشة دانتني عندما سمع أصوات رياح ومياه. ووحده أسفل المطهر يتلقّى بعض أصداء ما يحدث من حركات على سطح الأرض، ومن هنا قول ماتيلدا في ختام التلّائية التّالية: «إلا إذا انفصمت الحلقة في موضعٍ ما».

[←815]

تفسّر ماتيلدا نشأة النَّبات الأرضي: فالنَّبات يستمدّ من الجوّ قدرة تجعله يفعم الهواء بطاقته التوليدية؛ وبدوره يُسقط الهواء في أثناء جَوْلانه هذه القدرة على الأرض التي يسكنها الإنسان («الأرض الأخرى» في البيت اللاحق) فتتمخّض هي الأخرى، وبحسب مناخها، عن مختلف النَّبات المتنوّعة القدرات. يتبع داني هنا القدّيس توماس الإكويني، فيعتقد بأنّ جميع النَّبات نشأت أولاً في جنة عدن ثمّ انتشرت من هناك على الأرض.



[←816]

هو في الأشعار القديمة نهر العالم السفلي، يهب الإنسان نعمة نسيان تجارب حياته. ويعدّل دانتي «وظيفته»  
بحيث يُنسى الإنسان ذكرى خطاياها فحسب.

[←817]

نهر من ابتكار دانتي. هو نهر ثانٍ يهب المرء «ذاكرة حسّاته»، لأنّ كثيرين ينسون صنيعهم الحسن فيسقطون في هوس تبكيت الذات.

[←818]

من «المزامير»، 31، 1

[←819]

هَنْ رَبَّاتِ الْإِلْهَامِ

[←820]

الهليكون هو في الميثولوجيا اليونانية الجبل المقدّس، حيث تقيم ربّات الإلهام.

[←821]

هي ربّة الفلك ومُلهمّة العلوم السّماويّة. ويعني بالجوقة سائر ربّات الإلهام.

[←822]

يستعيد القديس يوحنا وصفه في رؤياه.

[←823]

الغريفون حيوان خرافيّ يمثّل أسدًا برأس نسر وجناحيه. ويرمز إلى المسيح الذي يجمع على هذا النّحو الطّبعتين السّماويّة والأرضيّة.



[←824]

أغسطس قيصر، الامبراطور الرومانيّ المعروف. الثّاني هو شيبوني الأفريقيّ الذي هزم هنبعل في 185 ق.م.، فاستقبله روما كبطل.

[←825]

كانت عربة فيتوني (سبق ذكرها) قد انحرفت عن مسارها وراحت تهدد بإحراق الأرض، فصرعه جويتر بصاعقة. وبالكلام عن الحكم العادل المنطوق به في السرّ (في الدّخلاء) إشارة إلى مسؤوليّة أيولون، أي فيتوني، فهو من أعار ابنه هذا عربته، عربة الشّمس. وبذا يكون في معاقبة الإبن عقاب للأب.

[←826]

يرمزن للفضائل الدينية الثلاث (اللون الأحمر يرمز للمحبة والأخضر للرجاء والأبيض للإيمان).

[←827]

يرمزن للفضائل الأخلاقية الأربع (في تحديد الفلاسفة)، وقد سبق ذكرها.

[←828]

يرمز للقديس لوقا، واضع «الرسائل». وهيوقراطيس الذي سيأتي ذكره هو أبو الطبّ، صار قسّمه المعروف  
قسّم الأطباء في العالم أجمع.

[←829]

يرمز للقديس يولس، واضع «أعمال الرّسل».

[←830]

يرمزون لرسائل كلّ من بطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا قبل خيانتة.

[←831]

يرمز هذا الرجل الذي يتقدم مغمضًا عينيه ليوحنا وهو يتلقى رؤياه.



[←832]

هي النّجوم السّبع التي تتألّف منها كوكبة «الدّبّ الأكبر»، وترمز هنا إلى السّرج السبعة التي جاءت من السّماء لتساعد الأرواح على التّطهر والصّعود إلى الله. يقصد أنّه لا يمكن لنور الرّوح القدس أن ينطفئ ولا أن يحتجب.

[←833]

الدبّ الأدني أو الأصغر يساعد في الدّنيا الملاحين في مخور البحر.



[←835]

إنجيل مَتَّى، 21 / 9: بهذه الكلمات استقبل اليهود مجيء المسيح إلى أورشليم.

[←836]

هي كلمات أنكيسيس أمامَ مارتشيّلوس، ابن أخي أغسطس، في العالم السفليّ في «الإنياذة» (الكتاب الرابع، 1883)، يقولها هنا الملائكة.

[←837]

مزة أخرى، ترمز ألوان الشّعلة الثلاثة (الأخضر والأبيض والأحمر) إلى الفضائل الدينيّة الثلاث (الإيمان والرّجاء والمحبة). وهي الألوان نفسها التي تكتسبها بياتريشي في نصّ دانتى «الحياة الجديدة».

[←838]

أي الفردوس الأرضيِّ حيث يدور هذا المشهد. «الأمّ العتيقة» هي حواء.

[←839]

يظهر اسم دانتي هنا للمرة الأولى (والأخيرة) في كامل «الكوميديا الإلهية». وبياتريشي هي من تنطق به، فكأنها تهب دانتي اسمه (مكان الآخر في جدل الرغبة والعلاقة الشعرية).



[←840]

ينشد الملائكة الأبيات التسعة الأولى من المزمور الثلاثين ويتوقفون عند البيت القائل: «وأقمت في الرُّحْب قَدَمِي»، لأنَّ بقية المزمور شكوى مريّة لا تتلاءم والسياق.

[←841]

في حالة بياتريشي، يتوافق الانتقال من المراهقة إلى الشّباب مع الانتقال من الحياة الأرضيّة إلى الحياة العلويّة.

[←842]

أي أنّ الاعتراف يَلطّف من حكم العدالة الإلهيّة.

[←843]

رياح آتية من ليبيا، باسم ملك أسطوريّ عاشق لديدون

[←844]

يقصد أنه أدرك تهكمها منه باستخدامها مفردة «اللحية» للدلالة على «الوجه».

[←845]

أي يجمع طبيعة النسر وطبيعة الأسد. ينمّي البيت التحديد اللاهوتي لشخصية السيد المسيح.

[←846]

هي ماتيلدا (أنظر الأنشودة الثامنة والعشرين في هذا الجزء).

[←847]

من «المزامير» (9 / 50).



[←848]

الفضائل الأخلاقية الأربع وهي تمارس الرقص.

[←849]

أي أنّ كلّ واحدة تعدّه بحمايته من الرّذيلة المقابلة للفضيلة التي تمثّلها هي.

[←850]

لا تكون الطبيعتان الاثنتان في شخص المسيح إلا طبيعة واحدة، على حين تكونان في انعكاسهما في الإنسان منفصلتين ومتمايزتين.

[←851]

المغزى واضح: فأَيّ شاعر انتظر إلى حدّ الشّحوب أن ينال الإلهام في ظلّ اليرناسوس (جبل الإلهام الشعري)،  
سيجرؤ على وصف جمال أسنان بياتريشي وقد تجلّت في كامل بهائها؟

[←852]

كانت رغبة دانتي في رؤية بياتريشي ثانيةً قد دامت عشر سنوات.

[←853]

لما كانت العربة تنعطف إلى اليمين، فإنَّ عجلتها اليمنى رسمت قوسًا أصغر من هذا الذي رسمته اليسرى.

[←854]

ألم البطن صورة توراتية. والإنسان الذي يفتدى من طعام سيء يحسّ بالألم، كما كان من أمر آدم وحواء عندما عصيا الله.

[←855]

أي في اللحظة التي يسقط فيها ضياء الشمس على الأرض بالتوافق مع نور برج الحمل، والبرج التالي هو برج الحوت.



[←856]

إشارة إلى الحيوان الخرافي أرغوس ذي المائة عين. بأمر من جوبيتر (زُفس)، أنامه عطارد بأن قصّ عليه حكاية عشق الإله يان والحرورية سيرنكس، فأمكن قتله.

[←857]

الحواريّون بطرس ويوحنا ويعقوب عندما قادهم يسوع إلى جبل طابور ففقدوا وعيهم لدى رؤية تجليّه، ثمّ استعادوه عندما سمعوا صوت السيّد.

[←858]

أي أنّهم لم يروا لدى استفاقتهم لا موسى ولا إيليا، وكانا بجانب المسيح عند تجلّيه.

[←859]

عندما تجلّى المسيح كان عليه ثوب أبيض ناصع.

[←860]

حتى أعنف الرياح (هنا ربح الشمال الباردة ورياح الجنوب الحارة) تعجز عن إطفاء المشاعل.

[←861]

روما السّماويّة التي يمثّل المسيح مواطنها الأوّل.

[←862]

يمثل طائر زفش هذا الامبراطورية التي لاحقت المسيحيين الأوائل وتحدت عدالة الله (الشجرة) وتقدمت للكنيسة (العربة) بطعنة مية.

[←863]

يرمز الثعلب إلى الهرطقات التي هزمتها الحكمة اللاهوتية ممثلة في بياتريشي.



[←864]

يرمز التّنين إلى الشّيطان أو إلى «المسيح الدّجال» (عدوّ المسيح).

[←865]

تلميح إلى بيعة الامبراطور قسطنطين للبابا سلفسترو (سبق ذكرها، وبموجبها أُخلي روما للسلطة البابوية).  
قام بها بهدف تقويّ في الظاهر، ولكنّه تسبّب بإساءة بالغة للدّور الرّوحي للكنيسة.

[←866]

إشارة إلى «بابل العظيمة، أمّ بغايا الأرض وفضائها» (رؤيا يوحنا، 17/1-5)، وهي ترمز لدى دانتي إلى السلطة البابوية في زمنه.

[←867]

يرمز هذا العملاق إلى سلطة ملك فرنسا المهيمن على الكنيسة هيمنة رجل على خليلته.

[←868]

الفضائل السّبع (أي الفضائل الدّينيّة الثّلاث والفضائل الأخلاقيّة الأربع مجتمعة، وقد سبق ذكرها كلّها) تغيّى بالتناوب المزمور الذي يعني تهديم الهيكل في أورشليم.

[←869]

تستعيد كلمات يسوع إلى حوارِيَّه يُعلمهم فيها بأنَّه سَيُتَوَقَّى ثم يُبَعَث حَيًّا. وقد رأى بعض الشراَح أنَّ دانتي يذكرها هنا تنبؤًا بانتقال البابوات إلى إِفِينيون بفرنسا.

[←870]

هو الشّاعر ستاسيوس، الذي رأينا في الأنشودات السّابقة أنّه أنهى مدّة إقامته في المطهر وراح يتهيّأ للصعود إلى السّماء، وقد بقي صامتاً طيلة المشهد.

[←871]

إعتقد الشّراح القدامى بأنّ هنا تلميحًا إلى ما كان شائعًا من أنّ القاتل الذي يقدر على تناول الحساء طيلة تسعة أيام متتالية على قبر القتيل يُرفع عنه انتقام أهل الأخير وسكّان منطقتة.



[←872]

الصيغة مطروحة بأسلوب أحاجي رؤيا يوحنا. وربما يجب أن نقرأ فيها المفردة «دوق» (أي زعيم)، نظرًا لأنّ العدد خمسمائة وخمسة عشر يُكتب بالأحرف اللاتينية: DXV، التي يمكن قلبها إلى DUX. والأرجح أنّ دانتي يفكر هنا بالامبراطور هنري السابع. وعمومًا، فبياتريشي تتنبأ هنا بظهور زعيم قويّ ينشر السلام والعدل.

[←873]

تميس إلهة التنبؤ عند الإغريق وهي معروفة بإجاباتها الغامضة.

[←874]

النّياس، حوريات الينابيع والبحيرات والأنهار، وقد عاملهنّ هنا كعرافات ومنتبّئات.

[←875]

إشارة إلى قضم حوآء للتفاحة، والمدّة المذكورة هي التي لزمّت ليظهر المسيح ويضطلع عبر فعل الفداء بعقوبة الخطيئة الأصلية.

[←876]

إنّته الشّراح إلى الصّورة الفريدة لهذه الشّجرة. فهي تتّسع في ذروتها بدل أن تستدقّ كما في ذؤابة جميع الأشجار. وقد لا يمكن فهمها من دون الرّجوع إلى «هرم الرّغبة المقلوب» الذي يرسمه دانتي في «المأدبة» ويصوّر بموجبه رغبات الإنسان كرغبات الطفل، يطلب في البدء شيئاً هيئاً ثمّ تتّسع رغبته ويطلب بأشياء وأشياء. وإذا ما نظرنا بعمق، فإنّ رغبته الأولى البسيطة تحتوي في نظر دانتي جميع الرّغبات التّالية وتشكّل لها، من «أسفلها»، ما يشبه النقطة أو رأس الرّمح. وفي بساطتها وشمولها، فهذه النّقطة تعادل الله أو البحث عن الله. ومن هنا يجد الهرم رأسه في قاعدته، على حين تكون ذروته متمادية في سعتها.

[←877]

نهر يصبّ في الأرنو، مياهه مغطّاة بطبقة من الكس. وهنا تلميح إلى إمكان تحجّر الفكر لفرط تداوله أفكارًا باطلّةً أو عبثيّة.

[←878]

تقول الأسطورة إنه بباعث من انتحار ييراموس كمدًا على حبيبته ثسيي التي اعتقد خطأ أنها ماتت في بابل،  
تلون التوت بلونه الأحمر المعروف. وعلى النحو ذاته تُلون الأفكار الدنيوية في نظر دانتى الأشياء بلون زائف.

[←879]

السَّعْفُ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ الْحَاجُّ الْعَائِدُ مِنَ الدِّيَارِ الْمُقَدَّسَةِ.



[←880]

تنتقد بياتريشي هنا التأثيرات الفلسفية العقلانية التي خضع لها دانتى في فترة من عهد شبابه. وكما نجد في قصص ابن عربي المعراجية، فالهدف هنا هو تصحيح الرؤية العقلية بنفحة الإيمان.

[←881]

من لطائف ابتكارات دانتي العديدة في شعريّة فضاء «الكوميديا الإلهيّة» أنّه جعل نهزي ليبي وإينوي يجريان في أهدود واحد، تيارين متجاورين يذهب كلّ منهما في اتجاهه من دون أن يمتزج بالآخر. وفي هذا كناية ساطعة عن تلازم ضرورة نسيان تجارب الحياة الارتكاسيّة وضرورة تذكّر التجارب الحسنة أو الطّافرة. وهل يقول ما سيدعوه نيتشه بالتّسيان الفعّال شيئاً آخر؟

[←882]

تذكر بأنه إذا كان نهر ليبي مستعارًا من الميثولوجيا اليونانية، فإنَّ إيْنوي هذا، الذي يهب الإنسان ذاكرة الأفعال الحسنة، هو من ابتكار دانتي (أنظر الأبيات الأخيرة من الأُنشودة الثامنة والعشرين في هذا الجزء).

[←883]

يدلّ هذا البيت، إنّ كان من حاجة إلى ذلك، على أنّ دانتى كان يتبع تنظيمًا صارمًا لأناشيده الثلاثة وأنّه كان حريصًا على أنّ ينحصر كلّ منها بثلاث وثلاثين أنشودة مع أنشودة تمهيدية في النّشيد الأوّل ترفع المجموع إلى مئة.

[←884]

كتب القديس توماس الإكويني في جامع تأليفه اللاهوتية أن «الله يحرك كل شيء ولا يحركه من شيء». (Summa theologiae. 1, CV, 2) lugar)

[←885]

كتب دانتى فى «فى فصاحة العامية» أنّ الله يتجلى فى الإنسان أكثر ممّا فى الحيوان، وفى الحيوان أكثر ممّا فى النباتات» (1، 2، 16).

[←886]

يقصد سماء «الأميريوس»، سماء النور الخالص (سنعود إليها في حينها).

[←887]

كتب دانتى فى «المأدبة» أنّ «الله هو المرغوب فىه الأعلى» (4، 12، 17).



[←888]

رأينا كيف التمسَ دانتي لكتابة «الجحيم» و«المطهر» معونة ربّات الإلهام، وهنا، لكتابة «الفردوس»، يستنجد بهنّ وبأبولون.

[←889]

ذروة «اليرناسوس» الأولى هي الهيليكون، موئل ربّات الإلهام، والثانية هي تشيرّا، موئل أيولون.

[←890]

تحَدَّى المسخ مارسىاس الإله أيلولون فى الموسىقى فغلبه أيلولون ثم سلخ جلدّه بحسب أوفىديوس، وأخرجهُ من داخل جلدّه بحسب دانتي.

[←891]

هي أوراق الغار، شجرة أيولون وإكيليل الشّعراء والظافرين.

[←892]

الغار أيضًا. كانت الحورية دافنيه، ابنة النهر يينوس، قد تحوّلت إلى شجرة غار للهرب من أيولون الذي كان هائمًا بها.

[←893]

أينبغي أن نفهم من هذا إشارة إلى شاعر قادم قد يكون أقدر من دانتى؟ أمّا تشيرًا فسبق ذكرها (أنظر الحاشية السادسة أعلاه).

[←894]

يتعلّق الأمر باللحظة التي تقع فيها الشّمس عند برج الحمل في الانقلاب الرّبيعيّ. الحلقات الأربع هي الأفق وفلك البروج وخطّ الإستواء وخطّ الرّوال (والأخيران يُعتبران نقطتيّ الانقلاب). ولكّنها تدلّ أيضًا على الفضائل الأخلاقيّة الأربع، في حين تدلّ الصّلبان الثلاثة على الفضائل الدينيّة الثلاث (سبق ذكرها).

[←895]

مع انقلاب الزبيح تبدأ أجمل فترات السنة. والنجم الأفضل هو برج الحمل، الذي يُعتبر برجًا شديد المؤاتاة.



[←896]

لا يشير داني في الفردوس إلى السّاعة. وربّما كان الوقت هنا صباحًا أو ظهرًا. أمّا الشّطر الذي صار تامّ السوادّ (أي الظلام) فيشير إلى المطهر.

[←897]

أي الشعاع المنعكس في مرآة.

[←898]

أي الفردوس الأرضي، حيث كان الإنسان الكامل.

[←899]

هو مدار النَّار الذي كان القدماء يعتقدون بوجوده بين الأرض وسماء القمر.

[←900]

غلوکوس صائد سمك أسطوريّ من بيوتيا (شرقيّ اليونان) يصف أوفيديوس تحوّلّه، إذ رأى أنّ الأسماك التي يصطادها وهي تستعيد الحياة بالتهامها العشب الذي يطرحها عليه فأكل منه فتحوّل إلى إله بحريّ.

[←901]

تجاوز الإنساني: كتبها دانتي بكلمة واحدة هي فعل من اجتراحه: Transumanar، وستليها ابتكارات أخرى في «الفردوس». كأنه يقول «اللاتأسن» بمعنى اختراق التجربة الأنسانية وتخطيها في نوع من الارتقاء والنسخ.

[←902]

يطبّق دانتي هنا على نفسه مقولة القديس يولس الشهيرة في أنّه لا يعرف إنّ كان المسيح استدعاه الربّ إلى السّماء بجسده أم بروحه وحدها، وأنّ الله وحده يعلم.

[←903]

يجتاز داني مدار النيران الذي هو مقام البرق.



[←904]

كان القديس توماس الإكويني يرى أنّ جميع المخلوقات الصّادرة عن الله ميّالة إلى الخير، بشاكلات مختلفة.

[←905]

هي «الأميريوس»، اشتقاقياً: السماء النارية، وهي سماء النور الخالص، سماء غير مادية، ثابتة، ولا تستمدّ حركتها إلا من ذاتها.

[←906]

هو «المحرّك الأوّل» أو سماء البلّور التي كتب دانتي في «المأدبة» (11، 15) أنّها «تنظّم بحركتها الدّوران اليوميّ لجميع الأفلاك».

[←907]

أي النجوم القطبية، وهي مجازياً نجوم الخلاص.

[←908]

خبز الملائكة هو العلم الإلهي.

[←909]

هم البحارة الذين خرجوا على متن السفينة «أرغو» (ومن هنا تسميتهم با «الأرغونوتات» يقودهم الإغريقي جاستون لاستعادة الجرة الذهبية.

[←910]

أي «الأميريوس»، سماء التّور الخالص.

[←911]

هو في الحقيقة الكوكب الأول، القمر، وكان يُعتبر كوكبًا.



[←912]

تتساءل ريسيه (ولكن ألسنا أمام عمل شعريّ - خياليّ؟) كيف يمكن أن تمتزج مادّة (هي القمر) وجسم حيّ (جسد دانتي) دون أن يحظّم أحدهما الآخر.

[←913]

يقصد السيّد المسيح.

[←914]

كان الاعتقاد الشعبيّ يري قابيل في القمر. هو حبسه ومحكوم عليه بأن يحمل إلى الأبد كومة من الحطب (البقع المتباينة الكثافة التي تُشاهد على القمر). (أنظر «الجحيم»، الأنشودة العشرين، البيت 126).

[←915]

نظريّة تعود إلى ابن رشد وقد عرضها دانتي في «المأدبة» (2، 9، 13) ترى أنّ الأجسام التي نراها مضيئة تتّسم بالندرة (يدعوها ابن رشد بالمتخلّلة، فأجزاؤها غير متضامّة)، وتلك التي نراها مظلمة تتّسم بالكثافة (فأجزاؤها كثيرة التضامّ). (أنظر «موسوعة مصطلحات ابن رشد»، جيرار جيهايم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2000).

[←916]

هي سماء الأنجم الثابتة.

[←917]

يقصد مرآة.

[←918]

يستقي دانتي مفهوم التجربة من أرسطو.

[←919]

أي بحسب عمل المحرّك الأوّل (سماء البلّور) الموصوف في آخر حاشية للأنشودة السّابقة.



[←920]

هي «الأميريوس»، سماء التّور الخالص.

[←921]

سماء الأنجم الثابتة.

[←922]

سموات الكواكب السبع.

[←923]

هي السموات، تتلقى كلّ منها تأثير السّماء التي هي أعلى منها وتؤثّر على السّماء التّالية لها مباشرةً.

[←924]

هي العقول المحرّكة، أي الملائكة.

[←925]

أي أنه يختتم أو يدمغ بهذه القدرة الأنجم المحتواة فيه.

[←926]

هو الجسد البشريّ.

[←927]

من العقل المحرّك، لا من اختلاف الكثافة، تأتي فوارق النور، أي البقع المرئية على قرص القمر.



[←928]

هي بياتريشي.

[←929]

إستخدمَ دانتي المفردة postile وهي تدلّ في الإيطالية على الحواشي التي تذيّل صفحة كتاب. هي للكتاب أو لمثنه بمثابة الصّورة المنعكسة للوجه الحقيقيّ.

[←930]

يتطّلع نرجس إلى وجهه المنعكس في الماء فيحسب صورته جسمًا حقًّا. بعكسه، يري دانتِي صورًا حقيقيّة فيحسبها للوهلة الأولى انعكاساتٍ بباعث من التماعها.

[←931]

يوجي تعبير دانتي عن قصد بأنّ مقام هذه الأرواح هو في سماء القمر. وفي الأنشودة التّالية (الرّابعة) يُفسّر له كامل وضع الطوباويّين في الفردوس، وإذا بمقامهم هو في «الأميريوس» أو سماء الأنوار الخالصة التي تستمدّ من ذاتها سطوعها المستديم، وأنّهم ينزلون لدى وصوله ويتوزعون السّموات الأخرى ليدلّوه على اختلاف مراتبهم. والسّموات الثّلاث الأولى مدعّوة على هذا الأساس بالسّموات الواطئة أو الدّنيا.

[←932]

هي بيكاردا دوناتي، شقيقة كلّ من فوريزي دوناتي صديق دانتي («المطهر»، الأنشودة 23، الأبيات 40-133،  
والأنشودة 24، الأبيات 1-99) وكورسو دوناتي زعيم الغيلف السود («المطهر»، الأنشودة 14، الأبيات  
82-87). ولاحقًا (في الأبيات 97-108 من هذه الأنشودة) تصف لدانتي تعاسة مصيرها، وقد كان دانتي يحضها  
مودة كبيرة.

[←933]

سماء القمر.

[←934]

ذلك أنه الآن في السماء الواطئة، والنذور غير المحققة كانت مهملة في شطر منها وغير كافية في شطر آخر.

[←935]

كتبها دانتي باللاتينية (necesse)، وهي صيغة اسكولائية تدلّ على ما يترتب من نتيجة في خطاب منطقيّ. فلأنّ جوهر هذه السّموات قائم على المحبّة، فلا يسع سكّانها إلّا أن يُحبّوا.



[←936]

أي من درجة إلى أخرى، وتدلّ الصّورة على مختلف درجات الطوباوية وعلي كون دانتي سيقابل الطوباويين بالانتقال من سماء إلى سماء أخرى.

[←937]

هي القديسة كيارا (كلير) الأسيسيّة، التي أسّست برعاية القديس فرانتشيسكو جمعيّة «السيدات الفقيرات» التي ستُعرف باسمها: «نظام الكلاريسات».

[←938]

كانت ييكاردا قد اجتذبتُها مثال القديسة كيارا فاحتجبتُ في دير أخرجها منه أخوها بالقوة.

[←939]

كونستانترا هي ابنة رودجيري ملك صقلية، المعترف بها بعد وفاة أبيها، والمولودة في 1154.

[←940]

بفضل وحي إلهي استطاع النبيّ دانيال أن ينجو من مكائد نبوخذنصر الذي كان يريد إبادة جميع حكماء بابل لا لأنهم لم يفسّروا حلمه فحسب، بل لأنهم لم يخبّئوه وقد نسيه هو نفسه («العهد القديم»، كتب الأنبياء، دانيال، 2، 45/1).

[←941]

هي حالة ييكاردا وكونستانزا المذكورتين في الأَشْوَدة السَّابِقة.

[←942]

تقرأ في محاوره «التيماوس» (التي قد يكون داني قراها بالترجمة اللاتينية، أو عرفها عن طريق القديس أوغسطين أو القديس توماس الإكويني أو ماكروبي) أن الأرواح تُخلق قبل الأجساد وأنها تتوزع على الكواكب بعد موت أصحابها.

[←943]

إستخدم دانتي الصّيغة الاسكولائيّة اللّاتينيّة: tua velle (إرادتك).



[←944]

النّظرية الثانية هي نظرية أفلاطون، وهي الأخطر، فلو كانت صحيحة لبطل الاعتقاد المسيحيّ.

[←945]

صامويل النبيّ كان آخر القضاة، وهو من أقام الملكيّة في اسرائيل. ويوحنا قد يكون صاحب الإنجيل وقد يكون المعمدان.

[←946]

أحد مبادئ المذهب الأرسطي، استقاها دانتي من القديس توماس الإكويني.

[←947]

هو رئيس الملائكة رافائيل الذي شفى النبي طوبيا من عشاہ.

[←948]

ما يعرضه تيموس مخالف لما نرى في سماء القمر (حيث تظهر الأرواح ولكن لا تقيم). المقصود أنّ تيموس يعتقد تمامًا بما يقول، فينبغي الأخذ بما يقول حرفياً لا على المجاز.

[←949]

الصّورة هي في الفكر الاسكولائيّ ما يمنح الأشياء شاكلة كينونتها وخصائصها. كتب القديس توماس الإكويني أنّ «الرّوح العاقلة هي صورة الإنسان».

[←950]

دفع هذا الاعتقاد بتأثير الدوافق الكواكبية أغلبية الشعوب إلى أن تهب الكواكب أسماء إلهية، أي إلى أن تؤلّوها.

[←951]

الله هو لديه العدالة العليا، وأحكامه التي تبدو «جائرة» إنما هي أدلة على صلاحية الإيمان.



[←952]

هو القديس لورنتزو، كان شماسًا في روما وأُحرقَ في 258.

[←953]

هو موتشيوس سكوفيلا؛ أحرق يده لأنها لم تفلح في قتل الطاغية يورسينا.

[←954]

يقصد أنّ كونستانترا بقيت محتفظة بمحبّتها للحجاب أو عصابة الرّأس، التي كانت تفرضها ملّتها، حتّى في فترة «طيشها» وانزلاقها إلى مغريات الحياة الدّنيا. فكأنّها مارست هنا نوعًا من الكذب المضطرّ أو التناقض على سبيل التّقية.

[←955]

أنظر، بصدد ألكميون، «المطهر»، الأنشودة 12، الأبيات 49-51. وقد كتب أوفيديوس في «التحوّلات» أنّ ألكميون هذا «بقتله أمّه انتقامًا لأبيه، أبان عن كونه ورعًا ومجرمًا في آنٍ معًا.»

[←956]

كتبه باللاتينية وهو من التعابير الاسكولائية: frustra.

[←957]

استخدم دانتي المفردة «نزاع» litigio بمعناها الاسكولائي والقضائي، أي كمنافرة مع العدل الإلهي بشأن إمكان التعويض عن نذر غير موفي به وعن مدى العقاب، وليس بمعني صراع النفس والنفس ولا بمعني خلافٍ حول مصير الزوج.

[←958]

مادّة النَّذر هي الشيء أو الفعل المهدى بمناسبةه (الصّوم، اختيار الفقر، إلخ).

[←959]

أي الميثاق، وهو صورة النذر.



[←960]

أي أنه لهذا السبب فُرضت على اليهود فريضة التقدّم بأضاحي وقرابين («العهد القديم»، «الأخبار»، 27/

(33-1

[←961]

هما المفتاحان اللذان تركهما السيّد المسيح للقديس بطرس، واللذان يفتحان ملكوت السموات. الأوّل (الذهبيّ) صنعه الله بنفسه، والثاني (الفضيّ) يحلّ عقدة الخطيئة. أنظر «المطهر»، الأنشودة التاسعة، البيت 117).

[←962]

ليست النسبة الرياضيّة هنا بالدّقيقة، وقد أضاف سُرّ «الأخبار» («العهد القديم») عنصرًا خامسًا.

[←963]

نذّر يفتاح الجلعاديّ أن يقدّم أضحيةً للربّ إنّ هو أرجعه من الحرب ظافرًا أوّل مخلوق يخرج من منزله، فكانت ابنته أوّل من خرج، فوفى بنذره (سفر القصة»، 9 / 39-40).

[←964]

هو أغامنون، الذي ضحى بابنته إيفجينيا لينال في أوليس ربحًا مؤقتية («الإنياذة»، 2، 166، و«التحوّلات»، 12، 27).

[←965]

أَيُّ الْيَهُودِ بِمَا هُمْ شَعْبٌ لَا يَتَمَتَّعُ بِتَنْظِيمٍ دَقِيقٍ فِي بَابِ النَّدْوَرِ.

[←966]

سما عطارڊ.

[←967]

هو الامبراطور يوستنيانوس، وهذا ما سيعرفه القارئ في الأشرطة التالية.



[←968]

عطارد، مرّة أخرى.

[←969]

قام قسطنطين الأول الكبير في 330 بنقل مركز الامبراطورية من روما إلى بيزنطة، «بخلاف اتجاه السماء»، أي من الغرب إلى الشرق. وكما سبق ذكره، فقد اعتبر دانتي ومعاصروه هذه المبادرة، التي أخلى فيها الامبراطور روما للبابا ليمارس فيها سلطة زمنية ستبعد الكنيسة عن سلطتها الروحية، أول ضربة خطيرة ووجهت إلى كل من الامبراطورية والكنيسة. وعزيت للامبراطور وثيقة تنازلية للبابا (أو بيعة) أثبت القرن الخامس عشر أنها كانت ملفقة. وصار المؤرخون يعزون لشارلمان هذه الهيمنة المعطاة للكنيسة.

[←970]

هي ابنة الملك لاتينوس، تزوّجها إنياس، بطل «الإنياذة»، لدى وصوله إلى جزيرة لاتيوم.

[←971]

بقي النَّسر في بيزنطة قرب الجبال التي غادرها إنياس ما يقرب من مائتي سنة (في الواقع مائتين وست سنوات).

[←972]

أي في الشرق.

[←973]

شذّب يوستنيانوس الأول (482 – 565 م.) القوانين الرّومانيّة من كلّ ما اعتبره فيها نافلاً.

[←974]

يقصد القائلين بوحدة طبيعة السيّد المسيح، وهم يشكّلون فرقة لها أتباع كثيرون، في كنائس الشّرق بخاصّة.

[←975]

تقلد البابويّة بين 535 و635.



[←976]

هو أشهر قادة يوستنيانوس، وكان عليه أن يتكبد حسد رجال البلاط وفقدان الحظوة لدى الامبراطور.

[←977]

إبن إيفاندري، ملك لاتيوم، أرسله أبوه لنصرة إنياس.

[←978]

إشارة إلى الأشقاء الثلاثة آل هوراس الذين دافعوا عن روما أمام الأشقاء الثلاثة آل كورياس المحامين عن أبي.  
وبعدما انتصر آل هوراس على آل كورياس، نقلوا النسر الروماني من أبي إلى روما.

[←979]

أي حتّى طرد آل تاركوينو وقيام الدولة الرومانية، على أثر انتحار لوكرتيا بعدما اغتصبها ابن تاركوينو المعروف بالمتغطرس. أمّا السابينات (في الثلاثية نفسها) فهنّ نساء منطقة سابينيا في وسط إيطاليا، تقول الأسطورة إنّ رومولوس، مؤسس روما (في 753 ق. م.) وملكها الأوّل قد اختطفهنّ لإمتاع جنوده وإقامة حفلات عامّة لاجتذاب سكّان المدن المجاورة. فقامت على إثر ذلك حرب بين الرومان وأهل سابينيا انتهت إلى صلح واقتسام للسلطة. تقول الأسطورة أيضًا إنّ نساء سابينيا لعين في الصّحح دورًا معتبرًا، بعدما لقنهنّ أزواجهنّ.

[←980]

يستحضر دانتى عظماء الرّومان وحملاتهم على الغاليين (سكّان فرنسا الحاليّة) الذين كان يقودهم برينوس، وعلى سكّان تارنته المدعومين من قبل ييرّوس.

[←981]

الأول هو تيطس مائليوس توركاتوس، دكتاتور وقاهر للغاليين واللاتين. والثاني هو تشينتشيناتوس، كان يحرق حقله عندما زُفَّ إليه نبأ انتخابه دكتاتورًا. وبسبب من شعره الطويل لُقِّبَ تشينتشيناتوس، أي المُشعر أو النَّوَّاسي.

[←982]

لَقِيَ كَلَّ مِنْ دَتَشْيُوسِ الْأَبِّ وَالْإِبْنِ مَصْرَعَهُمَا فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ، وَكَانَ الْأَوَّلُ قَدْ قَهَرَ اللَّاتِينَ وَالْآخِرَ السَّمْنِيِّينَ. وَأَلَّ فَابْيُوسُ هُمَ الثَّلَاثُمِائَةَ عَضْوًا مِنْ أَسْرَةِ فَابِيَا الَّذِينَ لَقِيُوا مَصْرَعَهُمْ فِي الْقِتَالِ ضِدَّ فَيِّيسَ، وَمِنْهُمْ الدِّكْتَاتُورُ فَابْيُوسُ الْكَبِيرُ.

[←983]

يقصد أهل قرطاجنة، ففي زمن داني كانت تسمية العرب تُطلق على جميع سكان إفريقيا الشمالية.



[←984]

كان تشييونى فى سنّ الثالثة والثلاثين عندما قهر هنبعل، ونال يومىيوس الظفر يوم كان فى الخامسة والعشرين.

[←985]

تتمثل الوظيفة السماوية (أي التي تمليها العناية الإلهية) للامبراطورية في نظر داني في إشاعة السلام في العالم  
لدي دنو ظهور المسيح.

[←986]

إشارة إلى تطويع قيصر لفرنسا ما وراء جبال الألب.

[←987]

كان قيصر، في مقاتلته يومبيّوس، قد عبّر الرّوبيكون وقهر قوّات خصمه في إسيانيا ثمّ في ساحل الدّلماس ففرساليا فتساليا حيث قهر قوّات يومبيّوس نهائيّاً، ووصلت الفجيعة حتّى مصر حيث التجأ يومبيّوس إلى بلاط بطليموس واغتيل هناك.

[←988]

تنويع آخر على حركة قيصر. فيروي لوكانوس أنّ قيصر قد عَجَّ بعد معركة فرساليا ليرى خرائب طروادة، ثمّ إلى أثناندروس الميناء الذي كان انطلق منه إنّياس، فسيموييس حيث كان قبر هكتور، ثمّ إلى مصر حيث استولى على عرش بطليموس (الحاكم لا العالم الجغرافيّ والفلكيّ) ليهبه لكيلوياطرة.

[←989]

دحر قيصر أولًا يوبا، ملك الأثيوبيين ونصير يوميّوس، ثم أبناء يوميّوس في إسبانيا.

[←990]

إنّ هذا الذي حمل فيما بعد التّسر الإمبراطوريّ، أي الامبراطور أغسطس، ما برح يُخضع لعذاب الجحيم كلّاً من بروتوس وكاسيوس (أنظر «الجحيم»، الإنشودة الرّابعة والثلاثين، الأبيات 64-67). وتحت أسوار مودينا هزمت قوّاته ماركوس أنطونيوس وأحالت بيروجيا خراباً.

[←991]

بعد مصرع ماركوس أنطونيوس، إنتحرت كيوياترة بأن جعلت صلاً يلدغها.



[←992]

قام أوكثافيوس (الإسم الأوّل للامبراطور أغسطس) بغزو مصر بعد قهره كليوباترة. وفي عهده أُغلق معبد جانوس. وللمرّة الأولى ستشهد روما فترة من السّلام ستدوم قرنين. وفي تلك الحقبة سيظهر السيّد المسيح.

[←993]

جميع المشاريع التي حققتها النسر حتى ذلك الحين ليست بذاتِ بالٍ بالمقارنة مع ما سيحقّقه في عهد تيريسو كاوديسو نيرو (32 ق.م. - 37 ميلاديّة)، الذي سيتمّ صنيع أغسطس في العدل والماليّة والإدارة وتنمية الأقاليم.

[←994]

أي أنّ غضب الله على معصية آدم وجد التّعبير عنه في موت المسيح في عهد تيبريوس. وسيتوقّف دانتي على لسان بياتريشي في الأنشودة القادمة عند هذه الفكرة القائلة بموت المسيح فاديًا للإنسانية عن خطيئتها الأصليّة. موت يعتبره محتومًا وفي الأوان ذاته ولا أكثر إيلاّمًا.

[←995]

هَدَمَ تيطس هيكل أورشليم في 70 ميلاديّة. ويعبّر دانتي، على لسان المتكلم في هذه الأنشودة (يوستنيانوس) عن فكرة أنّ هذا التّهديم كان عقوبة عادلة على مقتل المسيح، وإنّ كان هذا المقتل مثلاً بدوره عقوبة عادلة على معصية آدم (الحاشية السّابقة). هذه الفكرة عن انتقام من انتقام كانت تشغل بال دانتي، وستقدّم له بياتريشي تفسيرها في الأنشودة القادمة.

[←996]

بطلب من الامبراطور أدريانو الأول، هبّ شارلمان لنصرة الكنيسة التي تعرّضت لهجوم اللبارديين  
(«الفردوس»، الأنشودة الثامنة عشرة، البيت 43). لا يقيم دانتي فاصلاً بين الامبراطورية الرومانية العتيقة  
والامبراطورية الرّومانية المسيحية.

[←997]

جعل «الغيلين» من النسر الروماني كشعار كونيّ شعارًا لحزبهم. أمّا «الغيلف» فعارضوه بالزنبق الذهبيّ، شعار العائلة الحاكمة الفرنسيّة.

[←998]

حتى يتخفّ الغبّلين على أحقادهم، أتهموا معسكر الخصوم بالعصيان في وجه الامبراطوريّة المقدّسة  
(المسيحيّة).

[←999]

شارل الجديد هو شارل الآنجي الثاني، ملك نابلي، الذي هاجم عبثاً النسر الامبراطوري الذي سبق أن دحر ملوگا أقوى منه.



[←1000]

عُطارد هو أصغر كواكب النظام الشمسي.

[←1001]

يسرد دانتي هنا بصورة موجزة سيرة روميو دو فيلنوف، فهران عمدة البروفنس الفرنسية رايمون بيرانجيه الرابع (أي مؤتمنه ووكيله الخاص) الذي سيأتي في أبيات تالية ذكره وذكر ما أشيع أنه فعله بروميو. المروي أنّ روميو كان «مؤدّب» ابنة بيرانجيه الأخيرة وأنه زوّجها لعمدة آنجو، شارل الذي سيصبح شارل الأنجي الثاني ملك نابولي، كما زوّج شقيقاتها الثلاث لكلّ من ملك فرنسا وملك إنجلترا وملك جرمانيا، وأنّه مات محاطًا بالتّشريفات. ولكنّ دانتي يتبّى هنا رواية أخرى تشيع أنّ روميو تلقى من أعيان البروفنس تهمة بأنّه بدّر ميزانيّة حاميه فخرج يذرع الآفاق وتوفّي وسط البؤس. فلعلّ الشاعر يجد تلاقات بين هذه الرواية وشقائه هو نفسه في المنفى.

[←1002]

كتبها دانتي في مزيج من اللاتينية والعبرية الشعائرية.

[←1003]

أثار تعبير «النور المزدوج»، جدلاً عريضاً. أفىقصد النور الإلهيّ ونور يوستثيانوس أم، وهذا هو المرجح، نور الامبراطورية ونور القوانين ممثلاً في يوستثيانوس نفسه؟

[←1004]

هما المقطعان الأوّل والأخير من اسم بياتريشي.

[←1005]

يقصد آدم، فطره الله من دون أن تلده امرأة.

[←1006]

على يديّ تيطس، أي عبر المحكمة الرّومانيّة الشرعيّة.

[←1007]

عندما حاول الإنسان أن يصبح نذّ الله فهو قد ارتكب معصية العُجب والغطرسة المتناهية التي يتعدّر عليه التّكفير عنها بنفسه.



[←1008]

أي بالترجمة وحدها أو بالعدل وحده أو بكلا الإثنين.

[←1009]

يتمخض إشعاع النجوم وحركتها غير المتناهيين، اعتبارًا من المادة القابلة للتجسد، عن أرواح الحيوان والتّبات. ولأنّ الأخيرة لم يخلقها الله مباشرةً، فهي قابلة للانحلال.

[←1010]

كان شائعًا في عهد داني أن فينوس (الزّهرة) قد ولدت في جزيرة قبرص وأعطت اسمها للكوكب المعروف.

[←1011]

هو في النّظام البطليموسيّ الدّائرة الصّغيرة التي يمارس فيها كلّ كوكب حرّكته الخاصّة، باستثناء الشّمس.

[←1012]

وُلدتُ الإلهة ديوني من قران الأوقيانوس (البحر المحيط) وتَميس. وهي أمُّ الزُّهرة (فينوس) وكوييدون (كوبيد) إله العشق.

[←1013]

ديدون هي في الميثولوجيا اليونانية أميرة صور، هربت من فينيقيا بعدما اغتال شقيقها بيغماليون بعلها شيزرياس، وعبرت البحر وأسست قرطاجتة. ولكن فرجيليو يجعل منها في «الإنياذة» (الكتاب الأول، 657) معاصرة لحروب طروادة، ولدى مرور أنياس بشاطئها يهيم بها وتهيم به، ثم يرفع القنوع ميمًا شطر إيطاليا فتنتحر هي غمًا. ولتأسس حكاية العشق هذه، يجعل فرجيليو كوييدون يأتي متنكرًا بملامح أسكاني ابن أنياس ويجلس على ركبتى ديدون ويجعلها تشتعل هيأًا ببطل طروادة.

[←1014]

هي الزهرة، التي تتبع الشمس في المساء وتسبقها في الصباح.

[←1015]

أي بقطع الزقص المبدوء به في دائرة المحرك الأول.



[←1016]

هو شارل مارتل، الإبن البكر لشارل الأنجى الثاني وماريا الهنغارىة. توفى في نابولي في 1295 عن أربع وعشرين سنة. كان في العام الذي سبقه قد أمضى بضعة أيام في فلورنسة حيث التقى دانتي.

[←1017]

البيت الأوّل من أغنية لدانتي في «المأدبة» يخاطب فيها العقول السّماوية. وفي ذكرها دلالة على أنّ شارل  
مارتل كان صديقًا للشّاعر.

[←1018]

يُمهّد دانتي هنا لإدانتته لحكومة الأجنبيّين.

[←1019]

لا نعرف عن لقاء دانتي وشارل مارتل أكثر مما يقوله دانتي هنا.

[←1020]

كانت البروقنس معروفة باعتبارها المجال الذي تمتد عليه الضفة اليسرى للزّون بعد التحامه بنهر السّورغ.

[←1021]

قرن أوسونيا هو مملكة نابولي. وكانت أوسونيا تدلّ عند الشعراء اللاتين إمّا على إيطاليا السفلى أو إيطاليا بأكملها. وكانت كاتونا (لم تعد قائمة) تشكّل محللاً للإبحار إلى صقلية ولتحشّد فصائل شارل الأوّل وحلفائه.

[←1022]

يقصد هنغاريا التي يسقيها الدّانوب الطّالع من أراضٍ هي اليوم نمساويّة.

[←1023]

هي صقلية، الواقعة بين رأسي ياتشينو وبيلورو (هما اليوم رأس إيسارو في الجنوب الشرقي ورأس فارو في الشمال الشرقي). والخليج هو خليج كاتانيا، الذي تلفحه الصبا أو ربح الشرق.



[←1024]

الوحش تيفون هو ابن غايا (إلهة الأرض) ولدته من تارتاروس ليأثر لأبنائها العماليق الذين محقهم زفس. حاول تيفون أن يُلقي بزفس في جبل إتنا فمحقه ربُّ الأرياب تحته، ومن هنا ولد في الجبل البركان المعروف. وقد ذكر تيفون كلَّ من أوغثيديوس وفرجيليو، إلا أن دانتى يعزو للظاهرة أسبابًا علمية ويتكلم عن «الكبريت المتولد».

[←1025]

بسبب من إهانات تلفظ بها جنديّ فرنسيّ في باليرمو في 30 آذار 1282 في ساعة صلاة إثنين الفصح المسائيّة، خرج الشّعب منتفضًا على هيمنة الأنجيين هاتفاً: «يسقط الفرنسيون».

[←1026]

كان روبرت الأنجي، شقيق شارل مارتل، قد اعتُقل هو وأشقائه الصغار رهائن في كاتالونيا (قطلونية) بإسبانيا بين 1288 و1295. وأُشيع أنّ روبرت، لدى عودته إلى نابلي، جلب معه من كاتالونيا ضبّاًا بخلاء وجشعين.

[←1027]

أي أن روير هذا كان بحاجة إلى تربية فروسية تعلمه ألا يظل مهمومًا بإملاء خزائنه.

[←1028]

يتقدّم شارل مارتل نفسه بالإجابة، سابقًا دانتي. «المعلّم» هو أرسطو (إشارة إلى رسالته «في الزّوح»، 3، 9).

[←1029]

أولهما مشرع والثاني محارب.

[←1030]

راهب (أنظر «سفر التكوين» 14، 18).

[←1031]

كان يعقوب أكثر مسالمةً من شقيقه التّوأم عيسو، ويروي «سفر التّكوين» (25، 21-28) أنّهما تعاركا في رحم أمّهما. وكيرينوس هو الإسم الآخر لرومولوس، الذي عزت أمه ريا سيلفيا أبوتّه للإله مارس لكي تخفي زلتها.



[←1032]

هي زوجة شارل الأنجي، توقّيت عن سبع وعشرين سنة. ربّما كان دانتي لمحها يوم زفافها في 1281. ولمّا كانت ابنة شارل تحمل الإسم نفسه، فإنّ بعض الشراح يفكّرون بأن دانتي ربّما كان يخاطبها هي.

[←1033]

رَبِّمَا كَانَ فِي هَذِهِ النُّبُوَّةِ بَتَلَقَّى رُوَيْرَ الْآنَجِيَّ عَقَابَهُ تَلْمِيحًا إِلَى هَزِيمَةِ الْعَيْلِفِ أَمَامِ الْغِبَالِيِّينَ فِي مَعْرَكَةِ مَوْنَتِيكَاتِييْنِ فِي 1315، وَقَدْ لَقِيَ مَصْرَعَهُمَا فِيهَا ابْنُ رُوَيْرٍ وَشَقِيقُ لَهُ.

[←1034]

أي عندما كان يرتل «هوشعنا» صعبة الطوباويين الآخرين.

[←1035]

يقصد «أهداب» تريفيسو، بين البندقية وبرينتا.

[←1036]

تلّ رومانو، حيث تقوم قلعة آل أتزيليبي. و«المشعل» (في المقطع نفسه) لقب الطاغية أتزليينو الثالث (أنظر «الجحيم»، 12، 109-110).

[←1037]

كونيتزا دا رومانو، شقيقة أتزليانو. تزوجت ثلاث مَرّات وكان لها عدد كبير من العشّاق، بينهم شاعر التروبادور سورديلو («المطهر»، 4، 75-58).

[←1038]

المقصود بـ«لؤلؤة هذه السماء» هو الشاعر فولكيه المرسيليّ (أنظر أدناه).

[←1039]

يزنر هذان النهران تريفيسو من الشرق والغرب.



[←1040]

نبوءة كونيتزا الأولى: أهل يادو يلونون بدمهم البركة المجاورة لفيتشنتشي: يلّمح دانتي إلى هزيمة الغيلف الدّامية أمام غيلين فيتشنتشي في 1314.

[←1041]

نبوءة كونيتزا الثانية: ريتزاردو دا كامينو، ابن غيراردو الطيّب («المطهر»، 16، 124) يخلف أباه في زعامة تريفيسو ويقتله غيلةً شريك له في لعبة الشطرنج.

[←1042]

نبوءة كونتيزو الثالثة: منفيون من فيرازي، لاجئون لدى الأسقف أليساندرو نوفيلو، راعي فيلتره، يُسلمهم الأخير ليُعرب عن مشاعره الطيبة إزاء الغيلف.

[←1043]

هي الفرقة الثالثة في المرتبة الأولى من الملائكة (السروفيين والكروبيين والعرشيين).

[←1044]

كما في الصّورة التقليديّة للسّروفيّين.

[←1045]

يبتكر دانتي هنا فعلين لرؤية الواحد «في» «الآخر» بمعنى نفاذه إلى أعماقه، هما –m'in tuassi  
(«أرى فيك») و t'inmii («ترين في»).

[←1046]

يقصد البحر الأبيض المتوسط. وكان يسود الإعتقاد في زمن دانتي بأنّ البحر المتوسط يمتد على تسعين درجة، من خطّ زوال قاديش حتّى خط زوال أورشليم.

[←1047]

يفصل نهر ماغرا، في أسفل واديه فحسب، بين ليغوريا وتوسكانيا.



[←1048]

إشارة إلى مذبحة أهل مرسلية على يد بروتوس، نائب قيصر.

[←1049]

فولكيه الملقب بالمرسيلّي شاعر بروقنسالّي مشهور، ولد في مرسيلية في عائلة أصولها من جنوة، وأصبح في 1205 أسقف تولوز الفرنسيّة.

[←1050]

هي الملكة ديدون، أرملة زيشرياس، الذي نسيته من أجل إنياس.

[←1051]

كانت فيليس، ابنة صهيون ملك تراسيا، تعيش قرب نهر رودوپوس، وقد انتحرت في الأسطورة لأنها اعتقدت بهجران ديموفونتيس ابن تيسياس لها فتحوّلت إلى شجرة لوز.

[←1052]

هو الإسم الآخر لهرقل، وقد أثار غيرة ديجانيرا عندما عشق لولي، إبنة ملك تساليا.

[←1053]

رحاب غانية من أريحا أخفت في منزلها كشافين كان يهوشع بن نون قد أرسلهما للاستطلاع لدى محاصرته المدينة.

[←1054]

كان يسود الاعتقاد بأنّ قوس الظلّ الذي تعكسه الأرض يجد منتهاها في سماء الزّهرة.

[←1055]

أي باليدين المضمومتين للصلاة. وربّما قصد يدي المسيح. وربّما تعلّق الأمر بظفر المسيح نفسه أكثر ممّا بالاستيلاء على أريحا.



[←1056]

المشروع الظافر الأوّل ليهوشع هو الاستيلاء على أريحا.

[←1057]

يقصد أنّ فلورنسة (ويعني اسمها «الزّاهرة») هي نبتة الشّيطان.

[←1058]

يقصد «الفلورين»، عملة فلورنسة التّقدية، وكان لها اعتبار في سائر أوربا.

[←1059]

يقصد الشَّرْع الكنسي الذي كانت دراسته مربية، وتتضمَّن بنوده على حواشٍ كثيرة. وقد تتضمَّن الإشارة إلى الحواشي تلميحًا إلى ولع البابوات ومساعدتهم بالتَّلاعب ببنود هذا الشَّرْع لتحقيق منافعهم الماديَّة.

[←1060]

أي تدنيس رجال الدين لأشياء الله ابتغاء الذهب والفضة (أنظر «الجحيم»، 19، 4).

[←1061]

تقدّم هذه الأبيات وصفًا لاهوتيًّا لسباق الخلق الذي يقوم به الأب (القدرة) عن طريق الكلمة (الحكمة) والزّوج القدس (المحبّة).

[←1062]

عند نقطتي الانقلاب تلتقي حركة النهار، من الشرق إلى الغرب، وحركة البروج، من الغرب إلى الشرق.

[←1063]

يقصد فلك البروج.



[←1064]

لو لم يكن فلك البروج مائلاً على خط الإستواء فإنّ الكثير من قدرات الكواكب وجميع طاقات الأرض الكامنة ستكون ميتة، أي بلا أثر.

[←1065]

أيقصد على الأرض وفي السماء؟ أم بالأحرى في نصبي الكرة؟

[←1066]

أي نقطة الانقلاب المشار إليها أعلاه في البيتين الثامن والتاسع.

[←1067]

أي طوباويو السماء الرابعة (أهل اللاهوت والعلماء والعارفون). وبقوله في آخر الثلاثية «كيف يلد» يقصد كيف يلد «الإبن» أو «الروح القدس» الذي هو نفحة منه، ومن هنا فعل «يتنفس».

[←1068]

شمس الملائكة هو الله.

[←1069]

ديانا، التي ترمز إلى القمر.

[←1070]

صبيغة مثل: مَنْ لَمْ يَجْرَبْ هَذِهِ الْمَسْرَاتِ لَنْ يَعْرِفَ تَلَقِّي حكايتها.

[←1071]

أي أحد هؤلاء الطوباويين.



[←1072]

الجمعيّة الدينيّة (أو الملة) الدومينيكانية. أسّسها القديس دومنغو، وقد كتبنا هنا اسمه بحسب النطق الإسباني لأنّ القديس إسباني الأصل. وهو بالتّطوق الإيطاليّ «دومينيكو» وبالفرنسيّ «دومينيك». وبحسب النّظام الدومينيكانيّ، يثرى المرء بالفضائل والاستحقاقات إذا لم يحدّ عن القاعدة الأساسيّة المطروحة من قبل مؤسسه بنشدان المنافع الأرضيّة.

[←1073]

هو ألبرت الكبير، من كولونيا، توفي في 1280، وقد عكف دانتي على دراسة سيرته لفترة.

[←1074]

هو القديس توماس الإكويني (1225-1274) الملقَّب بالعارف الملائكي Doctor angelicus. ويمثِّل تفكير دانتي الرُّوحانيِّ في أغلبه تنويحًا على فكر القديس.

[←1075]

غراتيان راهب كاملدوليّ (نسبة إلى جمعيّة دينيّة قامت في كامالدولي في توسكانيا)، وضع في 1140 كتاب «المرسوم» Decretum يفسّر فيه الشّرع الكنسي والقانون المدنيّ.

[←1076]

پير لومبار، توفي في 1164 في باريس حيث كان يعلم اللاهوت. نال رتبة أسقف في 1159.

[←1077]

النّور الخامس هو روح سليمان بن داود.

[←1078]

الإشارة هنا إلى دنيس الأريوباغي الذي اعتنق المسيحية على يد القديس پولس.

[←1079]

فكر الشّراح بأنّ هذا «المحامي» المفيد لخطاب القديس أوغسطين ربّما كان پولس أوريوس المؤرّخ المسيحيّ المولود في 390 وصاحب «التاريخ المضادّ للوثنيّة» في سبعة أجزاء، أو لاكتانيوس أو القديس أمبروسوس (أمبرواز) أو البلاغيّ ماريوس فيكتورينوس.



[←1080]

هو بويثسوس المتوفى في 520 أو 526 ومؤلف «التعزّي بالفلسفة» (أنظر في المدخل النقديّ تأثيره على دانتي في كتابه «المأدبة»).

[←1081]

إيسيدور الإشبيليّ: ولد في قرطاجنة نحو 560 وصار أسقف إشبيلية وتوفي في 636؛ صاحب «كتاب الإشتقاقات Etymologiarum Libri (موسوعة بعشرين جزءاً). بيدا الميجل: راهب إنجليزي توفي في 735، مؤلف «تاريخ إنجلترا الكنسيّ». ريشار دو سان-فيكتور: كان رئيس دير سان-فيكتور بباريس حتّى وفاته في 1173، وهو أحد أكبر ممثلي الصوفيّة المسيحيّة.

[←1082]

سيجيه (بالإيطالية: سيجيري) دو برابان (1235-1281)، علّم في «كلية الفنون» بباريس وكان أكبر الفلاسفة الرشديين (العاملين على فكر ابن رشد) اللاتين في عصره. ردّ عليه القديس توماس الإكويني وحوكم بتهمة الهرطقة في 1277 وتوفي بأورفييتو مغتالاً على يد سكرتيره الذي أصابه مس من الجنون. ويلاحظ القارئ أنّ دانتي، على ميله إلى فكر القديس الإكويني، يُبجّل سيجيه وقد يكون رأى فيه ضحية الفكر الفلسفيّ. كما لا يُستبعد أن يكون صاحب «الكوميديا الإلهية» قد تأثر عبره ببعض جوانب الفكر الرشدّي (أنظر المدخل النقديّ).

[←1083]

أي أنه أبان بالقياس المنطقي عن حقائق جلبت له الحسد والملاحقة.

[←1084]

هي الكنيسة، تنهض لتلاوة صلوات السّحر للسّيّد المسيح.

[←1085]

يجترح دانتي هنا فعلاً غير موجود في الإيطالية: *insempra* (يتأبّد) من الظرف *sempre* (إلى الأبد).

[←1086]

كتبَ silogismi وهي القياس في المنطق، ولكنّه يقصد المحاججة أو الحجاج بعامة.

[←1087]

كتب Amforismi وهو عنوان كتاب هيوقراطيس الطبيب، فصارت الكلمة تدلّ على المعارف الطبيّة لا على العبارات المقتضبة، الحكميّة غالبًا، كما في أيامنا. أمّا مفردّة «الشّرع» فتشير إلى كافّة العلوم الشرعيّة والقضائيّة.



[←1088]

يقصد القديس توماس الإكويني.

[←1089]

قبسة من الأنشودة السّابقة (البيت 96)

[←1090]

هذا الشكّ الثّاني سيبدّد القديس توماس الإكوينيّ في الأنشودة الثّالثة عشرة.

[←1091]

الزوجة هي الكنيسة.

[←1092]

يقصد بالأميرين القديس فرانتشسيسكو مؤسس الجمعية الدينية الفرانتشسيسكانية والقديس دومنغو (دومينيك) مؤسس الجمعية الدينية الدومينيكانية.

[←1093]

يقصد القديس فرانشيسكو مضطربًا بالحُميا الصوفية كمثُل ملاك سروي، والقديس دومنغو منيرًا بعلمه  
كملاك كروي.

[←1094]

ينحدر هذا النّهر من جبل غوبيو حيث عاش الطوباويّ أوبالدو بالداسينيّ في عزلة تقشّفية.

[←1095]

تقع مدينةتا غوالدو تادينو ونوتشيرو وأومبر؛ وراء جبل سوبياسو الذي يشرف عليهما ويتسبب لهما بظروف مناخية غير مؤاتية. وقد رأى الشّراح هنا تلميحًا إلى الحكم المستبدّ لهاتين المدينتين.



[←1096]

أي كالتَّمس عندما تخرج من الكنج في أثناء الانقلاب الربيعي.

[←1097]

الشَّمس في اللّغات اللّاتينيّة مذكّر، ومن هنا تمكّن الشاعر من الانتقال من الكلام عن الشَّمس (وهي هنا مجاز عن القدّيس فرانتشيسكو الأسييّي) إلى الكلام عن القدّيس نفسه من دون تغيير ضمير التّذكير، وهذا ما أجبرنا عليه كون الشَّمس مؤنّثة في العربيّة. أما السيّدّة التي يتكلّم عنها في الفقرة نفسها فهي تجسيد للفقر الذي يمثّل خيار هذا القدّيس.

[←1098]

كتب «أمام أبيه» باللاتينية على سبيل التوقير.

[←1099]

أي يسوع.

[←1100]

أميكلاس: تكلم عنه لوكانو في «فارساليا». هو صياد سمك كان في أثناء الحرب الأهلية التي قامت بين قيصر ويوميوس ينام تاركا باب بيته مفتوحا، ولم يضطرب عندما وقف قيصر أمام عتبة كوخه. كان مؤمنا بأن فقره يحميه من كل خطر.

[←1101]

فكّرتُ، حتّى يكون لدينا مذكر (القديس فرانتشيسكو) ومؤنث («زوجته» هذه المتمثلة في الفقر)، بأن أضع «الخاصة» بدل «الفقر»، لكنّ المفردة غير متداولة ولا تتمتع بقوة «الفقر» ومألوفيته، زد على ذلك أنّها لا تلائم إيقاع البيت حقًا. يمكن أن يفكر القارئ هنا بـ«السيدة فقْر» مثلًا.

[←1102]

برناردو المعروف بالمبجل هو برناردو ده كنتافالي، ولد في أسيسي (وسط إيطاليا) نحو 1170، وكان يوزع ثرواته على الفقراء مقتدياً بالقدّيس فرانتشيسكو.

[←1103]

إجيديو، المولود في أسيسي، كان رجلًا بسيطًا تزوره حالات جذلية أو شطحات، وقد تبع القديس فرانشيسكو مبكرًا. أما سلفسترو فراهب من أسيسي، رأى في ما يرى النائم ذات ليلة تنبأ رهيبًا يداهم المدينة فيهمه صليب طالع من فم القديس فرانتشيسكو، فذهب وتلمذ عليه.



[←1104]

بالمفردة capestro يُسمّى الحبل الصّغير الذي به تُشدّ رؤوس الخيول والثيران، وقد اتّخذهُ القديس فرانتشيسكو حزامًا له ولأتباعه علامةً على التّواضع.

[←1105]

هو أبو القديس فرانتشيسكو، كان تاجرًا ثريًا في أسيسي.

[←1106]

هو إوتشنتو الثالث الذي كان في البدء معاديًا للقديس فرانتشيسكو، ثم رأى في ما يرى النائم إلى كنيسة القديس يوحنا في لا ترانيا وهي على وشك الانهدام يسندها القديس المذكور بكتفيه (كما في بعض كرامات أولياء الإسلام)، فأعطى ترخيص قيام جمعية القديس التي ستحمل اسمه.

[←1107]

كتب archimandrita وتعني في المعجم الكنسي الهليلي «رَاعيًا».

[←1108]

أعطى البابا هونوريوس ترخيصه الرسمي لجمعية القديس في 1223.

[←1109]

إشارة إلى رحلة القديس فرانتشيسكو إلى الشرق متبوعًا باثني عشر راهبًا في 1219. وقد أُسِرَ في عكا، وعبثًا حاول تنصير السلطان مالك الكامل الذي أطلق مع ذلك سراحه.

[←1110]

إشارة إلى ما أشيع عن معجزة الندوب التي ظهرت في جسد القديس وظلّ يحملها من 1224 حتى وفاته بعد ذلك بسنتين.

[←1111]

في تشرين الأول من 1226، عندما أحسّ القديس فرانتشيسكو بدنوّ أجله، طلب أن يُطرح عاريًا على الأرض العارية، للدلالة على اختياره الفقر الإنجيلي.



[←1112]

سفينة بطرس هي الكنيسة.

[←1113]

هذا البطريرك هو القديس دومنغو، والمقصود بمن يتبعونه أفراد جمعيته الزهدية (سبق ذكرها) التي حملت اسمه فدُعيت بالدومينيكانية. ويُلاحظ القارئ أنّ القديس الإكويني، بعدما امتدح هنا صنيع القديس فرانتشيسكو وجمعيته الدينية، سينعى تدهور الجمعية الأخرى، الدومينيكانية، على كونه أميل إليها. في الأُسُودَة التّالية، سيقوم القديس بوناغنتوره بالعكس، إذ يمتدح هذه وينعى تدهور تلك وهو من أنصارها.

[←1114]

ذلك أن القديس المتكلم لم يبدد في خطابه إلا واحداً من شكوك دانتي.

[←1115]

يقصد بالشعلة المباركة روح القديس توماس الإكويني.

[←1116]

هي إيريس، ومن اسمها جاء اسم قوس القزح.

[←1117]

هي الحورية إيكو، عشقت نرجس وتحوّلت إلى صوت (واسمها يعني «الصدى»).

[←1118]

هو صوت القديس بوناڤنتوره (سنعود إلي).

[←1119]

يقصد الإبرة الممغنطة، كانت البوصلة قد اخترعت منذ عهد قريب.



[←1120]

هو القديس دومنغو (دومينيك).

[←1121]

يقصد القديس فرانتشيسكو. ويلاحظ القارئ كيف اختار دانتي قديسًا فرانتشيكانيًا، هو بوناڤنتوره، لينطق بمديح القديس دومنغو ويعني تدهور الفرانتشيسكانيّة، كما اختار في الأنشودة السابقة قديسًا دومينيكانيًا، هو القديس توماس الإكوينيّ، لينطق بمديح القديس فرانتشيسكو ويعني تدهور الدومينيكانيّة. فالاثان ينطقان بخطابين متكاملين في ما وراء تناقضهما الظاهريّ.

[←1122]

أي الصليب.

[←1123]

أي الله.

[←1124]

أورثه: شقيقة قدموس في الأسطورة، يهيم بها زفس فيتنغر في هيئة ثور أبيض ويختطفها إلى جزيرة كريت اليونانية.

[←1125]

قرية صغيرة من قشتالة القديمة.

[←1126]

كانت أم القديس دومنغو قد رأَت في ما يرى النَّائم وهي حبلَى به أنّها تلد كلبًا أسود وأبيض يمسك بين أنيابه  
بمشعل يُحرق به العالم.

[←1127]

أي رهبان جمعيته (الدومينيكانية).



[←1128]

إسم القديس الإسباني دومنغو (بالفرنسية: دومينيك، وبالإيطالية: دومينيكو) يعني «كيان السيّد»، وبدقة أكثر «الكيان السيادي»، وهو مشتق من الفعل اللاتيني dominari (يسود، يهيمن، يملك) والاسم - الصفة dominus يعني «السيّد».

[←1129]

يوظف اسم أبيه، وهو «فيليكس»، ويعني باللاتينية: «السعيد». هو سعيد أو محظوظ لكونه أبا قديس كبير. أما اسم أمه، «حتّة»، فيعني بالعبرية «فضلاً من الله».

[←1130]

هو هنري السّوزي (نسبة إلى «سوز»)، الفقيه الكنسيّ المعروف، وكاردينال سيسترون. أصبح كاردينال أوستنسه في 1262. وربما كان تاديه هو تاديه يبيولي، وهو فقيه معروف من أصل بولندي ومعاصر لدانتي. أو لعله تادي دالديروتو، الطبيب الفلورنسي المشهور، المولود نحو 215.

[←1131]

وضع دانتي هذه العبارة باللاتينية على سبيل السخرية. والإشارة هنا إلى العُشر المخصص للفقراء، والذي كانت الكنيسة تتلقاه باسمهم. وفي كلامه في بداية المقطع عن تسديد «اثنين أو ثلاثةً مقابل ستة»، يقصد أن القديس دومنغو كان يرفض اختزال ديونه أو مستحقاته كما كان يفعل بعض رجال الكنيسة.

[←1132]

يقصد صفي المختارين اللذين يضمّ كلّ منهما اثني عشر طوباويًا، المتحلّقين حول دانتي

[←1133]

إشارة إلى موافقة هونوريوس الثالث على أعمال جمعية القديس في 1216.

[←1134]

هو القدّيس فرانتشيسكو، يُعيد التذكير به تمهيدًا للرّثاء لما صارت عليه جمعيته الدينية.

[←1135]

الصورة توحى ببرميل فيه ترسبات كسنيّة.



[←1136]

لم يعد «الرهبان الصغار» (تسمية أخرى شائعة لأعضاء الجمعية الدينية الفرانتشيسكانية) يتبعون نظام القديس فرانتشيسكو، بل يتخذون وجهة معاكسة تمامًا وتشيع في صفوفهم فوضى كبيرة.

[←1137]

إشارة إلى بعض الملل الفرانتشيسكانية، منها «الرهبان الروحانيون»، وقد طردوا من جمعية القديس.

[←1138]

أوبرتينو دا كازال: كان أحد أكثر «الرهبان الروحانيين» نزقًا. ولد في 1250، وانتقل في 1317 إلى الجمعية البنيديكتية. ماتيو داكواسيارتا: كان يشرف على إدارة جمعية «الرهبان الصغار»، شغل منصب كاردينال في 1288 ثم أرسله بونيفاتشو الثامن في مهمة لإحلال السلام بين «الغيلف» البيض والسود.

[←1139]

القديس بونافينتوره، الملقب بـ «العارف السّروفيّ» (نسبة إلى الملائكة السّروفّيّين)، شغل منصب كاردينال في 1272 وتوفي في 1274. ترك عملاً لاهوتياً معتبراً وذا نزوع صوفيّ، يتعارض في الغالب وفكر القديس توماس الإكوينيّ. وفي كلامه في هذا المقطع عن عدم إغارة «مشاغل اليد اليسرى أيّ اهتمام»، يقصد بالطبع تخلّيه عن جميع المطامح الدنيوية أو الزمنية.

[←1140]

كان أوليميناتو وأوغسطين من أول من انخرطوا في هذا النظام في 1210.

[←1141]

رجل لاهوت ومتصوّف ولد في الفلاندر، كان المسؤول القانونيّ عن دير السّان-فيكتور بباريس، توفي في 1141.

[←1142]

بيير الأكل، لاهوتيّ فرنسيّ، عميد جامعة باريس في 1164؛ توفي في دير السان-فيكتور في 1178. بيدرو الإسباني (بييترو سيانو): ولد في لشبونة ودرس الطب وشغل منصب كاردينال في 1274، ثم صار بابا في 1276 وحمل اسم يوحنا الحادي عشر وتوفي في 1277. الكتب الأثنا عشر هي تأليفاته الحاملة عنوان «التأليف المنطقية»، وهو البابا الوحيد الذي يُحلّه دانتي في الفردوس كمؤلف لا كبابا.

[←1143]

ناتان: نبيّ عبرانيّ وبّخ داود لمضاجعته بثّشابع بنت أليعام، امرأة أوريا الحيّ. يذكره دانتي هنا ربما لأنّ اسم «ناتان» يعني بالعبريّة «الواهب» أو «المُعطي»، وهو معنى اسم دانتي نفسه بالإيطالية.



[←1144]

القدیس یوحنا کرزوستومو الأنطاکیّ (347-407)، بطریق القسطنطینیة فی 398، أحد ألمع آباء الكنيسة وكان مشهورًا بفصاحته. أنسلّم: ولد فی أوسته فی 1033، وانخرط فی الجمعیة الدومینیکانیة وكان رئیس أساقفة کانتربری فی 1093. توفی فی 1109 وكان أحد أشهر علماء اللاهوت فی العصر الوسیط. دوناتو: نحویّ معروف، كان أستاذ القدیس یرونیموس (جیروم).

[←1145]

رابانو مور: ولد في ملىئس نحو 766، كان راهبًا ثم رئيس دير في فولدا ثم أسقف مايئس؛ توفي في 856. إشتهر بتأويلاته الأمثولية (الأليغورية) للكتاب المقدس.

[←1146]

جواكيمو دي فيوره (يواكيم ده فلور لدى قراء الفرنسية): ولد نحو 1130؛ كان في البدء راهبًا سستيريًا ثم أسس جمعية رهبانية أو ملة جديدة، وتوفي في كالبري في 1202. عُرف خصوصًا بتفسيراته الصوفية للكتاب المقدس، ولتفكيره أثر ملحوظ على الحركات الفرانتشيسكانية.

[←1147]

في الأبيات التالية يستخدم دانتي لوصف مشهد الفردوس «عِلْم» فلكٍ خياليًا أو شخصيًا.

[←1148]

هي آرياندة (آريان)، التي يصورها أوفيدديوس وقد حوّلها باخوس لدى موتها إلى كوكبة.

[←1149]

نهر في توسكانيا كان يصبّ في التير. ثم تقلّص في العصر الوسيط إلى بركة.

[←1150]

إسم آخر لأپولون.

[←1151]

المقصود بهذا النور روح القديس توماس التي ما برحت ترافق دانتي وتقدم له الأرواح الطوباوية الأخرى وتناوب مع بياتريشي لتعرض له أسرار السماء وتبدد بعض شكوكه اللاهوتية.



[←1152]

هي حوآء التي كلف فوها البشرية ثمناً طائلاً بقضمة التفاحة.

[←1153]

أي صدر المسيح.

[←1154]

روح سليمان النبي.

[←1155]

تَكْتَفُّ كلمة الله أَشْعَثَهَا في تسعة جواهر (جمع «جواهر» لا «جوهرة»)، هي الجوقات الملائكية التسع، من دون أن تُفقد وحدتها.

[←1156]

أي أن المادة تعكس النور الإلهي بقدر يتراوح من الامتداد والقوة

[←1157]

أي لن يكون من طبيعة بشرية أكمل مما في مريم وابنها عيسى.

[←1158]

التساؤل هنا عما حدا بالنبي سليمان إلى أن يطلب هبة الحكمة دون سواها عندما دعاه الله إلى أن يسأله ما يريد.

[←1159]

سؤال ينطلق من منطق أرسطو.



[←1160]

كتب دانتي البيت المعبر عن لزوم «أن يكون هناك محرك أول» باللاتينية، فهذه واحدة من مسائل الطبيعة أو فلسفة الطبيعة، وقد عالجه القديس توماس الإكويني في «التأليف اللاهوتية».

[←1161]

يقصد أن الحكمة اللاتُّضاهي التي كان ينزع إليها مقصد كلماته هو الحذر أو الحيطة الملكيّة.

[←1162]

يشير إلى أن البيت 114 من الأُسُودَة العاشرة في «الفردوس» (الذي يتحدث عن نور الملك سليمان ويقول: «ما وُلِدَ بعدُ مَنْ يرى مثله») يتضمن فكرة أن المقصود هو أن «ملكًا» آخر مثله لم يولد بعد.

[←1163]

وذلك لأنه لا يضيع وقته فحسب، بل يردد الخطأ بدل أن يأتي بالحقيقة.

[←1164]

پارمينيدس: الفيلسوف اليوناني المعروف، زعيم المدرسة الإيلية، ولد في 540 ق.م.؛ ميليسوس: ولد في ساموس وعاش في أواسط القرن الخامس ق.م.، وكان تلميذ پارمينيدس؛ بريسون: فيلسوف يوناني من هيراكلي، إين هيرودتس وتلميذ أوقليديس. ولعل دانتي عرفَ فكر هؤلاء الثلاثة، وأخرين، لدى قراءة ألبرت الكبير.

[←1165]

سابيلوس: هرطقي من القرن الثالث، كان ينكر الثالوث. آريوس (280-339)، كان ينكر وحدة الأقانيم الثلاثة والتحامها الجوهرى ويرى أن المسيح كان مخلوقاً كاملاً لكن ليس الله. وقد تمخضت هذه النظرية عما دُعى بالهرطقة الآريوسية.

[←1166]

إستخدم دانتي بالأصل اسمين شعبيين من الوسط الفلاحي: «لا تحسب السيدة بيرتا والسيد مارتينو...» كمن يقول «لا يحسب فلان وعلتان»، أو «ألا لا يحسب أحد...».

[←1167]

هذه مسألة تداولها اللاهوت الاسكولائي، وخصوصًا القديس توماس الإكويي في «التأليف اللاهوتية».



[←1168]

روح النبي سليمان.

[←1169]

إستخدم دانتي هنا مفردة عامية لقول «آمين» amme

[←1170]

يُفصح الطوباويون عن رغبتهم في استعادة أجسامهم.

[←1171]

كتب دانتي حرفيًا: «في خلاصِ أعلى»، قاصدًا في درجة من الغبطة الطوباوية أعلى.

[←1172]

كتب «هيليوس»، وهو اسم الشمس لدى اليونانيين.

[←1173]

كان درب التبانة (الكتلة السديمية المعروفة التي يصنعها مرأى المجرة) مثار جدل بين الحكماء.

[←1174]

مما يتمخض عن شكلٍ ما يُدعى بالصليب الأغرقي (المتساوي الفروع).

[←1175]

نشيد غير معروف، ويتعلق الأمر بالطبع بانبعث السيد المسيح.



[←1176]

يعتذر داني هنا من كون انجذابه إلى سطوع الصليب المتشكل من حلقات الطوباويين شغله عن تأمل عيبي بياتريشي، فكأنه خفض أهمية جمالهما إلى مرتبة ثانية. وفي الأبيات التالية يكشف بصورة متسارعة عن اثنتين من سمات الارتقاء في الفردوس: فعينا بياتريشي تزدادان، ككيانها كله، جمالاً بقدر الارتقاء في السموات، لأن الأخيرة تطبع بجمالها من يرقاها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالإحساس بالمتعة ليس محظوراً هناك لا سيما وأنه يصبح، بقدر ما يزداد الارتقاء أيضاً، أكثر نقاءً وحدة.

[←1177]

يستخدم داني هنا عن قصد فعلاً ذا دلالة مشخصة (الانصهار والذوبان) ومجردة (التحول إلى...). غاية الحب هي أن يذوب في إرادة الخير ويتلاشى فيها، ومآل الجشع هو أن ينصهر في إرادة الشر حتى عدمه.

[←1178]

كما نفعل لدوزنة آلة موسيقية.

[←1179]

أي أنه لا نجم يختفي.

[←1180]

أي نور كاتشاغويدا، سلف دانتى، الذي يشكل إحدى نجوم هذه الكوكبة (الصليب المنير).

[←1181]

قرأها بعض الشراح بالمعنى الأصلي والهندسي لللاتينية radius وهو النطاق المتشكل من التقاء الشعاعات التي تحدد أرباع الدائرة، إلا أن الشراح القدامى قرأوا فيها الصفة «مشعة» وكفى.

[←1182]

وضع دانتي باللاتينية هذا الكلام الذي يجمع تأثيرات فرجيلية وأصداء توراتية، بما يهب لغة سلفه هنا مسحة خاصة من القداسة أو الاحتفالية. إن هذا اللقاء مع كاتشاغويدا الذي يأتي في منتصف «الفردوس» إنما يؤكد رسالة دانتي السياسية والأخلاقية لدى عودته إلى الأرض.

[←1183]

أي بكلام كاتشاغويدا من جهة، وبجمال بياتريشي المتعظم بقدر ارتقائهما هي ودانتي في السموات من جهة ثانية.



[←1184]

أي الرغبة في رؤيتها.

[←1185]

أي بياتريشي.

[←1186]

أي جميع الطوباويين، مهما تكن درجة غبطتهم.

[←1187]

أي الله، الذي هو التكافؤ الكامل، ما دامت صفاته اللامتناهية متكافئة فيما بينها.

[←1188]

كل فكرة أخرى عن التكافؤ ستكون قاصرة عن التعبير عن فكرة التكافؤ المقيم في الله.

[←1189]

قدرات البشر الفانين غير متكافئة. ومن افتقر إلى القدرة على التعبير لم يكن لديه سوى الشعور.

[←1190]

أي الصليب المُنير.

[←1191]

أيُّ أليغييرو الأول، وهو ابن كاتشاغويدا وأبو بيلينتشيوني الذي ولد له أليغييرو الثاني أبو دانتي.



[←1192]

أي كاتشاغويدا، جد دانتي الأعلى الذي لن يعرف القاريء اسمه إلا في البيت 130 («صرتُ في الأوان ذاته مسيحيًا وكاتشاغويدا»).

[←1193]

هي، بحسب الشراح القدامى، كنيسة كانت تقع قرب السور القديم للمدينة تُدعى «باديا» ويدقُ ناقوسها معلناً عن الساعتين الثالثة والتاسعة وباقي الساعات التي يباشر فيها الحرفيون والعمال عملهم ويخرجون منه.

[←1194]

كان شائعًا في أيام دانتى أن تُزوج الفتيات باكراً ومقابل مهر أو صداق مرتفع يدفعه أبو الفتاة. ولذا كان الآباء يخشون ولادة بنت أكثر ما يخشون.

[←1195]

ملك آشوري عاش في القرن السابع ق.م.، وكان يمثل في العصر الوسيط رمز الرخاوة والانقياد إلى الشهوة. وهذا هو ما يقصده دانتي بالكلام عن افتضاح أسرار المخدع (الزوجي) وظهور ما يفترض أنه يشكل العالم الصميمي لكائنين إلى العلن.

[←1196]

جبل في روما يُدعى اليوم «مونتة ماريو».

[←1197]

جبل في شمال فلورنسة.

[←1198]

مواطن شهير من فلورنسة، أبو «غوالدرادا الطيبة» («الجحيم»، 16، 37).

[←1199]

أشرتان قديمتان كانتا منتميتين إلى حزب «الغَيْلف».



[←1200]

أي مهجورة من قبل بعلها الذي كان يذهب للاتجار في فرنسا. هكذا، وبحسب ما كان يراه بوسكو، ينطرح المنفي والتجارة باعتبارهما باعئي خراب الأسر واضطرابها.

[←1201]

أي اللغة التي يستخدمها الآباء مع صغارهم (أنظر «المطهر»، 111، 23).

[←1202]

تشانغياً: امرأة وقحة ومحبة للفضائح كانت، بحسب لانا، مهيمنة على عالم الصرعات في فلورنسة. لايو  
سالتاريلو: قانوني وشاعر وسياسي ورجل أعمال سيء السمعة.

[←1203]

تشيانتشيناتوس: الامبراطور الروماني الشهير، عُرف بزهاته السياسية وتكشفه («الفردوس»، 6، 46).  
كورنيليا: أم «آل غراك» المعروفة بفضيلتها (أنظر «الجحيم»، 4، 128)

[←1204]

كاتشاغويدا: لم تبَقَ وثائق ذات بال حول جد دانتي الأعلى هذا. يُرَجَّح أَنه ولد نحوَ 1106 من أسرة منخرطة في نبالة المدن. تبع الامبراطور كونراد الثالث في الحملة الصليبية الثانية. ويُعتقد أَنه القي مصرعه في إحدى المعارك في 1147.

[←1205]

لم تصلنا أية معلومة عن شقيقي كاتشاغويدا هذين.

[←1206]

كان اسم العائلة ما يزال يشكل في حقبة دانتى اسمًا شخصيًا.

[←1207]

هو كونراد الثالث السوابي (نسبة إلى السواب، في ألمانيا الحالية). شارك إلى جانب لويس السابع ملك فرنسا في الحملة الصليبية الثانية، وعين فيها كاتشاغويدا فارسًا.



[←1208]

يقصد العدالة التي خضع لها المسيحيون، ويحمل البابوات مسؤولية هيمنة المسلمين على الأراضي المقدسة في فلسطين. مقولة ينبغي ولا شك قراءتها ضمن معتقدات الثقافة والحقبة اللتين ينتمي داني إليها.

[←1209]

يذكر بأنه مات في أثناء القتال دفاعًا عن إيمانه.

[←1210]

لاحظنا أن دانتى عرف منذ وهلة أنه يتحدر من سلف نبيل كان الامبراطور قد رفاه إلى رتبة فارس.

[←1211]

لا يستخدم دانتي ضمير التفخيم «أنتم» في «الكوميديا الإلهية» إلا لمخاطبة برونيتو لاتيني وفاريناتا وكافالكانتي وأدريانو الخامس وغوينتزيلى وبياتريشي. والآن يستخدمه مع سلفه كاتشاغويدا الذي كان هو قد بدأ بمخاطبته ب. «أنت» (أنظر «الفردوس»، 10، 80).

[←1212]

كانت امرأة مالهو، في رواية لانسلو (من روايات «المائدة المستديرة» الفرنسية، وقد سبق ذكرها) تستمع خفيةً إلى حوار البطل وغينيفر. وعندما تصرح الأخيرة للبطل باستجابتها لحبه، تعطس المرأة بقوة لتُشعرهما بحضورها. وبدورها، تضحك بياتريشي هنا لتُذكر دانتى بوجودها.

[←1213]

هي فلورنسة، التي اختار أهلها يوحنا المعمدان شفيعًا.

[←1214]

أي أن المريخ، من يوم عيد البشارة (الموافق 20 آذار) حتى ولادة كاتشاغويدا، قد مر ببرج الأسد خمسمائة وثمانين مرة.

[←1215]

يصور هنا الكوكب بالصورة التي يحملها في دائرة البرج.



[←1216]

هي لعبة «البالو» في حارة بورتا سان يبيترو، في وسط المدينة القديمة.

[←1217]

سيكون من النافل الجدال في الأصول العائلية أو شجرات الأنساب في الفردوس. ثم إن داني نفسه لا يذهب بهذا الصدد أبعد من جده الأعلى كاتشاغويدا.

[←1218]

أي بين المعمدانية وتمثال الإله مارس عند جسر فيكيو، وهما التخمان الشمالي والجنوبي للمدينة.

[←1219]

أي في وادي البيزنطيو وفي وادي إلسا وفي القالدارنو. ولا شك أن النظرية التي ينمىها دانتي على لسان سلفه كاتشاغويدا في المضار الناجمة عن اختلاط السّكان المختلفي الأصول لا يمكن فهمها إلا ضمنَ اعتقادات عصره.

[←1220]

قرى تقع على مسافة كيلومترات من فلورنسة، على طريقي سينا وبولونيا.

[←1221]

أول المعنيين هو بالدو داغوليوني، قانوني كان مسؤولاً عن إصلاح 1311 الذي تضمن عفوًا عن المنفيين ووجدد في الأوان نفسه الحكم بإبعاد الغيلين والغيلف البيض ومنهم دانتي. والثاني هو فاجيو دا سينيا، قاضي انتقل من الغيلف البيض إلى السود، وساند البابا بونيفاتشو الثامن ضد الامبراطور هنري السابع.

[←1222]

أي يدرب نظره ليستمد من وظيفته العمومية منافع شخصية.

[←1223]

أي لو لم يحاول رجال الكنيسة السيطرة على سلطة الامبراطور المدنية.



[←1224]

طرح الشراح تأويلين اثنين لهذه «الجولات»: فأما أنه كان يقوم بها صحبةً سلاله مارسًا التجارة الجواله؛ أو هي جولاته في الحراسة، و «سيميفونتي» هي بالفعل قلعة محصنة في فالديلسا.

[←1225]

أي أن آل غويدي ما كان عليهم أن يتنازلوا للفلورنسيين عن قلعتهم في كونتمورلو. وآل تشيركي ما كان عليهم أن يغادروا كنيستهم الصغيرة في وادي سيفا طعمًا بالثروة. والأمر نفسه بالنسبة إلى آل بوودلوني، الذين سيرد ذكرهم في نهاية الأشرطة.

[←1226]

لوني: مدينة قديمة في الجانب الأتروسكي من إيطاليا، كانت من قبل «ميتة»، في زمن دانتي.  
أورييساغليا: مدينة صغيرة قرب أنكوني، دمرها القوطيون. تشيوسي: مدينة قديمة كانت في زمن الأتروسكيين  
تُدعى كلوزيوم، تقع في وادي تشيانا وكانت بصدد التدهور في زمن دانتي بسبب الملاريا. أما سينيسغاليا، في  
منطقة المارتشي، بين الأبين والأدرياتكي، فهي الأخرى كانت تعصف بها الملاريا بعدما عصفت بها جيوش  
المسلمين، وكانت في زمن دانتي بصدد الاندثار.

[←1227]

يقدم كاتشاغويدا هنا لائحة أولى بعائلات فلورنسية أصابها الانحدار في القرن الرابع عشر.

[←1228]

جميع هذه الأسر كانت في ذلك الحين فاقدة لحظوتها.

[←1229]

سبق ذكر بيلينتشوني في الأبيات الأخيرة من الأنشودة السابقة. والبوابة المقصودة والتي كانت الموضوع الأثير للاشتباكات في هذه المعروفة باباب القدّيس بطرس.

[←1230]

كان سكان حارة اليريسا يساهمون منذ فترة طويلة في حكومة المدينة. وغالغايو أسرة مندثرة كانت تقيم قرب باب القديس بطرس، وكان شعارها الفروسي يتمثل في شارب السيف (حديدة في أسفل قبضته تقي اليد) والرمانة المذهبة.

[←1231]

كان شعار آل بيغلي يتمثل في عصابة عمودية من «الفير» (فراء ضرب من السناجيب). والأسر الأخرى المذكورة مندثرة كلها.



[←1232]

هم آل كيارومونتيسي. كانوا ما يزالون يحمرون خجلاً من فضيحة أثرت حول صاع من الملح.

[←1233]

شعار آل لامبرتي

[←1234]

هو مجلس الامبراطور. لكن في العصر الوسيط كانت المفردة تُطلق على اجتماعات الكرادلة، والمقصود هنا على وجه التخصيص اجتماعهم لانتخاب الأساقفة.

[←1235]

كتب دانتي *indraça* 's: وهو فعل من اختراعه للدلالة على التحول إلى تنين.

[←1236]

يكشف داني عن الأصول الحديثة العهد لآل آديماري.

[←1237]

كانت الناس تدخل في السور الصغير المحيط بالمدينة عبر باب يدين باسمه لأل ييرا، المرجح ارتباطهم عائليًا  
بأل يروتزي.

[←1238]

كان هوغ الكبير، مركزيز توسكانيا، قد وهب كل مَن يحمل شعار عائلته الفروسي في عيد القديس توماس لقب الفارس وامتيازاته.

[←1239]

كان أحد أعضاء تلك الأسر النبيلة قد انحاز مع ذلك إلى اختيارات عامة الشعب في زمن دانتي. إنّه جيانو دلا بيللا.



[←1240]

كان آل بووندلمونتي وأل غوالديروتي وآل أمپورتوني من عائلات حزب «الغَيْلْف». يقصد أن حارة البورغو كانت ستنعم باستتباب أكثر لو لم تجد في الأسر المذكورة جيرانها الجدد.

[←1241]

كان آل أميداي قد تعرضوا لإهانة آتية من بووندلمونتي، فاغتالوه. ومن هنا انقسمت المدينة (أنظر الحاشية التالية).

[←1242]

كان دي بووندلمونتي، من الأسرة المعروفة بالاسم نفسه، قد خطب فتاة من آل آميداي، ثم فسخ الخطوبة بسبب من غوالدرادا دوناتي التي زوجته من ابنتها. ومن هنا انتقام آل آميداي.

[←1243]

الإيما مسيل مائي يجتاز الطريق بين فلورنسة وقلعة آل بولدلموني.

[←1244]

هي حكاية فيتوني (سبق ذكره). كان قد سأل أمه كليمني إن كان أبوه هو أبولون حقًا. ولكي يُثبت الأخير أبوته له، أعاره عربته الشمسية، فحاد بها فيتوني عن الطريق وأوشك على إحراق الأرض، فصعقه جوبيتر ليبين عن ضرورة قسوة الآباء على الأبناء.

[←1245]

هو كاتشاغويدا، سلف دانتي الذي يقابله هنا في السماء.

[←1246]

استخدم دانتي المفردة piota، وهي كلمة عامية شائعة تعني باطن القدم وتدلّ مجازاً على الجذر.

[←1247]

إشارة إلى التنبؤات العديدة التي سمعها داني بشأن مستقبله ومستقبل فلورنسة، في الأندشودات العاشرة والخامسة عشرة والرابعة والعشرين من «الجحيم»، والثامنة والثانية عشرة والرابعة والعشرين من «المطهر»، والتي بقيت تؤرقه.



[←1248]

بالمعنى المجازي للتعبير، أي ضمن اهتماماتهم العامّة وتداولاتهم العاديّة.

[←1249]

الرابّة هي الأمّ غير الحقيقية والمربيّة القاسية. والإشارة هنا إلى فيدرا التي أُغْرِمَت بهيوليتوس ابن زوجها وطردته من أثينا. يقصد دانتي أنه بريء أمام مّزاعم فلورنسة براءة بطل الميثولوجيا اليونانية المذكور أمام رابّته.

[←1250]

في 1300 كان بونيفاتشو الثامن يهييء لاتفاقات سرية لقلب حكومة «الغَيْفُ البيض» في فلورنسة. وموضع الاتجار كان هو البلاط البابوي.

[←1251]

هذه هي الإشارة الوحيدة في كامل «الكوميديا» من لدن دانتي إلى أسرته وأبنائه.

[←1252]

إشارة إلى رفاق دانتي في المنفى من «الغَيْلف البيض»، وإلى الأحداث المأساوية في 1304 (أنظر في المدخل عرضنا لسيرة دانتي).

[←1253]

أني على صورة النسر الامبراطوري. والإشارة هنا إلى ابتعاد دانتلي عن حزب «العَيْلف البيض» في 1304 بعدما عيل صبره أمام المناورات الحزبيّة والتحالفات البائسة والفوضى الداخليّة والخارجيّة.

[←1254]

هو بارتيلوميو دلا سكاللا، أمير فيرونا، توفي في 1307 وكان لأسرتة أياذ بيضاء على دانتي (أنظر الحاشية التالية).

[←1255]

هو كانْ غرانده دلاً سكاللا (الشَّقِيق الأصغر لبارتيلوميو الآنف الذِّكر)، كان أمير فيرونا من 1312 حتَّى وفاته في 1329. عاش دانتي في ضيافته سنوات عديدة أثناء منغاه، وله أهدى «الفردوس» عرفاناً بفضله.



[←1256]

كانت فضيلة كأنْ غراندَه قد تجلّت في الشّجاعة العسكريّة وحُسن الصّيافة منذ ما قبل 1312، وهو التّاريخ الذي عارض فيه البابا كليمنتو الخامس الامبراطور هنري السّابع بعدما حصّه هو نفسه على المجرى إلى إيطاليا مخلصًا.

[←1257]

أي في حالة كون أشعاره بالغة العنف وامتدادية في الإدانة.

[←1258]

أي ذروة جبل المظهر، التي رفعت منها بياتريشي داني إلى الفردوس.

[←1259]

هذه استعارة عن الفردوس، الشجرة التي تتلقى الحياة من أعلاها (الله) ولا تتعزى من أوراقها البتة، بل تثرى دون انقطاع بأرواح جديدة من دون أن تفقد أيًا من الأرواح المستقبلية فيها من قبل.

[←1260]

هو نائب موسى، الذي قاده بعده الشعب العبراني إلى فلسطين.

[←1261]

توفي في 160 ق.م.، وكان قد حارب أنطوخوس إبيفانيوس ملك سوريا وخلص العبرانيين من طغيانه.

[←1262]

غلييلمو: دوق أورانجه ومستشار شارلمان؛ أسس ديرًا ومات في 812 مائة القديسين. ريناردو: شخصية خيالية؛ وثني كان ذا قوة جسمانية استثنائية عرف الإيمان والعمادة على يد غلييلمو وترهب.

[←1263]

هو غودفروا دو بويون، دوق اللورين الفرنسية، ولد في 1058 وتوفي في القدس في 1100. كان أحد قادة الحملة الصليبية الأولى ووضعت حوله أغانٍ ملحمية كان دانتي يعرفها.



[←1264]

روبير غيسكار (والاسم الأخير يعني «الماكر»); هو ابن تانكريد الهوثقيلي، ولد في النورمانديّ الفرنسيّة في 1015 وقدام إلى إيطاليا في 1047 حيث ساهم مع أشقائه في غزو الجنوب الإيطاليّ في مواجهة البيزنطيين. كان لدى موته في 1085 دوق يوي والكلابري.

[←1265]

كتب دانتي في «المأدبة» (2، 18 25) أنّ البرجيس أو المشتري (واسمه باللاتينية هو اسم جوبيتر، كبير الإلهة عند الرومان، زفس عند أهل اليونان) «نجم معتدل الطبيعة، يترواح بين برودة زحل وسخونة المريخ».

[←1266]

استخدم دانتي الصفة *gioviale*، وتعني «البرجيسيّ»، فهي صفة نسبة إلى البرجيس أو المشتري (تقابلها بالفرنسيّة *jovien*)، ولم تنل معنى البشوش وطلق المحيّا (وهنا تقابلها بالفرنسيّة *joval*) إلا لاحقًا.

[←1267]

تصطفّ الأرواح بحيث تصنع باجتماعها الحروف D،I،L التي تبدأ بها عبارة Diligite justitiam (انظر الحاشية 12 أدناه).

[←1268]

إحدى آلهات الإلهام، اسمها مستمدّ من أسطورة بيغازوس، الجواد المجنّح الذي جعل بضربة من حافره الماء ينبثق في الهيليكون، فشكّل رمزاً للإلهام الشعريّ.

[←1269]

قراءتان ممكنتان: «هذه الأبيات القصيرة أي المعدودة»، أو «هذه الأبيات القاصرة والتي لا تفي بالغرض».

[←1270]

كتب باللاتينية: qui judicatis terrain Diligite justitiam («أحبوا العدل، يا أيها الذين يحكمون الأرض»، وهي العبارة الأولى من «سفر الحكمة» في «العهد القديم» (في بعض الترجمات: «أحبوا البر، إلخ.»)

[←1271]

كان دانتى يحتقر التطير والاعتقاد بالخرافات.



[←1272]

من ضمن سياق الخلق أن يمدّ الله المخلوقات بالقدرة على تشكيل منازلها المخصصة (هنا «الأعشاش» بالنسبة إلى النّسر).

[←1273]

أي أنّ النّجم الذي هو فيه يحوّل السّماء إلى جواهر وألماسات بالحضور المشعّ لأرواح طوباويّيه. وقد اجترح دانتي لهذا المعنى فعلاً هو: ingemme («يُجوهر» أي يُحوّل إلى جوهرة وليس فحسبُ يزَيّن باليواقيت).

[←1274]

هذه الدّخنة رمز إلى البخل (إشارة إلى البلاط البابويّ).

[←1275]

يستهدف هذا البيت البابوات الثلاثة الذين عاصروهم دانتي، بونيفاتشو الثامن وكليمنتو الخامس ويوحنا الثاني والعشرين، وخصوصًا الأخير منهم كما سيتضح من الأبيات التالية. كانت عهودهم زاخرة بالقرارات بطرد رجال اللاهوت وإعادة قبولهم مقابل مبالغ مالية، وهذا هو ما يقصده دانتي بالكتابة التي يعقبها محو والعكس بالعكس.

[←1276]

هنا نقد لاذع ليوحنا الثاني والعشرين يكتف عناصر من «الكتاب المقدس» ومن التاريخ المالي لفلورنسة ومن سيرة البابا المستهدف نفسه. كان يوحنا الثاني والعشرون هذا يدعي التعلق بيوحنا المعمدان، الذي يعرف قراء «العهد الجديد» كيف نالت سالومه رأسه بثمان رقصة قامت بها في بلاط هيرودس أنتيباس (انظر إنجيل مرقس، 6/17-29). وكان الفلورين (عملة فلورنسة في عهد دانتي) يحمل صورة مرسومة للمعمدان. وهنا يكون تعريض دانتي بأن البابا مولع بالعملة أكثر ممّا بالمعمدان نفسه. ومن أجل هذا الولع فهو يقدر التخلي عن كل من القديس بطرس (الذي يصوره «العهد الجديد» صياد سمك) والقديس پولس الذي يجعل دانتي يوحنا الثاني والعشرين، زيادة في السخرية، ينطق باسمه بالنطق العامي (پولو)، كأنه لديه أي شخص كان.

[←1277]

كتب دانتي «المتعة»، باللاتينية: frui، وهي مصطلح فيّ للدلالة على لذاة الفردوس (انظر «التأليف الروحانيّة» للقديس توماس الإكويني).

[←1278]

إنّ هذا النّسر، المتألّف من اجتماع أرواح غفيرة، يتكلّم كما لو كان كياناً أوحد للدلالة على أنّ العدالة واحدة لا تتجزّأ.

[←1279]

أي لا يعيدون ابتكار الأمثلة التي تلقّوها. فالتاريخ هنا هو مادة التاريخ أو موضوعه لا غير.



[←1280]

يرى بوسكو أنّ المعنى هو أنّ الله لا يقدر أن يدمغ بجبروته الكون كلّه من دون أن تتجاوز الفكرة الإلهيّة محتوى الخلق أو تفيض عنه.

[←1281]

إستخدم صفة acerbo وهو صفة الثمرة «الخضراء» غير اليانعة بعد.

[←1282]

المعرفة تعيقها أخطاء الحواسّ، بل تفسدها وتسمّمها. فكرة دانتوية أساسية تمضي بالتضادّ مع دعوة رامبو لاحقاً إلى «تشويش الحواسّ».

[←1283]

أي لو لم يكن «الكتاب المقدس» هنا هاديًا للبشر لكانت مسألة العدل الإلهي مبعثًا للشكوك.

[←1284]

أي إرادات عديدة متوافقة فيما بينها، بعدد الأنفس المتألّفة هي منها.

[←1285]

النسر الامبراطوريّ هو الذي جعل الرّومان محترّمين في العالم.

[←1286]

تسمية يُطلقها دانتي على الكفرة بعامة.

[←1287]

يقصد محفلي المختارين والخُطاة.



[←1288]

بالإشارة إلى سجلّ المسائى هذا يقصد أنّ الخطيئة تستلزم ازدرء الله قبل سواه.

[←1289]

اعتبارًا من هنا تبدأ سلسلة توبيخات النَّسْر لأمرء المسيحيَّة وملوكها. وألبرت هو الامبراطور ألبرت النمساويّ، وقد سبق ذكره في الأنشودة الرَّابِعة من «المظهر».

[←1290]

هو فيليب الجميل، الذي سكَ عملة بلا قيمة، ولقي مصرعه لدى سقوطه من جواده الذي كان جفّله هجوم خنزير.

[←1291]

ملك إسبانيا هو فرناندو الرابع، ملك قشتالة بين 1295 و1312؛ وملك بوهيميا هو فنسيسلاس الرابع (انظر «المظهر»، 7، البيتين 101-102).

[←1292]

هو شارل الأنجيّ الثّاني الملقّب بالأعرج، وجاءه لقب «الأورشليميّ» من كون أبيه شارل الأوّل هو الذي فتح القدس باسم التّحالف الصليبيّ. ويجرّده دانتي بسخريته الكاوية هذه من أحقيّة اللقب. والحرفان ا و M هما الحرفان الأوّل والأخير من اسم المدينة (يورشليم). كما نلاحظ لعباً آخر على الحروف: فمحاسن شارل مشار إليها ب. ا (ويدلّ في التّرقيم اللّاتينيّ على «واحد») ومساوئه ب. M، وبه تبدأ المفردة «ألف» باللّاتينيّة.

[←1293]

هو فيديريكو الثاني، كان في 1291 وصيًا على العرش في صقلية ثم ملكًا لها في 1296، وتوفي في 1337. يُطلق عليه دانتى أحكامًا سلبية، و«جزيرة التار» هي صقلية. وكان أنكيسيس (الكتاب الثالث من «الإنياذة» لفرجيليو) قد أمضى فيها آخر أيامه.

[←1294]

العمّ هو جاكومو، ملك مايوركا الملقّب ازدراءً بـ«اللحية»، والشقيق هو جاكومو الثّاني، ملك صقلية ثمّ أراغونا.

[←1295]

ملك البرتغال المقصود هو دُنيس الملقَّب بالحَزَاث؛ توفِّي في 1325 وحكم عليه معاصروه من المؤرِّخين بأنَّه كان يتصرَّف كتاجر أكثر ممَّا كملك.



[←1296]

ملك الترويج هو هاكون السابع، توفي في 1319.

[←1297]

ملك الصّرب هو إتيان الثّاني، توفي في 1331، وكان قد زيّف عملة البندقيّة.

[←1298]

توفي أندريه الثالث في 1301. يقصد دانتي أنه هو وسابقه أساؤوا حكم هنغاريا.

[←1299]

أي يا لسعادتها لو كان في مقدورها أن تصمد أمام فرنسا، التي سيخسر ملكها لويس الحادي عشر تاج نافارا في  
.1304

[←1300]

المدينتان الرئيسيتان في جزيرة قبرص، وكانتا ترزحان تحت نير الفرنسي هجري الثاني من آل لوسينيان؛ توفي في 1324، ولم يكن أفضل من الملوك الآخرين.

[←1301]

أي الشَّمس.

[←1302]

يقصد منقار النسر.

[←1303]

أي سماء البرجيس (المشتري).



[←1304]

الصوت غير المتعين بعد، الذي يتشكّل في حلق النّسر والذي يرتبط بانتقال إنشاد جوقة الأرواح الطوباوية إلى الكلام بصيغة المفرد.

[←1305]

يستند دانتي هنا إلى قرينتين موسيقيتين مشخّصتين بالرجوع إلى فيزياء الأصوات: إنبثاق الصّوت في حلق النّسر شبيه بتشكّل النّغم في «عنق» القيثارة لدى الصّغط على الوتر، أو في النّاي عندما يتناوب على ثقوبه الانفتاح والانغلاق. وقد ذكر بوسكو أنّ دانتي كان في عهد شبابه شديد الولع بالأنغام والأصوات.

[←1306]

هو داود، صاحب «المزامير».

[←1307]

الرّوح الأولى هي روح الامبراطور ترايانوس (تراجان) الذي واسى امرأة أيمًا لمقتل ابنها واقتنص لها من قاتله بعدما استوقفته في قارعة الطريق وهو خارج في مهمّة («المطهر»، الأنشودة العاشرة).

[←1308]

أي الحياة في الجحيم.

[←1309]

بفضل الصّلاة المستمّرة، نال حزقيّا ملك يهوذا من الله أن يطيل في عمره خمس عشرة سنة إضافية. ولا يقول «العهد القديم» أن ذلك كان عن متابة فعلية، لكنّ دانتي يؤوّل على هذه الشّاكلة الدّموع التي ذرفها حزقيّا بعد شفائه (انظر «سفر الملوك الثاني»، 18-20).

[←1310]

أي أنّ العدل الإلهي لا يمكن إلا أن يقع، ولا يفيد إرجاؤه في تفاديه البتّة.

[←1311]

هو قسطنطين (سبق ذكره): بنقله مقرّ الحكم إلى بيزنطة جعل من نفسه يونانيًا وتنازل للبابا عن روما، مدفوعًا بنوايا حميدة كان لها نتائج كارثية على الكنيسة وعلى المسيحية. ومرارًا يلومه دانتي على هذه المبادرة التي كانت في أصل امتزاج السلطتين، الروحية والزمنية، لكن المؤرخين سيعزون لاحقًا مسؤولية هذا الامتزاج إلى شارلمان، الذي حكم بعد قسطنطين بقرون.



[←1312]

يمثّل قسطنطين في «الفردوس» بفضل سلامة نيّته، بالرغم ممّا تسبّب به من كوارث (انظر الحاشية السابقة).

[←1313]

المبكي عليه هو غييلمو الثاني الملقب بـ«الطيب»، المتوفى في 1189 والذي كانت صقلية، وكان هو ملكها، تتألم لموته، في حين تبكي كمدًا لأنّ شارل الثاني وفيدريغو الثاني المُستبدّين كانا في عداد الأحياء.

[←1314]

ريفيو الطرواديّ، رفيق لإنياس غير معروف السّيرة يدعوه فرجيليو «أعدّل أهل طروادة وأكثرهم فضيلة». وسيعود النّسر لاحقًا إلى مسألة خلاصه.

[←1315]

أي أنّ شكوك داني كانت مرئية على محيّا كمثل لونِ خللِ زجاج كَأَس.

[←1316]

كتبها باللاتينية. إشارة إلى الكلام الإنجيلي في عنف الأبرار وكون ملكوت السموات تُشقّ طريقه بالعنف: «ملكوت السموات يُؤخذ بالجهاد، والمجاهدون يختطفونه»، وفي بعض الترجمات الفرنسية: «ملكوت السموات يُؤخذ بالعنف، و(وحدهم) العنيفون يختطفونه» (إنجيل متى، 11، 12).

[←1317]

أي روح الامبراطور ترايانوس وروح ريفيو (انظر الحاشية 14 أعلاه).

[←1318]

يقصد قَدَي المسيح المصلوب، يتشَوّفهما ريفيو في عذاب الصّلب القادم وترايانوس يراهما في عذاب الصّلب الذي كان قد حدث من قبل.

[←1319]

أي أدركه الانبعاث.



[←1320]

هو المسيح المخلص.

[←1321]

يقدر دانتي أن يدعم خلاص هذا الوثني بالرجوع إلى تعاليم القديس توماس الإكويني الذي تكلم عمّن كان لهم إيمان «مضمّر»، بالإله الواحد، شأنهم شأن «الحنفاء» في الإسلام. وعلى هذا النحو لمخّ اللاحقون في إحدى قصائد فرجيليو المعروفة بـ«الريفيات»، تنبؤًا بظهور المسيح.

[←1322]

يتخيّل دانتي ريفيو مؤمناً بالافتداء القادم للنوع البشريّ ويراه وهو يوبّخ الوثنيين لوثنيتهم.

[←1323]

هؤلاء السيّدات الثلاث يرمزن إلى الفضائل الدينيّة الثلاث (سبق ذكرها)، وسبق أن رأهنّ دانتني على العجلة اليمنى للعربة الرّوحانيّة في الأبيات الأخيرة من الأنشودة التاسعة والعشرين من «المظهر».

[←1324]

أَي مَن لَا يَرُونَ اللَّهَ فِي كَلْبَتِهِ.

[←1325]

النسر، رمز العدالة.

[←1326]

سيميلي (سبق ذكرها): ابنة قدموس، يصورها أوفيدوس وقد أساءت يونون نصحتها عن قصدٍ ودفعتها إلى المطالبة برؤية عشيقها كبير الألهة جوبيتر في كامل بهائه فاستحالت رمادًا.

[←1327]

هو زحل، أعلى الكواكب المعروفة في زمن دانتي. ولدى المرور بالعالم الآخر، يتموقع زحل في برج الأسد فيختلط تأثيرهما.



[←1328]

أي هذا الكوكب (وكانت الشمس تُدعى كوكبًا أيضًا).

[←1329]

أي أنّ المتعة الناشئة من معاينة بياتريشي وتلك الناجمة عن إطاعتها تتوازن.

[←1330]

يقصد الكوكب الشفاف الذي كان يُعتَقَد أنه يدور حول الأرض.

[←1331]

نقابل صورة «السلم» في نصوص قروسطيّة عديدة عن الفردوس. والمصدر الأوّل للصلّم الصّاعد إلى السّماء هو ما رآه يعقوب في منامه: «وحلم (يعقوب) حلمًا، فإذا سلّم منتصب على الأرض ورأسه يلامس السّماء، وإذا ملائكة الله صاعدون نازلون عليه. وإذا بالربّ واقفٌ قرب يعقوب...» («سفر التكوين»، 28، 12).

[←1332]

أي بياتريشي.

[←1333]

يقصد أنّ الله هو الذي أمر هذه الرّوح بالذنوّ من المسافرين.

[←1334]

أدرک دانتی أن شرط «الخدمات» المذكور قبل بضعة أبيات لا يتضمن أيّ إكراه ويقوم على فعل محبةٍ كامل الحرية.

[←1335]

كتب دانتى: inventro، وهو فعل من اجتراحه انطلافاً من ventre (بطن). كأنه يقول: «مخترقاً النور الذي فيه أتبطن» (بمعنى «أتجسد»)، لكنّ مقابل الفعل المبتكر غير كافي الوضوح في العربيّة.



[←1336]

أي كلّ ذكاء أو عقل عائد إلى كائنات مخلوقة، بشرًا كانت أو ملائكة.

[←1337]

جبل كاتريا في الأڤنين: يبلغ ارتفاعه 1700 متراً، وهو معزول ويشكّل «حدبة» في المنظر المحيط به.

[←1338]

استخدم دانتى المفردة *latria* وهي من أصل يونانيّ (*latreia*)، وتعني طقوسًا مكرّسة لخدمة الله والانصراف إليه وحده.

[←1339]

لا يتضح إلى مَ يشير دانتي هنا: إلى عقوبة منتظرة للرهبان السيئين؟

[←1340]

هو القديس بييترو داميانو، ولد في أسرة معدمة في رافينا في مطلع القرن الحادي عشر، وأصبح محامياً معروفاً، ثم ترهب في سنّ الثلاثين. رُقي إلى رتبة كاردينال في 1057 ولكنّه آثر العودة إلى ديره الأصليّ كراهب بسيط، وتوفي في أوستيا في 1072. وقد ترك مؤلفات عديدة في الزهد وأدان بذخ حاشية البابا. ويلاحظ بعض الغموض في هذه الأبيات الثلاثة: فهل اعتبر دانتي بييترو داميانو وبييترو الأكلول (سبق ذكره) شخصاً واحداً؟

[←1341]

يقصد قلنسوة الكردينال، وكان اعتمار الكرادلة القلنسوة قد بدأ في الواقع فيما بعد: اعتبارًا من 1252،  
بمرسوم من البابا إيتوتشتو الرابع.

[←1342]

كان يسوع قد خلع على سِمعان بن يوحنا اسم « كيفا » ويعني « صخرًا » (وهو معنى اسم بطرس) (إنجيل يوحنا، 1، 42). أمّا «الإناء الكبير للروح القدس» فهو القديس يولس المدعوّ أيضًا «إناء المختارين» («أعمال الرسل»، 9، 15).

[←1343]

أي حملهم في عربة يسير بها حمّالون.



[←1344]

يقصد، إمعاناً في السّخرية أو التّظلم، أنّ الدّابة هي كلّ من فرّس الاستعراض والفرس، والجِلد الوحيد هو معطف الكاردينال.

[←1345]

هي صرخة يسمع دانتى صداها وحده ولا يتبين فحواها. إنَّ انقطاع بياتريشي عن الابتسام والمختارين عن الكلام واندلاع هذه الصرخة الغامضة، هذا كله يمنح المشهد ونهاية هذه الأنشودة ملمحًا احتفاليًا زاخرًا بالترقب.

[←1346]

نبوءة غير مشخّصة بما فيه الكفاية: فهل العقوبة المقصودة أو الانتقام الموعود هو موت البابا بونيفاتشو الثامن أم خليفته كليمنتو الخامس؟

[←1347]

هو كثيب يبلغ من الارتفاع خمسمائة مترًا إلى جانب جبل كايرو.

[←1348]

أي عبادة الآلهة الزائفين التي حادت بالعالم عن طريق السّواء. والمتكلّم هنا هو القديس بنديتو (بنوا النورسي):  
480-547) مؤسس فرقة الرهبان المعروفة باسمه (الجمعيّة البنيديكتيّة).

[←1349]

نَسَّك الكهوف المدعوّون «ماكارْيوس» عديدون. والأرجح أنّ المقصود هنا ماكارْيوس المعروف بالمصريّ أو الآخر المعروف بماكارْيوس الإسكندريّ. كلاهما كانا من مُريدي القديس أنطوان، وقد يكون دانتي أراد هنا أنّ يجمع بين ناسك شرقيّ (ماكارْيوس) وناسك غربيّ هو القديس رامالدو دليّ أونيسيّ، من رافينا، ولد نحو 956 وأسس جمعيّة الكاملدوليّين (نسبة إلى مدينة كاملدولي في توسكانيا). وقد وضع سيرته القديس بييترو داميانو.

[←1350]

سبق أن ذكرنا أن الأمبريوس أو سماء النور الخالص ثابتة وعصيّة على القبض. ومعرفة الله التي لا يمكن أن يدركها التخمين العقلائي لا تهب نفسها إلّا في حُميا التأمل أو الاستغراق الصوفي. ونذكر القاريء بأنّ معراج ابن عربيّ الحامل عنوان «كيمياء السّعادة» ينتهي إلى الاستنتاج نفسه.

[←1351]

كما في وصف «سُفَرِ التَّكْوِينِ» الآنف الذكر: «سَلَّمَ مُنْتَصِبًا عَلَى الْأَرْضِ وَرَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَإِذَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ صَاعِدُونَ نَازِلُونَ عَلَيْهِ...»



[←1352]

يقصد أنّ قواعد الجمعيّة أو الملة البنديكتيّة فقدت نجوعها على الأرض وقدرتها على الإعداد للحياة التأمليّة، ولم تعد تشكّل إلّا ضريحًا من المضيعة للورق الذي نُخطّ عليه.

[←1353]

يقصد أنّ الرّبا في أفضح صوره لا يجرح الله بقدر ما يفعل الاستئثار بهذه «الثمرة» (عوائد الكنيسة) التي يعمل الرّهبان على الإفادة منها بمخادعة المؤمنين.

[←1354]

أي جماعته الدينيّة.

[←1355]

أي فضائل البداية وقد انقلبت إلى الرذائل المعاكسة.

[←1356]

يقصد المتكلم أنّ معالجة الزهبان الفاسدين ستكون معجزة شبيهة بمعجزيّ تراجع نهر الأردنّ وانحسار البحر الأحمر. ولأنّه يريد أن يُبقي على الأمل في مثل هذه المعالجة، فهو يعدّ تينك المعجزيّين أكبر.

[←1357]

هذا هو النداء الأخير الذي يُطلقه دانتي في «الكوميديا» إلى القارئ، ويجد تفسيره في هذا «الخارق» الشخصي: دانتي يرقى في هذه السماء إلى برج الجوزاء الذي ولد هو تحت علامته. وهو بمثابة وداع للقارئ قبل الخوض في الشطر الأسمى والأرفع من التجربة.

[←1358]

البرج التالي للتور هو الجوزاء. وفي البيت الأول من هذا المقطع الثلاثي قلبَ داني ترتيب العبارة. فيأتي فعل إخراج الإصبع من النَّار سابقاً لوضعها فيه (الإصبع مؤنث في العربيّة)، وذلك للدلالة، في نظر الشَّراح، على سرعة الفعل، فكأنَّ نهايته مخطوطة في بدايته، بل حتَّى سابقة لها.

[←1359]

ولد دانتي في أيار من العام 1265، أي في أولى أيام الانتقال إلى دائرة برج الجوزاء.



[←1360]

أي المظهر البائس للأرض مرئيًا من القمر.

[←1361]

ابنة لاتونا هي القمر (مؤنث في اللغات اللاتينية).

[←1362]

إشارة إلى البقع التي تبدو للنّاظر وهي تتخلّل القمر، وإلى تفسير دانتي الخاطئ لها وتصحيح بياتريشي له في الأُنشودة الثّانية من هذا الجزء. أمّا مصطلحا العناصر المتخلّلة والأخرى الكثيفة (وكلاهما من معجم ابن رشد)، فقد سبق التّعريف بهما في الموضوع نفسه.

[←1363]

هبيريون هو ابن أورنانوس وجيا، وفي ميثولوجيا أقدم هو أبو هيلوس (الشمس). مغزى البيت أنّ دانتي، وقد قويّ بصره بقدر ارتقائه في السماء، صار قادرًا على مواجهة الشمس بملء عينيه.

[←1364]

هما بلغة الميثولوجيا اليونانية عطارذ (مايا) والزّهرة (فينوس أو ديوني).

[←1365]

أَيُّ أَنَّ الْبَرَجِيْسَ (الْمَشْتَرِي) قَائِمٌ بَيْنَ ابْنِهِ الْمَرِيْخِ وَأَبِيهِ رُحْلَ.

[←1366]

صارت طبيعة حركات الأفلاك واضحة لدانتي هنا، في أعلى السماء المكوكبة.

[←1367]

أي الكواكب السّبع (القمر وعُطارد والزُّهرة والسّمس والمزّيخ والمشتري وزُحل).



[←1368]

الإشارة هنا إلى الأرض، يلمحها دانتي من هناك ويتذكر ويلات أبنائها.

[←1369]

أي ذلك الشّطر من السّماء الذي تبلغه الشّمس عند الهاجرة، حيث تبدو أبطأ في حركتها.

[←1370]

تتمثل هذه الثمار في التأثيرات التي تمارسها السماء على سكان الأرض.

[←1371]

تريفييا: القمر، المعنبر ذا وجوه ثلاثة.

[←1372]

إشارة إلى استمداد النجوم ضوءها من الشمس.

[←1373]

پولومنيا، ربّة إلهام الشّعْر الغنائِيّ.

[←1374]

مريم العذراء.

[←1375]

الرّسُل.



[←1376]

يشير إلى الامتحان المتمثل في أن يعاين بنظره الواهي مشهداً كان قد قهره في مرة أولى.

[←1377]

اسم مریم عندما تنطق به بیاتریشی.

[←1378]

من المفردة «سفير» zaffiro (الحجر الكريم المعروف) يجترح دانتي هنا فعلاً هو: s'inzaftira، للدلالة على أنّ الأميريوس أو سماء التّور الخالص هي السّماء الأسطع والأكثر «سفيريّة» بين باقي السّموات.

[←1379]

هو جبريل، الأكثر اضطراباً بالمحبة بين جميع الملائكة.

[←1380]

المحرك الأول هو بمثابة «معطف» جميع الأفلاك، يتغمّد السموات الثماني التي تدور فيه وتحتة، متلقياً اندفاعاته من الله مباشرةً.

[←1381]

أي أنّ الشّطر المقعّر من السّماء التّاسعة شديد البُعد فلا يلمحه المسافر بعدُ.

[←1382]

لن يكون لعيبي داني من المضاء ما يمكنه من رؤية مريم وقد ارتقت إلى سماء النور الخالص وراء ابنها يسوع  
مكللة بهالة الملاك المنيرة.

[←1383]

أغنية الفصح، يُنشدّها هنا الطوباويّون تحيةً لمريم.



[←1384]

إستخدم دانتي اللاتينية bobolce، وهي تعني حقولاً للحرث وكذلك، بحسب شرح آخرين، فلاحاتٍ عاملات.

[←1385]

استعارة من «العهد القديم»: منفى بابل كرمز للوجود الأرضي.

[←1386]

أي القديس بطرس.

[←1387]

أي مجموع المختارين والطوباويين. وطالما قارن السيّد المسيح لذائد الحياة الأبدية بمأدبة (روحانية).

[←1388]

يذكر النّيازك هنا لحدّة سطوعها لا لشكلها بحدّ ذاته ولا لموقوتيّتها.

[←1389]

تبدو الأولى شديداً البطء والأخيرة بالغة السرعة.

[←1390]

السّرعَة مرتبطة بالسّعادة.

[←1391]

يقصد أنّ اللسان البشريّ لا يتمتّع بفوارق أو لطائف كافية للتعبير عن عذوبة هذا الغناء تعبيراً وافياً.



[←1392]

يساعد الرجوع إلى سير بطرس على ماء البحر (إنجيل متى، 14، 28-29) في الإشارة إلى إيمان مطلق  
سيستنطق بطرس دانتي بشأنه.

[←1393]

يستخدم داني هنا مفردات اسكولائية، ووضع الحدّ هو تعريف المسألة أو تحديدها.

[←1394]

هنا شهادة (بمعنى التصريح بالإيمان لا بمعنى الموت شهيداً) ثلاثية تتعلق بالإيمان والرجاء والمحبة. إذ يتخذ امتحان دانتي تمجيداً لهذه الفضائل الرئيسة الثلاث.

[←1395]

يتم امتحان دانتي هنا بحسب السّياق الاسكولائيّ الدّقيق، بمراحله المتدرّجة.

[←1396]

إستخدم دانتى هنا مفردة primipilo وهي تعني «قائد المائة»، لدى الرّومان، للتأكيد على الصفة الكفاحيّة لدى مكلمه وعلى ارتباط الإيمان بمبدأ «العنف» الإنجيليّ المشار إليه من قبل.

[←1397]

أي باتّباع الإيمان والزّوج الإنجيليّة لروما.

[←1398]

sua quiditate: مفردة أخرى من المعجم الاسكولائي  
للدلالة على الكنه أو الماهية.

[←1399]

يُعدّ القديس توماس الإيمان جوهراً لأنّه يشكّل في نظره، وكما كتب في «التّأليف الرّوحانيّة»: «الأساس الجوهريّ لأشياء نأملها وتخفي علينا».



[←1400]

كتب القديس توماس أنه «بالبرهان ينقاد العقل إلى القبول بحقيقة معيّنة؛ ولذا فقبول العقل بحقيقة الإيمان الخفية يُدعى هو الآخر برهاناً»، («التأليف الروحانية»).

[←1401]

نقود مفردة «الصرة» هنا إلى مجاز في الحقل الدلالي للعملة أو النقد، وستتطور الاستعارة في ردّ دانتى ثمّ في ردّ القديس عليه.

[←1402]

حجّة مثلّمة كما يكون كذلك حدّ سكّين.

[←1403]

العهدان القديم والجديد مقارنة هنا بمقدمتي مقولة منطقية تتمثل نتيجتها في الإيمان.

[←1404]

أي لا تتمتع بمادّة ولا بأدوات مناسبة لمعالجتها.

[←1405]

يكتشف القديس بطرس هنا بعض آثار للسفسطائية على دانتي. وهو يرى أن لا شيء يُثبت قيمة المعجزات سوى «الكتاب المقدس» الذي ينبغي أن يُعنى دانتي بإثبات حقيقته هو «ولا شيء آخر»؟

[←1406]

يقصد المفتقر إلى الإيمان. فالفقر والجوع هنا روحيان.

[←1407]

أي صارت نباتاً برياً مهملاً كالعشب الضار: إشارة إلى انحدار المسيحية في عهد دانتي. وستواصل الاستعارة النباتية في أبيات أخرى.



[←1408]

هو نشيد «تي ديوم»، نشيد الشكر الذي يأتي ليقطع الامتحان، ولكن الأخير كان قد انتهى بالفعل وما يبقى يتعلق بالفرد دانتى.

[←1409]

يستخدم داني لقب النبالة هذا بحق القديس بطرس، انسجاماً مع استعارة «البلاط العالي» التي تشير إلى الفردوس.

[←1410]

في الجري بقدمين أفّتي (أي أكثر فتوّة ونشاطاً) إشارة إلى سبّق القديس بطرس للقديس يوحنا في الجري إلى قبر يسوع («الإنجيل كما رواه يوحنا»، 20 / 1-9).

[←1411]

أي بمحبّة من لدن الله، وبرغبة من السّموات تُجاهه.

[←1412]

إستخدم دانتي المفردة almi وهي تعني قديسين وكذلك ناشرين (للإيمان) ومغذّين (للإيمان في العالم).

[←1413]

يستلهم داني هنا تعبيراً معروفاً للقديس أناتاسيوس.

[←1414]

أي أنّ العلم الإلهيّ (السّماء) والتجربة الدنيويّة (الأرض) ساهمتا في خلق القصيدة. وعليه فالأرجح أنّ تعبير «القصيدة المقدّسة»، مع ما فيه من دلالات دينيّة، يشير إلى نشيد «الفردوس» وحده. إلّا إذا اعتبرنا النّشيد السّابقين «الجحيم» و«المطهر»، مشمولين بالعبارة، لأنّ دانتي إنّما بلغ الفردوس باجتيازهما، فهما ليستا محطّتين بسيطتين في سياق لا يجد دلالته إلّا في غايته.

[←1415]

الحمل والذئب من التّعابير المجازية المعروفة في «الكتاب المقدّس».



[←1416]

إشارة إلى معمدانيّة سان جوفاني، التي كان داني شديد التعلّق بها.

[←1417]

أولهم هو القديس بطرس.

[←1418]

هو ضريح القديس يعقوب في المدينة الغاليسية باسپانيا، الحاملة اسمه: سانتياغو ده كوموسپتيل. ومرة أخرى يلجأ دانتي إلى لقب التّباله «البارون» بحقّ أحد القديسين.

[←1419]

أي الله، يشكّل تأمله غذاء الطوباويين.

[←1420]

وضعها باللاتينية لمزيد من الاحتفالية.

[←1421]

الكنيسة هنا تعبير مجازي لتسمية الفردوس.

[←1422]

إشارة إلى اللحظات التي تصفها الأناجيل والتي اختار فيها السيّد المسيح كلّاً من القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا ليُشركهم في بعض معجزاته. وبياتريشي تُخاطب هنا الثّاني منهم، يقف أمامها إلى جانب القديس بطرس الحاضر من قبل (وس يظهر القديس يوحنا بعد قليل).

[←1423]

الحجرة السريّة هي ولا شكّ الأميريوس أو سماء النور الخالص.



[←1424]

«الكنيسة المجاهدة» تعبير لاهوتي لتسمية مجموع المسيحيين على الأرض، بمقابل «الكنيسة المُعانيّة»، وتدلّ على المسيحيين في المظهر، و«الكنيسة الظاهرة» وتشمل المسيحيين الطوباويين في السماء.

[←1425]

أورشليم هي هنا السماء، المدينة السماوية.

[←1426]

إِجْتَرَحَ الْمَفْرَدَةَ tēodia، عَلَى وَزْنِ psalmodia («تَرْتِيلٌ»)، لِلإِشَارَةِ إِلَى مَجْمُوعِ مَزَامِيرِ دَاوُدَ، الَّذِي يَنْعَتُهُ بِأَكْبَرَ  
مَغْنًى لَأَكْبَرَ مَلِكٍ (أَيَّ اللَّهِ).

[←1427]

هذه الرّسالة منسوبة اليوم إلى قدّيس آخر هو يعقوب الأصغر، وهي لا تعالج موضوع الرّجاء بصريح العبارة.

[←1428]

أي حتّى غاية حياته، الحياة مفهومة كعراك أو جهاد متواصل كما في «الكتاب المقدّس»..

[←1429]

ينوع داني هنا على كلام أشعيا، ووطن الإنسان هنا هو الفردوس.

[←1430]

يقصد يوحنا الإنجيلي.

[←1431]

من المزمور التاسع.



[←1432]

الجدى والسّرطان متقابلان في دائرة البروج. وفي الشّتاء، عندما تكون الشّمس في برج الجدى، يرتفع السّرطان في السّماء. ويقصد دانتي أنّه لو كان للسّرطان نجمة بمثل هذا السّطوع لعرفت الأرض شهراً لا يشكّل إلّا يوماً واحداً، أي أنّها تكون مضاءة فيه بلا انقطاع، في النّهار بالشّمس وفي الليل بالنّجمة.

[←1433]

صورة من «الكتاب المقدس»، وكان يسود في العصر الوسيط الاعتقاد بأن البجع يغذي صغاره من لحمه هو.

[←1434]

الشيء غير الحاضر في الفردوس هو جسد القديس يوحنا. وعليه فدانتى يدفع القديس نفسه إلى دحض الأسطورة القائلة بصعود جسده إلى السماء، والتي نتجت عن تفسير مخطيء لنهاية إنجيل يوحنا.

[←1435]

هما يسوع والعدراء اللذان صعدا إلى الأميريوس أو سماء النور الخالص فيما توقّف الطوباويون ليشهدوا امتحان دانتي.

[←1436]

أي أصوات المتكلمين الثلاثة. الرقص والغناء توقفاً معاً.

[←1437]

صقارة أميرة.

[←1438]

بصر دانتي بهزه نور القديس يوحنا.

[←1439]

كان دانتى قد فقد البصر في الأَشْوَدة السَّابِقة لى محاولته معاينة القديس يوحنا وجهاً لوجه.



[←1440]

حَنِينَا: هُوَ الَّذِي أَعَادَ إِلَى الْقَدَّيسِ بُولُسَ (شَاوَل) بَصْرَهُ بِأَمْرِ مِنَ الرَّبِّ، بَعْدَمَا فَقَدَهُ عَلَى إِثْرِ رُؤْيَاهِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي صَعَقَتْهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى دِمَشَقِ («أَعْمَالُ الرَّسُلِ»، 9، 3-18).

[←1441]

مجاز مستعار من رؤيا يوحنا.

[←1442]

أي أنّ نشره المحبّة حوله يتناسب طردأً مع ما يحمل في داخله من خير أو كمال.

[←1443]

الحبّ هو أوّل الجواهر السّرمديّة. والمقصود بـ «مَن يُثبِت» ذلك هو أرسطو، والأرجح أنّ داني قرأه بهذا الصدد عبر تفسير ألبرت الكبير.

[←1444]

من «سفر الخروج»، 33، 19.

[←1445]

هذا المجاز عن «العضّ» ممّا هو مألوف في لغة التصوّف

[←1446]

مجاز معروف يستعيره من رؤيا يوحنا.

[←1447]

أي أنّ النّور الصّادر عن الحالة الجدليّة يخرق أغشية العين واحداً بعد الآخر.



[←1448]

النفس الأولى هي بالطبع آدم.

[←1449]

لا تتمثل الخطيئة هنا في تناول الثمرة، بل في خرق الحدّ الموضوع للإنسان وتجاوزه عن وعي.

[←1450]

يُعتَقَد بأنَّ آدمَ أمضَ في اليمابيس أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين سنة، وكما رأينا في «الجحيم» فيسوع هو مَنْ سيرفَعه منها إلى السَّماء صحبة أنبياء وصالحين آخرين.

[←1451]

يُعتَقَد بأن آدم أمضى على الأرض تسعمائة وثلاثين سنة (أي رأي وهو عليها دورة البروج تسعمائة وثلاثين مرّة)، وهذا التّحديد آتٍ من «الكتاب المقدّس». وبإضافة هذا الرّقم إلى الأعوام التي أمضاها في اليمابيس (4302) يكون المجموع أكثر من خمسة آلاف سنة (5232 سنة على وجه التّحديد)، وهو ما أحصّته بياتريشي من قبل (أنظر «المظهرة»، الأنشودة الأخيرة)

[←1452]

أي بناء برج بابل.

[←1453]

الأرجح أنّ دانتي يستلهم هنا إيسودورو الإشبيليّ، وما من تعليل منطقيّ لهذا الانتقال من «إي» إلى «إل»، بل يعدّه الباحثون من ضمن اعتباطيّة العلامات اللغويّة.

[←1454]

أي من السادسة صباحاً إلى الواحدة بعد الظهر، وبالتالي ما مجموعه سبع ساعات. أي أنّ دانتي يعتقد بأنّ آدم لم يُمضِ في الفردوس الأرضيّ (الجبل المشرف على البحر هو المظهر) إلاّ سويّعات.

[←1455]

تمثّل المشاعل الأربعة القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا والنبي آدم. والأول الذي أقبل من بينهم هو بطرس.



[←1456]

البرجيس أو المشتري أبيض فضي، والمريخ أحمر.

[←1457]

خلافة المسيح شاغرة على الأرض، خلافاً لما يعتقدّه الآخرون، ومَن يشغلها بلا عدلٍ فإنّما يغتصبها. بهذه الفكرة يستهدف دانتي مُعاصريه البابويين المُفسِدِينَ بونيفاتشو الثامن وكليمنتو الخامس. وفي تكرار «مكاني» محاكاة لبعض الصيغ الإنشائية أو البلاغية للكتاب المقدّس.

[←1458]

لوسيفير يتشقى في الجحيم ممّا يتناهب الكنيسة والمسيحية من شقاقت وفن.

[←1459]

إشارة إلى الكسوف الشمسيّ الذي يسرد إنجيل متى (27،45) حدوثه لدى موت السيّد المسيح. بياتريشي  
تأسى هنا لفساد الكنيسة.

[←1460]

خلف لين بطرس واغتيل في 78 م، وخلفه كليتوس واغتيل بدوره في 90 م.

[←1461]

بابوات من القرنين الثاني والثالث، اغتيلوا جميعاً.

[←1462]

المعنى: لم يكن من مقصدنا أن تنحاز البابوية إلى جانب من الشعب المسيحيّ ضدّ الآخر («الغَيْلف» ضدّ «الغَيْلِين» وبالعكس).

[←1463]

إشارة إلى المفتاحين اللذين ورثهما بطرس من السيد المسيح، وقد رُسمَا على راية البابا في قتاله ضدَّ شطر من الشعب المسيحيّ (الحرب ضدَّ آل كولونا).



[←1464]

هنا إدانة للبابا يوحنا الثاني والعشرين.

[←1465]

من إنجيل متى (7-15) «إياكم والأنبياء الكذابين، فإنهم يأتونكم في لباس الخراف وهم في باطنهم ذئاب خاطفة» (7-15). وقد آثر دانتى «رعيان» على «خراف» لتقوية الإشارة إلى الخديعة.

[←1466]

عُرِفَ أهل غاسكونيا بالبُخل وأهل كاهور بالرّبا. من الأوائل ينحدر كليمنتو الخامس، ومن الأخيرين يوحنا الثاني والعشرون.

[←1467]

شيبوني الإفريقيّ الذي أنقذ روما بانتصاره على القرطاجيين يقودهم هنبعل.

[←1468]

أي ثقل الجسم البشريّ.

[←1469]

أي في الشّتاء، بين 21 كانون الأوّل و21 كانون الثّاني، عندما تكون الشّمس في برج الجدي.

[←1470]

شكّل هذا البيت لغزاً فلكياً للباحثين. نذكر أولاً بأنّ دراسة الفلك من خلال حركة البروج هي مبحث خيالي، وإنّ تكن له قواعد وتحدياته الصّارمة داخل حدوده الخيالية تلك. وثانياً أنّ دانتي كان يتبع أحياناً فلكية بروجية شخصية. «المناخ الأوّل» هو المنطقة الأقرب إلى الأستواء بين المناطق المسكونة السّبع في العالم. وهو يبدأ بخطّ زوال الكنج ويلقى وسطه في خطّ زوال أورشليم ومنتهاه في خطّ زوال قادش (إسبانيا)، أي ما مجموعه مائة وثمانون درجة كان دانتي قد اجتاز نصفها لدى مروره ببرج الجوزاء. ممّا يعني أنّه مكث طيلة ستّ ساعات في السّماء المكوكبة، ومن هناك يزعم أنّه شاهد الشواطئ الفينيقية التي قام فيها زفّس باختطاف الفتاة الأسطورية أوروبه، شقيقة قدموس. دانتي الآن عند خطّ زوال قادش، أي في أقصى نقطة من غرب نصف الكرة المسكون.

[←1471]

أيُّ أوروبه على ظهر زفس الذي حوّل نفسه إلى ثور، ليختطفها عن عشق.



[←1472]

معضلة فلكية أخرى. فمن المكان الذي كان دانتي فيه، كان يتعدّر كما يبدو رؤية فينيقيا (لبنان حالياً). لعلّ دانتي يفكّر هنا بجزيرة كريت التي حملَ زفّس أوروبّه إليها بعد اختطافه إيّاها. مرّة أخرى نتساءل عن بواعث هذا الهوس بالدقّة لدى الباحثين والشّراح بإزاء عملٍ شعريّ وخياليّ.

[←1473]

أي المحرّك الأوّل، الذي كتب دانتي في «المأدبة» أنّ «سرعته لا يكاد يستوعبها العقل.»

[←1474]

كان دانتي قد ولج كلاً من السموات السابقة عبر الكوكب المرتبط بها. فالسماء الثامنة مثلاً دخلها من برج الجوزاء. وحدها السماء التاسعة التي هو فيها الآن مجردة من الكواكب ومن البروج. وأنحازها متماثلة بحيث لا يعرف دانتي من أين أدخلته بياتريشي إليها وفي أي شطر منها هو كائن.

[←1475]

إستخدم دانتى المفردة meta وهي في الإيطالية تخم أو حدّ في «السّيرك» تدور حوله العربات.

[←1476]

أي القوّة التي ترسلها هي إلى السّموات الدّنيا..

[←1477]

أي كما تنقاس العشرة بالخمسة (نصفها) وبالاثنين (خمسها)، فحركة السموات الأخرى كلّها تنقاس بحركة المحرك الأول الذي يشكّل لها ما يشبه «رقماً» أساسياً أو قاعدة قياس.

[←1478]

الوقت مشبّه هنا بنبتة تجد جذرها في المحرّك الأوّل وأوراقها في السّموات الأخرى. بحركة المحرّك الأوّل ينفّس الوقت والزّمن مع أنّ هذه الحركة غير مرئيّة.

[←1479]

أي بدون الأخذ بعين الاعتبار بتقويم الكنيسة حول الصيام.



[←1480]

يُعتَقَد أنّ ابنة الشَّمس هي سيرسي (باليونانية: كيركيه)، السّاحرة ورمز الغواية الأرضية.

[←1481]

لّما كان قياد البابويّة والامبراطوريّة شاغرين في نظره، فالإنسانيّة بحاجة إلى من يهديها.

[←1482]

هنا إشارة إلى التّقويم اليوليوسيّ، الذي يُدعى بالقديم، والسّابق للتّقويم المعروف بالغرّيغوريّ الذي أقامه غريغوريو الثالث عشر بادئًا حساب السّنوات بميلاد السيّد المسيح، والمعمول به حتّى الآن. كان التّقويم اليوليوسيّ يعدّ السّنة مؤلّفة من 365 يومًا ورُبّع اليوم. أي كانت تنقصه عشر دقائق ليُطابق امتداد السّنة بالعدّ والتّمام، وهذا هو «الجزء المئويّ المهمّل». ولذا كان شهر كانون الثّاني ينزع في زمن دانتي إلى الخروج من الشّتاء. ومع مرور السّنوات، لم تعد الأشهر تتوافق وتعاقب الفصول.

[←1483]

أي أنّ الغناء والموسيقى يحاكيان الوفاق بين الشيء الحقّ أو الأصل والصّورة المنعكسة عنه.

[←1484]

أي حركة المحرك الأول. ودائرة النار هي مجموع الملائكة السروفيتين.

[←1485]

رسول يونون هو قوس القزح. وحتّى لو شكّل دائرة كاملة، وليس نصف دائرة كما هو بالفعل، فسيكون أصغر من أن يتمكّن من احتواء الدائرة السابعة.

[←1486]

أي بقدر ما تسمح للحقّ بالتوغّل فيها.

[←1487]

في العالم المحسوس، السماء الأسرع والأكمل هي الأبعد عن المركز. ولكنّ العالم المحسوس صورة عن العالم فوق - الطبيعيّ، وفي هذا العالم يحدث العكس: فالسرعة والكمال يكبران بقدر ما تقترب من المركز.



[←1488]

بقدر ما تكبر القدرات والفضائل التي يتمتع بها جرم أو جسم ما، تكبر قدرته على فعل الخير. فإذا كانت جميع أجزائه كاملة، كان ما ينشره حوله من الخير معتمداً على جسامته أبعاده.

[←1489]

أي أنّ التّناسب بين المدارات السّماويّة والدّوائر الملائكيّة ليس عكسيّاً من حيث البُعد والقرب إلّا في الظاهر؛ فمن حيث العلاقة بالقدرة وارتباط هذه الأخيرة بالكمال والخير يظلّ التّناسب مكتملاً.

[←1490]

الرّيح مشبّهة هنا بوجه بشريّ ينفخ في اتّجاهات عديدة. وعندما تنفخ بورياس، ريح الشّمال، من يمنى الفم (الشّمال الغربيّ)، فهي تثير الرّيح المعروفة بالشّمال، وهي أرقّ الرّياح.

[←1491]

إشارة إلى الحكاية الشعبية الشرقية عن مبتكر لعبة الشطرنج. أهدى الأخير ابتكاره إلى ملك الفرس وطلب منه كمكافأة حبة قمح عن الخانة الأولى في رقعة الشطرنج، وحببتين عن الخانة الثالثة، وأربعًا عن الثالثة، وهكذا دواليك، مضاعفًا الرقم في كلّ خانة. فوافق الملك، ثم سرعان ما فطن إلى أنه لن يكون في جميع مزارع دولته أبدًا ما يكفي للوفاء بوعده. ذلك أنّ المجموع كان اثنين مرفوعين إلى الأسّ الرابع والستين، أي ما يقرب من ثمانية عشر كنتليون ونصف.

[←1492]

أي أنّ النّقطة المشعّة تولّد لدى جوقات الملائكة رغبة في نيل فضلها مرضيّة بلا انتهاء ومتجدّدة بلا انتهاء،  
فُتّبقي عليها بذلك في مواقعها المحدّدة لها.

[←1493]

الملائكة أو الأفهام السماوية موزعة على ثلاث دوائر تتوزع كل منها بدورها على ثلاث مراتب (ومن هنا دعوة دانتي للواحدة منها بالمثلث). الأولى من هذه الدوائر يحتلها العرشيون، فهم كالعروش تصدر عنها الأوامر الإلهية، ووظيفتهم هي أن يشكّلوا انعكاسًا للمرأى الإلهي. الدائرتان الأخريان يشغلهما الملائكة الكروبيون والسروفيون، وقد سبق ذكرهم.

[←1494]

أي أن الغبطة الطوباوية تقوم على الرؤيا، لا على الحبّ الذي يأتي تاليًا لها. بتعبير آخر، هي تقوم على الفعل الفكريّ ومن بعده على الحبّ. يتبع داني هنا التيار العقلائيّ للفلسفة الاسكولائيّة.

[←1495]

يقيم داني تناسبًا بين الطوباوية والاستحقاق. والاستحقاق ينبع من الفضل الإلهي ومن الإرادة الطيبة التي تتعاون مع هذا الفضل بمسارعتها إلى الأعمال الحميدة.



[←1496]

في مطلع الربيع، يبرز برج الحمل مع الشمس ويغيب معها، فهو آنذ ليلي ونهاري. لكنه يكون نهارياً في الخريف، عندما تنتقل الشمس إلى برج الميزان المقابل له.

[←1497]

هذه جواهر ملائكية أخرى منبئة في مختلف الدوائر والمراتب، ولها أسماء أنثوية.

[←1498]

الملائكة المقصودون هنا هم من يشغلون المرتبة الدنيا، الدائرة أبعد من سواها عن الله، في المرتبة الثالثة من  
ثالثة الدوائر.

[←1499]

أي أنّها تمارس أنّرًا على ما يقبع أدنى منها فتجذبه إلى الله كما هي منجذبة إليه.

[←1500]

هو ديونيسيوس المعروف بالأريوباغي، وثنيّ تنصّر على يد القديس بولس («أعمال الرّسل»، 17/34)، يتبعه دانتي هنا في تصنيفه لمراتب الملائكة مصحّحًا التّصنيف السّابق الذي كان قدّمه في كتابه «المأدبة».

[←1501]

هو غريغوريو الكبير الذي نال «الظفر العظيم»، بإنقاذه روح الامبراطور ترايانوس بالصّلاة المُلحفة من أجله بعد وفاة الامبراطور.

[←1502]

يستلهم دانتي هنا القدّيس بولس الذي يُعتَقَد بأنّه لمس هذه الحقائق لدى معراجه إلى السّماء الثّالثة، وسبق أن ذكره دانتي في «الجحيم»، الأُنشودة الثّانية، البيت الثّلاثين.

[←1503]

أي عندما يكون ابنا لاتونا، أبولون وديانا، الشّمس والقمر، أحدهما في برج الحمل والثاني قبالتة في برج الميزان، ويكونان كليهما في الأفق نفسه، أحدهما بازغاً والثاني إلى مغيب.



[←1504]

أي أنّ السّمت يُبقي على الشّمس والقمر في هذه الحالة في نوع من التّوازن، ما دام يقيمان على مسافة متساوية منه. بيد أنّ هذه الظاهرة لا تدوم سوى برهة شبه غير ملموحة، إذ ينتقل كلّ منهما على الفور إلى نصف الكرة الآخر، فيتحرّزان من «الحزام» الذي كانا يشكّلانه في الأفق بتزنيهما إيّاه.

[←1505]

أي «سؤالك عن الفضاء والزّمن»، ولقد آثرتُ الاحتفاظ بطرافة التعبير الدّانيّ، وقد استخدم هنا اسمي الاستفهام باللاتينيّة: ubi (أين) وquando (متى).

[←1506]

أي أنّ الله، بخلقه الملائكة وكائناتٍ أُخرى، يتفتحّ أبدئاً في كائناتٍ مُحبّةٍ لا تُحصى.

[←1507]

هنا أيضًا استخدم التعبير اللاتيني: *subsisto*، من المعجم اللاتيني الاسكولائي، لتأكيد فخامة خطاب بياتريشي.

[←1508]

ليس هناك ما قبل وما بعد لسباق الخليقة. فقط اعتبارًا من خلق الأفلاك السماوية، أو بالأحرى من خلق المحرك الأول الذي هو تدشين الحركة والزمن، يمكن الكلام عن «ما قبل»، و«ما بعد» كشطين ممكنين أو كامنين من الزمن (أنظر بهذا الصدد «سفر التكوين»، 1، 2).

[←1509]

مثلما ينطلق من القوس الثلاثية الأوتار ثلاثة سهام في الأوان نفسه، وُلد معًا وبلا أيّ عيب كلّ من الصّورة المحض أو الفعل المحض (الأفهام أو العقول السّماوية) والمادّة المحض أو القدرة المحض (المادّة الهيلونية غير المتشكّلة والتي هي كمون محض) والصّورة والمادّة متحدّتين (السّموات).

[←1510]

أي الملائكة.

[←1511]

أي السّموات، ومكانها في الوَسَط.



[←1512]

كان القديس ييرونيموس (جيروم) يؤكّد أن الملائكة خُلِقوا بزمّن طويل قبل العالم المحسوس.

[←1513]

أي عبر «الكتاب المقدس» الموحى به من لدن الرّوح القدس. يعارض دانتي رأي القديس ييرونيموس الأنف الذكر ويؤيد مقولة القديس توماس الإكويني في أن «الله خلق الكلّ في آنٍ واحد».

[←1514]

حجّة تعود إلى أرسطو. فحتّى تؤدّي العقول المحرّكة وظيفتها المتمثّلة في بلوغ الكمال ما كان لها أن تبقى بلا أفلاك تُديرها هي.

[←1515]

أي الأرض، التي هي دعامة العناصر الثلاثة الأخرى: الماء والنار والهواء. يقصد أنّ عصيان لوسيفير حصل في وقت أقلّ مما يلزم للعدّ حتّى العشرين.

[←1516]

لاحظنا في الأُسُودَة الأخيرة من «الجحيم» أنّ وزن العالم كلّهُ يُثقل على لوسيفير، وهذا هو عقابه.

[←1517]

المخاطب بالجمع هنا يتعدى داني إلى عامة البشر أو إلى سائر معاصريه، يعيب عليهم المتكلم اعتقاداتهم هذه (أنظر الحاشية التالية).

[←1518]

إنّ استخدام دانتي مفردات «الإدراك» أو «الفهم» و«الذاكرة» و«الإرادة» موجّه للتحذير من تطبيق معايير إنسانيّة على الملائكة. فخلافًا للقديس توماس ولألبرت الكبير، كان دانتي يعارض القول بوجود «ذاكرة ملائكيّة».

[←1519]

مَن يَنخدعون بسوانح أفكارهم أو أحلامهم ويعلمونها للآخرين عن نية سليمة هم أقلّ إنمًا ممن يستعرضون معارفهم عن قصد.



[←1520]

إشارة إلى التفاسير الهرطقيّة للكتاب المقدس.

[←1521]

يسوق دانتي كمثلٍ على التّخريفات رأي من فسّروا الظلام الذي أحاق بالعالم لدى موت السيّد المسيح بحسب «العهد الجديد» بالقول إنّ القمر تقهقهر بقدر سبع درجات ليقف بين الشّمس والأرض. في هذه الحالة، ما كان ذلك الكسوف سيعمّ إلاّ مناطق معيّنة من العالم وليس المعمورة بكاملها كما ورد في الأناجيل (وهو ما يشير إليه دانتي بذكر الإسبان والهنود والعبرانيّين).

[←1522]

من الأسماء الشائعة في فلورنسة في العصر الوسيط. يقصد أنّ الأشخاص الحاملين لهذه الأسماء هم على وفرتهم أقلّ ممّا في فلورنسة من هذه التّخريفات.

[←1523]

أي أنّ قلنسوة الواعظ تنتفخ بخيلائه، ولا يعود الجمهور ينتظر منه شيئاً.

[←1524]

هو الشَّيْطَان، بالمقابلة مع حمارة الرُّسُل.

[←1525]

أي أنّ أتباع القدّيس أنطوان يفيدون من هذه الميقانيّة (مع الخنازير التي يربّونها).

[←1526]

أي عملة زائفة. ومجازاً: مُسامحات لم تُعْطَ بصورة منضبطة أو شرعية.

[←1527]

دعوة لإيجاز النَّقَاشِ حتَّى يتناسب والوقت القليل الباقي لدانتي في السَّماء.



[←1528]

أي تكاثر طبيعة الملائكة.

[←1529]

لم يتقدّم النبيّ دانيال، في تحديداته العددية، بعدد معين للملائكة.

[←1530]

أي أنّ النور الإلهي يُضيء كلّاً من الملائكة بشاكلة مختلفة.

[←1531]

وعليه، فالملائكة لا يتمتعون برؤية لله متكافئة النفاذ ولا بحبّ لاهب بالقدر نفسه.

[←1532]

يقدر المسافة التي كانت تفصله عن الأرض بستة آلاف ميل (وكان داني، في «المأدبة»، يقدر محيط الأرض بعشرين ألف وأربعمائة ميل). وتُشير المقارنة الفلكية إلى أنّ الوقت كان هناك ظهراً، على حين كان العالم الأرضي في الفجر.

[←1533]

أي الفجر.

[←1534]

هو مشهد الجوقات الملائكية التسع محتفلة.

[←1535]

هي الأمبريوس، التي هي اشتقاقياً سماء النار، سماء غير مادية، تستمد حركيتها من ذاتها وتظل مفعمة نوراً دائماً، ولذا فالأصح دعوتها بـ«سماء النور الخالص». ولا يخفى طابع التجديد عند دانتي عندما صورها سماءً من النار: نار لا تُحرق، بل تضيء وتلهب بالمحبة.



[←1536]

الأمبريوس، كما قلنا، هي نور الفكر الإلهي الذي يشتعل حبًا. وهذا الحبّ منبع للغبطة الطوباوية لأنّه بفضلها ترتفع النفس إلى رؤية الله وتذوق الفرح الحقّ.

[←1537]

أي جوقة الملائكة وجوقة الطوباويين.

[←1538]

إِنَّ عَنفَ النُّورِ يَبْهَرُ الْأَرْوَاحَ، فِيهِتَّوْهَا لِرُؤْيَةِ اللَّهِ.

[←1539]

رؤية داني لهذا التّهر هي في الأوان ذاته «رؤية» بالمعنى المشخّص للكلمة و «رؤيا» بمعنى المشاهدة غير الماديّة: السّرارات تمثّل هنا الملائكة، والأزهار تمثّل الطوباويين. والأرجح أنّ مصدر صورة التّهر هذه هو رؤيا يوحنا (12/1)

[←1540]

مفردة «الاستهلال» هنا آتية من معجم العبادة: ضرب من التّمهيد للصّلاة. وهي تدلّ هنا على صورة أولى أو مذاق أوّل للشّيء.

[←1541]

أي أنّ النهْر اتّخذ شكلاً دائريّاً. وبقدر ما تتخلّص الرّؤية من مادّيّتها تصبح المفردات أكثر تشخيصاً.

[←1542]

يقصد الملائكة والطوبائين.

[←1543]

كلّ ما يُرى من هذا النّور يأتي من شعاع نورٍ إلهيّ ينعكس على السّطح المقعّر للمحرّك الأول (السّماء العليا)،  
الذي يستمدّ منه حركته وكامل قدرته التي يروح بدوره ويعكسها على السّموات التي هي أدنى منه.



[←1544]

«الكَمّ» و«النّوع» مثالان على المفردات الفلسفيّة التي يؤثّر داني جمعها بمعجمه الصوفيّ-الشعريّ في هذه المشاهدات.

[←1545]

لاحظ الشّراح في هذه الإشارة إلى أنّ عادلين قليلين يُنتظَر وصولهم إلى هذه المقاعد تصريحًا بالاعتقاد بقرب نهاية التّاريخ.

[←1546]

تمسّ هذه الأبيات جانبًا أساسيًا من تفكير دانتي ومن سيرته. فالقاريء يلاحظ كيف يهَيِّء الشّاعر من الآن مكانًا في السّماء لهذا الملك الذي كان هو يعلّق عليه بالغ الأمل في تخليص إيطاليا وإحلال السّلام الكوني. وُلِدَ هنري السّابع، كونت اللوكسمبورغ، بين 1270 و1280، وانتُخِبَ ملكًا لألمانيا في 1308 وكُرِّسَ في منصبه هذا في أكس-لا-شابيل في كانون الأوّل 1309. ثمّ تُوجَّح امبراطورًا للرومان في ميلانو في يوم عيد الغُطاس (عيد الظهور الإلهي) في 1311. وربّما قابله دانتي في ذلك اليوم. ولكنّ هنري شتّت قواه إذ جرّب إخماد الفتن في مدن عديدة من شمال إيطاليا وحاول كسر التحالف الذي أقامه ضده البابا كليمنتو الخامس. ثمّ نال التتويج في روما في 1313، ولكنّه توفّي قرب سيينا في الرّابع والعشرين من آب من العام نفسه. ويعتقد دانتي أنّ إيطاليا ما كانت بعدُ مهتيةً لاستقبال النّظام السّياسي الذي شرع هنري السّابع بإحلاله.

[←1547]

إشارة إلى كليمنتو الخامس، الذي أزر مشاريع هنري السابع السياسيّة ثمّ عمل على خيانتة.

[←1548]

هو البابا بونيفاتشو الثامن (سبق ذكره مرارًا)، وقد وُلد في أنابلي وسبقَ كليمنتو الخامس على كرسيّ البابويّة. يشير دانتي هنا إلى مكان هذه الفئة من البابوات في الجحيم، غاطسين في حفائر منكوسي الرؤوس.

[←1549]

ورد في «العهد الجديد»، في «أعمال الرُّسل» (20 / 28) «فتنبَّهوا لأنفسكم ولجميع القطيع الذي جعلكم الرُّوح القدس حُرَّاسًا له لتسهروا على كنيسة الله التي اكتسبها بدمه». أمَّا الوردة البيضاء فمتشكِّلة من العباءات البيض للمختارين، التي ترمز، بحسب «رؤيا يوحنا»، إلى أجسام القديسين الوضاء والسَّاطعة. وعليه، فهو بياض متألِّيء وألِق.

[←1550]

أي في النور الإلهي، وفي الله الذي هو «موضوع» محبتهم الدائمة.

[←1551]

إيليس (وهي معروفة أكثر باسم «كالستو») حوريّة عشقها زفس فغارت منها هيرا ومسختها إلى ذئبة على أمل أن تُغتال كطريدة. فرفعها زفس إلى السّماء وحولها إلى كوكبة «الدّب الكبير» (أنظر «التحوّلات» لأوفيدوس). ويقارن دانتي هنا دهشته لبلوغ هذا المقام السّعيد والمشعّ بانصعاق الغرباء («البرابرة») أمام روعة مباني روما يوم كانت عاصمة للامبراطوريّة الرومانيّة، وخصوصًا «اللاترانوه» (انظر الحاشية التّالية).



[←1552]

فيه كان مقرّ البابا، وبقي مقامًا للأباطرة حتى انتقال قسطنطين إلى بيزنطة.

[←1553]

إستخدم دانتي المفردة اللاتينية sense (شيخ) التي تضيف على القدّيس وقارًا أكثر وتعمّق المسافة بينه وبين بياتريشي.

[←1554]

هو الله، الذي تدعوه «المزامير» ب. «ينبوع الحياة».

[←1555]

هو القديس برنار، ولد في فونتين، قرب ديجون (فرنسا) في 1091 وأسس دير «كليرفو» وساهم في الحملة الصليبية الثانية، وتوفي في 1153. تُعرب كتاباته عن تعلق خاص بمريم العذراء. ولعلّ اسمه يقابل في «العهد الجديد»، اسم القديس برنابا (أعمال الرسل، 4/36 ومواضع أخرى)، ولكنّ فرنسيّته وحقبته التاريخيّة جعلتنا نمتنع عن تعريب اسمه كما هو جارٍ مع الأخبار والقديسين المعاصرين للسيد المسيح.

[←1556]

«فيرونيكا»، هو الاسم المُطلق على إيقونة بيزنطية محفوظة في قبة القديس بطرس بروما، كانت تُعتبر صورة يسوع الحقيقية. وكان الحجاج يأتون من جميع الأرجاء لتأملها في الأسبوع المقدس، كما يفعل هذا الكرواتي (إختار دانتي كرواتيا للدلالة على أن الحجاج آت من بلاد بعيدة، وإن يكن بعدها عن إيطاليا نسبيًا في حقيقة الأمر).

[←1557]

عربة الشمس التي أساء فيتوني قيادتها وأوشك أن يحرق بها الأرض (سبق ذكرها).

[←1558]

يقصد بهذه الفتنة جمال مريم العذراء.

[←1559]

هي حوآء، الّتي تسبّبت بجرح الخطيئة الأصليّة.



[←1560]

امراة يعقوب الثانية، رمز الحياة التأملية، في حين ترمز اختها لبيثة إلى الحياة النشيطة أو العملية. أنظر «سفر التكوين» (16/29-30)، و«المطهر» «الأنشودة الثامنة».

[←1561]

سارة هي امرأة النبي ابراهيم وأم إسحق. رفقة هي امرأة إسحق وأم يعقوب. يهوديت هي من أنقذت اليهود من عبوديتهم للأشوريين باغتيالها قائدهم أوليفانا. و«جدّة المغّي» هي راعوث، الجدّة الثالثة لداود (جدّة جدّته).

[←1562]

ألف داود مزمور «إرحمني يا الله».. «المزمور» 51، عندما أتاه النبي ناتان ووبّخه لدخوله على بتشابع امرأة أوريا الحثّي وتسببه بمقتل هذا الأخير في الحملة الثانية على بني عمّون إذ طلب داود أن يوضع أوريا «حيث يكون القتال شديداً». وفيما بعد، سيضمّ داود بتشابع إلى بيته وتلد له سليمان. ويأتي سرد حكاية «خطيئة داود» هذه في «سفر صموئيل الثاني» (11-12).

[←1563]

أي أنّ أولئك النسوة الطالعات من تاريخ الديانة اليهودية يشكّن خطأ شاقوليّاً يخرق الوردة البيضاء.

[←1564]

أي، كما سيلاحظ القارئ في الأبيات التالية، يقسمن السّلالم إلى صقّين، بحسب الشّاكلة التي بها يتّجه الإيمان إلى المسيح زمنياً: المسيح القادم بالنّسبة إلى من ماتوا قبله وتوقّعوا ظهوره، أو المسيح الآتي من قبل بالنّسبة إلى من سيولدون بعده ويتبعون رسالته.

[←1565]

يوحنا المعمدان هو بمثابة «الزائد» بين الرسل وتلامذة المسيح. ورد عنه في إنجيل متى (11/11):

«والحق أقول لكم: لم يظهر في أولاد النساء أكبر من يوحنا المعمدان». وهو قد مكث سنتين في اليمابيس، من موته إلى موت السيد المسيح الذي سينتثله منها مع آخرين. وتفسير القول عنه هنا إنه «كان على الدوام قديسًا، هو كونه ينال الروح وهو في بطن أمه: يصف الإنجيل كما رواه لوقا (40-11/39) كيف أن أمه أليصابات حبلت به وهي في شيخوختها وكانت عاقراً، في الأوان نفسه الذي حبلت فيه مريم بيسوع. وجاءت مريم لتزورها وتباركها، «فلما سمعت أليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها وامتألت من الروح القدس...»

[←1566]

القديس فرانتشيسكو، سبق ذكره (أنظر خصوصًا الأنشودة العاشرة من «الفردوس»)، والقديس بينديتو، مؤسس الجمعية البنيديكتية، سبق ذكره أيضًا؛ أمّا القديس أوغسطين فكان دانتي يعرف مؤلفاته ويكثر الاستشهاد بها في دراساته. ويذكرهم دانتي هنا كمؤلفين للقواعد الأساسية لفرق أو جمعيات دينية وروحانية.

[←1567]

لأنّ البواعث تظنّ خافيةً علينا.



[←1568]

كان عيسو ويعقوب التّوأمان يتعاركان وهما في بطن أمّهما (أنظر «سفر التّكوين»، 22 / 25)، وكان الله قد أبغض الأول وأحبّ الثاني. ويعود تأويل هذا المثل إلى القدّيس بولس: «أنّ رفقة حبلت من رجل واحد هو أبونا إسحق، فقبل أن يولد الصبيّان ويعملا خيرًا أو شرًّا، ليبقى تدير الله القائم على حرّية الاختيار...» («رسالة إلى أهل رومة»، 11-9/10). والمثل مسوق هنا للإشارة إلى تعدّد سبر أغوار بواعث الفضل الإلهي.

[←1569]

أي أنّ نور الفضل الإلهي يتوّج رؤوس الطوباويين بالتّناسب مع ذلك الفضل.

[←1570]

لا ينبع اختلاف المواقع التي يشغلها المختارون في المدرج السماوي علوًا ودنوًا، والتي يتبعها تفاوت في درجة الغبطة الطوباوية، من تفاوت في الاستحقاق بل من تباين في مضاء النظرة المصوّبة إلى الله منذ لحظة الولادة. ممّا يعرب بدوره عن تفاوت في الفضل الذي يحبوه الله لكلّ وليد.

[←1571]

أي أنّ الفحول كان عليهم تدعيم براءتهم بالختان.

[←1572]

هذه الصّلاة يرّدّها كبير الملائكة جبريل (المحبّة الأولى) وقد نزل إلى سماء المحرّك الأوّل احتفاءً بمريم، وهي ما تزال تفتتح الصّلوات المسيحيّة.

[←1573]

في جسارة ذوق الأب هذه إشارة واضحة إلى تجرؤ آدم على قضم الفاكهة المحرّمة فأذاق البشريّة من جرّاء ذلك طعامًا مريئًا.

[←1574]

هذه الزهرة هي الفردوس، ملكوت السموات. والكلام هو عن القديس بطرس، الذي ورث عن السيد المسيح مفتاحي الملكوت السماوي.

[←1575]

هو القدّيس يوحنا الإنجيليّ الذي تلقى الوحي قبل وفاته وتنبأ في «الرؤيا» بعهد شقاء للكنيسة، المشبّهة هنا بعروس نيلث بثمان آلام الملاحقة والصّلب.



[←1576]

هو الشَّعب اليهوديِّ الذي كان يتردّد في اتباع موسى ويغتذي من الّمن والسّلوى في الصّحراء «سفر الخروج»،  
(35-16/1).

[←1577]

هي قديسة سيراكوزا وشفيعة مرضى البصر، كان دانتى يعدّ نفسه مُريدًا لها. وهي من دفعت بياتريشي إلى مبارحة مكانها في «الفردوس» لتُنقذ دانتى التائه في «الغابة المظلمة»، فذهبت إلى اليمابيس حيث كان فرجيليو وكلفته بإرشاده (أنظر «الجحيم»، الأُنشودتين الأولى والثانية).

[←1578]

لم يتمكّن الشّراح من تقديم تفسير قاطع لهذا الوقت الذي يُشعر دانتي بالحاجة إلى النّوم ولا لمعناه في السّياق الذي هو فيه. هل بدأ دانتي يشعر بالتّعب لِعُظم ما رأى وكثرتَه (معنى مستبَعَد لابْتداله)، أم هو تذكير بالزّمن الأرضي الذي ينبغي أن يعود إليه مع اقتراب نهاية زيارته للفردوس؟

[←1579]

إنّ هذا المجاز المعروف في المعجم الشّعائريّ (اللّيئورجيّ) عن مريم باعتبارها ابنة مَنْ كان ابنها يتأسّس انطلاقاً من وحدة الثّالوث الذي يجسّد فيه يسوع الأبّ والابنَ والرّوح القدس.

[←1580]

مجلس عامل من أجل الافتداء وفيه تتقرر النوايا الأبدية.

[←1581]

أي الوردة السماوية، يدعوها دانتي أحياناً بالزّهرة. وأمومة مريم، التي حَبَّت الإنسانية بالافتداء، هي مَنْ أتاحت للأرواح الفاضلة أن ترقى إلى السماء وتشكّل باجتماعها هذه الوردة.

[←1582]

هنا، أي في الأميريوس أو سماء التور الخالص، حيث تتوهج الشعلة كشمس الظهيرة.

[←1583]

كانت عرّافة كومي، سيبيل (سيبولا) تكتب نبوءاها على أوراق تطيرها الرياح («الإنياذة»، الكتاب الثالث).



[←1584]

أي طالما استخدم بصره حتى آخر قواه. وهنا يبدأ المجهود المأساوي الذي يبذله دانتي لتمثّل الجوهر الإلهي.

[←1585]

سبق أن قابل القاريء استعارة الكتاب كصورة عن وحدة الكون.

[←1586]

يستعيد دانتى هنا فلسفياً فكرة جوهر الجوهر المعبر عنها في الأبيات الثلاثة السابقة.

[←1587]

اليقين قائم على ما يأتي به من إحساس بالمتعة.

[←1588]

«أرغو» هي السفينة التي انطلق فيها عدد من أبطال الميثولوجيا اليونانية بقيادة جاسون بحثاً عن الجرة الذهبية، وتُعتبر أول سفينة تُبنى وتمخر عباب البحر. ومن اسمها جاء اسم ملاحها ar- Gonautes الذي صار فيما بعد يُطلق على بعض الزوارق الشراعية وكذلك على صنف من الأخطبوطيات (العنقريط). وقد اندهش نبتون إله البحر لرؤية السفينة المذكورة على صفحة المياه. وما يقصده دانتي هو أنّ لحظة واحدة في المشهد السماوي الذي يصفه هنا، أو نقطة واحدة مرئية فيه، كانت كافية لتحدث فيه من النسيان (نسيان مرتبط بالحالة الجذلية أو الإشراقية، وبالتالي فهو متلقى كخلاص وكتطهير) أكثر ممّا أحدثته خمسة وعشرون قرناً جعلت ذكرى السفينة أرغو تقبع في طي النسيان وهي التي أدهش مرأها الإله نبتون أيما إدهاش.

[←1589]

أي أنه حتى الخير لا يعود خيرًا ما إن يكون خارج الله. كل ما هو بعيد عن الله مدموغ بالتقص.

[←1590]

يسعى دانتي هنا إلى وصف سرّ الثالوث: ثلاث دوائر أو ثلاثة مدارات، بثلاثة ألوان وبالأبعاد نفسها.

[←1591]

هنا تمثّل لاهوتيّ للتّالوث: فالدائرة الأولى، التي تعكس النّور، هي الأب؛ والثّانية، التي ينعكس عليها النّور، هي الابن أو اللّوغوس (العقل والخطاب) المخلوق على يد الأب؛ والثّالثة، التي تتوسّط الأب والابن، هي الرّوح القدس.



[←1592]

الثالوث يحبّ نفسه ككلّ واحد. وهذه الأبيات شهيرة، وبهذه الشّكلة التي ترتدّ بها عناصر العبارة الشعرية بعضها على بعضٍ كان لها تأثير بالغ على شعراء أوربيين لاحقين منهم الفرنسيّ موريس سيف (القرن السادس عشر) الذي تورّد جاكولين ريسيه، في كتابها «دانتي كاتبًا»، على سبيل المقارنة، أبياته القائلة: «كتلة من الألوهة في ذاتها ملتحمة / جوهر ممتليء في قلب ذاته يكُمون بلا انتهاء / وحده يسرّ ذاته ووحده بها يفرح».

[←1593]

يرمي دانتي هنا إلى وصف لغز الحلول، أي امتزاج الطبيعتين الإنسانية والإلهية في يسوع. «واللون نفسه» يُشير إلى كون الطبيعتين غير قابلتين للفكك في شخص السيد المسيح.

[←1594]

يصف دانتي بطلان محاولة استغوار اللغز الإلهي بالرجوع إلى حالة المسّاح الذي يحاول عبثاً التفكير بتربيع الدائرة (وسبق أن عالج دانتي هذه المسألة في «المأدبة» واعتبرها متعذرة على الحلّ).

[←1595]

من إسم الاستفهام dova («أين») يجترح دانتي هنا فعلاً: sindova، الذي حاولنا الإفادة من مرونة العربية والتعبير عنه بـ«بتأين»، وهو ما عجزت اللغة الفرنسية عن أن تجد له مقابلًا من اسم الاستفهام نفسه («لجأت جاكين ريسيه، مثلاً، إلى الفعل»): sy nouer يُعقد في... («وهنري لونيون إلى الفعل: sintegrer) «يندمج أو يلتحم ب...») وكريستيان بك إلى الفعل: sadapter («يتكيف ل...»).

[←1596]

يُشير اندلاع البرق إلى بلوغ أقصى حالة إشراقية.

[←1597]

يلاحظ القاريء كيف يستعيد هذا البيت الأخير من «الفردوس» البيت الأول من الجزء نفسه: «مَجْدُ مَنْ يحرّك جميع الأشياء»، وكيف تشكّل مفردة «النّجوم» المفردة الأخيرة من كلّ «الجحيم» و «المطهر» و«الفردوس». وجاكّلين ريسيه هي الوحيدة التي انتبهتُ إليه بين مَنْ راجعنا أعمالهم من شرّاح دانتي ومترجميه.

[←1598]

ورد اسمه في الفردوس

[←1599]

ورد اسمه في وثيقة سنة 1189 وورد اسمه في الفردوس.



[←1600]

ورد اسمه في وثيقة سنة 1076، وفي الفردوس.

[←1601]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1189، 1201 وفي الفردوس.

[←1602]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1255 و 1277.

[←1603]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1260 و 1277.

[←1604]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1295 و1298 وكان قيد الحياة في 1298.

[←1605]

ورد اسمه في وثيقة سنة 1277.

[←1606]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1237 و 1241.

[←1607]

ورد اسمه في وثيقة سنة 1269 وورد في الجحيم.



[←1608]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1260 و1278 واشترك في معركة مونتأبرتي سنه 1260.

[←1609]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1269 و 1277.

[←1610]

ورد اسمه في وثيقتين سنتي 1239 و1256.

[←1611]

هذه هي والدة دانتيّ ولا نعرف اسرتها مؤكدا، ويظن انها ابنه دورانى دي سكولايودلي أباتي.

[←1612]

ورد اسمه في وثيقة سنة 1320.

[←1613]

ورد اسمة في وثائق في سنوات 1297 و 1320 و 1332 و 1342.

[←1614]

كانت راهبة في دير سانت أوليفيا في رافنا.

[←1615]

ورد أسمها في وثيقة سنة 1332 ويقال إن أنتونيا هي بياترتشي بعد رهانيتها.



[←1616]

ورد اسمه فى وثيقة سنة 1577.

[←1617]

ورد اسمه فى وثيقة سنة 1668.

[←1618]

ورد اسمه فى وثيقة سنة 1695.

[←1619]

أصبح محافظ البنديقية من سنة 1880 إلى سنة 1888.

[←1620]

كانت من حاشية الملكة مرجريتا.

[←1621]

عملت ممرضة متطوعة في الحرب العالمية الأولى وتوفيت اثناء الخدمة.

[←1622]

كانت من الحاشية في قصر ملك إيطاليا.